



نُصُوصُ

فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ

تَأْلِيفُ

السَّيِّدِ عَلِيِّ الْمَوْصَوِيِّ الذَّرَابِيِّ

الْمَجْلَدُ السَّادِسُ

الْقُرْآنُ ، أَسْمَاؤُهُ ، سُورُهُ ، آيَاتُهُ ، كَلِمَاتُهُ وَأَجْزَاؤُهُ

بِإِشْرَافِ

مُدِيرِ قِسْمِ الْقُرْآنِ

الْأَسْتَاذِ الْعَلَامِيِّ مُحَمَّدِ وَاعِظِ زَادَةِ الْخُرَّاسَانِيِّ



بسم الله الرحمن الرحيم





نُصُوصُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ
السَّيِّدُ عَلِيُّ الْمَوْسَوِيُّ الدَّارَانِيُّ

الْمَجْلَدُ السَّادِسُ
الْقُرْآنُ ، أَسْمَاؤُهُ ، سُورُهُ ، آيَاتُهُ ، كَلِمَاتُهُ وَأَجْزَاؤُهُ

بِإِشْرَافِ
مُدَبِّرِ قِسْمِ الْقُرْآنِ

الْأَسْتَاذِ الْعَلَامَةِ مُحَمَّدِوَاعِظِ زَادَةِ الْخُرَاسَانِيِّ

موسوي دارابي، علي، ۱۳۳۴ -

نصوص في علوم القرآن / تأليف علي الموسوي الدارابي: بإشراف محمد واعظزاده
الخراساني. - مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، ۱۴۲۹ق. - ۱۳۸۶ش.

ISBN set 978-964-444-380-0

ج.

ISBN 978-964-971-295-6 (ج۶)

فهرست‌نویسی بر اساس اطلاعات فیبا.

عربي

کتابنامه

۱. قرآن - - علوم قرآن. ۲. قرآن - - وحی. الف. واعظزاده خراساني،

۱۳۰۴ - ، ب. بنياد پژوهشهاي اسلامي. ج. عنوان.

۲۹۷/۱۵

BP ۶۹ / ۵ / ۸ ن ۶

۶۷۹-۲۴۱۲۹

کتابخانه ملی ایران



نصوص في علوم القرآن

المجلد السادس

(القرآن ، اممازه ، سوره ، آياته ، كلماته و اجزاؤه)

السيد علي الموسوي الدارابي

ياشراف الأستاذ محمد واعظزاده الخراساني

الطبعة الثانية ۱۴۳۲ق / ۱۳۹۰ش

۱۰۰۰ نسخة / الثمن: ۱۳۴۰۰۰ ريال

الطبعة: دقت

مجمع البحوث الإسلامية، ص.ب. ۳۶۶-۹۱۷۳۵

هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلامية: ۲۲۳۰۸۰۳

معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلامية، (مشهد) ۲۲۳۳۹۲۳، (قم) ۷۷۲۳۰۲۹

www.islamic-rf.ir

E-mail: info@islamic-rf.ir

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الفهرس العامّ

التصدير ١١

الباب السّابع : أسماء القرآن و صفاته و معانيه ، وفيه فصول :

١٥	نصّ أبي عُبَيْدة	الفصل الأوّل
١٦	نصّ الطّبريّ	الفصل الثّاني
٢١	نصّ الأزهريّ	الفصل الثّالث
٢٥	نصّ ابن فارس	الفصل الرّابع
٢٦	نصّ الدّامغانيّ	الفصل الخامس
٤٢	نصّ الطّوسيّ	الفصل السّادس
٤٧	نصّ الرّاعب الأصفهانيّ	الفصل السّابع
٥١	نصّ أبي الفتوح الرّازيّ	الفصل الثّامن
٥٨	نصّ الطّبرسيّ	الفصل الثّاسع
٦١	نصّ الفخر الرّازيّ	الفصل العاشر
٧٥	نصّ السّخاويّ	الفصل الحادي عشر
٨٥	نصّ ابن منظور	الفصل الثّاني عشر
٨٩	نصّ حيدر الآمليّ	الفصل الثّالث عشر

٩١	نصّ الزّرّ كشيّ	الفصل الرابع عشر
٩٧	نصّ الفيروز اباديّ	الفصل الخامس عشر
١٠١	نصّ السيوطيّ	الفصل السادس عشر
١٠٤	نصّ صدر المتأهين	الفصل السابع عشر
١١٥	نصّ الطّريحيّ	الفصل الثامن عشر
١١٨	نصّ البروجرديّ	الفصل التاسع عشر
١٤٠	نصّ الأصفهانيّ	الفصل العشرون
١٤٥	نصّ الأنصاريّ	الفصل الحادي والعشرون
١٤٨	نصّ الزّرقانيّ	الفصل الثاني والعشرون
١٥٨	نصّ ابن عاشور	الفصل الثالث والعشرون
١٦٢	نصّ العلامة الطّباطبائيّ	الفصل الرابع والعشرون
١٧٤	نصّ الأشيقر	الفصل الخامس والعشرون
١٧٨	نصّ العطار	الفصل السادس والعشرون
١٨٩	نصّ توفّل	الفصل السابع والعشرون
١٩٣	نصّ الخطيب	الفصل الثامن والعشرون
١٩٥	نصّ صبحي الصّالح	الفصل التاسع والعشرون
١٩٩	نصّ الدّرّاز	الفصل الثلاثون
٢٠٤	نصّ السيّد الحكيم	الفصل الحادي والثلاثون
٢٠٦	نصّ المصطفويّ	الفصل الثاني والثلاثون
٢١٧	نصّ العسكريّ	الفصل الثالث والثلاثون
٢٢٠	نصّ المدرّس التبريزيّ	الفصل الرابع والثلاثون
٢٢٦	نصّ متاع القطّان	الفصل الخامس والثلاثون

٢٣٣	نصّ الحجّيّ	الفصل السادس والثلاثون
٢٣٦	نصّ الملكيّ المياحجيّ	الفصل السابع والثلاثون
٢٤٨	نصّ الشّرّقاويّ	الفصل الثامن والثلاثون
٢٥٢	نصّ المدرسيّ	الفصل التاسع والثلاثون

الباب الثامن: أسامي السُّور ومعنى السُّورة وعددها وأقسامها، وفيه فصول:

٢٥٧	نصّ الخليل	الفصل الأوّل
٢٥٨	نصّ سيّويّه	الفصل الثاني
٢٦٠	نصّ أبي عُبَيْدَة	الفصل الثالث
٢٦٣	نصّ الطّبريّ	الفصل الرّابع
٢٨٠	نصّ الطّوسيّ	الفصل الخامس
٢٨٢	نصّ الرّمحشريّ	الفصل السادس
٢٨٤	نصّ أبي الفتوح	الفصل السابع
٢٨٥	نصّ الطّبرسيّ	الفصل الثامن
٢٨٩	نصّ الشّهريّ	الفصل التاسع
٢٩١	نصّ السّخاويّ	الفصل العاشر
٢٩٩	نصّ الزّركشيّ	الفصل الحادي عشر
٣٠٨	نصّ السيّوطيّ	الفصل الثاني عشر
٣٢٢	نصّ صدر المتألّهين	الفصل الثالث عشر
٣٢٥	نصّ الطّريحيّ	الفصل الرابع عشر
٣٢٦	نصّ الفيض الكاشانيّ	الفصل الخامس عشر

٣٢٨	نصّ المشهدي	الفصل السادس عشر
٣٣٠	نصّ البروجردي	الفصل السابع عشر
٣٣٩	نصّ الزرقاني	الفصل الثامن عشر
٣٤١	نصّ التهاوندي	الفصل التاسع عشر
٣٤٦	نصّ ابن عاشور	الفصل العشرون
٣٥٣	نصّ عزّة دروّزة	الفصل الحادي والعشرون
٣٥٦	نصّ الطّباطبائي	الفصل الثاني والعشرون
٣٥٩	نصّ الأشقر	الفصل الثالث والعشرون
٣٦١	نصّ السّبكي	الفصل الرابع والعشرون
٣٦٣	نصّ المصطفوي	الفصل الخامس والعشرون
٣٦٧	نصّ العسكري	الفصل السادس والعشرون
٣٦٨	نصّ الحجّتي	الفصل السابع والعشرون
٣٧١	نصّ ميرمحمدي	الفصل الثامن والعشرون
٣٧٨	نصّ الحسيني الجلاّلي	الفصل التاسع والعشرون

الباب التاسع: معنى الآية والحرف والكلمة وعددّها في القرآن، وفيه فصول:

٣٨٩	نصّ الخليل	الفصل الأوّل
٣٨٩	نصّ الطّبري	الفصل الثاني
٣٩١	نصّ الطّوسي	الفصل الثالث
٣٩٥	نصّ القيسي	الفصل الرابع
٣٩٦	نصّ العاصمي	الفصل الخامس

٤٠١	نصّ الدّامغانيّ	الفصل السادس
٤٠٣	نصّ الرّاغب الأصفهانيّ	الفصل السابع
٤٠٤	نصّ الميّديّ	الفصل الثامن
٤٠٧	نصّ أبي الفتوح	الفصل التاسع
٤٠٨	نصّ ابن عطية	الفصل العاشر
٤٠٩	نصّ الطّبرسيّ	الفصل الحادي عشر
٤١١	نصّ الشّهرستانيّ	الفصل الثاني عشر
٤١٣	نصّ الشّاطبيّ	الفصل الثالث عشر
٤١٦	نصّ ابن الجوزيّ	الفصل الرابع عشر
٤١٨	نصّ الفخر الرّازيّ	الفصل الخامس عشر
٤٢٢	نصّ السّخاويّ	الفصل السادس عشر
٤٢٥	نصّ القرطبيّ	الفصل السابع عشر
٤٣٠	نصّ ابن منظور	الفصل الثامن عشر
٤٣٣	نصّ التّيسابوريّ	الفصل التاسع عشر
٤٣٦	نصّ حيدر الآمليّ	الفصل العشرون
٤٤٠	نصّ الزّركشيّ	الفصل الحادي والعشرون
٤٤٣	نصّ الفيروزآباديّ	الفصل الثاني والعشرون
٤٥١	نصّ السيّوطيّ	الفصل الثالث والعشرون
٤٦٠	نصّ الشّيخ البهائيّ	الفصل الرابع والعشرون
٤٦١	نصّ الطّرمحيّ	الفصل الخامس والعشرون
٤٦٣	نصّ البروجرديّ	الفصل السادس والعشرون
٤٧٣	نصّ الزّرقانيّ	الفصل السابع والعشرون

٤٨٠	نصّ ابن عاشور	الفصل الثامن والعشرون
٤٨٦	نصّ العلامة الطباطبائيّ	الفصل التاسع والعشرون
٤٩٠	نصّ الأشيقر	الفصل الثلاثون
٤٩٢	نصّ السبكيّ	الفصل الحادي والثلاثون
٤٩٣	نصّ المصطفويّ	الفصل الثاني والثلاثون
٤٩٥	نصّ العسكريّ	الفصل الثالث والثلاثون
٤٩٩	نصّ حسن زاده الآملّيّ	الفصل الرابع والثلاثون
٥٠٢	نصّ مرتضى العامليّ	الفصل الخامس والثلاثون
٥٠٤	نصّ آل عصفور	الفصل السادس والثلاثون
٥٠٧	نصّ الأبياريّ	الفصل السابع والثلاثون
٥٠٨	نصّ الحجّتيّ	الفصل الثامن والثلاثون
٥١٨	نصّ مير محمّديّ	الفصل التاسع والثلاثون
٥٢١	نصّ الحسينيّ الجلاّليّ	الفصل الأربعون

الباب العاشر: تناسب الآيات والسُور، وفيه فصول:

٥٣١	نصّ الطبرسيّ	الفصل الأوّل
٥٣٥	نصّ ابن عربيّ	الفصل الثاني
٥٣٦	نصّ ابن الزُّبَيْر	الفصل الثالث
٥٤٠	نصّ الزّركشيّ	الفصل الرابع
٥٥٧	نصّ البقاعيّ	الفصل الخامس
٥٦٣	نصّ السيوطيّ	الفصل السادس

٥٧٤	نصّ الشّوكانيّ	الفصل السّابع
٥٧٧	نصّ الزّرقانيّ	الفصل الثّامن
٥٨١	نصّ التّهاونديّ	الفصل التّاسع
٥٨٣	نصّ سيّد قطّاب	الفصل العاشر
٥٩٢	نصّ ابن عاشور	الفصل الحادي عشر
٥٩٦	نصّ عزّة دروّزة	الفصل الثّاني عشر
٦١٢	نصّ صبحي الصّالح	الفصل الثّالث عشر
٦١٧	نصّ الحويّ	الفصل الرّابع عشر
٦٢٦	نصّ الدّرّاز	الفصل الخامس عشر
٦٣٥	نصّ الشّيخ معرفة	الفصل السّادس عشر
٦٥١	نصّ المدرسيّ	الفصل السّابع عشر
٦٥٤	نصّ البستانيّ	الفصل الثّامن عشر
٦٥٨	نصّ الفّلاح	الفصل التّاسع عشر
٦٦٤	نصّ بازمول	الفصل العشرون

الباب الحادي عشر: أجزاء القرآن وأحزابه، وفيه فصول:

٦٧٩	نصّ السّجستانيّ	الفصل الأوّل
٦٨٧	نصّ الدّانيّ	الفصل الثّاني
٦٨٩	نصّ العاصميّ	الفصل الثّالث
٦٩٣	نصّ ابن الجوزيّ	الفصل الرّابع
٦٩٦	نصّ السّخاويّ	الفصل الخامس

٧٠٠	نصّ ابن تيمية	الفصل السادس
٧٠٧	نصّ القرطبي	الفصل السابع
٧٠٩	نصّ ابن كثير	الفصل الثامن
٧١٠	نصّ الزرقاني	الفصل التاسع
٧١٢	نصّ صبحي الصالح	الفصل العاشر
٧١٤	نصّ الشيخ معرفة	الفصل الحادي عشر
٧١٥	نصّ الأبياري	الفصل الثاني عشر
٧٢٠	نصّ الزفزاف	الفصل الثالث عشر
٧٢٣	نصّ الحسيني الجلالي	الفصل الرابع عشر

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله رب العالمين، ونصلّي ونسلم على رسوله الأمين، وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين، ومن والاهم إلى يوم الدين.

وبعد، فقد وفقنا الله تعالى لتقديم المجلّد السادس من موسوعة «نصوص في علوم القرآن» في قسم آخر من علومه إلى المهتمين بعلوم القرآن. كما تفضّل علينا بتقديم خمس مجلّدات قبله في نزول القرآن وجمعه وصيانتها عن التّحريف، وفي مصاحف الصّحابة ورسم القرآن ونقطة وشكله إلى الشّائق الدّارسين حول هذا الكتاب العظيم.

وهذه النّصوص المقدّسة حول القرآن بأقلام أعظم علماء الأُمّة من جميع طوائفها ومذاهبها ومن كلّ قطر من أقطارها في كلّ عصرٍ وقرنٍ ابتداءً من صدر الإسلام إلى يومنا هذا - وسيدوم هذا الجهد الكبير إن شاء الله تعالى - بما دلّ على اهتمام المسلمين جميعاً بكتاب ربّهم وأثقل ميراث رسولهم اهتماماً بالغاً ليس له نظير بين غيره من الكُتُب المنزلة من عند الله، ولا المؤلّفة عند النّاس.

ودلّ أيضاً على اتّفاق الأُمّة بجميع مذاهبها وأقوامها على صيانة هذا الكتاب عن أيّ تحريف وزيادة ونقصان، وبذلك فقد ضمن القرآن وحدة الأُمّة رغم اختلافها في بعض الفروع الكلاميّة والفقهيّة، وفي حقّ الحكومة والسياسة، سواء ما كان منها عن اجتهاد واستنباط من الكتاب والسنة من دون عمدٍ سوى تفاوت الثّقوس فهمها ودراسة وسعيها

وحفاظة، أو ما صدر أحياناً من جانب ذوي الأهواء أو الأمراء، فانتهى إلى الجدل والقتال، أو العداوة والخصام، أو سوء الظن بالإخوة الكرام.

فرغم كل هذه الدواعي والأسباب بقي القرآن في طليعة ما اهتمت به الأمة تحصيلًا نصّها وفاءً بما ضمن الله تعالى مؤكّداً حفظه بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحَفَظُ الْقُرْآنَ وَنُحَافِظُونَ لَهُ﴾، واهتماماً بحفظها عن ظهر القلب، ففي كل مصرٍ وعصرٍ يوجد ملايين حفظةٍ للقرآن الكريم، وملايين أضعافهم قراءً له مجيدون.

كما اهتموا به فهماً وتفسيراً وكتابةً وتدبراً وتفقهاً واستخراجاً علومه كما شهدت به مجلّدات هذه الموسوعة المباركة.

وسيجد القارئ في هذا المجلّد أكثر ما دوّنه العلماء من جميع الطوائف في صعيد أسامي القرآن والسور والمناسبات بين الآيات وبين السور وبين مبادئها وخواتمها، وعدد آياتها وكلماتها وحروفها وما إلى ذلك.

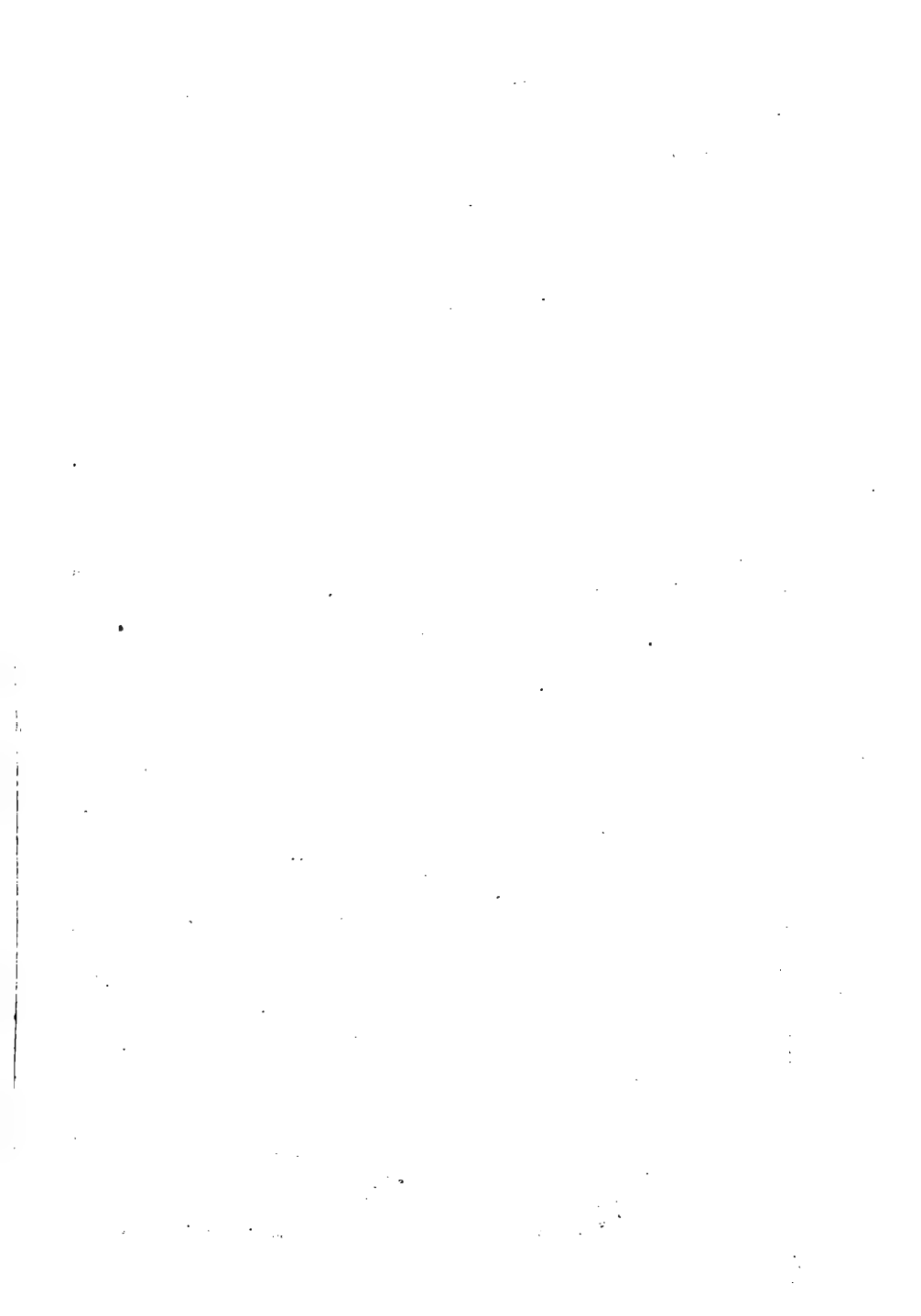
والفضل في ذلك للعالم المتبّع السيّد عليّ الموسوي الدارابي - حفظه الله تعالى - ولقسم القرآن في مجمع البحوث الإسلامية، والآستانة الرضوية المقدسة، على مشرفها ألف سلام وتحيّة. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وسلام على المرسلين.

٨ محرّم الحرام عام ١٤٣٠ هـ

محمّد واعظ زاده الخراسانيّ

مدير قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلامية

الباب السّابع
أسماء القرآن وصفاته ومعانيه
وفيه فصول:



الفصل الأول

نصّ أبي عُبَيْدَةَ (م: ٢١٠) في «مجاز القرآن»

[معنى القرآن]

حدّثنا أبو الحسين محمد بن هارون الزنجاني الثَّقَفِي، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز، قال: حدّثنا علي بن المغيرة الأنزَم، عن أبي عُبَيْدَةَ مَعْمَر بن الْمُثَنَّى التَّيْمِي، قال: القرآن: اسم كتاب الله خاصّة، ولا يُسمّى به شيء من سائر الكتب غيره، وإلّا سُمّي قرآنًا لأنّه يجمع السُّور فيضمّها، وتفسير ذلك في آية من القرآن: قال الله جلّ ثناؤه: ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾. مجازّه: تأليف بعضه إلى بعض؛ ثم قال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، مجازّه: فإذا ألّفنا منه شيئًا، فضمّمناه إليك فخذْ به، واغمل به وضمّه إليك؛ وقال عمرو بن كلثوم في هذا المعنى:

ذِرَاعِي حَرَّةٌ أَدْمَاءُ بَكْرٍ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا

أي لم تضمّ في رحمها ولدًا قطّ، ويقال للتي لم تحمل قطّ: ما قرأت سلّى قطّ. وفي آية أخرى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾، مجازّه: إذا تلوت بعضه في إثر بعض، حتّى يجمع وينضمّ إلى بعض؛ ومعناه يصير إلى معنى التّأليف والجمع. وإلّا سُمّي القرآن قرآنًا لأنّه يفرق بين الحقّ والباطل، وبين المسلم والكافر، وخرج تقديره على تقدير: رجل قُنعان، والمعنى أنّه يرضى الخصمان والمختلفان في الأمر بحكمه بينهما ويقنعان به.

الفصل الثاني

نصّ الطبري (م: ٣١٠) في «جامع البيان...»^١

القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآيه

قال أبو جعفر: إن الله تعالى ذكره سَمَّى تنزيله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ أسماء أربعة: منهن: القرآن، فقال في تسميته إياه بذلك في تنزيله: ﴿تَحْنُ نَقْصٌ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾^٢. وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^٣.

ومنهن: الفرقان، قال جل ثناؤه في وحيه إلى نبيه ﷺ يُسَمِّيه بذلك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^٤.

ومنهن: الكتاب، قال تبارك اسمه في تسميته إياه به: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قِيمًا﴾^٥.

ومنهن: الذكر، قال تعالى ذكره في تسميته إياه به: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

١- ذكر مظه تلخيصاً الماوردي في تفسيره «الكتّ والعيون» ١: ٢٣-٢٥. (م)

٢- يوسف / ٣.

٣- التمل / ٧٦.

٤- الفرقان / ١.

٥- الكهف / ١.

لِحَافِظُونَهُ^١.

ولكل اسم من أسمائه الأربعة في كلام العرب، معني ووجه غير معنى الآخر ووجهه.
فأما القرآن، فإن المفسرين اختلفوا في تأويله. والواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس: من التلاوة والقراءة، وأن يكون مصدرًا من قول القائل: قرأت، كقولك «الحُسران» من «حُسِرَتْ»، و«الغُفران» من «غُفِرَ اللهُ لك»، و«الكُفران» من «كُفِرْتُك»، و«الفرقان» من «فَرَّقَ اللهُ بين الحقِّ والباطل».

١- وذلك أن يحيى بن عثمان بن صالح السهمي حدثني، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ يقول: بَيِّتَاهُ، ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، يقول: اعْمَلْ بِهِ.

ومعنى قول ابن عباس هذا: فإذا بَيِّتَاهُ بالقراءة، فاعْمَلْ بما بَيِّتَاهُ لك بالقراءة. ومما يوضح صحة ما قلنا في تأويل حديث ابن عباس هذا، ما:

٢- حدثني به محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن عبد الله بن عباس: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، قال: أن تُقرئك فلا تُنسى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ عَلَيْكَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ يقول: إذا تلي عليك فاتَّبِعْ ما فيه.

قال أبو جعفر: فقد صرح هذا الخبر عن ابن عباس: أن معنى القرآن عنده القراءة، فإنه مصدر من قول القائل: «قَرَأْتُ» على ما بَيِّتَاهُ. وأما على قول قتادة، فإن الواجب أن يكون مصدرًا، من قول القائل: «قَرَأْتُ الشَّيْءَ»، إذا جمَعْتُهُ وضممت بعضه إلى بعض، كقولك: «ما قرأت هذه النَّاقَةُ سَلَاقُطً» تريد بذلك أنها لم تَضْمُمْ رحماً على ولد، كما قال عمرو بن كلثوم:

التغلي:

ثُرَيْبُكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ وَقَدْ أَمِنْتَ عُيُونَ الْكَاشِحِينَ

ذِرَاعَى عَيْطَلٍ أَذْمَاءَ يَكْبَرُ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا

يعني بقوله: «لم تقرأ جنينا»، لم تضمم رحما على ولد.

٣- وذلك أن بشر بن معاذ العقدي حدثنا قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد ابن أبي عروبة، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، يقول: حفظه وتأليفه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ يقول: اتبع حلاله، واجتنب حرامه.

٤- حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، قال: حدثنا محمد بن ثور، قال: حدثنا مغمسر، عن قتادة بمثله. فرأى قتادة أن تأويل القرآن: التأليف.

قال أبو جعفر: ولكلا القولين - أعني قول ابن عباس وقول قتادة - اللذين حكيناها، وجه صحيح في كلام العرب.

غير أن أولى قوليهما بتأويل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قول ابن عباس. لأن الله جل ثناؤه أمر نبيه في غير آية من تنزيله باتباع ما أوحى إليه، ولم يرخص له في ترك اتباع شيء من أمره إلى وقت تأليفه القرآن. فكذلك قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، نظير سائر ما في أي القرآن التي أمره الله فيها باتباع ما أوحى إليه في تنزيله.

ولو وجب أن يكون معنى قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، فإذا ألفناه فاتبع ما ألفنا لك فيه لوجب أن لا يكون كان لزمه فرض ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ولا فرض ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ قبل أن يؤلف إلى ذلك غيره من القرآن. وذلك إن قاله قائل، خروج من قول أهل اللغة.

وإذ صح أن حكم كل آية من أي القرآن كان لازما للتي تليها اتباعه والعمل به، مؤلفة كانت إلى غيرها أو غير مؤلفة - صح ما قال ابن عباس في تأويل قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ

قُرَّائُهُ، أنه يعني به: فإذا بَيَّنَّاهُ لك بقراءة، فأتبع ما بَيَّنَّاهُ لك بقراءة دون قول من قال: معناه، فإذا أَلْفَنَاهُ فأتبع ما أَلْفَنَاهُ. وقد قيل إن قول الشاعر:

ضَحَوْنَا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ... يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا

يعني به قائله: تسبيحًا وقراءة.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يسمَّى قرآنًا بمعنى القراءة، وإنما هو مقروء؟

قيل: كما جاز أن يسمَّى المكتوب كتابًا، بمعنى: كتاب الكاتب، كما قال الشاعر في صفة كتاب طلاق كتبه لامرأته:

تُؤْمَلُ رَجْعَةً مِّنِّي، وفيها كِتَابٌ مِثْلُ مَا لَصِقَ الْغِرَاءُ

يريد: طلاقًا مكتوبًا، فجعل المكتوب كتابًا.

وأما تأويل اسمه الذي هو فرقان، فإن تفسير أهل التفسير جاء في ذلك بألفاظ مختلفة، هي في المعاني مؤتلفة.

٥- فقال عكرمة، فيما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا حكام بن سلم، عن عتبسة، عن جابر، عن عكرمة: أنه كان يقول: هو النجاة. وكذلك كان السدي يتأوله.

٦- حدثنا بذلك محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن الفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي وهو قول جماعة غيرهما. وكان ابن عباس يقول: الفرقان: المخرج.

٧- حدثني بذلك يحيى بن عثمان بن صالح، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. وكذلك كان مجاهد يقول في تأويله بذلك.

٨- حدثنا بذلك ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عتبسة، عن جابر، عن مجاهد. وكان مجاهد يقول في قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾، يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل.

٩- حدثني بذلك محمد بن عمرو الباهلي، قال: حدثني أبو عاصم، عن عيسى بن ميمون،

عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

وكل هذه التأويلات في معنى الفرقان على اختلاف ألفاظها متقاربات المعاني. وذلك أن جعل له مخرج من أمر كان فيه، فقد جعل له ذلك المخرج منه نجاة. وكذلك إذا نجى منه، قد نُصِرَ على من بقاء فيه سوءاً، وفُرق بينه وبين باغيه السوء. فجميع ما روينا عن رونا عنه في معنى الفرقان، قول صحيح المعنى، لاتفاق معاني ألفاظهم في ذلك.

وأصل الفرقان عندنا: الفرق بين الشَّيْئين والفصل بينهما. وقد يكون ذلك بقضاء، واستنقاذ، وإظهار حُجَّة، ونُصْر، وغير ذلك من المعاني المفرقة بين الحقّ والمبطل. فقد تبين بذلك أن القرآن سُمِّيَ فرقاناً، لفصله بُحْبُجِه وأدلَّته وحدود فرائضه وسائر معاني حكمه بين الحقّ والمبطل. وفرقائه بينهما: بنصره الحقّ، وتحذيله المبطل، حكماً وقضاءً.

وأما تأويل اسمه الذي هو كتاب: فهو مصدر من قولك «كتبت كتاباً» كما تقول: قُمتَ قياماً، وحسبت الشيء حساباً. والكتاب: هو خطُّ الكاتب حروف المعجم مجموعة ومفترقة. وسُمِّيَ كتاباً، وإلما هو مكتوب، كما قال الشاعر في البيت الذي استشهدنا به: وفيها كتابٌ مثل ما لصق الغراء. يعني به مكتوباً.

أما تأويل اسمه الذي هو ذكر: فإنه محتمل معنيين:

أحدهما: أنه ذكرٌ من الله جلَّ ذكره، ذكرٌ به عباده، فعرفهم فيه حدوده وفرائضه، وسائر ما أودعه من حكمه.

والآخر: أنه ذكرٌ وشرفٌ وفخرٌ لمن آمن به وصدق بما فيه، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَالْقَوْمِ﴾، يعني به أنه شرفٌ له ولقومه.

(١: ٤٤-٤٤)

الفصل الثالث

نصّ الأزهريّ (م: ٣٧٠) في «تهذيب اللغة»

[معنى القرآن]

قال أبو إسحاق الزجاج: يسمّى كلام الله الذي أنزله على نبيّه ﷺ كتابًا، وقرأنا، وقرأنا، وذكّرنا. قال: ومعنى قرآن معنى الجمع. يقال: ما قرأت هذه التّافة سلّى قطّ، إذا لم يضطّم رَحِمُها على الولد. وأنشد: هِجَانِ اللَّوْنِ لم تقرأ جَنِينًا
قال: وقال أكثر التّاس: لم تجمع جنينًا، أي لم تضطّم رَحِمُها على الجنين. قال: وقال قُطْرَب في القرآن قولين:

أحدهما - هذا وهو المعروف، والذي عليه أكثر التّاس.

والقول الآخر - ليس بخارج من الصّحّة وهو حسن. قال: لم تقرأ جنينًا: لم تُلقه. قال: ويجوز أن يكون معنى قرأت القرآن لفظت به مجموعًا أي ألقته.

وأخبرني محمد بن يعقوب الأصمّ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: أن الشّافعيّ أخبره أنّه قرأ القرآن على إسماعيل بن قُسْطَنْطِين. وكان يقول: القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله، مثل التّوراة والإنجيل. قال: ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن، كما تقول إذا قرأت القرآن.

وقال إسماعيل: قرأت على شبل، وقرأ شبل على عبد الله بن كثير، وأخبر عبد الله بن كثير أنّه قرأ على مجاهد، وأخبر مجاهد أنّه قرأ على ابن عبّاس، وأخبر ابن عبّاس أنّه قرأ على

أبي، وقرأ أبي على النبي ﷺ.

وقال أبو بكر بن مجاهد المقرئ: كان أبو عمرو بن العلاء لا يهزم القرآن، وكان يقرأه كما روي عن ابن كثير.

أبو عبيد: الأقراء: الحيض، والأقراء: الأطهار، وقد أقرأت المرأة في الأمرين جميعاً، وأصله من دُئِو وقت الشيء.

قلت: ونحو ذلك أخبرنا عبد الملك عن الربيع عن الشافعي، أن القرء اسم للوقت، فلما كان الحيض يجيء لوقت والطهر يجيء لوقت، جاز أن يكون الأقراء حيضاً وأطهاراً.
قال: ودلت سنة رسول الله ﷺ على أن الله أراد بقوله: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾، الأطهار، وذلك أن ابن عمر لما طلق امرأته وهي حائض فاستفتى عمر النبي ﷺ فيما فعل. قال: «مرة فليراجعها، فإذا طهرت فليطلقها، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء».

ذكر أبو حاتم عن الأصمعي أنه قال في قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ جاء هذا على غير قياس، والقياس ثلاثة أقرؤ، قال: ولا يجوز أن تقول: ثلاثة فلوس، إنما يقال: ثلاثة أفلس، فإذا كثرت فهي الفلوس. قال: ولا يقال: ثلاثة رجال، إنما هي ثلاثة رجلة، ولا يقال: ثلاثة كلاب، إنما هي ثلاثة أكلب.

قال أبو حاتم: والتحويئون قالوا في قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ أراد ثلاثة من القروء. وقال أبو إسحاق الزجاج: أخبرني من أتق به يرفعه إلى يونس أن الأقراء عنده تصلح للحيض والأطهار. قال: وذكر أبو عمرو بن العلاء: أن القرء، الوقت، وهو يصلح للحيض ويصلح للطهر. ويقال: هذا قارئ الرياح لوقت هبوبها. وأنشد:

سَنَيْتُ الْعَقْرَ عَقْرَ بَنِي شَلِيلٍ
إِذَا هَبَّتْ لِقَارِئِهَا الرِّيحُ

أي لوقت هبوبها وشدة بردها .

قال أبو إسحاق: والذي عندي في حقيقة هذا أن القرء في اللغة الجمع؛ وأن قولهم: قرئت الماء في الحوض وإن كان قد ألزم الياء فهو جمعت، وقرأت القرآن: لفظت به مجموعاً، والقرء يقري، أي يجمع ما يأكل في فيه، فإنما القرء اجتماع الدّم في الرّحم، وذلك إنما يكون في الطهر.

قلت: وقد روينا عن الشافعي بالإسناد المتقدم في هذا الباب نحواً مما قاله أبو إسحاق. وصحّ عن عائشة وابن عمر أنهما قالوا: الأقراء والقروء: الأطهار. وحقّق ما قالاه من كلام العرب. قول الأعشى:

مُورِثَةٌ عِزًّا وَفِي الْحَيِّ رِفْعَةٌ
لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

لأن القروء في هذا البيت الأطهار لا غير، لأن النساء إنما يؤثّن في أطهارهن لا في حيضهن، فإنما ضاع بغيته عنهن أطهارهن.

وقال أبو عبيد: القرء يصلح للحيض والطهر. قال: وأظنه من أقرأت التّجوم، إذا غابت. وأخبرني الإيادي عن أبي الهيثم أنه قال: يقال: ما قرأت النّاقة سَلَى قَطّ، وما قرأت ملقوحاً قَطّ. فقال بعضهم: أي لم تُحْمِل في رَحِمِها ولذا قَطّ.

وقال بعضهم: ما أسقطت ولذا قَطّ، أي لم تُحْمِل. قال: ويقال: قرأت المرأة إذا طهرت، وقرأت إذا حاضت. وقال حميد:

أراها غلاماً ماها الخلاً فتشذرت
مراحاً ولم تُقرأ جَنِيناً ولا دُمّاً

يقال: معناه لم تُحْمِل عِلْقَةً، أي دُمّاً ولا جنيناً.

قلت: وأهل العراق يقولون: القرء: الحيض. وحجّتهم حديث رُوي عن النبي ﷺ، أنه قال لامرأة: «دعي الصلاة أيام أقرائك»، أي أيام حيضك.

وقال الكسائي والفرّاء معاً: أقرأت المرأة إذا حاضت، فهي مُقَرَّرِي.

وقال الفرّاء: أقرأت الحاجة إذا تأخّرت. وقال الأخفش أيضاً: أقرأت المرأة، إذا

حاضت. وما قرأت حيضة، أي ما ضمت رَجَمَها على حَيْضَة.

وقال ابن شميل: يقال: ضَرَبَ الْفَخْلُ الثَّقَاةَ على غير قُرء. وقُرء الثاقَة: ضَبَعْتُها.

وقال أبو عبيدة: ما دامت الوديق في وداقها فهي في قَرَنها وإقرائها.

أبو عبيد عن الأصمعي: إذا قَدِمَتْ بِلَادًا، فمكثت بها خمس عشرة ليلة، فقد ذهب عنك قرأة البلاد. وأهل الحجاز يقولون: قرّة البلاد بغبر همز. ومعناه أنك إن مَرَضْتَ بعد ذلك فليس من وباء البلاد. قال: وقال أبو عمرو بن العلاء: دفع فلان جاريته إلى فلانة تقرأها، أي تسكها عندها حتى تحيض للاستبراء.

أبو الحسن اللحياني يقول: قرأت القرآن وأنا أقرؤه وقراءة وقرأنا، وهو الاسم، وأنا قارئ من قوم قراء وقراءة وقارئين، وأقرأتُ غيري أقرئته إقرأء، ومنه قيل: فلان المقرئ.

ويقال: أقرأت من سفري، أي انصرفت؛ وأقرأت من أهلي، أي دنوت، وأقرأت حاجتك وأقرأ أمرك، قال بعضهم: دنا، وقال بعضهم: استأخر. ويقال: أغتم فلان قراءه وأقرأه، أي حبسه. ويقال قرأت أي صرت قارئاً ناسكاً، وتقرأت تقرؤاً بهذا المعنى. وقال بعضهم: تقرأت: تفقّهت. ويقال: أقرأت في الشعر. وهذا الشعر على قرء هذا الشعر، أي على طريقته مثاله. وقال ابن بزرج: هذا الشعر على قري هذا الشعر وغراره. وقال اللحياني: يقال: قارأتُ فلاناً مقاراة، أي دراسته. واستقرأتُ فلاناً.

ويقال للثاقَة: ما قرأت سَلَى قط، أي ما طَرَحَتْ، وتأويله: ما حَمَلَتْ. وهذه ناقة قارئ، وهذه ثوق قواري يا هذا. وهو من إقرأ المرأة، إلا أنه يقال في المرأة بالالف، وفي الثاقَة بغير ألف. ويقال للناكسك: أنه لقراء مثل حُسان وجُمّال.

وقال ابن السكيت: قال الفراء: رجل قراء وامرأة قراءة. أبو حنبل عن الأصمعي. يقال: اقرأ عليه السلام ولا يقال: أقرئه السلام، لأنه خطأ. وسعت أعرابياً أملئ علي كتاباً: وقال في آخره: اقترئ مني السلام.

الفصل الرابع

نصّ ابن فارس (م: ٣٩٥) في «معجم مقاييس اللغة»

[المفهوم اللغوي للقرآن]

[قال بعد ذكر معنى ما ذتي «قري» و«قرو»: وإذا هُمَزَ هذا الباب كان هو والأوّل سواءً يقولون: ما قرأت هذه التّاقة سلّى، كأنّه يُراد أنّها ما حملت قطّ. قال:

ذِرَاعِي حُرَّةٌ أَدْمَاءُ بَكْرٍ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا

قالوا: ومنه القرآن، كأنّه سُمِّيَ بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصاص وغير ذلك. فأما أقرأت المرأة فيقال: أنّها من هذا أيضًا. وذكروا أنّها تكون كذا في حال طهرها، كأنّها قد جمعت دمها في جوفها فلم تُرَخِّه. وناسٌ يقولون: إنّما إقراؤها: خروجها من طهرٍ إلى حيض، أو حيضٍ إلى طهر.

قالوا: والقُرء: وقتٌ، يكون للطهر مرّةً وللحيض مرّةً. ويقولون: هبّت الرّيح لقارنها:

لوقتها. وينشدون:

شَتَبْتُ الْعَقْرَ عَقْرَ بَنِي شَلِيلٍ إِذَا هَبَّتْ لِقَارِنُهَا الرِّيحُ

وجملة هذه الكلمة أنّها مشكلة. وزعم ناس من الفقهاء أنّها لا تكون إلّا في الطهر...

الفصل الخامس

نصّ الدّامغاني (م: ٤٨٧) في «الوجوه والنّظائر في القرآن»

[في ذكر بعض أسماء القرآن وصفاته]

الفرقان

الفرقان على ثلاثة أوجه: التصّر، المخرج من الضّلال، القرآن.

فوجه منها- الفرقان يعني التصّر، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾^١، يعني التصّر، فرق بين الحقّ والباطل فنصر الله بنبيّه وهزم عدوّه.

الوجه الثّاني- الفرقان يعني المخرج، قوله: ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾^٢، يعني المخرج في الدّين من الشّبهة والضّلالة، كقوله: ﴿يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾^٣، يعني مخرجًا في الدّين من الشّبهة والضّلالة.

الوجه الثّالث- الفرقان يعني القرآن، قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾^٤، يعني القرآن، فيه المخرج من الشّبهة والضّلالة، كقوله: ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾^٥، يعني القرآن، فيه

١- البقرة / ٥٣.

٢- البقرة / ١٨٥.

٣- الأنفال / ٢٩.

٤- الفرقان / ١.

٥- آل عمران / ٤.

المخرج من الشبهة والضلال.

(٦١٠-٦١١)

الذكر

الذكر على ثمانية عشر وجهًا: العمل الصالح، الذكر باللسان، الذكر بالقلب، ذكر الأمر، الحفظ، العظة، الشرف، الخبر، الوحي، القرآن، التوراة، اللوح المحفوظ، البيان، التفكير، الصلوات الخمس، صلاة واحدة، التوحيد، الرسول.

فوجه منها- الذكر: العمل الصالح، قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^١، يعني أذكروني بالطاعة أذكركم بخير يعني أطيعون.

والوجه الثاني- الذكر باللسان: قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ يعني باللسان ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾، نظيرها في آل عمران ١٠٣ وكقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾^٢ يعني الذكر باللسان، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^٣ يعني باللسان.

والوجه الثالث- الذكر يعني بالقلب: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾^٤ يعني ذكروا بالقلب في أنفسهم.

والوجه الرابع- الذكر يعني أذكر أمري عند فلان، قوله تعالى: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾^٥، يقول: أذكر أمري عند ربك، أي عند الملك، قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾^٦، ﴿وَأَذْكُرْ

١- البقرة / ١٥٢.

٢- النساء / ١٠٣.

٣- البقرة / ٢٠٠.

٤- الأحزاب / ٤١.

٥- آل عمران / ١٣٥.

٦- يوسف / ٤٢.

فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ^١، يقول: يا مُحَمَّد اذْكُرْ لَأَهْلِ مَكَّةَ، أمر إبراهيم و كذلك أمر موسى وإسماعيل وإدريس.

والوجه الخامس - الذكر يعني الحفظ قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾^٢ يعني واحفظوا ما فيه، نظيرها في سورة البقرة / ٢٣١ ونحوه كثير.

والوجه السادس - الذكر يعني العظة، قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾^٣ أي ما وعظوا به، نظيرها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾^٤، كقوله: ﴿أَنْتَ ذُكِّرْتُمْ﴾^٥ أي وعظتم، وكقوله: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾^٦ يعني وعظ بالقرآن، كقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾^٧ يعني عِظْ إِنَّمَا أَنتَ واعظ ونحوه كثير.

والوجه السابع - الذكر يعني الشرف، قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُ لَكَ﴾^٨ أي لشرف لك ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾^٩، كقوله: ﴿بَلْ آتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾^{١٠} يعني بشرفهم، كقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾^{١١} يعني شرفكم.

والوجه الثامن - الذكر يعني الخبر، قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾^{١٢}

١- مريم / ٤١.

٢- البقرة / ٦٣.

٣- الأنعام / ٤٤.

٤- الأعراف / ١٦٥.

٥- يس / ١٩.

٦- ق / ٤٥.

٧- الفاشية / ٢١.

٨- المؤمنون / ٧١.

٩- الأنبياء / ١٠.

١٠- الأنبياء / ٢٤.

يعني هذا خبر من معي وخبر من قبلي، كقوله: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾^١ أي خبراً من الأولين، كقوله: ﴿قُلْ سَأَلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾^٢ يعني خبراً.
 والوجه التاسع - الذكر يعني الوحي، قوله: ﴿ءَأَلْقَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾^٣ يعني الوحي، كقوله: ﴿فَالثَّالِثَاتِ ذِكْرًا﴾^٤ يعني الوحي، قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾^٥ يعني الوحي، كقوله: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾^٦ يعني وحياً.
 والوجه العاشر - الذكر يعني القرآن، قوله: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾^٧ يعني القرآن، كقوله: ﴿أَفَتَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾^٨ يعني القرآن ونحوه كثير.
 والوجه الحادي عشر - الذكر يعني التّوراة، قوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾^٩ يعني أهل التّوراة، عبدالله بن سلام وأصحابه.
 والوجه الثاني عشر - الذكر يعني اللّوح المحفوظ، قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾^{١٠} يعني اللّوح المحفوظ.
 والوجه الثالث عشر - الذكر يعني البيان، كقوله: ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾^{١١} يعني ذي

١- الصّافات / ١٦٨.

٢- الكهف / ٨٣.

٣- القمر / ٢٥.

٤- الصّافات / ٣.

٥- الحجر / ٦.

٦- المرسلات / ٥.

٧- الأنبياء / ٥.

٨- الزّخرف / ٥.

٩- الأنبياء / ٧.

١٠- ص / ١٠.

البيان، كقوله: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^١ يعني البيان، وكقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^٢ يعني بيانا.

والوجه الرابع عشر- الذكر يعني التفكير، قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^٣ يعني تفكرا، نظيرها في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^٤ يعني تفكرا، مثلها في يس / ٦٩.

والوجه الخامس عشر- الذكر يعني الصلوات الخمس، قوله: ﴿فَإِذَا أَمَّنتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾^٥ يعني صلوا الله الصلوات الخمس ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾^٦، كقوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^٧ يعني عن الصلوات الخمس، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^٨ عن الصلوات الخمس.

والوجه السادس عشر- الذكر يعني الصلوة الواحدة، قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^٩ يعني صلاة الجمعة، كقوله: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾^{١٠} يعني عن صلاة العصر وحدها.

والوجه السابع عشر- الذكر يعني التوحيد، قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾^{١١} يعني عن توحيد ذي، نظيره: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾^{١٢} يعني عن توحيد الرحمن.

١- الأعراف / ٦٢.

٢- ص / ٨٧.

٣- التكاوير / ٢٧.

٤- البقرة / ٢٣٩.

٥- الثور / ٣٧.

٦- المنافقون / ٩.

٧- جمعة / ٩.

٨- ص / ٣٢.

٩- طه / ١٢٤.

١٠- الزخرف / ٣٦.

والوجه الثامن عشر- الذكر يعني به الرسول، قوله: ﴿قَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا﴾^١ وكقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^٢ يعني من رسول. (٣٣٣-٣٣٩)

الكتاب

الكتاب على عشرة أوجه: الكتابة، الحساب، اللوح المحفوظ، العدة، أعمال بني آدم، الرزق والأجل، القرآن، التوراة، الإنجيل، الفرض.

فوجه منها- الكتاب يعني الكتابة، قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^٣، الكتاب: الكتابة، والحكمة: الحرام والحلال، مثلها في المائة / ١١٣.

والوجه الثاني - الكتاب يعني الحساب، قوله: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾^٤ يعني إلى حسابها.

والوجه الثالث - الكتاب يعني اللوح المحفوظ، قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾^٥ وقوله: ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ﴾^٦ يعني اللوح المحفوظ ونحوه كثير.

والوجه الرابع - الكتاب يعني العدة، قوله: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾^٧ يعني عدة المرأة.

والوجه الخامس - الكتاب يعني أعمال بني آدم، قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ﴾^٨ يعني أعمال الأبرار، مثلها: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَّارِ لَفِي سِجِّينَ﴾^٩، ونحوه كثير.

١- الطلاق / ١٠.

٢- الأنبياء / ٢.

٣- آل عمران / ٤٨.

٤- الجاثية / ٢٨.

٥- الحديد / ٢٢.

٦- ق / ٤.

٧- البقرة / ٢٣٥.

٨- المطففين / ١٨.

٩- المطففين / ٧.

والوجه السادس - الكتاب يعني الرزق والأجل، قوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنَةٍ إِلَّا هِيَ كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾^١ يعني أجلاً ورزقاً معلوماً، كقوله: ﴿كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾^٢ يعني وقتاً موقئاً. والوجه السابع - الكتاب يعني القرآن، قوله تعالى: ﴿وَأِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾^٣ يعني القرآن، ونحوه كثير.

والوجه الثامن - الكتاب يعني التوراة، قوله: ﴿لِتَحْسِبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾^٤ يعني التوراة ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾^٥ يعني التوراة.

والوجه التاسع - الكتاب: الإنجيل، قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾^٦ يعني يا أهل الإنجيل، ونحوه كثير.

والوجه العاشر - الكتاب يعني الفرض، قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^٧ يعني فرض الله لكم تحليل الأربعة. (٧٠٣-٧٠٠)

التنزيل

التنزيل على تسعة أوجه: القول، الخلق، إنزال المطر، البيان، الهبوط، الثواب، الإرسال، البسط في الرزق، الأعلام.

فوجه منها - التنزيل يعني القول، قوله: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾^٨ يعني سأقول مثل ما قال الله عز وجل، مثلها: ﴿تُنْزِلُ الْكِتَابِ﴾^٩ ونحوه.

١- الحجر / ٤.

٢- آل عمران / ١٤٥.

٣- فصلت / ٤١.

٤- آل عمران / ٧٨.

٥- آل عمران / ٦٤.

٦- النساء / ٢٤.

٧- الأنعام / ٩٣.

والوجه الثاني - أنزلنا: خلقنا، قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾^١ يعني خلقنا الحديد.
والوجه الثالث - إنزال المطر من السماء، قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾^٢،
ونحوه كثير.

والوجه الرابع - التنزيل: البيان، قوله: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^٣ يعني وبيّناه تبياناً.
والوجه الخامس - التنزيل يعني الهبوط، قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَلْتِ خَيْرُ
الْمُنْزَلِينَ﴾^٤ أي أهبطني مهبطاً مباركاً، يعني من السفينة إلى الأرض.
والوجه السادس - التزل، الثواب، قوله: ﴿أَذِلَّكَ خَيْرٌ نَزَلًا﴾^٥ يعني ثواباً، كقوله:
﴿وَنَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَجِيمٍ﴾^٦ يعني ثواباً.

والوجه السابع - التنزيل: الإرسال، فذلك قوله: ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾^٧
أي لأرسل رُسُلًا من الملائكة، كقوله: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾^٨.
والوجه الثامن - الإنزال أي البسط، قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ
وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾^٩ أي يبسط ويرزق.

والوجه التاسع - التنزيل: التعليم، قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ رُوحُ الْأَمِينِ﴾^{١٠} أي علم جبريل
الذي ﷺ كقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾^{١١} أي علّمناه.

(١٧٧ - ١٨٠)

١- الحديد / ٢٥.

٢- ق / ٩.

٣- الإسراء / ١٠٦.

٤- المؤمنون / ٢٩.

٥- الصافات / ٦٢.

٦- فصلت / ٣٢.

٧- فصلت / ١٤.

٨- المؤمنون / ٢٤.

٩- الشورى / ٢٧.

الهُدَى

الهدى على سبعة عشر وجهًا:

فوجه منها - الهدى يعني البيان، قوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾^١ يعني على بيان، كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾^٢ يعني بيّنا لهم، كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾^٣. وقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^٤ يعني بيّنا له الطريقين، كقوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾^٥ و﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾^٦ ونحوه كثير.

والوجه الثاني - الهدى يعني دين الإسلام، قوله: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾^٧ يعني على دين الإسلام، كقوله: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾^٨ يعني دين الإسلام مثلها في آل عمران/٧٣.

والوجه الثالث - الهدى يعني الإيمان، قوله: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾^٩، كقوله: ﴿وَزِدْهُمْ هُدًى﴾^{١٠} يعني إيمانًا، نظيرها: ﴿أَتُخَنُّ صَدَدًا كُمْ عَنِ الْهُدَىٰ﴾^{١١} يعني عن الإيمان، ونحوه كثير.

١- البقرة / ٥.

٢- فصلت / ١٧.

٣- الإنسان / ٤.

٤- البلد / ١٠.

٥- طه / ١٢٨. والسجدة / ٢٦.

٦- الأعراف / ١٠٠.

٧- الحج / ٦٧.

٨- البقرة / ١٢٠.

٩- مريم / ٧٦.

١٠- سبا / ٣٢.

والوجه الرابع - الهدى يعني الدّعاء، قوله: ﴿إِنَّمَا آتَىٰ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^١ يعني داعٍ، كقوله: ﴿وَأَنذَرْتُكَ لِيَهْدِي﴾^٢ أي لتدعوا، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ﴾^٣ يعني يدعون، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾^٤ يعني يدعون بالحق، مثلها: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾^٥، مثلها: ﴿يَهْدِي أَلَى الْحَقِّ﴾^٦ يعني يدعوا إلى الحق، كقوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾^٧، وقوله: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾^٨ يعني ادعوه إلى وسط الجحيم.

والوجه الخامس - الهدى يعني المعرفة، قوله: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^٩ يعني يعرفون السبيل، مثلها: ﴿وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^{١٠} يعني تعرفون الطُّرُق، كقوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾^{١١} يعني عَرَفَ أَنَّ الهدى الذي ذكر ثواباً، ومثلها: ﴿تَنْظُرُوا أَتَهْتَدِي﴾^{١٢} أتعرف السَّير، ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ونحوه كثير.

١- الرعد / ٧.

٢- الشورى / ٥٢.

٣- الأنبياء / ٧٣.

٤- الأعراف / ١٥٩.

٥- الأعراف / ١٨١.

٦- الأحقاف / ٣٠.

٧- الجن / ١-٢.

٨- الصافات / ٢٣.

٩- التحل / ١٦.

١٠- الزخرف / ١٠.

١١- طه / ١٨٢.

١٢- التمل / ٤١.

والوجه السادس - الهدى يعني الرُّسُل والكُتُب، قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا تِئْتِكُم مِّسِّي هُدًى﴾^١ يعني الرُّسُل والكتب، ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾^٢ يعني رسولي وكتابي، مثلها: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾^٣ يعني رُسُلي وكُتُبي.

والوجه السابع - الهدى: الرشد، قوله: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^٤ يعني أن يرشدني، كقوله: ﴿أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾^٥ يعني من يرشدني إلى الطريق، مثلها كقوله: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^٦ يعني أرشدنا.

والوجه الثامن - الهدى يعني أمر محمد ﷺ قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أُنزِلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾^٧ يعني أمر محمد ﷺ كقوله: ﴿وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى﴾^٨.

والوجه التاسع - الهدى يعني القرآن، قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾^٩ يعني القرآن، مثلها: ﴿وَمَا مَتَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾^{١٠} يعني القرآن، مثلها في بني إسرائيل / ٩٤.

والوجه العاشر - الهدى يعني التَّوراة، قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾^{١١} يعني التَّوراة، مثلها: في تنزيل السَّجدة / ٢٣، كقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^{١٢} يعني التَّوراة.

١- البقرة / ٣٨.

٢- طه / ١٢٣.

٣- القصص / ٢٢.

٤- طه / ١٠.

٥- البقرة / ١٥٩.

٦- محمد / ٣٢.

٧- التجم / ٢٣.

٨- الكهف / ٥٥.

٩- المؤمن / ٥٣.

١٠- الإسراء / ٢.

والوجه الحادي عشر - الهدى يعني الاسترجاع عند المصيبة، قوله في: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^١ يعني الاسترجاع، مثلها: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾^٢ عند المصيبة الاسترجاع.

والوجه الثاني عشر - لا يهدي إلى الحجّة، قوله: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^٣ يعني لا يهدي إلى الحجّة، مثلها: ﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^٤ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^٥ ونحوه كثير.

والوجه الثالث عشر - الهدى يعني التوحيد، قوله: ﴿إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ﴾^٦ يعني التوحيد معك، كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾^٧ يعني بالتوحيد.

والوجه الرابع عشر - الهدى يعني السُنّة، قوله: ﴿يَلْقَاوَا آثًا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾^٨ يقول: مقتدون مستتون بسنّتهم، كقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِ﴾^٩ يقول: بسنّتهم استنّ.

والوجه الخامس عشر - لا يهدي أي لا يصلح، قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾^{١٠} يعني لا يصلح عمل الزّناة.

والوجه السادس عشر - الهدى يعني الإلهام، قوله: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ

١- البقرة / ١٥٧.

٢- التّباين / ١١.

٣- البقرة / ٢٥٨.

٤- التوبة / ١٩.

٥- القصص / ٥٧.

٦- التوبة / ٣٣، الفتح / ٢٨، الصّاف / ٩.

٧- الزّحرف / ٢٢.

٨- الأنعام / ٩٠.

٩- يوسف / ٥٢.

﴿ثُمَّ هَدَى﴾ يعني ألهمه كيف يأتي معيشتي ومرعاه، كقوله في سورة الأعلى ٣/ ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ يعني خلق الذكر والأنثى، ثم ألهم كيف يأتيها وتأتيه.

والوجه السابع عشر - هُذُنَا يعني ثُبْنَا، قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكَ﴾ يعني ثُبْنَا إِلَيْكَ.

النور

التور على عشرة أوجه:

فوجه منها - التور يعني دين الإسلام، قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يعني دين الله، نظيرها في الصَّفَّ / ٨: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ...﴾ يعني لدينه الإسلام.

والوجه الثاني - التور يعني الإيمان، قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ يعني به إيمانًا ﴿يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ يعني إيمانًا يهدي به، كقوله: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعني إيمانًا تهتدون به، وقوله: ﴿وَاللَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يعني من الكفر إلى الإيمان.

والوجه الثالث - التور يعني الهدى، قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾ يعني هادي السماوات والأرض.

والوجه الرابع - التور يعني النبي ﷺ قوله: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ يعني نبي بعد نبي.

والوجه الخامس - نور يعني ضوء النهار، قوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ

١- طه / ٥٠.

٢- القوبة / ٣٢.

٣- الأنعام / ١٢٢.

٤- الحديد / ٢٨.

٥- التور / ٣٥.

٦- التور / ٣٥.

والتَّورِ^١ يعني ضوء النهار.

والوجه السادس - نور يعني ضوء القمر، فذلك قوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾^٢ يعني جعل القمر مع السماوات نوراً ضياءً يستضيء به أهل الأرض، كقوله: ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾^٣ يعني مضيئاً لأهل الأرض.

والوجه السابع - التور: ضوء يعطى الله عز وجل المؤمنين على الصراط، فذلك قوله عن المنافقين: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَضِمْ مِنْ نُورِكُمْ﴾^٤ يعني من ضوءكم، وقوله: ﴿نُورُهُمْ يَسْفَعُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾^٥ يعني ضوء الذي يعطى الله المؤمنين على الصراط.

والوجه الثامن - التور يعني بيان الحلال والحرام والأحكام والمواظظ التي في التوراة، فهو بمنزلة الضوء في الظلمة، كقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾^٦. وقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا﴾^٧ يعني ما فيه من بيان الحلال والحرام والأمر والتهمي. وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾^٨ يعني ما في التوراة من البيان.

والوجه التاسع - التور يعني بيان الحلال والحرام الذي في الفرقان، فذلك قوله: ﴿فَأَمِنُوا

١- الأنعام / ١.

٢- نوح / ١٦.

٣- الفرقان / ٦١.

٤- الحديد / ١٣.

٥- التحريم / ٨.

٦- المائدة / ٤٤.

٧- الأنعام / ٩١.

٨- الأنبياء / ٤٨.

بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْثَوْرَ الَّذِي أَنْزَلْنَا^١ يعني القرآن فيه بيان الحلال والحرام، وقوله: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾^٢ يعني القرآن، وقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا الثَّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^٣ يعني القرآن.

والوجه العاشر - الثور: العدل، قوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾^٤ يعني بعدل ربها.
(٧٩٨-٨٠١)

الشفاء

الشفاء على أربعة أوجه: الفرج، العافية، البيان، الطرف.
فوجه منها - الشفاء يعني الفرج، قوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾^٥ يعني يفرج قلوبهم.

والوجه الثاني - الشفاء: العافية، قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^٦ كقوله: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^٧.

والوجه الثالث - الشفاء: البيان، قوله: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾^٨ يعني بيانا، كقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾^٩ يعني بيانا...
(ص: ٤٦٧)

الحكمة

الحكمة على خمسة أوجه: العظة، الفهم، التوبة، القرآن، تفسير القرآن.

١- التباين / ٨.

٢- الثورى / ٥٢.

٣- الأعراف / ١٥٧.

٤- الزمر / ٦٩.

٥- التوبة / ١٤.

٦- يونس / ٥٧.

٧- فصلت / ٤٤.

فوجه منها - الحكمة يعني العظة من مواظ التي في القرآن والأمر والتبهي، قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾^١ يعني المواظ التي في القرآن، كقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^٢ يعني المواظ التي في القرآن من الحلال والحرام.

والوجه الثاني - الحكمة يعني الفهم والعلم، قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾^٣ يعني الفهم والعلم، وكذلك: ﴿وَأْتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^٤ يعني الفهم والعلم.

والوجه الثالث - الحكمة يعني التوبة، قوله: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^٥ يعني التوبة، قوله: ﴿وَأْتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾^٦ يعني التوبة مع الكتاب، وقال لداود: ﴿وَأَنشَأَ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾^٧ يعني التوبة مع الزُّبُور.

والوجه الرابع - الحكمة يعني تفسير القرآن، قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾^٨ يعني تفسير القرآن، مثلها: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾^٩ يعني تفسير القرآن. ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. والوجه الخامس - الحكمة يعني القرآن، قوله: ﴿أَدْخِلْ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^{١٠} يعني بالقرآن.

(٢٥٠-٢٥٢)

١- البقرة / ٢٣١.

٢- آل عمران / ١٦٤.

٣- لقمان / ١٢.

٤- مريم / ١١.

٥- النساء / ٥٤.

٦- ص / ٢٠.

٧- البقرة / ٢٥١.

٨- البقرة / ٢٦٩.

٩- التحل / ١٢٥.

الفصل السادس

نصّ الطّوسيّ (م: ٤٦٠) في «التّبيان في تفسير القرآن»

فصل في ذكر أسامي القرآن

القرآن

سمّى الله تعالى القرآن بأربعة أسماء... [وذكر كما تقدّم نحوه عن الطّبريّ، ثمّ قال:]

وتسميته بالقرآن تحتل أمرين :

أحدهما - ما روي عن ابن عبّاس، أنّه قال : هو مصدر قرأت قرأنا أي تلوّثه ، مثل : غفرتُ غُفْرَانًا، وكفرتُ كُفْرَانًا.

والثّاني - ما حكي عن قتادة، أنّه قال : هو مصدر قرأت الشّيء إذا جمعتُ بعضه إلى

بعض... [وذكر شعر ابن كلثوم كما تقدّم سابقاً، فقال:]

وقال قُطْرُبُ : في معناه قولان : أحدهما : هذا وعليه أكثر المفسّرين ، وقال قولاً آخر معناه لفظت به مجموعاً وقال : معنى البيت أيضاً أي لم تلقه مجموعاً وتفسير ابن عبّاس أولى ، لأنّ قوله تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ .

والوجه المختار أن يكون المراد وإذ تلوناه عليك ، وبيّنا لك . فاتّبع تلاوته ، ولو حملناه على الجمع - على ما قال قتادة - لكان يجب ألا يلزم إتباع آية آية من القرآن التّأزلة في كلّ وقت ، وكان يقف وجوب الإتيان على حين الجمع ، لأنّه علّقه بذلك على هذا القول ، لأنّه قال : ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ ، يعني : جمعناه على ما قالوه فاتّبع قرآنه ، وكان يقف وجوب

الإتباع على تكامل الجميع، وذلك خلاف الإجماع فالأوّل أولى .
فإن قيل: كيف يسمّى القراءة قرآنًا، وإنّما هو مقروء ؟... [وذكر كما تقدّم نحوه عن
الطّبري، ثم قال:]

الفرقان

وتسميته بأثّة فرقان، لأنّه يفرق بين الحقّ والباطل. والفرقان هو الفرق بين الشّيتين. وإنّما
يقع الفرق بين الحقّ والباطل بأدّثته الدّالّة على صحّة الحقّ، وبطلان الباطل.

الكتاب

وتسميته بالكتاب، لأنّه مصدر من قولك، كتبتُ كتابًا، كما تقول: قمتُ قيامًا. وسُمّي
كتابًا وإنّما هو مكتوب، كما قال الشّاعر في البيت المتقدّم. والكتابة مأخوذة من الجمع في
قولهم: كتبتُ السّقاء إذا جمعته بالخرز، قال الشّاعر:

لاتأمننّ فزاريًا خلوت به على قلوّصك فاكبتها بأسيار

والكتّبة، الخرزة. وكلّما ضمنت بعضه إلى بعض على وجه التقارب فقد كتبتّه والكتّيب
من الجيش، من هذا لانضمام بعضها إلى بعض.

الذّكر

وتسميته بالذّكر، ويحتمل أمرين:
أحدهما - أنّه ذكّر من الله تعالى ذكّر به عباده، فعرّفهم فيه فرائضه، وحدوده.
والآخر - أنّه ذكّر وشرف لمن آمن به وصدق بما فيه. كقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^١.
(١٩: ١٧-١٩)

[أسماء القرآن انتقاءً من تفسيره]

بيان

مثل قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾^١، قال الحسن وقتادة: قوله: «هذا» إشارة إلى القرآن، ووصفه بأنه بيان، لأنه دلالة للناس، وحجة لهم، والبيان هو الدلالة. وقال ابن إسحاق: هو إشارة إلى ما تقدم ذكره في قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ...﴾ الآية، أي هذا الذي عرفتكم بيان للناس، وهو اختيار البلخي، والطبري. والفرق بين البيان، والهدى - على ما قاله الرُّماني - أن البيان إظهار المعنى للنفس كأنها ما كان. والهدى: بيان لطريق الرُّشد، ليسلك دون طريق الغي. والموعظة ما يلين القلب ويدعو إلى التمسك، بما فيه من الزجر عن القبيح، والدعاء إلى الجميل. (٥٩٩: ٢)

بلاغ

كقوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ...﴾^٢، قال ابن زيد وغيره من المفسرين: هو إشارة إلى القرآن، ففيه بلاغ للناس، لأن فيه البيان عن الإنذار والتخويف، وفيه البيان عما يوجب الإخلاص بما ذكر من الإنعام الذي لا يقدر عليه إلا الله. (٣١١: ٦)

تبيان

مثل قوله تعالى: ﴿وَتَزَيَّنَّا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^٣، ثم قال: ﴿وَتَزَيَّنَّا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني: القرآن تبیاناً لكل شيء أي بياناً لكل أمر مشكل. والتبيان والبيان واحد. ومعنى العموم في قوله: ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ المراد به من أمور الدين: إما بالتص عليه أو الإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي ﷺ والحُجَج القاسمين

١- آل عمران / ١٣٨.

٢- إبراهيم / ٥٢.

٣- التحل / ٨٩.

مقامه، أو إجماع الأمة أو الاستدلال، لأن هذه الوجوه أصول الدين وطريق موصلة إلى معرفته ... وقوله: ﴿وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً وَيُشْرَىٰ﴾ يعني: القرآن دلالة ورحمة وبشارة للمسلمين بالجنة.

(٤١٨:٦)

الذكر

كقوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ﴾^١، قال ابن عباس: ذي الشرف، وقال الضحّاك وقتادة: ذي التذكّر. وقيل: معناه ذي الذكر للبيان والبرهان، المؤدّي إلى الحق، الهادي إلى الرشد، الرادع عن الغي، وفيه ذكر الأدلة التي من تمسك بها سعد. ومن عدل عنها شقي. ومن عمل بها نجا. ومن ترك العمل بها هلك..

(٥٤١:٨)

المجيد

في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ﴾^٢، والمجيد العظيم الكريم. ووصف القرآن وبعثه بأنه مجيد معناه أنه عظيم القدر عالي الذكر.

(٣٥٧:٩)

وقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾^٣ أي كريم، فالمجيد الكريم العظيم، الكريم بما يعطي من الخير، فلما كان القرآن يعطي المعاني الجليلة والدلائل النفيسة، كان كريماً مجيداً بما يعطي من ذلك، لأن جميعه حكم. وقيل: الحكم على ثلاثة أوجه لارابع لها: معنى يعمل عليه فيما يخشى ويتقي، وموعظة تلين القلب للعمل بالحق، وحجة تؤدّي إلى تمييز الحق من الباطل في علم دين أو دنيا، وعلم الدين أشرفهما وجميع ذلك موجود في القرآن. (٣٢٢-٣٢١:١٠)

١-ص ١٧.

٢-ق ١٧.

٣-البروج ٢١/.

الفصل السابع

نصّ الراغب الأصفهاني (م: ٥٠٢) في «المفردات ...»

[في ذكر أسماء ثلاثة للقرآن ومعناها]

١- القرآن

قرأت المرأة: رأت الدّم، واقرأت: صارت ذات قرء، وقرأت الجارية: استبرأتها بالقرء. والقرء في الحقيقة: اسم للدخول في الحيض عن طهر. ولما كان اسماً جامعاً للأمرين الطهر والحيض المتعقب له أطلق على كلّ واحد منهما؛ لأنّ كلّ اسم موضوع لمعينين معاً يطلق على كلّ واحد منهما إذا انفرد، كالمائدة: للخوان وللطعام، ثمّ قد يسمّى كلّ واحد منهما بانفراده به. وليس القرء اسماً للطهر مجرّداً، ولا للحيض مجرّداً بدلالة أنّ الطاهر التي لم تر أثر الدّم لا يقال لها: ذات قرء. وكذا الحائض التي استمرّ بها الدّم والتفساء لا يقال لها ذلك.

وقوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾، أي: ثلاثة دخول من الطهر في الحيض. وقوله عليه الصّلاة والسلام: «اقعدي عن الصّلاة أيّام أقرائك»، عن عديّ بن ثابت أنّ النبي ﷺ قال لإمرأة: «دعي الصّلاة أيّام أقرائك» أي أيّام حيضك، فإنّما هو كقول القائل: أفعل كذا أيّام ورود فلان، ووروده إنّما يكون في ساعة وإن كان ينسب إلى الأيّام.

وقول أهل اللغة: إنّ القرء من قرأ، أي: جمّع، فإنّهم اعتبروا الجمع بين زمن الطهر وزمن الحيض حسبما ذكرت لاجتماع الدّم في الرّحم.

والقراءة: ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع، لا يقال: قرأت القوم، إذا جمعهم، ويدلّ على ذلك أنّه لا يقال للحرف الواحد إذا تفتّوه به قراءة، والقرآن في الأصل مصدر، نحو: كُفران ورُجحان.

قال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^١، قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به، وقد خصّ بالكتاب المنزل على محمد ﷺ، فصار له كالعلم كما أنّ التوراة لما أنزل على موسى، والإنجيل على عيسى صلى الله عليهما وسلم.

قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآنًا من بين كُتب الله لكونه جامعًا لثمرة كُتبه بل لجمعه ثمة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله: ﴿وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^٢، وقوله: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^٣، ﴿قُرْآنًا غَرِيبًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾^٤، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ﴾^٥، ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾^٦، ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾^٧ أي: قراءته، ﴿لِقُرْآنٍ كَرِيمٍ﴾^٨، وأقرأت فلانًا كذا. قال: ﴿سَتَقْرِيكَ فَلَا تَلْسُيْ﴾^٩، وتقرأت: تفهمت، وقارأت: دارسته.

٢- الفرقان

وقوله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾^{١٠} أي: بيّنا فيه الأحكام وفصلناه. وقيل: «فرقناه» أي: أنزلناه مفروقًا، والتفريق أصله للتكثير، ويقال ذلك في تشتيت الشمل والكلمة.

نحو: ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾^{١١}، ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي

١- القيامة / ١٧- ١٨.

٢- يوسف / ١١١.

٣- التحل / ٨٩.

٤- الزمر / ٢٨.

٥- الإسراء / ١٠٦.

٦- الرّوم / ٥٨.

٧- الأعلى / ٦.

٨- البقرة / ١٠٢.

إِسْرَائِيلَ^١، وقوله: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾^٢، وقوله: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾، إنما جاز أن يجعل التفريق منسوبا إلى «أحد» من حيث إن لفظ «أحد» يفيد في التثني، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾^٣، وقُرئ: «فارقوا» والفراق والمفارقة تكون بالابدان أكثر. قال: ﴿هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾^٤، وقوله: ﴿وَطَنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾^٥، أي: غلب على قلبه أنه حين مفارقتة الدنيا بالموت، وقوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾^٦، أي: يظهرون الإيمان بالله ويكفرون بالرسل خلاف ما أمرهم الله به.

وقوله: ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾^٧، أي: آمنوا برسل الله جميعا، والفرقان أبلغ من الفرق، لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل، وتقديره كتقدير: رجل قنعان: يقنع به في الحكم، وهو اسم لا مصدر فيما قيل، والفرق يستعمل في ذلك وفي غيره، وقوله: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾^٨، أي: اليوم الذي يُفَرَّقُ فيه بين الحق والباطل، والحجة والشبهة، وقوله: ﴿يَاءَ يَٰهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَشْقُوا اللَّهَ بِجَعَلِ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾^٩، أي: نورا وتوفيقا على قلوبكم يُفَرِّقُ به بين الحق والباطل، فكان الفرقان ههنا كالسكينة والروح في غيره، وقوله: ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾^{١٠}، قيل: أريد به يوم بدر؛ فإنه أول يوم فرّق فيه بين الحق والباطل.

١- طه / ٩٤.

٢- البقرة / ٢٨٥.

٣- الأنعام / ١٥٩.

٤- الكهف / ٧٨.

٥- القيامة / ٢٨.

٦- النساء / ١٥٠.

٧- النساء / ١٥٢.

٨- الأنفال / ٤١.

٩- الأنفال / ٢٩.

١٠- الأنفال / ٤١.

والفرقان: كلام الله تعالى؛ لفرقه بين الحق والباطل في الاعتقاد، والصدق والكذب في المقال، والصالح والطالح في الأعمال، وذلك في القرآن والتوراة والإنجيل، قال: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾^١، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾^٢، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾^٣، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانَ﴾^٤. (ص: ٣٧٨)

٣- الذكر

الذكر: تارة يقال ويراد به هيئة للتفكير بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال: لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذكر ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان. وكل واحد منهما ضريان: ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدانة الحفظ.

وكل قول يقال له ذكر، فمن الذكر باللسان قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾^٥، وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ﴾^٦، وقوله: ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾^٧، وقوله: ﴿أَنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾^٨، أي القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾^٩، وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، أي شرف

١- البقرة / ٥٣.

٢- الأنبياء / ٤٨.

٣- الفرقان / ١.

٤- البقرة / ١٨٥.

٥- الأنبياء / ١٠.

٦- الأنبياء / ٥٠.

٧- الأنبياء / ٢٤.

٨- ص / ٨.

٩- ص / ١.

لك ولقومك. وقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾، أي: الكُتُب المتقدمة.
 وقوله: ﴿قَدْ أَرْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ * رَسُولًا^١، فقد قيل: الذِّكْر هاهنا وصف للنبي ﷺ،
 كما أن الكلمة وصف لعيسى عليه السلام حيث إنه بشر به في الكُتُب المتقدمة، فيكون
 قوله: «رَسُولًا» بدلًا منه.
 (ص: ١٧٩)

٤- الروح

الروح والروح في الأصل واحد، وجعل الروح اسمًا للنفس، وذلك لكون النفس بعض
 الروح كتسمية النوع باسم الجنس، نحو تسمية الإنسان بالحيوان.
 وسمي القرآن روحًا في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْخَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾^٢، وذلك لكون
 القرآن سببًا للحياة الأخروية الموصوفة في قوله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾^٣،
 والروح التنفس، وقد أراح الإنسان إذا تنفس.
 (٢٠٥-٢٠٦)

٥- المصحف

الصَّحِيفَةُ: المبسوط من الشيء، كصحيفة الوجه، والصَّحِيفَةُ: التي يكتب بها، وجمعها:
 صحائف وصُحُف. قال تعالى: ﴿صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾^٤، ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ *
 فيها كُتِبَ قِيمَةٌ^٥، قيل: أريد بها القرآن، وجعله صُحُفًا فيها كُتِبَ من أجل تضمنه لزيادة ما
 في كُتُب الله المتقدمة. والمُصْحَفُ: ما جعل جامعا للصُحُف المكتوبة، وجمعه: مصاحف،
 والتصحيف: قراءة المُصْحَف وروايته على غير ما هو لاشتباه حروفه، والصَّحْفَة مثل قصعة
 عريضة.
 (ص: ٢٧٥)

١- الطلاق / ١٠-١١.

٢- الشورى / ٥٢.

٣- العنكبوت / ٦٤.

٤- الأعلى / ١٩.

٥- البينة / ٢-٣.

الفصل الثامن

نصّ أبي الفتح الرازيّ (م: ٥٣٥) في «روض الجنان...»^١

في أسماء القرآن ومعانيه

اعلم! أن الله تعالى سَمَّى هذا الكتاب في القرآن بأسماء... [ثم ذكر أسماء القرآن، فحذفناها للاختصار، وإليك تفسير ما ذكره تفصيلاً].

١- القرآن: أمّا القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَنْقُصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾^٢ وفي قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ...﴾^٣. فقد اختلف المفسرون في معناه: قال عبد الله بن عباس: «قرأ يقرأ» كالرجحان والثّقْصان والخُسران، وكان معناه الاتّباع، ومعنى التّلاوة كذلك، لأنّ القارئ يتتبع الحروف.

وقال قتادة: «من قرئت الشيء، إذا جمعتُه وضَممتَ بعضه إلى بعض» وكان أصله من الجمع كما قال عمرو بن كلثوم... [وذكر كما تقدّم سابقاً].

وقال بعضهم: كأن اشتقاقه من قرئت الماء في الحوض.

والقول الأوّل أصحّ، والمعنى في كلا القولين راجع إلى معنى الجمع.

قال سُفيان بن عُيينة: سُمِّي القرآن قرآنًا لأنّ فيه معنى الجمع، ألا ترى أن الحروف قد

١ - قد ترجمنا هذا النصّ من الفارسيّة. (م)

٢ - التمل / ٧٦.

٣ - البقرة / ١٨٥.

جُمِعَت فصارت كلمات ، والكلمات جُمِعَت فصارت آيات، والآيات جُمِعَت فصارت سُورًا، والسُور جُمِعَت فصارت قرآنًا، ثم جُمِعَ فيه علوم الأولين والآخرين، فالجملة وأبعاؤها لا تخلو من الجمع كما ترى. قرأ قريش وأهل مكة: بتخفيف همزة، وهذه قراءة ابن كثير. وقرأ سائر العرب المهموز طبق الأصل.

٢- الفرقان: أما الفرقان في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ...﴾^١. اختلفوا في معناه، قال البهري: سُمِّيَ الفرقانُ فرقانًا لأنه نزل متفرقًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ...﴾^٢. قيل: لأنه فارق بين الحقِّ والباطل والحلال والحرام والوعد والمؤمن والكافر وغيره.

وقال عكرمة والسدّي: الفرقان هو النجاة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾^٣. أي نجاةً ومخرجًا. وهذا اللفظ مصدر كالسُّبحان والقربان والفضلان، وجاء كثيرًا في مصدر «فعل» بتشديد العين.

٣- الكتاب: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وكأنه هذا أيضًا مصدر كالقيام والصيام. وقالوا: وزنه «فعال» بمعنى المفعول، كالحساب بمعنى المحسوب، واللباس بمعنى الملبوس. وجاء هذا اللفظ في القرآن وكلام العرب على وجوه:

أحدها- لفرض، كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾^٤ أي فُرض عليكم. وثانيها- الحجة والبرهان، كما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّوَا بِكُتَابِكُمْ﴾^٥ أي بحجتكم. وثالثها- الأجل، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنَةٍ إِلَّا وَلَهَا

١- الفرقان / ١.

٢- الإسراء / ٦-١٠.

٣- الأنفال / ٢٩.

٤- البقرة / ١٨٣.

٥- الصافات / ١٥٧.

كِتَابٌ مَّعْلُومٌ^١.

ورابعها-الحكم، كما جاء في قول النبي ﷺ: «سأقضي بينكم بكتاب الله» أي بحكم الله؛ كما قال الشاعر:

وما زال الولاءُ بالبلَاءِ فمِلْتُم وما ذاك قال الله إذ هو يكتب

أي يقضي ويحكم.

وخامسها-مكاتبة السيّد عبده؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾^٢. وكان هذا مصدر فاعلٍ كالمفاعلة، كالجدال والحِصام والقتال بمعنى المجادلة والمخاصمة والمقاتلة. وكان أصله معنى الجمع، كما في قولهم: كتبت البعلة إذا جمعت بين شفرّتيها بحلقه، ولذا قالوا للعسكر: «الكتيبة» لأنها مجتمعهم.

٤- الذّكر: في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾^٣، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ...﴾^٤. وكان له معنيان:

أحدهما-بمعنى ذكّر، يعني أن الله تعالى ذكّر وعلم عباده بالقرآن في كلّ ما هو خير وصلاحيهم.

ثانيهما-بمعنى الشرف، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^٥، أي شرف لك.

٥- التّنزيل: في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٦، وكأنّه مصدر نزل.

٦- الحديث: في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾^٧ والحديث: ضدّ القديم، من قولهم:

١-الهجر / ٤.

٢-التور / ٣٣.

٣-الأنبياء / ٥٠.

٤-الهجر / ٩.

٥-الزخرف / ٤٤.

٦-الزمر / ٣٣.

كان ذلك دأبي قديماً وحديثاً.

٧ - الموعظة: في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾^١، وهو مصدر «وَعَظَّ».

٨ - التذكرة: في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَتَذَكُّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾^٢، وكان هذا مصدر ذكر.

٩ - الذِّكْرَى: في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٣، وكان هذا أيضاً مصدر «ذَكَرَ».

١٠ - الحكم: في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾^٤.

١١ - الحكمة: في قوله تعالى: ﴿حِكْمَةً بَالِغَةً...﴾^٥، وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾^٦.

١٢ - الحكيم: في قوله تعالى: ﴿يَسَّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾.

١٣ - المهيمين: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ...﴾^٧ أي حفيظاً، وقيل: أميئاً.

١٤ - الشفاء: في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^٨.

وفي قوله عز وجل: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ...﴾^٩، وله معنيان:

١- يونس / ٥٧.

٢- الحاقة / ٤٨.

٣- الذَّارِيَات / ٥٥.

٤- الرعد / ٣٧.

٥- القمر / ٥.

٦- الأحزاب / ٣٤.

٧- المائدة / ٤٨.

٨- الإسراء / ٨٢.

٩- يونس / ٥٧.

أحدهما- أن يبرّكته يشفون المرضى.

وثانيهما- أن يشفي قلوب المرضى من الشكّ والتّفاق... ألم تر أنّ الله تعالى في القرآن شبه الشكّ في قلوب المنافقين بالمرض، كما يقول هناك: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾^١، وسمّي ما يزيل الشكّ شفاءً.

١٥- الهدى: في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^٢، أي بيان و لطف.

١٦- الهادي: في قوله تعالى: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾^٣.

١٧- الصّراط المستقيم: في قوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^٤ مراده القرآن، قاله ابن مسعود رضي الله عنه.

١٨- النور: في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ...﴾^٥، سمّي القرآن نوراً لأنّه نورٌ في طريق ظلمات الشكّ والشرك، كما يكون النور هاديّاً في ظلمات الليل.

١٩- الحبل: في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾^٦، سمّي القرآن حَبْلاً لأن كلّ من تمسك به نجا من الفرق.

٢٠- الرّحمة: في قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^٧، يعني رحمة من الله تعالى.

٢١- الرّوح: في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا رُوحًا مِن أَمْرِنَا...﴾^٨، سمّي القرآن روحاً لأنّ قوام الإسلام به، كما أنّ قوام الجسم بقوام الرّوح.

١- البقرة / ١٠.

٢- البقرة / ٢.

٣- الجن / ٢.

٤- الفاتحة / ٦.

٥- الأعراف / ١٥٧.

٦- آل عمران / ١٠٣.

٧- يونس / ٥٧.

٢٢- القصة: في قوله تعالى: ﴿تُخَنُّ تُقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾^١، وأصل القصة من قص أثره، إذا تتبعه.

٢٣- الحق: في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾^٢، سُمي القرآن حقاً لأنه كان صحيحاً وحقاً، من قولهم: حق الأمر، أي صح وثبت. والقول الآخر: إن الحق ضد الباطل، ولأجل ذلك كان مُحِيلاً وَمُزَيَّلاً للباطل، كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ...﴾^٣، أي ذاهب زائل.

٢٤- البيان: في قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾^٤.

٢٥- التبيان: في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^٥، وهو مصدر «بَيَّن».

٢٦- البصائر: في قوله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾^٦، وهو جمع «بصيرة» إذ به يكون العبد مستبصراً.

٢٧- الفصل: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾^٧، أي فاصل بين الحق والباطل.

٢٨- المبارك: في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ﴾^٨.

٢٩- النجوم: في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾^٩، سُمي القرآن نجوماً لأنه نزل

١- يوسف / ٣.

٢- الحاقة / ٥١.

٣- الأنبياء / ١٨.

٤- آل عمران / ١٣٨.

٥- التحل / ٨٩.

٦- الأعراف / ٢٠٣.

٧- الطارق / ١٣.

٨- الأنبياء / ٥٠.

٩- الواقعة / ٧٥.

نَجْمًا نَجْمًا وَآيَةً بَعْدَ آيَةٍ وَسُورَةٌ بَعْدَ سُورَةٍ.

٣٠- المجيد: في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ﴾^١، أي الشريف.

٣١- العزيز: في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾^٢، وله معانٍ ثلاثة:

أحدها - الشرف. ثانيها - الغالب، من قولهم: «مَنْ عَزَّ بَزٌّ»، أي غلب سَلَبٌ، يعني كان صعبًا وممتنعًا على الذين أرادوا أن يعارضوه. ثالثها - بمعنى أنه لن يجدوا مثله.

٣٢- الكريم: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾^٣.

٣٣- العظيم: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^٤.

٣٤- البشير والتذير: في قوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾^٥.

٣٥- القيم: في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قَيِّمًا﴾^٦.

٣٦- التعمية: في قوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَأَمَّا يَنْفَعَمَ رَبُّكَ فَحَدَّثَ﴾^٧.

٣٧- المسبين: في قوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿الرَّتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾^٨.

٣٨- العلي: في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَىٰ حَكِيمٍ﴾. فقد سَمَّى الله جلَّ

جلاله القرآن بأسماء شريفة متعددة وكثرة منافع الخلق به، ولتنبيه الخلق هذا القرآن ومنزلته وجلالة قدره.

(١٤: ٨-١٤)

١- ق/١.

٢- فصلت / ٤١.

٣- الواقعة / ٧٧.

٤- الحجر / ٨٧.

٥- فصلت / ٤.

٦- الكهف / ٦-٢.

٧- الضحى / ١١.

٨- يوسف / ١.

الفصل التاسع

نصّ الطبرسيّ (م: ٥٤٨) في «مجمع البيان...»

في ذكر أسامي القرآن ومعانيها

القرآن: معناه القراءة في الأصل، وهو مصدر قرأت أي: تلوت، وهو المروي عن ابن عباس. وقيل: هو مصدر قرأت الشيء أي: جمعت بعضه إلى بعض، وقال عمرو بن كلثوم... [وذكر كما تقدّم عن الطبرسيّ، ثم ذكر أيضاً رواية واثلة بن الأسقع وعلّق عليه، كما تقدّم عن الطوسي].

[أسماء القرآن انتقاءً من تفسيره]

١- البصائر: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^١، هذا القرآن دلّ على ظاهرة، وحُجَّت واضحة، وبراهين ساطعة من ربكم، يبصر الإنسان بها أمور دينه، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي: ودلالة تهدي إلى الرشد، ونعمة في الدّين والدّنيا، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، خصّ المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون بها دون غيرهم من الكفّار. (٤١٨: ٤)

٢- الموعدة والشفاء والهداية: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِدَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^٢.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِدَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني القرآن، والموعدة: بيان ما يجب أن

١- الأعراف / ٢٠٣.

٢- يونس / ٥٧.

يحذر عنه، ويرغب فيه. وقيل: هي ما يدعو إلى الصّلاح، ويزجر عن الفساد، ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ الشفاء: معنى كالذّواء لإزالة الدّاء، فداء الجهل أضرم داء البدن، وعلاجه أعسر، وأطباؤه أقلّ، والشفاء منه أجلّ. والصّدْر: موضع القلب، وهو أجلّ موضع في البدن، لشرف القلب. ﴿وَهْدًى﴾ أي: ودلالة تؤدّي إلى معرفة الحقّ، ﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ونعمة لمن تمسّك به، وعمل بما فيه، وخصّ المؤمنين بالذكر - وإن كان القرآن موعظة ورحمة لجميع الخلق - لأنهم الذين انتفعوا به. وصف الله سبحانه القرآن في هذه الآية بأربع صفات: بالموعظة، والشفاء لما في الصّدور، وبالهدى، والرحمة. (٢٢٠-٢١٩:٥)

٣- الذكر: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾^١

﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي: ذي الشرف عن ابن عباس يوضّحه قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.

وقيل: معناه ذي البيان الذي يؤدّي إلى الحقّ، ويهدي إلى الرشد، لأن فيه ذكر الأدلّة التي إذا تفكّر فيها العاقل عرف الحقّ عقلاً وشرعاً. وقيل: ذي التذكّر لكم، عن قتادة.

وقيل: فيه ذكر الله، وتوحيده، وأسماءه الحسنى، وصفاته الغلى، وذكر الأنبياء، وأخبار الأمم، وذكر البعث والثّشور، وذكر الأحكام، وما يحتاج إليه المكلف من الأحكام، عن الجبائيّ. (٣٧٩:٨)

٤- أحسن الحديث: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾^٢

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن، سمّاه الله حديثاً، لأنّه كلام الله. والكلام سُمّي حديثاً، كما يسمّى كلام النبي ﷺ حديثاً. ولأنّه حديث التّزليل، بعدما تقدّمه من الكُتُب

المُنزَلَة على الأنبياء، وهو أحسن الحديث لفرط فصاحته، ولإعجازه، واشتماله على جميع ما يحتاج المكلف إليه من التنبيه على أدلة التوحيد والعدل وبيان أحكام الشرع، وغير ذلك من المواعظ، وقصص الأنبياء، والترغيب والترهيب. ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ يشبه بعضه بعضًا، ويصدق بعضه بعضًا، ليس فيه اختلاف، ولا تناقض. وقيل: معناه أنه يشبه كُتُب الله المتقدمة، وإن كان أعم وأجمع وأنفع. وقيل: متشابهًا في حُسن النظم، وجزالة اللفظ، وجودة المعاني، ﴿مَثَانِي﴾ سُمِّي بذلك لأنه يثني فيه بعض القصص والأخبار والأحكام والمواعظ، بتصرفها في ضروب البيان، ويثني أيضًا في التلاوة، فلا يعلّ الحُسن مسموعه... (٤٣٦: ٨)

الفصل العاشر

نصّ الفخر الرّازيّ (م: ٦٠٦) في «التفسير الكبير»

[أسماء القرآن ومعانيها]

المسألة الثالثة: اعلم! أنّ أسماء القرآن كثيرة:

أحدها- الكتاب، وهو مصدر كالقيام والصّيام وقيل: فعال بمعنى مفعول كاللباس ...

[وذكر كما تقدّم عن أبي الفتح الرّازيّ، ثم قال:]

واشتقاق الكتاب من كتبت الشيء إذا جمعته، وسُميت الكتّبة لاجتماعها، فسُمي

الكتاب كتاباً لأنّه كالكتّبة على عساكر الشّبّهات، أو لأنّه اجتمع فيه جميع العلوم، أو لأنّ الله

تعالى ألزم فيه التكاليف على الخلق.

وثانيها - القرآن: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾^١،

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^٢، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^٣، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ

يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ﴾^٤، وللمفسّرين فيه قولان:

أحدهما- قول ابن عباس أنّ القرآن والقراءة واحد، كالخسران والخسارة واحد، والدّليل

١- الإسراء / ٨٨.

٢- الزخرف / ٣.

٣- البقرة / ١٨٥.

٤- الإسراء / ٩.

عليه قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَأَنْصِتْ لِقُرْآنِهِ﴾^١، أي تلاوته، أي إذا تلوناه عليك فاتبع تلاوته.

الثاني - وهو قول قتادة أنه مصدر، من قول القائل: قرأت الماء في الحوض إذا جمعته...

[ثم ذكر قول سفيان بن عيينة، كما تقدم عن أبي الفتوح الرازي، فقال:]

فالحاصل، أن اشتقاق لفظ القرآن إما من التلاوة أو من الجمعية.

وثالثها - الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾^٢، ﴿وَبَيَّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾^٣، واختلفوا في تفسيره:

ف قيل: سُمِّيَ بذلك لأن نزوله كان متفرقاً أنزله في نيف وعشرين سنة، ودليله قوله تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^٤، ونزلت سائر الكتب جملة واحدة، ووجه الحكمة فيه ذكرناه في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾^٥.

وقيل: سُمِّيَ بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والمجمل والمبين، والمحكم والمؤول. وقيل: الفرقان هو التجارة، وهو قول عكرمة والسدي، وذلك لأن الخلق في ظلمات الضلالات فبالقرآن وجدوا التجارة، وعليه حمل المفسرون قوله: ﴿وَإِذِ اتَّيْتُمُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^٦.

ورابعها - الذكر، والتذكرة، والذكرى: أما الذكر فقوله: ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكِ أَنْزَلْنَاهُ﴾^٧.

١- القيامة / ١٨.

٢- الفرقان / ١.

٣- البقرة / ١٨٥.

٤- الإسراء / ١٠٦.

٥- الفرقان / ٣٢.

٦- البقرة / ٥٣.

٧- الأنبياء / ٥٠.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ﴾^١. ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^٢ وفيه وجهان:

أحدهما- أنه ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم تكاليفه وأمره.

والثاني- أنه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به، وأنه شرف لمحمد ﷺ وأمته، وأما التذكرة
فقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾^٣، وأما الذكري فقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ
الْمُؤْمِنِينَ﴾^٤.

وحاسبها- التنزيل: ﴿وَأَنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تَزَلْ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ^٥.

وسادسها- الحديث: ﴿اللَّهُ نُزِّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾^٦، سماء حديثاً؛ لأن وصوله إليك
حديث، ولأنه تعالى شبهه بما يتحدث به، فإن الله خاطب به المكلفين.

وسابعها- الموعظة: ﴿يَاءَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾^٧، وهو في الحقيقة
موعظة لأن القائل هو الله تعالى، والآخذ جبريل، والمستملي محمد ﷺ، فكيف لاتقع
به الموعظة.

وثامنها- الحكم، والحكمة، والحكيم، والمحكم:

أما الحكم، فقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أُنزِلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾^٨.

وأما الحكمة، فقوله: ﴿حِكْمَةً بَّالِغَةً﴾^٩، ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلُو فِي بُيُوتِكُنَّ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ

١- الحجر / ٩.

٢- الزخرف / ٤٤.

٣- الحاقة / ٤٨.

٤- الذاريات / ٥٥.

٥- الشعراء / ١٩٢-١٩٣.

٦- الزمر / ٢٣.

٧- يونس / ٥٧.

٨- الرعد / ٣٧.

٩- القمر / ٥.

وَالْحِكْمَةُ^١.

وَأَمَّا الْحَكِيم، فقولُه: ﴿يَسَّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾^٢. وَأَمَّا الْمُحْكَم، فقولُه: ﴿كِتَابٌ أُخْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾^٣. وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْحِكْمَةِ، فَقَالَ الْخَلِيل: هُوَ مَا خُذَ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْإِلْزَامِ، وَقَالَ الْمُورَخُ: هُوَ مَا خُذَ مِنْ حِكْمَةِ اللَّجَامِ؛ لِأَنَّهَا تَضْبُطُ الدَّابَّةَ، وَالْحِكْمَةُ تَنْعَمُ مِنَ السَّفَه. وَتَأْسَعُهَا الشِّقَاءُ: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^٤، وَقَوْلُه: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾^٥ فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا - أَنَّهُ شِفَاءٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ.

وَالثَّانِي - أَنَّهُ شِفَاءٌ مِنْ مَرَضِ الْكُفْرِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ الْكُفْرَ وَالشَّكَّ بِالْمَرَضِ، فَقَالَ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾^٦، وَبِالْقُرْآنِ يَزُولُ كُلُّ شَكٍّ عَنِ الْقَلْبِ، فَصَحَّ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ شِفَاءٌ. وَعَاشِرُهَا - الْهُدَى، وَالْهَادِي: أَمَّا الْهُدَى فَلَقَوْلُه: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^٧. ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾^٨. ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^٩. وَأَمَّا الْهَادِي: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^{١٠}، وَقَالَتِ الْجِنُّ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾^{١١}. الْحَادِي عَشَرَ - الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِهِ: أَنَّهُ الْقُرْآنُ، وَقَالَ:

١ - الأحزاب / ٣٤.

٢ - يس / ١.

٣ - هود / ١.

٤ - الإسراء / ٨٢.

٥ - البقرة / ١٠.

٦ - البقرة / ٢.

٧ - آل عمران / ٤، الأنعام / ٩١.

٨ - يونس / ٥٧.

٩ - الإسراء / ٩.

١٠ - الجن / ٢.

﴿وَأَن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾^١.

والثاني عشر- الحبل: ﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً﴾^٢ في التفسير: أنه القرآن، وإنما سمي به لأن المعتصم به في أمور دينه يتخلص به من عقوبة الآخرة ونكال الدنيا، كما أن المتمسك بالحبل ينجو من الفرق والمهالك، ومن ذلك سماء النبي ﷺ عصمة فقال: «إن هذا القرآن عصمة لمن اعتصم به»، لأنه يعصم الناس من المعاصي.

الثالث عشر- الرحمة: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^٣، وأي رحمة فوق التخليص من الجهالات والضلالات.

الرابع عشر- الروح: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾^٤، ﴿يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾^٥، وإنما سمي به لأنه سبب لحياة الأرواح، وسمي جبريل بالروح: ﴿فَارْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾^٦ وعيسى بالروح: ﴿الْقَاهَا إِلَى مَرْتَمٍ وَرُوحٍ مِنْهُ﴾^٧.

الخامس عشر- القصص: ﴿نَحْنُ نُقْصِصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾^٨، سمي به لأنه يجب أتباعه، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾^٩، أي اتبعي أثره؛ لأن القرآن يتتبع قصص المتقدمين، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾^{١٠}.

١- الأنعام / ١٥٣.

٢- آل عمران / ١٠٣.

٣- الإسراء / ٨٢.

٤- الشورى / ٥٢.

٥- التحل / ٢.

٦- مريم / ١٧.

٧- النساء / ١٧١.

٨- يوسف / ٣.

٩- القصص / ١١.

١٠- آل عمران / ٦٢.

السادس عشر- البيان والتبيان والمبين :

أما البيان، فقوله: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾^١.

و[أما] التبيان فهو قوله: ﴿ وَزَوَّلْنَا عَلَيْكَ الْكَتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾^٢.

وأما المبين فقوله: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾.

السابع عشر- البصائر: ﴿ هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾^٣، أي هي أدلة يبصر بها الحق تشبيهاً

بالبصر الذي يرى طريق الخلاص.

الثامن عشر- الفصل: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ * وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ ﴾^٤، واختلفوا فيه :

ف قيل: معناه القضاء، لأن الله تعالى يقضي به بين الناس بالحق.

قيل: لأنه يفصل بين الناس يوم القيامة فيهدي قومًا إلى الجنة ويسوق آخرين إلى النار،

فمن جعله أمامه في الدنيا قاده إلى الجنة، ومن جعله وراءه ساقه إلى النار.

التاسع عشر- التجوم: ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ التُّجُومِ ﴾^٥ ﴿ وَالسَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾^٦، لأنه نزل

تَجْمًا تَجْمًا.

العشرون - المثاني: ﴿ مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾^٧، قيل: لأنه ثنى فيه

القصص والأخبار.

الحادي والعشرون - النعمة: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾^٨، قال ابن عباس يعني

١- آل عمران / ١٣٨.

٢- التحل / ٨٩.

٣- الأعراف / ٢٠٣.

٤- الطارق / ١٣-١٤.

٥- الواقعة / ٧٥.

٦- الزمر / ٢٣.

٧- الضحى / ١١.

به القرآن.

الثاني والعشرون - البرهان: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^١، وكيف لا يكون برهاناً وقد عجزت الفصحاء عن أن يأتوا بمثله.

الثالث والعشرون - البشير والتذير، وبهذا الاسم وقعت المشاركة بينه وبين الأنبياء، قال تعالى في صفة الرُّسل: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾^٢، وقال في صفة محمد ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^٣، وقال في صفة القرآن في حم السجدة: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَاعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾^٤، يعني مبشراً بالجنة لمن أطاع وبالتار منذراً لمن عصى، ومن هاهنا نذكر الأسماء المشتركة بين الله تعالى وبين القرآن.

الرابع والعشرون - القيم: ﴿قِيَمًا لِيُنْذِرَ نَاسًا شَدِيدًا﴾^٥، والذين أيضاً قيم: ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾^٦، والله سبحانه هو القيوم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^٧، وإنما سمي قيماً لأنه قائم بذاته في البيان والإفادة.

الخامس والعشرون - المهيمن: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾^٨، وهو مأخوذ من الأمين، وإنما وصف به لأنه من تمسك بالقرآن أمن الضرر في الدنيا والآخرة، والرب المهيمن أنزل الكتاب المهيمن على النبي الأمين لأجل قوم هم أمانة الله تعالى على خلقه كما قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

١- النساء / ١٧٤.

٢- النساء / ١٦٥، الأنعام / ٤٨.

٣- الفتح / ٨.

٤- فصلت / ٤.

٥- الكهف / ٢.

٦- التوبة / ٣٦، الروم / ٣٠.

٧- البقرة / ٢٥٥، آل عمران / ٢.

٨- المائدة / ٤٨.

عَلَى الثَّاسِ ١.

السادس والعشرون - الهادي: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، وقال: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، والله تعالى هو الهادي لأنه جاء في الخبر «التور الهادي».

السابع والعشرون - التور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٢.

وسمى الله القرآن نوراً: ﴿وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ ٣، يعني القرآن.

وسمى الرسول نوراً: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ٤، يعني محمد.

وسمى دينه نوراً: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ ٥.

وسمى بيانه نوراً: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ ٦.

وسمى التوراة نوراً: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ ٧.

وسمى الإنجيل نوراً: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ ٨.

وسمى الإيمان نوراً: ﴿يَسْمَعُ نُورَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ٩.

الثامن والعشرون - الحق: ورد في الأسماء «الباعث الشهيد الحق» والقرآن حق...

[وذكر كما تقدم عن أبي الفتح الرازي].

التاسع والعشرون - العزيز: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

١- البقرة/١٤٣.

٢- التور/٣٤.

٣- الأعراف/١٥٧.

٤- المائدة/١٥.

٥- الصّٰفّٰت/٨.

٦- الزمر/٢٢.

٧- المائدة/٤٤.

٨- المائدة/٤٦.

٩- الحديد/١٢.

وفي صفة القرآن: ﴿وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ .
 والّتي عزيز: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾^١ .
 والأمة عزيزة: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^٢ .
 فربّ عزيز أنزل كتاباً عزيزاً على نبيّ عزيز لأمة عزيزة، وللعزيز معنيان:
 أحدهما - القاهر، والقرآن كذلك؛ لأنّه هو الذي قهر الأعداء وامتنع على من أراد
 معارضته. والثاني - أن لا يوجد مثله .
 الثّلاثون - الكريم: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ * في كتاب مَكْنُونٌ^٣، واعلم! أنّه تعالى سمّى سبعة
 أشياء بالكريم: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^٤، إذ لا جواد أجود منه، والقرآن بالكريم، لأنّه
 لا يستفاد من كتاب من الحكيم والعلوم ما يستفاد منه .
 وسمّى موسى كريماً: ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾^٥ .
 وسمّى نواب الأعمال كريماً: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾^٦ .
 وسمّى عرشه كريماً: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾^٧، لأنّه منزل الرحمة .
 وسمّى جبريل كريماً: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^٨، ومعناه أنّه عزيز .
 وسمّى كتاب سليمان كريماً: ﴿إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾^٩ .

١- التوبة / ١٢٨ .

٢- المنافقون / ٨ .

٣- الواقعة / ٧٧-٧٨ .

٤- الانطار / ٦ .

٥- الدخان / ١٧ .

٦- يس / ١١ .

٧- التمل / ٢٦ .

٨- التكويم / ١٩ .

٩- التمل / ٢٩ .

فهو كتاب كريم من ربّ كريم نزل به ملك كريم على نبي كريم لأجل أمة كريمة ، فإذا تمسكوا به نالوا ثواباً كريماً .

الحادي والثلاثون - العظيم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^١ .

اعلم! أنه تعالى سَمَّى نفسه عظيماً فقال: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^٢ .

وعرشه عظيماً: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^٣ .

و كتابه عظيماً: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^٤ .

ويوم القيامة عظيماً: ﴿لَيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٥ .

والزَّلْزَلَةُ عظيمة: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^٦ .

وخُلِقَ الرَّسُولُ عَظِيماً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^٧ .

والعلم عظيماً: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾^٨ .

وكيد النساء عظيماً: ﴿إِنْ كَيْدُكُنَّ عَظِيمٌ﴾^٩ .

وسحر سحرة فرعون عظيماً: ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾^{١٠} .

وسمى نفس الثواب عظيماً: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً

١- الحجر / ٨٧ .

٢- البقرة / ٢٥٥ .

٣- التوبة / ١٢٩ .

٤- الحجر / ٨٧ .

٥- المطففين / ٥-٦ .

٦- الحج / ١ .

٧- القلم / ٤ .

٨- النساء / ١١٣ .

٩- يوسف / ٢٨ .

١٠- الأعراف / ١١٦ .

وَأَجْرًا عَظِيمًا^١.

وسمى عقاب المنافقين عظيمًا: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^٢.

الثاني والثلاثون - المبارك: ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ﴾^٣. وسمى الله تعالى به أشياء: ... [وذكر

كما تقدّم عن الفخر الرّازيّ]. (١٧-١٤: ٢)

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ البقرة / ١٨٥

المسألة الثانية - القرآن اسم لما بين الدّقتين من كلام الله، واختلفوا في اشتقاقه، فروى الواحدي في «البيسط» عن محمد بن عبد الله بن الحكم أن الشّافعي رحمته الله كان يقول ... [وذكر كما تقدّم نحوه عن الأزهريّ].

قال الواحدي: وقول الشّافعيّ أنّه اسم لكتاب الله يشبه أنّه ذهب إلى أنّه غير مشتقّ، وذهب آخرون إلى أنّه مشتقّ.

واعلم! أنّ القائلين بهذا القول منهم من لا يهمزه، ومنهم من يهمزه، أمّا الأولون فلهم فيه اشتقاقان:

أحدهما - أنّه مأخوذ من قرئت الشيء بالشيء، إذا ضمنت أحدهما إلى الآخر، فهو مشتقّ من «قرن» والاسم «قران» غير مهموز، فسَمِيَ القرآن قرآنًا إمّا لأنّ ما فيه من السّور والآيات والحروف يقترن بعضها ببعض، أو لأنّ ما فيه من الحكم والشّرائع مقترن بعضها ببعض، أو لأنّ ما فيه من الدّلائل الدّالة على كونه من عند الله مقترن بعضها ببعض، أعني اشتماله على جهات الفصاحة وعلى الأسلوب الغريب، وعلى الأخبار عن المغيبات، وعلى العلوم الكثيرة، فعلى هذا التّقدير هو مشتقّ من «قرن» والاسم قران غير مهموز.

١ - الفتح / ٢٩.

٢ - البقرة / ٧.

٣ - الأنبياء / ٥٠.

وثانيهما - قال القراء: أظن أن القرآن سمي من القرائن، وذلك لأن الآيات يصدق بعضها بعضاً على ما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^١، فهي قرائن، وأما الذين همزوا فلهم وجوه:

أحدها - أنه مصدر القراءة يقال: قرأت القرآن فأنأ أقرؤه قرأ وقراءة وقرأنا، فهو مصدر، ومثل القرآن من المصادر: الرجحان والتقصان والخسران والغفران، قال الشاعر:

ضَحَوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانِ السُّجُودِ... يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْنِيحًا وَقُرْآنًا

أي قراءة، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^٢، هذا هو الأصل، ثم إن المقروء يسمى قرآنًا، لأن المفعول يسمى بالمصدر كما قالوا للمشروب: شراب وللمكتوب كتاب، واشتهر هذا الاسم في العُرف حتى جعلوه اسمًا للكلام الله تعالى.

وثانيها - قال الزجاج وأبو عبيدة: إنه مأخوذ من القرء وهو الجمع، قال عمرو: هِجَانُ اللَّوْنِ لم تقرأ جَنِينًا، أي لم تجمع في رحمها ولدًا، ومن هذا الأصل: قرء المرأة وهو أيام اجتماع الدَّم في رَحِمِها، فسُمي القرآن قرآنًا، لأنه يجمع السُّور ويضمُّها.

وثالثها - قول قُطْرُب وهو أنه سُمي قرآنًا، لأن القارئ يكتبه، وعند القراءة كأنه يلقيه من فيه، أخذًا من قول العرب: ما قرأت التَّاقَةَ سَلَى قَطٌّ، أي مارمت بولد، ما أسقطت ولدًا قَطًّا وما طرحت، وسمي الحيض قرأ لهذا التأويل، فالقرآن يلفظه القارئ من فيه ويلقيه فسُمي قرآنًا.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ البقرة / ٢٧٧

الحجة الثالثة - «القرء» عبارة عن الجمع، يقال: ما قرأت التَّاقَةَ نَسْلَاقًا، أي ما جمعت في رَحِمِها ولدًا قَطًّا، ومنه قول عمرو بن كُلثوم: هِجَانُ اللَّوْنِ لم تقرأ جَنِينًا.

١- النساء / ٨٢.

٢- الإسراء / ٧٨.

وقال الأخفش: يقال: ما قرأت حِيضة، أي ما ضَمَّت رَحِمَهَا على حِيضة، وسمي الحوض مِقْرَاءً لأنه يجتمع فيه الماء، وقرأت التَّجُوم إذا اجتمعت للغروب، وسمي القرآن قرَأَا لاجتماع حروفه وكلماته، ولاجتماع العلوم الكثيرة فيه، وقرأ القارئ أي جمع الحروف بعضها إلى بعض.

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ الواقعة/ ٧٧- ٨٠

وفيه مسائل:

المسألة الأولى- الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ﴾ عائد إلى ماذا؟ فنقول: فيه وجهان: أحدهما - إلى معلوم وهو الكلام الذي أنزل على محمد ﷺ، وكان معروفاً عند الكل، وكان الكفار يقولون: أنه شعروا أنه سحر، فقال تعالى ردّاً عليهم: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ﴾ عائد إلى مذكور وهو جميع ما سبق في سورة الواقعة من التوحيد، والحشر، والدلائل المذكورة عليهما، والقسم الذي قال فيه: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾ وذلك لأنهم قالوا: هذا كله كلام محمد ومخترع من عنده، فقال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾.

المسألة الثانية- القرآن مصدر أو اسم غير مصدر؟ فنقول: فيه وجهان:

أحدهما - مصدر أريد به المفعول وهو المقروء ومثله في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾^١، وهذا كما يقال في الجسم العظيم انظر إلى قدرة الله تعالى أي مقدوره وهو كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي﴾^٢.

ثانيهما - اسم لما يقرأ كالقربان لما يتقرب به، والحلوان لما يحلّى به فم المكاري أو الكاهن، وعلى هذا سنين فساد قول من ردّ على الفقهاء قولهم في باب الزكاة: يعطي شيئاً أعلى مما وجب ويأخذ الجبران أو يعطي شيئاً دونه، ويعطي الجبران أيضاً، حيث قال: الجبران مصدر

١- الزّعد / ٣٦.

٢- لقمان / ١١.

لا يؤخذ ولا يعطى، فيقال له: هو القرآن بمعنى المقروء، ويجوز أن يقال: لما أخذ جابر أو مجبور أو يقال: هو اسم لما يجبر به كالقربان.

المسألة الثالثة - إذا كان هذا الكلام للرد على المشركين فهم ما كانوا ينكرون كونه مقروءاً، فما الفائدة في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ﴾؟ نقول فيه وجهان:

أحدهما - أنه إخبار عن الكل وهو قوله: ﴿قُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ فهم كانوا ينكرون كونه قرأناً كريماً وهم ما كانوا يقرؤون به.

وثانيهما - وهو أحسن من الأول، أنهم قالوا: هو مخترع من عنده وكان النبي ﷺ يقول: إنه مسموع سمعته وتلوته عليكم، فما كان القرآن عندهم مقروءاً، وما كانوا يقولون: إن النبي ﷺ يقرأ القرآن وفرق بين القراءة والإنشاء، فلما قال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ﴾ أثبت كونه مقروءاً على النبي ﷺ ليقرأ ويتلى، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ﴾، سماء قرأنا لكثرة ما قرئ، ويقرأ إلى الأبد بعضه في الدنيا وبعضه في الآخرة.

(٢٩: ١٩٠-١٩١)

الفصل الحادي عشر

نصّ السّخاويّ (م: ٦٢٣) في «جمال القراء وكمال الإقراء»

أسماء القرآن

القرآن

اسم من أسماء هذا الكتاب العزيز، وهو منقول من المصدر، ودخول اللّام فيه كدخولها في «الفضل» ودخولها في «الفضل» كدخولها في «عبّاس». وإثما تدخل في «عبّاس» ونحوه لأنّها بمنزلة الصفات الغالبة، نحو: «الصّقع». كذا قال سيبويه والخليل^١، وكأنّه أراد: الّذي يعبس، فلهذا المعنى دخلت اللّام، ومن لم يرد هذا المعنى، قال: عبّاس وحارث. ويدلّ على صحّة مذهبهما أنّه لم يدخلوا اللّام في «ثور» و«حجر» ونحو ذلك ثمّ انقل إلى العلّميّة وليس بصفة ولا مصدر، وإثما دخلت اللّام فيما نقل عن المصدر يوصف به فهو كالحارث، وأيضاً فأثّم إذا قالوا: «الفضل» لحظوا فيها معنى الزيادة، كما لحظوا المعنى المقدّم ذكره في الصّفة. والقرآن معناه: الجمع، من قولهم: قرأتُ الشّيء أي جمعته^٢، يدلّ على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهِ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^٣، أي فإذا جمعناه فاتّبع جمعه^٤.

١- انظر: الكتاب ٢: ١٠٠.

٢- انظر: ثبّت الانتصار لنقل القرآن (لللبّاقاني): ٥٦.

٣- القيامة / ١٨.

٤- انظر: تفسير الطبري ١: ٤٢، ومجاز القرآن (أبي عبيدة) ١: ٣. وغرائب القرآن ١: ٢٨.

فإن قيل: فكيف يصح على ما ذكرت من أن معناه الجمع أن يقال: إن علينا جمعه وجمعه، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^١.

قلت: قال أبو علي: الجمع أعم، والقرآن أخص، فحسن التكرير لذلك كما يجوز: أعلمت زيدا وأندرتُه؛ لأن الإنذار أخص. لأن كل مُنذِرٍ مُعلِّمٌ وليس كل مُعلِّمٍ مُنذِرًا، وكذلك «قرأت» و«جمعت»، قرأت أخص من جمعت. وإذا جاز الاستعمال المعنى الواحد بلفظين مختلفين نحو: «أقوى»^٢ و«أقفر» فإن الجواز فيما تختص فيه إحدى الكلمتين بمعنى ليس للأخرى أولى.

وعن ابن عباس: كان النبي ﷺ إذا ألقى إليه جبرئيل عليه السلام القرآن يجعل الحِرْصه، وخوفه أن ينساه، فيسأله في قراءته ويحرك شفثته - وحرك ابن عباس شفثته - فقليل له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْزَلَ بِهِ﴾^٣ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ^٤. ووزن قرآن «فعلان» وحقه أن لا ينصرف للعلمية والزيادة، فأما قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^٥ قُرْآنًا غَرِيبًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ^٦.

وقال أبو علي: و«قرأنا» حال من «القرآن» في أول الآية. قال: «ولا يمتنع أن يتنكر ما جرى في كلامهم معرفة من نحو هذا، قال: فمن ثم أجاز الخليل في قولهم: يا هِنْدُ هِنْدُ بَيْنَ خِلْبٍ وَكِبْدٍ^٧، أن يكون المعنى: يا هند أنت هند بين خِلْبٍ وَكِبْدٍ، فجعله نكرة لوصفه له بالظرف»^٨...

١- القيامة / ١٧.

٢- اللسان (قوا: ١٥، ٢١٠): «وأقوى الرجل، إذا نزل بالقرء».

٣- تفسير الطبري ٢٩: ١٨٧.

٤- الزمر / ٢٧- ٢٨.

٥- بيت من الرجز المشطور، وهو في سيبويه ٢: ٢٣٩، واللسان (خلب ١: ٣٦٤)، والخلب: لحمة رقيقة تصل بين الأضلاع.

أو حجاب ما بين القلب والكبد.

٦- في سيبويه: «أنه أراد: أنت بين خِلْبٍ وَكِبْدٍ» والدليل على أن (هندًا) نكرة، هو وصفها بالظرف، أي أنت هند مستقرة بين خِلْبٍ وَكِبْدٍ، كما تقول: أنت زيد من الزيدتين، فتجعل زيدا نكرة.

وأما قوله عز وجل: ﴿وَقَرَأْنَا لَهُ آيَاتِنَا﴾ فقال أبو علي: يجوز أن يكون مفعولاً، والتقدير: وبالحق أنزلناه وبالحق نزل، وأنزلناه قرآنًا.

قال [أيضًا]: ولا يجوز أن ينتصب على الحال من أجل حرف العطف، قال: ألا ترى أنك لاتقول: جاءني زيد وراكبًا؟ قال: ويجوز أن يعطف على ما يتصل به على حذف المضاف: أي وما أرسلناك إلا مبشّرًا ونذيرًا وذا قرآن.

وكان ابن كثير^١ لا يهزم القرآن، ويقول: القرآن إنما هو اسم مثل التوراة والإنجيل. وجوز أن يكون من: قرنت الشيء بالشيء.

قال أبو علي: وهذا سهو ممن ظنّه، لأن لام الفعل من «قرأت» همزة، ومن «قرئت» نون، والتون في «قرآن» زائدة، وفي «قرنت» أصلية، وهي لام الفعل. ونرى أن الإشكال وقع له من أجل تخفيف الهمزة من «قرآن» لما حذفت وألقيت حركتها، فصار لفظه كلفظة «فعال» من «قرآن» وليس مثله. ولو سميتم رجلاً بـ (قرآن) مخفف الهمزة لم تصرفه في المعرفة، كما لاتصرف (عثمان) اسم رجل، ولو سميتم بـ (قرآن) من (قرنت) لاتصرف.

وهذا سهو من أبي علي، وما كان مثل هذا يذهب على ابن كثير، وإنما ذهب ابن كثير إلى أنه اسم من أسمائه الكتاب العزيز، فيكون على قوله له اسمان: قرآن من قرأت، وقرآن من قرنت. وهذا واضح لا إشكال فيه.

الفرقان

ومن أسمائه الفرقان؛ قال الله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ...﴾^٢ وهو منقول من المصدر وهو من المصادر التي جاءت على «فُعْلان» نحو: الثُفْران والكُفْران.^٤

١-الإسراء ١٠٦.

٢-عبدالله بن كثيرين المطلب (م: ١٢٠هـ). غاية النهاية ١: ٤٤٥.

٣-الفرقان ١٧.

٤-اللسان: (فرق ١٠: ٣٠٢ وقرأ ١٢٩).

وقال أبو عبيدة: تقديره تقدير قولهم: رجل قُنعان، أي يرضى به الخصمان ويُقنعان.^١
فهو على هذا منقول من الصفة. وإلى هذا القول، ذهب أبو علي.
وإنما ذهب أبو علي في «القرآن» إلى أنه مصدر في الأصل: وفي «الفرقان» إلى ما ذكرناه، قال: لأن الدلالة قد قامت على أن «القرآن» لا يجوز أن يكون صفة، كما قامت على جواز كون «الفرقان» صفة. قال: وذلك أن الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾، فلو كان صفة، لم تجز هذه الإضافة لأن الصفة لا تضاف إلى الفاعل؛ لأن اسم الفاعل هو الفاعل في المعنى، والشئ لا يضاف إلى نفسه.

قال: فلو كان «القرآن» صفة كما أن «الفرقان» صفة في قول أبي عبيدة، لم تجز فيه هذه الإضافة، فدلَّ جوازها على أنه مصدر في الأصل. ولا يمتنع أن يضاف المصدر إلى الفاعل، كما لا يمتنع إضافته إلى المفعول، لأنه غير الفاعل، كما أنه غير المفعول.
وأجاب عن أنه لو كان صفةً لجري على موصوف كما قيل: رجل قُنعان، وأجري صفة على موصوف، فقال: لا يمتنع أن يكون صفة وإن لم يجز على الموصوف؛ لأن كثيرًا من الصفات استعمل استعمال الأسماء، من ذلك: هذا عبد، ورأيتُ عبدًا، وهو في الأصل صفة، ولا يكادون يقولون: رجل عبد. وكذلك «صاحب» ولذلك لم تعمل إعمال أسماء الفاعلين نحو: ضارب وآكل...

وقال أبو عبيدة في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾.^٢ وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾.^٣ الفرقان: ما فرق بين الحق والباطل؛ لأن المسلمين علَّت كلمتهم يوم بدر بالقهر والغلبة، كما نصرُوا في الفرقان بالحجة...^٤

١- مجاز القرآن (لأبي عبيدة) ١: ٣.

٢- الأنبياء / ٤٨.

٣- البقرة / ٥٣.

٤- انظر: غرائب القرآن (للثيسابوري) ١: ٣١٥.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ يبطل هذا التأويل، ولكن يجوز في الآيتين جميعاً أن يريد بـ «الفرقان»: البرهان الذي فرق بين الحق والباطل، نحو انقلاب العصا، وخروج اليد بيضاء من غير سوء، وغير ذلك من الآيات، أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام^١.

وقيل: الفرقان: انفراج البحر^٢. ورد أبو عليّ على هذا القول؛ لأن الفرقان قد استعمل في هذه الآيات في معانٍ لا في أعيانٍ؛ ولأن مصدر «فرقت» قد جاء في القرآن «فُرْقًا»^٣، ولم يجيء «فُرْقَانًا». قال: وإن كان بعض أمثلة المصادر قد جاء على مثال «فعلان»... [وذكر قول أبي عبيدة، كما تقدّم عنه، فقال:]

وقال أبو عبيد: الفرقان عند التحوّين مصدر فرقت بين الشّيء والشّيء أفرق فرقاً وفُرْقَانًا^٤. وعن ابن عباس: الفرقان: المخرج^٥، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾^٦، أي بيئاً ومخرجاً من الشبهة والضلال، وأنشدوا المزمرد:

بَادِ اللَّيْلَ أَنْ يَبِيَّتَ فَلَمَّا أَظْلَمَ اللَّيْلَ لَمْ يَجِدْ فُرْقَانًا

الكتاب

ومن أسمائه الكتاب؛ سُمّي بذلك لأن الكتاب: الجمع؛ يقال: كَتَبَ، إذا جمع الحروف بعض إلى بعض، وتَكَتَّبَ بنو فلان، أي اجتمعوا^٧. فسُمّي بذلك لما اجتمع فيه من المعاني

١- نفس المصدر.

٢- نفس المصدر.

٣- يعني قوله تعالى في (المسلات ٣-٤): ﴿وَالثَّائِرَاتِ نَثْرًا﴾ فَأَلْقَارِقَاتِ فُرْقَانًا.

٤- انظر: تفسير الطبري ١: ٤٤.

٥- نفس المصدر ١: ٤٤-٤٤.

٦- الأنفال ٢٩.

٧- انظر: اللسان ١: ٤٤.

كالأمر والتهي، والمحكم والمتشابه، والتاسخ والمنسوخ، والحلال والحرام، ونبا ما كان وما يكون، وما يحتاج إليه من أمر الدين وتفصيل ما اختلف فيه من الأحكام؛ قال الله عز وجل: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^١. وقال عز وجل: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^٢، ولذلك سُمِّيَ قرآنًا لأنه قد جُمع فيه كل شيء.

وقال أبو عبيد: سُمِّيَ قرآنًا لأنه جمع السُّور وضمها^٣. وذلك تسميته بـ «الكتاب» أيضًا. وقال أبو علي: الكتاب مصدر كتب؛ قال: ودليل ذلك انتصابه عما قبله في قوله عز وجل: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^٤، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾^٥. قال: فمذهب سيبويه في هذا النحو أنه لما قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ﴾^٦، دل هذا الكلام على «كتب عليكم». وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ﴾^٧ دل على «كتب الله موته ومدة حياته»، فانتصب بـ «كتب» الذي دل عليه الفعل المظهر.

قال: ومذهب غيره من أصحابه أنه انتصب بالفعل الظاهر^٨. وكيف كان الأمر، فقد ثبت من ذلك أن الكتاب مصدر، كالوعد والصنع، من قوله عز وجل: ﴿وَعَذَابُ اللَّهِ﴾^٩ و﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾^{١٠} في انتصابهما بما ذكر قبلهما من قوله عز وجل: ﴿وَهِيَ تُمْرَرُ السَّحَابِ﴾، وقوله

١- الأنعام / ٣٨.

٢- يوسف / ١١١.

٣- مجاز القرآن ١: ٩.

٤- النساء / ٢٤.

٥- آل عمران / ١٤٥.

٦- النساء / ٢٣.

٧- وهو مذهب المبرِّد، انظر: المقتضب ٣: ٢٠٣-٢٠٤.

٨- الرزم / ٦.

٩- التمل / ٨٨.

عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّغِلُّونَ﴾ في بضع سنين، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَعَذَّ اللَّهُ﴾ . قال: وسُمِّيَ به التّزْييل بدلالة قوله عزَّوَجَلَّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾^١. ثم قال: والمراد بالمصدر الَّذي هو الكتاب: المكتوب، كما يقال: الخلق والتّوب المخلوق لا الحَدَث؛ تقول: جاءني الخلق، وكَلَمْتُ الخلق، والدّرهم ضرب الأمير، والتّوب تُسَجُّ اليمين، أو مضروبه، ومنسوج اليمين. وقول التّبيّ: ﴿الرَّاجِعُ فِي هَيْبَتِهِ﴾، أي موهوبه. قال: فما تأوّلناه في قولنا في «الكتاب» المسمّى به التّزْييل، أنّه يُراد به المكتوب، أرجح عندي من قول من قال: أنّه سُمِّيَ بذلك لما فرض فيه وأوجب العمل به.

قال: ألا ترى أنّ جميع التّزْييل مكتوب وليس كلّ مفروضاً؟ قال: وإذا كان كذلك كان العامل الشّامل لجميع المسمّى أولى ممّا كان بخلاف هذا الوصف. وهذا الَّذي رجّحه أبو عليّ ليس براجح، لأنّ قولهم: هذا الدّرهم ضرب الأمير، قد علم المراد منه، وأنّ الضّرب الَّذي هو العرض^٢ الَّذي قد انقضى وذهب لا يصحّ أن يكون موجوداً ومشاراً إليه؛ فتعيّن أنّ المراد بالضّرب المضروب.

وليس كذلك «الكتاب» لأنّه اسم منقول^٣ من المصدر، كفضل. وإثما سُمِّيَ القرآن به لأنّ معنى «كتب» الشّيء جمعه وضمّ بعضه إلى بعض، وكذلك القرآن.

وقول من قال: إثما سُمِّيَ كتاباً لأنّه يقال: كتب الله كذا بمعنى أوجبه وفرضه، كقوله عزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^٤، فسُمِّيَ القرآن كتاباً لما فيه من الواجبات التي كتبها أرجح من قول أبي عليّ؛ لأنّ الشّيء يُسمّى ببعض ما فيه. ثمّ إنّ قول أبي عليّ يومه أن ليس إلّا هذا القول وقوله. وأوضح من القولين وأصحّ قول من قال: هو

١- الكهف / ١.

٢- في «ظ»: «الفرض».

٣- في «ظ»: «المفعول وهو تحريف».

٤- النساء / ٦٦.

منقول من المصدر الذي هو بمعنى الجمع والضم.

الذكر

ومن أسمائه الذكر؛ قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^١. وهو منقول من المصدر، والذكر: الموعظة، والذكر: الشرف.^٢

الوحي

ومن أسمائه الوحي؛ قال المؤمنون كلهم: القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾^٣، وهو من قولهم: وحى يحي. قال الشاعر: وحى لها القرار فاستقرت. ويقال: أوحى يوحى إيحاءً، ومعناه الإفهام بإيماء وإشارة^٤. وقال بعض العلماء: الوحي قذف في القلوب، فكأنه سمي وحياً لأن الملك كان يفهمه النبي ﷺ ولا يفهم عنه سواء، كما ستموا ضرب الأمثال وحياً من جهة اللفظ، وذلك أن يضرب الرجل لصاحبه مثلاً، فيعرف به أمرًا بينهما ولا يفهمه سواء، وكل من أشار إلى معنى من غير إفصاح فبلغ بذلك المراد فقد أوحى.

التنزيل

ومن أسمائه التنزيل؛ يقال: جاء في التنزيل كذا، كما يقال: جاء في القرآن، وهو منقول من المصدر؛ يقال: نزل تنزيلاً، قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نُزِّلَ أَحْسَنَ الْخَبَرِ﴾.

القصاص

ومن أسمائه القصاص؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾^٥، والقصاص في

١- الحجر / ٩.

٢- أنظر: اللسان ٤: ٣١٠.

٣- الأنبياء / ٤٥.

٤- أنظر: اللسان ١٥: ٣٨٠.

٥- آل عمران / ٦٢.

العربية: اتباع الأثر^١؛ قال الله عز وجل: ﴿فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾^٢.
قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُكُمْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾^٣، وأثر القرآن قصصه الذي
قصه، أي اتبعه وألقاه إلى غيره، كما فقاه واتبع فيه أثر الملك.

الروح

ومن أسمائه الروح؛ قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾^٤. سُمِّي
روحًا لأنه يحیی به القلوب والذین؛ وقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^٥.

المثاني

ومن أسمائه المثاني؛ وقال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نُزِّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا
مَّثَانِيًّا﴾^٦. سُمِّي مثاني لأن القصص والأنباء ثنيت فيه، أي كررت؛ يقال: ثنيت الشيء،
إذا كررته^٧.

وسماه الله عز وجل «الهدى»، و«البيان»، و«التبيان»، و«الموعظة»، و«الرحمة»،
و«البشير»، و«التذير»، و«العزیز»، الذي لا يرام فلا يؤتى بمثله، ولا يستطيع إبطاله.
و«الحكيم»، وهو إمّا بمعنى المحكم - بفتح الكاف - أو المحكم - بكسرهما - من قولهم:

١- قال في اللسان (قصص ٧: ٧٤): «قصص الشيء، إذا تجتبت أثره شيئاً فشيئاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ أي
أبيني أثره».

٢- الكهف / ٦٤.

٣- الأعراف / ٢٠٣.

٤- الشورى / ٥٢.

٥- الأنفال / ٢٤.

٦- الزمر / ٢٣.

٧- انظر: اللسان (ثنى ١٤: ١١٩).

حكمة الدّابة^١؛ لأنّها تردّها عن الجور، لأنّه يرد العباد إلى القصد.

و«المهيمن» وهو الشاهد، و«البلاغ»، قيل: لأنّه يكفي من غيره.

و«الشفاء»، و«المجيد»، لشرفه على كلّ كلام، و«التّور»، قال الله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ

جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^٢.

(١: ١٦١-١٧٥)

١- انظر: اللسان (حكم ١٢: ١٤٣).

٢- المائدة / ١٥.

الفصل الثاني عشر

نصّ ابن منظور (م: ٧١١) في «لسان العرب»

[معنى القرآن]

القرآن: التنزيل العزيز، وإِذَا قُدِّمَ على ما هو أبسط منه لشرفه. قَرَأَهُ يَقْرَأُهُ وَيَقْرُؤُهُ،
الأخيرة عن الزّجاج، قَرَأَ أَوْ قِرَاءَةً وَقَرَأْنَا، الأولى عن اللّحيانيّ، فهو مقروء.

أبو إسحاق التّحويّ: يُسَمَّى كلام الله تعالى الَّذِي أنزله على نبيّه ﷺ كِتَابًا وَقَرَأْنَا وَفُرْقَانًا،
ومعنى القرآن معنى الجمع، وسُمِّيَ قَرَأْنَا لِأَنَّهُ يَجْمَع السُّورَ، فَيُضْمُّهَا. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا
جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، أي جمعه وقراءته، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، أي قراءته. قال
ابن عبّاس رضي الله عنه: فَإِذَا بَيَّنَّاهُ لَكَ بِالْقِرَاءَةِ، فَاغْمَلْ بِمَا بَيَّنَّاهُ لَكَ، فَأَمَّا قَوْلُهُ:

هُنَّ الْحَرَائِرُ، لَا رِبَاتُ أَحْمِرَةٍ سَوْدُ الْمُحَاجِرِ، لَا يَقْرَأُ بِالسُّورِ

فإنّه أراد لا يَقْرَأُ السُّورَ، فزاد الباء كقراءة من قرأ: ثَبِتَ بِالذَّهْنِ، وقراءة من قرأ: يَكَادِ
سَتَى بَرَقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ، أي ثَبِتَ الذَّهْنُ وَيُذْهِبُ الْأَبْصَارَ. وَقَرَأْتُ الشَّيْءَ قَرَأْنَا: جَمَعْتُهُ
وَضَمَمْتُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ.

ومنه قولهم: ما قرأت هذه الثاقبة سَلَى قَطً، وما قرأت جَنِينًا قَطً، أي لم يضطَمَّ رَحِمُهَا عَلَى
وَلَدٍ، وأنشد: هِجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا

وقال: قال أكثر الناس معناه لم تجمع جنينًا أي لم يضطَمَّ رَحِمُهَا عَلَى الْجَنِينِ. قال، وفيه
قول آخر: لم تقرأ جنينًا أي لم تُلْقِهِ.

ومعنى قرأت القرآن: لفظتُ به مجموعاً أي ألقيته... [ثم ذكر قول الشافعي وإسماعيل بن قسطنطين وابن مجاهد، كما تقدّم عن الأزهري] وفي الحديث: أقرؤكم أبيّ.

قال ابن الأثير: قيل: أراد من جماعة مخصوصين، أو في وقت من الأوقات، فإن غيره كان أقرأ منه. قال: ويجوز أن يريد به أكثرهم قراءة، ويجوز أن يكون عائماً وأنه أقرأ الصحابة أي أتقن للقرآن وأحفظ. ورجل قارئ من قوم قراء وقراءين. وأقرأ غيره يقرئه إقرأه. ومنه قيل: فلان المقرئ.

قال سيبويه: قرأ واقتراً بمعنى، بمنزلة علاقته واستعلاه. وصحيفة مقروءة، لا يُجيز الكسائي والفراء غير ذلك، وهو القياس. وحكى أبو زيد: صحيفة مقرئية، وهو نادر إلا في لغة من قال: قرئت. وقرأت الكتاب قراءةً وقرأتاً، ومنه سُمي القرآن. وأقرأه القرآن، فهو مقرئ.

وقال ابن الأثير: تكرر في الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقارئ والقرآن، والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته.

وسُمي القرآن لأنه جمع القصص والأمروالتهى والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران. قال: وقد يطلق على الصلاة لأن فيها قراءة، تسميةً للشيء ببعضه، وعلى القراءة نفسها، يقال: قرأ يقرأ قراءةً وقرأتاً.

والاقتراء: افتعال من القراءة. قال: وقد تُحذف الهمزة منه تخفيفاً، فيقال: قران، وقرئت، وقار، ونحو ذلك من التصريف. وفي الحديث: «أكثر منافقي أمّتي قرأوها»، أي أنهم يحفظون القرآن نفيًا للتهمة عن أنفسهم، وهم معتقدون بتضييعه. وكان المنافقون في عصر النبي ﷺ، بهذه الصفة.

وقارأه مقارأةً وقراءً، بغير هاء: دارسه.

واستقرأه: طلب إليه أن يقرأ. ورؤي عن ابن مسعود: تسمعتُ للقرأة فإذا هم متقارئون،

حكاه اللّحياني ولم يفسّره .

قال ابن سيده: وعندي أن الجن كانوا يرومون القراءة .

وفي حديث أبيّ في ذكر سورة الأحزاب: إن كانت لتقارئ سورة البقرة، أو هي أطول، أي تجاربهها مدى طولها في القراءة، أو إن قارئها ليساوي قارئ البقرة في زمن قراءتها، وهي مفاعلة من القراءة. قال الخطّابي: هكذا رواه ابن هاشم، وأكثر الروايات: إن كانت لتؤاخي .
ورجل قرّاء: حسن القراءة من قوم قرّائين، ولا يُكسر . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه: أنه كان لا يقرأ في الظهر والعصر، ثم قال في آخره: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^١، معناه: أنه كان لا يجهز بالقراءة فيهما، أو لا يسمع نفسه قراءته، كأنه رأى قومًا يقرأون فيسمعون نفوسهم ومن قرّب منهم . ومعنى قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، يريد أن القراءة التي تجهز بها، أو تسمعها نفسك، يكتبها الملك، وإذا قرأتها في نفسك لم يكتبها، والله يحفظها لك ولا ينساها ليُجازيك عليها .

والقارئ والمتقريّ والقراء كلّ: التّاسك، مثل حُسان وجُمّال ...

وجمع القراء: قرّأون وقرّائهم، جاؤوا بالهمز في الجمع لما كانت غير مُثقلّة بل موجودة في قرّأت .

القراء، يقال: رجل قرّاء وامرأة قرّاءة . وتقرأ: تَفَقَّه . وتقرأ: تَنَسَّك . ويقال: قرّأت أي صرّت قارئًا ناسكًا... [وذكر كما تقدّم عن الأزهري] .

وقرأ عليه السلام يقرؤه عليه وأقرأه إياه: أبلغه . وفي الحديث: إن الرّبَّ عزّ وجلّ يُقرئك السّلام . يقال: أقرئ فلانًا السّلام وأقرأ عليه السلام، كأنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السّلام ويردّه . وإذا قرأ الرّجل القرآن والحديث على الشيخ يقول: أقرّني فلان أي حملني على أن أقرأ عليه . والقراء: الوقت . قال الشاعر :

إِذَا مَا السَّمَاءُ لَمْ تَنْعَمْ، ثُمَّ أَخْلَفَتْ قُرْءَ الثُّرَيَّا أَنْ يَكُونَ لَهَا قَطْرٌ

يريد وقت نوثها الذي يطر فيه التأس. ويقال للحمى: قرء، وللغائب: قرء، وللبعيد: قرء. والقرء والقرء: الحيض، والطهر ضد. وذلك أن القرء الوقت، فقد يكون للحيض والطهر. قال أبو عبيد: القرء يصلح للحيض والطهر. قال: وأظنه من أقرأت التجوم إذا غابت. والجمع: أقرء.

وفي الحديث: دعي الصلاة أيام أقرائك. وقرء، على فُعُول، وأقرؤ، الأخيرة عن اللحياني في أدنى العدد، ولم يعرف سبويه أقرء ولا أقرؤاً. قال: استغنوا عنه بفُعُول. وفي التنزيل: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^١، أراد ثلاثة أقرء من قرء، كما قالوا خمسة كلاب، يراد بها خمسة من الكلاب. وكقوله: «خمس بنان قاني الأظفار»، أراد خمساً من البنان. وقال الأعشى:

مُورِثَةٌ مَالاً، وَفِي الْحَيِّ رِفْعَةً لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَانِكَا

وقال الأصمعي في قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾... [وذكر كما تقدم عن الأزهري، ثم ذكر قول أبي عبيد والشافعي وأبي إسحاق والكسائي والقرء والأخفش كما تقدم عنه أيضاً، ثم ذكر أقوالاً كثيرة في معنى القرء والقروء والطهر ونحوها، وإن شئت فراجع].

(١: ١٢٨-١٣٣)

الفصل الثالث عشر

نصّ حيدر الآمليّ (م: ٧٩٤) في «تفسير المحيط الأعظم...»

في معنى القرآن والفرقان

﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ الأنفال / ٢٩

والفرقان هو القرآن عند بعض ، والقرآن مقام الجمعية الإلهية المشار إلى التوحيد الجمعي المحمديّ.

الفرقان عند بعض : علم فارق بين الكثرة والوحدة ، والإجمال والتفصيل ، والجمع والتفرقة ، وهو مقام التوحيد التفصيليّ الأسمايّ الهادي إلى مشاهدة الحقّ في مظاهر صفاته وكمالاته .

ومعناه أنّه يقول لعبيده : إن اتقيتم واحترزتم في طريق معرفتي وتوحيدي ومقام شهودي وعياني عن مشاهدة الغير مطلقاً ، وهديتكم إلى علم الفرقان بعد القرآن ومطالعة الكتاب الآفاقيّ بعد الكتاب القرآنيّ ، ووهبتكم علماً كاشفاً بين الحقّ والباطل ، ونظراً جابجاً بين الكثرة والوحدة ، فهماً فارقاً بين الحقّ والخلق بمقتضى قوله : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ .
وحصل لكم الإخراج من ظلمات الشكوك والشبهات ، والخلاص من ورطات الجهل والغفلات ، بمصدق قولي أيضاً : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ

لَا يَحْتَسِبُ^١.

وذلك لأن من حصل له مطالعة القرآن على ما هو عليه في نفس الأمر، حصل له مطالعة الفرقان على ما هو عليه في نفس الأمر، أعني من حصل له مطالعة الأنفسي الذي هو القرآن حقيقة، لقولهم أنا القرآن الناطق، ولقولهم:

أنا القرآن والسبع المثاني وروح الروح لاروح الأواني

حصل له مطالعة الكتاب الآفاقي الذي هو الفرقان حقيقة، لقوله: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾.

ومن حصل له هذا صعد من درجة الإجمال إلى التفصيل، ومن درجة الذات إلى الأسماء والصفات، ومن درجة الجمعية إلى التفرقة، وجمع بين كل مرتبتين، منهما: بحيث لا يحتجب بأحدهما عن الآخر، ولا يخالف الأول الآخر، ولا الظاهر الباطن، ولا الكثرة الوحدة، ولا الجمع التفرقة، وصار به كاملاً، مكتملاً، عارفاً، موحدًا، محققًا، واصلًا مقام الاستقامة والتمكّن، متخلفًا بأخلاق الحق وأرباب اليقين، وحصل له من أهل الله وأرباب التوحيد الدرجة العليا والغاية القصوى، المعبر عنها بأحدية الفرق بعد الجمع المشار إليها: ليس وراء عبّادان قرية.

وإليها أشار الشيخ الأعظم رحمته في قوله: «إياكم والجمع والتفرقة»، فإن الأول يورث الزندقة والإلحاد، والثاني تعطيل الفاعل المطلق، وعليكم هما، فإن جامعهما موحد حقيقي، وهو المسمّى بجمع الجمع، وجامع الجمع، وله مرتبة العليا والغاية القصوى. (٢٩٠-٢٩٢)

الفصل الرابع عشر

نصّ الزّركشيّ (م: ٧٩٤) في «البرهان في علوم القرآن»

معرفة أسمائه واشتقاقاته

وقد صنف في ذلك الحرّالي جزءاً وأنهى أساميّه إلى نيّف وتسعين، وقال القاضي أبو المعالي عزيّزيّ بن عبد الملك رحمته الله: اعلم! أن الله تعالى سمّى القرآن بخمسة وخمسين اسماً... [ثمّ ذكرها كما سيأتي تفصيلاً عن الفيروز آبادي] إلاّ أنّه أضاف إليها أسامي أخرى، وهي:

- ١- وسمّاه إيماناً فقال: ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾^١.
- ٢- وسمّاه أمراً فقال: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ﴾^٢.
- ٣- وسمّاه زبوراً فقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾^٣.
- ٤- وسمّاه علماً فقال: ﴿وَلَمَّا اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾^٤.
- ٥- وسمّاه الهادي فقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي﴾^٥.
- ٦- وسمّاه ذكراً فقال: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أُنْزِلْنَا﴾^٦.

١- آل عمران / ١٩٣.

٢- الطّلاق / ٥.

٣- الأنبياء / ١٠٥.

٤- الرّعد / ٣٧.

٥- الإسراء / ٩.

٦- الأنبياء / ٥٠.

وسماه أربعة أسامي في آية واحدة فقال: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مِّمَّنْ رُفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾^١.

تفسير هذه الأسامي

فأما الكتاب: فهو مصدر كتب يكتب كتابةً، وأصلها الجمع، وسُميت الكتابة لجمعها الحروف، فاشتق الكتاب لذلك لأنه يجمع أنواعاً من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة ويسمى المكتوب كتاباً مجازاً، قال الله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مُّكْتُونٍ﴾^٢، أي اللوح المحفوظ. والكتابة حركات تقوم بمحل قدرة الكاتب، خطوط موضوعة مجتمعة تدل على المعنى المقصود، وقد يغلط الكاتب فلا تدل على شيء.

وأما القرآن: فقد اختلفوا فيه، فقليل: هو اسم غير مشتق من شيء بل هو اسم خاص بكلام الله وقيل: مشتق من القرئ وهو الجمع ومنه «قريت الماء في الحوض» أي: جمعته. قاله الجوهري وغيره... [ثم ذكر قول الراغب وأبي عبيدة، كما تقدم عنهما، فقال: [وقال الهروي: كل شيء جمعته فقد قرأته. وقيل: لأنه جمع أنواع العلوم كلها بجمعان كما قال تعالى: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^٣.

وقال بعض المتأخرين: لا يكون القرآن و «قرأ» مادته بمعنى جمع، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾^٤، فغاير بينهما وإنما مادته «قرأ» بمعنى أظهر وبين، والقارئ يظهر القرآن ويخرجه، والقراءة: الدّم لظهوره وخروجه، والقراءة: الوقت فإن التوقيت لا يكون إلا بما يظهر. وقيل: سُمي قرآناً لأن القراءة عنه والتلاوة منه وقد قرئت بعضها عن بعض. وفي «تاريخ بغداد» للخطيب في ترجمة الشافعي قال: وقرأت القرآن على إسماعيل بن

١- عبس / ١٣- ١٤.

٢- الواقعة / ٧٨.

٣- الأنعام / ٣٨.

٤- القيامة / ١٧.

قُسْطَظِينَ... [وذكر كما تقدّم عن الأزهرى، ثم قال:]

وقال الواحدى: كان ابن كثير يقرأ بغير همز، وهي قراءة الشافعى أيضاً، قال البيهقى: كان الشافعى يهزم قرأت ولا يهزم القرآن ويقول هو اسم لكتاب الله غير مهموز. قال الواحدى: قول الشافعى هو اسم لكتاب الله يعنى أنه اسم علم غير مشتق كما قاله جماعة من الأئمة. وقال وذهب آخرون إلى أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضمته إليه فسُمي بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه، ومنه قيل للجمع بين الحجّ والعُمرة: قران؛ قال: وإلى هذا المعنى ذهب الأشعرى.

وقال القرطبى: القرآن بغير همز مأخوذ من القرائن لأن الآيات منه يصدّق بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً فهي حينئذٍ قرائن.

قال الزّجاج: وهذا القول سهو، والصّحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف، ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وهذا ما أشار إليه الفارسيّ في «الحلبيّات» وقوله: ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾، أي جمعه في قلبك حفظاً وعلى لسانك تلاوةً وفي سمعك فهماً وعلماً، ولهذا قال بعض أصحابنا: إنّ عند قراءة القارئ تسمع قراءة المخلوقة ويفهم منها كلام الله القديم هذا معنى قوله: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾^١، أي لا تفهموا ولا تعقلوا لأن السمع الطّبيعى يحصل للسامع شاء أو أبى.

وأما الكلام: فمشتق من التأثير؛ يقال: كلمة، إذا أثر فيه بالجرح، فسُمي الكلام كلاماً لأنّه يؤثّر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده.

وأما الثّور: فلأنّه يدرك به غوامض الحلال والحرام.

وأما تسميته «هُدًى»: فلأنّ فيه دلالة بيّنة إلى الحقّ وتفريقاً بينه وبين الباطل.

وأما تسميته «ذكرًا»: فلمّا فيه من المواعظ والتحذير وأخبار الأمم الماضيّة؛ وهو

مصدر ذَكَرْتُ ذِكْرًا والذكر: الشرف، قال تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾^١ أي شرفكم.

وَأَمَّا تسميته «تبيانا»: فلائته بين فيه أنواع الحق وكشف أدلته.

وَأَمَّا تسميته «بلاغاً»: فلائته لم يصل إليهم حال أخبار النبي ﷺ وإبلاغه إليهم إلا به.

وَأَمَّا تسميته «مُبيّناً»: فلائته أبان وفرّق بين الحق والباطل.

وَأَمَّا تسميته «بشيراً ونذيراً»: فلائته بشر بالجنة وأنذر من النار.

وَأَمَّا تسميته «عزيراً»: أي يعجز ويعزّ على من يروم أن يأتي بمثله، فيتعذر ذلك عليه لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ^٢، والقديم لا يكون له مثل، وإنما المراد أن يأتوا بمثل هذا الإخبار والقراءة بالوضع البديع، وقيل: المراد بالعزير؛ نفي المهانة عن قارئه إذا عمل به.

وَأَمَّا تسميته «فرقاناً»: فلائته فرّق بين الحق والباطل والمسلم والكافر والمؤمن والمنافق...

وَأَمَّا تسميته «مثنياً»: فلائته فيه بيان قصص الكتب الماضية، فيكون البيان ثانياً للأول

الذي تقدمه فيبين الأول الثاني. وقيل: سمي «مثنياً» لتكرار الحكم والقصص والمواعظ فيه، وقيل: أنه اسم الفاتحة وحدها.

وَأَمَّا تسميته «وحيّاً»: ومعناه تعريف الشيء خفية، سواء كان بالكلام كالأنبياء والملائكة، أو بإلهام كالتلح وإشارة التمل، فهو مشتق من الوحي والعجلة، لأن فيه إلهاماً بسرعة وخفية.

وَأَمَّا تسميته «حكيمّاً»: فلائته أحكمت بذكر الحلال والحرام، فأحكمت عن الإتيان

بمثله، ومن حكمته: أن علامته من علمه وعمل به ارتدع عن الفواحش.

وَأَمَّا تسميته «مُصدّقاً»: فلائته صدّق الأنبياء الماضين، أو كتّبه قبل أن تغيّر وتبدل.

١- الأنبياء / ١٠.

٢- الإسراء / ٨٨.

وأما تسميته «مُهَيِّمًا»: فلائه الشاهد للكتب المتقدمة بأنها من عند الله.
 وأما تسميته «بلاغًا» فلائه كان في الإعلام والإبلاغ وأداء الرسالة.
 وأما تسميته «شفاء»: فلائه من آمن به كان له شفاء من سقم الكفر، ومن علمه وعمل به كان له شفاء من سقم الجهل.
 وأما تسميته «رحمة»: فإن من فهمه وعقله كان رحمة له.
 وأما تسميته «قصصًا»: فلأن فيه قصص الأمم الماضية وأخبارهم.
 وأما تسميته «مجيدًا»: والمجيد: الشريف، فمن شرفه أنه حفظ عن التغير والتبدل والزيادة والتقصان وجعله معجزًا في نفسه عن أن يؤتى بمثله.
 وأما تسميته «تنزيلًا»: فلائه مصدر نزله؛ لآئه منزل من عند الله على لسان جبريل، لأن الله تعالى أسمع جبريل كلامه وفهمه إياه كما شاء من غير وصف ولا كيفية نزل به على نبيه، فأذاه هو كما فهمه وعلمه.
 وأما تسميته «بصائر»: فلائه مشتق من البصر والبصيرة، وهو جامع لمعاني أغراض المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَاسٌ﴾^١.
 وأما تسميته «ذكرى»: فلائه ذكر للمؤمنين ما فطرهم الله عليه من التوحيد. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾^٢، فالمراد بالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا يختص بزبور داود، والذكر أم الكتاب الذي من عند الله تعالى. وذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «المرشد الوجيز» في قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^٣، قال: يعني القرآن، وقال السخاوي: يعني ما رزقك الله من القرآن خير مما رزقهم من الدنيا.

١- الأنعام / ٥٩.

٢- الأنبياء / ١٠٥.

٣- طه / ١٣١.

فائدة

ذكر المظفر في «تاريخه»: لما جمع أبو بكر القرآن قال: سمّوه، فقال بعضهم: سمّوه إنجيلًا، فكرهوه، وقال بعضهم: سمّوه السنّفر، فكرهوه من يهود، فقال ابن مسعود: رأيت للحبشة كتابًا يدعو له المصحف، فسمّوه به.

فائدة

قال المحافظ أبو طاهر السلفي^١: سمعت أبا الكرم التحوي ببغداد، وسُئل كل كتاب له ترجمة، فما ترجمة كتاب الله؟ فقال: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾^٢. (١: ٢٧٣-٢٨٢)

١ - هو أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي المحافظ، توفي سنة ٥٧٦هـ. (ابن خلكان ١: ٣١)

٢ - إبراهيم / ٥٢.

الفصل الخامس عشر

نصّ الفيروز ابادي (م: ٨١٧) في «بصائر ذوي التمييز»

في ذكر أسماء القرآن

اعلم! أن كثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمّى، أو كماله في أمر من الأمور. أما ترى أن كثرة أسماء (الأسد دلت على كمال قوّته، وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدّته وصعوبته، وكثرة أسماء) الدّاهية دلت على شدّة نكايته. وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظّمته؛ وكثرة أسماء النبي ﷺ دلت على علوّ رتبته، وسموّ درجته. وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه، وفضيلته.

وقد ذكر الله تعالى للقرآن مائة اسم نسوقها على نسقٍ واحد. ويأتى تفسيرها في مواضعها من البصائر... [ثم ذكر تسعة وثمانين اسماً من أسماء القرآن، فحذفنا ما تكرر منها، فبقي سبعة وأربعون اسماً كما يلي:]

- الأول - الحق ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ﴾.
- الثاني - الحكيم ﴿يَسَّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾.
- الثالث - المنير ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾.
- الرابع - المبشّر ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- الخامس - المفصّل ﴿الْكِتَابِ مُفَصَّلًا﴾.
- السادس - الصدّق ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾.

- السابع - ذكرى ﴿وَذِكْرِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾.
- الثامن - محكمة ﴿سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾.
- التاسع - الإنزال ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾.
- العاشر - المنزل ﴿مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ﴾.
- الحادي عشر - البينة ﴿بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.
- الثاني عشر - الوحي ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.
- الثالث عشر - الرسالة ﴿فَمَا بَلَغَتْ رَسُولُهُ﴾.
- الرابع عشر - قِيَمَةٌ ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ﴾.
- الخامس عشر - الكلام ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾.
- السادس عشر - الكلمات ﴿مَا نَقَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾.
- السابع عشر - الكلمة ﴿وَوَكَّمتُ كَلِمَةً رَبَّكَ﴾.
- الثامن عشر - الآيات ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾.
- التاسع عشر - البيّنات ﴿بَلْ هُوَ آيَاتُ بَيِّنَاتٍ﴾.
- العشرون - الفضل ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾.
- الحادي والعشرون - القول ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾.
- الثاني والعشرون - القيل ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾.
- الثالث والعشرون - الحديث ﴿فَبَإِى حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.
- الرابع والعشرون - العربي ﴿قُرْأْنَا عَرَبِيًّا﴾.
- الخامس والعشرون - الخير ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾.
- السادس والعشرون - البالغة ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾.
- السابع والعشرون - الحق ﴿وَأَنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾.
- الثامن والعشرون - المتشابه والمثاني ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾.

التاسع والعشرون - الغيب ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.
 الثلاثون - الصراط المستقيم ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.
 الحادي والثلاثون - المبين ﴿قُرْآنٌ مُبِينٌ﴾.
 الثاني والثلاثون - الحجة ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾.
 الثالث والثلاثون - المثل ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾.
 الرابع والثلاثون - العجب ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾.
 الخامس والثلاثون - الأثارة ﴿وَأَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي ما يؤثر عن الأولين، أي يروى عنهم.
 السادس والثلاثون - القسط ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾.
 السابع والثلاثون - الإمام ﴿يَوْمَ تَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾.
 الثامن والثلاثون - الكوثر ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.
 التاسع والثلاثون - الماء ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾.
 الأربعون - المتلوة ﴿يَتْلُوهُ حَقٌّ تِلَاوَتِهِ﴾.
 الحادي والأربعون - المقروء ﴿لَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾.
 الثاني والأربعون - العدل ﴿كَلِمَتٌ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾.
 الثالث والأربعون - المسطور ﴿وَكِتَابٌ مَسْطُورٌ﴾.
 الرابع والأربعون - الثقيل ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.
 الخامس والأربعون - المرتل ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾.
 السادس والأربعون - التفسير ﴿وَإِخْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.
 السابع والأربعون ﴿مَائِثَتُهُ بِهِ فُؤَادُكَ﴾.
 ومنها الصُّحُفُ، والمكْرَمُ: والمرفوع، والمطهر ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾.
 ومن أسماء القرآن الواردة في الحديث النبوي: القرآن، حُبْلُ اللَّهِ الْمُتَيْنِ، وشفَاؤُهُ النَّافِعُ، بحرٌ لا ينقضي عجائبه، والمرشد: مَنْ عَمِلَ بِهِ رَشَدٌ، المعدل: مَنْ حَكَمَ بِهِ عَدْلٌ. المعتصم الهادي: مَنْ

اعتصم به هُدي إلى صراط مستقيم. العِصْمة: عِصْمة لمن تَسَكَّ به. قاصم الظُّهر: من بذله من جَبَّار قصمه الله: ما ذُبه الله في أرضه. التَّجاة. ونجاة لمن اتبعه التَّبَا، والخبر: «فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم». الدَّافع: يدفع عن تالي القرآن بِلَوَى الآخرة. صاحب المؤمن يقول القرآن للمؤمن يوم القيامة: أنا صاحبك كلام الرَّحْمَنِ. الحَرَس من الشَّيْطَان. الرَّجْحَان في الميزان.

فهذا الكتاب الذي أُنِيَ الله أن يُؤْتى بمثله ولو كان النَّاس بعضهم لبعض ظهيرًا. وذلك لأنَّه كتاب جاء من غيب الغيب، بعالم من العِلْم، وصل إلى القول، ومن (القول إلى القلم، ومن القلم إلى صفحة اللُّوح، إلى حدِّ الوحي ومن) الوحي إلى سفارة الرُّوح الأمين، ومن سفارته إلى حضرة النَّبوة العُظمى. واتَّصل منها إلى أهل الولاية، حتَّى أشعلوا سُرُج الهداية، وظفروا منها بكاف الكفاية، فلم يزل متعلِّقة بحروفها وكلماته الرَّاحة، فالرَّحمة، والعزة، والتَّعْمة، ففي حال الحياة للمؤمن رقيب، وبعد الوفاة له رفيق، وفي القبر له عدل؛ وفي القيامة له دليل، وميزان طاعته به ثقل. وفي عَرَصات الحشر له شفيع وكفيل، وعلى الصَّراط له سائق ورَّسِيل، وفي الجَنَّة أبد الآبدين له أنيس وخليل. جعله الله لنا شفيعًا، ومُنزِّلًا بالعلم والعمل بما فيه رفيعةً.

(١: ٨٨-٩٦)

الفصل السادس عشر

نصّ السيوطي (م: ٩١١) في «الإتقان في علوم القرآن»^١

في معرفة أسمائه وأسماء سُورِهِ

قال الجاحظ: سَمَّى الله كتابه اسماً مخالفاً لما سَمَّى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل. سَمَّى جملة قرآنًا، كما سَمَّوا ديوانًا، وبعضه سورة كقصيدة وبعضها آية كالبيت وآخرها فاصلة كقافية. وقال أبو المعالي عَزَّيْزٌ بن عبد الملك المعروف بـ «شَيْذَلَة» في كتاب «البرهان»: اعلم! أنَّ الله سَمَّى القرآن بخمسة وخمسين اسمًا... [وذكر كما تقدّم نحوه عن الزَّرْكَشِيِّ، ثم قال:] فأمّا تسميته كتابًا فلجمعه أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه، والكتاب لغة: الجمع.

وأما المبین، لأنه أبان أي أظهر الحق من الباطل.

وأما القرآن فاختلّف فيه... [وذكر كما تقدّم عن الزَّرْكَشِيِّ، ثم قال:]

واختلف القائلون بأنه مهموز، فقال قوم منهم اللّحياني: هو مصدر لقرأت كالرّجحان

والغفران سُمِّي به الكتاب المقروء، من باب تسمية المفعول بالمصدر.

وقال آخرون منهم الزّجاج: هو وصف على «ثُغْلان» مشتق من القرء بمعنى الجمع ومنه

قرأت الماء في الحوض: أي جمعه... [ثم ذكر قول أبي عُبَيْدَةَ والراغب كما تقدّم عنهما، فقال:]

وحكى قُطْرُبٌ قولاً: أنّه إمّا سُمِّي قرآنًا لأنّ القارئ يظهره ويبيّنه من فيه أخذًا من قول

العرب: ما قرأت الثّاقة سَلًا قطّ: أي مارمت بولد، أي ما أسقطت ولدًا: أي ما حملت قطّ،

١ - وذكر مثله أيضًا في كتابه الآخر: «مترك الأقران في إعجاز القرآن» ٢: ٣٢٦-٣٣٢. (م)

والقرآن يلفظه القارئ من فيه ويلقيه فسُمِّي قرآنًا.

قلت: والمختار عندي في هذه المسألة ما نصَّ عليه الشافعي.

وأما الكلام فمشتق من الكلم بمعنى التأثير لآئه يؤثر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده.

وأما التور فلائه يدرك به غوامض الحلال والحرام.

وأما الهدى فلا نفيه الدلالة على الحق، وهو من باب إطلاق المصدر على الفاعل مبالغة.

وأما الفرقان فلائه فرق بين الحق والباطل، وجهه بذلك مجاهد، كما أخرجه ابن أبي حاتم.

وأما الشفاء فلائه يشفي من الأمراض القلبية، كالكفر والجهل والغل، والبدنية أيضًا.

وأما الذكر فلما فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية، والذكر أيضًا الشرف، قال تعالى:

﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^١، أي شرف، لآئه بلغتهم.

وأما الحكمة فلائه نزل على قانون المعبر من وضع كل شيء في محله، أو لآئه مشتمل

على الحكمة.

وأما الحكيم فلائه أخفيت آياته بعجيب التظم وديع المعاني، وأحكمت عن تطرّق

التبديل والتحريف والاختلاف والتباين.

وأما المهين فلائه شاهد على جميع الكُتب والأمم السالفة.

وأما الحبل فلائه من تمسك به وصل إلى الجنة أو الهدى، والحبل: السبب.

وأما الصراط المستقيم فلائه طريق إلى الجنة، قويم لا عوج فيه.

وأما المثاني فلا نفيه بيان قصص الأمم الماضية، فهو ثانٍ لما تقدّمه. وقيل: لتكرّر

القصص والمواعظ فيه، وقيل: لآئه نزل مرّة بالمعنى ومرّة باللفظ والمعنى، لقوله: ﴿إِنَّ هَذَا

لَنِي الصَّحْفِ الْأَوَّلِ﴾ حكاه الكرماني في «عجائبه».

وأما المتشابه فلائه يشبه بعضه بعضًا في الحسن والصدق.

وَأَمَّا الرُّوحُ فَلَأَنَّهُ تَحْيَا بِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَنْفُسُ .

وَأَمَّا الْمَجِيدُ فَلشرفه .

وَأَمَّا الْعَزِيزُ فَلَأَنَّهُ يَعَزُّ عَلَى مَنْ يَرُومُ مَعَارَضَتَهُ .

وَأَمَّا السِّبْلَاغُ فَلَأَنَّهُ أَبْلَغُ بِهِ النَّاسَ مَا أَمْرُوا بِهِ وَنُهِوا عَنْهُ، أَوْلَانٌ فِيهِ بِلَاغَةٌ وَكِفَايَةٌ عَنْ غَيْرِهِ .

.. [وذكر قول السلفي كما تقدم عن الزركشي، فقال:]

وذكر أبو شامة وغيره في قوله تعالى: ﴿وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^١ أَنَّهُ الْقُرْآنُ .

فائدة

[بعد نقل قول المظفري، كما تقدم عن الزركشي قال]

قلت: أخرج ابن أشتة في كتاب «المصاحف» من طريق موسى بن عتبة عن ابن شهاب قال: لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق، قال أبو بكر: التمسوا له اسماً فقال بعضهم: السُّفْرُ، وقال بعضهم: المُصْحَفُ، فإنَّ الحبشة يسمونه المُصْحَفُ . وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسمَّاهُ المُصْحَفُ . ثمَّ أوردته من طريق آخر عن ابن بُريدة .

فائدة ثانية

أخرج ابن الضريس وغيره عن كعب، قال: في التَّوراة: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي مَنَزَّلُ عَلَيْكَ تَوْرَةً حَديثَةً تَفْتَحُ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا . وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة، قال: لما أخذ موسى الألواح، قال: يا ربِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةً أَنَا جِئِلُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي . قال: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ . ففي هذين الأثرين تسمية القرآن تَوْرَةً وَإِنْجِيلًا، ومع هذا لا يجوز الآن أن يطلق عليه ذلك، وهذا كما سميت التَّوراة فرقاءً في قوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾^٢ وَسَمَّى ﷺ قُرْآنًا في قوله: «خَفَّفَ عَلَى دَاوُدَ الْقُرْآنَ» . (١: ١٧٨-١٨٥)

الفصل السابع عشر

نص صدر المتألهين (م: ١٠٥٠) في «تفسير القرآن الكريم»

الوصف العرفاني للقرآن الكريم

اعلم أيها القارئ! أن القرآن... هو نورٌ يهتدي به في ظلمات البر والبحر، ودواءٌ من كل داءٍ وضُرٍّ، إذا رفع نقاب العزة عن وجهه، وكشف جلابب العظمة والكبرياء عن لَبِّه وحقيقته، وانقشع سحاب الاحتجاب، ورفع الاختفاء، والتمتع عن وجوه شمس آياته ورموزه، وأنوار تجلياته وكنوزه، يشفي كلَّ عليلٍ داء الجهل والشقاوة، ويروي كلَّ غليلٍ طلب الحق والسعادة، ويداوي كلَّ مريض القلب بعِلل الأخلاق الذميمة المزمنة، وأسقام الجهالات المهلكة، وتنور بنور أبصار بصائر القلوب، ويستعدّ للقاء الله علام السرائر والغيوب، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^١.

وقد روي عن رسول الله ﷺ: «القرآن هو الدواء»^٢، ورؤي عنه ﷺ أيضاً: «القرآن غنى لا فقر بعده»^٣.

والقرآن هو حبل الله المتين الذي نزل إلى العالم الأسفل، لنجاة المحبوسين في سجن الدنيا، المقيدين بسلاسل التعلقات وأغلال الأتقال والأوزار، من حُبِّ الأهل والولد والمال، وشهوة

١- المائدة: ١٥-١٦.

٢- بحار الأنوار: ٩٢: ١٧٨.

٣- نفس المصدر: ٩٢: ١٩.

البطن والفرج والحرص والآمال وخسران الآخرة والمآل، لوجدان العاجل والحال، وهو مع عظمة قدر حقيقته ومغزاه ورفعة سره ومعناه، مما تلبس بلباس الحروف والأصوات، واكتسب بكسوة الألفاظ والعبارات، رحمة من الله وشفقة على عباده، وتأنيساً لهم، وتقريباً إليهم، وإلى أفهامهم، ومداراة معهم، ومنازلتهم إلى أذواقهم، وإلا فما للتراب ورب الأرباب، ففي كل حرف من حروفه ألف غنج ودلال، وغمز وجلب قلوب لأهل الأحوال، فوقع فيه النداء لتخليص الأسراء من قيد هذا المهوى وسجن هذا الدنيا، بقوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^١.

فبسطت شبكة الحروف والأصوات مع حبوب المعاني، لاصطياد طيور السماوات، ولكل طير من الطيور النفسانية رزق خاص معلوم، كما لكل ملك في السماء والأرض مقام معلوم، يعرف ذلك منشئها ومبدعها، وإثما الغرض الأصلي من بسط الشبكة في الأرض اصطياد نوع خاص منها برزق مخصوص معلوم من العلوم، ولُبُّ حَبٍّ خاصٍّ من لُبوب الحبوب دون غيرهم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٢، وإلا فما من رزق إلا ويوجد في القرآن نوع من لُبه وقشره وأصله وفرعه وسُبله وتبته، متاعاً لكم ولأنعامكم، لقوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^٣.

فكما يوجد فيه من الحقائق الربانية القدسية التي كانت معرفتها غذاءً للأرواح العالية العقلية، ففيه أيضاً يوجد المعارف الجزئية، والأحكام السياسية، والقصص والأخبار، والحكايات التي ينتفع بها المتوسطون في درجة التجارة من عامة أهل الإسلام، الذين لهم في التشاة الثانية ضرب من الحياة، دون المرتبة التي للهُداة المقربين، الإحياء بالحياة العقلية بالذات، ففيه الأغذية الروحانية والجسمانية الأخرويتين، المبقية للحياتين العقلانية

١- الذاريات / ٥٥.

٢- البقرة / ٦.

٣- الأنعام / ٥٩.

والتفسانية، لأهل المنزلين والجنّتين، وفيه أيضاً ما به صلاح هذه النشأة الدنيوية، كالقصص والذيات والموارث.

وقد نظمت أبياتاً فارسية في وصف القرآن، وكونه غذاءً سماوياً يختص الاغتذاء به لأرواح أهل المحبة الإلهية من نوع الإنسان، أوردت بعضاً منها هاهنا وهي هذه:

هست قرآن چون طعامی کز سماء	گشته نازل از برای اغتذاء
اغتذای آدم از لوح و قلم	اغتذاء یابد دوابّ از راه فم
﴿فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ گفته خدا	رزق انسان گشته نازل از سماء
روزی انسان رسد از آسمان	روزی حیوان بود از آش و نان
توز قرآن بنگری افسانه ها	قشر و که بینی نه مغز و دانه ها
هست بهر آدمی دهن و لبوب	تبّین و قشراز بهر حیوان فی حبوب
توز قرآن می نجوئی غیر حرف	جان دهی بهر لغت یا نحو و صرف

هیهات أنّك لست من أهل القرآن حتّى ينكشف لك أسرارہ وأغوارہ، لتعرف أنّه ما من شيء إلا وفيه بيانه وتبيانه، ولو كان من باطنك طريق إلى عالم التور والملکوت القرآني لتجلّي لك قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^١.

ولكنّ ذاخشية إلهية لازمة لإدراك عظمة الله، وذا خشوع قلبي لازم لفهم عظمة كتابه القرآني ومعاني آياته، لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^٢. وخطابات القرآن ممّا يختصّ بأحباء الله والمتألّهين والمقرّبين، لا المبعدين الباكرين المجاهدين، بمن ليس لهم نصيب في القرآن ولا لهم اغتذاء بلبوب معانيها وحقائقها المبقية للنفوس الملکوتية في دار الحیوان ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^٣.

١- الحجر / ٩.

٢- الحشر / ٢١.

٣- العنکبوت / ٦٤.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^١ وهم عن السّمع لمعزولون ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾^٢ ...

ثمّ لا يخفى على أولى التّهي أن تولّى مثل أبي لهب وأبي جهل وغيرهما عن القرآن وانعزالهم عن السّمع، ليس من جهة عدم فهمهم ترجمة القرآن، أو عدم اطلاعهم على ظاهر العربيّة وقواعد التّحو والصّرف وعلم البيان، ولا لأجل الصّم في آذانهم الجسمانيّة والعُمى في أعينهم البدنيّة والبُكم في قلوبهم الحيوانيّة، ولكن لأنّهم كانوا من أهل الغفلة والحجاب الكلّي، عمى القلوب عن مشاهدة الحقائق، صمّ العقول عن سماع ذكر الحبيب، بُكم الأرواح عن قبول دعوة الإله، واستدعاء طلب التّقرب إلى الحقّ بالإعراض عمّا سواه، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُصَىٰ فُهِمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^٣.

والقرآن غذاء للقلوب الصّافية، وبلاء للنفوس المريضة بداء الجهالة، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾^٤.

وليس المراد بالإيمان في هذا المقام ما هو بحسب الظّاهر، وإلا لما وقع التّكليف للموصوفين بهذا الظّاهر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾^٥.

ولاشبهة في أن المشتغلين بالدنيا المنهمكين في اللذات ليسوا من أهل الاهتداء بنور القرآن، ولا يمكنهم الارتقاء إلى نشأة العرفان: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ

١- العنكبوت / ٦٣.

٢- الأنفال / ٢٣.

٣- البقرة / ١٧١.

٤- فصلت / ٤٤.

٥- التّاء / ١٣٦.

وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ
سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَمَّى الْمِهَادُ * أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا نُزِّلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ
هُوَ أَغْمَى إِنْ مَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ الْآيَاتُ ١.

(١٢: ٨-٦)

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ البقرة ٢/

واعلم! أن أصل «ذلك» وهذا «ذا» وهي كلمة إشارة زيدت الكاف عليها للخطاب،
واللام للتوكيد والهاء للتنبية، فأصلها واحد، فإذا قرب الشيء أشير إليه.
ف قيل: «هذا» أي تنبأ أيها المخاطب، فيشبه أن يكون دلالة «ذلك» على البعيد عرفاً طارئاً
على أصل الوضع، للقرينة التي ذكرناها.

و«الكتاب» أصله: الكتُب وهو الجمع، ومنه: «الكتيبة» للجُند، لانضمام بعضهم إلى
بعض، وهو مصدر بمعنى المكتوب كالحساب، وقيل: سُمِّيَ به المفعول مبالغة، ثم عَبَّرَ عن
المنظوم لفظاً قبل أن يكتب، لأنه مما يكتب، كما يقال للمكتوب، كلام باعتبار أنه ما كان قبل
الكتابة. وقد مرَّ في «المفاتيح» أنهما واحد بالذات، مختلف بالإضافة، وهو إسم للقرآن، وله
أسماء كثيرة... [ثم ذكر بعض أسماء القرآن، كما تقدّم نحوها عن الزركشي].

(٢٢٦: ٢٢٧)

نصّه أيضاً في «أسرار الآيات»

في نعوت القرآن وأسمائه

اعلم! أن القرآن في اللغة بمعنى الجمع، كما أن الفرقان بمعنى الفرق والتفصيل؛ قال الله
تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ٢.
والأول - إشارة إلى العلم الإجمالي المعروف عند العلماء بالعقل البسيط، وهو العلم بجميع

الموجودات على وجه بسيط إجمالي، وذلك العقل هو فعال تفاصيل العلوم النفسانية .
والثاني - إشارة إلى العلم النفساني المتكثّر بصور عقلية حاصلة في النفوس الفاضلة ،
وربما يحصل الثاني دون الأول ، لكن الأول لا ينفك عن الثاني ، فكل قرآن لا ينفك عن الفرقان
دون العكس .

ونفس نبينا ﷺ في مقام - قاب قوسين أو أدنى - عقل بسيط قرآني متحد مع المعقولات
كلّها ، وهو قلم الحق الأول ، وكلامه بوجه ، وهو كلمة الله التامة التي فيها جوامع الكلم ، كما في
قوله ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم» .

وفي مقام آخر لوح نفسي فيه تفاصيل العلوم وصور الحقائق المرسومة فيه من قبل قلم
الحق الفعال لصور العلوم ، وتلك الصور أو محلّها هو الكتاب الفرقاني ، فهذا المصحف الذي
بين أظهرنا قرآن بوجه ، وفرقان بوجه ، وهو كلام الله بوجه ، وكتابه بوجه ، وسينكشف لك
وجوه الفرق بين كلام الله وكتابه ، وأن المنزل على سائر الأنبياء كتابه لا كلامه ، وأن
ذلك فرقان .

إذا علمت هذا فاعلم! أن من أسمائه نور، لأنه نور عقلي ينكشف به أحوال المبدأ والمعاد ،
يترأى به حقائق الأشياء ، ويهتدي به في سلوك يوم القيامة وطريق الجنة ، كما قال تعالى:
﴿ مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ
لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^١ وقال: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ
اللَّهُ مِنَ اتِّبَاعِ رِضْوَانِهِ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^٢ ، فقوله: ﴿ نُورٌ ﴾ إشارة إلى مرتبة العقل القرآني البسيط. وقوله:
﴿ كِتَابٌ ﴾ إشارة إلى مرتبة العلم التفصيلي كما قال: ﴿ كِتَابٌ قُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾^٣ وقال:

١- النّورى / ٥٢.

٢- المائدة / ١٥-١٦.

٣- قصص / ٣.

﴿الْكِتَابِ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^١ وقال: ﴿وَتَفْصِيلِ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٢.

ومن أسمائه العظام: الحكمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ﴾^٣، فإن الموجودات - أعني الممكنات - متميزة حال عدمها الكوني في علم الله الواحد، ويعلم الله تعالى بعلم واحد بسيط صور جميع الأشياء، ويراهها ويأمرها بالتكوين بأمر واحد هي كلمة «كُنْ» الوجودي، فما عند الله، بل الأمر كله في نفسه، وفي علم الله مفصل، وإن كان كله معلوماً بعلم واحد، لكن معلوماته كثيرة؛ كثرة لاثصى، وإثما وقع الإجمال في حقنا، فمن كوشف بالتفصيل في عين الإجمال، علماً أو عيناً أو حقاً، فذلك العالم الذي أعطاه الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب، وليس ذلك إلا الأنبياء ﷺ والورثة لهم من العلماء الراسخين.

وأما الفلاسفة المشهورون فليسوا من هذا المقام في شيء، ولا يعلمون التفصيل في عين الإجمال، كما يراه صاحب هذا المقام الذي أعطاه الله الحكمة وفصل الخطاب، وهذه الحكمة عناية ربانية وموهبة إلهية لا يؤتى بها إلا من قبله تعالى، كما قال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^٤.

فهذه الآية تدل على أن الحكمة من مواهب الله التي لا تحصل بمجرد السعي، بل حصولها بالمشيئة الربانية لا غير، ولأجل ذلك ذكر أنه من فضل الله في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^٥. بعد قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^٦.

١- هود/١.

٢- يونس/٣٧.

٣- ص/٢٠.

٤- البقرة/٢٦٩.

٥- الجمعة/٣.

٦- الجمعة/٤.

وفي هذه الآية إشارة إلى أن هذه الحكمة المعبر عنها تارة بالقرآن، وتارة بالتور، وعند الحكماء بالعقل البسيط، هو من فضل الله وكمال ذاته، أتاها الله لمن اختاره واصطفاه من خواص عباده ومحبيه، كملك من الملوك يعطي خلعته ولباسه المخصوص لمن أحبه من مقرّبيه، لأن الحكمة الحقّة من صفاته الذاتيّة، ولا ينالها أحد من الخلق إلا بعد تجرّده عن الدنّيا وعن نفسه بالتقوى والزهد الحقيقي، والفناء من شوائب الخليقة، والانخراط في سلك المهيمين من ملائكته وعباده المقربين حتّى يعلمه الله من لدنه علماً، ويؤتيه حكمة وخيراً كثيراً وفضلاً عظيماً ويحييه حياة طيبة، وجعل له نوراً يمضي به في ظلمات الدنّيا وبرازخ القبور، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾. فقوله: ﴿كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ أي فانيأعن غير الله باقياً به. والتور الذي يمضي به في الناس هو نور الله، كما في قوله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله».

ومن أسمائه: الروح، قوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا...﴾.^٢
ومن نعوته: الحق، قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ﴿يَلْهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِيُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا تَأْتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ﴾، ﴿الْمَرِّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَلَمَّا

١- الأنعام / ١٢٢.

٢- غافر / ١٥.

٣- الشورى / ٥٢.

٤- التعل / ١٠٢.

٥- السجدة / ٣.

٦- الرعد / ١٦.

أُتِرِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ غَفِيٌّ إِنْ مَا يَتَذَكَّرُوا أَلَا تَابُ ۝^١
ومن ألقابه الشريفة: الهدى، لأنه يهدي إلى الحق، بل هو الحق، قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ
هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ۝^٢، وقوله: ﴿وَهَدَى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ۝^٣
ومن ألقابه: الذكر، لأنه يتذكر به الأمور الآخرة وأحوال المبدأ والمعاد ﴿فَاسْتَمْسِكْ
بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ ۝^٤
ومنها: الشفاء، لأن به يقع النجاة عن الأمراض النفسانية، والأسقام الباطنية، والآلام
الأخروية، من الجهل والحسد والكبر والرياء والتفاخر والرعون والشهوة والغضب وحسب
الجاه وسائر المهلكات والأمراض التي إذا استحكمت أعيت الأطباء الروحانيين عن علاجها.
قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ
عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يَتَذَكَّرُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ۝^٥ يعني أن القرآن هدى وشفاء بالقياس إلى قوم،
وهم الذين لم يفسد قرائحهم، ولم يتغير فطرته الأصلية التي فطرهم الله عليها، وهو بعينه
ضلال بالقياس إلى من فسدت قريحته وتغيرت فطرته، كما أن نور الشمس يقوي الأبصار
وهو عَمَى للخفافيش، كما في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝^٦ وقوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا
الْفَاسِقِينَ ۝^٧

١- الرعد/١٩.

٢- الزمر/ ٢٣.

٣- البقرة/ ٣-٢.

٤- الزخرف/ ٤٣-٤٤.

٥- فصلت/ ٤٤.

٦- البقرة/ ١٠.

٧- البقرة/ ٢٦.

ومنها: الهدى والرحمة: قوله: ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^١. وصفات القرآن ونعوته كثيرة، يؤدي ذكرها إلى الإطناب فاكثفينا بما ذكر، لأنه كاف للمتدبر المستبصر.

(٤١-٣٦)

نصّه أيضاً في «مفاتيح الغيب»

[حُجُبُ الْقُرْآنِ وَأَسْمَاءُهُ]

أَيُّهَا الرَّجُلُ! إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ إِلَى الْخَلْقِ مَعَ آلَافِ الْحُجُبِ، لِأَجْلِ تَفْهِيمِ ضَعْفَاءِ الْعُقُولِ، خَفَافِشِ الْإِبْصَارِ، فَلَوْ «عَرَشَ» بَاءُ بِسْمِ اللَّهِ مَعَ عَظَمَتِهِ الَّتِي كَانَتْ لَهُ نَزْلٌ إِلَى الْفُرْشِ وَاضْمَحَلَّ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿لَوْ أَرْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^٢، إشارة إلى هذا المعنى، رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا قَالُ كَاشِفًا هَذَا الْمَعْنَى: كُلَّ حَرْفٍ فِي اللَّوْحِ أَعْظَمُ مِنْ جَبَلٍ قَافٍ، وَهَذَا اللَّوْحُ هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾^٣ وَهَذَا الْقَافُ هُوَ رَمَزٌ إِلَى مَا فِي قَوْلِهِ: ﴿قَدْ وَقَّ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ﴾^٤ فَإِنَّ الْقُرْآنَ وَإِنْ كَانَ حَقِيقَةً وَاحِدَةً، إِلَّا أَنَّهَا مَرَاتِبُ كَثِيرَةٌ فِي التَّزْوِيلِ، وَأَسْمَاءُ بِحَسَبِهَا مُخْتَلِفَةٌ، فَبِئْسَ كُلُّ عَالَمٍ وَنَشْأَةٍ يَسْمَى بِاسْمٍ مُنَاسِبٍ لِمَقَامِهِ الْخَاصِّ، وَمَنْزِلِهِ الْمَعْيَنِ، كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ الْكَامِلَ حَقِيقَةً وَاحِدَةً، وَلَهُ أَطْوَارٌ وَمَقَامَاتٌ وَدَرَجَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي الصُّعُودِ وَأَسْمَاءُ مُخْتَلِفَةٌ، وَلَهُ بِحَسَبِ كُلِّ طَوْرٍ وَمَقَامٍ اسْمٌ خَاصٌّ.

أَمَّا الْقُرْآنُ فَفِي عَالَمٍ يَسْمَى بِالْمَجِيدِ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾^٥، وَآخِرُ اسْمِهِ عَزِيزٌ: ﴿إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾^٦، وَفِي آخِرِ اسْمِهِ عَلِيٌّ حَكِيمٌ: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ

١- التحل / ٦٤.

٢- المحشر / ٢١.

٣- البروج / ٢٢.

٤- ق / ١.

٥- البروج / ٢١.

٦- فصلت / ٤١.

حَكِيمٌ ﴿١﴾ وفي آخر كريم: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٢﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٣﴾ ...
 وله ألف ألف من أسامي لا يمكن سماعها بالأسماع الظاهرة، ولو كنت ذا سمع باطني في عالم
 العشق الحقيقي والمحبة الإلهية، لكنت بمن تسمع أسماءه وتشاهد أطواره. (٢٢-٢٣)

١- الزخرف / ٤.

٢- الواقعة / ٧٧-٧٨.

الفصل الثامن عشر

نص الطَّرِيحِيّ (م: ١٠٨٥) في «مجمع البحرين...»

[أسامي القرآن]

١- القرآن، قوله تعالى: ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^١ أي جمعه في صدرك وإثبات قراءته في لسانك، ﴿فَإِذَا قُرْآنُهُ﴾ جعل قراءة جبرئيل قراءته، قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي فكن مقفياً له فيه، فهو مصدر مضاف إلى المفعول أي قراءة تك إياه، قوله تعالى: ﴿سَنَقْرُوكَ فَلَا تَمَسُّهُ﴾^٢ الإقراء: الأخذ على القارئ بالاستماع لتقويم الزلل، والقارئ: التالي، وأصله الجمع، لأنه يجمع الحروف، أي سنأخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى ذلك، ومعناه سيقرا عليك جبرئيل بأمرنا فتحفظ فلا تنساه، والتسيان: ذهاب المعنى عن النفس، ونظيره السهو، ونقيضه الذكر، كذا ذكره الشيخ أبو علي.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَأْتُوا الْقُرْآنَ﴾^٣ هو اسم لكتاب الله تعالى خاصة لا يسمى به غيره، وإنما سمي قرآناً لأنه يجمع السور ويضمها، وقيل: لأنه جمع القصص والأمر والتهى والوعيد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران، يقال: «فلان يقرأ قرآنًا حسنًا» أي قراءة حسنة.

(١: ٣٣٦-٣٣٧)

١- القيامة / ١٧.

٢- الأعلى / ٦.

٣- التمل / ٩٢.

٢- الكتاب، قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^١، القرآن والحكمة هي الشريعة وبيان الأحكام.

قوله: ﴿وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ﴾^٢، أراد بالكتاب القرآن، وهو المبين الذي أنزل عليهم بلغتهم، وقيل: الذي أبان طريق الهدى وما يحتاج إليه الأمة من الحلال والحرام وشرائع الإسلام.

قوله: ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾^٣ في رقٍّ منشورٍ^٤؛
قيل: هو التوراة.

وقيل: هو صحائف الأعمال.

وقيل: القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ. (١٥٣: ٢)

٣- الفرقان، وقوله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾^٥ أي بيّناه عند من خفف من: فَرَقَ يَفْرُق. ومن شدد قال: أنزلناه مفرقًا في أيام.

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾^٦، الفرقان: القرآن وكل ما فرق به بين الحق والباطل فهو فرقان، والآية من الثاني. وفي الحديث: «الفرقان المحكم الواجب العمل به، والقرآن جملة الكتاب».

قوله: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾^٧ أي نصرًا، ويقال: أي هداية من قلوبكم، تفرق بين الحق والباطل. (٢٢٤: ٥)

٤- الذكر، ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾^٨ قيل: لما فيه من قصص الأولين والآخريين.

١- البقرة / ١٥١.

٢- الدخان / ٢.

٣- الطور / ٢- ٣.

٤- الإسراء / ١٠٦.

٥- الأنبياء / ٤٨.

٦- الأنفال / ٢٩.

قوله: ﴿ءَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾^١، الذِّكْرُ من أسماء القرآن، سُمِّيَ به لأنه لا يذكر ويذكر به المنزل عليه والمؤمن به والعامل والتَّالي فيفيدة.

﴿وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ﴾^٢ أي المحكم الذي أحكمت آياته أو المتضمن للحكمة. (٣: ٣١١)

٥- التور، قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٣ والتور: الضياء، وهو خلاف الظلمة وسمي النبي ﷺ نوراً للدلالات الواضحة التي لاحت منه البصائر، وسمي القرآن نوراً للمعاني التي تخرج الناس من ظلمات الكفر، ويمكن أن يقال: سمي نفسه تعالى نوراً لما اختص به من إشراق الجلال وسبحات العظم التي تضمحل الأنوار دونها، وعلى هذا الحاجة إلى التأويل، وجمع التور أنوار. (٣: ٥٠٥)

٦- المبارك، قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابُ أَنْزِلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾^٤، قال المفسرون: هذا - أعني القرآن - أنزلناه من السماء إلى الأرض مباركاً. وإنما سماه مباركاً لأنه ممدوح كل من تمسك به نال الفوز، ولأن قرائته خير، والعمل به خير، وفيه علم الأولين والآخرين، وفيه مغفرة للذنوب، وفيه الحلال والحرام. وقيل: البركة: الزيادة، والقرآن مبارك لما فيه من زيادة البيان على الكتب السماوية، لأنه ناسخ لا يرد عليه نسخ، فبقاؤه إلى آخر التكليف. (٥: ٢٥٨)

٧- أحسن الحديث، قوله: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾^٥ يعني القرآن، بدليل قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾^٦، وقيل: هو أن يأتي بالأمور به ويترك المنهي عنه... قوله: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، قال: القرآن. (٦: ٢٣٢-٢٣٣)

١- ص/٨.

٢- آل عمران / ٥٨.

٣- التور / ٣٥.

٤- الأنعام / ٩٢.

٥- الزمر / ٥٥.

٦- الزمر / ٢٣.

الفصل التاسع عشر

نصّ البروجرديّ (م: ١٢٧٧) في «تفسير الصّراط المستقيم»

في أسمائه وألقابه

اعلم! أن الشيء كلما كثرت شئونه وآناره، وتحلّت أشعته وأنواره، تعدّدت أسماءه وألقابه، فهذا التوراللامع، والضيّاء الساطع، والكتاب المبين، وحبل الله المتين، والماء المعين، والمنهج القويم، والصّراط المستقيم، لما كان مطلع أنواره العناية والهداية، ومنبع أسرار التبوّة والولاية، أشرقت تجلّيات أنواره على أفق التشريع والتكوين، وظهر من رشّحات لمعات أشعته جميع العالمين، ولذا تكثّرت أسماءه الشريفة، وتعدّدت ألقابه المنيفة، ونحن نكتفي في الإشارة إليها بالإجمال عن التفصيل حذرًا من التطويل.

١- القرآن: فمنها القرآن؛ قيل: إنّه غير مشتقّ كاللّوة والإنجيل، إلّا أن الأظهر الأشهر اشتقاقه، فإنّه في الأصل مصدر ثالث لقراءَ - كَمَعَ أو نَصَرَ على ما قيل - يقرأ قرأ بالفتح، وقراءة بالكسر، وقرأنا بالضمّ، بمعنى الجمع أو التبليغ أو التلاوة.

قال في «القاموس»: القرآن: التّزِيل...^١

وفي «المصباح المنير»: قرأتُ أمّ الكتاب وبأَمّ الكتاب - يتعدّي بنفسه وبالباء - قراءةً وقرأنا، استعمل القرآن اسمًا مثل الشكران والكفران، وإذا أطلق انصرف شرعًا إلى المعنى القائم بالنفس، ولغة إلى الحروف المقطّعة، لأنّها هي التي تقرأ، نحو كتبت القرآن ومسّسته،

والفاعل قارئ، والجمع قرءة وقراء وقارئون، مثل كافرو وكفرة وكفار وكافرون... [ثم ذكر قول الطريحي، كما تقدم عنه، فقال:]

قلت: فقد اتضح من هذا أنه في الأصل مصدر، بل قد ورد إطلاقه على المعنى المصدرى أيضاً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ * فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿أي جمعه وتلاوته ولو على لسان جبرئيل أو غيره من مبلغي الوحي، أو بخلق الأصوات والحروف، وإن علينا جمعه في صدرك وإثبات قراءته في لسانك﴾، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ﴾ يعني بلسان جبرئيل أو بأحد الوجوه المتقدمة ﴿فَأَتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي قراءته وتلاوته.

ثم إنه غلب شرعاً أو متشرعاً أو عرفاً على هذا المعجز الباقي على مر الدهور باعتبار شيء من الوجوه الآتية التي منها كونه متلوّاً أو مجمعاً للسور والآيات أو الكلمات أو الحروف، ولذا يصدق على كل آية وسورة، بل على كل كلمة متميزة لذلك شخصاً أو قصداً أيضاً، وقد قال رسول الله ﷺ لغير واحد من الصحابة: «قد أنزل الله فيك قرأناً يريد آية أو أكثر أو سورة».

والبحث في أن إطلاقه على الآية أو السورة حقيقة باعتبار وضعه للكلام المنزل للإعجاز، فيطلق على القليل والكثير المهيمة في ضمن الجميع، بمعنى أنه أي فرد أخذ منه فهو فرد منها، وإن تحققت في ضمن أبعاضه أيضاً، وأنه مجاز من باب إطلاق الكل على الجزء، لأن موضوع لما بين الدفتين، أو لجميع منازل الإعجاز على خاتم الأنبياء ﷺ، وأنه حقيقة من وجه ومجاز من وجه آخر باعتبار أن له وضعين من وجهين، هين جداً لقلة الفائدة فيه، إلا في مثل التندر وأخيه والوصية ونحوها، مما يقل تجرده فيه عن القرائن الدالة على إرادة أحد الأمرين ولو باعتبار المقام أو التعليق، وعلى فرض التجرد فلعله محمول على الجميع لظهور

الانسباق وقضية الاشتغال، بل التبادر الذي لعلّه المستند للأكثر في القول بوضعه للمجموع. وبالجملة فالخطب في مثله سهل، إما الكلام في وجه المناسبة الملحوظة في التسمية به بعد أخذه من القرآن بالضم بمعنى الجمع والضم، أو بالفتح بمعنى الوقت، أو من القراءة التي هي بمعنى التلاوة، أو بمعنى القرآن يعني الاقتران، لكنّه يرجع إلى الأوّل، أو من القرينة لأنّه يفسر بعضه بعضاً، أو من القرى بمعنى الضيافة، حيث إنّه مآدبة الله لعباده.

بالجملة فالمناسبة شيء من وجوه، ككونه مجتمعاً في النزول أوّل ما أنزل في علم الأنوار في سيّد الأبرار كما ستسمع الإشارة إليه أحياناً نزل كلّ جملة واحدة في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان إلى البيت المعمور قبل أن ينزل في هذا العالم منجماً مفرّقاً في طول ثلاث وعشرين سنة، فإنّه من هذا الوجه فرقان بخلاف الأوّل، كما قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^١.

وكونه مجتمعاً لجميع الحقائق الإمكانية أو الكونية التشريعية والتكوينية، أو لجميع السُّور والآيات المنزلّة، أو لجميع الكُتُب السماوية والزُّبر الإلهية، كما ورد في التَّبْوِيّ ﷺ عنهم: «أُعْطِيَتْ السُّورُ الطُّوْلُ مكان التَّوْرَةِ، وَأُعْطِيَتْ الْمَثْنِ مكان الإنجيل، وَأُعْطِيَتْ الْمَثَانِ مكان الزُّبُور، وَفُضِّلَتْ بِالْمَفْصَلِ ثَمَانٍ وَسِتُّونَ سُورَةً، وَهُوَ مُهَيِّمٌ عَلَى سَائِرِ الْكُتُبِ»^٢ الخبر.

وكونه جملة القصص والأحكام والحلال والحرام والمواظظ والأمشال والوعد والوعيد والعذر والتذر وغيرها من تصاريف الشُّوْن والأحكام المنطبقة على كافّة الأنام، أو اشتماله على جملة وجوه الكلام من الخاصّ والعامّ والمحكم والمتشابه والمطلق والمقيّد والمجمل والمبيّن والتاسخ والمنسوخ والأمر والتهى والظاهر والمأوّل وغيرها مما تأتي إليها الإشارة، ولعلّه إليه

١- الإسراء / ١٠٦.

٢- الأصول من الكافي (كتاب فضل القرآن).

يومئ مارواه العياشي والقمي عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «الفرقان هو كل أمر محكم، والكتاب هو جملة القرآن».^١

وفي الكافي عنه عليه السلام: «القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به».^٢
وكونه مقروء، أي متلوًا على النبي صلى الله عليه وآله في هذا العالم أوقبله في عوالم السابقة، ويومئ إلى الأول قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهِ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^٣، وإلى الثاني قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾.^٤

أو أنه مما يجب على النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنون قراءته وتلاوته لقوله تعالى: ﴿فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^٥ أو أنهم يتلونونه حق تلاوته، أو أنه مما يتلى على مر الأزمان والدهور إلى يوم ينفخ في الصور، إلى غير ذلك من الوجوه التي لعلها بتمامها ملحوظة في التسمية.

٢- العظمة ٣- الحكمة ٤- المجد: ثم إنه سبحانه قد وصفه بالعظمة في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمُنَافِقِ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ﴾^٦ وبالحكمة في قوله: ﴿يَسَّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾^٧، وبالمجد في قوله: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾^٨، وبالإبانة في قوله تعالى: ﴿الرَّتْلِكَ آيَاتِ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾^٩.

[وأما عظمته] وذلك لما سمعت من أنه تدوين للمشية من حيث اجتماع مراتبها

١- تفسير العياشي ٩: ٢.

٢- الكافي ٢: ٤٦١.

٣- القيامة ١٨.

٤- الشورى ٥٢.

٥- المزمل ٢٠.

٦- الحجر ٨٧.

٧- يس ١-٢.

٨- ق ١-٢.

٩- الحجر ١١.

الكلية الإجمالية والتفصيلية، فهو مظهر العظمة الكونية، إذ لا أعظم منه في التدوين، كما أنه ليس شيء أعظم من خاتم التبيين في عالم التكوين، ولذا كان خلقه الله تعالى سبّح الله سبحانه وعظمه في حجاب العظمة ثمانين ألف سنة، إلى أن وصل إلى حجاب القدرة كما في خبر جابر وغيره، فعظمته ﷺ لعبودية المطلقة وخضوعه الدائم الكلّي، ولذا كان أول العابدين، وكان من أشرف أسمائه عبد الله حتى قدم على أعظم شأنه الذي هو الرسالة.

[وأما حكمته]: وأما حكمته فلا أنه يترشح عليه من أشعة أنوار الحكمة الكلية الأولية ما يعطي كل شيء خلقه، ويسوق إلى كل مخلوق رزقه، فيضع كل شيء في محله، ويؤدي الأمانة إلى أهله، بل الحكمة بهذا المعنى لما كانت من الصفات الفعلية الانوجدانية كانت مخلوقة في حضرة المشيئة التي هونور المحمدي، وهو أول من قرع باب الوجود قبل كل موجود، فهو الشاهد وهو المشهود، فالقرآن العظيم إذا تحقق في مقام الحكمة ظهر منه المجد والشرف والخير والبركة.

[وأما مجده]: وفي الخبر أن «المجد هو حمل المغارم وإيتاء المكارم»^١ ولا ريب أن القرآن يجبر التقصانات الإمكانية ويعطي الفيوض الربانية وبه تنال الشفاعة الكلية كما في الأخبار المتقدمة، فمن تمسك بشيء منه في الدنيا كان له في القيامة شفيعاً مشفقاً وطريقاً إليه مهياً^٢، إلا أن ظهوره في هذا العالم بالشرف إنما هو باشتماله على البيانات الواضحة والأنوار الساطعة اللاتحة، فإنه كان في مقامه ودرجته عظيماً معظماً وشريفاً مفخماً، لكنه بعد ما كان في زُبر الأولين قد نزل به الروح الأمين على قلب خاتم التبيين، ليكون به من المنذرين بلسان عربي مبين، فهذه المراتب المفصلة كالأركان الأربعة لظهوره وتجلي نوره، ولعله أشرف أسمائه، ولذا عبر عنه فيه به بعدد قوي اسم الله العظيم الأعظم، وهوسته وستون فافهم.

١ - بحار الأنوار ٧: ١٨٥، ط: القديم.

٢ - الطريحي في جمع البحرين في لغة: مجد.

٣ - المتهج فتح الميم واليا وسكون الهاء: جمع مهاج، الطريق الواسع البين.

٥- الفرقان: ومنها الفرقان بالضمّ، مصدر فرق بمعنى الفاعل. قال في القاموس: فرق بينهما فرقاً وفرقائاً بالضمّ: فصل، ﴿وَفِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^١ أي يقضي ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾^٢ أي فصلناه وأحكمناه ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾^٣ فلقناه ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًّا﴾^٤ الملائكة تنزل بالفرق بين الحقّ والباطل...

والفرقان بالضمّ، القرآن، كالفرق بالضمّ، وكلّما فرّق به بين الحقّ والباطل، والتصر، والبرهان، والصّبح، والسّحر، والصّبيان، والتّوراة، وانفراق البحر، ومنه: ﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾^٥ ويوم الفرقان: يوم بدر، انتهى.

فالقرآن: قرآن كما قال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾^٦، لأنّه فارق بين الحقّ والباطل، فالمصدر بمعنى الفاعل.

أو لأنّ فيه تفصيل كلّ شيء من الحقائق والشرائع والأحكام والحلال والحرام، فالقرآن في رتبة الإجمال وجمعية الحقائق الكلّية، والفرقان في مقام التفصيل وتبيين المقاصد الواقعية. أو لأنّ نزوله كان منجّماً مفرّقاً في نيف وعشرين سنة، كما قال: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾^٧، ولذا ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾^٨ كما نزل سائر الكتب على الأنبياء من قبله، فأجيبوا بقوله: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ

١- الدّخان / ٤.

٢- الإسراء / ١٠٦.

٣- البقرة / ٥٠.

٤- المرسلات / ٤.

٥- البقرة / ٥٣.

٦- الفرقان / ١.

٧- الإسراء / ١٠٦.

٨- الفرقان / ٣٢.

تَرْبِيَلًا^١.

أولاًه نجاه من الآفات وعصمة من الهلكات ، كما هو أحد الوجوه في قوله : ﴿إِنْ تَشْكُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا^٢﴾.

أولاًه عون ونصرة للأبرار على الفجار . ولجنود العقل الذين هم أولياء المؤمنين على جنود الجهل وهم أحزاب الشياطين .

أولاًه برهان واضح ، ومشفق ناصح ، ودليل لائح على حقائق التوحيد والهداية ومراتب التوبة والولاية وغير ذلك من أسرار البداية والتهاية . أولاًه نور الله سبحانه أضاء بنوره ظلمة العدم ، وانفلق بأشعة تجلياته غواسق الظلم ، إلى غير ذلك من الوجوه المشتركة في إطلاقه على الجميع موافقاً للقرآن في المصدق وإن خالفه في الجملة .

لكن في «المجمع» عن مولانا الصادق عليه السلام : «القرآن جملة الكتاب ، الفرقان المحكم الواجب العمل به»^٣.

٦- الكتاب : ومنها الكتاب بالكسر : مصدر ثانٍ أو ثالث أو رابع أو من غير تقييد من كتب بمعنى جمع ، ومنه الكتيبة للجيش ، والكتب للخزير المجتمع بعضها على بعض ﴿وَكُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ^٤﴾ أي جمع ، سمي به المفعول فأطلق على ما من شأنه أن يكتب بعد . وما يقال من أنه المنظوم عبارة قبل أن يكتب ، لأنه مما يكتب ، فالمقصود عدم التقييد لا التقييد بالعدم ، وبالجملة فهو مصدر .

أو «فعال» للمفعول كاللباس ، أطلق على القرآن معرّفًا ومنكرًا ومضافًا في قوله تعالى :

١- الفرقان / ٣٢ .

٢- الأنفال / ٢٩ .

٣- الكافي ٢ : ٤٦١ .

٤- الجبالة / ٢٢ .

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، ﴿الْكِتَابُ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾^١، ﴿وَإِلَّا مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ﴾^٢،
لأنه يجمع الحقائق والأحكام.

أولاً أنه المكتوب المؤلف من الحروف والألفاظ والمعاني. أولاً لأنه يجب الأخذ بما فيه من
الشرائع والأحكام، من «كتب» بمعنى «وجب» ومنه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الصِّيَامُ﴾^٣، ﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾^٤، أولاً لأنه جرى عليه قلم القضاء في عالم التدوين
مطابقاً لما في التكوين من قوله: ﴿كُتِبَ اللَّهُ لَا غَلْبَ لَنَا وَرُسُلِي﴾^٥، أي قضى الله. أولاً لأنه نسخة
من كتاب الله الذي هو اللوح الكليّ المشتمل على المحفوظ والمحو والإنبات والألواح الجزئية،
كما هو أحد الوجهين أو الوجوه في قوله: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾^٦، وقوله:
﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^٧ إلى غير ذلك من الوجوه التي لعل
الأصل في الجميع هو الأول، فلا تغفل. ثم إنك قد سمعت أن النسبة بين الألقاب الشريفة - وهي
القرآن والفرقان والكتاب - إنما هي ببعض الاعتبارات المتقدمة، وبعض الأعلام كلمات في
المقام، لا بأس بالتعرض لها.

قال الصدر الأجل الشيرازي في عرشيته: «إن كلام الله عبارة عن إنشاء كلمات تامات،
وانزال آيات محكمات وأخر متشابهات في كسوة ألفاظ وعبارات، والكلام قرآن وفرقان
باعتبارين وهو غير الكتاب، لأنه من عالم الخلق» ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكُونُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُئُ

١- إبراهيم / ١.

٢- الكهف / ٢٧.

٣- البقرة / ١٨٣.

٤- الأنعام / ١٢.

٥- المجادلة / ٢١.

٦- الجاثية / ٢٩.

٧- التوبة / ٣٦.

بِمَبِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ^١، والكلام من عالم الأمر ومنزلة القلوب والصدور لقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ﴾^٢، وقوله: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^٣، بالكتاب يدركه كل أحد، ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾^٤، والكلام ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^٥، من أدناس عالم البشرية.

والقرآن كان خُلِقَ الَّذِي عَلَيْهِ السَّلَامُ دون الكتاب، والفرق بينهما كالفرق بين آدم وعيسى عليهما السلام: ﴿إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^٦، وآدم كتاب الله المكتوب بيدي قدرته، وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمّر^٧ وعيسى قوله الحاصل بأمره: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْثَمٍ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^٨، والمخلوق باليدين في باب التشريف ليس كالوجود بحرفين، ومن زعم خلاف ذلك أخطأ.

أقول: ولا يخفى ما في كل مقاصده وشواهد من الأنظار الواضحة، أما الكلام والكتاب

١- العنكبوت / ٤٨.

٢- الشعراء / ١٩٣-١٩٤.

٣- العنكبوت / ٤٩.

٤- الأعراف / ١٤٥.

٥- الواقعة / ٧٩.

٦- آل عمران / ٥٩.

٧- قال الفيض الكاشاني في «الصفاتي» إطلاق الكتاب على الإنسان الكامل شائع في عرف أهل الله وخواص أوليائه، قال أمير المؤمنين عليه السلام فيما نسب إليه:

وداؤك منك وما تُبصّرُ	وداؤك فيك وما تُشعرُ
وأنت الكتاب المبين الذي	بأحرفه يظهر المضمّرُ
وتزعم أنك جرم صغير	وفيك انطوى العالم الأكبرُ

٨- النساء / ١٧١.

فالفرق بينهما بما ذكره غير واضح بعد ما هو المعلوم من اشتقاق كل منهما، والآية الثانية لادلالة لها على مرامه بعد ظهور عدم سبق ذكر للكلام حتى يكون الضمير له، مضافاً إلى أن اختصاص الحكم لا يدل على اختصاص الموضوع، وأما الاستشهاد بقوله: ﴿وَكَتَبْنَا فِي الْأَوَّاحِ﴾ وقوله: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، فهو كما ترى، سيما مع ظهور كون الضمير في الثاني للكتاب أو القرآن، مع أن إطلاق المس على إدراك الحقائق مجاز، وكون إدراكه مختصاً بالمطهرين لا يتم إلا باعتبار المجموع، وأغرب من جميع ذلك تسوية الفرق بينهما للفرق بين آدم وعيسى، وكأ أنه أراد أن آدم مخلوق باليدين، لقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تُسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾^١، وأن عيسى مخلوق بالكلمتين، كقوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^٢ وأراد أن المخلوق بالكلمتين أشرف من المخلوق باليدين، لأن الأول روحاني من عالم الأمر، والثاني جسماني من عالم الخلق، وضعفه واضح من وجوه، سيما مع إبتناؤه على كون الضمير في آية التكوين لعيسى عليه السلام، وهو كما ترى.

٧- التور: ومن أسماء القرآن التور، وهو الظاهر بنفسه المظهر لغيره، ولذا ورد في أسمائه سبحانه، بل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٣، وأطلق على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^٤ على ما قيل، وإن فسّر في أخبارنا بولانا أمير المؤمنين عليه السلام، كما فسّر به قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾^٥. وإن قيل: إن المراد به القرآن، كما قيل: إنه المراد به أيضاً في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ

١- ص / ٧٥.

٢- آل عمران / ٥٩.

٣- التور / ٣٥.

٤- المائدة / ١٥.

٥- الأعراف / ١٥٧.

قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا^١، فَإِنَّ الْبِرْهَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالتَّوْرُ
هُوَ الْقُرْآنُ، وَلَا يَنَافِيهِ تَفْسِيرُهُ بِمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ع. وَعَلَى الدِّينِ الْحَقِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَتَابَى اللَّهُ إِلَيْنَا أَلَا أَنْ يُتِمَّ ثَوْرُهُ﴾^٢، بِإِعْلَاءِ التَّوْحِيدِ وَإِظْهَارِ
التَّبَوُّةِ وَالْوَلَايَةِ.

وعلى الإيمان الذي يهتدي به المؤمنون إلى الجنة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾^٣.

وعلى الهداية الحاصلة من شرح الصدر للإسلام في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ
لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾^٤...

بل يطلق على جميع سبيل السلامة ومنهاج الكرامة، كما في قوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ
اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾^٥، وقوله تعالى:
﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ
يُخْرِجُهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾^٦.

بل قد أطلق على الطهارة الحاصلة من الوضوء في قوله ﷺ: «الوضوء على الوضوء
نورٌ على نورٍ»^٧، كما ورد أنه «طهرٌ على طهرٍ»^٨.

وبالجملة يظهر من موارد استعماله في الكتاب والسنة أنه يطلق على كل حق وهداية

١- النساء / ١٧٤.

٢- التوبة / ٣٢.

٣- الحديد / ١٢.

٤- الزمر / ٢٢.

٥- المائدة / ١٦.

٦- البقرة / ٢٥٧.

٧- وسائل الشيعة ١: ٢٦٥.

٨- نفس المصدر ١: ٢٦٤.

ورشاد، كما أن ضده الذي هو الظلمة يطلق على كل باطل وضلالة وغى، وإن كان إطلاق كل منهما على ما يطلق عليه على وجه التشكيك، فأعظم الأنوار نور أشرق من صبح الأزل، فظهر آثاره على هياكل التوحيد، ومظاهر التمجيد والتفريد، وهم الأئمة الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) في مقام المفعول المطلق، والتور هو الفعل كما في الرضوي المذكور في «العيون»^١.

وصبح الأزل هو اسم الفاعل بالصفات الفعلية وشؤون الفاعلية في أفق التجلي والظهور، وتدوين أطوار هذا الطور في كتاب مسطور، في رق منشور، يقرأه بقراءة حروف نفسه من في قلبه إشراق من البيت المعمور ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^٢.

٨- المصحف: ومنها المصحف، قال الراغب: المصحف ما جعل جامعاً للصُّحف المكتوبة، وجمعه مصاحف، وعن الفيومي: ضم الميم أشهر من كسرهما، ولم يذكر الفتح، لكن في القاموس: المصحف مثلثة الميم من أصحف بالضم، أي جعلت فيه الصُّحف، وكأنه باعتبار الوعاء الظرفي، أو الاحتواء العلمي، والمراد في المقام الثاني لاحتواء القرآن على ما في جميع الصُّحف، وهي الكتب النقشية واللفظية والكونية.

وفي محاضرات الأوائل «نقلًا عن «الإتقان» للسيوطي: أول من سمى المصحف... [وذكر كما تقدّم عنه].

٩- الذكر ١٠- التذكرة ١١- الذكرى: قال سبحانه: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾^٣. ﴿وَإِلَهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^٤. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ﴾^٥. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾^٦.

١- عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٧٣.

٢- التور / ٤٠.

٣- الأنبياء / ٥٠.

٤- الزخرف / ٤٤.

٥- يس / ٦٩.

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾^١، ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ^٢، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الذي أطلق الذكر فيها عليه. وإن أطلق في قوله تعالى: ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾^٣ وقوله تعالى: ﴿ذِكْرًا رَسُولًا﴾^٤، وقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ﴾^٥، على وجهه على رسول الله ﷺ، وفي بعض الآيات على مولانا أمير المؤمنين عليه السلام...

وفي خبر سعد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^٦، قال: «التَّهْيِ كلام، والفحشاء والمنكر رجال، ونحن ذكر الله، ونحن أكبر»^٧.

ويطلق أيضاً على مطلق الوحي والآيات النازلة، كما في قوله تعالى: ﴿فَالْمُلقِيَاتِ ذِكْرًا﴾^٨، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾^٩، أي من بعد الكتب كلها. ووجه الإطلاق في الجميع:

أته مذكور من الله تكويناً أو تشريعاً.

أو أنه ذكر منه، ذكر به عبادته بالحقائق والشرائع والأحكام والحلال والحرام.

أو أنه ذكر وشرف وفخروكرامة في نفسه من الله، كأته تجوهر الشرف به، أو لمن آمن به والتزم مشايعته ومتابعته.

أو أنه تذكرة من الله لعباده، ليهلك من هلك به عن بيئته ويحيى من حي به عن بيئته ﴿وَإِنَّهُ

١- آل عمران / ٥٨.

٢- الحجر / ٦.

٣- التحل / ٤٣.

٤- الطلاق / ١٠-١١.

٥- العنكبوت / ٤٥.

٦- العنكبوت / ٤٥.

٧- الأصول من الكافي - كتاب فضل القرآن - الحديث الأول.

٨- المرسلات / ٥.

٩- الأنبياء / ١٠٥.

لَتَذَكِّرَ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ ...

١٢- الْحُكْمُ ١٣- الْحِكْمَةُ ١٤- الْحَكِيمُ ١٥- الْمُحْكَمُ:

فالأول - ﴿وَكَذَٰلِكَ أُنزِلْنَآهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾^١، وإن أطلق أيضًا على الكمال في العلم والعمل في قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَٱلْحَقِّقِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾^٢، ﴿فَوَهَّبْ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾^٣، وعلى الحكم بين الناس في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْبَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ ٱللَّهِ﴾^٤، وعلى ما يجري به قضاؤه سبحانه في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾^٥، وعلى الكتاب والحكمة في قوله تعالى في يحيى: ﴿وَٱتَّيْنَاهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^٦.

والثاني - ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^٧، على ما روي في «مصباح الشريعة» من تفسير مولانا الصادق عليه السلام، وإن كان أحد الوجوه في الآية قال عليه السلام: أي لا يعلم ما أودعت وهيات في الحكمة إلا من استخلصته لنفسه وخصته بها، والحكمة هي الكتاب^٨، الخبر كما هو أظهر الوجوه أو أحدها في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَآتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾^٩، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّيْنَاهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ

١- الحاقة / ٤٨.

٢- الرعد / ٣٧.

٣- الشعراء / ٨٣.

٤- الشعراء / ٢١.

٥- المائدة / ٥٠.

٦- القلم / ٤٨.

٧- مريم / ١٢.

٨- البقرة / ٢٦٩.

٩- تفسير الصافي عن القمي: ٢٢٨.

١٠- الأحزاب / ٣٤.

الْخُطَابِ^١...

والثالث- ﴿وَالذِّكْرَ الْحَكِيمَ﴾^٢، ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾^٣.

والرابع- ﴿الرَّكَابَ أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ﴾^٤، ﴿مِنهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^٥.

وهذه المادة وإن كانت مأخوذة من الأحكام والإتقان، أو حكمة اللجام بالتحريك، لما أحاط بجنكي الفرس من لجامه، إلا أن المقصود منها العلم بوجه الشيء وحقيقته، ومن هنا يطلق على الثبوة والعدل والموعظة والكتاب والتوراة والإنجيل والعلوم الحقة والآداب الدينية وغيرها مما يرجع إلى ما سمعت ولو على بعض الوجوه.

١٦- الهدى: بمعنى العلم والهداية وما يهتدي به على وجه الإرادة أو الإيصال أو معاً، والوجوه مجتمعة في القرآن فإنه ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^٦، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^٧، ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^٨.
ولظهور أنوار الهداية منه ظهوراً تاماً عاماً متشعشعاً، قالت الجن لما سمعته: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾^٩، وقالوا أيضاً: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابَ الْإِزْلِ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾^{١٠}.

١- ص / ٢٠.

٢- آل عمران، ٥٨.

٣- يس / ٢.

٤- آل عمران / ٧.

٥- البقرة / ٢.

٦- التحل / ٨٩.

٧- الإسراء / ٩.

٨- الجن / ٢١-٢٢.

٩- الأحقاف / ٣٠.

١٧- التنزيل: [كقوله]: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^١، ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾^٢، والتفعيل للتكثير، لكثرة مراتب نزوله إلى أن وصل إلى هذا العالم، وذلك لعلو رتبته وارتفاع درجته، ولذا عبّر بالمصدر المنبئ عن مقام الفعل لا الاسم.

١٨- الروح: ﴿يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^٣، قال مولانا الباقري رحمه الله: «إنه الكتاب والنبوة»^٤.

قلت: وذلك لأنه يحیی به القلوب الميتة بالجهل وظلمة المعاصي، وهو من عالم الأمر لا الخلق، وإن تنزل إليه ففي تفصيل، لذكر مبدئه ومنتهاه، وستسمع تمام الكلام في حقيقة الروح وأقسامه وخصوص روح القدس والروح من أمر الرب والروح الأمين، وأن القرآن هو الروح من أمر الرب ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾^٥، ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾^٦، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^٧.

١٩- البيان: ومنها غير ذلك من الألقاب الكثيرة التي أكثرها على وجه التوصيف والتعبير كالبيان: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾^٨، على حد قولهم: زيد عدل، لظهور هداياته ودلالته.

٢٠- التبيان: [كقوله]: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^٩.

١- الشعراء / ١٩٢-١٩٣.

٢- فصلت / ٢-٣.

٣- التحل / ٢.

٤- الصافي (مرسلًا) / ٨١٦.

٥- النجاشي / ٥٢.

٦- التحل / ١٠٢.

٧- الشعراء / ١٩٣.

٨- آل عمران / ١٣٨.

٩- التحل / ٨٩.

٢١- المبين: [كقوله]: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾^١.

٢٢- الحبل: [كقوله]: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾، على أحد الوجوه بل كلها، لاتحادها في المعنى.

٢٣- الشفاء ٢٤- الرحمة: [كقوله]: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^٢، ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾^٣، لأنه شفاء من جميع الأمراض الظاهرة والباطنة التي أعظمها الجهل والتفارق والكفر والفسوق وغيرها من الأمراض التفسائية والأخلاق الرذيلة والانحرافات القلبية والقلبية.

وفي «الكافي» عنهم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾، قال: «مِنْ نَفْسِ الشَّيْطَانِ»^٤.

وفي «الإهليلجة»^٥ عن الصادق عليه السلام: «أُتِيَ شِفَاءً مِنْ أَمْرَاضِ الْخَوَاطِرِ وَمَشْتَبِهَاتِ الْأُمُورِ»^٦. وروى العياشي عن الصادق عليه السلام: «أُتِيَ شَكِي رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَجَعًا فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ عليه السلام: اسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾»^٧.

٢٥- البصائر: [كقوله]: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^٨، لأنه يوجب زيادة البصيرة ونقاوة السريرة، إذ كما أن للناس أبصاراً يدركون ويشاهدون بها الأجسام المحدودة

١- الشعراء / ٢.

٢- الإسراء / ٨٢.

٣- يونس / ٥٧.

٤- تفسير الصافي ١: ٧٥٦، ط: الإسلامية بطهران.

٥- الإهليلجة: حديث مروي عن الفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام في التوحيد.

٦- بحار الأنوار ٣: ١٥٢، ط: الآخوندی بطهران.

٧- الأصول من الكافي ٢: ٤٣٩، ط: الإسلامية بطهران.

٨- الأعراف / ٢٠٣.

الهيولانية، فذلك لقلوب المؤمنين بصائر يشاهدون بها الأمور المعنوية والحقائق التوراتية، ولذا قالوا: «إن لشيعتنا أربعة أعين»، يعني يدركون بها الحق والباطل في الظاهر والباطن.

٢٦- العروة الوثقى: [كقوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾^١، وإرادة الولاية لاتنافيه.

٢٧- العلي الحكيم: [كقوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَى حَكِيمٍ﴾^٢، على أظهر الوجوه بل أكثرها، وهو دليل على كثير مما مر فتأمل.

٢٨- العزيز: [كقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^٣، ولذا وصف بالعرّة فلا يوجد مثله، ولأنّه قهر غيره من الكتب بالتسخ ومن الأعداء بالجزية والمسخ، بل قهر كل من لم يؤمن ولم يعمل به بذلة الكفر والجهالة والجزية والخزي في الدنيا والآخرة.

٢٩- المهيمن: والمهيمن، الذي هو الرقيب الحافظ المؤمن: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾^٤، لأنه يحكم به على غيره من الكتب بالتسخ والصحة والثبات وغيرها ولا يحكم بها عليه.

٣٠- الطيب: [كقوله: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾^٥، لتنزّهه عن جميع التقصانات والعيوب، وانتشار نفحات قدسيّة وأنسه في أصقاع القلوب، واستيلاء سلطان حيطته على أسرار الغيوب.

١- البقرة / ٢٥٦.

٢- الزخرف / ٤.

٣- فصلت / ٤١-٤٢.

٤- المائدة / ٤٨.

٥- الحج / ٢٤.

٣١- القول الفصل: [كقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾^١، لأنه يفصل بين الحق والباطل، أو أنه يقضي بالحق.

٣٢- الكريم: [كقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَرُءٌ كَرِيمٌ﴾^٢. قيل: إنه تعالى سَمَّى سبعة أشياء بالكريم .. [وذكر كما تقدّم عن الفخر الرازي].

٣٣- المبارك: [كقوله: ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ﴾^٣، لكثرة بركاته وفيوضه، وتجليات أنواره وآثاره. قيل: سَمَّى الله به أشياء:

فسمّى الموضع الذي كلم به موسى مباركاً: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾^٤.

وسمّى شجرة الزيتون مباركة: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾^٥ لكثرة منافعها.

وسمّى عيسى عليه السلام مباركاً: ﴿وَجَعَلْنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾^٦.

وسمّى المطر مباركاً: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾^٧ لما فيه من المنافع.

وسمّى ليلة القدر مباركاً: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾^٨.

قلت: وسمّى الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) قرى مباركة: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ

وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾^٩، فالقرآن ذكر مبارك، أنزله ملك مبارك في ليلة مباركة على

نبي مبارك في قرى مباركة، لأن القرآن نزل فيهم وفي شيعتهم.

١- الطارق / ١٣.

٢- الواقعة / ٧٧.

٣- الأنبياء / ٥٠.

٤- القصص / ٣٠.

٥- التور / ٣٥.

٦- مريم / ٣١.

٧- ق / ٩.

٨- الدخان / ٣.

٩- سبا / ١٨.

٣٤- المنادي: بناءً على أحد التفاسير لقوله: ﴿رَبَّنَا اِنَّا سَمِعْنَا مُتَادِيًا يُبَادِي لِإِيْمَانٍ﴾^١.

٣٥- النبأ العظيم: [كقوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * اَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾]^٢، وإن فسّر في الأخبار بمولانا أمير المؤمنين عليه السلام والإمامة، كما فسّر بهما أيضاً: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾^٣، لكن التقريب قريب تماماً من قريب.

٣٦- الموعدة: [كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِدَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾]^٤، والمراد هو القرآن، وإن قال القميّ بعد ذكر الآية: قال رسول الله ﷺ: «والقرآن».

٣٧- أحسن الحديث: [كقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾]^٥، فإنه أحسن الحديث، إذ لا أحسن منه في عالم التدوين، وهو المتشابه، لآلته في مقابل المحكم، وإن كان ذلك أحد إطلاقه، بل لأن بعضه يشبه بعضاً في الإعجاز، والمثاني لأنه تكرّرت فيه الآيات.

٣٨- القصص: كما قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾^٦، أو لاشتماله على الثناء على الله سبحانه وأنبيائه وأوليائه، أو لاشتماله على المزدوجات، أو لأنه ثلثي نزوله مرة في بيت المعمور نزولاً دفعياً جليلاً، وأخرى في هذا العالم منجماً مفرقاً في ثيف عشرين سنة.

٣٩- الصراط المستقيم: [كقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾]^٧، وإن فسّر

١- آل عمران / ١٩٣.

٢- ص / ٦٧- ٦٨.

٣- النبأ / ٢.

٤- يونس / ٥٧.

٥- الزمر / ٢٣.

٦- الإسراء / ٨٩.

٧- الأنعام / ١٥٣.

بالولي وبالولاية.

٤٠- أحسن القصص: [كقوله: ﴿نَحْنُ نُقْصِّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾^١، والقصص هو الحق: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾^٢، وأصل القص والقصة اتباع الأثر، فالقرآن يتبع أثر الماضين، بل يتبع أثر جميع التكوين، لأنه مطابق معه في التدوين، ويتبع أثره الأولون والآخرون، لأن كل كتاب من الشرائع السابقة نسخة من بعضه.

٤١- التبصرة: [كقوله: ﴿تَبْصِرَةٌ وَذِكْرٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنبِئٍ﴾^٣، وقد سمعت الكلام في البصائر.

٤٢- البلاغ: [كقوله: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾^٤، فإنه كافٍ في الإعلام وفي بيان الشرائع والأحكام، وفي الإيصال إلى خير مقصد ومرام.

٤٣- الكوثر: [كقوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^٥، وهو المفرط الخير، كثير البركة، وقد فُسر: بالذرية الطيبة، ونهر في الجنة، والثبوة، والقرآن، والعلم، والعمل، وغيرها.

٤٤- الوحي: كقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾^٦.

٤٥- الحجّة البالغة: [كقوله: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^٧، على أحد الوجوه فيها، إلى غير ذلك من الألقاب الشريفة، والأوصاف الكريمة التي ورد جملة منها في الأخبار أيضاً، كالنقل الأكبر، والحبل المتين، والكهف الحصين، وجوامع الكلم، والشتافع المشفع،

١- يوسف / ٣.

٢- آل عمران / ٦٢.

٣- ق / ٨.

٤- إبراهيم / ٥٢.

٥- الكوثر / ١.

٦- الأنبياء / ٤٥.

٧- الأنعام / ١٤٩.

والصّادق المصدّق، والذّكر الحكيم، والمنهج القويم.

وفي الثّبويّ عليه السلام: «إنّه هدّى من الضّلالة، وتبيّان من العمى، واستقاله من العثرة، ونور من الظّلمة، وضياء من الأجداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدّنيا والآخرة»^١. وفيه: «إنّ هذا القرآن هو الثّور المبين، والحبل المستين، والعروة الوثقى، والدّرجة العليا، والشّفاء الأشفى، والفضيلة الكبرى، والسّعادة العظمى»^٢.

(٣٣٠-٣٠٥:١)

١- الأصول من الكافي ٢: ٤٣٩، ط: الإسلامية بطهران.

٢- تفسير الصّافي ١: ١٠ عن تفسير الإمام عليه السلام، ط: الإسلامية بطهران.

الفصل العشرون

نصّ الأصفهانيّ (م: ١٣٠٨) في «مجد البيان في تفسير القرآن»

[أسماء القرآن]

واعلم! أنّ للقرآن صفات كثيرة وصفه بها سبحانه، يشهد بحقيقتها العارفون، ينتزع منها أسماء كثيرة للقرآن على ما جمعه بعض العلماء وإن كان في بعضها بعض الاحتمال... [ثم ذكر أسامي القرآن، كما تقدّم عن الرّازي، فقال:]

[الأسماء والصفات القرآنيّة عند الإمام عليّ عليه السلام]

فانظر بعين التأمل إلى صفات القرآن، واعرف صدق ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من أنّه: «ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبله من غنى»، فإنّك محتاج إلى فرقان يفرق بين الحقّ والباطل في ظلمة هذه الدّار الّتي لا بدّ من تحصيل الزّاد أشدّ من جميع ما تحتاج إليه، وهو الفرقان.

وإلى مذكّر لك يذكّر ربّك ومنسيّ نعمته، وما نسيته من عهدك الأوّل، ويرفع غشاوة الغفلة والتّسيان عليك، وهو الذّكر والتّذكرة.

وإلى ما في العالم الأعلى لترتبط به، وتتخلّص من هذه الدّار، وقد نزل إليك التّنزيل. وإلى حديث تستمع له، وهو أحسن الحديث، وإلى موعظة تتعظّ بها، وهو الموعظة.

وإلى حكم وحكمة بالغة موصوف بالحكمة، محكم الآيات، وهو الحكم العربيّ والحكمة البالغة، والقرآن الحكيم المحكم الآيات.

وإلى شفاء تستشفّي به من أمراضك الرّوحانيّة من الجهل والكفر والأخلاق الرّذيلة والعادات السيّئة، الّتي تؤدّي بك إلى موت روحيّ أبديّ، وأمراضك الجسمانيّة، وهو الشّفاء لما في الصّدور، وشفاء بقول مطلق.

وإلى رحمة ترحمه بها؛ لأنّك محتاج بجميع الشّئون والجهات، وهو رحمة للمؤمنين بقول مطلق.

وإلى هداية تستهدي بها في ظلمة هذه الدّار لمصالحك، وهو الهدى والهادي إلى صراط مستقيم، تصل باتّباعه إلى المقصد الأصليّ، وهو الصّراط المستقيم، الّذي من تبعه نجى، وإلى حبل يربطك إلى عالم القدس، لينجذب به روحك إليه، ويبقى معلّقة به، كما ورد في شأن الخواصّ أنّهم: «صحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالملا الأعلى»^١.

ويعتصم به من رياح الأهواء وأمواج الفتن، وهو حبل الله المتين، وإلى روح تحيي به حياةً باقيةً حقيقةً، فإنّك ميتٌ معنويٌّ وإن كنت حيّاً صورةً، و«النّاس موتى وأهل العلم أحياء»^٢، وهو روح نزل من عالم الأمر الأعلى.

وإلى قاصّ يقصّ عليك القصص، وهو المشتمل على أحسن القصص.
وإلى بيان وتبيان يبيّن به ما خفي عليك ممّا لا يحصىه إلّا الله سبحانه، ويبيّنه لك، وهو البيان للنّاس، والتّبيان لكلّ شيء، والمبين بكلمة مطلقة.
وإلى بصائر تستبصر بها فيما خفي على بصيرتك وهي البصائر.

١- الكلام لأمر المؤمنين عليه السلام، فراجع نهج البلاغة خ ١٤٧، وثخف العقول: ١١٤، وفيهما: «الحلّ» مكان «الملا».

٢- إشارة إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام في الدّيوان المنسوب إليه ذيل قوله عليه السلام: «النّاس من جهة التّمثال أكفاء...».

وإلى قول فصل فصل لك ما التبس عليك بين الحق والباطل من كل شيء، وهو القول الفصل.

وإلى نجوم معنوية تستضيء بها في ديجور هذا الليل الذي أنت فيه، وآياته نجم نجوم كذلك.

وإلى تكرير الكلام ليتقرر ويتثبت في نفسك، وهو الثاني.

وإلى ما يرعد فرائصك وقرع سمعك بكلام عظيم، ليوحشك عن هذه التثأة ويخرجك عنها، وما يؤنسك إلى ذكر الله، ويلين قلبك القاسية، وهو الذي يقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، وإلى نعمة روحانية يتنعم بها روحك، وهو التعمة من ربك.

وإلى برهان تبرهن به في المعارف والعلوم لدفع شبهات شياطين الجن والإنس، وتظفر به على من خالف الحق، وهو البرهان التازل من الرب.

وإلى مبشر يبشرك بالثواب على الخيرات، ومنذر يخوفك عن الموبقات، فأذكك كالطفل في عمل الآخرة، تحتاج دائماً إلى ترغيب وترهيب لتجتهد في كسبها، وتتقي من ضررها، وهو البشير والتذير.

وإلى كتاب قيم لا عوج فيه، حتى يقام ويعدل به سائر المطالب التي ترد عليك من داخل وخارج، وهو القيم؛ حتى ورد في جملة من الأخبار عرض الروايات على الكتاب وطرح ما يخالفه والأخذ بما يوافقه.

وإلى مهتمين على الكتب السابقة، إما بشهادة على صحتها حتى تؤمن بما أنزل من قبلك، أو يؤمنك على عدم بطلان فيه، وإما بإحاطته على ما فيها حتى تكفي به عنها، ولا تحتاج إليها بعده، وهو المهتمين للكتاب الذي بين يديه.

وإلى نور تستنير به في الكلام على ما سبق، وهو التور.

و إلى عزيز يمنع نادر الوجود لم يوجد مثله، أو يمنع الشكوك والأباطيل ويدفعها، أو يمنع المنقطع إليه المتخلّق من كلّ آفة وسوء، أو ذو عزة ورفعة شأن حتّى يسري منه العزة إلى حامله، وهو الكتاب العزيز.

و إلى كريم يكرم عليك ما تحتاج إليه، يدرّ الأرزاق الصّوريّة والمعنويّة، ويعطيك المواهب الجسمانيّة والروحات، وهو الكتاب الكريم.

و إلى عظيم يجبر به هونك و ذلتك في الدّين والدّنيا والآخرة، وهو الكتاب العظيم.
و إلى بركات كثيرة، ظاهريّة و باطنيّة، سماويّة وأرضيّة، يفتح عليك؛ كما في قوله تعالى:
﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، وهو الكتاب المبارك.

ولعلّك تفهم ممّا ذكرناه بعض وجوه تجلّي الحقّ سبحانه في كتابه الوارد في الأحاديث إن كنت عالماً بمعنى التجلّي، فإنّه سبحانه ظهر في كلامه باسم «الفاضل» و «الفاصل» و «المذكّر» و «المُنزِل» و «الحكيم» و «الثّافي» و «الرّحيم» و «الهادي» و «المحيي» و «المبين» و «المُنعم» و «القيّوم» و «المُهيمن» و «الثّور» و «العزيز» و «الكريم» و «العظيم». فإن قلت: إنّنا لا نجد كثيراً ممّا ذكرت في وصف القرآن في أوّل المقدّمة إلى هنا، ولم نسمع بن وجد ذلك، فما وجه صحّة هذه الدّعاوي؟

قلت: ليس معنى وجود الخاصيّة في الشّيء أنّ هذا الشّيء بأيّ وجه أخذ، وفي أيّ حال، وعلى أيّ صفة، ومقتراً بأيّ شيء، ومفتراً عن أيّ شيء، له تلك الخاصيّة، بل معناه في مثل المقام أنّ من كان بصفة كذا إذا أخذ الجزء المعين وصنع به كذا، بشرط كذا وارتفاع مانع كذا، يحصل منه كذا، فإنّ لكلّ شيء شروطاً وموانع ومكملات وحدوداً وموازنين وقواعد لا يطلع عليه إلّا من كان من أهله، أو أخذه عنه، ولا ينتفع به إلّا من كان محلّه قابلاً له إذا أتى به بشروطه وموازنه بحسب الخصوصيّات المرتبطة بذلك المورد كمّالاً ونقصاً.

فللشمس نورٌ ظاهرٌ بنفسه، لكنّ الأعمى لا يبصره ولا يستنير به، ومستحقّ للأجسام، ومن ابتدأ به نوبة الربيع غير مستحقّ به مربّي للنباتات والتّبات الذي بعد عهده عن الماء يهزل به، ومنضج للثمار، لكنّ الثمرة التي ضربها البرد لا تنضج به، وما كان محتجباً عن نور الشمس لا ينتفع به. وطريق التصديق بما ذكر إمّا بملاحظة الآيات والأخبار الواردة في المقام مع جودة التّفكّر فيها، والاطّلاع على معانيها فيما اشتملت عليه منها بظاهاها، إن كنت مؤمناً بظاهر الثّقليين وباطنهما إجمالاً موقّناً بأن شيئاً منها غير مبنيّ على المجازفات الشعريّة، وإنّه حقّ اليقين، وإمّا تصديق أهل الخبرة فيها تقليدًا لهم، وإمّا تحصيل أهليّة الاطّلاع على تلك الأوصاف، كلّ على حسب مقامه ليظهر لك كلّ منها بطريق الوجدان. (٢٩-٢٢)

الفصل الحادي والعشرون

نصّ الأنصاري (م: ١٣١٠) في «اللّمْعة البيضاء في شرح خطبة

الزّهراء (عليها السلام)»

[أسامي القرآن]

قالت فاطمة الزّهراء (عليها السلام): «عليكم بكتاب الله التّاطق والقرآن الصّادق...».

والقرآن: هو التّنزيل العزيز والكتاب المبين الّذي بأحرفه يظهر المضمر، نزل به الرّوح الأمين على قلب سيّد المرسلين ليكون من المنذرين.

وهو في الأصل مصدر كالغفران، سُمّي به كلام الملك المتّان بعد جعله بمعنى المفعول، من: «قرأت الكتاب قراءة» أي تلوته.

أو بمعنى الفاعل من: قرأت شتات الأمور، أي جمعتها وضممتها، لأنّ القرآن يُتلى أبدًا بين الأُمّة إلى يوم القيامة في آناء اللّيل وأطراف الثّهار، لتحصيل الثّوبة والتّدبّر والاستبصار. أو لجمعه السّور بعضها مع بعض وضمّها كذلك.

أو لجمعه القصص والأمر والتهوي والوعد والوعيد وغير ذلك.

أو لجمعه ثمرة جميع العلوم وآثارها.

أو لجمعه نفس جميع العلوم وأحوال كلّ شيء بما كان وما يكون، إذ ﴿لَا رَطْبَ وَلَا يَابِسَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، فيه تبيان كلّ شيء وتفصيله.

ويجوز في المعنى الثاني جعله بمعنى المفعول، أي المجموع، لأن الله تعالى جمعه، فهو مجموع الله ومجموعة أحكام الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾^١، ويجوز جعل العطف حينئذٍ للتفسير، ويجوز المغايرة بجعل القرآن بمعنى التلاوة، لقوله تعالى في الآية: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، قال ابن عباس: أي فإذا بيناه بالقراءة فاعمل بما بيناه لك.

وقيل: معناه أن علينا جمعه في صدرك وإثبات قراءته في لسانك، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ﴾، أي إذا قرأه جبرئيل من جانبنا فاتبع قراءته، فجعل قراءة جبرئيل قراءته. [إلى أن قال:]

قوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾، أي ما يقرأ في صلاة الفجر، والمراد صلاة الفجر، ويقال: أقرء القرآن فهو مقرئ، ومنه: ﴿سَتَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى﴾^٢، وأصل الإقراء الأخذ على القارئ بالاستماع لتقويم الزلل، والقارئ هو التالي، أي سنأخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى ذلك. ومعناه سيقرا عليك جبرئيل بأمرنا فتحفظ ولا تنساه، والتسيان هو ذهاب المعنى عن المدركة والحفاظة معاً، فيحتاج إلى تحصيل جديد، والسهو ذهابه عن المدركة دون الحفاظة، فينفطن به بالتذكر، والتذكر (بضم الذال): خلافهما، وهو التذكر القلبي، بخلاف الذكر (بكسر الذال) للذكر اللساني... [إلى أن قال:]

وللقرآن أسماء كثيرة، كالكتاب والتور والضياء والإمام وغير ذلك، ومن جملتها «الفرقان»، سمي به لأنه فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام، فإن كل ما فارق به بين الحق والباطل فهو فرقان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾^٣.
وقيل: سمي بالقرآن باعتبار كونه جملة واحدة مجموعة، وبالفرقان لكونه في نفسه قطعاً متفرقة بالسور والآيات والأمثال والقصص والحكايات وغير ذلك من صنوف الأمور المتفرقات.

١- القيامة / ١٨.

٢- الأعلى / ٦.

٣- الأنبياء / ٤٨.

وقيل: يُطلق عليه القرآن لما مرّ، والفرقان لكونه نازلاً بالتجوم والأقساط، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾^١، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكُثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^٢.

وورد أن القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر من عند الله سبحانه إلى البيت المعمور في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان^٣، ولذا سمي بالقرآن، ثم نزل من البيت المعمور إلى النبي ﷺ بالتجوم والأقساط في عرض ثلاث وعشرين سنة، أو في عرض عشرين سنة على اختلاف في الأخبار، ولذا سمي بالفرقان.

وأول بآته نزل به الروح الأمين إلى قلب الرسول المتين كما في القرآن المبين، وهو البيت المعمور، ثم خرج منه إلى لسانه تدريجاً في عرض مدة البعثة، ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين. وورد أيضاً: «أن القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به.» (٥٠٩-٥١٤)

١- الفرقان/ ٣٢.

٢- الإسراء/ ١٠٥.

٣- البقرة/ ١٥.

الفصل الثاني والعشرون

نصّ الزُّرقانيّ (م: ١٣٦٨) في «مناهل العرفان...»

[القرآن في اللّغة والاصطلاح]

القرآن في اللّغة

لفظ القرآن: فهو في اللّغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^١. ثمّ نقل من هذا المعنى المصدريّ وجعل اسمًا للكلام المعجز المنزّل على النبيّ ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله. ذلك ما نختاره استنادًا إلى موارد اللّغة وقوانين الاشتقاق وإليه ذهب اللّحيانيّ وجماعة.

أمّا القول بأنّه وصف من القرء بمعنى الجمع، أو أنّه مشتقّ من القرائن، أو أنّه مشتقّ من: «قرنت الشّيء بالشّيء» أو أنّه مرتجل، أي موضوع من أوّل الأمر علمًا على الكلام المعجز المنزل، غير مهموز ولا مجرد من «أل»، فكلّ أولئك لا يظهر له وجه وجيه، ولا يخلو توجيهه بعضه من كلفة، ولا من بُعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللّغة.

وعلى الرّأي المختار فلفظ قرآن مهموز، وإذا حذف همزه فإثما ذلك للتخفيف وإذا دخلته «أل» بعد التسمية فإثما هي للمح الأصل لا للتعريف.

ويقال للقرآن: فرقان أيضًا، وأصله مصدر كذلك، ثمّ سُمّي به السّننم الكريم تسمية

للمفعول أو الفاعل بالمصدر، باعتبار أنه كلام فارق بين الحقّ والباطل أو مفروق بعضه عن بعض في التّرول أو في السُّور والآيات، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^١، ثم إن هذين الاسمين هما أشهر أسماء التّظلم الكريم، بل جعلهما بعض المفسّرين مرجع جميع أسمائه، كما ترجع صفات الله على كثرتها إلى معنى الجلال والجمال، ويلي هذين الاسمين في الشّهرة هذه الأسماء الثلاثة: الكتاب والذكر والتّزليل. وقد تجاوز صاحب «البرهان» حدود التّسمية فبلغ بعدتها خمسة وخمسين، وأسرف غيره في ذلك حتّى بلغ بها نيفًا وتسعين، كما ذكره صاحب «التّبيان».

واعتمد هذا وذاك على إطلاقات واردة في كثير من الآيات والسُّور وفاتهما أن يفرقا بين ما جاء من تلك الألفاظ على أنه اسم، وما ورد على أنه وصف، ويتّضح ذلك لك على سبيل التّمثيل في عدّهما من الأسماء لفظ «قرآن» ولفظ «كريم» أخذًا من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾^٢ كما عدّا من الأسماء لفظ «ذكر» ولفظ «مبارك» اعتمادًا على قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ﴾^٣ على حين أن لفظ «قرآن وذكر» في الآيتين مقبول كونهما اسمين. أمّا لفظ كريم ومبارك فلا شك أنّهما وصفان كما ترى. والخُطْبُ في ذلك سهلٌ يسيرٌ يبيّن أنّه مُسْنَبٌ طويل، حتّى لقد أفرده بعضهم بالتّأليف، وفيما ذكرناه كفاية ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَسْدُ السَّبِيلِ﴾^٤.

القرآن في الاصطلاح

معلوم أنّ القرآن كلام الله، وأنّ كلام الله غير كلام البشر، ما في ذلك ريب. ومعلوم أيضًا أنّ الإنسان له كلام، قد يراد به المعنى المصدري، أي التّكلّم، وقد يراد به المعنى الحاصل

١- الفرقان / ١.

٢- الواقعة / ٧٧.

٣- الأنبياء / ٥٠.

٤- التعل / ٩.

بالمصدر، أي المتكلم به، وكل من هذين المعنيين: لفظي ونفسي.

فالكلام البشري اللفظي بالمعنى المصدري: هو تحريك الإنسان للسانه ومايساعده في إخراج الحروف من الخارج.

والكلام اللفظي بالمعنى الحاصل بالمصدر: هو تلك الكلمات المنطوقة التي هي كيفية في الصوت الحسي وكلا هذين ظاهر لا يحتاج إلى توضيح.

أما الكلام النفسي بالمعنى المصدري، فهو تحضير الإنسان في نفسه بقوته المتكلمة الباطنة للكلمات التي لم تبرز إلى الجوارح، فيتكلم بكلمات متخيلة يرتبها في الذهن بحيث إذا تلفظ بها بصوت حسي كانت طبق كلماته اللفظية. والكلام النفسي بالمعنى الحاصل بالمصدر: هو تلك الكلمات النفسية والألفاظ الذهنية المترتبة ترتيباً ذهنياً منطبقاً عليه الترتيب الخارجي.

ومن الكلام البشري النفسي بنوعيه قوله تعالى: ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرُّ مَكَائٍ﴾^١. ومنه الحديث الشريف الذي رواه الطبراني عن أم سلمة أنها سمعت رسول الله ﷺ وقد سأله رجل، فقال: «إني لأحدث نفسي بالشيء لو تكلمت به لأحببت أجري، فقال ﷺ: لا يلقى ذلك الكلام إلا مؤمن». فأنت ترى أن النبي ﷺ سمي ذلك الشيء الذي تحدثت به النفس كلاماً، مع أنه كلمات ذهنية لم ينطق بها الرجل مخافة أن يحبط بها أجره. وهذا الإطلاق من الرسول يحمل على الحقيقة، لأنها الأصل ولا صارف عنها.

كذلكم القرآن كلام الله - والله المثل الأعلى - قد يطلق ويُراده بالكلام النفسي وقد يطلق ويُراده بالكلام اللفظي. والذين يطلقونه إطلاق الكلام النفسي هم المتكلمون فحسب، لأنهم المتحدثون عن صفات الله تعالى النفسية من ناحية، والمقررون لحقيقة أن القرآن كلام الله غير مخلوق من ناحية أخرى.

أما الذين يطلقونه إطلاق الكلام اللفظي فالأصوليون والفقهاء وعلماء العربية، وإن

شاركهم فيه المتكلّمون أيضًا، بإطلاق ثالث عندهم كما يتبيّن لك بعد. وإثما غُني الأُصوليون والفقهاء بإطلاق القرآن على الكلام اللَّفْظي، لأنّ غرضهم الاستدلال على الأحكام وهو لا يكون إلّا بالألفاظ. وكذلك علماء العربيّة يعنيهم أمر الإعجاز فلا جرم كانت وجهتهم الألفاظ.

والمتكلّمون يعنون أيضًا بتقرير وجوب الإيمان بكُتُب الله المُنزَلة ومنها القرآن، وبإثبات نبوّة الرّسول ﷺ بمعجزة القرآن. وبديهيّ أنّ ذلك كلّه مناطه الألفاظ، فلا يدع أن ساهموا في هذا الإطلاق الثّالث.

القرآن عند المتكلّمين

ثمّ إنّ المتكلّمين حين يطلقونه على الكلام التّفسيّ يلاحظون أمرين: أحدهما- أنّ القرآن علّم، أي كلام ممتاز عن كلّ ما عداه من الكلام الإلهيّ. ثانيهما- أنّه كلام الله، وكلام الله قديم غير مخلوق، فيجب تنزّهه عن الحوادث وأعراض الحوادث.

وقد علمت أنّ الكلام التّفسيّ البشريّ يطلق بإطلاقين:

أحدهما- على المعنى المصدريّ.

وثانيهما- على المعنى الحاصل بالمصدر.

فكذلك كلام الله التّفسيّ، يطلق بإطلاقين:

أحدهما- على نظير المعنى المصدريّ للبشر.

وثانيهما- على نظير المعنى الحاصل بالمصدر للبشر.

وإثما قلنا: «على نظير» لما هو مقرّر من وجوب تنزّه الكلام الإلهيّ التّفسيّ عن الخلق وأشباه الخلق. فعرفوه بالمعنى الأوّل الشّبيه بالمعنى المصدريّ البشريّ، وقالوا: «إنّه الصّفة القديمة المتعلّقة بالكلمات الحكميّة، من أوّل الفاتحة إلى آخر سورة التّاس».

وهذه الكلمات أزليّة مجرّدة عن الحروف اللَّفْظيّة والذهنيّة والروحيّة، وهي مترتبة غير

متعاقبة، كالصورة تنطبع في المرأة مترتبة غير متعاقبة. وقالوا في تعريفهم هذا: إنها حكمية، لأنها ليست ألفاظاً حقيقية مصورة بصورة الحروف والأصوات. وقالوا: إنها أزلية، ليثبتوا لها معنى القدم. وقالوا: إنها مجردة عن الحروف اللفظية والذهنية والروحانية، لينفوا عنها أنها مخلوقة. وكذلك قالوا: إنها غير متعاقبة، لأن التعاقب يستلزم الزمان، والزمان حادث. وأثبتوا لها الثرتب، ضرورة أن القرآن حقيقة مترتبة، بل ممتازة بكمال ترتيبها وانسجامها.

إذا عرفت هذا الإطلاق الأول عند المتكلمين، سئل عليك أن تعرف إطلاقهم الثاني للقرآن الكريم، وهو أنه تلك الكلمات الحكمية الأزلية المترتبة في غير تعاقب، المجردة عن الحروف اللفظية والذهنية والروحانية. وهو تعريف للقرآن كلام الله بما يشبه المعنى الحاصل بالمصدر لكلام البشر التفسيري. ذاك إطلاقان اختص بهما المتكلمون كما رأيت.

وهناك إطلاق ثالث للقرآن يقول به المتكلمون أيضاً، لكن يشار بهم فيه الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية، ذلك أنه هو: «اللفظ المنزل على النبي ﷺ من أول الفاتحة إلى آخر سورة التاس» الممتاز بخصائصه التي سنذكرها بعد قليل. فهو مظاهر وصورة لتلك الكلمات الحكمية الأزلية التي أشرنا إليها آنفاً.

ويطلق القرآن إطلاقاً رابعاً على النقوش المرقومة بين دفتي المصحف باعتبار أن النقوش دالة على الصفة القديمة، والكلمات الغيبية، واللفظ المنزل، وهذا إطلاق شرعي عام. ولنضرب لك مثلاً يوضح ذلك المقام الذي ضلّت فيه الأفهام وزلت فيه الأقدام.

رجل شاعر، كشراف الدين البوصيري رحمه الله، لارباب أنه كان يحمل في نفسه قوة شاعرة، يستطيع أن يصوغ بها ما شاء من غرر القصائد، وعندما اتجهت شاعريته فعلاً، أن يمتدح أفضل الخليقة صلوات الله وسلامه عليه بقصيدته المعروفة بالهمزية، لا شك أنه عاجز النظم في نفسه، واستحضر المعاني والألفاظ والأوزان حتى تمثل له ذلك القصيد في نفسه وتأثرت به، على وجه إذا تكلم به بصوت حسّي كان عين نظمه المقفى الموزون. ثم لا شك أنه نطق بقصيده بعد، ثم كتبه بعد أن أنشده. فهذا الاسم الشهير بالهمزية في مدح خير البرية،

يمكن أن تقرب به الإطلاقات الأربعة التي أطلقنا بها القرآن الكريم، يصحّ أن نطلق الهَمْزِيَّةَ على القوة الشّاعرة لذلك الرّجل باعتبار اتّجاهها إلى هذا النّظم الخاصّ، الذي تمثّل في نفسه من قبل أن يأخذ صورة اللفظ والنقش.

ويصحّ أن نطلقها على هذا النّظم الخاصّ الذي تمثّل في نفسه من قبل أن يظهر بظهور الألفاظ والنقوش كذلك، ويصحّ أن نطلقها على هذا النّظم بعد أن تمثّل أصواتاً ملفوظةً وحروفاً موزونةً، ويصحّ أن نطلقها على هذا النّظم متمثلاً في صورته المرسومة ونقوشه المكتوبة.

القرآن عند الأصوليين والفقهاء وعلماء العربيّة

أظنني قد أطلت عليك، ولكنّ المقام دقيق وخطير، فلا تضق ذرعاً بهذا التّطويل والتّمثيل، ثمّ استمع لما وعدتك إيّاه من بيان معنى القرآن على أنّه اللفظ المنزّل على النّبيّ ﷺ من أوّل الفاتحة إلى آخر سورة التّاس.

هذا الإطلاق كما علمت ينسب إلى علماء الأصول والفقه واللّغة العربيّة ويوافقهم عليه المتكلّمون أيضاً، غير أنّ هؤلاء الذين أطلقوه على اللفظ المنزّل إلخ، اختلفوا في تعريفه: فمَنهم: من أطال في التعريف وأطنب، بذكر جميع خصائص القرآن الممتازة.

ومنهم: من اختصر فيه وأوجز.

ومنهم: من اقتصد وتوسّط.

فالَّذِينَ أَطْنَبُوا عَرَفُوهُ «بأنّه الكلام المُعْجَزُ المنزّل على النّبيّ ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبّد بتلاوته». وأنت ترى أنّ هذا التعريف جمع بين الإعجاز، والتّنزيل على النّبيّ ﷺ، والكتابة في المصاحف، والثّقَل بالتواتر، والتّعبّد بالتلاوة. وهي الخصائص العظمى التي امتاز بها القرآن الكريم، وإن كان قد امتاز بكثير سواها. ولا يخفى عليك أنّ هذا التعريف كان يكفي فيه ذكر بعض تلك الأوصاف ويكون جامعاً مانعاً، غير أنّ مقام التعريف مقام إيضاح وبيان، فيناسبه الإطناب لغرض زيادة ذلك والبيان، لذلك استباحوا لأنفسهم

أن يزيدوا فيه ويسهبوا.

والذين اختصروا وأوجزوا في التعريف منهم من اقتصر على ذكر وصف واحد هو الإعجاز، ووجهة نظرهم في هذا الاختصار أن الإعجاز هو الوصف الذاتي للقرآن، وأنه الآية الكبرى على صدق النبي ﷺ، والشاهد العدل على أن القرآن كلام الله.

ومنهم من اقتصر على وصفين هما: الإنزال والإعجاز، وحجّتهم أن ما عدا هذين الوصفين ليس من الصفات اللازمة للقرآن، بدليل أن القرآن قد تحقق فعلاً بهما دون سواهما على عهد النبوة.

ومنهم من اقتصر على وصفي الثقل في المصاحف والتواتر، لأنهما يكفيان في تحصيل الغرض، وهو بيان القرآن وتمييزه عن جميع ما عداه.

والذين توسّطوا منهم من عرض للإنزال الألفاظ، وللكتابة في المصاحف وللثقل بالتواتر فحسب، موجّهاً رأيهم بأن المقصود هو تعريف القرآن لمن لم يدركه زمن النبوة، وأن ما ذكره من الأوصاف هو من اللوازم البينة لأولئك الذين لم يدركوها، بخلاف الإعجاز، فإنه غير بين بالتسبب لهم، وليس وصفاً لازماً لما كان أقل من سورة من القرآن.

ومن أولئك الذين توسّطوا من عرض للإنزال والثقل بالتواتر والتعبّد بالتلاوة فقط، مستنداً إلى أن ذلك هو الذي يناسب غرض الأصوليين. وعرفوه بأنه: «اللفظ المنزّل على النبي ﷺ، المنقول عنه بالتواتر، المتعبّد بتلاوته». فاللفظ جنس في التعريف، يشمل المفرد والمركّب. ولا شك أن الاستدلال على الأحكام كما يكون بالمركّبات يكون بالمفردات كالعام والخاص، والمطلق والمقيّد. وخرج بالمتنزل على النبي ﷺ ما لم ينزل أصلاً مثل كلامنا، ومثل الحديث النبوي، وما نزل على غير النبي ﷺ كالنوراة والإنجيل. وخرج بالمنقول تواتراً جميع ما سوى القرآن من منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة، سواء أكانت مشهورة نحو قراءة

ابن مسعود: «متابعات» عقيب قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾^١، أم كانت آحادية كقراءة ابن مسعود أيضاً لفظ: «متابعات» عقيب قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^٢، فإن شيئاً من ذلك لا يسمّى قرأاً، ولا يأخذ حكمه. وخرجت الأحاديث القدسيّة إذا تواترت بقولهم: «المتعبّد بتلاوته».

هل القرآن علّم شخص؟

أسلفنا أن القرآن يطلق على الصّفة القديمة، ويطلق على الكلمات الحكيمية الأزليّة، وهذان الإطلاقان لا تعدّد فيهما ألبتّة لا حقيقة ولا اعتباراً، بل هما منزّهان عنه، لأنّ التعدّد من أمارات الحدوث، كيف وهما قديمان؟!

وإذا فلفظ القرآن علّم شخص بهذين الإطلاقين لا محالة. أمّا إذا أريد بالقرآن «اللفظ المنزل» فهنا يكون الخلاف. فالرّأي السائد أنّه علّم شخص مدلوله تلك الآيات المنزلّة الممتازة بخصائصها العليا من أوّل الفاتحة إلى آخر سورة النّاس. وهذه الألفاظ المعينة لا يقدح في تشخصها اختلاف المتلفّظين ولا تعدّد القارئین، كما لا يقدح في تشخص محمود مثلاً أن يكون في مكّة أو في المدينة، ولا أن يتقلّب في أطوار مختلفة من طفولة إلى شيخوخة، ومن صحّة إلى مرض، ومن حياة إلى موت، ونحو ذلك. وبعضهم يجعله علّم جنس نظراً إلى تعدّد هذه الألفاظ المنزلّة بتعدّد قارئها وكاتبها. وهذا مردود من وجهين:

أحدهما - أن علّم الجنس ضرورة نحوية اقتضتها أحكام لفظيّة، كامتناع إضافته ودخول «أل» عليه، ولا ضرورة هنا لفظيّة.

ثانيهما - أن علّم الجنس نكرة في المعنى، وأفراده منتشرة متعدّدة حقيقة لا اعتباراً. والتعدّد الملحوظ هنا اعتباري لا حقيقيّ، للقطع بأنّ ما يقرؤه أو يكتبه كلّ منّا فهو القرآن عينه

١ - البقرة / ١٩٦.

٢ - البقرة / ١٨٥.

لا فرد من أفرادہ .

هل يُصاغ للأعلام تعاريف ؟

بقي علينا أن نتساءل إذا كان القرآن عَلَمًا فكيف ساغ أن يُصاغ له تعريف ، بل تعاريف على نحو ما سبق ؟ مع أن التعاريف لا تكون إلا للكليات ، والعَلَمُ جزئي مرتّب من الماهية ومشخصاتها ، والمشخصات لا يمكن معرفتها إلا بالأطلاع عليها بالحواس كالإشارة مثلاً ، أو بالتعبير عنها باسم عَلَم ؟ ولنا على ذلك أجوبة ثلاثة :

أولها - أنا نمنع أن التعاريف لا تكون إلا للكليات ، لِمَ لا يجوز أن تعرف الجزئيات بأمر كليّة لا يتحقّق مجموعها في الخارج إلا في هذا الشخص بخصوصه ؟ وهذا الجواب قريب ممّا ذكره صاحب « التلويح » إذ قال : « الحق أن الشخص يمكن أن يُحدّد بما يفيد امتيازه عن جميع ما عداه بحسب ، الوجود لا بما يفيد تعيّنّه وتشخصّه بحيث لا يمكن اشتراكه بين كثيرين بحسب العقل ، فإن ذلك إنما يحصل بالإشارة لا غير » . انتهى

ثانيها - أنا نسلم أن التعاريف لا تكون إلا للكليات ، لكن ما ذكره ليس بتعريف حقيقي ، إنما هو ضابط مميّز ، وليس بمعرف .

ثالثها - أن هذا تعريف على رأي الأصوليين الذين لا يشترطون في التعاريف أجناساً ولا فصولاً ، بل الحدّ عندهم هو الجامع المانع مطلقاً . وعليه فيصح أن يحدّد الشخص عند الأصوليين دون المناطقه .

إطلاق القرآن على الكل وعلى أبعاضه

لا شك أن القرآن يُطلق على الكل وعلى أبعاضه ، فيقال لمن قرأ اللفظ المنزل كله : إنّه قرأ قرآنًا ، وكذلك يقال لمن قرأ ولو آية منه : أنّه قرأ قرآنًا ، لكنهم اختلفوا ، فقيل : إن لفظ قرآن حقيقة في كلّ منهما وإذا يكون مشتركاً لفظياً . وقيل : هو موضوع للمقدّر المشترك بينهما ، وإذا يكون مشتركاً معنوياً ، ويكون مدلوله حينئذٍ كلياً .

وقد يقال: إن إطلاقه على الكل حقيقة وعلى البعض مجاز. والتحقيق أنه مشترك لفظي، بدليل التبادر عند إطلاق اللفظ على الكل وعلى البعض كليهما، والتبادر أمانة الحقيقة. والقول بعلمية الشخص فيه كما حققنا آنفاً يمنع أنه مشترك معنوي، فتعين أن يكون مشتركاً لفظياً، وهو ما يفهم من كلام الفقهاء إذ قالوا مثلاً: «يحرم قراءة القرآن على الجنب» فلا نهم يقصدون حرمة قراءته كله أو بعضه على السواء.

(١: ٧-١٦)

الفصل الثالث والعشرون

نصّ ابن عاشور (م: ١٣٩٣) في «التحرير والتنوير»

في اسم القرآن

١- القرآن: اسم للكلام الموحى به إلى النبي ﷺ، وهو جملة المكتوب في المصاحف المشتغل على مائة وأربع عشرة سورة، أولها الفاتحة وأخرها سورة التاس. صار هذا الاسم علماً على هذا الوحي. وهو على وزن «فُعْلان»، وهي زَيْتَةٌ وردت في أسماء المصادر مثل: غُفْران وشُكْران وبُهْتان، ووردت زيادة التّون في أسماء أعلام مثل: عُثْمان وحَسّان وعَدنان. واسم قرآن صالح للاعتبارين، لأنه مشتق من القراءة، لأنّ أوّل ما بُدئ به الرّسول من الوحي: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾^١، وقال تعالى: ﴿وَوَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^٢، فهمزة قرآن أصلية ووزنه «فُعْلان»، ولذلك اتّفق أكثر القراء على قراءة لفظ قرآن مهموزاً حيثما وقع في التّنزيل، ولم يخالفهم إلّا ابن كثير، قرأه بفتح الرّاء بعدها ألف على لغة تخفيف في قراءته.

وقيل: هو قرآن بوزن «فُعْال»، من القرّن بين الأشياء، أي الجمع بينها، لأنه قرنت سُورَه بعضها ببعض، وكذلك آياته وحروفه، وسُمّي كتاب الله قرآناً كما سُمّي الإنجيل الأنجيل، وليس مأخوذاً من قرأت، ولهذا يهمز قرأت ولا يهمز القرآن، فتكون قراءة ابن كثير جارية على أنّه اسم آخر لكتاب الله على هذا الوجه.

١- العلق/١.

٢- الإسراء/١٠٦.

ومن الناس من زعم أن قرآن جمع قرينة، أي اسم جمع، إذ لا يجمع مثل قرينة على وزن «فُعَال» في التكثير، فإن المجموع الواردة على وزن «فُعَال» محصورة، ليس هذا منها، والقرينة: العلامة، قالوا: لأن آياته يصدق بعضها بعضاً، فهي قرائن على الصدق.

فاسم القرآن هو الاسم الذي جعل علماً على الوحي المنزل على محمد ﷺ، ولم يسبق أن أطلق على غيره قبله، وهو أشهر أسمائه وأكثرها وروداً في آياته وأشهرها دَوْرَانَا على ألسنته السلف. وله أسماء أخرى هي في الأصل أوصاف أو أجناس أنهاها في «الإتيقان» إلى نيف وعشرين. والذي اشتهر إطلاقه عليه منها ستة: التَّزْيِيل، والكتاب، والفرقان، والذكر، والوحي، وكلام الله.

٢- الفرقان: فهو في الأصل اسم لما يفرق به بين الحقّ والباطل وهو مصدر، وقد وصف يوم بدر بيوم الفرقان، وأطلق على القرآن في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾، وقد جعل هذا الاسم علماً على القرآن بالغلبة، مثل التوراة على الكتاب الذي جاء به موسى، والإنجيل على الوحي الذي أنزل على عيسى، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾^١ إلى قوله: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^٢ مِنْ قَبْلُ هَذَا لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ^٣، فوصفه أولاً بالكتاب وهم اسم الجنس العام، ثم عبّر عنه باسم الفرقان عقب ذكر التوراة والإنجيل وهما علّمان، ليعلم أن الفرقان علّم على الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ.

ووجه تسميته الفرقان أنه امتاز عن بقية الكتب السماوية بكثرة ما فيه من بيان التفرقة بين الحقّ والباطل، فإن القرآن يعضد هديه الدلائل والأمثال ونحوها، وحسبك ما اشتمل عليه من بيان التوحيد وصفات الله مما لا تجد مثله في التوراة والإنجيل كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ

١- الفرقان/١.

٢- في المطبوعة: ﴿فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ آل عمران/٧، وهو سبق قلم من المصنف.

٣- آل عمران/٤٣.

كَمَثَلِهِ شَيْءٌ^١، وأذكر لك مثلاً يكون تبصرةً لك في معنى كون القرآن فرقائناً، وذلك أنه حكى صفة أصحاب محمد ﷺ الواردة في التوراة والإنجيل بقوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^٢، فلمسا وصفهم القرآن قال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^٣، فجمع في هاتيه الجملة جميع أوصاف الكمال.

وأما إن افتقدت ناحية آيات أحكامه فإتاك تجدها مبرأةً من اللبس وبعيدة عن تطرق الشبهة، وحسبك قوله: ﴿فَالْكُفَّاءُ مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنِي وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾^٤، فإتاك لاجتد في التوراة جملة تفيد هذا المعنى، بله ما في الإنجيل. وهذا من مقتضيات كون القرآن مهيئاً على الكتب السالفة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ﴾^٥.
 ٣- التَّنْزِيل: فهو مصدر نَزَلَ، أطلق على المنزل باعتبار أن ألفاظ القرآن أنزلت من السماء، قال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ^٦ وقال: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٧.

٤- الكتاب: فأصله اسم جنس مطلق ومعهود، وباعتبار عهد أطلق على القرآن كثيراً؛ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^٨، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابُ﴾^٩

١- الشورى/١١.

٢- الفتح/٢٩.

٣- آل عمران/١١٠.

٤- النساء/٣.

٥- المائدة/٤٨.

٦- فصلت/٣٢.

٧- السجدة/٢.

٨- البقرة/٢.

٩- الكهف/١.

، وإِثْمًا سُمِّيَ كِتَابًا لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ جَامِعًا لِلشَّرِيعَةِ، فَأَشْبَهَ التَّوْرَةَ، لِأَنَّهَا كَانَتْ مَكْتُوبَةً فِي زَمَنِ الرَّسُولِ الْمُرْسَلِ بِهَا، وَأَشْبَهَ الْإِنْجِيلَ الَّذِي لَمْ يَكْتُبْ فِي زَمَنِ الرَّسُولِ الَّذِي أُرْسِلَ بِهِ، وَلَكِنَّهُ كَتَبَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَأَصْحَابِهِمْ، وَلِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يَكْتُبَ كُلَّ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنْهُ، لِيَكُونَ حِجَّةً عَلَى الَّذِينَ يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَتْلَقَوْهُ بِحِفْظِ قُلُوبِهِمْ.

وَفِي هَذِهِ التَّسْمِيَةِ مُعْجَزَةٌ لِلرَّسُولِ ﷺ بِأَنَّهُ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ سَيَكْتُبُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^١ وَقَالَ: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾^٢. وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ كِتَابًا يَكْتُبُونَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَمِنْ أَوَّلِ مَا ابْتَدَى نَزْوِلُهُ، وَمِنْ أَوَّلِهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ. وَقَدْ وَجَدَ جَمِيعٌ مَا حَفَظَهُ الْمُسْلِمُونَ فِي قُلُوبِهِمْ عَلَى قَدَرِ مَا وَجَدُوهُ مَكْتُوبًا يَوْمَ أَمْرِ أَبِي بَكْرٍ بِكَتَابَةِ الْمُصْحَفِ.

٥- الذِّكْرُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^٣، أَيَّ لَتَبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَذْكَيرٌ بِمَا يَجِبُ عَلَى النَّاسِ اعْتِقَادُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ.

٦- الْوَحْيُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾^٤، وَوَجْهُ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ أَنَّهُ أُلْقِيَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِوَسْطَةِ الْمَلَكِ، وَذَلِكَ الْإِلْقَاءُ يُسَمَّى وَحْيًا، لِأَنَّهُ يَتَرَجَّمُ عَنْ مَرَادِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ كَالْكَلَامِ الْمَتَرَجَّمِ عَنْ مَرَادِ الْإِنْسَانِ، وَلِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ تَأْلِيفُ تَرَكَيبِهِ مِنْ فِعْلِ الْبَشَرِ.

٧- كَلَامُ اللَّهِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾^٥.

(٧٢: ٧٠-٧٢)

١- الأنعام/ ٩٢.

٢- الأنبياء/ ٥٠.

٣- التحل/ ٤٤.

٤- الأنبياء/ ٤٥.

الفصل الرابع والعشرون

نص العلامة الطَّبَّاطبائي (م: ١٤٠٢) في «الميزان في تفسير القرآن»

[أسماء القرآن ومعانيها]

١- القرآن: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة / ١٨٥)

والقرآن اسم للكتاب المنزل على نبيه محمد ﷺ باعتبار كونه مقروءاً كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^١، ويطلق على مجموع الكتاب وعلى أبعاضه. (١٥: ٢)

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (التل / ١)

والقرآن اسم للكتاب باعتبار كونه مقروءاً، والمبين من الإبانة بمعنى الإظهار، وتنكير «قرآن» للتفخيم أي تلك الآيات الرفيعة القدر التي نزلها آيات الكتاب وآيات كتاب مقروء عظيم الشأن، مبين لمقاصده من غير إبهام ولا تعقيد. (٣٣٩: ١٥)

٢- الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ...﴾ (الفرقان / ١)

والفرقان هو الفرق، سمي به القرآن لنزول آياته متفرقة، أو لتمييزه الحق من الباطل، ويؤيد هذا المعنى إطلاق الفرقان في كلامه تعالى على التوراة أيضاً مع نزولها دفعة، قال الراغب في «المفردات»: «والفرقان أبلغ من الفرق... [وذكر كما تقدم عنه]. (١٧٣: ١٥)

٣- ذكر مبارك: ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكَةِ الزَّلَّاتِ أَفَانْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (الأنبياء / ٥٠)

الإشارة بهذا إلى القرآن، وإما سمي ذكرًا مباركا لأنه ثابت دائم كثير البركات ينتفع به المؤمن والكافر في المجتمع البشري، وتنفع به الدنيا سواء عرفته أو أنكرته، أقرت بحقه أو جحدته.

يدل على ذلك تحليل ما نشاهد اليوم من آثار الرشد والصلاح في المجتمع العام البشري، والرجوع بها القهقري إلى عصر نزول القرآن فما قبله فهو الذكر المبارك الذي يسترشد بمعناه، وإن جهل الجاهلون لفظه، وأنكر الجاحدون حقه وكفروا بعظيم نعمته، وأعانهم على ذلك المسلمون بإهمالهم في أمره، وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا.

(٢٩٦:١٤)

٤- التور: ﴿وَاتَّبِعُوا التَّوْرَ الَّتِي أُتِلَ مَعَهُ...﴾ (الأعراف / ١٥٧)

والمراد بالتور التنازل معه القرآن الكريم، ذكر بنعت التورية ليدل به على أنه ينير طريق الحياة، ويضيء الصراط الذي يسلكه الإنسان إلى موقف السعادة والكمال، والكلام في هذا الشأن.

٥- الروح: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى / ٥٢)

ظاهر السياق كون «كذلك» إشارة إلى ما ذكر في الآية السابقة من الوحي بأقسامه الثلاثة، ويؤيده الروايات الكثيرة الدالة على أنه ﷺ كما كان يوحى إليه بتوسط جبريل وهو القسم الثالث، كان يوحى إليه في المنام وهو من القسم الثاني، ويوحى إليه من دون توسط واسطة وهو القسم الأول.

وقيل: الإشارة إلى مطلق الوحي التنازل على الأنبياء، وهذا متعين على تقدير كون المراد بالروح هو جبريل أو الروح الأمري كما سيأتي. والمراد بإيحاء الروح - على ما قيل - إيحاء القرآن، وأيد بقوله: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا...﴾، ومن هنا قيل: إن المراد بالروح القرآن.

لكن يبقى عليه أولا - أنه لا ريب أن الكلام مسوق لبيان أن ما عندك من المعارف والشرائع التي تتلبس بها وتدعو الناس إليها، ليس مما أدركته بنفسك وأبديته بعلمك، بل أمر

من عندنا مُنْزَلٌ إِلَيْكَ بوحينا، وعلى هذا فلو كان المراد بالروح الموحى القرآن، كان من الواجب الاختصار على الكتاب في قوله: ﴿مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾، لأنَّ المراد بالكتاب القرآن، فيكون الإيمان زائداً مستغنى عنه.

وثانياً- أن القرآن وإن أمكن أن يسمى روحاً باعتبار إحيائه القلوب بهداه كما قال تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُخَيِّكُمْ﴾^١، وقال: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْنًا فَاحْتِسَاءً وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^٢، لكن لا وجه لتقيده حينئذ بقوله: ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾، والظاهر من كلامه تعالى أن الروح من أمره خلق من العالم العلوي يصاحب الملائكة في نزولهم، قال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾^٣، وقال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَكُ صَفًّا﴾^٤، وقال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^٥، وقال: ﴿وَإِذْ نَادَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^٦، وقد سمى جبريل الروح الأمين وروح القدس حيث قال: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^٧، وقال: ﴿قُلِ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾^٨.

ويمكن أن يجاب عن الأول بأن مقتضى المقام وإن كان هو الاختصار على ذكر الكتاب فقط لكن لما كان إيمانه ﷺ بتفاصيل ما في الكتاب من المعارف والشرائع من لوازم نزول الكتاب غير المنفكة عنه وآثاره الحسنة صح أن يذكر مع الكتاب فالمعنى: وكذلك أوحينا إليك كتاباً ما كنت تدري ما الكتاب، ولا ما تجده في نفسك من أثره الحسن الجميل وهو إيمانك به.

١- الأنفال / ٢٤.

٢- الأنعام / ١٢٢.

٣- القدر / ٤.

٤- التبا / ٣٨.

٥- الإسراء / ٨٥.

٦- البقرة / ٨٧.

٧- الشعراء / ١٩٣.

٨- التحل / ١٠٢.

وعن الثاني أن المعهود من كلامه في معنى الروح وإن كان ذلك، لكن حمل الروح في الآية على ذلك المعنى وإرادة الروح الأمري أو جبريل منه يوجب أخذ ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ بمعنى أرسلنا، إذ لا يقال: أوحينا الروح الأمري أو الملك، فلا مفر من كون الإيحاء بمعنى الإرسال وهو كما ترى، فأخذ الروح بمعنى القرآن أهون من أخذ الإيحاء بمعنى الإرسال والجوابان لا يخلوان عن شيء. وقيل: المراد بالروح جبريل، فإن الله سماه في كتابه روحاً، قال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾^١، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾.

وقيل: المراد بالروح الروح الأمري الذي ينزل مع ملائكة الوحي على الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾^٢، فالمراد بإيحاؤه إليه إنزاله عليه.

ويمكن أن يوجه التعبير عن الإنزال بالإيحاء بأن أمره تعالى على ما يعرفه في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^٣، هو كلمته، والروح من أمره كما قال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^٤، فهو كلمته، وهو يصدق ذلك قوله في عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^٥، وإنزال الكلمة تكليم، فلا ضير في التعبير عن إنزال الروح بإيحاؤه، والأنبياء مؤيدون بالروح في أعمالهم، كما أنهم يوحى إليهم الشرائع به قال تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، وقد تقدمت الإشارة إليه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾^٦.

١- الشراء/ ١٩٣.

٢- التحل / ٢.

٣- يس / ٨٢.

٤- الإسراء / ٨٥.

٥- النساء / ١٧١.

٦- الأنبياء / ٧٣.

﴿الَمْ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ...﴾ (لقمان / ١-٤)

وقد وصف الكتاب بالحكيم إشعاراً بأنه ليس من هو الحديث من شيء بل كتاب لا انتلام فيه ليدخله هو الحديث وباطل القول، ووصفه أيضاً بأنه هدى ورحمة للمحسنين تميماً لصفة حكمته، فهو يهدي إلى الواقع الحق ويوصل إليه، لا كالألهو الشاغل للإنسان عما يهمه، وهو رحمة لا نعمة صارفة عن النعمة.

ووصف «المحسنين» بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة اللتين هما العمدتان في الأعمال، وبالإيقان بالآخرة ويستلزم التوحيد والرسالة وعامة التقوى، كل ذلك مقابلة الكتاب للهو الحديث المصفي إليه لمن يستمع لهو الحديث.

٧- تبيان: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾ (التحل / ٨٩)

ذكروا أنه استئناف، يصف القرآن بكرائم صفاته، فصفته العامة أنه تبيان لكل شيء، والتبيان والبيان واحد - كما قيل: - وإذا كان كتاب هداية لعامة الناس وذلك شأنه، كان الظاهر أن المراد بكل شيء كل ما يرجع إلى أمر الهداية مما يحتاج إليه الناس في اهتدائهم من المعارف الحقيقية المتعلقة بالمبدأ والمعاد والأخلاق الفاضلة والشرائع الإلهية والقصص والمواعظ فهو تبيان لذلك كله.

ومن صفته - الخاصة أي المتعلقة بالمسلمين الذين يسلمون للحق - أنه هدى يهتدون به إلى مستقيم الصراط ورحمة لهم من الله سبحانه، يحوزون بالعمل بما فيه خير الدنيا والآخرة، وينالون به ثواب الله ورضوانه، وبشرى لهم ببشرهم بمغفرة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم.

هذا ما ذكروه وهو مبني على ما هو ظاهر التبيان من البيان المعهود، من الكلام وهو إظهار المقاصد من طريق الدلالة اللفظية، فإننا لانتهدي من دلالة لفظ القرآن الكريم إلا على كليات ما تقدم، لكن في الروايات ما يدل على أن القرآن فيه علم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، ولو صحّت الروايات، لكان من اللازم أن يكون المراد بالتبيان الأعمّ ممّا

يكون من طريق الدلالة اللفظية فلعل هناك إشارات من غير طريق الدلالة اللفظية، تكشف عن أسرار وخبايا لا سبيل للفهم المتعارف إليها.

٨- أحسن الحديث: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى﴾ (الزُّمَرُ / ٢٣) فقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾، هو القرآن الكريم، والحديث: هو القول كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾^١، وقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾^٢، فهو أحسن القول لاشتماله على محض الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو كلامه المجيد.

وقوله: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ أي يشبه بعض أجزائه بعضاً وهذا غير التشابه الذي في المتشابه المقابل للمحكم، فإنه صفة بعض آيات الكتاب، وهذا صفة الجميع.

وقوله: ﴿مَثَانًى﴾ جمع مثنية بمعنى المعطوف، لانعطاف بعض آياته على بعض، ورجوعه إليه بتبيين بعضها ببعض، وتفسير بعضها لبعض من غير اختلاف فيها بحيث يدفع بعضه بعضاً ويناقضه، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^٣.

٩- الموعظة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس / ٥٧)

قال الراغب في «المفردات»: الوعظ زجر مقترن بتخويف.

وقال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب، والعظة والموعظة: الاسم.

والصدر معروف، والناس لمّا وجدوا القلب في الصدر وهم يرون أن الإنسان إنما يدرك

١- الطور / ٣٤.

٢- المرسلات / ٥٠.

٣- النساء / ٨٢.

ما يدرك بقلبه، وبه يعقل الأمور، ويحبّ ويغض، ويريد ويكره، ويشتاق ويرجو ويتمنى، عدوًّا الصّدّ خزانة لما في القلب من أسرارهِ والصفات الروحية التي في باطن الإنسان من فضائل ورذائل، وفي الفضائل صحة القلب واستقامته، وفي الرذائل سُقمه ومرضه، والرذيلة داء؛ يقال: شفيت صدري بكذا، إذا ذهب به ما في صدره من ضيق وحرج، ويقال: شفيت قلبي، فشفاء الصّدور وشفاء ما في الصّدور كناية عن ذهاب ما فيها من الصفات الروحية الخبيثة التي تجلب إلى الإنسان الشقاء، وتنقص عيشته السعيدة، وتحرمه خير الدنيا والآخرة. والهدى هي الدلالة على المطلوب بلطف على ما ذكره الرّاعب، وقد تقدّم في ذيل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ في الجزء ٧/ بحث فيها.

والرحمة تأثر خاص في القلب عن مشاهدة ضرر أو نقص في الغير، يبعث الرّاحم إلى جبر كسره وإتمام نقصه، وإذا نسبت إليه تعالى، كان بمعنى النتيجة دون أصل التّأثر لتزّهه تعالى عن ذلك فينطبق على مطلق عطيته تعالى وإفاضته الوجود على خلقه.

وعطيته إذا نسبت إلى مطلق خلقه كانت هي ما ينسب إليه تعالى من وجودهم وبقائهم ورزقهم الذي يمدّه بقاؤهم وسائر ما ينعم به عليهم من نعمه التي لا تحصى كثرة وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها، وإذا نسبت إلى المؤمنين خاصّة كانت هي ما يختصّ بهم من سعادة الحياة الإنسانية بمظاهرها المختلفة التي ينعم الله بها عليهم من المعارف الحقّة الإلهية والأخلاق الكريمة والأعمال الصّالحة، والحياة الطّيبة في الدنيا والآخرة والجنّة والرضوان.

ومن ثمّ إذا وصف القرآن بأنّه: ﴿رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ كان معناه: أنّه يغشي المؤمنين أنواع الخيرات والبركات التي كنزها الله فيه لمن تحقّق بحقاقتها وتلبّس بمعانيها، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^١.

وإذا أخذت هذه التّعوت الأربعة التي عدّها الله سبحانه للقرآن في هذه الآية، أعني أنّه

موعظة، وشفاء لما في الصدور، وهُدًى ورحمة، وقيس بعضها إلى بعض، ثم اعتبرت مع القرآن كانت الآية بياناً جامعاً لعامة أثره الطيب الجميل وعلمه الزاكي الطاهر الذي يرسمه في نفوس المؤمنين منذ أول ما يقرع أسماعهم إلى آخر ما يتمكن من نفوسهم ويستقر في قلوبهم.

فإنه يدرّكهم أول ما يدرّكهم، وقد غشيهيم يمّ الغفلة وأحاطت بهم لجة الحيرة فأظلمت باطنهم بظلمات الشكّ والريب، وأمّضت قلوبهم بأدواء الرذائل وكلّ صفة أو حالة رديّة خبيثة، فيعظّم موعظة حسنة ينهّهم بها عن رقدة الغفلة، ويزجرهم عمّا بهم من سوء السّريرة والأعمال السيّئة، ويبعثهم نحو الخير والسّعادة.

ثم يأخذ في تطهير سرّهم عن خبائث الصّفات، ولا يزال يزيل آفات العقول وأمراض القلوب واحداً بعد آخر حتّى يأتي على آخرها. ثم يدلّهم على المعارف الحقّة والأخلاق الكريمة والأعمال الصّالحة دلالة بلطف، برفعهم درجة بعد درجة، وتقريبهم منزلة فمنزلة، حتّى يستقروا في مستقرّ المقرّبين، ويفوزوا فوز المخلصين.

ثمّ يلبسهم لباس الرّحمة، وينزلهم دار الكرامة، ويقرّهم على أريكة السّعادة، حتّى يلحقهم بالتبيين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقاً، ويدخلهم في زمرة عباده المقرّبين في أعلى عليّين.

فالقرآن واعظ شافٍ لما في الصدور، هادٍ إلى مستقيم الصّراط، مفيض للرّحمة بإذن الله سبحانه، وإلّا يعظ بما فيه، ويشفي الصدور ويهدي، ويبسط الرّحمة بنفسه لا بأمر آخر، فإنّه السّبب الموصل بين الله وبين خلقه، فهو موعظة وشفاء لما في الصدور وهُدًى ورحمة للمؤمنين، فافهم ذلك. (١٠: ٨٠-٨١)

١٠- شفاء ورحمة: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ...﴾ (الإسراء/ ٨٢) ... وعدّ القرآن شفاءً، والشفاء إنّما يكون عن مرض، دليل على أنّ للقلوب أحوالاً نسبة القرآن إليها نسبة الدّواء الشّافي إلى المرض، وهو الاستفادة من كلامه سبحانه، حيث ذكر أنّ الدّين الحقّ فطري للإنسان، فكما أنّ اللّبنية الإنسانيّة التي سوّيت على الخلقة الأصليّة قبل

أن يلحق بها أحوال منافية وآثار مغايرة للتسوية الأولية استقامة طبيعية تجري عليها في أطوار الحياة، كذلك لها بحسب الخلقة الأصلية عقائد حقّة في المبدء والمعاد وما يتفرّع عليهما من أصول المعارف، وأخلاق فاضلة زاكية تلائمها، ويترتب عليها من الأحوال والأعمال ما يناسبها.

فلإنسان صحّة واستقامة روحية معنوية، كما أنّ له صحّة واستقامه جسمية صورية، وله أمراض وأدواء روحية باختلال أمر الصّحة الروحية، كما أنّ له أمراضاً وأدواء جسمية باختلال أمر الصّحة الجسمية، ولكلّ داء دواء ولكلّ مرض شفاء.

وقد ذكر الله سبحانه في أناس من المؤمنين أنّ في قلوبهم مرضاً وهو غير الكفر والتفارق الصريحين، كما يدلّ عليه قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾^١ وقوله: ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾^٢.

وليس هذا المسمى مرضاً إلّا ما يختلّ به ثبات القلب واستقامة النفس، من أنواع الشكّ والريب الموجبة لاضطراب الباطن، وتزلزل السرّ، والميل إلى الباطل، واتباع الهوى، ممّا يجامع إيمان عامّة المؤمنين من أهل أدنى مراتب الإيمان، وممّا هو معدود نقصاً وشرّاً بالإضافة إلى مراتب الإيمان العالية، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^٣ وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^٤.

والقرآن الكريم يزيل مجبّجه القاطعة وبراهينه الساطعة أنواع الشكوك والشبهات

١- الأحزاب / ٦٠.

٢- المدثر / ٣١.

٣- يوسف / ١٠٦.

٤- التساء / ٦٥.

المعتزلة في طريق العقائد الحقّة والمعارف الحقيقية، ويدفع بمواظبه الشّافيه وما فيه من القصص والعبر والأمثال والوعد والوعيد والإنذار والتبشير والأحكام والشرائع عاهات الأفتدة وآفاتنا، فالقرآن شفاء للمؤمنين.

وأما كونه رحمة للمؤمنين - والرحمة إفاضة ما يتمّ به التّقص ويرتفع به الحاجة - فلأنّ القرآن ينور القلوب بنور العلم واليقين بعد ما يزيل عنها ظلمات الجهل والعمى والشكّ والريب، ويحلّوها بالملكات الفاضلة والحالات الشريفة الزّاكية، بعد ما يغسل عنها أوساخ الهيئات الرديّة والصفات الخسيسة.

فهو بما أنّه شفاء يزيل عنها أنواع الأمراض والأدواء، وبما أنّه رحمة يعيد إليها ما افتقدته من الصّحة والاستقامة الأصليّة الفطريّة، فهو بكونه شفاء يطهر المحلّ من الموانع المضادة للسّعادة ويهيئها لقبولها، وبكونه رحمة يلبسه لباس السّعادة وينعم عليه بنعمة الاستقامة.

فالقرآن شفاء ورحمة للقلوب المريضة، كما أنّه هُدًى ورحمة للتّفوس غير الآمنة من الضلال، وبذلك يظهر التّكته في ترتّب الرحمة على الشّفاء في قوله: ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، فهو كقوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^١، وقوله: ﴿وَمَفْقَرَةٌ وَرَحْمَةٌ﴾^٢. فمعنى قوله: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ونزل إليك أمرًا يشفي أمراض القلوب ويزيلها ويعيد إليها حالة الصّحة والاستقامة، فتمتّع من نعمة السّعادة والكرامة.

وقوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، السّياق دالّ على أنّ المراد به بيان ما للقرآن من الأثر في غير المؤمنين قبال ما له من الأثر الجميل في المؤمنين، فالمراد بالظّالمين غير المؤمنين، وهم الكفّار دون المشركين خاصّة، كما يظهر من بعض المفسّرين وإنّما علّق الحكم بالوصف

١- يوسف / ١١١.

٢- البقرة / ٩٦.

- أعني الظلم - ليشعر بالتعليل، أي أن القرآن إنما يزيدهم خساراً المكان ظلمهم الكفر. وللمفسرين في معنى صدر الآية وذيلها وجوه أخر أغمضنا عنها، من أراد الوقوف عليها فليراجع مسفوراتهم.

ومما ذكره فيها أن المراد بالشفاء في الآية أعم من شفاء الأمراض الروحية، من الجهل والشبهة والريب والملكات النفسانية الرذيلة وشفاء الأمراض الجسمية بالتبرك بآياته الكريمة قراءة وكتابة.

ولابأس به، لكن لو صحّ التعميم، فليصحّ في الصدر والذيل جميعاً، فأنه كما يستعان به على دفع الأمراض والعاهات بقراءة أو كتابة، كذلك يستعان به على دفع الأعداء، ورفع ظلم الظالمين، وإبطال كيد الكافرين، فيزيد بذلك الظالمين خساراً، كما يفيد المؤمنين شفاء هذا، ونسبة زيادة خسارهم إلى القرآن مع أنها مستندة بالحقيقة إلى سوء اختيارهم وشفاء أنفسهم، إنما هي بنوع من المجاز.

(١٣: ١٨٢-١٨٥)

الفصل الخامس والعشرون

نصّ الأُشيقِر (معاصر) في «لمحات من تاريخ القرآن»

أسماء القرآن وصفاته

اختلف جمهور الفقهاء والمجتهدين بصدد لفظ القرآن وسبب تسميته بهذا الاسم الذي لم يك متداولاً في الجاهليّة، كما ولم يسبق له وجود قبل نزوله، وهل هو لفظ أصيل أو مشتقّ، وما إذا كان مهموزاً «أي أن الهمزة في أصل اشتقاقه»، أو هو غير مهموز بالمرّة؟

لقد ذهب كلّ هؤلاء الفقهاء والمجتهدين في البداية ودوناً أيّ خلاف يذكر ما بينهم، ذهبوا إلى أن لفظ القرآن الذي جاء في نحو من سبعين آية قد وضعه الله سبحانه علماً على كتابه المنزل مخالفاً بذلك لما يسمّى العرب كلامهم وأحاديثهم، فقد سمى جملته قرآناً كما سمى العرب جملة كلامهم ديواناً، وسمّى بعضه سورة كقصيدة، وسمّى بعض السورة آية كالبيت، وسمّى آخر السورة فاصلة كقافية^١.

بعد هذه البداية المتفق عليها بين الجميع تفرّق الفقهاء بشأن الإجابة على التساؤلات الواردة أعلاه، ويمكن حصر أقوالهم بصدد ذلك في رأيين اثنين:

١- أن الغالبية العظمى من هؤلاء الفقهاء - ومنهم الزّجاج - ينحون إلى أن القرآن المعروف بـ «أل» ليس هو لفظاً أصيلاً وإنما هو مشتقّ، واشتقاقه هذا قد جاء من: قرّن الشيء، إذا ضمه إليه، وسمّى القرآن بذلك لقران السّور والآيات والحروف المتفرقة وضمّها بعضها إلى

بعض. وقيل أيضاً: إن اشتقاقه هذا جاء من القرائن، لأن آياته يصدّق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها للبعض الآخر، فكان بعضها قرينةً على بعض.

وقال كثير من هؤلاء الفقهاء أيضاً: بأن لفظ القرآن مهموز، وذلك لأنه مشتق من القُرء وهو الجمع، وإِنما سُمّي الكلام المنزل على النبيّ قرآناً لأنه جمع السُور أو جمع ثمرات الكتب المقدّسة السالفة، أو أنه مشتق من: قرأ، ومعناه تلا، مثل الغفران المشتق من غفر.

٢- أمّا الأقلّيّة عن هؤلاء الفقهاء - ومنهم الشافعيّ - فتذهب إلى مخالفة زُملاتهم وإخوانهم بصدد لفظ القرآن، وملخص أقوال هذه الفئة هو أن لفظ القرآن غير مشتق بالمرّة، كما أنّه في نفس الوقت غير مهموز، ولم يؤخذ من قراءة، بل هو خاص بالكلام المنزل على الرّسول ﷺ مثل التّوراة والإنجيل والزبور.

وعندي أن القول الأوّل هو المفضل، لأنّه يلائم المنطق ويتفق الاستدلال الواقعيّ واللّغوي، ولذا أخذت به الغالبية العظمى من فقهاء المسلمين قديماً وحديثاً.

وبعد هذا ننتقل بالقراء الكرام إلى أسماء القرآن الكريم، فأقول بأن الله سبحانه قد سمّى القرآن بأسماء كثيرة بلغت في العدّد عند بعض خمسة وخمسين اسماً وغالبيتها صفات له، أمّا الأسماء المجرّدة فهي حوالي التّصف، أي (٧٢) اسماً، منها: القرآن والفرقان والكتاب والكلام والمثاني والبلاغ والذكر... الخ.

وسنورد فيما يلي من أسطر شرحاً خاطفاً لبعض صفات القرآن وأسمائه المشار إليها، وعلل تسميته بهذه الصفات وهذه الأسماء.

[١] يسمّى القرآن أولاً بالمُصحّف، وسبب ذلك يعود إلى أنّه لمّا جمع أبوبكر القرآن -الجمع الثّاني-... [وذكر كما تقدّم نحوه عن السيوطي، ثمّ قال:]

وإنّما لم تسمّى هذه الصّحاف المجموعة بالقرآن لأن القرآن هو موجود بين الدّفتين، أمّا

الصحاف المجموعة، فإذا ما أطلق عليها لفظ القرآن كان اللفظ سيؤدّي شبه المعنى وليس كلّ المعنى، طالما أنّ كافّة آيات القرآن مجموعة في محلّ واحد، ولكن دون أن تجمعها الدفتين، لذا فقد استخرج لها لفظ جديد هو المصحّف، ليتمكن تمييزها عن القرآن الذي قد يجمع في يوم ما بين الدفتين، وقد جمع بالفعل.

والمراد بالمصحّف العثماني هو مصحف عثمان بن عفّان الذي أمر باستنساخه وتوزيعه (الجمع الثالث). وكان ذلك المصحّف خاليًا من الثّقط والحركات (الشكل) وأرقام الآيات والأحزاب والأجزاء، حيث إنّ كلّ هذه قد وضعت فيما بعد وبرزور الزمن لتكون القرآن الذي هو الآن في أيدي المسلمين، وكان المصحّف العثماني يسمّى به «المصحّف الإمام» أيضًا، لسبب خاصّ سوف نوردّه في محله، كما سنمرّ بعد ذلك على كيفة وضع الثّقط والحركات في المصحّف المذكور.

[٢] وبصدّد تسميته بالكتاب، فهذا يعود إلى جمعه وكتابته في مكان واحد، لأنّ الكتابة جمع للحروف ورسم للألفاظ، ولا يطلق الكتاب على المكتوب إذا كان مجزّأ وغير مجتمع، فضلًا عن حفظه في الصدور.

[٣] أمّا السبب الرئيس في تسميته - القرآن - بالاسم الأكثر شيوعًا وتداولًا وهو لفظ الكريم، فيعود إلى أنّ القرآن ينظّم فيما ينظّم الحياة الاقتصاديّة والمعاشيّة للناس عن طريق بيان مجالات التكبّس والعمل المباحة والمحظورة، فضلًا عن الالتزامات والتكاليف الماليّة التي تلزم كلّ فئة من الناس إزاء الأخرى.

فهذه التنظيمات والتشريعات التي حفلت بها سور القرآن لو أخذت كلّها ونقلت إلى ميادين التطبيق والعمل، لنشأ بسببها مجتمع سعيد وصالح يخفق على جنباته لواء العدل والحقّ والمساواة، ولساد أوساطه الشّعبيّة روح التعاون والتضامن، ولا تبعد منه كلّ لون من ألوان الاستغلال والاستعباد. فلو أنّ المرء - أي مرء - تمكّن من عمل هذا الشيء سميّ كريمًا، فكذلك دعا الله كتابه بالكريم، وهو لفظ طبيعيّ في مثل هذا المكان.

[٤] أمّا سبب تسمية القرآن بالفرقان، فيعود إلى أنّ الكلمة مصدر من فعل فَرَّقَ، والفرقان هو ما يفصل بين الشيئين، وسمّي القرآن به لأنه يفصل بين الحقّ والباطل.

[٥] أمّا علّة تسمية القرآن بالمجيد والعزیز، فهو أنّ هذه الصفّات مشتقة من المجد والعزّة على التّوالي، وهذا وصف طبيعيّ وخليق بالقرآن أن يوصف به، إذا ما علمنا بأنّ القرآن كلام الله، جعله أسمى الكُتُب السّماويّة مُنزلة وأوفرها علماً وأعذبها نظماً وفصاحةً، كما وأودع فيه علم كلّ شيء، وضمّنه كلّ رطب ويا بس ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾، ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، فضلاً عن أنّه الحبل الذي يربط الأرض بالسّماء، والتورّ الذي يضيء دياجير الخافقين، لذا كان حقّاً أن يكون مجيداً وعزیزاً، بل فوقهما لو كان هناك فوق.

[٦] أمّا لفظ «المبين» الذي يلحق بالقرآن مراراً، فهو مأخوذ من البيّنة أو البيان، وذلك لأنّ حجّة القرآن بيّنة ودليله ساطع وجليّ، أو هو يبيّن الحقّ من الباطل وللرّشاد من الغواية والضّلال.

[٧] أمّا لفظ «الحكيم» فجاء من الحكمة، لأنّ الحكمة والحكم من مادّة واحدة كما يقول اللّغويّون، ولما كان القرآن هو منبع الحكمة ومصدرها، إليه يفزع النّاس للاعتراف والاستنزادة من فيض حكمته وبيانه، ومنه تنحدر الوصايا والأمثال والعِظة والقصص، بات حكيمًا بل وأعلى منه وأسمى.

الفصل السادس والعشرون

نصّ العطار (م: ١٤٠٣) في «موجز علوم القرآن»

القرآن لغةً واصطلاحًا

١- القرآن لغةً^١

أ- المقروء المكتوب: يقال: قرأ الرسالة قراءة وقرأنا، أي نطق بالمكتوب فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاقْبَعْ قُرْآنَهُ﴾^٢، ويكون الأقرأ: الأفتح قراءة، كما قد يكون بمعنى إلقاء النظر على الرسالة ومطالعتها صمتًا.

ب- الجمع: (ويسمى قرآنًا لأنه يجمع السور فيضمها)، وقال ابن الأثير: إن الأصل في لفظة القرآن هو (الجمع، وكل شيء جمعه فقد قرأته، وسمي قرآنًا لأنه جمع القصص، والأمر والتّهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض) قال الرّاغب... [وذكر كما تقدّم عنه].

ج- اسم الكتاب الله تعالى: فقد روي عن الشافعي أنه قال: «القرآن: اسم وليس بهوز لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل». وقال أبو بكر بن مجاهد المقرئ: «كان أبو عمرو بن العلاء ولا يهزم القرآن. وقال الرّاغب: «والقرآن في الأصل مصدر، نحو كفران ورجحان».

١- انظر تاج العروس، مادة (قرأ). المفردات: ٤٠٢. مجمع البيان، ١٤: ١. الإقناع، ٥٠: ١. شهاب الدين القسطلاني: لطائف

الإشارات، ١٨: ١.

٢- القيامة/ ١٨.

ولعلّ ما ذهب إليه ابن الأثير وغيره من اللغويين، من أن الأصل في القرآن: الجمع، هو أقرب المعاني انسجاماً ومناسبة مع واقع القرآن الكريم، فيما ضمّ من الأحكام العامة وجمع^١ من القواعد الكلية، والأسس والرئيسة للشرعية الإسلامية الفراء.

وإنّما جعل الله تعالى القرآن قانوناً أساسياً و كلياً، باعتباره دستور الدين الكامل، والنعمة التامة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^٢ فلا يوحى الله تعالى بعد القرآن كتاباً، فكان من مقتضى لطفه سبحانه، أن يكون كلياً إجمالياً، ليسير مع تطوّرات الحياة يحكم أحداثها وقائها ويشمل مناحيها، ويستجيب لحاجاتها ومتطلباتها في كلّ الميادين، رغم اختلاف الظروف والبيئة، محافظاً على مقاصد الشرع الحنيف: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^٣.

٢- القرآن اصطلاحاً

القرآن الكريم أسمى وأشهر من أن يعرف، ولكن جرت سنّة المعنيين به أن يعرفوه تعريفاً جامعاً مانعاً، ومع ذلك جاء تعاريفهم شتى صياغة، متقاربة معنى. وقالوا:

أ- القرآن: هو الكلام القائم بذات الله تعالى، وما نقل إلينا بين دفتي المصحف نقلاً متواتراً^٤.

ب- إن القرآن الذي في المصاحف بأيدي المسلمين شرقاً وغرباً فيما بين ذلك، من أول أمّ القرآن إلى آخر المعوذتين، كلام الله عزّ وجلّ وحيه، أنزله على قلب نبيّه محمد ﷺ ومن

١- قال بعض الحكماء تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمره كتبه، بل لجمعه مرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله: ﴿وَنُفِصِلُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وقوله: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾. المفردات: ٤٠٢.

٢- المائدة: ٣.

٣- التحل: ٨٩.

٤- الفزالي، المستصفى: ٦٥.

كفر بحرف منه فهو كافر^١.

ج- القرآن: هو الكتاب المنزل على رسول الله ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً^٢ بلا شبهة^٣.

د- القرآن: هو كتاب الله المنزل على رسوله محمد ﷺ والمدون بين دفتي المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس^٤.

هـ - اللفظ العربي المنزل على محمد ﷺ، المنقول إلينا بالتواتر^٥.
ويمكن القول: إن القرآن الكريم هو وحي الله المنزل على النبي محمد ﷺ لفظاً ومعنى وأسلوباً، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر.
ومن خواص هذا التعريف أنه:

- ١- وحي الله: الوحي يشمل كل ما أوحى به الله تعالى إلى رسله وأنبيائه.
- ٢- المنزل على النبي محمد ﷺ: قيدٌ خرج به جميع الرسلات والأديان السابقة، كالثورة والإنجيل والزبور، لأنها نزلت على سائر الأنبياء.
- ٣- لفظاً ومعنى وأسلوباً: قيدٌ خرج به ما ثبت من الحديث القدسي، وهو ما نزل على النبي ﷺ، ولم يثبت نظمه في القرآن الكريم، كما خرج بهذا القيد التفسير، وترجمة القرآن إلى سائر اللغات، لاختلاف الألفاظ والأسلوب وإن اتفقت المعاني. وهذا نستغني عن إيراده قيد «العربية» الذي ذكره «الشيخ شلتوت» في تعريفه السابق.

٤- المكتوب في المصاحف: قيدٌ خرج به ما أوحى الله تعالى به إلى النبي ﷺ من الأحكام، وأداها بأسلوبه الخاص قولاً، مثل: «صلاة الفجر ركعتان»، و«صلوا كما رأيتموني أصلي».

١- معجم فقه ابن جزم: ٢: ٨٣٣.

٢- أصول البزدوي: ١: ٢١-٢٣.

٣- عبد القادر عودة، التشريع الجنائي: ١: ١٦٥.

٤- محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشرعة: ٣٩٩.

و «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ»^١.

٥- المنقول بالتواتر: أي أن القرآن نقله قوم - لا يتوهم اجتماعهم و تواطؤهم على الكذب لكثرتهم، و تبين أماكنهم - عن قوم مثلهم، وهكذا إلى أن يصل الثقل إلى رسول الله ﷺ.
و بهذا القيد خرج المنقول بالشهرة و القراءات الشاذّة، مثل ما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ قوله تعالى في كفارة اليمين ﴿...فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ...﴾^٢ بزيادة «متتابعات»، فهذه القراءة محمولة على أنها تفسير للأيام الثلاثة بكونها متتابعات. (١٤-١٨)

أسماء القرآن و مناسباتها

دلالة الأسماء و المصطلحات

إنّ «المصطلحات» التي يستعملها الباحثون لها مداليل و مفاهيم يجب البحث عنها ضمن الفكر الذي يستند إليه الباحث، ويفسر بموجبه الظواهر والأحداث ليخلص إلى النتائج المطلوبة.

و ليس من الصواب قبول «اصطلاح» ما بغض النظر عن القيم الفكرية التي يستند إليها. فلفظ «الحرية» مثلاً أو «العدالة» أو «الحق» أو غيرها، يختلف مفهومه في الفكر الإسلامي عما هو عليه في الأفكار المغايرة.

و مما يؤيد ما ذهبنا إليه ما جاء أن الإسلام (لم يتبن العدالة الاجتماعية بمفهومها التجريدي العام، و لم يناديها بشكل مفتوح لكل تفسير، ولا أو كله إلى المجتمعات الإنسانية التي تختلف في نظرتها إلى العدالة الاجتماعية باختلاف أفكارها الحضارية و مفاهيمها عن الحياة)^٣، و على هذا الأساس، فليس من الصواب ترحيل الاصطلاحات من فكر إلى فكر،

١- انظر: محمود أبوريّة، قصة الحديث النبوي: ٦٥.

٢- المائدة/ ٨٩.

٣- محمد باقر الصدر، اقتصادنا ٢: ٢٨١.

يختلف عنه في قاعدته العقيدية وفلسفته التشريعية. فمن الجهل أن نبحت مفهوم «التقوى» مثلاً في الفكر الرأسمالي، أو فكرة «سوق المنافسة الحرة» في الفكر الاشتراكي، أو «الديمقراطية» في الفكر الإسلامي.

والغريب أن البعض يصطلح على «الإسلام» اصطلاحات فكرية غريبة عن أسسه الفكرية! ولعلّ الهدف منها:

١- إمّا ترويع الإسلام إذا افترضنا حُسن النية، وهذه طريقة باطلة، لأن وصف الإسلام أو تسميته بما هو غريب عنه طمس لمعالمه الفكرية، وتشويه لحقائقه وأبعاده التشريعية، إذا الإسلام بحقيقته المجردة - ودوناً وصف إضافي - قدّير على كسب أفئدة الشعوب وتنظيم مجتمع الإنسانية، إذا ما تجلّت تشريعاته واتّضحت مفاهيمه الكاملة الشاملة، دونما تعصّب أو هوّى، ولا أدلّ على ذلك من التجربة العملية التي مرّ بها طيلة الحكم التبويّ الشريف.

٢- وإمّا مطاردة الفكر الإسلامي - إذا افترضنا سوء النية - بإشاعة الأفكار والمصطلحات الأجنبية وصبغها بصبغة إسلامية، لإغفال الأمة عن فكرها الأصيل، وجرها إلى ما لا تمثّل إليه بصلة بأسلوب خبيث جذّاب، من غير ضجّة ولا إثارة انتباه، فتندفع الأمة إلى الإيمان به، باعتبار أن هذا الاصطلاح الأجنبيّ «رائج» أولاً، وأنه لا ينافي «لبّ الإسلام». ثانياً! وكان الإسلام «جوز الهند»، فيه لبّ وفيه قشور يحذر طرحها!

على أن الاعتبار في استعمال الاصطلاحات إمّا هو بالأغراض التي وقع الاصطلاح لأجلها، وإذا علمنا ذلك اتّضح لنا السرّ في اختيار الله تعالى لكتابه الكريم اسماً مخالفاً لما سُمّي العرب كلامهم جملةً وتفصيلاً.

فلو سُمّي القرآن «ديواناً»، والسورة «قصيدة»، والآية «بيتاً»، ونهايات الآيات «قوافي»، لتحقّق إقرار التعبير الجاهليّ، ولسار القرآن الكريم في خطّ الاستعمالات والأعراف الشائعة قبله، ولكنّه بالرغم من نزوله قرآنًا عربيًّا وبلسان عربيّ مبين، نجدّه يتهجّج في اصطلاحاته نهجاً

يتفق مع ما جاء به من فكر وقيم ومفاهيم وأعراف. ويطلق تسمياته حسب أغراض يريدها، تتجاوب مع تصوراته، وتتفق مع مداليله وقيمه الخاصة.

وعليه (فلا يجوز تسمية الفواصل قوافي إجماعاً، لأن الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر، وجب سلب القافية عنه أيضاً، لأنها منه وخاصة به في الاصطلاح، وكما يمتنع استعمال القافية فيه، يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر، لأنها صفة لكتاب الله لاتعدّاه).^١
ولعلّ السبب أو الباعث على هذا التغيير هو:

١ - ابتناء التسميات والمصطلحات الجاهلية على الفكر والمفاهيم الجاهلية، وقصورها بالتالي - عن احتمال المعاني الإسلامية الجديدة.

٢ - إرادة طبع الثقافة الإسلامية ومن ثمّ الأمة الإسلامية التي تبشّر بها بطابع خاص متميّز عن طريق هذه المصطلحات والتسميات الجديدة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا انظُرْنَا...﴾^٢. وما تحويل القبلة، وتعيين أعياد خاصة للمسلمين، وتسمية الرّسول من لم يتبع الإسلام «جاهلي» إلا مؤيّدات لما ذهبنا إليه، من الحرص على إيجاد أمة مستقلة عن سائر الأمم الفارقة في الخرافات والجهالة، مستقلة عنها في الفكر والسلوك والعواطف والمشاعر، وهكذا كانت أمتنا كما أرادها الله وصنّعها رسوله الكريم ﴿خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^٣.

أسماء وأوصاف القرآن ومناسباتها

تناول العلماء أسماء القرآن بالبحث، فقال أبو المعالي عزّيزي بن عبد الملك المعروف بـ «شاذّلة» - بضمّ عين عزّيزي - في كتاب «البرهان»: «اعلم! أن الله سمّى القرآن بخمسة

١ - الإتيان ٢: ٩٧.

٢ - البقرة ١٠٤/.

٣ - آل عمران ١١٠/.

وخمسين اسماً^١. وهذا وهم منه، إذ إنه خلط بين الأسماء والأوصاف، وأكثر ما ذكر من أسماء للقرآن إن هي إلا أوصاف مناسبة لكتاب الله العزيز.

و المناسبة في اللغة: المقارنة، وفلان يناسب فلاناً، أي يقرب منه، وسمي التسيب نسيباً لقربه واتصاله. (و منه: المناسبة في العلة - في باب القياس - الوصف المقارب للحكم، لأنه إذا حصلت مقاربتة له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم، ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول، إذا عرض على المعقول تلقته بالقبول)^٢ عند من يقول بالقياس.

و لكل اسم من أسماء القرآن أو وصف من أوصافه مناسبة مضمونية، فوصفه بـ (الحكيم) مثلاً لإحكام صياغته، واحتوائه على الحكيم والعبر، إذ الحكيم صفة تناسب مضمون القرآن، وكذا وصفه بـ (التور) لأن الرؤية لاتتم - مع وجود البصر - إلا بالتور، لا يدرك كثير من الحقائق ولا يهتدي إليها إلا بالتور، والعقل مع قدرته علي الإدراك فإنه لا يدرك كثير من الحقائق ولا يهتدي إليها إلا بالقرآن وتوجيهاته الثيرة؛ قال تعالى: ﴿... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ...﴾^٣. وفيما يلي ذكر بعض أسماء وأوصاف القرآن الكريم، مع بيان المناسبات التي تربط بينه وبين المعاني الاشتقاقية لهذه الأسماء والأوصاف:

١- القرآن: قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا...﴾^٤.

فإن قلنا: إن القرآن مصدر، أو وصف مشتق، فمعناه «الجمع» من قولهم قرأت الشيء، أي جمعته^٥، بدلالة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾.

١- الإتيان ١: ٥٠.

٢- البرهان ١: ٣٥.

٣- المائدة ١٥/١٦٦.

٤- الحشر ٢١.

٥- لطائف الإشارات ١: ١٨.

ومناسبته أن القرآن الكريم جمع أحكام الأمم الغابرة وأخبارها، وجمع بين رقة الشعر وجزاله التثر البليغ، وجمع بين أصول العقيدة ومبادي الأخلاق والأحكام العملية، وجمع - للمتمسك به - خير الدنيا والآخرة، وجمع بين متطلبات الإنسان الجسدية والروحية وهكذا، وإلى هذا المعنى ذهب جماعة كبيرة من اللغويين^١ وأنه الأصل في اللغة العربية.

وإن قلنا: إن القرآن مصدر قرأ وقراءة وقرأنا، أي نطق بالكتاب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ فإن مناسبته حفظ الكتاب الإلهي في الصدور، لأن في القراءة استذكاراً واستظهاراً للشيء، كما أنه مما يتعبد الله تعالى بتلاوته. أمّا إذا قلنا: إن القرآن يؤخذ من: قرأت، فيكون اسماً قد خصّ بالكتاب المنزل على محمد ﷺ فصار له كالعلم، كالتوراة والإنجيل^٢.

٢- الكتاب: لما كان «الكتاب» بالتبادر (هو الصحيفة أو الصّحائف التي تضبط فيها طائفة من المعاني عن طريق التخطيط بقلم أو طابع أو غيرها)^٣، كما أن الكتابة ليست إلا جمعاً للحروف ورسمًا للألفاظ، فتسمية كلام الله تعالى بـ «الكتاب» إشارة إلى جمعه في السطور. وقد جرى كلامه تعالى في إطلاق الكتاب على أمور، منها:

١- الكتب المنزلة على الأنبياء المشتملة على شرائع الدين، ككتاب نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿... وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...﴾^٤، وكتاب إبراهيم وموسى عليهما السلام ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾^٥، وكتاب محمد: ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾^٦، وكتاب

١- انظر: لسان العرب، مادة (قرأ).

٢- انظر: المفردات: ٤٠٢.

٣- الميزان: ٧: ٢٦٥.

٤- البقرة/ ٢١٣.

٥- الأعلى/ ١٩.

٦- البقرة/ ٢-١.

يحيى عليه السلام: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ...﴾^١.

٢- الكتب المخصصة لضبط الحسنات والسيئات، فمنها ما هو مخصص لكل إنسان: ﴿وَكُلُّ أُنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا * أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^٢. ومنها ما هو عام لكل أمة من الأمم: ﴿وَوَرَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^٣.

٣- الكتب التي تضبط أحداث الوجود ونظامه، وهذه منها الثابت: ﴿وَمَا يَغْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^٤. ومنها الكتب التي يتطرق إليها التغيير كما يشاء الله تعالى: ﴿يَخُودُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْفِثُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^٥.

٣- الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ...﴾^٦. ومادة الفرقان تفيد معنى التفرقة، ومناسبتها: الإشعار بالدور الذي أدّاه كتاب الله تعالى في التفريق بين الهدى والضلال، والحق والباطل، وطريق الجنة وطريق النار، وسبيل الحلال وسبيل الحرام، ومنهج العبودية في عبادة المخلوق ومنهج التحرير في عبادة ربّ الأرباب إلخ.

وقيل: سمي بذلك لأنه يؤدي إلى التّجاة والمخرج، نظير قوله تعالى: ﴿...يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾^٧.

١- مريم/١٢.

٢- الإسراء/١٣-١٤.

٣- الجنّية/٢٨.

٤- يونس/٦١.

٥- الرعد/٣٩.

٦- الفرقان/١١.

٧- الأنفال/٢٩.

٤- الكلام: وهو مشتق من الكلم بمعنى التأثير: لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده^١. قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾^٢.

وعن الحسين بن خالد قال: قلت للرّضا عليّ بن موسى عليه السلام: يا بن رسول الله أخبرني عن القرآن، أخالق أم مخلوق؟ فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنّه كلام الله عزّ وجلّ^٣. ويمكن أن تكون هذه التسمية مناسبة لما في القرآن الكريم من أحكام أو أخبار، نظير قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْتُكُمْ رَبُّكَ صِدْقًا وَعَدًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، أي لأحكامه.

٥- الهدى: ومناسبته كون القرآن الكريم هادياً إلى الحق والرّشاد، وهو من باب إطلاق المصدر وإرادة الفاعل، نظير قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...﴾^٤ بمعنى هادياً للناس...

٦- ذكر: وهو الشرف، ومناسبته: أن الرّسول ﷺ نال أقصى مراتب الشرف بتبليغه القرآن الكريم، وكذلك صارت أمة محمد ﷺ خير الأمم وأشرفها، لأنها حملت للناس نور القرآن وهدايته؛ قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾^٥.

كما أنّه ذكر من الله تعالى لعباده بالفرائض والأحكام ولما ضمّ من المواعظ والعبر وذكر الأمم الغابرة.

ولقد وردت أوصاف أخرى للقرآن الكريم:

١- الأنفان ١: ٥٠.

٢- التوبة ٦.

٣- الصدوق، كتاب التوحيد: ١٥٧.

٤- البقرة ١٨٥.

٥- الزخرف ٤٤.

منها: «شفاء» إشارة إلى أثره في معالجة أمراض القلوب، كالكفر والحقد، والغِلّ والحسد، بل هو شفاء للجسم أيضاً لما فيه من قواعد الصّحة الوقائيّة العامّة، نظير قوله تعالى: ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^١.

ومنها: «القصص» كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ...﴾^٢ لما فيه من قصص الأمم الغابرة.

ومنها: «الحكيم»، لأنّه أحكمت آياته بعجيب التّظيم، وبديع المعاني، كما أنّها أحكمت فلا يتطرّق إليها التّبديل أو التّحريف.

ومنها: «الحكمة» إشارة إلى أنّ القرآن وضع كلّ شيء في محلّه المناسب، فيما فصلّ من حلال وحرام، وما شرع من أمر ونهي، كما أنّ نزول القرآن تمّ على القانون المعتمد من وضع كلّ شيء في موضعه اللاّئق.

ومنها: «الحبل»، لأنّه سبب للوصول إلى الهدى والجنّة ورضوان الله تعالى.

ومنها: «الصّراط المستقيم»، لأنّه طريق قويم إلى الله، لا عوج فيه ولا دوران.

ومنها: «العزیز، الموعظة، المجيد، بلاغ، بصائر، بيان، المشافي، التّنزيل، الوحي، الرّحمة، التّذير، المهيمن... الخ» وغيرها من الأوصاف المناسبة للقرآن، لم تنطرّق إلى شرحها خشية الإطالة.

(٣٩-٤٦)

الفصل السابع والعشرون

نصّ توفّل (م: ٤٠٤) في «الإعجاز العددي للقرآن الكريم»

القرآن والتور والحكمة والتّزِيل

لقد تكرر ذكر «القرآن» بلفظه ٦٨ مرة، حيث ورد بلفظ «القرآن» مرّة في مثل النصّ الشريف: ﴿إِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾^١. و ١٠ مرّات بلفظ «قرآنًا» في مثل النصّ الكريم: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^٢. وتكرر ذكر «التور» بلفظه ٣٣ مرّة حيث ورد بلفظ «نور» ٢٤ مرّة في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^٣. و ٩ مرّات بلفظ «نورًا» في مثل النصّ الشريف: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾^٤. وتكرر ذكر «الحكمة» بلفظها ٢٠ مرّة في مثل قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾^٥. وتكرر ذكر «التّزِيل» بلفظه ١٥ مرّة، حيث ورد بلفظ «تزيل» ١١ مرّة في مثل النصّ

١- التمل/٦.

٢- يوسف/٢.

٣- المائدة/١٥.

٤- النساء/١٧٤.

٥- البقرة/٢٣١.

الشريف: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾^١، و٤ مرّات بلفظ «تنزيلًا» في مثل النّص الكريم: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمُوتِ الْعُلَى﴾^٢. وبذلك يكون قد تساوى عدد مرّات ذكر القرآن بمجموع عدد مرّات ذكر التور والحكمة والتنزيل. (١٥٨-١٥٧:٣)

[القرآن والبيّنات والمبينات والموعظة والشفاء]

ورد «القرآن» بلفظه في القرآن الكريم ٦٨ مرّة، ووردت «البيّنات» بلفظها ٥٢ مرّة في مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^٣.

و٣ مرّات وردت بلفظ «مبينات» في مثل النّص الشريف: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾^٤، ووردت «الموعظة» ٩ مرّات في مثل النّص الكريم: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾^٥. وورد لفظ «شفاء» ٤ مرّات في مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أُمْتُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾^٦.

فيكون مجموع البيّنات ومبينات وموعظة وشفاء ٦٨، أي بقدر ما تكرر لفظ القرآن.

(١٦١:٣)

القرآن والملائكة، القرآن والوحي

لقد تكرر ذكر «القرآن» في القرآن الكريم ٦٨ مرّة، حيث ورد بلفظ «القرآن» ٥٨ مرّة في مثل النّص الشريف: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾^٧. و١٠ مرّات بلفظ «قرآنًا» في

١- الواقعة / ٨٠.

٢- طه / ٤.

٣- العنكبوت / ٩.

٤- الطلاق / ١١.

٥- آل عمران / ١٣٨.

٦- فصلت / ٤٤.

٧- الإنسان / ٢٢.

مثل النصّ الكريم: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^١.

وهذا هو العدد الذي تكرر به ذكر «الملائكة» تحديدًا، حيث وردت لهذا اللفظ ٦٨ مرة في مثل النصّ الشريف: ﴿يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^٢ أي أن لفظ القرآن قد تكرر بقدر ما تكرر لفظ الملائكة تمامًا.

أما لفظ القرآن ومشتقاته فلم يرد في القرآن الكريم زيادة، عدد ذكر القرآن وهو ٦٨ مرة سوى مرتين ذكر القرآن بلفظ قرآنه في ذلك في النصّين الشريفين: ﴿إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾^٣ فإذا قرأناه فأتبع قراءته^٤. ليكون عددا ما ذكر به القرآن ومشتقاته هو ٧٠ مرة وهو نفس العدد الذي تكرر به ذكر الوحي إذا تكرر لفظ «أوحيّا» ٢٤ مرة وذلك في مثل النصّ الشريف: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾^٥.

ولفظ «يوحي» ١٤ مرة وذلك في النصّ الكريم: ﴿إِنِ اتَّبِعِ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْ﴾^٦، كرر لفظ «أوحي» ١٠ مرّات في مثل النصّ الشريف: ﴿أَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لَا نُذَرِكُمْ بِهِ﴾^٧. ولم يتضمّن هذا العدد الوحي الكذب الذي ورد بنفس اللفظ مرة واحدة.

وورد لفظ «أوحي» ٤ مرّات في مثل النصّ الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^٨. وتكرر لفظ «أوحي» ٤ مرّات في مثل النصّ الشريف: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾^٩. ولم يتضمّن هذا العدد آيات الوحي إلى

١- يوسف / ٢.

٢- التعل / ٢.

٤- القيامة / ١٧-١٨.

٤- النساء / ١٦٣.

٥- يونس / ١٥.

٦- الأنعام / ١٩.

٧- الأنبياء / ٢٥.

٨- الإسراء / ٢٩.

التمل أو إلى الأرض أو وحي الرُّسُل للنَّاس، وعددها ٤ مرَّات. وورد لفظ «يُوحى» ٣ مرَّات في مثل النَّصِّ الكريم: ﴿كَذَلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^١. ولا يتضمَّن هذا العدد وحي الشياطين،

وقد وردت بهذا اللَّفْظ مرَّةً واحدةً. وتكرَّر لفظ «نُوحِي» مرتين في مثل النَّصِّ الشَّريف: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾^٢. وكذلك لفظ «وَحَى» في مثل النَّصِّ الكريم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحَى﴾^٣. وأيضًا لفظ «وَحِينًا» في مثل النَّصِّ الشَّريف: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا﴾^٤.

ووردت مرَّةً واحدةً لفظ «أَوْحَيْتَ» في النَّصِّ الكريم: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ امْثُلُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾^٥. ولفظ «نُوحِيهَا» في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾^٦. كذلك بلفظ «فَيُوحَى» في النَّصِّ الشَّريف: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ اللَّهُ عَلَى حُكْمٍ﴾^٧. وأيضًا لفظ «وَحِيًّا» في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾^٨. وكذلك لفظ وحيه في النَّصِّ الكريم: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾. وهكذا يبلغ عدد مرَّات ذكر الوحي ومشتقاته فيما يخصَّ وحي الله لعباده ورُسُلُه ٧٠ مرَّة، هما عدد ذكر القرآن ومشتقاته.

(١: ١٦١-١٦٥)

١- الثَّورى / ٣.

٢- آل عمران / ٤٤.

٣- الأنبياء / ٤٥.

٤- هود / ٢٧.

٥- المائدة / ١١١.

٦- هود / ٤٩.

٧- الثَّورى / ٥١.

٨- الثَّورى / ٥١.

الفصل الثامن والعشرون

نصّ الخطيب (م: ١٤٠٦) في: «من قضايا القرآن»

القرآن لفظه ومعناه

«القرآن» - هذا اللفظ الذي صار «علماً» على هذا الكتاب الكريم، والذي حمل شريعة الإسلام - ما معناه في لسان العرب؟ وهل هو عربي أم معرّب؟ وهل هو اسم مشتق أو جامد؟ وإذا كان مشتقاً فما هو في المشتقات؟ لقد وقع خلاف كثير بين العلماء في الإجابة على هذه الأسئلة، وعلى كثير غيرها مما يتصل بهذا اللفظ. ونحن نجمل القول فيها فيما يلي:

ما معنى «قرآن»؟

[بعد ذكر قول قتادة والشافعي والأشعري والقراء في معنى القرآن كما تقدّم عن الزركشي والسيوطي وغيرهما، فقال:] ، والذي نراه أن «القرآن» مصدر للفعل قرأ قراءة وقرأتاً، أي حرك لسانه بالكلام. وقد كان أوّل ما نزل على الرسول الكريم من القرآن قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾^١. وهذه التسمية أولى، لأنها أوّل كلمة نزلت من القرآن، فناسب أن تكون عنواناً له.

هل لفظ قرآن عربي أم معرّب؟

من عجب أن يدّعي أصحاب «الشطحات» من المستشرقين أن كلمة «قرآن» ليست عن

أصل عربيّ، وإثما هي معرّبة عن العبريّة أو الحبشيّة، أو التّبطيّة... إلى غير ذلك من المغربات التي يحاولون أن يظهرُوا بها في التّاس أنهم يعلمون دفائن العلم وخبائاه، والحقّ أنّهم إنّما يتخرّصون تخرّصات أشبه بتخرّصات الكهّان! إنّها رميات طائشة، قد تصيب، وقد تخيب أكثر ممّا تصيب! وأعجب من العجب؛ أن يتلقّي كثير ممّا هذه الأقوال، بل ويتلقّفوها في لهفة وحرص، كأنّهم عثروا على ذخيرة من ذخائر العلم، أو مكنون من مكنوناته، طالبن أن كشف العلم لانتحيء إلا من بعيد، من أوربا أو أمريكا، حتّى ولو كان هذا العلم علم العرب، ولسان العرب، ودين العرب!! إنّ ذلك هو الخزي والخسران!

ونسأل: هل ضاقت اللّغة العربيّة كلّها عن أن تحبّد الكلمة التي تجعلها عنوانًا لكتابها المبين؟ وإذ عجزت اللّغة العربيّة عن أن تقدّم كلمة واحدة هي رايتها، والشارة الدّالة عليها، فكيف تستطيع أن تحمل هذه اللّغة معجزة، أساسها الكلمة، ويبنّيها الكلام؟ هل يعقل هذا؟

لقد كانت كلمة «قرأ» ومشتقاتها من أكثر الكلمات جريئًا على الألسنة في الوقت المعاصر الرّسالة التّبويّة الكريمة، وكانت قریش قد بدأت تُظهر عناية خاصّة بأمر القراءة والكتابة. فلمّا نزل القرآن تلقّاه المسلمون في صدورهم، وجعلوا يتلّونه ويقرؤونه ممّا حفظت صدورهم، وكان المسلم حيث كان يرّد ما حفظ من آيات الله، قارئًا لنفسه، أو مقرئًا غيره.

وقد أمر الله النّبي ﷺ أن يقرأ على التّاس ما ينزل عليه من كلمات الله: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقَنَاهُ لِتَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ﴾.

أبعد هذا يستقيم لقائل أن يقول: إنّ لفظة «القرآن» غير عربيّة؟ إنّ ذلك القول بأنّ لفظ القرآن غير عربيّ أشبه بقول من يقول: إنّ لسان العرب غير عربيّ، إذ القرآن هو معجزة هذا اللّسان، وإذا لفظة «القرآن» هي عنوان هذا القرآن! ولا تنفد عند هذا السّخف أكثر من هذه الوقفة، لنُدحض تلك الفرية الدّاحضة، ولنفضح هذا البهتان العظيم!

الفصل التاسع والعشرون

نصّ صُبحي الصّالح (م: ١٤٠٧) في «مباحث في علوم القرآن»

أسماء القرآن وموارد اشتقاقها

لقد اختار الله لوحيه أسماء جديدة لما سُمّي العرب به كلامهم جملةً وتفصيلاً. وروعت في تلك الألقاب أسرار التسمية وموارد الاشتقاق، واشتهر منها لقَبان: الكتاب والقرآن. وفي تسميته بالكتاب إشارة إلى جمعه في السّطور، لأنّ الكتابة جمعٌ للحروف ورسمٌ للألفاظ؛ كما أنّ في تسميته بالقرآن إيماءة إلى حفظه في الصّدور، لأنّ القرآن مصدر القراءة، وفي القراءة استدكار. فهذا الوحي العربيّ المبين قد كُتب له من العناية به ما كفل صيانتَه في حرزٍ حرّيز، وما جعله بنجوة من خوض العابثين وتلاعب المحرّفين، إذ لم ينقل كجميع الكتب بالكتابة وحدها ولا بالحفظ وحده، بل وافقت كتابته تواتر إسناده، ووافق إسناده المتواتر نقله الأُمّين الدّقيق.

ومع أنّ كلّتا التّسميتين ترتدّ إلى أصلٍ آراميّ، إذا وردت الكتابة في الآرامية بمعنى رسم الحروف، وجاءت القراءة فيها بمعنى التّلاوة، بدت تسمية هذا الوحي بالكتاب وبالقرآن طبيعياً جدّاً، لا مميّز الوحي المحمّديّ في مراحلها كلّها بهذه العناية المزدوجة في صيانة نصوصه وحفظ تعاليمه منقوشة في السّطور، مجموعة من الصّدور. على أنّ الذي غلب استعماله من

بين هاتين التسميتين هو لفظ القرآن بالمدلول المصدرى، حتى بات علماً شخصياً لهذا الكتاب الكريم. فكان جديراً بنا - قبل أن نخوض في ظاهرة الوحي و تقصّي هذه المباحث القرآنية - أن نبادر إلى معرفة الأصل الاشتقاقي للفظ القرآن الذي يحكي الفاظاً أخر تماثله في اللغات السامية، وإلى الوقوف على المدلولات اللغوية لأهم الأسماء الأخرى التي أختيرت للقرآن وأطلقت عليه، سواء أتشابهت أم لم تتشابه بين الساميات والعربية. لقد ذهب العلماء في لفظ «القرآن» مذاهب، فهو عند بعضهم مهموز، وعند بعضهم الآخر غير مهموز، فممن رأى أنه بغير هز الشافعي والقرّاء والأشعري... [ثم ذكر قول الشافعي والقرّاء والأشعري والزجاج واللحياني في معنى القرآن واشتقاقه، كما تقدّم نحوه عن الزركشي والسيوطي، فقال:]

والأخير أقوى الآراء وأرجحها، فالقرآن في اللغة مصدر مترادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ^١. والعرب في الجاهلية حين عرفوا لفظ «قرأ» استخدموه بمعنى غير معنى التلاوة، فكانوا يقولون: هذه الناقة لم تقرأ سلى قط، يقصدون أنها لم تحمل ملقوحاً ولم تلد ولدًا، ومنه قول عمرو بن كلثوم: هجان اللون لم تقرأ جنبًا^٢.

أما قرأ بمعنى «تلا» فقد أخذها العرب من أصل آرامي وتداولوها، فمن المعروف كما يقول برّجشتراسر G. Bergstraesser: إن اللغات الآرامية والحبيشية والفارسية تركت في العربية آثاراً لا تنكر، لأنها كانت لغات الأقوام المتمدنة المجاورة للعرب في القرون السابقة للهجرة. وما لنا نستغرب هذا ولا نصدقه ونحن نعلم أن لهجات الآرامية المختلفة كانت تسود كل بلاد فلسطين وسورية وبين التهرين وبعض العراق؟ ونعلم أيضاً أن جوار العرب لليهود الذين كانت لغتهم الدينية الآرامية عجل في انتشار كثير من الألفاظ الدينية الآرامية؟

١- ويرى بعض المفسرين أن منه أيضاً قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ أي القراءة.

٢- لسان العرب ١: ١٢٦.

وقد أشار إلى هذا المستشرق كرنكو Krenkow في بحثه عن لفظ «كتاب» في «دائرة المعارف الإسلامية»^١، كما نقل المستشرق بلاشير Blachere طائفة من الكلمات الدينيّة الآرامية والسريانيّة والعبريّة مؤكّداً استعمال العرب لها من أثر الجوار مع اليهود وسواهم من أصحاب الملل.^٢ ونذكر من تلك الألفاظ «قرأ، كتب، كتاب، تفسير، تلميذ، فرقان، قيوم، زنديق». ومهما يكن من شيء، فإنّ تداول العرب قبل الإسلام للفظ «قرأ» الآراميّ الأصل بمعنى «تلا» كان كافياً لتعريبه واستعمال الإسلام له في تسمية كتابه الكريم.

ومن أسماء القرآن «الفرقان»؛ قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^٣. ولفظ الفرقان في الأصل آرامي، تفيد مادته معنى التفرقة، كأن في التسمية إشعاراً بتفرقة هذا الكتاب بين الحقّ والباطل. ومنها الذكر ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ﴾^٤، وهو عربي خالص، ومعناه الشرف، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾^٥. ومنها: التّزليل ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٦، وهو عربي خالص كذلك يشعر بأنه وحي يوحى، ويتنزل على قلب الرّسول الكريم. وهذه الأسماء هي الشّائعة المشهورة، غير أنّ بعضهم بالغ في تعداد ألقاب القرآن، حتّى ذكر منها الزّركشي خمسة وخمسين نقلًا عن القاضي شَيْذَلَة، ولا ريب أنّه خلط فيها بين التسمية والوصف. فمن أسماء القرآن مثلاً: «العلي»، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَىٰ حَكِيمٍ﴾^٧.

١-١٠٤، Krenkow, Eneyvlopédie de l'Islam (art. Kitab) II.

٢-٥، Blachere, Le Coran, Introduction.

٣-الفرقان/١.

٤-الأنبياء/٥٠.

٥-الأنبياء/١٠.

٦-الشعراء/١٩٢.

٧-الرّحمن/٤. (وانظر: البرهان ١: ٢٧٤).

ومنها: المجيد، لقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾^١.

ومنها: العزيز، لقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾^٢.

ومنها: العربي، لقوله: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^٣. وقد بلغ بعض العلماء بأسماء القرآن ثيِّفاً وتسعين. والقرآن - بأي اسم سمّيته - هو الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته. وتعريف القرآن على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية.

(١٧-٢١)

١- البروج/٢١. (وانظر: البرهان ١: ٢٧٦).

٢- فصلت/٤١. (وانظر البرهان ١: ٢٧٦).

٣- الزمر/٢٨. (وانظر البرهان ١: ٢٧٥).

٤- وهو الحرّالي، كما في البرهان ١: ٢٧٣.

الفصل الثلاثون

نص الدرّاز (معاصر) في «التبّ العظيم»

[معنى القرآن]

القرآن في الأصل: مصدر على وزن «فعلان» بالضمّ، كالغفران والشُّكران والشُّكلان؛ تقول: قرأته قرءاً أو قراءةً وقرأتاً، بمعنى واحد، أي تلوته تلاوة. وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدرى في قوله تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْنَا جُنُفُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ * فإِذَا قرأناه فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أي قراءته. ثم صار علماً شخصياً لذلك الكتاب الكريم، وهذا هو الاستعمال الأغلب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾. رُوِيَ في تسميته قرآنًا كونه متلوًّا^١ باللسن، كما رُوِيَ في تسميته كتابًا كونه مدوّنًا بالأقلام، فكُلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه... [ثم أشار إلى حفظ القرآن من التحريف، كما تقدّم في بابه، فقال:]

١- الفياضة / ١٧-١٨.

٢- يُطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع الكتاب، وعلى كلّ قطعة منه، فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول أنه يقرأ القرآن: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف / ٢٠٤].

٣- هذا بيان لوجه الصلة فيهما بين المعنى المنقول عنه والمعنى المنقول إليه، وهو مبني على اشتهر من استعمال القراءة في خصوص التلاوة، وهي ضمّ الألفاظ بعضها إلى بعض في التطق، واستعمال الكتابة في خصوص في اللغة وجدنا ما ذُكر «ك ت ب» و«ق ر أ» تدوران على معنى الجمع، إمّا على معنى اسم الفاعل أو اسم المفعول، فيكون معناه «الجامع» أو «المجموع» وهذا اللقب لا يعني فقط أن هذا المسمى جامع للسُّور والآيات، أو أنه مجموع تلك السُّور والآيات، من حيث هي نصوص مؤلفة على

ولما كان القرآن بهذا المعنى الاسمي جزئياً حقيقياً، كان من المتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص، وذلك شأن كل الجزئيات الحقيقية، لا يمكن تحديدها بهذا الوجه، لأن أجزاء التعاريف المنطقية كليّات، والكلي لا يطابق الجزئي مفهوماً، لأنه يقبل الانطباق على كل ما يفرض مماثلاً له في ذلك الوصف ذهنياً، وإن لم يوجد في الواقع، فلا يكون مميّزاً له عن جميع ما عده، فلا يكون حدّاً صحيحاً.

وإنما يحدد الجزئي بالإشارة إليه حاضر في الحس، أو معهوداً في الذهن، فإذا أردت تعريف القرآن تعريفاً تحديدياً، فلا سبيل لذلك إلا بأن تشير إليه مكتوباً في المصحف أو مقروء باللسان، فتقول: هو ما بين هاتين الدّقتين، أو تقول: هو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - إلى - مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿.

أمّا ما ذكره العلماء من تعريفه بالأجناس والفصول - كما تعرف الحقائق الكليّة - فإنما أرادوا به تقريب معناه وتمييزه عن بعض ما عده بما قد يشاركه في الاسم، ولو توهمّا ذلك أن سائر كتب الله تعالى والأحاديث القدسية وبعض الأحاديث النبوية تشارك القرآن في كونها وحياً إلهياً فربما ظنّ ظان أنها تشاركه في اسم القرآن أيضاً، فأرادوا بيان اختصاص الاسم به ببيان صفاته التي امتاز بها عن تلك الأنواع، فقالوا: «القرآن هو كلام الله تعالى، المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته».

«فالكلام»: جنس شامل لكلّ كلام، وإضافته إلى «الله» تميّزه عن كلام من سواه من الإنس والجنّ والملائكة.

→ صفحات لقلوب، أو من حيث هي نقوش مصفوفة في الصّحف والألواح، أو من حيث هي أصوات مرتلة منظومة على الألسنة، بل يعني شيئاً أدقّ من ذلك كلّّه، وهو أنّ هذا الكلام قد جمع فنون المعاني والمقاني، وأنه قد حشدت فيه كنائب الحكم والأحكام، فإذا قلت: الكتاب أو القرآن، كنت كأنما قلت: «الكلام الجامع للمعلوم» أو «العلوم المجموعة في كتاب»، وهكذا وصفه الله تعالى، إذ أخبر بأنه نزله: ﴿فَنُتِلَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾. التحل ٨٩/، وكذلك وصفه النبي ﷺ حيث قال: «فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم»، رواه الثريّمذي.

و«المُنْزَلُ»: مخرج للكلام الإلهي الذي استأثر الله به في نفسه، أو ألقاه إلى ملائكته ليعلموا به لا لينزلوه على أحد من البشر، إذ ليس كل كلامه تعالى مُنْزَلًا، بل الذي أنزل منه قليل من كثير: «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَتْ كَلِمَاتُ الْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ تُنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا»^١، «وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةً أَبْحُرًا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ»^٢.

وتقيّد المُنْزَلُ بكونه «على محمد» لإخراج ما أنزل على الأنبياء من قبله، كالنوراة المُنْزَلة على موسى، والإنجيل المُنْزَل على عيسى، والزبور المُنْزَل على داود، والصّحف المُنْزَلة على إبراهيم عليه السلام.

وقيد «المتعبّد بتلاوته» - أي المأمور بقراءته في الصّلاة وغيرها على وجه العبادة - لإخراج ما لم نؤمر بتلاوته من ذلك، كالقراءات المنقولة إلينا بطريق الآحاد، وكالأحاديث القدسيّة، وهي المسندة إلى الله عزّ وجلّ إن قلنا: إنّها مُنْزَلة من عند الله بألفاظها.

أمّا الأحاديث التّبوّيّة فإنّها بحسب ما حوته من المعاني تنقسم إلى قسمين:

«قسم توقيفي» استنبطه التّبيّ بفهمه في كلام الله أو بتأمّله في حقائق الكون، وهذا القسم ليس كلام الله قطعاً.

و«قسم توقيفي» تلقّى الرّسول مضمونه من الوحي فينبّه للناس بكلامه. وهذا القسم وإن كان ما فيه من العلوم منسوّباً إلى معلّمه وملهمه سبحانه، لكنّه - من حيث هو كلام - حريّ بأن يُنسب إلى الرّسول ﷺ لأنّ الكلام إنّما يُنسب إلى واضعه وقائله الذي ألفه على نحو خاصّ، ولو كان ما فيه من المعنى قد تواردت عليه الخواطر وتلقّاه الآخرون الأوّل.

فالحدّيث التّبوّي إذاً خارج بقسميّته من القيد الأوّل^٣ في هذا التعريف وكذلك الحدّيث

١- الكهف/١٠٩.

٢- لقمان/٢٧.

٣- وهو كون الكلام كلام الله.

الْقُدْسِيَّ إِن قُلْنَا: إِنَّهُ مُنْزَلٌ بِمَعْنَاهُ فَقَطْ.

و هذا هو أظهر القولين فيه عندنا، لأنه لو كان مُنْزَلًا لفظه، لكان له من الحرمة والقُدسيّة في نظر الشّرْع ما للتعظيم القرآنيّ، إذ لا وجه للترقية بين لفظين مُنْزَلين من عند الله، فكان من لوازم ذلك وجوب المحافظة على نصوصه، وعدم جواز روايته بالمعني إجماعًا، وحرمة مسّ المُحدث لصحيفته، ولا قائل بذلك كلّهُ. وأيضًا فإنّ القرآن لما كان مقصودًا منه مع العمل بضمونه شيء آخر، وهو التّحدّيّ بأسلوبه التّعبد بتلاوته، أحتجيج لإنزال لفظه، الحديث القُدسيّ لَمْ يُنْزَلْ لِلتّحْدِيّ وَلَا لِلتّعْبَدِ، بل لمجرد العمل بما فيه.

وهذه الفائدة تحصل بإنزال معناه. فالقول بإنزال لفظه قول بشيء لاداعي في النظر إليه، ولا دليل في الشّرْع عليه، اللهمّ إلّا ما قد يلوح من إسناد الحديث القُدسيّ إلى الله بصيغة: «يقول الله تبارك وتعالى كذا»، لكنّ القرائن الّتي ذكرناها آنفًا كافية في إفساح المجال لتأويله بأنّ المقصود نسبة مضمونه لانسبة ألفاظه. وهذا تأويل شائع في العربيّة، فإنّك تقول حينما تنثر بيتًا من الشعر: «يقول الشّاعر كذا»، وتقول حينما تفسر آية من كتاب الله بكلام من عندك: «يقول الله تعالى كذا» وعلى هذه القاعدة حكى الله تعالى عن موسى وفرعون وغيرهما مضمون كلامهم بألفاظ غير ألفاظهم وأسلوب غير أسلوبهم، ونسب ذلك إليهم.

فإن زعمت أنّه لو لم يكن في الحديث القُدسيّ شيء آخر مقدّس وراه المعنى، لصحّ لنا أن نسمّي بعض الحديث التّبويّ قُدسيًّا أيضًا، لوجود هذا المعنى فيه، فجوابه: أنّنا لمّا قطعنا في الحديث القُدسيّ بزول معناه، لورود التّصّ الشّرعيّ على نسبته إلى الله، بقوله ﷺ: «قال الله تعالى كذا» سمّيناه قُدسيًّا لذلك بخلاف الأحاديث التّبويّة، فإنّها لمّا لم يرد فيها مثل هذا التّصّ، جاز في كلّ واحد منها أن يكون مضمونه معلّمًا بالوحي، وأن يكون مستنبطًا بالاجتهاد والرّأي، فسمّى الكلّ نبويًّا ووقوفًا بالتسمية عند الحدّ المقطوع به، ولو كانت لدينا علامة تميّز لنا قسم الوحي، لسمّيناه قُدسيًّا كذلك.

على أنّ هذا الامتياز لا يودّي إلى نتيجة عمليّة، فسواء علينا عند العمل بالحديث أن يكون من هذا القسم أو من ذاك، إذ التّبيّن ﷺ في تبليغه صادق مأمون، وفي اجتهاده فطن موفق، وروح القدس يؤيّده، فلا يقرّه على خطأ إن أخطأ في أمر من أمور الشريعة. فكان مردّ الأمر في الحقيقة إلى الوحي في كلتا الحالتين، إمّا بالتعليم ابتداءً، وإمّا بالإقرار أو التّسخين انتهاءً. ولذلك وجب أن نتلقّى كلّ سنّة بالقبول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^١، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^٢. (١٢-١٧)

١- الحشر / ٧.

٢- الأحزاب / ٣٦.

الفصل الحادي والثلاثون

نصّ السيّد الحكيم (م: ١٤٢٤) في «علوم القرآن»

القرآن وأسماءه

القرآن الكريم: هو الكلام المعجز المنزل وحياً على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته. وقد اختار الله تعالى لهذا الكلام المعجز الذي أوحاه إلى نبيه أسماء مخالفة لما سُمي العرب به كلامهم جملةً وتفصيلاً.

فسمّاه الكتاب قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^١. وسمّاه القرآن: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٢. والاهتمام بوضع أسماء محدّدة ومصطلحات جديدة للقرآن الكريم، يتمشى مع خطّ عريض سار عليه الإسلام، وهو تحديد طريقة جديدة للتعبير عما جاء به من مفاهيم وأشياء.

وتفضيل إيجاد مصطلحات تتفق مع روحه العامّة على استعمال الكلمات الشائعة في الأعراب الجاهليّة وذلك لسببين:

أحدهما - أن الكلمات الشائعة في الأعراب الجاهليّة من الصّعب أن تؤدّي المعنى الإسلاميّ بأمانة، لأنّها كانت وليدة التفكير الجاهليّ وحاجاته، فلا تصلح للتعبير عما جاء به الإسلام،

١- البقرة / ٢.

٢- يونس / ٣٧.

من مفاهيم وأشياء لا تمت إلى ذلك التفكير بصلة.

والآخر- أن تكوين مصطلحات وأسماء محدّدة يتميّز بها الإسلام ، ويساعد على إيجاد طابع خاصّ به ، وعلامات فارقة بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات .

وفي تسمية الكلام الإلهي بـ «الكتاب» إشارة إلى الترابط بين مضامينه ووحدتها في الهدف والاتّجاه ، بالتحوّل الذي يجعل منها كتاباً واحداً . ومن ناحية أخرى يشير هذا الاسم إلى جمع الكلام الكريم في السّطور ، لأنّ الكتابة جمع للحروف ورسم للألفاظ . وأمّا تسميته بـ «القرآن» فهي تشير إلى حفظه في الصدور نتيجة لكثرة قراءته ، وازدياده على الألسن ، لأنّ القرآن مصدر القراءة ، وفي القراءة استكثار واستظهار للنّصّ . فالكلام الإلهي الكريم له ميزة الكتابة والحفظ معاً ، ولم يكتف في صيانه وضمانه بالكتابة فقط ، ولا الحفظ والقراءة فقط ، لهذا كان كتاباً وقرآناً .

ومن أسماء القرآن أيضاً «الفرقان» . قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^١ . ومادة هذا اللفظ تفيد معنى التفرقة ، فكان التسمية تشير إلى أنّ القرآن هو الذي يفرّق بين الحقّ والباطل ، باعتباره المقياس الإلهي للحقيقة في كلّ ما يتعرّض له من موضوعات . ومن أسمائه أيضاً «الذكر» ، قال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مَبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ﴾^٢ . ومعناه الشّرف ، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾^٣ . وهناك ألفاظ عديدة أطلقت على القرآن الكريم على سبيل الوصف للتسمية ، كالجديد ، والعزیز ، والعليّ ، في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾^٤ ، ﴿وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ . ﴿وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدُنَّا لَعَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ .

(٢-١)

١- الفرقان / ١ .

٢- الأنبياء / ٥٠ .

٣- الأنبياء / ١٠ .

٤- البروج / ٢١ .

الفصل الثاني والثلاثون

نصّ المصطفويّ (م: ١٤٢٨) في «التّحقيق في كلمات القرآن»

[التّحقيق في أسماء القرآن]

١- القرآن: [قال الفيوميّ]: والقرء فيه لغتان: الفتح وجمعه قروء، والضمّ ويجمع على أقراء، ويطلق على الطّهر والحيض، ويقال: أنّه للطّهر، وذلك أنّ المرأة الطّاهر كأنّ الدّم اجتمع في بدنها وامتسك، ويقال: إنّهُ للحيض، وأقرأت، إذا حاضت، وأقرأت، إذا طهرت، فهي مقرّء، وقراءتُ أم الكتاب وبأَم الكتاب - يتعدّي بنفسه وبالباء - قراءةً وقراءاً، ثمّ استعمل القرآن اسماً، والفاعل قاري وقراءةً وقراءاً وقارئون. وقراءت على زيد السّلام أقرؤه عليه قراءة... [ثمّ ذكر قول ابن فارس والراغب والأزهريّ، كما تقدّم عنهم، فقال:]

والتّحقيق

أنّ الأصل الواحد في المادّة هو تفهّم وضبط معاني مكتوبة بالبصر مادّياً أو معنوّياً. والمعاني عبارة عن مفاهيم ومطالب مقصودة، والكتابة عبارة عن ثبتهَا بألفاظ وحروف وأنقوش وصوّر مناسبة في صفحات خارجيّة أو أنفسيّة أو في اللّوح المحفوظ عند الله تعالى. والبصراعُ من أن يكون قوّة محسوسة أو بصيرة باطنيّة أو روحانيّة صرفة.

ففي القراءة لازم أن تتحقّق هذه الخصوصيّات، وأمّا التّوجّه إلى المفاهيم بالقلب أو ضبطها بالسمّع أو بحاسة أخرى، فليس من مصاديق مفهوم القراءة. وبهذه المناسبة تطلق المادّة على القرب والتّفقّه والجمع مجازاً.

وأما القُرء بمعنى الحيض، فإنَّ القُرء كالغُسل اسم مصدر، بمعنى ما يتحصَّل من القراءة، وحالة الحيض وزمانها إمَّا تتحصَّل في نتيجة قراءة المرأة حالاتها وجريان أمورها وتحولات أيامها، إذا بها تتعيَّن ما لها من الوظائف الشرعية والعرفية، وتتغيَّر تكاليفها اللازمة، وتتبدَّل مجاري أمورها الطبيعية، وبها تتميَّز أوقاتها وأيامها، كما في خصوصيات الأعمال وبرنامج الطهارة والنظافة وإقامة العبادات وفي حساب العدة في التَّكاح والطلاق والاجتناب عن أمور معينة وغيرها.

وأما إطلاق القُرء على الطُّهر، فليس بصحيح إلاَّ تجوُّزًا بالمجاورة. ﴿وَالْمَطْلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾^١. فلازم لهنَّ مطالعة أحوالهنَّ والدقَّة في جريان أيامهنَّ وحساب قروهنَّ والتربُّص حتَّى تنتهي ثلاثة قروء. وكما أنَّ الكتابة تحدث وتكتب في صفحات صافية نقيَّة ثمَّ تقرأ هذه الكتابة، كذلك الحيض يحدث في صفحات أيام الطهارة الطبيعية الأصلية الجارية، فلا بدَّ أن يكون الضبط والقراءة والحساب عليها.

ثمَّ إنَّ الكتابة إمَّا في الألواح الخارجية، كما في كتبتُ في القرطاس، وإمَّا في الألواح الطبيعية بمحدث جريانات وحوادث خارجيه، سواء كانت في موضوع شخصي أو في عالم، كما في تثبت حالات الحيض في متن الطُّهر. وإمَّا في ألواح الأنفس، بما تنتقش من الصفات والأفكار، وإمَّا في اللوح المحفوظ عند الله تعالى، يضبط فيه ما يمضي ويُقدَّر. فالقراءة أيضًا تتعلَّق بهذه المكتوبات الأربعة:

فالأوَّل - كما في: ﴿حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾^٢.

والثاني - كما في: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^٣.

١- البقرة/ ٢٢٨.

٢- الإسراء/ ٩٣.

٣- البقرة/ ٢٢٨.

والتَّالِثَ - كما في: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^١.

والرَّابِعَ - كما في: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾^٢.

والقرآن مصدر جعل اسماً للكتاب المنزل للأنبياء ﷺ، وهذه التسمية بلحاظ أنه يقرأه الله ويقرأه الرسول ويقرأه الناس، وليس شيء غيره تكون له هذه الخصوصيات الثلاثة. أما قراءة الله عز وجل، فيقول تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^٣. ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾^٤.

فالقرآن في هذه المرتبة في لوح محفوظ عند الله تعالى، وهو اللوح الظاهر فيه ما يقضي ويقدّر من الأحكام والحقائق، وهو لوحة من علم الله المحيط يفسرها القرآن وتتجلى فيه، والقارئ لها هو الله عز وجل، وهو ينزل على لوح قلب النبي الأكرم، ويأخذه بقلبه ويراه رؤيته شهود و حضور.

وأما قراءة النبي الأكرم: فيقول تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنِ لِاتِّذَرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾^٥. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾^٦. ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكْثٍ﴾^٧. فهذا القرآن المجيد قد أوحى ونزل على قلب النبي الأكرم، وشاهده مشاهدة حضور، ثم يؤمر بتلاوته وقراءته على الناس، ليتوجهوا إلى وظائفهم التي تقدر وتقضي من جانب الله تعالى، فالقرآن من الله تعالى نازل على النبي ﷺ ليقرأه على الناس.

١- الإسراء / ١٤.

٢- الواقعة / ٧٧-٧٨.

٣- القيامة / ١٨.

٤- البروج / ٢١-٢٢.

٥- الأنعام / ١٩.

٦- التمل / ١.

٧- الإسراء / ١٠٦.

وأما قراءة النَّاس: فيقول تعالى: ﴿فَأَقْرُؤْ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^١. فإنَّ القرآنَ قد نزلَ لهداية النَّاس إلى السَّعادة والكمال والبرِّ والخير في الحياة الدُّنيا والآخرة، فواجب لهم أن يقرءوه ويتعلَّموا منه ما يُرشدهم إلى فلاحهم وصلاحهم. فيتحصَّل هنا مطالب لازم أن نشير إليها:

١- إنَّ كلمة القرآن مأخوذة من مادة القراءة، لا من القرى، ولا شيء غيره يتَّصف بالقراءة بمراتبها التي ذكرناها بالفاظها ومعانيها، ولا خصوصيّة فيه لمفهوم القرى والتَّجمّع.

٢- إنَّ القرآن بهذه الخصوصيّات نازل من جانب الله عزَّ وجلَّ إلينا، فإنَّه يُفْضي ويُقدِّر من جانب الله، ويثبت في اللوح الرُّوحاني الإلهي، ثمَّ ينزل منه بالوحي إلى قلب النَّبي ﷺ فيشاهده في قلبه بالعلم الحضورى، ثمَّ يقرأه الرَّسول ﷺ على النَّاس، فيضبطونه في الألواح.

٣- إنَّ اللوح المحفوظ هو مرتبة ظهور العلم والحكمة بالقضاء والتَّقدير، وفيها تتبيَّن خصوصيّات الأمور، فإنَّ العلم الإلهي هو ما يظهر من الحياة في نور الذات بما لا يتناهى، فيحيط بكلِّ شيء ولا يعزب عن علمه شيء، وذلك العلم إذا اقترن به الإرادة والحكمة والقضاء والتَّقدير، تتبيَّن أمور وتُحصَّل خصوصيّات الأحكام والموضوعات، وهذه مرتبة فيها تضبط وتحفظ التَّقديرات الإلهيّة وتتعيَّن. فيها ثمَّ تظهر منها محدودة في الخارج ما شاء وقدَّر وأراد.

٤- القرآن بجميع خصوصيّاته لفظاً ومعنى وحكماً وبجزئيات مفاهيمه نازل من الله عزَّ وجلَّ في هذا اللوح المحفوظ علي طبق حكمته وتقديره، ويضبط ويكتب فيه، ثمَّ ينزل منه على قلب النَّبي الأكرم بمقدار اتِّصاله باللوح وحضوره وشهوده وعلى ما شاء ويريد. وإن كانت كليّاته وإجمال مفاهيمه نازلة عليه قبل نزول جزئياته، وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^٢.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^١.
 ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾^٢.
 ﴿إِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾^٣.
 ﴿وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ﴾ * ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^٤.
 ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ * ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾^٥.
 ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾^٦.
 ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ * ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾^٧.
 ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْنٍ﴾^٨.
 ﴿كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ﴾^٩.

٥- لما كان القرآن بألفاظه ومعانيه نازلاً من جانب الله تعالى، فللمسلم المعتقد المقتدي به أن يجتهد في تحقيق تلك الألفاظ حق التحقيق، كما يجب له التحقيق في معانيه، وكما أن تحصيل حقائق المعاني والمعارف في القرآن لازم لنا، كذلك تحصيل المعاني الحقيقية للألفاظ القرآنية، فإن القرآن الكريم نزل معجزاً من جانب الله تعالى، وانتخب في مقام التعبير عن الحقائق والمعارف والحكم أحسن كلمة وأدق لفظ وأبينه وأخصه دلالة على تلك

١- البقرة / ١٨٥.

٢- طه / ١١٤.

٣- النمل / ٦.

٤- يس / ٣-٢.

٥- الواقعة / ٧٧-٧٨.

٦- الذر / ٢٣.

٧- البروج / ٢١-٢٢.

٨- الإسراء / ٦-١٠.

٩- فصلت / ٣.

المعاني المطلوبة، فإن الكلمات قوالب ومرائني للمعاني، وأي خصوصية كانت في المعاني لا بد أن تدل عليها الألفاظ وتستكشف من إراءة الكلمات.

وقد قلنا في مقدمات الكتاب: إن الكلمات القرآنية ما استعملت إلا في معانيها الحقيقية، وليس في القرآن تجوز، فإن التجوز يوجب وهنا واضطراباً وترديداً في تعيين المراد، بل وقد يوجب انحرافاً وضلالاً عن تبين الحق، ويفسر كل أحد كلام الله على طبق رأيه، ويؤول كل شخص مشكله ومتشابهه على ما يوافق فهمه.

نعم، حينئذ يفسر القرآن الكريم على ما يوافق الأفهام، ويتنزل سطح معارفه وحقائقه على ما يطابق أفكار الناس، فالقرآن ينطبق على آرائهم واعتقاداتهم، مع أن اللازم تطبيق الآراء عليه.

فالقرآن المجيد هو الميزان الحق والحقيقة بألفاظه ومعانيه، وهو مظهر الحق ومبينه: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابُ مُبِينٍ﴾^١.

٦- قلنا: إن القرآن الكريم معجز للبشر لفظاً ومعنى: ﴿قُلْ لِّئِنْ جِئْتُمْ بِآيَاتٍ إِلَّا لَيْسَ وَالْجِئْنُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾^٢.

أما لفظاً: فإن كل كلمة فيه قد انتخبت من بين مترادفاته وأشباهه بمعناه الحقيقي على المطلوب مع خصوصيات فيه، ولا يصح وضع كلمة أخرى مكانه، فإنه يفوت لطف خصوصية منظورة فيه، لأن كل كلمة من المترادفات له خصوصية وامتياز مخصوص ليس في غيره، وقد أشرنا في الكتاب إلى خصوصية كل كلمة وإلى لطف التعبير به في مورده. وهكذا انتخاب كل صيغة مخصوصة من بين الصيغ المختلفة، وتقديم كل كلمة وتأخيرها وسائر الخصائص المذكورة في علوم البلاغة.

١- التل ١.

٢- الإسراء ٨٨.

وأما معنًى: فإن كل ما يذكر فيه في كل موضوع وفي أي جهة حق مقطوع مسلم، يوافق الواقع ويكشف عن الحق بحيث لا يعتريه وهن ولا ريب. وهذه الأمور والخصوصيات لا يمكن لأحد أن يراعيها حق الرعاية، فإنه يحتاج إلى حضور جميع هذه الخصوصيات والامتيازات اللفظية والمعنوية في ذهن المتكلم، وبحيث يراها في آن واحد يتكلم فيه بكلمة، وهذا غير ممكن للبشر. وهذا حقيقة قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^١. وهذا المعنى لا يعرفه حق المعرفة إلا الأوحدي الجامع في العلوم الأدبية والأخلاقية والاجتماعية والعرفانية الحققة.

٧- قلنا: إن القرآن مصدر كالقرآن، ويُطلق على ما يُنزل من جانب الله المتعال بلفظه ومعناه على رسول الله ﷺ مبالغة فإنه يقرأه الله ويقرأه الرسول ويقرأه الناس، فكأنه قراءة، كما في زيد عدل، وهذا الإطلاق في قبال مطلق القرآن كلاً أو جزءاً. فيصدق على كل آية نزلت أو سورة أنها قرآن، وهكذا على مجموع السور والآيات المدونة:

﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قرآنًا عَجَبًا﴾^٢.

﴿وَلَا تُعْجَلْ بِالقرآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾^٣.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقرآنٌ مُبِينٌ﴾^٤.

﴿تَحْنُ تُقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾^٥.

٨- قلنا: إن القرآن مصدر بمعنى تفهم وضبط ما يكتب بالبصر، والكتابة هو ثبت شيء بألفاظ أو غيرها، وبهذا الأصل يظهر حقيقة قوله تعالى: ﴿اقْصِرْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ إِلَى

١- الإسراء / ٨٨.

٢- الجن / ١.

٣- طه / ١١٤.

٤- الحجر / ١.

٥- يوسف / ٣.

غَسَقَ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا^١. فالمراد ضبط ما يثبت من أثر الفجر ونقش انشقاق في الأفق، وتفهم هذه الكتابة.

٢- الفرقان: فالفرقان مصدر كالقرآن والعُقران، وزيادة المبنى تدل على زيادة في معنى الفرق، وهو صفة عالية ممتازة من أعلى الصفات الإنسانية، وتحصل بعد حصول المعرفة والتورانية ورفع الحُجب المانعة، وبها تتميز الحقيقة والمعارف الإلهية وسُبُل السَّلام: ﴿يَاءُ يُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّبِعُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا^٢﴾.

وعلى هذا ينزل الفرقان على كل رسول يبلغ عن الله عزَّ وجلَّ، فإن من ليس له روح التمييز والفصل، ولا يعرف حقَّ الخير والصلاح، فهو على توريد وشكٍّ وشبهة في أمره، فكيف يمكن له الإبلاغ والدعوة؟ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ^٣﴾، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا^٤﴾. فظهر أن إطلاق الفرقان على القرآن بهذا الاعتبار: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى مُكْتٍ^٥﴾.

٣- التَّنْزيل: إن الأصل الواحد في المادة هو انحدار شيء من علو إلى سفلى، وهو في المرتبة العليا طبعًا، مادّيًّا كان أو معنويًّا. وسبق في الهبوط أن التظر فيه إلى جهة الاستقرار في محلٍّ وتحقق إقامة بعقب التزول، بخلاف التزول، فإن التظر فيه إلى جهة ابتداء التزول.

ومن مصاديقه: نزول الرَّاكِب عن دابته، نزول المطر من السَّماء، نزول شدائد الدَّهر في مورد خاص، نزول الرَّجُل في ميدان المحاربة، نزول الشَّخص في منزله وبيته، ونزول الضَّيف، ونزول المستطيع في العمل بالمناسك في الموسم، نزول ماء الرَّجُل، نزول الطَّعام المهيأ، ونزول

١- الإسراء/ ٨٧.

٢- الأنفال/ ٢٩.

٣- الأنبياء/ ٢١.

٤- الفرقان/ ١.

٥- الإسراء/ ١٠٦.

البركة والربيع والرحمة والخير والآية والكتاب وغيرها. فالنزول المادي كما في: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ﴾^١. ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾^٢.
والنزول الروحاني كما في: ﴿فَنَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾^٣.
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^٤.

والفرق بين التعبير بالإنزال والتزليل: أن الإنزال يلاحظ فيه جهة صدور الفعل من الفاعل، فالنظر فيه إلى جهة الصدور، كما في:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾^٥.

﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾^٦.

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾^٧.

﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾^٨.

فيلاحظ فيها صدور الفعل وهو النزول في جهة انتسابه إلى الفاعل. وأما التزليل فيلاحظ فيه جهة الوقوع، فيكون النظر إلى الفعل في جهة الوقوع وتعلقه بالمفعول والمتعلق، كما في:

﴿فَنَزَلَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ﴾^٩.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾.

١- البقرة/ ٢٢.

٢- الجاثية/ ٥.

٣- الشعراء/ ١٩٣-١٩٤.

٤- الإسراء/ ٨٢.

٥- آل عمران/ ٧.

٦- القوبة/ ٢٦.

٧- الأعراف/ ٢٦.

٨- المؤمنون/ ٢٩.

٩- البقرة/ ١٧٦.

﴿وَأَن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾^١.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾^٢.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ﴾^٣.

فلو حظت فيها جهة التعلّق والوقوع والنظر إلى الفعل في هذه الجهة.

وأما التنزيل فتدل الصيغة على مطاوعة «التفعيل» بمعنى كون الفعل على طوع واختيار في

قبوله، لا على قهر كما في الانفعال، كما في:

﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن نُّنَزِّلُ الشَّيَاطِينَ﴾ «نُنَزِّلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٌ»^٤.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا﴾^٥.

﴿تُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾^٦.

يراد نزولها على طوع ورغبة وتمايل واختيار، وحذفت التاء في الآية الأولى والثالثة

للتخفيف وتسهيل التلفظ. (١٢: ٨٧-٨٩)

٤-الوحي: ﴿وَمَا كَانَ لَبِشْرَ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا

فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾^٧. الكلام: هو ما يُبرز عن الباطن ويُبَيِّن النية القلبية

بأي نحو كان، فيشمل الكلام بالحروف والصوت، والكلام بإيجاد تكويني، والكلام المعنوي،

أو الظاهر بواسطة ملك أو إنسان، وغيرها.

١-البقرة/٢٣.

٢-الشعراء/١٩٨.

٣-الأنعام/٨٢.

٤-الشعراء/٢٢١-٢٢٢.

٥-فصلت/٣٠.

٦-الفجر/٤.

٧-الشورى/٥١.

فيستحيل أن يكلم الله بشرًا إلا بالصُّور الثلاث المذكورة في الآية الكريمة، فإن الكلام المادي الظاهري يحتاج إلى تحقق الجهاز الباطني القلبي والجهاز الظاهري للتكلم، ووجود أسباب خارجية من المكان والهواء. وهذه الأمور توجب محدودية وفقرًا وحاجة في المتكلم، ولا ينسب إلى الله المتعال.

وأما الوحي فقلنا: إنه عبارة عن إلقاء أمر منظور في قلب شخص يوجب يقينًا وشهوذاً له، وهذا الإلقاء أمر روحاني، ويلقى في الباطن والقلب الروحاني لا القلب الجسماني، وهو ممكن أن ينسب إلى الله المتعال.

فالوحي تكليم الله عبده بلا واسطة وبلا حجاب، وهو من المصاديق الكاملة الثابتة للكلام من الله المتعال.

وأما الكلام من وراء الحجاب فهو إذا لم يكن الخطاب بلا واسطة شيء، بل يوجد ويُبرز في الخارج بواسطة ملك أو ألفاظ وكلمات أو وسيلة أخرى، فالكلام حينئذٍ يظهر في الخارج بأحد منها.

وفي هذه الصورة يجب أن تكون الوسطة مظهرًا ومجلى ومِرآة للكلام الإلهي من دون أن تكون لها موضوعية وخصوصية، فهي لا تُري إلا الكلام، وهذا كالقرآن المجيد الظاهر بوسيلة النبي أو ملك. فالقرآن الكريم باعتبار أنه أوحى إلى النبي ﷺ وحيًا، وباعتبار ظهوره في الخارج ونسبته إلى الناس كلام الله تعالى. وأما إرسال الرسول أعم من أن يكون الرسول إنسانًا أو ملكًا، وهو أمور بإبلاغ الكلام وإبرازه إلى الناس، فهذا الرسول إذا كان أمينًا في بيانه وأمورًا به، فهو يروي كلام الله المتعالي، سواء كان إلقاءه إليه وحيًا أو رواية.

ففي هذه الصورة يلاحظ الرسول على نحو الاستقلال والموضوعية، وفي الصورة الثانية: كونه فانيًا ومِرآة وغير ملحوظ بذاته.

ولا يخفى أن هذه الصور الثلاث في الآية الكريمة إنما هي لبيان أقسام كلمات الله المتعال، والوحي إنما يتصور في واحد منها.

الفصل الثالث والثلاثون

نصّ العسكريّ (م: ١٤٢٩) في «القرآن الكريم وروايات المدرستين» القرآن والكتاب والمُصحف

١- القرآن: القرآن: هو كلام الله الذي نزلّه نَجْومًا - في أوقاتها المعيّنة لإنزالها - على خاتم أنبيائه محمد ﷺ بِلُغَةِ العرب ولهجة قريش منهم، ويقابله الشَّعر والتَّنثر في الكلام العربيّ. وعليه فإنّ الكلام العربيّ ينقسم إلى قرآن وشعر ونثر.

وكما أنّه يقال لديوان الشّاعر: «شعر»، وللقصيدة في الديوان: «شعر»، وللبيت الواحد فيه: «شعر» وللشّطر الواحد أيضًا: «شعر»، كذلك يقال لجميع القرآن: «قرآن»، وللسّورة الواحدة: «قرآن»، وللآية الواحدة: «قرآن»، وأحيانًا لبعض الآية: «قرآن»، مثل ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ في الآية الثالثة من سورة البقرة، والقرآن بهذا المعنى، مصطلح الإسلاميّ وحقيقة شرعيّة. إنّ منشأ هذه الاستعمالات مجيئه في القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف.

أسماء أخرى للقرآن:

استخرج العلماء من القرآن أسماء أخرى للقرآن الكريم مثل: «الكتاب» و«التّور» و«الموعظة» و«كريم»... [ثمّ ذكر آيات للموارد الأربعة كما تقدّم سابقًا في مواضع متعدّدة فقال:]

٢- الكتاب: يظهر بآدنى تدبّر في موارد استعمال الكتاب في القرآن الكريم بأنّها جاءت

هي ونظائرها وصفاً للقرآن الكريم، وليست أسماء له، ماعدا الكتاب الذي ليس واضحاً أنه ليس اسماً للقرآن الكريم، ومن ثم تدرس موارد استعمال لفظ «الكتاب» في اللغة والقرآن الكريم في ما يأتي بإذنه تعالى. جاء استعمال الكتاب في اللغة والقرآن لمعانٍ متعددة منها:

أولاً- في اللغة:

أ- كتب الكتاب كتباً وكتاباً. أي دون حرف الهجاء على أشكال تكون فيها الكلمات والمجمل مثل قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^١.

ب- جاء الكتاب مصدراً سمي به المکتوب فيه، مثل قوله تعالى في حكاية قول بلقيس في سورة النمل: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ إِلَهِي إِلَهِي كَتَبَ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^٢.

ثانياً- في القرآن الكريم:

أطلق الكتاب في القرآن على التوراة والإنجيل والقرآن وكل كتاب أنزله الله على رُسُلِهِ، مثل قوله تعالى:

١- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾.

٢- ﴿وَقَالَتِ الْتَصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾، للإنجيل.

٣- ﴿أَلَمْ يَذْكُرْ لَكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^٣، للقرآن الكريم.

٤- ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾^٤، أي أنزل مع كل منهم

كتاباً، وسمى اليهود والتصارى أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى

١- البقرة / ٧٩.

٢- النمل / ٢٩-٣٠.

٣- البقرة / ١٧٢.

٤- البقرة / ٢١٣.

شَيْءٍ حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ»^١، كان هذا معنى الكتاب الذي يساوي المصحف في المعنى في اللغة والقرآن الكريم، واشتهر عند التّحويّين كتاب سيبويه في التّحويّ «الكتاب». قال حاجي خليفة في باب الكتاب من «كشف الظّنون»: «كتاب سيبويه في التّحويّ: كان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علماً عند التّحويّين، فكان يقال باللبّسة: وقرأ فلان الكتاب، فيُعلم أنّه كتاب سيبويه، وقرأ نصف الكتاب، فلا يشكّ أنّه كتاب سيبويه...»^٢.

إذاً فليس «الكتاب» اسماً للقرآن في القرآن الكريم ولا في عُرف المسلمين. ونستنتج من هذا البحث ونقول: إنّ العلماء أخطأوا إذ فسّروا ما جاء من لفظ «الكتاب» أو «كتاب» في محاورات الصّحابة بمعنى القرآن، في حين أنّهم قصدوا من «الكتاب» ما فرض الله على عباده، كما درسناها مفصّلاً في بحث روايات اختلاف المصاحف... [ثمّ ذكر بالتفصيل معنى المصحف، وهو اسم للقرآن، كما تقدّم عنه في ج ٥ «باب مصاحف الصّحابة»].

(٢٦١-٢٦٤)

١- المائدة / ٦٨.

٢- كشف الظّنون لحاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (م: ١٠٧٦) تركيا، ٢: ١٤٢٧-١٤٢٨.

الفصل الرابع والثلاثون

نصّ المدرّس التبريزي (معاصر) في «آلاء الرّحيم...»

مبحث في ذكر أسامي القرآن ومعانيها

واعلم! إنّ الله تعالى سَمّى القرآن بأربعة أسماء:

أحدها - سَمَاءُ قُرْآنًا، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^١، في قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^٢ وغير ذلك من الآي. واعلم! إنّ القرآن كاللُّغْفران والكُفْران معناه القراءة في الأصل، وهم مصدر قرأت أي تلوت، وهو المروي عن ابن عباس وقيل: هو مصدر قرأت الشيء، أي جمعت بعضه إلى بعض، ثم صار عَلَمًا منقولاً إلى هذا المجموع المقروء المنزل على الرّسول ﷺ المنقول عنه ﷺ توترًا فيما بين الدفّتين، وهو المراد في الآيتين المذكورتين. وأيضًا قال أبو إسحاق التّحوي: «سمّي كتاب الله تعالى الذي أنزله على نبيّه ﷺ قرآنًا لأنه يجمع السُّور وقال ابن الأثير... [وذكر كما تقدّم عن العطار، ثم ذكر قول الأشعري والزّجاج وأبي عبيدة والرّاعب، كما تقدّم عن الزّركشي والسيوطي وغيرهما...]

وثانيها - الكتاب: يعني سَمَاءُ الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قَيِّمًا...﴾^٣، وأيضًا قوله تعالى في أوّل سورة البقرة: ﴿الَمْ ۖ ذَلِكَ

١- الزّخرف / ٣.

٢- البقرة / ١٨٥.

٣- الكهف / ١.

الكتاب لا رتب فيه هُدًى للمُتَّبِعِينَ^١.

اعلم! أن الكتاب كالنظام مصدران لكُتِبَ من الكُتُب بمعنى الجمع، لكنّه بمعنى المفعول، ويحتمل كونه اسمًا لما يجمع به، كالنظام لما ينظم به، ومع احتمال العلم المنقول أيضًا، والشاهد لذلك المعنى المذكور كتب اللّغة من جملتها: مجمع البحرين والمنجد وغيرهما؛ يقال: كتبت السقاء، إذا جمعته بالخرز، الخرز: بمعنى الخياطة؛ يقال: خرز الخيف وغيره، أي خاطه، والكتيبة: على وزن الفعلية بمعنى الجماعة والطائفة من الجيش، والجمع كتاب.

لمعة إشرافية: اعلم أن الألفاظ موضوعة للمعاني العامة، فالكتاب موضوع لما ينتقش فيه، سواء كان مادّيًا أو مجردًا، وسواء كان نقشه معقولًا أو محسوسًا، أو متخيّلًا أو موهومًا. فعلى هذا الكتاب كتابان:

إمّا تدويني، فهو ما بين الدّفتين المسمّى بالقرآن من قرأ، إذا جمع، باعتبار وجوده الجمعي، بالفرقان باعتبار وجوده الفرقي، المنزل من الله عزّ وجلّ على نبيّه المرسل.

وإمّا تكويني، فأفاقي هو كتابه المبين، وأمّ الكتاب، وكتاب المحو والإثبات: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يُعِدُّهُ﴾ أمّ الكتاب لا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين^٢، أو أنفسي عليّني أو سجنّني^٣، ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عَلَيْينَ﴾^٤. ﴿وَإِنْ كِتَابُ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ﴾^٥.

فحاصل الكلام أن الإنسان الكامل قرآن وكتاب، وقارنه الله تعالى الكتاب التكوينيّ الآفاقي، والمراد بالكتاب الآفاقي كلّية العالم، كما قال الغزالي: «العالم كلّهُ تصنيف الله» وقيل بالفارسيّة، والقائل الشيخ محمود الشبستري في كتابه: المسمّى «بگلشن راز»:

بِئَزْد آنکه جائش در تجلّی است هَمّه عالم کتاب حق تعالی است

١- البقرة ١/٢.

٢- الرعد ٣٩/٣.

٣- المطفّن ١٨/٣.

٤- المطفّن ٧/٤.

عَرَضَ إعراب وجوه رجون حروفست مراتب همجوايات وقوفست
 أزاهر عالمی چون سوره ای خاص یکی زان فاتحه واندگر اخلاص

وفيما بين كل الموجودات كان الإنسان صورة معنوية أمرية، أي منسوبة إلى عالم الأمر، وهو عالم المعقول وعالم الأرواح، وهذا الاصطلاح مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَاقُولْ لِمَن رَّبُّكَ: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^١، وإنما سُمِّيَتْ به لأنها وجدت بأمر الحق تعالى بلا واسطة مادة ومدة، إذ يكفيها مجرد الإمكان الذاتي في قبول فيض الوجود بلا حاجة إلى الاستعدادي، وأيضاً لما كانت منذكة الأنبات لم يكن هناك مؤتمر، بل كانت مجردة وأمرًا له جلّ سلطانه، ومعلوم عند أولى التلهي: أن شئنة الشيء إنما هي بصورته لا بمادته، وهذا العالم العقلي سيصير عالماً وعينياً عرضه السموات والأرض: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾^٢ ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^٣ وأيضاً الإنسان نوع الأنواع، وكل الأنواع انطوى فيه؛ قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

أترعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ولذا اكتفى النبي ﷺ بالكتاب الأنفسي في معرفته الله تعالى بقوله: «من عَرَفَ نفسه فقد عَرَفَ رَبَّه» لأن من عرف نفسه على ما ينبغي وجوداً ووصفةً وفعلًا وطالع كتابه كذلك،

١- الأعراف / ٥٤.

٢- الإسراء / ٨٥.

٣- الأنبياء / ١٠٤.

٤- الزمر / ٦٧.

٥- الإسراء / ١٤٦.

٦- الفرقان / ١.

٧- الأنفال / ٢٩.

يعرف ربّه كذلك، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ وَكَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^١.

وثالثها - الفرقان: هو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، وقوله تعالى أيضًا: ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾، مسمّى بذلك لأنه يفرّق بين الحقّ والباطل، والفرقان: هو الفرق بين الشّينين، وإثما يقع الفرق بين الحقّ والباطل بالأدلة الدّالة على صحّة الحقّ فبطلان الباطل...

[في أقسام الوجود]

اعلم! أن لكلّ أمر أربعة وجودات: ١- الوجود العينيّ الذاتيّ، ٢- الوجود الذّهنيّ، ٣- الوجود الكتبيّ، ٤- الوجود اللفظيّ. فالوجودات الثلاثة إذا كانت مرائي اللّحاظ للوجود العينيّ الذاتيّ - أي ما بها ينظر لا ما فيها ينظر - فهي هو بوجه وظهوره بتفوت، ولهذا قيل: الاسم هو المسمّى بوجه، وهنا يجب احترام أسماء الله التّدوينيّة فكيف التّكوينيّة واسم النّبيّ والوليّ، ولا يمسّ إلّا بالطّهارة، والفرقان المكتوب كان من مراتب الوجود، والوجود الكتبيّ مرتبة تجلّي الحقّ تعالى بالتجلّي الإيجاديّ الكتبيّ والفيض المقدّس والرّحمة العامّة الامتنائيّة الوجوبيّة والمشية السّاريّة وكلمة «كن» الوجوديّة والرّحمة الواسعة، لإظهار ما كمن في غيب هويّته ... وفي هذه المرتبة يظهر الحقّ تعالى بصوّر أسمائه وصفاته ظهوراً عينيّاً كتبيّاً خارجيّاً، ويبرز ما بطن في غيب وجوده، واستتر تحت أشعة شمس هويّته من النقوش العلميّة، والحروف البسيطة العاليية، والأرقام الالهية المسطور في مرتبتيّ الأحديّة والواحديّة، وكتابي الجمع والتفصيل والفرقان في صفحتي الآفاق والأنفس، وقوسي التّزول والصّعود لكلّ ماله قابليّة الوجود الكتبيّ، ويرتب عليه الآثار المرغوبة منه على مراتب الأشياء في الوجود ودرجاتها في البروز والظهور... [ثمّ استشهد بشعر الفارسيّة وإن شئت فراجع، فقال:]

فخلاصة المطلب: أن هذا الوجود الكوني مظهر لحقيقة الحقائق، وكاشف عن أسرار نيته تعالى والعلمية وهذه الصحيفة الإلهية والكتاب التاطق عن الحق بالحق في قوله تسدست أسمائه: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾^١.

ورابعها - الذكر: هو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَكِّيهِمُ الدُّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^٢ وأيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾^٣، يعني القرآن. ويبحث في هذا الاسم من جهتين:

الأولى - من جهة المفهوم لغته.

والثانية - من جهة وجه التسمية.

فأما الأولى - فهو على معان:

أحدها - بمعنى الحفظ، كما في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^٤، أي احفظوها ولا تضيّعوا شكرها، فالذكر بهذا المعنى هو حضور المعنى في النفس.

وثانيها - بمعنى القول، والتذكر هو طلب القول.

وثالثها - بمعنى العبرة والموعظة؛ قوله تعالى: ﴿لَتَجْفَلَهُمْ لَكُم تَذَكُّرٌ﴾^٥ أي عبرة وموعظة.

ورابعها - بمعنى الثناء والشرف؛ يقال: له ذكر في الناس، أي الثناء والشرف فيما

بين الناس.

وأما الثانية - فمن جهة وجه التسمية يحتمل أمرين:

أحدهما - أن يريد به أنه شرف لمن آمن به وصدق بما فيه.

١- المجانية / ٢٩.

٢- المجر / ٩.

٣- فصلت / ٤١.

٤- البقرة / ٢٣١.

٥- الحاقة / ١٢.

والآخر- أنّه ذكر من الله لعباده بالفرائض والأحكام.

اعلم! أنّ هذا الكتاب التدويني فيما بين الدفتين مذكّر لحكمه النظري والعملي، وأما الأخير فثمرته مباشرة عمل الخير من تهذيب الظاهر والباطن. وأما التهذيب فله مراتب:

١- التخلية: هي أن تخلّي النفس عن رذائل الأخلاق، كالبخل والحسد والكبر وغيرها، وترك الشرور اللقلقيّة والقبعية والذبذبة المشار إليها في الحديث النبوي، حيث قال ﷺ: «من وقى شرّ لقلقه وقبّعه وذبذبه، فقد وقى الشرّ كلّ». والقلق: هو اللسان، والقبّ: هو البطن، والذبذّب: هو القضيّب.

٢- التجلية والتحلية: وهما أن تتخلّع النفس بهما بخلع الأسماء والصفات، وتتخلّق بأخلاق الله، كما في الحديث: «تخلّقوا بأخلاق الله».

٣- الفناء: فله مراتب، المحو والطمس والمحق، فالمحو: فناء أفعال العبد في فعل الحق، والطمس: فناء صفاته في صفته، والمحق: فناء وجوده في وجوده، قال الحكيم الالهي في «المنظومة»:

تجلية ، تخلية ، تحلية	ثمّ فناء مراتب مرتقية
محو طمس محق ادرالعملا	تجلية للشرع أن يمثلا
تخلية تهذيب باطن يعدّ	عن سوء الأخلاق كبخل وحسد
ولقلقي قبّعي ذبذبيّ	من التذاذ طرّحت بجانب

الفصل الخامس والثلاثون

نصّ منافع القَطَّان (معاصر) في «مباحث في علوم القرآن»

تعريف القرآن

[بعد ذكر معنى القرآن واشتقاقه، كما تقدّم سابقاً في مواضع متعدّدة، ثمّ قال:]

وقد خصّ القرآن بالكتاب المنزل على محمّد ﷺ فصار له كالعلم الشخصي. ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن، وعلى كل آية من آياته، فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صحّ أن تقول: إنه يقرأ القرآن ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾^١.

وذكر بعض العلماء أن تسمية هذا الكتاب قرآنًا من بين كتب الله لكونه جامعًا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَوَكَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^٢، وقوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^٣.

وذهب بعض العلماء إلى أن لفظ القرآن غير مهموز الأصل في الاشتقاق، إمّا لأنه وضع علمًا مرتجلًا على الكلام المنزل على النبي ﷺ وليس مشتقًا من قرأ، إمّا لأنه من قرن الشيء بالشيء، إذا ضمّه إليه، أو من القرائن، لأن آياته يشبه بعضها بعضًا، التون أصليّة وهذا رأي

١- الأعراف / ٢٠١.

٢- التحل / ٨٩.

٣- الأنعام / ٣٨.

مرجوح، والصّواب الأوّل. والقرآن الكريم يتعذّر تحديده بالتعاريف المنطقيّة ذات الأجناس والفصول والخواصّ، بحيث يكون تعريفه حدّاً حقيقياً، والحدّ الحقيقيّ له هو استحضاره معهوداً في الذّهن أو مشاهدّاً بالحسّ، كأن تشير إليه مكتوباً في المصحف أو مقروءاً باللسان، فتقول: هو ما بين هاتين الدّفتين.. [وذكر كما تقدّم نحوه عن الدّرّاز].

أسماءه وأوصافه

وقد سمّاه الله بأسماء كثيرة... [ثمّ ذكر بعض الأسماء المعروفة القرآن (كالفرقان والكتاب والذكر والتّزليل) مشفوعةً بآيات، كما تقدّم سابقاً فقال:]

وقد غلب من أسمائه: القرآن والكتاب، قال الدّكتور محمّد عبدالله درّاز: «روعي في تسميته قرآنًا كونه متلوّاً باللسن... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

ووصف الله القرآن بأوصاف كثيرة كذلك... [ثمّ ذكر بعض أوصاف القرآن كما تقدّم عن الفيروزآبادي والسيوطي، فقال:]

وكلّ تسمية أو وصف فهو باعتبار معنًى من معاني القرآن.

الفرق بين القرآن والحديث القدسيّ والحديث النبويّ

سبق تعريف القرآن، ولكي نعرف الفرق بينه وبين الحديث القدسيّ والحديث النبويّ نعطي التعريفين الآتيين:

الحديث النبويّ:

الحديث في اللّغة: ضدّ القديم، ويُطلق ويُراد به كلّ كلام يتحدّث به وينقل ويبلغ الإنسان من جهة السّمع أو الوحي في يقظته أو منامه، وبهذا المعنى سمّي القرآن حديثاً: ﴿وَمَنْ أَضَدُّ مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا﴾، وسمّي ما يحدّث به الإنسان في نومه ﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾^١.

١- الطّور/ ٣٤.

٢- يوسف/ ١٠١.

والحديث في الاصطلاح: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

فالقول: كقوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...»^١.

والفعل: كالذي ثبت من تعليمه لأصحابه كيفية الصلاة، ثم قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي

أَصْلِي»^٢، وما ثبت من كيفية حجه، وقد قال: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»^٣.

والإقرار: كأن يقرأ أمرًا أعلمه عن أحد الصحابة من قول أو فعل، سواء أكان ذلك في

حضرته ﷺ، أم في غيبته ثم بلغه، ومن أمثلته: «أَكَلِ الضَّبَّ عَلَى مَا نَدَّاهُ ﷺ»، «وَمَارُؤِي مِنْ

أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيُخْتَمَ بِهِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ ﷺ فَقَالَ: سَلَوْهُ لِأَيِّ

شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ»^٤.

والصفة كما روي: «مَنْ أَنَّهُ ﷺ كَانَ دَائِمَ الْبُشْرِ، سَهْلَ الْخُلُقِ، لَيِّنَ الْجَانِبِ، لَيْسَ بِفُظٍّ وَلَا

غَلِيظٍ، وَلَا صَحَّابٍ وَلَا فَحَّاشٍ وَلَا عِيَابٍ...».

الحديث القدسي

عرفنا معنى الحديث لغةً، والقدسي: نسبة إلى القدس، وهي نسبة تدل على التعظيم، لأن

مادة الكلمة دالة على التنزيه والتطهير في اللغة، فالتقديس: تنزيه الله تعالى، والتقديس:

التطهير، وتقديس: تطهر، قال الله تعالى على لسان ملائكته: ﴿وَنُحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ

لَكَ»^٥، أي نطهر أنفسنا لك.

والحديث القدسي في الاصطلاح: هو ما يضيفه النبي ﷺ إلى الله تعالى، أي أن النبي ﷺ

١- من حديث طويل رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب.

٢- رواه البخاري.

٣- أخرجه مسلم وأحمد والشافعي.

٤- رواه البخاري ومسلم.

٥- البقرة / ٣١.

يرويه على أنّه من كلام الله، فالرسول راوٍ لكلام الله بلفظ من عنده، وإذا رواه أحد رواه عن رسول الله مسنداً إلى الله عزّ وجلّ، فيقول: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلّ، أو يقول: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى.

ومثال الأوّل: عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلّ: «يد الله ملأى لا يفيضها نفقة، سحّاء الليل والنهار...»^١.

ومثال الثاني: عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: «أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه...»^٢.

الفرق بين القرآن والحديث القدسيّ

هناك عدّة فروق بين القرآن الكريم والحديث القدسيّ أهمّها:

١- أن القرآن الكريم كلام الله أوحى به إلى رسول الله بلفظه، وتحدّى به العرب، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سورٍ مثله، أو بسورةٍ من مثله، ولا يزال التحدّي به قائماً، فهو معجزة خالدة إلى يوم الدين. و[أمّا] الحديث القدسيّ لم يقع به التحدّي والإعجاز.

٢ - والقرآن الكريم لا يُنصب إلّا إلى الله تعالى، فيقال: قال الله تعالى. و[أمّا] الحديث القدسيّ - كما سبق - قد يُروى مضافاً إلى الله وتكون النسبة إليه حينئذٍ نسبة إنشاء، فيقال: قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى، وقد يُروى مضافاً إلى رسول الله ﷺ، وتكون النسبة حينئذٍ نسبة إخبار، لأنّه ﷺ هو المخبر به عن الله، فيقال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلّ.

٣ - والقرآن الكريم جميعه منقول بالتواتر، فهو قطعي الثبوت. والأحاديث القدسيّة أكثرها

١- أخرجه البخاريّ.

٢- أخرجه البخاريّ ومسلم.

أخبار آحاد، فهي ظنيّة الثبوت. وقد يكون الحديث القدسيّ صحيحًا، وقد يكون حسنًا، وقد يكون ضعيفًا.

٤- والقرآن الكريم من عند الله لفظًا معنًى، فهو وحي باللفظ والمعنى. والحديث القدسيّ معناه من عند الله ولفظه من عند الرسول ﷺ على الصحيح، فهو وحي بالمعنى دون اللفظ، ولذا تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين.

٥ - والقرآن الكريم متعبد بتلاوته، فهو الذي تتعين القراءة به في الصلاة: ﴿فَاقْرَأْ وَامَّا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^١، وقراءته عبادة يثيب الله عليها بما جاء في الحديث: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَهُ حَسَنَةٌ، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول «ألم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»^٢. والحديث القدسيّ؛ لا يجزئ في الصلاة، ويثيب الله على قراءته ثوابًا عامًا، فلا يصدق فيه الثواب الذي ورد ذكره في الحديث على قراءة القرآن بكل حرف عشر حسنات.

الفرق بين الحديث القدسيّ والحديث النبويّ

الحديث النبويّ قسمان :

قسم توقفيّ - وهو الذي تلقى الرسول ﷺ مضمونه من الوحي فينبئه للناس بكلامه، وهذا القسم وإن كان مضمونه منسوبًا إلى الله فإنه - من حيث هو كلام - حريّ بأن يُنسب إلى الرسول ﷺ لأنّ الكلام إما يُنسب إلى قائله، وإن كان ما فيه من المعنى قد تلقاه عن غيره. قسم توقيفيّ - وهو الذي استنبطه الرسول ﷺ من فهمه للقرآن، لأنّه مبين له، أو استنبطه بالتأمّل والاجتهاد. وهذا القسم الاستنباطيّ الاجتهاديّ يقرّه الوحي إذا كان صوابًا، وإذا

١- المزمل / ٢٠

٢- رواه الترمذيّ عن ابن مسعود، وقال: حديث حسن صحيح.

وقع فيه خطأ جزئيّ نزل الوحي بما فيه الصواب^١، وليس هذا القسم كلام الله قطعاً. ويتبين من ذلك أن الأحاديث النبويّة بقسميها: التوقيفيّ والتوفيقيّ الاجتهاديّ الذي أقرّه الوحي، يمكن أن يقال فيها، أن مردّها جميعاً بجملتها إلى الوحي، وهذا معنى قوله تعالى في رسولنا ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^٢. والحديث القدسيّ معناه من عند الله عزّ وجلّ، يلقي إلى الرّسول ﷺ بكيفيّة من كيفيّات الوحي - لا على التعيين. أمّا ألفاظه فمن عند الرّسول ﷺ على الرّاجح، ونسبته إلى الله تعالى نسبة لمضمونه لا نسبة لألفاظه، ولو كان لفظه من عند الله، لما كان هناك فرق بينه وبين القرآن، ولوقع التحدّي بأسلوبه والتعبد بتلاوته.

ويرد على هذا شبهتان:

الشبهة الأولى - أن الحديث النبويّ وحي بالمعنى كذلك، واللفظ من الرّسول ﷺ، فلماذا لا نسمّيه قدسيّاً أيضاً؟

والجواب: أننا نقطع في الحديث القدسيّ بزول معناه من عند الله، لورود النصّ الشرعيّ على نسبته إلى الله بقوله ﷺ: «قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى»، ولذا سميّناه قدسيّاً، بخلاف الأحاديث النبويّة، فإنّها لم يرد فيها مثل هذا النصّ، ويجوز في كلّ واحد منها أن يكون مضمونه ومُعَلِّماً بالوحي (أي توقيفياً) وأن يكون مستنبطاً بالاجتهاد (أي توقيفياً)، ولذا سميّناه الكلّ نبويّاً وقوفاً بالتسمية عند الحدّ المقطوع به، ولو كان لدينا ما يميّز الوحي التوقيفيّ لسميّناه قدسيّاً كذلك.

الشبهة الثانية - أنّه إذا كان لفظ الحديث القدسيّ من الرّسول ﷺ، فما وجه نسبته إلى الله

١ - ومثاله ما كان في أسرى بدر، فإن رسول الله ﷺ أخذ برأي أبي بكر، وقبل منهم الفداء، فنزل القرآن الكريم معاتباً له:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حِزْبًا لِمَا نَفَرَ مِنْ دُونِهِ بِالْبَأْسِ...﴾ الأنفال / ٦٧.

٢ - التّجم / ٣-٤.

بقوله ﷺ: «قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى».

والجواب: أن هذا سائغ في العربية، حيث يُنسب الكلام باعتبار مضمونه لا باعتبار ألفاظه، فأنت تقول حينما تنثر بيتاً من الشعر: يقول الشاعر كذا، وحينما تحكي ما سمعته من شخص: يقول فلان كذا، وقد حكى القرآن الكريم عن موسى وفرعون وغيرهما مضمون كلامهم بألفاظ غير ألفاظهم، وأسلوب غير أسلوبهم، ونسب ذلك إليهم: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَسْقُونَ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ وَيَضْحِكُ صَدْرِي - إلى - إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿١٧-٢٦﴾

الفصل السادس والثلاثون

نصّ الحجّتيّ (معاصر) في «مختصر تاريخ القرآن الكريم»

أسماء القرآن الكريم

لكتاب الله الكريم أسماء كثيرة أشهرها: القرآن، الفرقان، الكتاب، الذّكر، التّنزيل القرآن: ذكر هذا الاسم في ثمانية وخمسين موضعاً من القرآن، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾^١، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^٢... [ثم ذكر أقوال في معنى القرآن، وأصله، كما تقدّم في مواضع متعدّدة].

الفرقان: ورد هذا الاسم في سبعة مواضع من القرآن الكريم، قصد في اثنين منها «التّوراة» وفي اثنين «القرآن» وفي الثلاثة الباقية معانٍ أخرى.

ومما قصد بهذا الاسم القرآن قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^٣.

وسُمّي بذلك لأنّه يفرّق بين الحقّ والباطل بأدلّته الدّالة على صحّة الحقّ فبطلان الباطل، عن ابن عباس.

وقيل: سُمّي بذلك لأنّه يؤدّي إلى المخرج والتّجاة، كقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

١- الواقعة / ٧٧.

٢- التحلّل / ٩٨.

٣- الفرقان / ١.

إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا^١.

الكتاب: وردت هذه الكلمة في مائتين وخمسة وخمسين موضعاً من القرآن الكريم، قصد في أكثرها القرآن الكريم. والكتاب في اللغة بمعنى الجمع، وكل كتابة بهذا المعنى كتاب، لأنها تجمع الكلمات والحروف، وسمي القرآن بذلك لأنه جامع لأنواع الآيات والأحكام والقصص.

ومما قصد بهذا الاسم القرآن قوله تعالى: ﴿الَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^٢. وشاع «الكتاب» اسماً للقرآن في مصادر الأحكام الشرعية، حيث قيل: إن مصادر الأحكام الشرعية هي: الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

الذكر: وردت هذه الكلمة في مواضع كثيرة من كتاب الله العزيز وقصد في بعضها القرآن كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^٣، و﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾^٤.

ووجه تسمية القرآن بالذكر يحتمل أمرين:

أولاً - أنه ذكر من الله لعباده بالفرائض والأحكام.

ثانياً - أنه شرف لمن آمن به وصدق بما فيه، لقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ آثَرْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾^٥.

التنزيل: تكررت هذه الكلمة في القرآن الكريم، وقصد بها «القرآن» في عدة مواضع

١- الأنفال / ٢٩.

٢- البقرة / ١-٢.

٣- الحجر / ٩.

٤- الأنبياء / ٥٠.

٥- الأنبياء / ١٠.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^١.

وسُمّي القرآن بذلك لنزوله التدريجيّ على رسول الله ﷺ فالتنزيل يستعمل غالباً في النزول التدريجيّ للقرآن، والإنزال في النزول الدقعيّ لكتاب الله العزيز.

هذه هي الأسماء الشائعة المعروفة للقرآن، وبعضهم زاد عليها حتّى قيل: إنّ «الحَرَاليّ» ذكر بضعة وخمسين اسماً للقرآن، كما روى الشيخ طاهر الجزائريّ في «التبيان» وأنّ القاضي شَيْذَلَه ذكر خمسة وخمسين اسماً للقرآن، كما نقل ذلك السيوطيّ نقلاً عن «البرهان» للزركشيّ.

وأكثر ما ذكره من أسماء للقرآن هي في الحقيقة أوصاف لكتاب الله العزيز، مثل: الحكيم، المبين، الكريم، الموعظة، الفصل، المثاني، البصائر، والهادي...

ومهما تعدّدت الأسماء، فالقرآن هو الكلمات والآيات المُنزلة عن طريق الوحي على النبيّ الخاتم ﷺ، وهو مجموع بين دفتيّ كتاب وصل إلينا بالتواتر. والقرآن الموجود هو نفسه الكلام الإلهيّ الَّذِي فرض الله قراءته والعمل به، دون أن يعتريه تحريف أو تطرأ عليه زيادة أو نقصان، وهذا ما اتّفق عليه كلّ العلماء المسلمين.

(٩-١٢)

الفصل السابع والثلاثون

نص الملكي الميانجي (معاصر) في «مناهج البيان في تفسير القرآن»

[في ذكر بعض أسماء القرآن]

١- القرآن: قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ...﴾ القيامة / ١٧

الظاهر من السياق أن هذا بشارة وتأييد ووعد لرسوله ﷺ بجمعه القرآن وقراءته إياه عليه. فإن الظاهر من الضمير في قوله: ﴿جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ أن المراد هو القرآن لا أبعاضه وأجزاؤه. والمعنى أن على عهدتنا وما جرى به قضاؤنا الحكيم أن نجتمع هذا القرآن الذي أنزلناه عليك متفرقاً، وما ننزله بعد ذلك إلى تمامه وكماله. وكذلك علينا قرآنه عليك مجموعاً. والقرآن: مصدر من قرأ على «فُعلان» بمعنى القراءة والتلاوة. وسُمِّي الكتاب الكريم المنزل على رسول الله ﷺ قرآنًا باعتبار أنه مقروء ومتلوٌّ ومن جنس ما يُقرأ وما يُتلى، وهذا من باب إطلاق الكتاب على المكتوب. وتوهم بعضهم أنه مأخوذ من قرأ بمعنى جمع، مثل: قرأت الماء في الحوض، وسُمِّي قرآنًا باعتبار كونه مجموعاً.^١ والتحقيق ما ذكرناه، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنُهُ﴾ أي قراءته.

(الجزء التاسع والعشرون: ٢٥٦-٢٥٧)

٢- كتاب مكنون: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ في كتاب مكنون * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٢﴾

١- مجمع البيان ١: ١٤٠.

٢- الواقعة / ٧٧-٧٩.

وجه الاستدلال أن الضمير راجع إلى القرآن المعلوم بحسب السياق. قوله تعالى: ﴿كَرِيمٌ﴾ نعت وتجليل للقرآن المحمود عند الله سبحانه، لما فيه من الحقائق والمعارف والأحكام. قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ نعت ثانٍ للقرآن، أي محفوظ ومصون عن التغيير والتبديل، وهو اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾، قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ صفة للكتاب المكنون، ويمكن أن يكون وصفاً ثانياً للقرآن. ومآل الوجهين على تقدير كون «لا» نافيةً واحداً، والمعنى لا يمسّ الكتاب المكنون الذي فيه القرآن إلا المطهرون، أو لا يمسّ القرآن الذي في الكتاب إلا المطهرون.

و«المطهرون» اسم مفعول من التطهير، وهم الذين طهر الله سبحانه نفوسهم من أرجاس المعاصي وقذارات الذنوب، أو ممّا هو غير المناسب للمسّ الذي هو العلم دون الطهارة من الخبث أو الحدث كما هو ظاهر.

أقول: القرآن: مصدر بمعنى المفعول، أي المقروء ومن جنس ما يقرأ ويتلى.

قوله تعالى: ﴿كَرِيمٌ﴾ نعت وتمجيد للقرآن المبين، أي ذكراً ومكانة عند الله سبحانه، لاشتماله على أصول العلم وأمهات الشرائع والمعارف والحقائق الأصلية.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ نعت ثانٍ للقرآن الكريم: ولما يعلم ما المراد من الكتاب المكنون واللوح المحفوظ ونظائرهما، فيحتمل قوياً أن يكون المراد في المقام صحيفة نورية، أي العلم المفاض على عدة من أوليائه الكرام من الملائكة المقربين والأنبياء والرسل والصديقين. ومعنى كون القرآن في هذا الكتاب المكنون في مرتبة كونه مقروءاً ومتلوّاً، كونه معلوماً بهذا العلم عند حملته، لا كون القرآن المقروء والمتلوّ بنحو من الثبوت والتجرد في هذا الكتاب وفي هذا اللوح، هؤلاء الحملة الكرام يعلمون القرآن ويحصونه بحقيقة العلم والإحصاء، ويشهدون أنه حقّ مبين لا ريب فيه، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾

في إمام مبين^١. (الجزء الثلاثون: ٥٩٦-٥٩٧)

٣- الفرقان: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا﴾^٢

والمصداق البارز الواضح من هذا التفريق بوساطة هؤلاء الفارقات، هو الفرقان المبين والقرآن الكريم، وهو المرجع الأصيل المعصوم بذاته لأهل العالم اليوم، وهو الحجة بذاته على ذاته، الفارق بحجتيته بين الحق والباطل والصدق والكذب، وبالجملعة: كل ما اختلف فيه الناس في شؤون دينهم ودنياهم. وهو المهيم على جميع ما ينسب إلى الأنبياء السابقين من الحقائق والعلم، والحاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه؛ قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾^٣، ﴿وَأُنْزِلَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ﴾^٤، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾^٥.

وضروري أن الفرقان بما أنه فرقان بين الحق والباطل حجة وبرهان على نفسه أنه الحق المبين، وأنه كتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. وكيف يمكن ما هو برهان بالذات على تفريق الحق من الباطل أن لا يكون برهاناً على نفسه؟! وقد وصف تعالى القرآن نفسه بأته نور وهداية وتذكرة وذكرى وبينة وبصائر وضياء وغيرها، وقد قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾^٦. (الجزء التاسع والعشرون: ٣٥٣-٣٥٤)

١- يس/ ١٢.

٢- المرسلات / ٤.

٣- البقرة / ١٨٥.

٤- آل عمران / ٣- ٤.

٥- المائدة / ٤٨.

٦- النساء / ١٧٤.

٤- تذكرة: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ^١﴾

الظاهر أن الضمير للقرآن، أي أن القرآن تذكرة وذكرى وبيّنات. ولا يبعد أن يقال: إن المراد من الضمير هو القرآن وأبواب علومه وغيره أيضاً بما أوحى إليه ﷺ من غير طريق القرآن. والعناية في ذكر التذكرة في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكَرَةِ مُغْرِضِينَ^٢﴾، هو توبيخ المكذّبين على إغراضهم عن التذكرة. وفي هذه الآية إرشاد إلى أن القرآن تذكرة. وبعبارة أخرى: الآية الكريمة لبيان شيء من نعوت القرآن الجليلة الجميلة... [إلى أن قال:]

إن القرآن الكريم إثمنا نزل من عند الله - سبحانه - للتذكّر والهداية، فمن تذكّر واهتدى، فقد فعل ما كان مأموراً به. (الجزء التاسع والعشرون: ٢٣٠-٢٣١)

٥- قول ثقيل: ﴿إِنَّا سَتْلُقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا^٣﴾

قال في القاموس ٣: ٣٤٢: «وَالثَّقْلُ - محركة - : متاع المسافر وحشّمه، وكل شيء نفيس، ومنه الحديث: «إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي». أقول: الأشبه بالمقام أن المراد بالقول الثقيل هو القرآن المبين. فإن له عند الله - سبحانه - وعند الرّاسخين في العلم وزناً لا يساويه شيء، وموضعاً لا يُدانيه أمر، وقد قال ﷺ: «إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً حتّى يردها عليّ الحوض».

فالقرآن الكريم أكبر الثّقَلَيْنِ وأعظم الخليفَتَيْنِ. فبناءً على أن السّورة المباركة نزلت في أوائل الرّسالة والثبوت، تكون الآية الكريمة أجلّ بشارة بأشرف كرامة يكرم تعالى بها حبيبه وصفيه ﷺ. وذكر المفسّرون في المقام أقوالاً، من أرادها فليراجعها.

وذكر بعضهم في تسمية القرآن الكريم بالقول وجوهاً استحسانيّة لا دليل في استناد هذه

١- المدّثر/ ٥٤.

٢- المدّثر/ ٤٩.

٣- المزمل/ ٥.

التسمية إليها، فالمتبع في هذا الباب هو الأخذ بالمعنى اللغوي وتفسير الآية على طبقه .
(الجزء ٢٩: ١٣٠-١٣١)

٦- الحديث: ﴿فَبَآئٍ حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾^١

وقد توسع في لفظ الحديث، ويطلق على ما يتحدث به الناس ويخبرون به بضرب من العناية؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾^٢ وغيرها من الآيات. وهذا الاستعمال يكون بمعاونة قرائن الحالات والمقامات.

وأما بحسب المعنى اللغوي، فالأمر كما ذكرناه. وقد استعمل الحديث في مورد القرآن وعبر تعالى عن القرآن الكريم بالحديث؛ قال تعالى:

﴿فَبَآئٍ حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾^٣.

﴿فَلَعَلَّكَ بَآحِعٌ تُفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾^٤.

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾^٥.

﴿فَلْيَتَاثَرُوا بِالْحَدِيثِ مِنْهُ﴾^٦.

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾^٧.

أقول: لم أجد في كلام المفسرين من يتعرض لتفسير الحديث في مورد إطلاقه على القرآن وبيان الوجه في تسمية القرآن حديثاً. وفي كتاب «رياض السالكين» في شرح الدعاء الثاني

١- الأعراف / ١٨٥، المراتل / ٥٠.

٢- لقمان / ٦.

٣- الأعراف / ١٨٥.

٤- الكهف / ٦.

٥- الزمر / ٢٣.

٦- الطور / ٣٤.

٧- القلم / ٤٤.

والأربعين من الصّحيفة المباركة السّجّاديّة في شرح قوله ﷺ: «اللّهم إنّك أعنتني على ختم كتابك الَّذي أنزلته نوراً وجعلته مهيمناً على كلّ كتاب أنزلته، وفضّلته على كلّ حديث قصصه».

قال السيّد قدّس سرّه: الحديث ضدّ القديم، يستعمل في قليل الكلام وكثيره؛ لأنّه يحدث شيئاً فشيئاً^١.

وقال الرّاعب: يقال لكلّ ما قرب عهد: حديث؛ مقالاً كان أو فعلاً، فكلّ كلام يبلغ الإنسان من جهة السّمع أو الوحي، في يقظته أو منامه، يقال له: حديث. فسُمّي تعالى كتابه حديثاً، فقال: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾. وقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾^٢.

أقول: يستفاد من كلام السيّد أنّه سمّى الكلام حديثاً، لأنّه يحدث شيئاً فشيئاً، يعني حدوث أجزائه وأبعاضه، وأمّا بعد مُضيّ زمان على المجموع من الكلام، فلا يصدّق عليه الحديث، إلّا بضرب من العناية حتّى يتكلّم به آخر وهكذا.

أقول: لا يخفى ضعف ما ذكره السيّد في «باب القرآن الكريم» لوضوح أنّ إطلاق الحديث على القرآن باعتبار جميع القرآن وأبعاضه وأجزائه، ليس إلّا إطلاقاً حقيقياً دائماً باعتبار أنّه واجد لنعت الحدوث، وأنّ هذا النّعت نعت دائمٍ له، لأنّه باعتبار ما كان من الحدوث.

وأما ما ذكره الرّاعب من إطلاق الحديث على كلّ ما قرب عهدُهُ مقالاً كان أو فعلاً، فلا ينطبق على القرآن، فلا دخل له في تسمية القرآن حديثاً قرب عهده، فهو حديث بالحقيقة إلى انقضاء إلى انقضاء الدّنيا. وكذلك ما ذكره من إطلاق الحديث على كلّ كلام يبلغ الإنسان من جهة السّمع أو الوحي، فعلى فرض صحّته، لم يتبيّن في بيانه العناية إلى المعنى اللّغويّ والحدوث.

فلا يبعد أن يقال: إن القرآن الكريم ذكر مُحدث وحديث باعتبار عدم كونه مسبقاً بشيء من أنحاء وجوده، ولا بشيء مما يساويه ويدانيه، ولا بشيء مما يشابهه ويقارنه، وكذلك لا ثاني له بعده ولا بديل له ولا نظير، فلا سابق له ولا حديث مثل هذا الحديث من بين يديه ومن خلفه؛ تنزيل من الله رب العالمين. وهو فعله تعالى مستقيماً، استثناءً من سُنَّة الأسباب والعلل، فلا يقدر أحد أن يأتي بمثله وما يدانيه ويساويه.

فحيث إنه نور قاهر ساطع في جهة الدهر، فيقرع بمججه وبيناته وأنواره أقاويل جميع الملل والأمم، فنسبته الآن إلى جميع أهل العالم بعينها هي النسبة التي كانت له عند أول طلوعه بالنسبة إلى جميع أنواع الناس وأفراده، فهو ذكر مُحدث وقرآن حديث في كل زمان بالنسبة إلى جميع الأقوام، فلكل قوم آية يتلوها منه، فلا يندرس ولا يخلق ولا يبلى، فهو غض طريّ وحديث جديد إلى انقضاء الدنيا بالنسبة إلى جميع أهلها.

في البحار ٩٢:١٤ عن العيون مسنداً عن محمد بن موسى الرّازي، عن أبيه قال: ذكر الرضا عليه السلام يوماً القرآن، فعظم الحجة فيه، والآية المعجزة في نظمه، إلى أن قال: «لا يخلق من الأزمنة، ولا يغت على الألسنة، لأنه لم يجعل لزمان دون زمان، بل جعل دليل البرهان وحجة على كل إنسان: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾».

وفيه أيضاً ٩٢:١٥ عن العيون مسنداً عن إبراهيم بن عباس، عن الرضا عليه السلام عن أبيه: «أن رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام: ما بال القرآن لا يزاد على التشر والدرس إلا غضاة؟ قال: لأن الله - تبارك وتعالى - لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض».

(الجزء التاسع والعشرون: ٣٨٨-٣٨٩)

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^٢، وإطلاق الحديث على القرآن فليس إلا باعتبار كونه بديعاً

وأمرًا جديدًا في حدّ نفسه، لابلحاط أن نزوله من حوادث الزّمان؛ قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ
نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾^١، ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا
صَادِقِينَ﴾^٢، وغيرها من الآيات التي أطلق فيها الحديث على القرآن الكريم.

وقد عرفت أنّ وجه هذا الإطلاق بلحاط الواقع ونفس الأمر، فإنّ القرآن الكريم وعلومه
ومعارفه وحقائقه بديع لم يوجد مثله ونظيره في العالم ولن يوجد إلى الأبد. وقد كان جديدًا
في مقابل العلوم والشّرائع والمعارف الموروثة عن الأنبياء الماضين وفي مقابل ما كان عند أهل
العالم من علومهم ومعارفهم وسُنَنهم وآدابهم.

وأما إطلاق «مُحَدَّث» فباعتبار وقوعه وحدوثه في عمود الزّمان، لبااعتبار ذاته
وحقيقته، فلا مانع أن يقال: حديث مُحَدَّث، وذكر مُحَدَّث؛ قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ
رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمْعَوْهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾^٣.
(الجزء الثلاثون: ٥٥٤-٥٥٥)

٧- الرّوح: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا...﴾^٤

واختلف المفسّرون في المراد من هذا الرّوح، وأوجه ما قيل في المقام: إنّهُ القرآن الكريم،
فإنّه نور وهداية لجميع المؤمنين.

ويرد عليه أن القرآن وإن كان نورًا وبرهانًا، إلّا أنّه من المصاديق البارزة من أنواع
التّكليم الثّلاثه، فإنّ القرآن جاء به رسول من رسل السّماء جبرائيل الأمين إلى
رسول الله ﷺ وقرأه عليه وهذا الرّوح ليس من قبيل الأصوات والحروف - على ماسيحي
من البيان إن شاء الله - بل هو أمر عينيّ نورّي، وعلم مفاض من الله سبحانه إلى رسوله ﷺ.

١- الكهف/٦.

٢- الطّور/٣٤.

٣- الأنبياء/٢.

٤- الشّورى/٥٢.

(الجزء الثلاثون: ٤٥-٦٤)

٨- قول الفصل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾^١

والقرآن الكريم قد يُسمى فصلاً، ويُوصف بذلك، وهذا من نعوته وأوصافه الحقيقية، لأنه بعلمه وبياناته ومحكماته يبين ويميز الحق من الباطل والضلال من الهدى والصواب من الخطأ، وربنا - جلَّ مجده - خير الفاصلين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَنْصُرُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾^٢.

وهو سبحانه أعطى أولياءه فصل الخطاب، واستودع عندهم فصل القضاء، فبحكمه الواقعي الحق يحكمون، وبقضائه يقضون ويفصلون؛ قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ﴾^٣.

ولا يخفى أيضاً أن إطلاق الفصل والفرقان على القرآن بعناية خاصة في كل واحد من التعبيرين، إلا أنهما متحدان مصداقاً، ضرورة أن كل آية فاصلة فهو فرقان، وكل آية فارقة فهو فصل أيضاً، من غير فرق بين مورد ومورد.

فمقتضى القول في معنى حاكمية القرآن وفارقيته وفاصليته في العلوم الفطرية والمستقلات العقلية التي هي أمهات الدعوة، أن تكون هي إثارة دفائن العقول وإضاءتها، وإثارة الأفكار، وإحياء الفطرة بالتذكير والإرشاد إلى الأحكام الثابتة الضرورية من المحرمات العقلية وفرائضها ومحسناتها ومقبحاتها، بحيث تستيقظ فطرتهم ويرون ويشهدون صدق دعوته، ويدركون وجوب اتباعه، ووجوب اتباع كل حق وحقيقة، ووجوب الإيمان والتسليم فيما يعقلون ويعلمون من دعوته على المخالف والمؤالف والصديق والعدو.

١- الطارق/١٣.

٢- الأنعام/٥٧.

٣- ص/٢٠.

والقرآن الكريم يدعو الناس ويذكّرهم ويرشدهم إلى معرفته تعالى ومعرفة توحيده ونعوته وكمالاته أيضاً، أي المعرفة التي فطر الناس عليها، وذلك الدين القيم، ويتحدّى جميع أهل العالم بالإتيان بمثله، وأنهم لا يقدرّون على الإتيان بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. وحيث إنّ القرآن بعلمه وبيناته ومحكماته مهيمٍ على جميع الكتب السماويّة ومقالات أهل الأديان من جميع الفرق - ومن فرق الإسلام أيضاً - فلا بدّ أن يعرض جميع ما ذكرناه على القرآن، وما وافقه فهو الحقّ المبين، وما يخالفه ويضاده فهو كذب باطل؛ قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾^١.

قال في «القاموس»^٢ هيمن ... على كذا: صار رقيباً عليه وحافظاً. وقد تقدّم عن «الصّحيفة السّجّاديّة» أنّ القرآن مهيمٍ على كلّ كتاب أنزله الله تعالى. وتكميل البحث في ذلك يحتاج إلى بسط الكلام في إعجاز القرآن المجيد وكذلك الكلام في كون القرآن الكريم فرقاناً؛ قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾^٣. ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^٤.

وفي «الصّحيفة المباركة السّجّاديّة» في دعائه عليه السلام عند ختمه القرآن: «اللّهم إنّك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نوراً، وجعلته مهيمناً على كلّ كتاب أنزلته، وفضّلته على كلّ حديث قصصه، وفرّقاً فرقت به بين حلالك وحرامك، وقرأنا أعربت به عن شرائع أحكامك، وكتاباً فصلته لعبادك تفصيلاً».

١- المائدة/٤٨.

٢- ٤: ٢٧٩.

٣- البقرة/١٨٥.

٤- الفرقان/١.

وفي «الكافي» مسنداً عن ابن سنان أو عن غيره، عمن ذكره قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن القرآن والفرقان أهما شيئان أو شيء واحد؟ فقال عليه السلام: «القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به». وفي «البرهان»^١، عن العياشي، عن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن القرآن والفرقان، قال عليه السلام: «القرآن جملة الكتاب وإخبار ما يكون، والفرقان المحكم الذي يعمل به، وكل محكم فهو الفرقان».

أقول: ذيل الحديث يدل على أن كل محكم في الكتاب فرقان، سواء كان في باب الأحكام أو في باب المعارف والحقائق. ولا ينافي ذلك ما ورد في الدعاء وما ورد في ذيل حديث ابن سنان من تفسير الفرقان بالفارق بين الحلال والحرام، ضرورة أن مورد حديث العياشي ومورد الدعاء ورواية ابن سنان مثبتات، ولاتنافي بين المثبتات، فيحمل ما في الدعاء وما في حديث ابن سنان على بيان المصدق.

وبيان حقيقة الإعجاز وموقع جميع أهل العالم في مقابل دعوته. ومما ذكرنا يعلم أنه لا يجوز لمن عقل عن الله وعرف موضع عقله في شأن حياته، وآمن بالله وعرفه وحده، أن يرتكب الإنكار والمساخرة في قبول دعوته، أو تأويل محكماته وبيّناته، وتطبيق ذلك بما تقوله حشواً من رأيه ونظره.

وفي غير الفطريات والمستقلات العقلية، يكون إحقاق الحق وتثبيت الحجّة فيها بنصوصه ومحكماته وبيّنات آياته، بحيث يزيح علّة المرتابين عن صدورهم ويقطع عذر المعاندين، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟! فأنتى تؤفكون؟! مثل المعاد الجسماني والجنة والنار الجسمانيّتين وعذابها ونعيمها، فقد قرعت أسماع الجن والإنس مشات من الآيات المحكمة الصريحة في وقوعها.

فتحصّل أن كون القرآن فصلاً إنما هو باعتبار رفعه وقطعه موادّ الشبهة والريبة والتنازع والتخاصم في العقائد والآراء وغيرها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَنْقُصُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾^١. وهناك آيات أخرى تدلّ أن آيات القرآن مفصلة، منها قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾^٢.
 ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ... كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ لَقَوْمٍ يُغْلَمُونَ﴾^٣.
 ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾^٤.
 ﴿كِتَابٌ أُخْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^٥.

بيان: قال بعض المفسرين في تفسير الآية الأخيرة ما خلاصته: إن المراد من الكتاب في القرآن الكريم هو القرآن في مرتبة تجرّده التي لا تقبل التجزئة والتفريق. وبعد التنزل في مرتبة البروز وفي مرتبة البلاغ والإنذار، يسمّى فصلاً فصلاً وقرّافاً قرّافاً؛ قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكْثٍ﴾^٦ وإن كان بين الآيات والكتاب نحو من الاتحاد، فإنّ مقام الجمع حائز بالمراتب التي دونها المناسبة بمقام الجمع... [ثمّ ذكر جوابه وإن شئت فراجع].

(الجزء الثلاثون: ٣٦١-٣٦٤)

١- الأنعام/ ٥٧.

٢- الأعراف/ ٥٢.

٣- الأعراف/ ٣٢.

٤- الأنعام/ ١٢٦.

٥- هود/ ١.

٦- الإسراء/ ١٠٦.

الفصل الثامن والثلاثون

نص الشَّرْقَاوِيّ (معاصر) في «القرآن المجيد»

معنى القرآن

القرآن المجيد: ﴿كِتَابٌ مُبِينٌ* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^١.

بمثل هذا حدث القرآن عن نفسه، فكان أبين وأدل من بيان أصحاب الفقه له بمثل قولهم: إنه «اللفظ العربي المُنَزَّل على مُحَمَّد ﷺ، للتدبُّر والتذكُّر، المنقول متواتراً، وهو ما بين الدفتين، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس».

فإن ما يقولون عن التدبُّر والتذكُّر لا يفي بمكان القرآن الذي هو في العربية قاموس لغتها وتاج أدبها، وهو في الإسلام معجزة دعوته ودعامة شريعته، وهو في الإنسانية دعوة خالدة إلى سبل السَّلام والخير»^٢.

وذكر مُحَمَّد الحَضْرِي: «الكتاب هو القرآن، وهو أجل من أن يُعرف»^٣.

وقال مُحَمَّد فَرِيد وَجْدِي: «القرآن علم الكتاب الذي يقدسه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ويتبركون به، ويتبعون سنته وفرائضه، ويعتقدون اعتقاداً راسخاً أنه أنزل على

١- المائدة/ ١٥-١٦.

٢- أمين الخولي- القرآن- دائرة معارف الشعب ٧: ٧.

٣- مُحَمَّد الحَضْرِي- تاريخ التشريع الإسلامي: ٦.

النَّبِيّ العربيّ مُحَمَّد بن عبدالله، وأنه آخر الكتب السّماوية نزولاً^١... [ثمّ ذكر قول الرّاعب، كما تقدّم عنه].

قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به.. [ثمّ ذكر خمسة أقوال في اشتقاق لفظ القرآن عن الأشعريّ والشافعيّ والقراء والزّجاج واللّحيانيّ، وذكر أيضاً بعدها قول الجاحظ والمظفرّي، كما تقدّم عن السيوطي، فقال:]

كما يذكر أن كتب الأنبياء السابقين أُسميت في المصحف بأسماء القرآن، فسُميت التّوراة الفرقان في قوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾^٢، وسمّي الزبور قرآناً في قوله: «حَفَفَ على داود القرآن كما يذكر»^٣، أن الله سمّى القرآن بخمسة وخمسين اسماً.. [ثمّ ذكر أسماء القرآن، كما تقدّم نحوها عن أبي الفتوح الرّازيّ والفيروز اباديّ والزّركشيّ والسيوطي، فقال:]

وتبدأ دائرة المعارف الإسلاميّة بحثها في مادة «قرآن» بذكر اختلاف المسلمين في نطق واشتقاق ومعنى كلمة قرآن. فبعضهم يقول: القرآن من غير همز، ويذهب إلى أنها كلمة وضعت كما وضعت كلمة توراة وإنجيل. وهو كما نرى قول الشافعيّ الذي سبق ذكره. ثمّ قضى الدائرة في ذكر بقيّة الأقوال الخمسة، وتضيف إليها قولاً سادساً، وهو ما ذهب إليه شيفالي (Schwally) ونهاوذن (Wellhausen) من أن الكلمة عبريّة أو سريانيّة، تكتب هكذا (keryani_Kiryani)، ومعناها ما يقرأ.

وتقبل دائرة المعارف مع هذين العالمين إلى رأيهما الذي يقول بأن «قرأ» بمعنى تلا، ليست كلمة عربيّة النسب، ولكنها دخيلة على اللّغة.

ويقول الدكتور محمد عبدالله درّاز: «روعي في تسميته قرآناً كونه متلوّاً باللسن... [وذكر كما تقدّم عنه، فقال:]

١- دائرة معارف القرن العشرين، ٧: ٦٦٦.

٢- البقرة/ ٥٣.

٣- أي «السيوطي».

وقد أورد كتاب «الإسلام عقيدة وشرعية»^١، تعريف العلماء للقرآن بأنه «اللفظ العربي المُنزَل على محمد ﷺ، المنقول إلينا بالتواتر». ثم ذكر أن هذا التعريف يرشدنا إلى أن العناصر القرآنية أربعة:

أولاً- كونه لفظاً. ثانياً- كونه عربياً. ثالثاً- كونه مُنزَلاً على محمد ﷺ. رابعاً- نقله إلينا بالتواتر. وذلك بأن يتلقاه الجمع العظيم عن النبي ﷺ، من غير تحريف ولا تبديل، ولا نقص ولا زيادة. والتقل هذه الطريقة هو السبيل الوحيد لصيانة القرآن وحفظه على الوجه الذي أنزل عليه، وقد كان تلقي الناس له بهذه الكيفية وحفظه إيّاه في صدورهم، هو الأصل المحكم عند الاختلاف في كتابة حرف أو كلمة منه، وهو طريق حفظه الذي وعد الله به في كتابه إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^٢.

ويتفرّع على العنصر الأول - وهو كونه «لفظاً» - أن ما يوحيه الله من المعاني إلى النبي، ثم يعبر عنه النبي بألفاظ من عنده لا يكون قرآناً، ولا يأخذ حكم القرآن من جواز الصلاة به وطهارة قارئه، وما إلى ذلك من الأحكام التي تتعلق بنفس القرآن، فالأحاديث المروية عن النبي ﷺ وإن كانت من وحي الله، ليست قرآناً، وكذلك ليس بقرآن ما يبيّنه الناس من معاني القرآن، ويعبرون عنه بألفاظهم كال تفسير، ولا يقال له: قرآن.

وبعنصر الثاني - «العربية» - نعلم أن ترجمة القرآن إلى غير لغة العرب - مهما روعي فيها من الدقة لمسايرة الأصل ومحاذاته - لا تكون قرآناً، ولا تأخذ شيئاً من أحكام القرآن التي أشرنا إليها، بل ولا تكون مصدر تشريع، لأنها تعبر عما يفهمه المترجم من القرآن، كما يعبر التفسير عما يفهمه المفسر، فلا يكون الاستنباط من أحدهما استنباطاً من كتاب الله، وإنما يكون أخذاً بفهم من لا تقوم بفهمه حجة.

١- محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشرعية: ٣٩٩.

٢- المجهر: ٩.

وليس معنى هذا أنّ ترجمة القرآن - على معنى بيان معانيه، وما احتوى عليه من آداب وإرشاد بغير لغة العرب - محظورة، بل قد تكون فيما نرى طريقاً متعيّناً لنشر ما تضمّنه من عقائد وأخلاق وأحكام.

والعنصر الثالث للقرآنيّة هو عنصر التنزيل على محمّد، وهذا العنصر يدلّنا على أنّ ما أنزل على الأنبياء السابقين كإبراهيم وموسى، ولم يحك في القرآن لا يكون قرآناً، أمّا ما أنزل عليهم وقصّ علينا في القرآن بالإنزال على محمّد، فهو قرآن قطعاً، ثبت له سائر أحكام القرآن. ولكن هل يكون - إذا تضمّن حكماً كلّفوا به - مصدر تشريع لنا، فنلزم به أيضاً كما كانوا ملزمين؟

هذه هي المسألة التي بحثها علماء الأصول تحت عنوان «شرح من قبلنا». وخلاصة ما قالوه فيها: إنّه إذا قرنت حكاية الشرائع السابقة في القرآن بما يدلّ على نسخها عندنا، فليست تشريعاً لنا باتّفاق، وإذا قرنت بما يدلّ على تقريرها وكتابتها علينا كما كتبت على الذين من قبلنا فهي تشريع لنا باتّفاق، أمّا إذا ذكرت مجردة عمّا يدلّ على نسخها أو تقريرها، فهي محلّ خلاف بين العلماء؛ فذهب جمهور المالكيّة والحنابلة والحنفيّة إلى أنّها شرع لنا، وذهب جمهور الشافعيّة والأشاعرة والمعتزلة إلى أنّها ليست شرعاً لنا. وقد تكفّلت كتب أصول الفقه ببيان آراء الفريقين ومناقشة الأدلّة.

والعنصر الرابع للقرآنيّة عنصر التواتر في الثقل، وهذا العنصر يخرج ما نقل بطريق الآحاد عن أن يكون قرآناً، ولا خلاف لأحد من العلماء في هذا، وإن اختلفوا في أنّه حجة، فرأى بعضهم أنّه وإن لم يثبت قرآنيّته لعدم تواتره، فقد ثبت أنّه خبر عن النبيّ ﷺ، والعمل بخبر الواحد واجب، ورأى آخرون أنّه لا يصحّ الاحتجاج به، نظراً إلى أنّه ليس بقرآن قطعاً، ولم ينقل على أنّه خبر.

الفصل التاسع والثلاثون

نصّ المدرّسيّ (معاصر) في «من هُدى القرآن»

فما هو القرآن وكيف وصف القرآن نفسه؟

أكثر من مائة آية تبيّن خصائص القرآن. وإذا أضفنا إليها عشرات الآيات التي تحدّثنا عن الشُّوْن المختلفة للقرآن الحكيم، فإنّه سيكون ذخيرة علميّة غنيّة نحصل بالتدبّر فيها على معرفة واسعة بالقرآن. وبما أنّنا قد فسّرنا هذه الآيات ضمن تفسيرنا الشّامل للقرآن، فإنّ علينا ونحن في بحوث تمهيدية للتفسير، إنّ علينا مجرد ذكر مجموعة من هذه الآيات لنذكر بعدئذٍ بعض الأحاديث الشّريفة التي تعتبر بحقّ شرحاً للآيات القرآنيّة، لأنّها تستلهم منها الثّور والبصائر. إذن كيف وصف القرآن نفسه؟

[١]- القرآن نور، القرآن كتابٌ مبين، القرآن سلام، القرآن صراطٌ مستقيم. هذه هي الصفّات التي جاءت في الآية الثّالثة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^١.

[٢]- وفي القرآن بصائر تعطي المؤمن قدرة على رؤية الحقائق مباشرة ومن دون حجاب. وفي القرآن هدي يبيّن الاتّجاه السّليم في الحياة. وفي القرآن رحمة وفلاح لمن آمن به واتّبع

هداه . هكذا جاء في الآية التالية : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^١ .
 [٣] - ولا بد أن يتفكر الناس، لكي يحصلوا على المعرفة من خلال أمثال القرآن، هكذا يقول القرآن : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^٢ .

[٤] - ولقد عجزت كل الأقاويل التي حاولت تفسير ظاهرة القرآن، إلا إنه وحي من الله، فلا هو يقول شاعر يسبح في غمرات أحلامه، ولا هو يقول كاهن يتخرص فيقول كلامًا مجملًا لا يعني من ورائه شيئًا. هكذا يقول القرآن: ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴾^٣ .
 [٥] - وجاء القرآن ليتدبر فيه الناس، شريطة أن يفكروا عن قلوبهم أقفالها ليروا الحقيقة مباشرة ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾^٤ .

ومن يتدبر في القرآن يعرف أنه من الله، لأنه لا اختلاف فيه : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^٥ .

[٦] - والقرآن موعظه يهز أعماق الضمير، والقرآن شفاء يظهر الصدور من الحقد والحسد والعقد: ﴿ يَاءِ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾^٦ .

[٧] - والقرآن كتاب الله الذي أعجز الخلق عن أن يأتوا بمثله: ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ

١- الأعراف/ ٢٠٣.

٢- الحشر/ ٢١.

٣- الحاقة/ ٣٨-٤٢.

٤- محمد/ ٢٤.

٥- النساء/ ٨٢.

٦- يونس/ ٥٧.

وَالْجِنَّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿١﴾

[٨] - وفي القرآن من كل مثل عبرة، ومن كل سبيل منار، ومن كل علم درس، ولكل خير قذوة، ولكل معروف وسيلة؛ يعطي لكل حادثة مثلاً سابقاً ولكل ظاهرة قانوناً عاماً، ولكل مشكلة طارفة حلاً واقعياً تليداً: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾^٢.

[٩] - والقرآن آيات مبينات، القرآن مثل من واقع التاريخ العابر للحاضر: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^٣.
ولأن القرآن أنزل على الجبال لخشعت، لأن القرآن يذكر الإنسان بالله الذي يخشاه كل شيء. ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^٤.

(١٩: ١٦-١٩)

١- الإسراء / ٨٨.

٢- الإسراء / ٨٩.

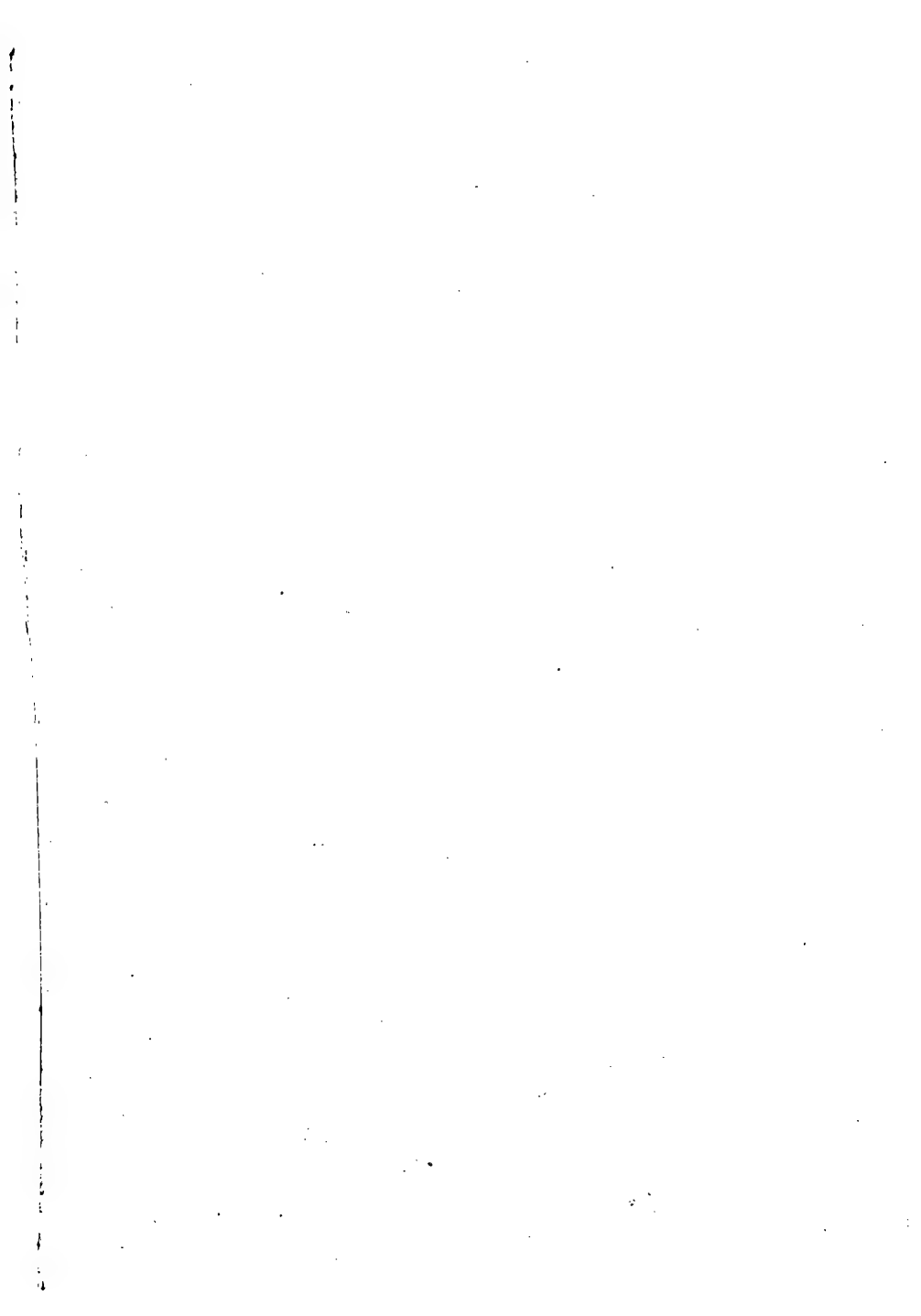
٣- التور / ٣٤.

٤- الحشر / ٢١.

الباب الثامن

أَسَامِي السُّورَ وَمَعْنَى السُّورَةِ وَعَدَدُهَا وَأَقْسَامُهَا

وَفِيهِ فُصُولُ:



الفصل الأول

نصّ الخليل (م: ١٧٥) في: «العين»

[معنى السّورة]

السّورة في الرّأس: تناول الشّراب، والرّأس يسور سوزًا وسوورًا وسوورًا. وساورتُ
فلانًا: تناولتُ رأسه. والمِسورة: مُتْكَأ من آدم، وجمعها: المَساور. وفلان ذو سَورةٍ في الحَرْب،
أي: ذو بَطْشٍ شَدِيدٍ.

والسّور: حائط المدينة، ونحوه. وتسوّرتُ الحائط، وسرّته سوزًا، قال العجاج: سرّتُ إليه
في أعالي السّور.

والسّوار من الكلاب: الذي يأخذُ بالرّأس والسّوار: الرّجل الذي يسور في رأسه
الشّراب، قال الأخطل:

وشاربٍ مُرْبِحٍ، بالكأس نادمني لا بالحِصْوَري ولا فيها بسوّارٍ
أي: بذي عَرَبِيَّةٍ وخِفَّةٍ.

والسّور: جَمْعُ السّورة.

والسّوار القُلب: سوارُ المرأة والجميع: أسورة وأساور، والكثير: سور.

والأسوار: من أساورة كسرى، أي: قُوّاده. (٢٩٨:٧)

الفصل الثاني

نصّ سيبويه (م: ١٨٠) في «الكتاب»

هذا باب أسماء السُّور

تقول: هذه هود كما ترى إذا أردت أن تحذف سورة من قولك: هذه سورة هود، فيصير هكذا كقولك: هذه تميم كما ترى.

وإن جعلت هوداً اسم السُّورة لم تصرفها لأنها تصير بمنزلة امرأة سُمِّيَتْ بِعَمْرٍو.
والسُّور بمنزلة النساء والأرضين.

وإذا أردت أن تجعل «اقتربت» اسماً قطعت الألف كما قطعت ألف إضرب حين سُمِّيَتْ به الرجل حتى يصير بمنزلة نظائره من الأسماء: نحو إصبع.

وأما «نوح» بمنزلة هود، تقول: هذه نوح، إذا أردت أن تحذف سورة من قولك: هذه سورة نوح. وتمايد لك على أنك حذفت سورة قوْلهم: هذه الرَّحْمَن. ولا يكون هذا أبداً إلا وأنت تريد: سورة الرَّحْمَن. وقد يجوز أن تجعل نوح اسماً ويصير بمنزلة امرأة سُمِّيَتْ بِعَمْرٍو، إن جعلت نوح اسماً لم تصرفه.

وأما «حم» فلا ينصرف جعلته اسماً للسورة أو أضفته، إليه لأنهم أنزلوه بمنزلة اسم أعجمي، نحو: هابيل وقابيل. وقال الشاعر: وهو الكُمَيْت:

وجدنا لكم في آل حاميم آيةً تأولها مَنَاتِقِيٌّ ومُعَرِّبٌ

وقال الحماني:

أَوْ كُتِبَ بَيْنَ مَنْ حَامِيًا قَدْ عَلِمْتَ أَبْنَاءَ إِبْرَاهِيمَا

وكذلك: طاسين وياسين.

واعلم! أنّه لا يبيح في كلامهم على بناء: حاميم وياسين وإن أردت في هذا الحكاية تركته وفقاً على حاله. وقد قرأ بعضهم: «ياسين والقرآن» و«قَافَ والقرآن» فمن قال هذا فكأنه جعله اسماً أعجمياً ثم قال: أذكر ياسين.

وأما «صاد» فلا تحتاج إلى أن تجعله اسماً أعجمياً، لأنّ هذا البناء والوزن من كلامهم، ولكنه يجوز أن يكون اسماً للسورة فلا تصرفه. ويجوز أيضاً أن يكون ياسين وصاد اسمين غير متمكنين، فيلزمان الفتح، كما ألزمت الأسماء غير المتمكنة الحركات نحو: كيف، وأين، وحيث، وأمس.

وأما «طسم»، فإن جعلته اسماً لم يكن بدّ من أن تحرك التّون، وتصير ميمًا كائك وصلتها إلى طاسين، فجعلتها اسماً واحداً بمنزلة ذَرَابَ جَرَدٌ وبُعْلَ بَكٍّ. وإن شئت حكيت وتركت السّواكن على حالها.

وأما «كهيعص» و«آثر» فلا يكن إلّا حكاية، وإن جعلتها بمنزلة طاسين لم يميز، لأنهم لم يجعلوا طاسين كحَضْرَمَوْتٍ ولكنهم جعلوها بمنزلة: هابيل وقابيل وهاروت.

وإن قلت: أ جعلها بمنزلة طاسين ميم، لم يميز لأنك وصلت ميمًا إلى طاسين، ولا يجوز أن تصل خمسة أحرف إلى خمسة أحرف، فتجعلهنّ اسماً واحداً.

وإن قلت: أ جعل الكاف والهاء اسماً، ثمّ أ جعل الياء والعين اسماً، فإذا صار اسمين ضمنت أحدهما إلى الآخر فجعلتهما كاسم واحد، لم يميز ذلك، لأنّه لم يبيح مثل حَضْرَمَوْتٍ في كلام العرب موصولاً بمنزلة. وهذا أبعد، لأنك تريد أن تصله بالصاد.

فإن قلت: أدعّه على حاله وأجعله بمنزلة إسماعيل لم يميز، لأنّ إسماعيل قد جاء عدّة حروف على عدّة حروف أكثر العربيّة نحو: شهيباب. وكهيعص ليس على عدّة حروفه شيء، ولا يجوز فيه إلّا الحكاية...

الفصل الثالث

نصّ أبي عُبَيْدة (م: ٢١٠) في «مجاز القرآن»

[معنى السّورة وذكر بعض أسمائها]

والسّورة من القرآن: يهزها بعضهم، وبعضهم لا يهزها، وإنّما سُمّيت سورةٌ في لغة من لا يهزها، لأنّه يجعل مجازها مجازَ منزلة إلى منزلة أخرى، كمجاز سورة البناء، قال الثّابغة الذّبْيانيّ:

ألم تر أنّ الله أعطاك سورةً ترى كلّ مُلكٍ دونها يتذبذبُ

أي منزلة شرف ارتفعت إليها عن منازل الملوك، غير أنّ جمع سورة القرآن خالف جمع سورة البناء في لغة من همز سورة القرآن، وفي لغة من لم يهزها؛ قالوا جميعاً في جمع سورة القرآن: «سُور» الواو مفتوحة.

كما قال: لا يقرآن بالسُّور فخرج جمعها مخرج جمع ظلمة والجميع ظلم ونحو ذلك، وقالوا جميعاً في جمع سورة البناء سُور الواو ساكنة، فخرج جمعها مخرج جمع بُسرة والجميع بُسر قال العجاج:

فَرُبّ ذِي سُرَادِقٍ مَحْجُورٍ سَرِتْ إِلَيْهِ فِي أَعَالِي السُّورِ

...ومجاز سورة في لغة من همزها: مجاز قطعة من القرآن على حدة وفُضلة منه لأنّه يجعلها من قولهم: أسارت سُوراً منه، أي أبقيت وأفضلت منه فُضلةً.

والآية من القرآن: إنّما سُمّيت آيةٌ لأنّها كلام متّصل إلى انقطاعه، وانقطاع معناه قصّة

ثم قصة.

ولسور القرآن أسماء: فمن ذلك أن «الحمد لله» تسمى «أم الكتاب»، لأنه يبدأ بها في أول القرآن، وتعاد قراءتها فيقرأ بها في كل ركعة قبل السورة؛ ولها اسم آخر يقال لها: «فاتحة الكتاب» لأنه يفتتح بها في المصاحف فتكتب قبل القرآن، ويفتح بقراءتها في كل ركعة قبل قراءة ما يقرأ به من السور في كل ركعة.

ومن ذلك اسم جامع لما بلغ عدد هن مائة آية أو فويق ذلك أو دوينه فهو المثون، وقد فرغنا من ذلك في الرجز الذي بعد هذا.

ومن ذلك اسم جامع للآيات وهو: «المثاني»، وقد فرغنا من ذلك في الرجز الذي بعد هذا. ومن ذلك اسم لقوله: «قل يا أيها الكافرون» ولقوله: «قل هو الله أحد»، يقال لهما: «المقشقتان»، ومعناه المبرمتان من الكفر والشك والتفارق كما يقشعش الهناء الجرب فيبرته. ومن ذلك اسم جامع لسبع سور من أول القرآن، يقال: للبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال: «السبع الطول»، قال سليمان:

تشدتكم بمنزل الفرقان	أم الكتاب السبع من مثاني
ثنين من آي من القرآن	والسبع سبع الطول الدواني

وقال في جمع أسمائها:

حلفت بالسبع اللواتي طولت	و بئين بعدها قد ائتميت
وبمئان ثنيت فكررت	وبالطواسيم التي قد ثلثت
وبالحواميم اللواتي سبعت	وبالمفضل اللواتي فصلت

وقال الشاعر فيما يدل على أن الحمد هي السبع المثاني:

الحمد لله الذي أعفاني وكل خير صالح أعطاني
رب المثاني الآي والقرآن

أُمُّ الْكِتَابِ

مجاز تفسيرا في سورة «الحمد» وهي: «أُمُّ الْكِتَابِ»، لأنه يُبدأ بكتابتها في المصاحف قبل سائر القرآن، ويبدأ بقراءتها قبل كل سورة في الصلاة، وإِثْمَا سُمِّيَتْ سورة لَا تُهْمَز، لأنَّ مجازها من سُورِ الْبِنَاءِ أي منزلة ثم منزلة، وَمَنْ هَمَزَهَا جَعَلَهَا قِطْعَةً مِنَ الْقُرْآنِ، وَسُمِّيَتْ السُّورَةُ لِأَنَّهَا مَقْطُوعَةٌ مِنَ الْآخَرِ، فَلَمَّا قَرَنَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ سُمِّيَ قِرَاءَتًا... [ثم ذكر شعر الثابغة، كما تقدم آنفاً، فقال:]، أي منزلة وبعض العرب يهمز سورة ويذهب إلى «أسارت» نقول: هذه ليست من تلك .

(٢٠ : ١)

الفصل الرابع

نصّ الطَّبْرِيّ (م: ٣١٠) في «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»

[القول في تأويل أسماء سور القرآن]

١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَوَّامِ، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ الْعَسْقَلَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ الْجَرَّاحِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ، جَمِيعًا عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: أُعْطِيَ مَكَانُ التَّوْرَةِ السَّبْعَ الطُّوْلَ، وَأُعْطِيَ مَكَانُ الزَّبُورِ الْمِثْنِ، وَأُعْطِيَ مَكَانُ الْإِنْجِيلِ الْمِثْنِ، وَفُضِّلَتْ بِالْمَفْصَلِ.

٢- حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ، عَنْ خَالِدِ الْحَذَاءِ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُعْطِيَ السَّبْعَ الطُّوْلَ مَكَانُ التَّوْرَةِ، وَأُعْطِيَ الْمِثْنِ مَكَانُ الزَّبُورِ، وَأُعْطِيَ الْمِثْنِ مَكَانُ الْإِنْجِيلِ، وَفُضِّلَتْ بِالْمَفْصَلِ». قَالَ خَالِدٌ: كَانُوا يَسْمُونُ الْمَفْصَلَ: الْعَرَبِيَّ. قَالَ خَالِدٌ: قَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ فِي الْعَرَبِيِّ سَجْدَةٌ.

٣- وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ حَدَّثَنَا حَكَّامُ بْنُ سَلَمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ الْمُسَيَّبِ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: الطُّوْلُ كَالْتَّوْرَةِ، وَالْمِثْنُ كَالْإِنْجِيلِ، وَالْمِثْنِ كَالزَّبُورِ، وَسَائِرُ الْقُرْآنِ بَعْدُ فَضَّلُ عَلَى الْكُتُبِ.

٤- حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدٍ الْوَصَّانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا الْفَزَارِيُّ، عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: قَالَ أَعْطَانِي رَبِّي مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ الطُّوْلَ، وَمَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمِثْنِ، وَمَكَانَ

الزُّبُورِ الْمُتَيْنِ، وَفَضَّلَنِي رَبِّي بِالْمَفْصَلِ.

قال أبو جعفر: والسَّبع الطُّول: البقرة، وآل عمران، والتَّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس في قول سعيد بن جبَّير.

٥- حَدَّثَنِي بِذَلِكَ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُ يَدْلُ عَلَى مُوَافَقَتِهِ قَوْلُ سَعِيدٍ هَذَا. وَذَلِكَ مَا:

٦- حَدَّثَنَا بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَسَهْلُ بْنُ يَوْسَفَ، قَالُوا: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ الْفَارِسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: مَا مَحْلُكُم عَلَى أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الْأَنْفَالِ... [وَذَكَرَ كَمَا نَقَلْنَا عَنْهُ فِي ج ٢: ٢٥١ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ].

فهذا الخبر ينبئ عن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَّبِعُ لَهُ أَنَّ الْأَنْفَالَ وَبِرَاءَةَ مِنَ السَّبع الطُّولِ، وَيَصْرُحُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَى ذَلِكَ مِنْهَا. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورُ السَّبع الطُّولِ، لَطُولِهَا عَلَى سَائِرِ سُورِ الْقُرْآنِ.

وَأَمَّا «الْمَثُونِ»: فَهِيَ مَا كَانَ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ عَدَدُ آيَةٍ مِائَةَ آيَةٍ، أَوْ تَزِيدُ عَلَيْهَا شَيْئًا أَوْ تَنْقُصُ مِنْهَا شَيْئًا يَسِيرًا.

وَأَمَّا «الْمَثَانِي»: فَإِنَّهَا مَا نَثَى الْمُتَيْنِ فَتَلَاهَا، وَكَانَ الْمَثُونِ لَهَا أَوَائِلُ، وَكَانَ الْمَثَانِي لَهَا ثَوَائِلُ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمَثَانِي سُمِّيَتْ مَثَانِي، لِتَنْثِيَةِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيهَا الْأَمْثَالَ وَالْخَبَرَ وَالْعَبْرَ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ.

٧- حَدَّثَنَا بِذَلِكَ أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ يَمَانَ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُثْمَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

٨- وَرَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ مَثَانِي لِأَنَّهَا ثَنِيَتْ فِيهَا الْفَرَائِضُ وَالْحُدُودُ. حَدَّثَنَا بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ.

وقد قال جماعة يكثرون تعدادهم: القرآن كله مثنان.

وقال جماعة أخرى: بل المثنائي فاتحة الكتاب، لأنها تُثَنَّى قراءتها في كل صلاة.

وسند ذكر أسماء قائل ذلك وعلمهم، والصواب من القول فيما اختلفوا فيه من ذلك، إذا انتهينا إلى تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾، إن شاء الله ذلك. ويمثل ما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ في أسماء سور القرآن التي ذُكرت، جاء شعر الشعراء... [ثم استشهد بشعر كما تقدم عن أبي عبيدة، فقال:]

قال أبو جعفر رحمه الله: وهذه الأبيات تدل على صحة التأويل الذي تأولناه في هذه الأسماء. وأما «المفصل»: فإنها سُمِّيَتْ مفصلاً لكثرة الفصول التي بين سورها بـ «بسم الله الرحمن الرحيم».

[معنى السورة]

قال أبو جعفر: ثم تسمى كل سورة من القرآن «سورة»، وتجمع «سُورًا»، على تقدير «خُطبة وخُطَب»، «وَعُرْفَةٌ وعُرُف».

والسورة، بغير همز: المنزل من منازل الارتفاع. ومن ذلك سُور المدينة، سُمِّيَ بذلك الحائط الذي يحويها، لارتفاعه على ما يحويه. غير أن السورة من سُور المدينة لم يسمع في جمعها «سُور»، كما سمع في جمع سورة من القرآن «سُور». قال العجاج في جمع السورة من البناء... [وذكر شعر العجاج، كما تقدم عن أبي عبيدة]

فخرج بتقدير جمعها على تقدير جمع بُرَّة وبُسرة، لأن جمع ذلك «بُرَّة» و«بُسرة». وكذلك لم يُسمع في جمع سورة من القرآن سُورٌ، ولو جمعت كذلك لم يكن خطأ في القياس، إذا أريد به جميع القرآن. وإنما تركوا فيما يرى جمعه كذلك، لأن كل جمع كان بلفظ الواحد المذكور مثل: بُرَّة وشعير وقصب وما أشبه ذلك، فإن جماعة كالواحد من الأشياء غيره. لأن حكم الواحد

منه منفرداً قلماً يُصاب، فجرى جماعه مجرى الواحد من الأشياء غيره، ثم جعلت الواحدة منه كالقطعة من جميعه.

ف قيل: «بُرة» و«شعيرة» و«قصة»، يراد به قطعة منه. ولم تكن سُور القرآن موجودةً مجتمعةً اجتماع البر والشعر وسُور المدينة، بل كل سورة منها موجودة منفردة بنفسها، انفراد كل غُرقة من العُرق وخطبة من الخطب، فجعل جمعها جمع العُرق والخطب، المبني جمعها من واحد. ومن الدلالة على أن معنى السُورة: المنزلة من الارتفاع، قول... [وذكر شعر الثابتة كما تقدم عن أبي عبيدة، فقال: [يعني بذلك: أن الله أعطاه منزلة من منازل الشرف التي قصرت عنها منازل الملوك.

وقد همز بعضهم السُورة من القرآن. وتأويلها، في لغة من همزها، القطعة التي قد أفضلت من القرآن عما سواها وأبقيت. وذلك أن سُور كل شيء: البقية منه تبقى بعد الذي يؤخذ منه، ولذلك سُميت الفصلة من شراب الرجل يشربه ثم يفضلها فيبقىها في الإناء سُوراً. ومن ذلك قول الأعشى بنى تغلبة، يصف امرأةً فارقت فأبقت في قلبه من وجدها بقية:

فبانت، وقد أسارت في الفؤادِ صدعاً، على نأيتها، مُستطيراً

وقال الأعشى في مثل ذلك:

بانت وقد أسارت في النفس حاجتها بعد انبلاف وخير الوُد ما نفعاً

القول في تأويل أسماء فاتحة الكتاب

قال أبو جعفر: صح الخبر عن رسول الله ﷺ بما:

٩- حدثني به يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني».

فهذه أسماء فاتحة الكتاب، وسُميت «فاتحة الكتاب»، لأنها يُفتح بكتابتها المصاحف، ويُقرأ بها في الصلوات، فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة. سُميت «أم القرآن»، لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها، وتأخر ما سواها خلفها في القراءة والكتابة. وذلك من معناها شبيهة بمعنى فاتحة الكتاب. وإنما قيل لها بكونها كذلك «أم القرآن»، لتسمية العرب كل جامع أمراً أو مقدماً لأمر، إذا كانت له توابع تتبعه، هو لها إمام جامع «أمّاً». فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ: «أمّ الرأس». وتسمى لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها للجيش «أمّاً». ومن ذلك قول ذي الرمة، يصف راية معقودة على قنّاء يجتمع تحتها هو وصحبّه:

وأُسْمِرُ قَوَامٍ إِذَا نَامَ صُحْبَتِي	خَفِيفَ الثِّيَابِ لَا تُؤَارِي لَهُ أَزْرَأُ
عَلَى رَأْسِهِ أُمٌّ لَنَا تَقْتَدِي بِهَا	جَمَاعُ أُمُورٍ لَا تُعَاصِيهَا أَمْرَأُ
إِذَا نَزَلَتْ قِيلَ: أَنْزِلُوا وَإِذَا غَدَتْ	غَدَتْ ذَاتُ تَزْرِيقٍ نَنَالُ بِهَا فَخْرَأُ

يعني بقوله: «على رأسه أمّ لنا»، أي على رأس الرّمح رايةً يجتمعون لها في النزول والرحيل وعند لقاء العدو.

وقد قيل: إن مكة سُميت «أم القرى»، لتقدمها أمام جميعها، وجَمْعُها ما سواها. وقيل: إنما سُميت بذلك، لأن الأرض دُحِيت منها فصارَت لجميعها أمّاً. ومن ذلك قول حميد بن ثور الهلالي:

إِذَا كَانَتِ الْخُمْسُونَ أُمُّكَ لَمْ يَكُنْ لَدَاكَ إِلَّا أَنْ تَمُوتَ طَبِيبُ

لأن الخمسين جامعة ما دونها من العدد، فسماها أمّاً للذي قد بلغها.

وأما تأويل اسمها أنها «السبع»، فإنها سبع آيات، لا خلاف بين الجميع من القراء والعلماء في ذلك.

وإنما اختلفوا في الآي التي صارت بها سبع آيات. فقال أعظم أهل الكوفة: صارت سبع آيات بـ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، وروى ذلك عن جماعة من أصحاب

رسول الله ﷺ والتابعين.

وقال آخرون: هي سبع آيات، وليس منهن «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، ولكن السابعة ﴿أَلْعَنَتْ عَلَيْهِمْ﴾. وذلك قول أعظم قراء أهل المدينة ومُتَّفَقِهِمْ.

قال أبو جعفر: وقد بيَّنا الصَّواب من القول عندنا في ذلك في كتابنا: «اللَّطِيفُ فِي أَحْكَامِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ» بوجيز من القول، وسنستقصي بيان ذلك بحكاية أقوال المختلفين فيه من الصحابة والتابعين والمتقدمين والمتأخرين في كتابنا: «الأكبر في أحكام شرائع الإسلام» إن شاء الله ذلك. وأما وصف النَّبِيِّ ﷺ آياتها السَّبع بأَنَّهُنَّ مَثَانٍ، فَلَا تَهَا تُثْنَى قراءتها في كلِّ صلاةٍ وتطوُّعٍ ومكتوبةٍ. وكذلك كان الحسن البصري يتأوَّل ذلك.

١٠- حدَّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدَّثنا ابن عُليَّة، عن أبي رَجَاء، قال سألت الحسن عن قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: هي فاتحة الكتاب. ثُمَّ سُئِلَ عنها وأنا أسمع فقرأها: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا، فَقَالَ: تُثْنَى فِي كُلِّ قِرَاءَةٍ أَوْ قَالَ: فِي كُلِّ صَلَاةٍ، الشُّكُّ مِنْ أَبِي جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ.

والمعنى الذي قلنا في ذلك... [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرِ أَبِي التَّجَمِ الْعَجَلِيِّ، كَمَا تَقَدَّمَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ:]

وليس في وجوب اسم «السَّبع المَثَانِي» لفاتحة الكتاب ما يدفع صحَّة وجوب اسم المَثَانِي للقرآن كَلَّهُ، وَلَمَّا يُثْنَى مِنَ السُّورِ. لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ وَجْهًا وَمَعْنَى مَفْهُومًا، لَا يَفْسُدُ بِتَسْمِيَّتِهِ بِعَظْمِ ذَلِكَ بِالْمَثَانِي، تَسْمِيَةِ غَيْرِهِ بِهَا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾
اختلف أهل التأويل في معنى السَّبع الذي أتى الله نبيه ﷺ من المَثَانِي، فقال بعضهم عني بالسَّبع: السَّبع السُّور من أول القرآن اللَّوَاتِي يُعْرَفْنَ بِالطُّوْلِ، وقائلو هذه المقالة مختلفون في

المثاني، فكان بعضهم يقول: المثاني هذه السبع، وإما سُمِّيَ بذلك لأنَّهِنَّ ثُنِيَ فيهنَّ الأمثالُ والخبرُ والعبرُ.

ذكر من قال ذلك:

١١- حدَّثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يَمَان، عن سُفْيَان، عن يونس، عن ابن سيرين، عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: السَّبع الطُّولُ.

١٢- حدَّثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يَمَان، عن سُفْيَان، عن سعيد الجريري، عن رجل، عن ابن عمر قال: السَّبع الطُّولُ.

١٣- حدَّثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يَمَان، عن سُفْيَان، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: السَّبع الطُّولُ. حدَّثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سُفْيَان، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس، مثله.

١٤- حدَّثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عَوْن، قال: أخبرنا هُشَيْم، عن الحَجَّاج، عن الوليد بن العزَّار، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، قال: هنَّ السَّبع الطُّولُ، ولم يُعْطِهِنَّ أَحَدٌ إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ، وأُعْطِيَ موسى منهنَّ اثنتين.

١٥- حدَّثنا ابن وكيع، وابن حُمَيد، قالَا: ثنا جَرِير، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، قال: أوتي النَّبِيُّ ﷺ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي الطُّولُ، وأوتي موسى سِتًّا، فلمَّا ألقى الألواح رفعت اثنتان وبقيت أربع.

١٦- حدَّثنا الحسن بن محمَّد، قال: ثنا علي بن عبد الله بن جعفر، قال: ثنا جَرِير، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، مثله.

١٧- حدَّثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، في قوله: ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف. قال إسرائيل: وذكر السَّابِعة فنسيتهَا.

١٨- حدَّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هُشَيْم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَيْر،

في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: هي الطُّولُ: البقرة، وآل عمران، والتَّسَاء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس.

١٩- حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: ثنا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: البقرة، وآل عمران، والتَّسَاء والمائدة والأنعام، والأعراف، ويونس، فَيَهْنُ الْفَرَائِضُ وَالْحُدُودُ... [إِلَى أَنْ قَالَ:]

٢٠- حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ: ثنا هُثَيْمٌ، قَالَ أَبُو بَشْرٍ: أَخْبَرَنَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: هُنَّ السَّبْعُ الطُّوْلُ. قَالَ: وَقَالَ مُجَاهِدٌ هُنَّ السَّبْعُ الطُّوْلُ. قَالَ: وَيَقَالُ: هُنَّ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ.

٢١- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: ثنا شَابِثُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: البقرة، وآل عمران، والتَّسَاء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، ثَمَّ فِيهَا الْأَحْكَامُ وَالْفَرَائِضُ.

٢٢- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الصَّبَّاحِ، قَالَ: ثنا هُثَيْمٌ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: هُنَّ السَّبْعُ الطُّوْلُ.

٢٣- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: ثنا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ: ثنا هُثَيْمٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو بَشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: البقرة، وآل عمران، والتَّسَاء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس. قَالَ: قُلْتُ: مَا الْمَثَانِي؟ قَالَ: يَثْنَى فِيهِنَّ الْقَضَاءُ وَالْقَصَصُ.

٢٤- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: ثنا أَبُو أَحْمَدَ، قَالَ: ثنا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مُسْلِمِ الْبَطِينِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: البقرة، وآل عمران، والتَّسَاء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس.

٢٥- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، قَالَ: ثنا أَبُو أَحْمَدَ، قَالَ: ثنا سَفْيَانُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ حُثَيْمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: السَّبْعُ الطُّوْلُ... [إِلَى أَنْ قَالَ:]

٢٦- حدثنا الحسن بن محمد بن عبيد الله، قال: ثنا عبد الملك، عن قيس، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ﴾ قال: هي السبع الطول.

٢٧- حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: من القرآن السبع الطول السبع الأول... [إلى أن قال:]

٢٨- حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن نمير، عن سفيان، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: هي الأمثال والخبر والعبر.

٢٩- حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن إسماعيل، عن خوات، عن سعيد بن جبير، قال: هي السبع الطول، أعطي موسى سناً، وأعطى محمد ﷺ سبعا.

٣٠- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحّاك يقول، في قوله: ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ﴾ يعني السبع الطول.

وقال آخرون: عني بذلك سبع آيات، وقالوا: هن آيات فاتحة الكتاب، لأنهن سبع آيات، وهم أيضاً مختلفون في معنى المثاني، فقال بعضهم: إنما ستمين مثاني لأنهن يشتمن في كل ركعة من الصلاة.

ذكر من قال ذلك:

٣١- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: أخبرنا ابن علية، عن سعيد الجريسي، عن أبي نضرة، قال: قال رجل مثا يقال له: جابر أو جوير طلبت إلى عمر حاجة في خلافته، فقدمت المدينة ليلاً فمثلت بين أن أتخذ منزلاً وبين المسجد، فاخترت المسجد منزلاً فأرقت نشواً من آخر الليل، فإذا إلى جنبي رجل يصلي يقرأ بأُم الكتاب، ثم يسبح قدر السورة، ثم يركع ولا يقرأ، فلم أعرفه حتى جهّر، فإذا هو عمر، فكانت في نفسي، فغدوت عليه فقلت: يا أمير المؤمنين حاجة مع حاجة، قال: هات حاجتك، قلت: إني قدمت ليلاً فمثلت بين أن

أَتُخَذَ مَنْزِلًا وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ، فَاخْتَرْتُ الْمَسْجِدَ، فَأَرَقْتُ نَشْوَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فإِذَا إِلَى جَنْبِي رَجُلٌ يَقْرَأُ بِأَمِّ الْكِتَابِ، ثُمَّ يَسْتَبِيحُ قَدْرَ السُّورَةِ ثُمَّ يَرْكَعُ وَلَا يَقْرَأُ، فَلَمْ أَعْرِفْهُ حَتَّى جَهَرَ، فإِذَا هُوَ أَنْتَ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ نَفْعَلُ قَبْلَنَا، قَالَ: وَكَيْفَ تَفْعَلُونَ؟ قَالَ: يَقْرَأُ أَحَدُنَا أُمَّ الْكِتَابِ، ثُمَّ يَفْتَتِحُ السُّورَةَ فَيَقْرُؤُهَا، قَالَ: مَا لَهُمْ يَعْلَمُونَ وَلَا يَعْمَلُونَ، مَا لَهُمْ يَعْلَمُونَ وَلَا يَعْمَلُونَ؟ مَا لَهُمْ يَعْلَمُونَ وَلَا يَعْمَلُونَ؟ وَمَا تَبْنِي عَنْ السَّبْعِ الْمَثَانِي، وَعَنْ التَّسْبِيحِ صَلَاةَ الْخَلْقِ.

٣٢- حَدَّثَنِي طَلْحُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يَزِيدُ، عَنْ الْجَرِيرِيِّ، عَنْ أَبِي نُضْرَةَ، عَنْ جَابِرِ أَوْ جُوَيْرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ نُحْوَةَ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: فَقَالَ: يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَا تيسَّرَ أَحْيَاءًا، وَيَسْتَبِيحُ أَحْيَاءًا، مَا لَهُمْ رَغْبَةٌ عَنْ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَمَا يَبْتَنِي بَعْدَ الْمَثَانِي، وَصَلَاةَ الْخَلْقِ التَّسْبِيحِ.

٣٣- حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثَنَا يَحْيَى، قَالَ: ثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ السُّدِّيِّ، عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: السَّبْعُ الْمَثَانِي: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ... [ثُمَّ ذَكَرَ رَوَايَاتٍ مُخْتَلَفَةً، كَمَا تَقَدَّمَ نَحْوَهَا أَنْفًا].

٣٤- حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ، قَالَ: ثَنَا أَبِي، قَالَ: ثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قَالَ: هِيَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، فَقَرَأَهَا عَلَيَّ سِتًّا، ثُمَّ قَالَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الْآيَةُ السَّابِعَةُ، قَالَ سَعِيدٌ: وَقَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَيَّ كَمَا قَرَأَهَا عَلَيْكَ، ثُمَّ قَالَ الْآيَةُ السَّابِعَةُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَدْ أَخْرَجَهَا اللَّهُ لَكُمْ وَمَا أَخْرَجَهَا لِأَحَدٍ قَبْلَكُمْ.

٣٥- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ جُرَيْجٍ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَفْتَحْ بِـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ثُمَّ قَرَأْ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، ثُمَّ قَالَ: تَدْرِي مَا هَذَا؟ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾.

٣٦- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثَنَا أَبِي، قَالَ: ثَنَا عَمِّي، قَالَ: ثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ يَقُولُ: السَّبْعُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ. وَيَقَالُ: هُنَّ السَّبْعُ الطُّوَلُ، وَهِنَّ الْمَثُونُ.

٣٧- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، قَالَ: ثَنَا أَبُو أَحْمَدَ، قَالَ: ثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ

سعيد بن جبّير، عن ابن عباس، قال: فاتحة الكتاب.

٣٨- حدثني عمران بن موسى القَرَاز، قال: ثنا عبد الوارث، قال: ثنا إسحاق بن سُويد، عن يحيى بن يَعْمَر وعن أبي فاختة في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قالوا: هي أم الكتاب.

٣٩- حدثني المثنى، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا شعبة، عن السُّديّ عَمَّنْ سَمِعَ عَلِيًّا يقول: الحمد لله رب العالمين، هي: السَّبع المثنائي.

٤٠- حدثنا أبو المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت العلاء بن عبد الرحمن، يحدث عن أبيه، عن أبي بن كعب، أنه قال: السَّبع المثنائي: الحمد لله رب العالمين.

٤١- حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا ابن يَمان، عن أبي جعفر الرّازي، عن الربيع، عن أبي العالية، في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: فاتحة الكتاب سبع آيات، قلت للربيع: إنهم يقولون: السَّبع الطُّول، فقال: لقد أنزلت هذه، وما أنزل من الطُّول شيء.

٤٢- حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر الرّازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: فاتحة الكتاب. قال: وإنما سُميت المثنائي لأنه يُثنى بها كلُّما قرأ القرآن قرأها، فقليل لأبي العالية: إن الضَّحَّاك بن مزاحم يقول: هي السَّبع الطُّول. فقال: لقد نزلت هذه السُّورة سبعًا من المثنائي وما أنزل شيء من الطُّول... [إلى أن قال:]

٤٣- حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا ابن يَمان، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، وحدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد جميعًا، عن هارون بن أبي إبراهيم البربري، عن عبد الله بن عُبيد بن غَمَر، قال: السَّبع من المثنائي: فاتحة الكتاب.

٤٤- حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا ابن يَمان، عن ابن جُرَيْج، عن أبي مُليكة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: فاتحة الكتاب. قال: وذكر فاتحة الكتاب لنبينا ﷺ لم تذكر لنبي قبله.

٤٥- حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن شهر بن حوشب، في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ﴾ قال: فاتحة الكتاب.

٤٦- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي خِدَاشٍ، قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، قَالَ: ثنا هَارُونُ الْبَرَبَرِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ﴾ قال: هي الحمد لله رب العالمين.

٤٧- حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ: ثنا ابن عُثَيْمٍ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ، قَالَ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ، عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: هي فاتحة الكتاب، ثم سئل عنها وأنا أسمع، فقرأها: الحمد لله رب العالمين، حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا، فَقَالَ: ثَنَيْتُ فِي كُلِّ قِرَاءَةٍ... [إلى أن قال:]

٤٨- حَدَّثَنَا بَشَرٌ، قَالَ: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ ذكر لنا أنهم فاتحة الكتاب، وأنهم يثنون في كل قراءة.

٤٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ﴾ قال: فاتحة الكتاب تُثْنَى فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مَكْتُوبَةٍ وَتَطَوُّعٍ.

٥٠- حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الحسين، قال: ثنا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ وَحَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنِ السَّبْعِ الْمَثَانِ، فَقَالَ: أُمُّ الْقُرْآنِ، قَالَ سَعِيدٌ: ثُمَّ قَرَأَهَا، وَقَرَأَ مِنْهَا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال أبي: قرأها سعيد كما قرأها ابن عباس، وقرأ فيها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال سعيد: قلت لابن عباس: فما المثنائي؟ قال: هي أم القرآن، استثناهما للهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فرفعها في أم الكتاب، فذخرها لهم حتى أخرجها لهم، ولم يُعْطِهَا لِأَحَدٍ قَبْلَهُ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: أَخْبَرَكَ سَعِيدٌ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ لَهُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ عَطَاءٌ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَهِيَ سَبْعٌ بِـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وَالْمَثَانِي: الْقُرْآنُ.

ابن عباس، قال: الثاني: ما تنى من القرآن، ألم تسمع لقول الله تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾؟

٥٩- حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ يَقُولُ: ثنا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ: الثَّانِي: الْقُرْآنَ، يَذْكُرُ اللَّهُ الْقِصَّةَ الْوَاحِدَةَ مَرَارًا، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾.

وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: غُنِيَ بِالسَّيِّعِ الثَّانِي: السَّيِّعِ اللَّوَاتِي هُنَّ آيَاتُ أُمِّ الْكِتَابِ، لِحِكْمَةِ الْخَبَرِ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي حَدَّثَنِيهِ يَزِيدُ بْنُ مُخَلَّدِ بْنِ خِدَاشٍ، الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: ثنا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمُّ الْقُرْآنِ السَّيِّعُ الثَّانِي الَّذِي أُعْطِيَتْهَا».

٦٠- حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْمُقْدَامِ الْعَجَلِيُّ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: ثنا رُوحُ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْأَبِيِّ: «إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةَ لَمْ يَنْزَلْ فِي الثَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا، قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْبَابِ حَتَّى تُعَلِّمَهَا، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي يَحْدِثُنِي، فَجَعَلَتْ أَتْبَاطُؤُا مُخَافَةً أَنْ يَبْلُغَ الْبَابَ قَبْلَ أَنْ يَنْقُضِيَ الْحَدِيثَ، فَلَمَّا دَنَوْتُ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا السُّورَةُ الَّتِي وَعَدْتَنِي؟ قَالَ: مَا تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أُمَّ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلَ فِي الثَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا، أَتَاهَا السَّيِّعُ مِنَ الثَّانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ».

٦١- حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: ثنا زَيْدُ بْنُ حَبَابٍ الْعُكَلِيُّ، قَالَ: ثنا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ مَوْلَى لِعُرْوَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى عَامِرِ بْنِ فُلَانٍ، أَوْ ابْنِ فُلَانٍ، عَنْ أَبِي بَنٍ كَعْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلَاةَ بِمِ تَفْتَحُ؟ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَتَّى خَتَمَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ السَّيِّعُ الثَّانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ».

٦٢- حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا أبو أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا أَعْلَمُكَ سورةَ مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ حَتَّى تَعْلَمَهَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَمْتُ مَعَهُ، فَجَعَلَ يَحْدِثُنِي وَيَدُهُ فِي يَدِي، فَجَعَلَتْ أَتْبَاطُ كِرَاهِيَةٍ أَنْ يَخْرُجَ قَبْلَ أَنْ يَخْبِرَنِي بِهَا، فَلَمَّا قَرَبَ مِنَ الْبَابِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ السُّورَةُ الَّتِي وَعَدْتَنِي، قَالَ: «كَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلَاةَ؟ قَالَ: فَقَرَأْتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، قَالَ: هِيَ هِيَ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الَّذِي أُوتِيتَ».

٦٣- حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا المحاربي، عن إبراهيم بن الفضل المدني، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الرَّكْعَتَانِ اللَّتَانِ لَا يَقْرَأُ فِيهِمَا كَالْحِجَاجِ لَمْ يُتِمَّا، قَالَ رَجُلٌ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ إِلَّا أُمُّ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: هِيَ حَسْبُكَ هِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي».

٦٤- حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا ابن ثُمَيْر، عن إبراهيم بن الفضل، عن المقبري، عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّكْعَةُ الَّتِي لَا يَقْرَأُ فِيهَا كَالْحِجَاجِ» قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ إِلَّا أُمُّ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: هِيَ حَسْبُكَ، هِيَ أُمُّ الْكِتَابِ، وَأُمُّ الْقُرْآنِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي.

٦٥- حدثني أبو كُرَيْب، قال: ثنا خالد بن مخلد، عن محمد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا، يَعْنِي أُمُّ الْقُرْآنِ، وَأَنْهَا هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي الَّتِي آتَانِي اللَّهُ تَعَالَى».

٦٦- حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي ذُئْبٍ، عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «هِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي».

٦٧- حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا يزيد بن هارون وشبابة، قالَا: أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي ذُئْبٍ،

عن المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في فاتحة الكتاب قال: «هي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني والقرآن العظيم».

٦٨- حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا عفان، قال: ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، قال: ثنا العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: مر رسول الله ﷺ على أبي بن كعب فقال: «أُتِجِبَ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةَ لَمْ يَنْزَلْ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَكَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أُمَّ الْكِتَابِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ سُورَةَ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا، وَأَتَاهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ».

٦٩- حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا سعيد بن حبيب، عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد بن المَعْلَى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَاهُ وَهُوَ يَصَلِّي، فَصَلَّى، ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي؟ قَالَ: إِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي، قَالَ: «أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟ قَالَ: ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، فَكَأَنَّهُ بَيْنَهَا أَوْ نَسِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِي قُلْتَ؟ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ».

فإذا كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا للذي به استشهدنا، فالواجب أن تكون المثاني مراداً بها القرآن كله، فيكون معنى الكلام: ولقد آتيناك سبع آيات مما ينشئ بعض آية بعضاً. وإذا كان ذلك كذلك كانت المثاني: جمع مثناة، وتكون أي القرآن موصوفة بذلك، لأن بعضها ينشئ بعضاً، وبعضها يتلو بعضاً بفصول تفصل بينها. فيعرف انقضاء الآية وابتداء التي تليها، كما وصفها به تعالى ذكره فقال: ﴿اللَّهُ نُزِّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ وقد يجوز أن يكون معناها كما قال ابن عباس والضحاك: ومن قال ذلك إن القرآن إنما قيل له مثاني لأن القصص والأخبار كررت فيه مرة بعد أخرى. وقد ذكرنا قول الحسن البصري إنها إنما سُميت مثاني لأنها تُنشئ في كل قراءة، وقول ابن

عبّاس: إنها إنما سُمّيت مثاني، لأن الله تعالى ذكره استثنّاها لمحمد ﷺ دون سائر الأنبياء غيره، فادّخرها له.

وكان بعض أهل العربية، يزعم أنها سُمّيت مثاني لأن فيها الرحمن الرحيم مرتين، وأنها تُثنى في كل سورة، يعني: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وأما القول الذي اخترناه في تأويل ذلك، فهو أحد أقوال ابن عباس، وهو قول طاوس ومجاهد وأبي مالك، وقد ذكرنا ذلك قبل.

وأما قوله: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ فإن القرآن معطوف على السبع، بمعنى: ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن، وغير ذلك من سائر القرآن.

٧٠- حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: سائره: يعني سائر القرآن مع السبع من المثاني.

٧١- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحّاك يقول في قوله: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ يعني: الكتاب كله.

(١٤: ٥١-٦٠)

الفصل الخامس

نصّ الطّوسيّ (م: ٤٦٠) في «التّبيان في تفسير القرآن»

[معنى السّورة وأساميها]

وأما السّورة - بغير همز - فهي منزلته من منازل الارتفاع، ومن ذلك سُور المدينة سُمّي بذلك الحائط الذي يحويها لارتفاعه عمّا يحويه غير أن سُور المدينة لم يجمع سوراً، وسورة القرآن تجمع سوراً. وهذه أليق بتسميته سُور القرآن سورة. قال الثّابغة... [ثمّ ذكر قول الثّابغة ومعنى السّورة كما تقدّم نحوه عن الطّبريّ فقال:]

روى واثلة بن الأسقع أن النّبي ﷺ قال: «أُعطيَت مكان التّوراة السّبع الطُّول، وأُعطيَت مكان الزّبور المثني، وأُعطيَت مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلَت بالمفصل»، فالسّبع الطُّول ١- البقرة ٢- آل عمران ٣- النّساء ٤- المائدة ٥- الأنعام ٦- الأعراف ٧- ويونس في قول سعيد بن جبّير.

ورُوي مثل ذلك عن ابن عبّاس قال: وسُمّيَت السّبع الطُّوال، لطولها على سائر القرآن. وأما المثون، فهو كلّ سورة تكون مائة آية أو يزيد عليها شيئاً يسيراً، أو ينقص عنها شيئاً يسيراً.

وأما المثاني، فهي ما ثنت المثين، فتلاها. فكان المثون لها أوائل، وكان المثاني لها ثوانٍ وقيل: إنّها سُمّيَت بذلك، لتثنية الله فيها الأمثال، والحدود، والقرآن، والفرائض وهو قول ابن عبّاس. وقال قوم: المثاني سورة الحمد، لأنّها تتثنّى قراءتها في كلّ صلاة، وبه قال الحسن البصريّ، وهو

المرويّ في أخبارنا... [ثمّ استشهد بشعر، كما تقدّم عن أبي عبيدة، فقال:]
وسُمِّيَتِ المُفَصَّلُ مُفَصَّلًا، لكثرة الفصول بين سورها بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّخْمَنِ الرَّحِيمِ﴾،
وسُمِّيَ المُفَصَّلُ مُحْكَمًا، لما قيل: إنّها لم تنسخ. وقال أكثر أهل العلم: أوّل المُفَصَّل من سورة
محمّد ﷺ إلى سورة النَّاس. وقال آخرون: من «ق» إلى «النَّاس». وقالت فرقة ثالثة - وهو
المحكيّ عن ابن عباس - أنّه من سورة «الضحى» إلى «النَّاس». وكان يفصل من الضحى بين
كلّ سورتين بـ «التكبير»، وهو قراءة ابن كثير.

وإن قيل: ما وجه الحكمة في تفصيل القرآن على السُّور؟

قيل: فيه وجوه من الجواب:

منها: أن القارى، إذا خرج من فنّ إلى فنّ كان أحلى في نفسه وأشهى لقراءته.
ومنها: أن جعل الشّيء مع شكله، وما هو أوّل به هو الترتيب الذي يعمل عليه.
ومنها: أن الإنسان قد يضعف عن حفظ الجميع، فيحفظ سورة تامّة ويقتصر عليها، وقد
يكون ذلك سببًا يدعوه إلى غيرها.

ومنها: أن التفصيل أئين، إذ كان الإشكال مع الاختلاط والالتباس أكثر.
ومنها: أن كلّما ترقى إليه درجة درجة ومنزلة منزلة كانت القوة عليه أشدّ، والوصول
إليه أسهل وإلّا السُّورة منزلة يرتفع منها إلى منزلة. (١٩: ٢١)

الفصل السادس

نصّ الزّمخشرىّ (م: ٥٣٨) في «الكشاف...»

[معنى السّورة]

السّورة: الطائفة من القرآن المترجمة الّتي أقلّها ثلاث آيات. وواوها إن كانت أصلًا، فإمّا أن تسمّى بسورة المدينة وهي حائطها، لأنّها طائفة من القرآن محدودة محوّزة على حيالها، كالبلد المسوّر، أو لأنّها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد، كاحتواء سورة المدينة على ما فيها. وإمّا أن تسمّى بالسّورة الّتي هي الرتبة. قال الثّابتة:
ولرّفظ حرّابٍ وقد سورّةٌ في المجدّ ليس غرائبها بمطارٍ
لأحد معنيين، لأنّ السّور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ، وهي أيضًا في أنفسها مترتبة: طوال وأوساط وقصار، أو لرفع شأنها وجلالة محلّها في الدّين.
وإن جعلت واوها منقلبة عن همزة، فلائها قطعة وطائفة من القرآن كالسّورة الّتي هي البقيّة من الشّيء والفضلة منه.

[فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورًا]

فإن قلت: ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورًا؟

قلت: ليست الفائدة في ذلك واحدة، ولأمر ما أنزل الله التّوراة والإنجيل والزيّور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السّور. وبوّب المصنّفون في كلّ فنّ كتبهم

أبواباً موشحة الصّدور بالتراجم.

ومن فوائده: أنّ الجنس إذا انطوت تحته أنواع، واشتمل على أصناف، كان أحسن وأنبل وأفخم من أن يكون بياناً واحداً.

ومنها: أنّ القارئ إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأهزّ لعطفه، وأبعث على الدّرس والتّحصيل منه لو استمرّ على الكتاب بطوله. ومثله المسافر إذا علم أنّه قطع ميلاً، أو طوى فرسخاً، أو انتهى إلى رأس بريد، نفس ذلك منه ونشطه للسّير. ومن ثمّ جزأ القراء القرآن أسباعاً وأجزاءً وعشوراً وأخماساً.

ومنها: أنّ الحافظ إذا حذق السّورة، اعتقد أنّه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة، فيعظم عنده ما حفظه، ويحلّ في نفسه ويغبط به.

ومنه حديث أنس رضي الله عنه: «كان الرّجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا ومن ثمة كانت القراءة في الصّلاة بسورة تامّة أفضل.

ومنها: أنّ التّفصيل سبب تلاحق الأشكال والنّظائر وملائمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النّظم إلى غير ذلك من الفوائد والمنافع. (٢٣: ١-٢٤)

الفصل السابع

نصّ أبي الفتح الرّازيّ (م: ٥٤٥) في «روض الجنان وروح الجنان»

[معنى السّورة]

اعلم! أنّ السّورة بمعنى منزلة من منازل الشّرف، والدّليل قول الثّابغة... [كما تقدّم سابقاً في مواضع متعدّدة، فقال:]، أي منزلة من منازل الشّرف. وسمّي حائط البلد سوراً لأنّه كان طويلاً ورفيعاً. وهذا قول من يعتقد سورة غير مهموز.

وأما من يقول: السّورة مهموزاً، فأصله من سور الماء، وهو بقيّة الماء في الإناء، وقال العرب: أسأرت في الإناء، إذا أبقيت فيه شيئاً... [وذكر شعر الأغشى ثعلبية، كما تقدّم عن الطّبري] ثمّ ذكر أسامي السُّور ضمن رواية واثلة بن الأسقع وتوضيحها، كما تقدّم نحوها عن الطّبري والطّوسي والطّبرسيّ.

الفصل الثامن

نصّ الطبرسي (م: ٥٤٨) في «مجمع البيان لعلوم القرآن»

[أقسام السُّور وأساميها]

وقد شاع في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: أُعْطِيَتْ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعُ الطُّوَالُ، وَمَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمِثْنَانِ، وَمَكَانَ الزَّبُورِ الْمِثْنَيْنِ، وَفُضِّلَتْ بِالْمُفْصَلِ. وَفِي رِوَايَةٍ وَائِلَةٌ بَنِ الْأَسْقَعِ... [وَذَكَرَ كَمَا تَقَدَّمَ عَنِ الطَّبْرِيِّ وَالطُّوسِيِّ ثُمَّ قَالَ:]

فَالسَّبْعُ الطُّوَالُ: الْبَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ وَالتَّوْبَةُ وَالْمَائِدَةُ وَالْأَنْعَامُ وَالْأَعْرَافُ وَالْأَنْفَالُ مَعَ التَّوْبَةِ، لِأَنَّهُمَا يَدْعِيَانِ الْقَرِيبَتَيْنِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَفْصَلْ بَيْنَهُمَا بِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». وَقِيلَ: إِنَّ السَّابِعَةَ سُورَةُ يُونُسَ، وَالطُّوَلُ جَمْعُ الطُّوْلِ تَأْنِيثُ الْأَطْوَلِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الطُّوَلُ لِأَنَّهَا أَطْوَلُ سُورَةِ الْقُرْآنِ.

وَأَمَّا الْمِثْنَانِ: فَهِيَ السُّورَةُ الثَّانِيَةُ لِلسَّبْعِ الطُّوَلِ، وَأَوَّلُهَا سُورَةُ يُونُسَ وَآخِرُهَا التَّحَلُّ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ مِثْنَانِ لِأَنَّهَا ثَنَتِ الطُّوَلُ أَي: ثَلَاثُهَا، وَكَانَ الطُّوَلُ هِيَ الْمُبَادِي، وَالْمِثْنَانِ هَا ثَوَانِي، وَوَاحِدُهَا مِثْنِي، مِثْلُ الْمَعْنَى وَالْمَعَانِي. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: وَوَاحِدُهَا الْمِثْنَانَةُ.

وقيل: الْمِثْنَانِ سُورَةُ الْقُرْآنِ كُلُّهَا طَوَالُهَا وَقِصَارُهَا، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى﴾، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ مِثْنَانِ لِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ ثَنَى فِيهَا الْأَمْثَالَ وَالْحُدُودَ وَالْفَرَائِضَ.

وقيل: إن الثاني في قوله: ﴿لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾^١، آيات سورة الحمد، وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام، وبه قال الحسن البصري.

وأما المثنون: فهي كل سورة تكون نحوًا من مائة آية أو فُويق ذلك، أو دُونَه، وهي سبع: أولها سورة بني إسرائيل، وآخرها المؤمنون. وقيل: إن المثنين ما ولي السبع الطُول، ثم المشاني بعدها، وهي التي تقصر عن المثنين، وتزيد على المفصل، وسُميت الثاني لأن المثنين مُبَادِها.

وأما المفصل: فما بعد الحواميم من قصار السُور إلى آخر القرآن، سُميت مفصلًا لكثرة الفصول بين سُورها بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. (١٤: ١)

والسُورة غير مهموزة: مأخوذة من سورة البناء. وكل منزلة رفيعة فهي سورة، ومنه قول التابغة... [وذكر كما تقدّم عن أبي عبيدة ثم قال]: فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة، ومنزل عالٍ رفيع، يرتفع القارئ منها إلى منزلة أخرى إلى أن يستكمل القرآن. وقيل: السُورة مهموزة... [وذكر كما تقدّم عن الطبري]. (٦١-٦٢: ١)

السُورة: جملة مُنْزَلة، محيطة بآيات الله كإحاطة سُور البناء بالبناء. (٣: ١٠٩)

السُورة: مأخوذة من سُور البناء وهو ارتفاعه. وقيل: هو ساق من أسواقه، فعلى القول الأول يكون تسميتها بذلك لارتفاعها في التّفوس. وعلى القول الثاني يكون تسميتها بذلك لأنها قطعة من القرآن. وقيل: إن السُورة المنزلة الشريفة والجلالة، قال التابغة... [وذكر كما تقدّم عن الطبري والطبرسي].

وقيل: اشتقاقها من أسارت، إذا بقيت في الإناء بقية... (٤: ١٢٣)

عن سعيد بن المسيّب، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ثواب القرآن، فأخبرني بثواب سورة على نحو ما نزلت... قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «جميع سُور القرآن: مائة وأربع عشرة سورة، وجميع آيات القرآن: ستّة آلاف ومائتان وستّ وثلاثون آية، وجميع

حروف القرآن: ثلاثمائة ألف حرف واحد وعشرون ألف حرف ومائتان وخمسون حرفاً، لا يرغب في تعلّم القرآن إلّا السُّعْدَاءُ، ولا يتعهّد قراءته إلّا أولياء الرّحمان». (٤٠٦:٥)

[أسماء سورة فاتحة الكتاب]

[١] - فاتحة الكتاب: سُمِّيَتْ بذلك، لافتحاح المصاحف بكتابتها، ولوجوب قراءتها في الصّلاة، فهي فاتحة لما يتلوها من سور القرآن في الكتاب والقراءة.

[٢] - الحمد: سُمِّيَتْ بذلك، لأنّ فيها ذكر الحمد.

[٣] - أم الكتاب: سُمِّيَتْ بذلك، لأنّها متقدّمة على سائر سور القرآن، والعرب تُسمّي كلّ جامع أمر أو متقدّم لأمر - إذا كانت له توابع تتبّعه - أمّاً، فيقولون: أمّ الرّاس للجلدة التي تجمع الدّماغ، وأمّ القرى، لأنّ الأرض دُحِيت من تحت مكّة، فصارت لجميعها أمّاً. وقيل: لأنّها أشرف البلدان فهي متقدّمة على سائرها.

وقيل: سُمِّيَتْ بذلك لأنّها أصل القرآن. والأمّ: هي الأصل، وإنّما صارت أصل القرآن لأنّ الله تعالى أودعها مجموع ما في السُّور، لأنّ فيها إثبات الرّبوبيّة والعبوديّة، وهذا هو المقصود بالقرآن.

[٤] - السّبع: سُمِّيَتْ بذلك، لأنّها سبع آيات لا خلاف في جملتها.

[٥] - المثاني: سُمِّيَتْ بذلك، لأنّها تُتلى بقراءتها في كلّ صلاة فرض ونفل. وقيل: لأنّها نزلت مرتّين، هذه أسماءها المشهورة. وقد ذكر في أسمائها:

[٦] - الوافية: لأنّها لا تنتصف في الصّلاة.

[٧] - الكافية: لأنّها تكفي عمّا سواها، ولا يكفي ماسواها عنها، ويؤيّد ذلك ما رواه عبادة بن الصّامت عن النبي ﷺ: أمّ القرآن عِوضٌ عن غيرها، وليس غيرها عِوضاً عنها.

[٨] - الأساس: لما روي عن ابن عباس: «إنّ لكلّ شيء أساساً، وساق الحديث إلى أن

قال: وأساس القرآن الفاتحة، وأساس الفاتحة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

[٩] - الشفاء: لما روي عن النبي ﷺ: فاتحة الكتاب شفاء من كل داء.

[١٠] - الصلاة: لما روي عن النبي ﷺ: قال: قال الله تعالى: قُسِمَتِ الصَّلَاةُ بَيْنِي وَبَيْنَ

عبي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول الله:

حَمَدَنِي عَبْدِي. فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يقول الله: أَتْنِي عِلِّيَّ عَبْدِي. فإذا قال

العبد: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقول الله: مَجَدَنِي عَبْدِي. فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

يقول الله: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى

آخره، قال الله: هَذَا لعبدي ولعبدي ما سأل، أورده مسلم بن الحجاج في الصحيح،

فهذه عشرة أسماء.

(١٧:١)

الفصل التاسع

نصّ الشَّهرستانيّ (م: ٥٤٨) في «مفاتيح الأسرار...»

[أقسام السُّور]

من كتاب «الاستغناء في سُور القرآن»^١ عن أبي عبد الله الحسين بن أحمد الرّازي: السَّبع الطُّول^٢: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، وسابعها الأنفال فالتوبة.

والسَّبع المثاني: وهي سبع سُور أولها سورة يونس، وآخرها التَّحل: يونس، هود، يوسف، الرّعد، إبراهيم، الحجر، التَّحل، و كأنَّ السَّبع الطُّول هي المبادي في القرآن العظيم، والسَّبع المثاني هي الَّتِي تتلوها في الطُّول والمعاني، وقيل: السَّبع المثاني هي فاتحة الكتاب، لأنَّها تتنَّي في كلِّ صلاة، ولأنَّ المثاني من حيث المعاني في طيِّها وضمنها كما سيأتي.

السَّبع المثون: أولها سورة بني إسرائيل، وآخرها سورة المؤمنين: بنو إسرائيل، الكهف، مريم، طه، الأنبياء، الحجّ، المؤمنون^٣. يقال لها: المثون لأنَّ كلَّ سورة منها مائة آية أو نحوها، وهي تتلو المثاني.

المفصَّل: سُمِّي مفصَّلاً لأنَّها سُور قصار لقُرْب تفصيل سورة عن سورة، وهو معروف. وقيل: سُمِّي مفصَّلاً لما فيها من البيان والتفصيل، والأوّل أصحّ، لأنَّ المفصَّل ليس بأكثر بيّناً

١- يبدو أنّه كتاب الاستغناء المعروف المسمّى: الاستغناء في علم القرآن، كما يسمّى: تفسير الأدفوي مؤلّفه محمّد بن أحمد المقرئ التَّحوي المتوفى سنة ٣٨٨هـ، ألّفه في ١٢٠ مجلّد^١، وصنّفه في ١٢ سنة، كشف الظُّنون ١: ٧٩ و٤٤١.

٢- الطُّول: جمّاً طول، تأنيث الأطول، وإثماً سُمِّيَتْ بذلك لأنَّها أطول سُور القرآن. جمع البيان ١: ١٤.

٣- جمع البيان، المقدّمة ١: ١٤.

وتفصيلاً من الآخر.

ومن كتاب «المختار في القراءات»، عن أبي بكر محمد بن موسى الصّيدلاني: السّبع الطّول سبع سور: البقرة، آل عمران، النّساء، الأعراف، الأنعام، المائدة، يونس، قال أبو عبيّدة: والأنفال من المثاني، وهي من أوائل منازل بالمدينة، ويونس نزلت بمكة^١.

والمثون إحدى عشرة سورة: براءة، التحل، هود، يوسف، الكهف، بنو إسرائيل، الأنبياء، طه، قد أفلح، الشعراء، الصّافات.

والمثاني عشرون سورة: الأحزاب، الحجّ، التّمل، القصص، التّور، الأنفال، مريم، العنكبوت، الزّوم، يس، الحجّز، الرّعد، الفرقان، سبأ، الملائكة، إبراهيم، ص، سورة محمد، لقمان، الزّمر.

والحواميم سبع سور: المؤمن، الزّخرف، حم السّجدة، حم عسق، الدّخان، الأحقاف، الجاثية. والمتحنة أربع عسرة سورة: الفتح، الحديد، الحشر، الم السّجدة، ق، الطّلاق، الحجرات، تبارك، التّغابن، المنافقون، الصّفّ، الجنّ، نوح، المجادلة.

والمفصل هي ما في السّور تسع وأربعون سورة، قد عدّها. وفي كتاب «الاستغناء» عن رسول الله ﷺ: «أعطيت السّبع الطّول مكان التّوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزّبور، وفُضِّلَت بالمفصل»^٢. وعن سعيد بن جبّير في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: هي السّبع الطّوال: البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، الأعراف، ويونس تسمّى لسابعة^٣. وعن يحيى بن الحارث الدّيناريّ مثل ذلك، وزاد: ليست تُعدّ الأنفال ولا براءة من السّبع الطّوال.

(١٤٠-١٤١)

١- الإتيان ١: ٦٥.

٢- وذكرت هذه الرواية بألفاظ مختلفة، راجع: الإتيان ١: ٥٨، وجمع البيان، المقدّمة ١: ١٤، البحار ٨٩: ٢٧.

٣- وقيل أيضاً: إنّ المثاني في الآية سورة الحمد، قال الطّبرسيّ، وهو المرويّ عن أمّتنا. جمع البيان ١: ١٤.

الفصل العاشر

نصّ السّخاويّ (م: ٦٢٣) في «جمال القراء وكمال الإقراء»

أسماء السُّور

تسمّى فاتحة الكتاب أيضًا «المثاني»^١، فهو اسم مشترك وتسمّى سورة الحمد «أمّ الكتاب»^٢. وفاتحة الكتاب سُمّيت «أمّ الكتاب» لأنّ أمّ كلّ شيء أصله، ولمّا كانت مقدّمة الكتاب العزيز، فكانت كأنّها أصله، قيل لها: «أمّ الكتاب» و«أمّ القرآن»^٣. وسُمّيت الفاتحة لأنّ القرآن العزيز افتتح بها^٤. ومن قال إنّها أوّل ما نزل، قال: سُمّيت فاتحة الكتاب لأنّ الوحي افتتح بها، وروى أبو هريرة وأبيّ بن كعب: أنّ النّبيّ ﷺ قال: «هي أمّ القرآن، وهي السّبع المثاني، وهي فاتحة الكتاب»^٥. وسُمّيت «السّبع المثاني» لأنّها تُتلى في كلّ ركعة^٦، وقيل: لأنّها نزلت بمكة ثمّ تُتلى فنزلت بالمدينة، وقيل: لأنّ الله عزّ وجلّ استثنى هذه الأُمَّة وذخرها لها بما أنزله على غيرها. ومنع أنس وابن سيرين أن تسمّى «أمّ الكتاب»، و«أمّ القرآن»، قالوا: لأنّ ذلك اسم

١- انظر: تفسير الطبريّ ١: ٤٧، و غرائب القرآن ١: ٣١.

٢- تفسير الطبريّ ١: ٤٧.

٣- المصدر السابق.

٤- المصدر السابق، بإسناده إلى أبي هريرة.

٥- السابق أيضًا ١: ٤٨ وفيه: «وكان الحسن البصريّ يتأوّل ذلك».

اللَّوح المحفوظ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا﴾. والحديث يرد ما قالوا، وقد تكون الأسماء مشتركة.

فإن قيل: فما فائدة نزولها مرة ثانية؟ قلت: يجوز أن تكون نزلت أول مرة على حرف واحد، ونزلت في الثانية ببقية وجوها، نحو: «مَلِك»، و«مَالِك»، و«السَّطَّاط» و«الصَّطَّاط»، ونحو ذلك.

وفي القرآن العزيز السبع الطُّول: البقرة، وآل عمران والتَّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس^١، وقيل: براءة^٢، وقد توهم عثمان رضي الله عنه أن الأنفال وبراءة سورة واحدة، فلذلك وضعها في السبع الطُّول، ولم يكتب بينهما البسملة^٣. وكانتا تدعيان في زمن رسول الله ﷺ: القرينتين.

والطُّول: جمع طُولى، والطُّولى: تأنيت الأطول^٤. وعن النبي ﷺ: «أعطاني ربي مكان التَّوراة السبع الطُّول، ومكان الإنجيل المثاني^٥»، وهي السُّور التي ثنيت فيها القصص^٦. وفي القرآن «المثنون»^٧، وهو ما بلغ مائة آية أو ما قرب من ذلك^٨. وفي القرآن «المفصل»... [وذكر رواية عن النبي ﷺ، كما تقدّم عن الطبري الرقم ١ و ٢، ثم قال:]

١- وهذا في قول سعيد بن جبّير، انظر: تفسير الطبري ١: ٤٥.

٢- في غرائب القرآن ١: ٣٦: «البقرة، وآل عمران، والتَّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع التوبة».

٣- انظر: تفسير الطبري ١: ٤٥.

٤- انظر: اللسان (طول) ١١: ٤٦٠.

٥- تفسير الطبري ١: ٤٥، وفي الحديث مستدًّا.

٦- المثاني سبع سُور تلو السبع الطُّول. في غرائب القرآن ١: ٣٦: «لأنها ثنت الطُّول، أي ثلثها، واحدها مثنى، مثل: معنى وممان». وقد يكون المثاني سُور القرآن كلّها طُولها وقصارها، من قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مَّثْنًى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

٧- وهي سبع، أو ثمان سورة بني إسرائيل وأخرها سورة المؤمنون، لأن كل سورة منها نحو مائة آية. انظر: غرائب التفسير ١: ٣٦.

٨- تفسير الطبري ١: ٤٥.

وسمّي المفصلّ بذلك لكثرة انفصال بعضه من بعض، ويسمّى المفصلّ أيضاً: المحكم؛ لأنّه لم ينسخ منه شيء.

وأولّ المفصلّ سورة الحجرات، وقيل: سورة ق. وعن ابن عبّاس: أوّل سورة «والضحى»؛ لأنّه يُفصل من تلك السّورة بين كلّ سورتين بالتّكبير.

وعن زريق حبيش: قرأت القرآن كلّ في المسجد الجامع بالكوفة على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (رضوان الله عليه)، فلمّا بلغت الحواميم، قال لي أمير المؤمنين: يا زريق قد بلغت عرائس القرآن^١.

وقال بعض الأئمّة من السلف (رضي الله عنهم): في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس ودبابيج ورياض، فميادين القرآن ما افتتح بـ «الهمّ»، وبساتينه المفتتح بـ «المر»، ومقاصيره الحامدات، وعرائسه المسبّحات، وديابجه الـ «حمّ»، ورياضه المفصل. وقالوا: الطّواسين، والطّواسيم، والـ «حمّ» والحواميم، وأنشد أبو عبيدة:

وبالطّواسين التي قد نلّثت^٢ وبالحواميم التي قد سبّعت^٣

ألقاب سور القرآن

البقرة، وآل عمران، والنساء، وتسمّى سورة العنود بالعنود وبالمائدة^٤، والأنعام، والأعراف، والأفال وبراءة، وكانوا يسمّونها القرينتين.

وتسمّى سورة براءة سورة العذاب؛ قال حذيفة رضي الله عنه: «إنكم تسمّونها سورة التوبة، وإنّما

١- غرائب القرآن، للتّيسابوريّ: ١: ٣٢.

٢- أنشد هذا الرّجز أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٧. والرّواية فيه «وبالطّواسيم» وأنشده برواية «الطّواسين» كلّ من الطّبري في

تفسيره ١: ٤٦، والتّيسابوريّ في غرائب القرآن ١: ٣٦.

٣- انظر: البرهان في علوم القرآن ١: ٢٦٩.

٤- نفس المصدر.

إنما هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه». وتسمى المُقَشَّقِشَةُ؛ لأنها تقشّش من التفاق، أي تُبرئ منه. وتسمى المُبْغِثَةُ؛ لأنها بعثت عن أسرار المنافقين، والحافرة؛ لأنها حفرت عن أسرارهم. والمُخْزِيَّة، والفاضحة^١ والمُنْكَلَّة، والمُدْمِرَة والمُشْرَدَّة، وسورة التوبة؛ لقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ^٢﴾ إلى قصة كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية.

وسورة يونس وسورة هود. وإنما سُمِّيَتْ به دون من ذكر فيها من الأنبياء لخفة اسمه، ولم يقل: سورة نوح؛ لأن السُّورَةَ الأخرى تسمى سورة نوح، ولم يقل سورة لوط؛ لأن قصته لم ينفرد بها دون إبراهيم.

وسورة يوسف وسورة الرعد، وسورة إبراهيم وسورة الحجر.

وسورة التَّحَل تسمى «سورة النَّعَم وسورة النَّعِيم»^٣.

وسبحان تسمى «سورة الإسراء وسورة بني إسرائيل»^٤.

وسورة الكهف، وكهيعص تسمى «سورة مريم».

وطه تسمى «سورة الكليم».

وسورة اقتراب تسمى «سورة الأنبياء ﷺ».

وسورة الحج، وسورة قد أفلح تسمى «سورة المؤمنون».

وسورة الثور، وسورة الفرقان، وطسم تسمى «سورة الشعراء».

وطس تسمى «سورة التمل، وسورة سليمان».

١- في البرهان ١: ٢٦٩ (المُشَقَّقَةُ).

٢- انظر: صحيح مسلم ٥: ٥٤.

٣- التوبة/ ١١٧.

٤- انظر: البرهان في علوم القرآن ١: ٢٦٩.

٥- انظر: جمع البيان ٦: ٦٠٧.

و طسّم تسمّى «سورة القصص» .
 وآلم أحسب التّاس تسمّى «سورة العنكبوت» .
 وآلم غلبت الرّوم تسمّى «سورة الرّوم» .
 والسّورة الّتي بعدها تسمّى سورة لقمان، وبعدها السّجدة، وبعدها الأحزاب، وبعدها
 سورة سبأ، وبعدها فاطر تسمّى «سورة الملائكة» . وبعدها يسّ، وهي قلب القرآن . وقال ﷺ:
 «و قلب القرآن يسّ»^١ .
 وبعدها والصّافات، وسورة ص تسمّى «سورة داود عليه السلام» .
 وسورة الزّمر تسمّى «سورة العُرف» .
 وسورة غافر تسمّى «سورة المؤمن» .
 وحمّ السّجدة، وتسمّى فصّلت، وتسمّى أيضًا «سورة المصاييح» .
 وحمّسّق، وتسمّى «سورة الشّورى» .
 ويليهما الزّخرف، ثمّ الدّخان، ثمّ الجاثية وتسمّى «الشّريعة»^٢ .
 ثمّ الأحقاف، ثمّ سورة محمّد ﷺ وتسمّى «سورة القتال»^٣ .
 ثمّ سورة الفتح، ثمّ الحجرات، ثمّ سورة ق، ويقال لها: «سورة الباسقات» .
 ثمّ الذّاريات، ثمّ الطّور، ثمّ النّجم، ثمّ اقتربت السّاعة وتسمّى «سورة القمر» .
 ثمّ سورة الرّحمن عزّ وجلّ، ثمّ الواقعة، ثمّ الحديد، ثمّ المجادلة، ثمّ الحشر، ثمّ سورة المتحنة
 - بفتح الحاء - والمتحنة سُبَيْعَة بنت الحارث، وتسمّى أيضًا سورة المودّة، وسورة الامتحان .
 ثمّ سورة الصّفّ، وتسمّى سورة الحواريين .
 ثمّ سورة الجمعة، ثمّ سورة المنافقين، ثمّ سورة التّغابن، ثمّ سورة الطّلاق، وتسمّى «سورة

١- انظر: مجمع البيان ٨: ٦٤٦ .

٢- انظر: البرهان في علوم القرآن ١: ٢٦٩ .

٣- المصدر السابق .

النساء القُصْرَى^١. ثم سورة التحريم وتسمى أيضاً «سورة النبي ﷺ».

ثم تبارك وتسمى «الملِك» و«الواقية» و«المنجية»^٢ و«المانعة» و«المُناعة».

ثم سورة نَ وتسمى «سورة القلم»، ثم الحاقة، ثم سأل سائلُ ويقال لها: «سورة الواقع».

و سورة المعارج، ثم سورة نوح ﷺ، ثم قل أوحى وتسمى «سورة الجن» و«سورة الوحي».

ثم سورة المزمل، ثم سورة المدثر، ثم سورة لا أقسم وتسمى «سورة القيامة».

ثم هل أتى وتسمى «سورة الإنسان»^٣.

ثم المرسلات، ثم عم يتساءلون وتسمى «سورة التبا» و«سورة التساؤل»^٤.

ثم التازعات وتسمى «سورة الساهرة» و«سورة الطامة».

ثم عبس وتسمى «سورة السفرة»^٥.

ثم إذا الشمس كورت، ويقال لها: «سورة التكوير»، وتسمى أيضاً كُورَت.

ثم إذا السماء انفطرت ويقال لها: سورة الانفطار^٦، وتسمى أيضاً انفطرت.

ثم المطففين وتسمى «سورة التططيف»^٧.

ثم إذا السماء انشقت، ويقال لها: سورة الانشقاق، ويقال لها أيضاً: انشقت.

١- انظر: جمع البيان ٩: ٤٥٤.

٢- انظر: جمع البيان ٩: ٤٨١، وفيه: «وتسمى سورة المنجية، لأنها تنجي صاحبها من عذاب القبر، وتسمى الواقية، لما روي عن النبي ﷺ أنها تنجي صاحبها من عذاب القبر».

٣- في جمع البيان ١٠: ٦٠٨: «وتسمى سورة الدهر، وتسمى سورة الأبرار، ومنهم من يستبها بقاحتها».

٤- في جمع البيان ١٠: ٦٣٧، «وتسمى سورة التبا، وسورة المعصرات، ومنهم من يقول: سورة التساؤل».

٥- جمع البيان ١٠: ٦٦١.

٦- المصدر السابق ١٠: ٦٧٩.

٧- المصدر السابق ١٠: ٦٨٥.

ثم سورة البروج، ثم سورة الطارق، ثم سورة الأعلى، ثم سورة الغاشية، ثم سورة والفجر، ثم سورة البلد، ثم سورة والشمس، ثم سورة والليل، ثم سورة والضحي، ثم ألم نشرح، ثم سورة والتين، ثم سورة اقرأ وتسمى «سورة العلق»، وسورة القلم.

ثم سورة القدر، ثم لم يكن، وتسمى سورة البرية والبينة والقيمة والانفكاك.

ثم إذا زلزلت وتسمى «سورة الزلزلة والزلال»، ويقال لها أيضاً: زلزلت.

ثم والعاديات، ثم القارعة، ثم أهاكم، وتسمى سورة التكاثر.

ثم العصر، ثم الهمة ثم سورة الفيل، ثم سورة قريش، وهما سورتان. وعن جعفر الصادق^١ وأبي نهيك^٢ أن ذلك «سورة واحدة من غير فصل»^٣.

ثم أرايت وتسمى «سورة الدين»، و«سورة الماعون».

ثم سورة إنا أعطيناك وتسمى «سورة الكوثر».

ثم قل يا أيها الكافرون ويقال لها: الكافرون ويقال: «سورة الكافرون»، ويقال لها أيضاً: «سورة العبادة».

ثم سورة النصر وتسمى «سورة التوديع»، لما فيها من الإيماء إلى وفاة رسول الله ﷺ.

ثم سورة نبت وتسمى سورة المسد.

ثم قل هو الله أحد وتسمى «سورة الإخلاص» و«سورة الأساس»^٤، لاشتغالها على توحيد الله عز وجل، وهو أساس الدين.

١- جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الصادق، أبو عبد الله، قرأ على آياته رضوان الله عليهم محمد الباقر، فزين العابدين، فالحسن، فعلي (رضي الله عنهم أجمعين). قرأ عليه حمزة، توفي سنة ١٤٨ هـ (غاية النهاية ١: ١٦٦ - ١٩٧).

٢- علي بن أحمد، أبو نهيك التمشكري الخراساني، عرض على شهر بن حوشب وعكرمة، وروى عنه داود بن الفرات. (غاية النهاية ١: ٥١٥).

٣- انظر: مجمع البيان ١٠: ٨٢٧، بإسناده إلى الصادق عليه السلام وإلى ابن عباس.

٤- انظر: مجمع البيان ١٠: ٨٥٤.

ثم سورة الفلق، ثم سورة التاس، ويقال لهما: «المعوذتان»، و«المشقيقتان»، من قولهم: شَقِيقُ البعير، إذا هدر، وشَقِيقُ العصفور، وخطيب مُشَقِّقٌ، وخطيبٌ ذو شَقِيقَةٍ. والشَّقِيقَةُ: التي يخرجها البعير من فيه إذا هاج كالرئمة، شبه الخطيب بالفعل^١.

وهاتان سورتان من القرآن بإجماع الأمة. ويروى عن ابن مسعود: أنه كان يحكمهما من المصاحف، ويقول: «لاتزيدوا في كتاب الله ما ليس منه».

فإن كان هذا صحيحاً عنه، فسيبى أنه رأى رسول الله ﷺ يعوذ بهما سبْطِيَه، فظنهما عُوذَتَان، والمسلمون كلهم على خلاف ذلك. ومثل هذا ما حكى عن أبي أنه زاد في مُصْحَفِه سورتين، إحداهما تسمى سورة الخَلْع... [ثم ذكر متن هذين السورتين كما تقدم في ج ٥ من هذا الكتاب باب «مصحف الصحابة»، فقال:] فهذا أيضاً مما أجمع المسلمون على خلافه.

معاني السورة

و«السورة» في اللغة: الرَفعة والاعتلاء... [وذكر شعر الثابتة كما تقدم عن أبي عبيدة، فقال:] أي منزلة ومرتبة عالية لا ينالها ملك. وقال عدي:

لَمَاني وألَماني إلى السُورِ والعُلَى
أبُ كان أباءَ الذَّيَّةِ بارِعاً

ويقال: ساوره، أي واثبه؛ لأن كل واحدٍ منهما طلب أن يعلو الآخر. وسورة الغضب من ذلك؛ لأن الغضبان يريد أن يرتفع و يعلو... [ثم ذكر قول أبي عبيدة كما تقدم عنه].

قلت: بل يجوز أن يكون السُّورة - بالهمز - بمعنى السُّورة بغير همزٍ، وإنما همزها من هَمَزٍ لجاورة الواو الضمة، كما قيل: السُّوقُ في السُّوق، فتكون السُّورة سُمِّيتَ بذلك لرفعها وعلو شأنها، أو لأنها رفعة ومرتبة لمن أُنزِلَتْ عليه ﷺ.

(١٧٦: ١-١٨٨)

الفصل الحادي عشر

نصّ الزّر كشيّ (م: ٧٩٤) في «البرهان في علوم القرآن»
[في بيان لفظ السّورة لغةً واصطلاحاً]

[أما في اللغة:]

قال القُتيبيّ: السّورة تهمز ولا تهمز، فمن همّزها جعلها من «أسارت» أي أفضلتُ من السُّور، وهو ما بقي من الشّراب في الإناء، كأنّها قطعة من القرآن ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدّم، وسهّل همزتها.

ومنهم من شبهها بسُور البناء، أي القطعة منه، أي منزلةٌ بعد منزلةٍ .
وقيل: من سُور المدينة، لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسُّور ومنه السُّوار لإحاطته بالسّاعد، وعلى هذا فالواو أصليةٌ .

ويحتمل أن تكون من السّورة بمعنى المرتبة؛ لأنّ الآيات مرتّبة في كلّ سورة ترتيباً مناسباً، وفي ذلك حجّة لمن تتبّع الآيات بالمناسبات .

وقال ابن جنيّ في «شرح منهوكة أبي نواس»: إنّما سُمّيت سورة لإرتفاع قدرها؛ لأنّها كلام الله تعالى، وفيها معرفة الحلال والحرام، ومنه رجل سَوّار أي مُعرّب؛ لأنّه يعلو بفعله ويشتطّ . ويقال: أصلها من السّوّرة، وهي الوُتْبَة؛ تقول: سُرْتُ إليه وثرْتُ إليه . وجمع سُورة القرآن سُور بفتح الواو وجمع سُورة البناء سُور بسكونها .

وقيل: هو بمعنى العُلُو، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾، نزلوا عليه من علُو فسُمِّيَت القراءة به لتركَّب بعضها على بعض.

وقيل: لعلَّ شأنه وشأن قارئه. ثم كَرِه بعضهم أن يقال: سورة كذا، والصحيح جوازه، ومنه قول ابن مسعود: هذا مقام الَّذي أنزلت عليه سورة البقرة.

وأما في الاصطلاح:

فقال الجفيري: حدَّ السُّورة: قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات.

فإن قيل: فما الحكمة في تقطيع القرآن سُورًا؟

قلت: هي الحكمة في تقطيع السُّور آيات معدودات؛ لكل آية حدٌ ومطلعٌ، حتَّى تكون كل سورة بل كل آية فتنًا مستقلًّا وقرآنًا معتبرًا، وفي تسوير السُّورة تحقيق لكون السُّورة بمجردِها معجزة وآية من آيات الله تعالى.

وسُورَت السُّور طَوَالًا وقِصَارًا وأوساطًا تنبيهًا على أن الطَّوْل ليس من شرط الإعجاز، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهي معجزةٌ إعجاز سورة البقرة. ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم وتدرّيج الأطفال من السُّور القصار إلى ما فوقها يسيرًا يسيرًا، تيسيرًا من الله على عباده لحفظ كتابه، فترى الطفل يفرح بإتمام السُّورة فرح من حصل على حدٍّ معتبر. وكذلك المطيل في التلاوة يرتاح عند ختم كل سورة ارتياح المسافر إلى قطع المراحل المسماة مرحلة بعد مرحلة أخرى إلى أن كل سورة نبط مستقل، فسورة يوسف تترجم عن قصته وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وكامن أسرارهم، وغير ذلك.

فإن قلت: فهل كانت الكتب السالفة كذلك؟

قلت: لوجهين؛ أحدهما: أنها لم تكن معجزات من ناحية التَّظْم والترتيب. والآخر: أنها

لم تيسر للحفظ... [ثم ذكر فائدة تسوير القرآن، كما تقدّم عن الزّرخشريّ]. (١: ٢٦٣-٢٦٥)

[تعدّد أسماء السُّور]

قد يكون للسُّورة اسم وهو كثير، وقد يكون لها اسمان، كسورة البقرة يقال لها: فُسطاط القرآن، لعِظَمها وبهائها، وآل عمران يقال: اسمها في التّوراة طيّبة، حكاه التّقاش، والتّحلّ تسمّى «سورة التّعّم»، لما عدّد الله فيها من التّعّم على عباده، وسورة حمّ عسق وتسمّى «الشّورى»، وسورة الجاثية وتسمّى «الشّريعة»، وسورة محمد ﷺ وتسمّى «القتال».

وقد يكون لها ثلاثة أسماء، كسورة المائدة، والعنود، والمنقذة، وروى ابن عطية فيه حديثاً، وكسورة غافر، والطّول، والمؤمن، لقوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾^١.

وقد يكون لها أكثر من ذلك، كسورة براءة والتوبة، والفاضة، والحافرة، لأنّها حفرت عن قلوب المنافقين؛ قال ابن عباس ما زال ينزل ﴿وَمِنْهُمْ﴾ حتّى ظننّا أنّه لا يبقى أحدٌ إلّا ذكر فيها. وقال حذيفة: هي سورة العذاب، وقال ابن عمر: كنّا ندعوها المُشَقِّقَة، وقال الحارث بن يزيد كانت تدعى المُبْعَثَة، ويقال لها: المُسَوَّرة، ويقال لها البحوث.

وكسورة الفاتحة، ذكر بعضهم لها بضعة وعشرين اسماً: الفاتحة - وثبت في الصّحّاحين - وأمّ الكتاب وأمّ القرآن - وثبتا في صحيح مسلم - وحكى ابن عطية: كراهية تسميتها عن قوم، والسّبع المثاني، والصّلاة ثبتا في «صحيح مسلم»، والحمد، رواه الدّارقطنيّ وسُمّيت مثاني، لأنّها تتلى في الصّلاة، أو أنزلت مرّتين، والوافية بالفاء، لأنّ تبعيةها لا يجوز، ولا شتمها على المعاني التي في القرآن، والكنز لما ذكرنا، والشّافية والشّفاء والكافية والأساس.

وينبغي البحث عن تعدّد الأسماء هل هو توقيفيّ أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان

١- قوله ﷺ: «سورة المائدة تدعى في ملكوت الله المنقذة، تنقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب». نقله القرطبي في التفسير ٦: ٣٠.

الثاني فلن يعدم القطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق اسمائها، وهو بعيد.

[في اختصاص كل سورة بما سُميت]

ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سُميت به، ولا شك أن العرب تراعى في الكثير من المسميات أخذ اسمائها من نادراً أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى. ويسمّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها.

وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم، لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها. وسُميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردّد فيها من كثير من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها، إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشًا﴾ - إلى قوله - أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ۚ، لم يرد في غيرها كما ورد ذكر النساء في سور، إلا أن ما تكرر وبسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء. وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها، فسُميت بما يخصّها.

فإن قيل: قد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليه السلام فلم تختص باسم هود وحده؟ وما وجه تسميتها به؟ وقصة نوح فيها أطول وأوعب؟

قيل: تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة، فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع، والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا.

وإن قيل: فقد تكرّر اسم نوح في هذه السّورة في ستّة مواضع فيها، وذلك أكثر من تكرار اسم هود؟

قيل: لما جرّدت لذكر نوح وقصّته مع قومه سورة برأسها، فلم يقع فيها غير ذلك، كانت أولى بأن تسمّى باسمه ﷺ من سورة تضمّنت قصّته وقصّة غيره، وأن تكرّر اسمه فيها، أمّا هود فكانت أولى السّور بأن تسمّى باسمه ﷺ.

واعلم! أن تسمية سائر سور القرآن يجري فيها من رغي التسمية ما ذكرنا، وانظر سورة «ق» لما تكرّر فيها من ذكر الكلمات بلفظ القاف. ومن ذلك السّور المفتحة بالحروف المقطّعة، ووجه اختصاص كلّ واحدة بما وليّته، حتّى لم تكن لترد «آلم» في موضع «آلر» ولا «حم» في موضع «طس»، لا سيّما إذا قلنا: إنّها أعلام لها وأسماء عليها.

وكذا وقع في كلّ سورة منها ما كثر ترّده فيما يتركّب من كلّها، ويوضّحه أنّك إذا ناظرت سورة منها بما يماثلها في عدد كلماتها وحروفها، وجدت الحروف المفتّحة بها تلك السّورة أفراداً وتركيباً أكثر عدداً في كلماتها منها في نظيرتها ومماثلتها في عدد كلّها وحروفها، فإن لم تجد بسورة منها ما يماثلها في عدد كلّها، ففي أطراد ذلك في المماثلات ممّا يوجد له التّظهير ما يشعر بأنّ هذه لو وجد ما يماثلها لجرى على ما ذكرت لك.

وقد أطرد هذا في أكثرها، فحقّ لكلّ سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها فلو وضع موضع «ق» من سورة «ن» لم يمكن لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله تعالى. وقد تكرّر في سورة يونس من الكلّم الواقع فيها «آلر» مائتا كلمة وعشرون أو نحوها، فلهذا افتتحت بـ «آلر»، وأقرب السّور لها ممّا يماثلها بعدها من غير المفتّحة بالحروف المقطّعة سورة التحل، وهي أطول منها ممّا يركّب على «آلر» من كلّها مائتا كلمة، مع زيادتها في الطّول عليها، فلذلك وردت الحروف المقطّعة في أوّلها «آلر» (٢٦٩-٢٧٢)

[تقسيم القرآن بحسب سُورَه]

قال العلماء رضي الله عنهم: القرآن العزيز أربعة أقسام: الطُّول، والمثنون، والمثاني، والمفصل. وقد جاء ذلك في حديث مرفوع أخرجه أبو عُبَيْدٍ من جهة سعيد بن بَشِيرٍ عن قَتَادَةَ عن أَبِي المَلِيحِ عن واثلة... [وذكر كما تقدّم عن الطَّبْرِيِّ الرَّقْمَ ١ و ٢، ثم قال:] وهو حديث غريب وسعيد بن بَشِيرٍ فيه لين. وأخرجه أبو داود الطَّيَالِسِيُّ في «مسنده» عن عمران عن قَتَادَةَ به.

فالسَّبع الطُّولُ أوَّلُها: البقرة وآخراها: براءة؛ لأنَّهم كانوا يعدُّون الأنفال وبراءة سورة واحدة، ولذلك لم يَفْصِلُوا بينهما؛ لأنَّهما نزلتا جميعاً في مغازي رسول الله ﷺ وسُمِّيت طَوِيلًا لطولها. وحكي عن سعيد بن جُبَيْرٍ أنَّه عَدَّ السَّبع الطُّول: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس. والطُّول: بضمَّ الطَّاء جمع طَوَى كالكَبَر جمع كُبِرَى قال أبو حَيَّان التَّوْحِيدِي: وكسرُ الطَّاء مرذول. والمثنون: ما ولي السَّبع الطُّول؛ سُمِّيت بذلك لأنَّ كلَّ سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها.

والمثاني: ما ولي المثنين، وقد تسمَّى سُور القرآن كُلُّها مثاني، ومنه قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى﴾^١، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾^٢. وإِنَّمَا سُمِّيَ القرآن كُلُّه مثاني لأنَّ الأنبياء والقصص تُثْنَى فيه. ويقال: إِنَّ المَثاني في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ هي آيات سورة الحمد سماها مثاني لأنَّها تُثْنَى في كلِّ ركعة. والمفصل: ما يلي المَثاني من قصار السُّور؛ سُمِّيَ مفصلاً لكثرة الفصول الَّتِي بين السُّور بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وقيل: لقلة المنسوخ فيه. وآخره: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

١- الزُّمَر / ٢٣.

٢- الحجر / ٨٧.

وفي أوّله اثنا عشر قولاً:

أحدها- الجائية.

ثانيها- القتال، وعزاه الماورديّ إلى الأكثرين.

ثالثها- الحجرات.

رابعها- ق؛ قيل: وهي أوّله في مُصْحَف عُثْمَانَ رضي الله عنه، وفيه حديث ذكره الخطابيّ في «غريبه» يرويه عيسى بن يونس قال: حدّثنا عبد الرحمن بن يعلى الطائفيّ قال: حدّثني عمر بن عبد الله بن أوس بن حذيفة عن جدّه: أنّه قدّ على رسول الله صلى الله عليه وآله في وقدّ ثقيف، فسمع من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه كان يحزّب القرآن، قال: وحزب المفصل من «ق»، وقيل: إنّ أحمد رواه في «المسند». وقال الماورديّ في «تفسيره»: حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة للحديث المذكور.

الخامس- الصّافات.

السادس- الصّفّ.

السابع- تبارك، حكى هذه الثلاثة ابن أبي الصّفّ اليمانيّ في «نكت التنبية».

الثامن- إنّنا فتحنا لك، حكاه الدّذماريّ في «شرح التنبية» المسمّى «رفع التمويه».

التاسع- الرّحمن، حكاه ابن السيّد في «أماليه» على «الموطأ» وقال: إنّ ذلك في مُصْحَف

ابن مسعود، قلت: رواه أحمد في «مسنده» كذلك.

العاشر- هل أتى على الإنسان حين من الدّهر.

الحادي عشر- سبّح، حكاه ابن الفرّكاح في «تعليقه» عن المرزوقيّ.

الثاني عشر- والضّحى، وعزاه الماورديّ لابن عبّاس، حكاه الخطابيّ في «غريبه» ووجهه

بأنّ القارئ يفصل بين هذه السّور بالتكبير؛ قال: وهو مذهب ابن عبّاس وقراء مكّة.

والصّحيح عند أهل الأمر: أنّ أوّله «ق» قال أبوداود: في «سُنَنه» في باب «تحزيب

القرآن»... [ثمّ ذكر رواية في تحزيب القرآن عن أوس بن حذيفة، كما سيّجئ في باب عن ابن

تيمية، فقال: [

رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن شيبة عن أبي خالد الأحمر به، ورواه أحمد في «مسنده» عن عبد الرحمن بن مهدي وأبو يعلى الطائفي به. وحينئذ فإذا عدت ثمانى وأربعين سورة كانت التي بعدهن سورة «ق».

بيانه: ثلاث: البقرة، وآل عمران، والنساء. وخمس: المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، وبراءة، وسبع: يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والتحل. وتسع: سبحان، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والتور، والفرقان. وإحدى عشرة: الشعراء، والتمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، وآل السجدة، والأحزاب، وسبا، وفاطر، ويس. وثلاث عشرة: الصافات، وص، والزمر، وغافر، وحم السجدة، وحم عسق، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، والقتال، والفتح، والحجرات، ثم بعد ذلك حزب المفصل، وأوله سورة ق، وأما آل حاميم فإنه يقال: إن حم اسم من أسماء الله تعالى، أضيفت هذه السورة إليه، كما قيل: سوره الله لفضلها وشرها، وكما قيل: بيت الله، قال الكمي:

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَمِ آيَةً تَأْوِلُهَا مَنَّا تَقِيٌّ وَمُعَرَّبٌ

وقد يجعل اسماً للسورة ويدخل الإعراب عليها ويُصرف. ومن قال هذا قال في الجمع الحواميم، كما يقال: طس والطواسين. وكره بعض السلف - منهم محمد بن سيرين - أن يقال: الحواميم، وإنما يقال: آل حم.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه آل حم ديباج القرآن. وقال ابن عباس رضي الله عنه: إن لكل شيء لباباً ولباب القرآن حم، أو قال: الحواميم. وقال مسعر بن كدام: كان يقال لهن: العرائس؛ ذكر ذلك كله أبو عبيد في «فضائل القرآن».

وقال حميد بن زنجويه: ثنا عبد الله ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص، عن

أبي عبد الله قال: إنّ مَثَلَ القرآن كَمَثَلِ رجلٍ انطلق يرتادُ منزلاً، فمرَّ بأثر غيثٍ، فبينما هو يسير فيه ويتعجّب منه إذ هبط على روضاتٍ دِمْناتٍ، فقال: عَجِبْتُ مِنَ الْغَيْثِ الْأَوَّلِ، فهذا أعجب وأعجب، فقليل له: إنّ مَثَلَ الْغَيْثِ الْأَوَّلِ مَثَلُ عِظَمِ الْقُرْآنِ، وإنّ مَثَلَ هَؤُلَاءِ الرُّوضَاتِ مَثَلُ: «حَمٍّ» فِي الْقُرْآنِ. أوردَه البَغَوِيُّ.

[فِي عِدَدِ سُورِ الْقُرْآنِ]

قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ: عدد سُورِ القرآن مائة وأربع عشرة سورة، وقال: بعث الحَجَّاجُ بن يوسف إلى قُرَاءِ الْبَصْرَةِ، فجمعهم واختار منهم الحسن البَصْرِيَّ، وأبا العالِيَةَ، ونصر بن عاصم، وعاصمًا الجَحْدَرِيَّ، ومالك بن دينارٍ رحمهم الله، وقال: عَدُّوا حُرُوفَ الْقُرْآنِ، فبقوا أربعة أشهر يعدُّون بالشَّعِيرِ، فأجمعوا على أن كلماته سبع وسبعون ألف كلمة وأربع مائة وتسع وثلاثون كلمة، وأجمعوا على أن عدد حروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً. انتهى.

واعلم! أن عدد سُورِ القرآن العظيم باتِّفاق أهلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مائة وأربع عشرة سورة، كما هي في الْمُصْحَفِ الْعُثْمَانِيِّ، أولها: الْفَاتِحَةُ، وآخرها: التَّاسِ. وقال مجاهد: وثلاث عشرة يجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة، لاشتباه الطَّرفَيْنِ وعدمِ الْبَسْمَلَةِ. ويردّه تسمية النَّبِيِّ ﷺ كلاً منهما. وكان في مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ اثنا عشر، لم يكن فيها المَعْوِذَتَانِ، لشبهة الرُّقِيَّةِ. وجوابه رجوعه إليهم، وما كتب الكلّ وفي مُصْحَفِ أَبِي سِتٍّ عشرة، وكان دعاء الاستفتاح والقنوت في آخره كالسُّورَتَيْنِ. ولا دليل فيه لموافقتهما، وهو دعاء كُتِبَ بعد الْحُتْمَةِ.

الفصل الثاني عشر

نص السيوطي (م: ٩١١) في «الإتقان في علوم القرآن»

في أسماء السور

[بعد ذكر قول القتيبي والجعبري، كما تقدّم عن الزركشي، قال:]

وقال غيره: السورة الطائفة المترجمة توقيفاً، أي المسماة باسم خاص بتوقيف النبي ﷺ. وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينّت ذلك.

ومما يدلّ لذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة. قال: كان المشركون يقولون: سورة البقرة وسورة العنكبوت، يستهزئون بها، فنزل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^١.

وقد ذكره بعضهم أن يقال: سورة كذا لما رواه الطبراني والبيهقي عن أنس مرفوعاً: لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء، وكذا القرآن كلّ، ولكن قولوا: السورة التي تُذكر فيها البقرة، والتي تُذكر فيها آل عمران، وكذا القرآن كلّ. وإسناده ضعيف، بل ادّعى ابن الجوزي أنه موضوع.

وقال البيهقي: إنما يعرف موقوفاً على ابن عمر، ثم أخرجه عنه بسند صحيح، وقد صحّ إطلاق سورة البقرة وغيرها عنه ﷺ.

وفي «الصحيح» عن ابن مسعود أنه قال: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة، ومن ثمّ

لم يكرهه الجمهور.

فصل

قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير، وقد يكون لهما اسمان فأكثر من ذلك: «الفاحة» وقد وقفت لها على ثيف وعشرين اسماً، وذلك يدل على شرفها، فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى.

أحدها- فاتحة الكتاب... [ثم ذكر رواية الطبري عن المقبري، كما تقدم عنه، فقال:]
وسُميت بذلك، لأنه يفتح بها في المصاحف، وفي التعليم، وفي القراءة في الصلاة.
وقيل: لأنها أول سورة نزلت.

وقيل: بأنها أول سورة كتبت في اللوح المحفوظ، حكاه المُرسي وقال: إنه يحتاج إلى نقل.
وقيل: لأن الحمد فاتحة كل كلام.

وقيل: لأنها فاتحة كل كتاب حكاه المُرسي. ورد بأن الذي افتتح به كل كتاب هو الحمد فقط لجميع السورة، وبأن الظاهر أن المراد بالكتاب القرآن، لا جنس الكتاب. قال: لأنه قد روى من أسمائها فاتحة القرآن، فيكون المراد بالكتاب والقرآن واحداً.
ثانيها- فاتحة القرآن، كما أشار إليه المُرسي.

وثالثها ورابعها- أم الكتاب، وأم القرآن، وقد كره ابن سيرين أن تسمى أم الكتاب، وكره الحسن أن تسمى أم القرآن، ووافقهما بقي بن مخلد؛ لأن أم الكتاب هو اللوح المحفوظ؛ قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^١، ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾^٢، وآيات الحلال والحرام؛ قال تعالى: ﴿آيَاتُ مُحْكَمَاتٍ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^٣.

١- الزُعد / ٣٩.

٢- الزُخرف / ٤.

٣- آل عمران / ٧.

قال المُرْسِي: وقد رُوِيَ حديث لا يصح: لا يقولون أحدكم أم الكتاب، وليقل: فاتحة الكتاب.

قلت: هذا لا أصل له في شيء من كُتُب الحديث، وإنما أخرجه ابن الضَّرِيس بهذا اللفظ عن ابن سيرين، فالتبس على المُرْسِي، وقد ثبت في الأحاديث الصَّحِيحة تسميتها بذلك. فأخرج الدَّارَقُطْنِي وصَحَّحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ مرفوعاً: «إذا قرأتم الحمد، فاقروا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، إنها أم القرآن وأم الكتاب والسَّبع المثاني».

واختلف لِم سُمِّيَتْ بذلك؟ فقيل: لأنها يبدأ بكتابتها في المصاحف، وبقراءتها في الصَّلَاة قبل السُّورَة. قاله أبو عُبَيْدَة في «مجازة»: وجزم به البخاري في «صحيحه».

واستشكل بأن ذلك يناسب تسميتها فاتحة الكتاب، لا أم الكتاب.

وأجيب: بأن ذلك بالتَّنْظُرِ إلى أن الأم مبدأ الولد. قال الماوردي: سُمِّيَتْ بذلك، لتقدمها وتأخر ما سواها تبعاً لها، لأنها أمته، أي تقدمته، ولهذا يقال لراية الحرب: أم، لتقدمها واتباع الجيش لها، ويقال لما مضى من سني الإنسان: أم، لتقدمها، ولمكة: «أم القرى» على سائر القرى. وقيل: أم الشيء أصله، وهي أصل القرآن، لانطوائها على جميع أغراض القرآن وما فيه من العلوم والحكم...

وقيل: سُمِّيَتْ بذلك، لأنها أفضل السُّور، كما يقال لرئيس القوم: أم القوم.

وقيل: لأن حرمتها كحرمة القرآن كله.

وقيل: لأن مفزع أهل الإيمان إليها، كما يقال للرأية: أم، لأن مفزع العسكر إليها.

وقيل: لأنها محكمة، والمحكمات أم الكتاب.

خامسها- القرآن العظيم: روى أحمد: عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَأُمِّ الْقُرْآنِ: هِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبعُ الْمُثَانِي، وَهِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ، لِاشْتِمَالِهَا عَلَى الْمَعَانِي الَّتِي فِي الْقُرْآنِ.

سادسها- السَّبعُ الْمُثَانِي: ورد تسميتها بذلك في الحديث المذكور وأحاديث كثيرة، أما

تسميتها سبعا فلاؤها سبع آيات، أخرج الدارقطني ذلك عن عليّ.

وقيل: فيها سبعة آداب، في كل آية أدب، وفيه بُعد.

وقيل: لأنها خلّت من سبعة أحرف: التاء والجيم والحاء والزاي والشين والفاء.

قال المرسي: وهذا أضعف مما قبله، لأن الشيء إنما يسمى بشيء واحد فيه لا بشيء فقد منه.

وأما المثاني: فيحتمل أن يكون مشتقا من الثناء، لما فيها من الثناء على الله تعالى، ويحتمل

أن يكون من الثنينا؛ لأن الله استثنى هذه الأمة، ويحتمل أن يكون من التثنية، قيل: لأنها تُثنى

في كل ركعة، ويقويه ما أخرجه ابن جرير بسند حسن عن عمر، قال: السبع المثاني؛ فاتحة

الكتاب تُثنى في كل ركعة.

وقيل: لأنها تُثنى بصورة أخرى.

وقيل: لأنها نزلت مرتين.

وقيل: لأنها نزلت على قسمين: ثناء ودعاء.

وقيل: لأنها كلما قرأ العبد منها آية ثناه الله بالإخبار عن فعله، كما في الحديث.

وقيل: لأنها اجتمع فيها فصاحة المثاني وبلاغة المعاني. وقيل: غير ذلك.

سابعها- الوافية: كان سفيان بن عيينة يسميها به، لأنها وافية بما في القرآن من المعاني،

قاله في «الكشاف».

وقال الثعلبي: لأنها لا تقبل التصنيف، فإن كل سورة من القرآن لو قرئ نصفها في ركعة

والنصف الثاني في أخرى لجاز بخلافهما.

قال المرسي: لأنها جمعت بين ما لله وبين ما للعبد.

ثامنها- الكنز: لما تقدّم في أم القرآن، قاله في «الكشاف»...

تاسعها- الكافية: لأنها تكفي في الصلاة عن غيرها، ولا يكفي عنها غيرها.

عاشرها- الأساس: لأنها أصل القرآن وأول سورة فيه.

حادي عشرها- التور.

ثاني عشرها - سورة الحمد.

ثالث عشرها - سورة الشُّكْرِ.

رابع عشرها - سورة الحمد الأولى.

خامس عشرها - سورة الحمد القصُرى.

سادس عشرها - الرّاقية.

سابع عشرها - الشفاء.

ثامن عشرها - والشافية: للأحاديث الآتية في نوع الخواص.

تاسع عشرها - سورة الصّلاة: لتوقّف الصّلاة عليها.

وقيل: إنّ من أسمائها الصّلاة أيضاً، لحديث: «قَسَمْتُ الصّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ»

أي السّورة. قال المرُسي: لأنّها من لوازمها، فهو من باب تسمية الشّيء باسم لازمه، وهذا الاسم العشرون.

الحادي والعشرون - سورة الدّعاء: لاشتغالها عليه في قوله: «اهْدِنَا».

الثّاني والعشرون - سورة السّؤال: لذلك، ذكره الإمام فخر الدّين.

الثّالث والعشرون - سورة تعليم المسئلة.

قال المرُسي: لأنّ فيها آداب السّؤال، لأنّها بدئت بالثناء قبله.

الرّابع والعشرون - سورة المناجاة: لأنّ العبد يناجي فيها ربّه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

الخامس والعشرون - سورة التقويض: لاشتغالها عليه في قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فهذا ما

وقفت عليه من أسمائها، ولم تجتمع في كتاب قبل هذا.

[أسماء السُّور الأُخرى]

البقرة: كان خالد بن مقدان يسمّيها «فسطاط القرآن». وورد في حديث مرفوع في

«مُسند الفردوس»: وذلك لعظمها، ولما جمع فيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها. وفي حديث «المستدرک» تسميتها «سنام القرآن»، وسنام كل شيء أعلاه. وآل عمران: روى سعيد بن منصور في «سُنَنه» عن أبي عطاف قال: اسم آل عمران في التوراة «طَيِّبَة» وفي «صحيح مسلم» تسميتها والبقرة: الزهراوين. والمائدة: تسمى أيضا «العقود والمُعَدَّة». قال ابن الفَرَس: لأنها تنقذ صاحبها من ملائكة العذاب.

والأنفال: أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبّير قال: قلت لابن عباس: سورة الأنفال، قال: تلك سورة بدر.

وبراءة: تسمى أيضا: التوبة، لقوله فيها: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ...﴾. وأخرج البخاري عن سعيد بن جبّير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة قال: التوبة، بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: «ومنهم...» حتى ظننا ألا يبقى أحد منا إلا ذكر فيها. وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة، قال: قال عمر: ما فرغ من تنزيل براءة، حتى ظننا أنه لم يبق منا أحد إلا سينزل فيه. العذاب، وكانت تسمى سورة العذاب، أخرج الحاكم في المستدرک عن حذيفة، قال: التي تسمون سورة التوبة هي سورة العذاب.

وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبّير قال: كان عمر بن الخطاب إذا ذكر له سورة براءة فقيل: سورة التوبة، قال: هي إلى العذاب أقرب، ما كادت تقلع عن الناس، حتى ما كادت تُبقي منهم أحدا.

والمُشَقِّشَة، أخرج أبو الشيخ عن زيد بن أسلم أن رجلا قال لابن عمر: سورة التوبة، فقال: وأيتهن سورة التوبة؟ فقال: براءة، فقال: وهل فعل بالناس الأفاعيل إلا هي! ما كنا

ندعوها إلا المَقَشَّقَشَّة، أي المبرَّنة من التفاق.

والمُنْقَرَة، أخرج أبو الشَّيْخ عن عُبَيْد بن عُمَيْر قال: كانت تسمَّى براءة المنْقَرَة، نَقَرَت عَمَّا في قلوب المشركين.

والبَحْوث، بفتح الباء، أخرج الحاكم عن المقداد أنه قيل له: لو قعدت العام عن القُرْؤ قال: أتت علينا البَحْوث: يعني براءة. الحديث.

والحافرة، ذكره ابن الفَرَس، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين.

والمُثِيرَة، أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة، قال: كانت هذه السُّورَة تسمَّى الفاضحة، فاضحة المنافقين، وكان يقال لها: المثيرة، أنبأت بمناياهم وعوراتهم.

حكى ابن الفَرَس: من أسمائها: المبعثرة، وأظنه تصحيف المنْقَرَة، فإن صحَّ كملت الأسماء العشرة، ثم رأيت كذلك - أعني المبعثرة - بخط السَّخَاوِي في «جمال القراء» وقال: لأنها بُعِثَت عن أسرار المنافقين.

وذكر فيه أيضًا من أسمائها المخزّية، والمنكّلة، والمشرّدة، والمدممة.

التحل: قال قتادة: تسمّى سورة النُّعْم، أخرج ابن أبي حاتم. قال ابن الفَرَس: لما عدّد الله فيها من النُّعْم على عباده.

الإسراء: تسمّى أيضًا سورة سبحان، وسورة بني إسرائيل.

الكهف: ويقال لها: سورة أصحاب الكهف، كذا في حديث أخرج ابن مَرْدُويّه.

وروى البَيْهَقِيُّ من حديث ابن عَبَّاس مرفوعًا، أنها تُدعى في التَّورَة الحائِثَة، تُحَوَّل بين قارئها وبين النَّار، وقال: إنه منكر.

طه: تسمّى أيضًا سورة الكليم، ذكره السَّخَاوِي في «جمال القراء».

الشُّعراء: وقع في تفسير «الإمام مالك» تسميتها بسورة الجامعة.

التَّمَل: تسمّى أيضًا سورة سُلَيْمَان.

السَّجْدَة: تسمّى أيضًا المضاجع.

فاطر: تسمى سورة الملائكة.

يس: سماها ﷺ: قلب القرآن، أخرجه الترمذي من حديث أنس. وأخرج البيهقي من حديث أبي بكر مرفوعاً: «سورة يس تدعى في التوراة «المعمة»، نعم بخيري الدنيا والآخرة، وتدعى «المدافعة» و«القاضية»، تدفع عن صاحبها كل سوء، وتقضي له كل حاجة»، وقال: إنه حديث منكر.

الزمر: تسمى سورة العرف.

غافر: تسمى سورة الطول، والمؤمن، لقوله تعالى فيها: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾.

فصلت: تسمى السجدة، وسورة المصاييح.

الجاثية: تسمى الشريعة، وسورة الدهر، حكاها الكرمانى في «العجائب».

محمد ﷺ: تسمى القتال.

ق: تسمى سورة الباسقات.

اقتربت: تسمى القمر. وأخرج البيهقي عن ابن عباس: أنها تدعى في التوراة «المبيضة» تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه، وقال: إنه منكر.

الرحمن: سُميت في حديث «عروس القرآن»، أخرجه البيهقي عن علي مرفوعاً.

المجادلة: سُميت في مُصحف أبي «الظهار».

الحشر: أخرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر قال: قل سورة بني النضير. قال ابن حجر: كأنه كره تسميتها بالحشر، لتلايظن أن المراد يوم القيامة، وإنما المراد به هنا إخراج بني النضير.

المتحنة: قال ابن حجر: المشهور في هذه التسمية أنها بفتح الهاء وقد تكسر، فعلى الأول هي صفة المرأة التي نزلت السورة بسببها، وعلى الثاني هي صفة السورة، كما قيل لبراءة:

الفاضة. وفي «جمال القرآن»: تسمى أيضاً سورة الامتحان وسورة المرأة.

الصَّف: تسمى أيضاً سورة الحوارين.

الطَّلَاق: تسمى سورة النساء القصرى، وكذا سماها ابن مسعود، أخرجه البخاري وغيره، وقد أنكره الداودي فقال: لا أرى قوله: «القصرى» محفوظاً، ولا يقال في سورة من القرآن: قصرى ولا صغرى.

قال ابن حجر: وهو رد للأخبار الثابتة بلا مستند، والقصّر والطول أمر نسبي، وقد أخرج البخاري عن زيد بن ثابت أنه قال: «طولى الطولين» وأراد بذلك سورة الأعراف.

التحریم: يقال لها: سورة المتحرّم وسورة لم تحرم.

تبارك: تسمى سورة الملك، وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود قال: هي في التوراة سورة الملك وهي المانعة، تمنع من عذاب القبر، وأخرج الترمذي من حديث ابن عباس مرفوعاً: «هي المانعة هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر»، وفي مسند عبيد من حديث: «أنها المنجية والمجادلة، تجادل يوم القيامة عند ربها لقارنها».

وفي تاريخ «ابن عساکر» من حديث أنس، أن رسول الله ﷺ سماها المنجية. وأخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: «كنا نسميها في عهد رسول الله ﷺ المانعة. وفي «جمال القرآن»: تسمى أيضاً الواقية والمناعة.

سأل: تسمى المعارج والواقع.

عم: يقال لها: التبا، والتساؤل، والمعصرات.

لم يكن: تسمى سورة أهل الكتاب، وكذلك سُميت في مُصحف أبي، وسورة البينة، وسورة القيامة، وسورة البرية، وسورة الانفكاك، ذكر ذلك في «جمال القرآن».

أرأيت: تسمى سورة الدين، وسورة الماعون.

الكافرون: تسمى المشقشة، أخرجه ابن أبي حاتم عن زُرارة بن أوفى، قال في «جمال القرآن»: وتسمى أيضاً سورة العبادة.

النصر: تسمى سورة التوديع، لما فيها من الإيماء إلى وفاته ﷺ.

تبت: تسمى سورة المسد.

الإخلاص: تسمى الأساس، لاشتغالها على توحيد الله وهو أساس الدين.

الفلق والتاس: يقال لهما: المعوذتان بكسر الواو، والمشققتان، من قولهم:

خطيب مشقشق.

تنبيه

قال الزركشي في «البرهان»: ينبغي البحث عن تعداد الأسامي: هل هو توقيفيّ أو بما يظهر من المناسبات... [وذكر كما تقدّم عنه، ثم قال:]

قلت: ولك أن تسأل فتقول: قد سُميت سورٌ جرت فيها قصص أنبياء بأسمائهم، كسورة نوح، وسورة هود، وسورة إبراهيم، وسورة يونس، وسورة آل عمران، وسورة طس سليمان، وسورة يوسف، وسورة محمد ﷺ، وسورة مريم، وسورة لقمان، وسورة المؤمن. وقصة أقوام كذلك، كسورة بني إسرائيل، وسورة أصحاب الكهف، وسورة الحجر، وسورة سبأ، وسورة الملائكة، وسورة الجن، وسورة المنافقين، وسورة المطففين، ومع هذا كله لم يُفرد لموسى سورة تسمى به مع كثرة ذكره في القرآن، حتّى قال بعضهم: كاد القرآن أن يكون كله لموسى، وكان أولى سورة أن تسمى به سورة طه أو سورة القصص أو الأعراف، لبسط قصّته في الثلاثة ما لم يبسط في غيرها.

وكذلك قصة آدم، ذكرت في عدة سور، ولم تسم به سورة، كأنه اكتفاء بسورة الإنسان، وكذلك قصة الذبيح من بدائع القصص، ولم تسم به سورة الصافات، وقصة داود، ذكرت في ص ولم تسم به، فانظر في حكمة ذلك. على أنّي رأيت بعد ذلك في «جمال القراء» للسخاوي: أن سورة «طه» تسمى سورة الكليم، وسمّاها الهذليّ في «كامله» سورة «موسى»، وأن سورة «ص» تسمى سورة «داود». ورأيت في كلام الجعفري: أن سورة الصافات تسمى سورة الذبيح، وذلك يحتاج إلى مستند من الأثر.

فصل

وكما سُمِّيت السُّورَةُ الواحدة بأسماء، سُمِّيت سُورٌ باسم واحد، كالسُّورِ المسَمَّاةِ بـ «الْم» أو «الر»، على القول بأنَّ فواتح السُّورِ أسماء لها.

فائدة: في إعراب أسماء السُّورِ

قال أبو حيان في «شرح التسهيل»: ماسمِّي منها بمجمله تحكى نحو: «قل أوحى» و«أتى أمر الله» أو بفعل لا ضمير فيه، أعرب إعراب ما لا ينصرف، إلّا ما في أوّله همزة وصل، فتقطّع ألفه وتقلب تاؤه هاء في الوقف، ويكتب هاء على صورة الوقف، فتقول قرأتُ «اقتربة» وفي الوقف «اقتربه».

أمّا الإعراب: فلا تُها صارت أسماء، والأسماء معربة إلّا لموجب بناء.

وأمّا قطع همزة الوصل: فلا تُها لا تكون في الأسماء إلّا في ألفاظ محفوظة لا يقاس عليها.

وأمّا قلب تائها هاء: فلا ن ذلك حكم تاء التانيث الّتي في الأسماء.

وأمّا كتبها هاء: فلا ن الخطّ تابع للوقف غالبًا.

وماسمِّي منها باسم؛ فإن كان من حروف الهجاء وهو حرف واحد وأضيفت إليه سورة، فعند ابن عُصفور أنّه موقوف لا إعراب فيه، وعند «الشّلوّيين» يجوز فيه وجهان: الوقف والإعراب.

وأمّا الأوّل - ويعبر عنه بالحكاية - فلا تُها حروف مُقطّعة تُحكى كما هي.

وأمّا الثاني - فعلى جعله اسمًا لحروف الهجاء، وعلى هذا يجوز صرفه بناء على تذكير الحرف ومنعه بناء على تأنيثه. وإن لم تضاف إليه سورة لا لفظًا ولا تقديرًا، فلك الوقف والإعراب مصروفًا وممنوعًا. وإن كان أكثر من حرف، فإن وازن الأسماء الأعجميّة كطاسين وحاميم، وأضيفت إليه سورة أم لا، فلك الحكاية والإعراب ممنوعًا، لموازنة قابيل وهابيل، وإن لم يوازن.

فإن أمكن فيه التركيب كطاسين ميم، وأضيفت عليه سورة، فلك الحكاية والإعراب، إمّا مركّباً مفتوح التّون كحضر موت أو معرب التّون مضافاً لما بعده ومصرّوفاً وممنوعاً على اعتقاد التّذكير والتّأنيث. وإن لم تضاف إليه سورة، فالوقف على الحكاية، والبناء كخمسة عشر، والإعراب ممنوعاً.

وإن لم يكن التركيب فالوقف ليس إلّا أضيفت إليه سورة أم لا، نحو: كهيعص وحّم عسق، ولا يجوز إعرابه؛ لأنّه لا نظير له في الأسماء المعربة، ولا تركيبه مزجاً لأنّه لا يركّب، كذلك أسماء كثيرة. وجوز يونس إعرابه ممنوعاً.

وماسّمي منها باسم غير حرف هجاء؛ فإن كان فيه اللّام انجبر، نحو: الأنفال والأعراف والأنعام، وإلّا منع الصّرف إن لم يُضف إليه سورة، نحو: هذه هود ونوح، وقرأت هود ونوح، وإن أضفت بقي على ما كان عليه قبل، فإن كان فيه ما يوجب المنع منع، نحو: قرأت سورة يونس، وإلّا صُرف نحو: سورة نوح وسورة هود. انتهى ملخصاً.

[أقسام الأربعة للقرآن]

قُسّم القرآن إلى أربعة أقسام، وجعل لكل قسم منه اسم، أخرج أحمد وغيره من حديث وثالة بن الأسقع... [وذكر كما تقدّم عن الطّبري الرّقم ٢١ و٢٢].

وفي «جمال القراء»: قال بعض السّلف: في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

قلت: وأخرج الحاكم عن ابن مسعود، قال: «الحواميم ديباج القرآن». قال السّخاوي: وقوارع^١ القرآن الآيات التي يتعوّذ بها ويتحصّن سُمّيت بذلك، لأنّها تفرّج الشّيطان وتدفعه وتقمعه، كآية الكرسيّ والموذّنين ونحوها.

قلت: وفي «مسند» أحمد من حديث معاذ بن أنس مرفوعاً آية العزّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ

١- في القاموس: «قوارع القرآن»: الآيات التي من قرأها أمن من الشّياطين الإنس والجن، كأنّها تفرّج الشّيطان.

يَتَّخِذُ وَلَدًا^١.

فائدة

للمفصل طوال وأوساط وقصار، قال ابن مَنَن: فطواله إلى عمّ، وأوساطه منها إلى الضحى، ومنها إلى آخر القرآن قصاره، هذا أقرب ما قيل فيه.

تنبيه: أخرج ابن أبي داود في كتاب «المصاحف» عن نافع، عن ابن عمر، أنه ذكر عنده المفصل فقال: وآي القرآن ليس بمفصل، ولكن قولوا أقصار السُور وصِغار السُور.

وقد استدل بهذا على جواز أن يقال: سورة قصيرة أو صغيرة. وقد كره ذلك جماعة منهم أبو العالية، ورخص فيه آخرون، ذكره ابن أبي داود.

وأخرج عن ابن سيرين وأبي العالية قالا: لا تقل سورة خفيفة، فإنه تعالى يقول: ﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلاً^٢﴾ ولكن سورة يسيرة.

(١: ٢٢٠-٢٢٢)

في عدد سُورَه ...

أما سُورَه فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتدّ به، وقيل: وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة، أخرج أبو الشيخ عن أبي رَوْق قال: الأنفال وبراءة سورة واحدة.

وأخرج عن أبي رجاء قال: سألت الحسن عن الأنفال وبراءة: سورتان أم سورة؟ قال: سورتان. ونقل مثل قول أبي رَوْق عن مجاهد. وأخرجه ابن أبي حاتم عن سُفيان... (١: ٢٢٥)

تنبيه

كذا نقل جماعة عن مُصحف أبيّ أنه ست عشرة سورة ومائة. والصواب: أنه خمس عشرة، فإن سورة الفيل وسورة لإيلاف قريش فيه سورة واحدة، ونقل ذلك السخاوي في «جمال القرآن» عن جعفر الصادق وأبي نهيك أيضاً.

١- الإسراء/ ١١١.

٢- المزمل/ ٥.

قلت: ويردّه ما أخرجه الحاكم والطبراني من حديث أم هانئ أن رسول الله ﷺ قال: «فضل الله قریشًا بسبع...» الحديث، وفيه: «وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها معهم غيرهم، لإيلاف قریش». وفي «كامل» الهذلي عن بعضهم أنه قال: الضحى وألم نشرح سورة واحدة، نقله الإمام الرّازي في «تفسيره» عن طاوس وغيره من المفسرين.

فائدة [الحكمة في تسوير القرآن سورًا]

قيل: الحكمة في تسوير القرآن سورًا تحقيق كون السّورة بمجردّها معجزة وآية من آيات الله... [وذكر كما تقدّم عن الزّركشي، ثم ذكر قول الزّخشي كما تقدّم عنه، فقال:] وما ذكره الزّخشي من تسوير سائر الكتب هو الصحيح أو الصّواب، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: كنّا نتحدّث أن الزّبور مائة وخمسون سورة، كلّها مواعظ وثناء ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، وذكر وأنّ في الإنجيل سورة تسمّى سورة الأمثال. (٢٣٠-٢٢٨:١)

الفصل الثالث عشر

نصّ صدر المتألهين (م: ١٠٥٠) في «تفسير القرآن الكريم»

في معنى السّورة

قيل: هي إمّا مستعارة من «سُور المدينة»، لإحاطتها بما تضمّنته من أصناف المعارف والأحكام، كإحاطة السُّور بما يحتوي عليه. أو مجاز مرسل من «السّورة»، أي المرتبة العالية والمنزلة الرّفّعة... [وذكر شعر الثّابغة كما تقدّم عن أبي عُبَيْدة، فقال:]

إذ لكلّ واحدة من السُّور الكريمة مرتبة في الفضل عالية، ومنزلة في الشّرف رفيعة، أولاً أنّها توجب علوّ درجة تاليها وسموّ منزلته عند الله سبحانه، فكان القارئ يرتفع من كلّ منزلة إلى منزلة أخرى، إلى أن يستكمل القرآن ويرتفع به، كما ورد عنه ﷺ: «إِقرأ وَارُقْ».^١

وقيل: «واوها» مبدّل من «الهزمة» آخذاً من السُّور بمعنى البقيّة، والقطعة من الشّيء.

واختلفوا في رسمها عرفاً؛ فقليل: طائفة من القرآن مصدّرة بالْبِسْمَلَةِ، وأبراءة، فأورد على طرده الآية الأولى من كلّ سورة.

فزيد: متّصل آخرها فيه بإحديها»، فأورد على عكسه «سورة الناس».

فزيد: «أو غير متّصل بشيء منه» فورد عليه بعض أجزاء سورة التّمل^٢.

وقيل: «طائفة من القرآن مترجمة بترجمة خاصّة» ونقض طرده بآية الكرسيّ.

١- بحار الأنور ٩٢: ٢٢. الثّرمذيّ (فضائل القرآن) ٥: ١٧٨.

٢- «هاتّة من سلّين وإلّه بسم الله الرّحمن الرّحيم» التّمل / ٣٠.

ورُدَّ بأنَّ المراد بالترجمة الاسم، وتلك إضافة محضة. وأنت خير بأنَّ القول ببلوغ سورتي الإسراء والكهف مثلاً حدَّ التسمية - دون آية الكرسي - لا يخلو من صعوبة.

وقيل: الأولى أن يراد بالترجمة ما يكتب بالعنوان، ومنه «ترجمة الكتاب»، والمرد بها هاهنا ماجرت العادة برسمه في المصحف المجيد عند أول تلك الطائفة، من لقبها وعدداً آياتها ونسبتها إلى أحد الحرمين الشريفين. أقول: والأمر في تحقيق أمثال ذلك هيّن.

تذكرة

قد ذهب جماعة من قدماء الأمة إلى أنَّ «الضحى» و«الم نشرح» سورة واحدة، وكذا «الفيل» و«الإيلاف»، وهو مذهب جماعة من فقهاء نارضوان الله عليهم.

قال شيخنا بهاء الحق والدين عليه السلام: هذا القول وإن قال به جمع من السلف والخلف، إلّا أنَّ الحق خلافه، واستدلّاهم بالارتباط المعنوي بين كلِّ سورة وصاحبها، ويقول الأخفش والزجاج: إنَّ الجارَّ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَلَافُ قُرَيْشٌ﴾ متعلّق بقوله جَلَّ شأنه: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا نُوَلُّ﴾، وبعدم الفصل بينهما في مصحف أبي بن كعب ضعيف؛ لوجود الارتباط بين كثير من السور التي لا خلاف في تعددها، فليكن هذا من ذاك.

وكلام الأخفشين لا ينهض حجة في أمثال هذه المطالب، وتعلّق الجارَّ بقوله سبحانه: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ لا مانع عنه، وعدم الفصل في مصحف أبي لعلة سهوئمه، على أنّه لا يصلح معارضاً لسائر مصاحف الأمة.

وأما ما ذكره جماعة من مفسري أصحابنا الإمامية - رضوان الله عليهم - كشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي في «التبيان»، وثقة الإسلام أبي علي الطبرسي في «مجمع البيان» من ورود الرواية بالوحدة عن أئمتنا عليهم السلام، فهذه الرواية لم نظفر بها، وما أطلعنا عليه من الروايات التي تضمنتها أصولنا لا تدلّ على الوحدة بشيء من الدلالات، بل لعلة دلالة بعضها على التعدّد أظهر. وأقصى ما يستنبط منها جواز الجمع بينهما في الركعة الواحدة، وهو عن الدلالة على الوحدة بمراحل.

وما تشرّفنا بمشاهدته في مشهد مولانا وإمامنا أبي الحسن الرضا عليه السلام من المصاحف التي قد شاء وذاع في تلك الأقطار، أن بعضها بخطه عليه السلام، وبعضها بخط آبائه الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين) يدل على ما قلنا من التعدّد، فإن الفصل في تلك المصاحف بين كل من تلك السور الأربع وصاحبها على وتيرة الفصل بين البواقي. انتهى كلامه.

فإن قيل: ما فائدة تقطيع القرآن سوراً؟

قلنا: ذكرت فيه وجوه... [وذكر كما تقدّم عن الزمخشري، ثم قال:]

وقيل: إن في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير... [وذكر كما تقدّم عن السخاوي، ثم قال:]، فإذا دخل القارئ في الميادين، وقطف من البساتين، ودخل المقاصير، وشهد العرائس، ولبس الديباج، وتنزه في الرياض، وسكن غرف الخانات، استغفره ذلك عما سواه، فلم يكن شغله عن تفكيره وتدبره فيه شاغل.

(١٣٥-١٣٣:٢)

الفصل الرابع عشر

نص الطُّرَيْحِيّ (م: ١٠٨٥) في «مجمع البحرين...»

[معنى السّورة]

قوله: ﴿فَأَنذِرْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾^١؛ السّورة: طائفة من القرآن المترجمة الّتي أقلّها ثلاث آيات، وهي إمّا من سُور المدينة، لأنّها طائفة من القرآن محدودة، وإمّا من السّورة الّتي هي الرّتبة، لأنّ السُّور بمنزلة المنازل والمراتب، وإمّا من السُّور الّذي هو البقيّة من الشّيء، فقلّبت همزتها واوًا، لأنّها قطعة من القرآن كما مرّ، والسّورة تجمع على سُور، كغرفة وغُرَف، والسُّور للمدينة يجمع على أسوار كنور على أنوار. وكلّ مرتفع سُور. (٣: ٣٣٨)

الفصل الخامس عشر

نصّ الفيض الكاشاني (م: ١٠٩٠) في «الوافي»

[أقسام السُّور]

عليّ عن صالح بن السُّنْدِيّ عن جعفر بن بشير، عن سعد الإسكاف قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيَ السُّورُ الطُّوْلُ مكان التَّوْرَةِ وأُعْطِيَ المَثْنِ مكان الإنجِيلِ، وأُعْطِيَ المَثْنِ مكان الزَّبُورِ، وَفُضِّلَتْ بِالْمَفْضَلِ ثَمَانٍ وَسِتُّونَ سُورَةً، وَهُوَ مُهَيَّمٌ عَلَى سَائِرِ الْكُتُبِ، فَالتَّوْرَةُ لِمُوسَى، وَالْإِنْجِيلُ لِعِيسَى، وَالزَّبُورُ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

بيان

«السُّورُ الطُّوْلُ» كَصُرْدٍ وَهِيَ السَّبْعُ الْأَوَّلُ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ، عَلَى أَنْ يَعْدَ الْأَنْفَالُ وَالْبَرَاءَةُ وَاحِدَةً كَمَا مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ، أَوِ السَّابْعَةُ سُورَةُ يُونُسَ.

«وَالْمَثْنِ» هِيَ السَّبْعُ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ السَّبْعِ، سُمِّيَتْ بِهَا لِأَنَّهَا ثَنَّتْهَا، وَاحِدَهَا مَثْنً، مِثْلَ مَعَانِي وَمَعْنَى، وَقَدْ تَطَلَّقَ الْمَثْنِ عَلَى سُورِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا طَوَالِهَا وَقِصَارِهَا.

«وَأَمَّا الْمَثْنُونَ» فَهِيَ مِنْ «بَنِي إِسْرَائِيلَ» إِلَى سَبْعِ سُورٍ، سُمِّيَتْ بِهَا لِأَنَّ كُلًّا مِنْهَا عَلَى نَحْوِ مِنْ مِائَةِ آيَةٍ، كَذَا فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ.

وَفِي «الْقَامُوسِ»: الْمَثْنِ: الْقُرْآنُ أَوْ مَا ثَنِيَ مِنْهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، أَوِ الْحَمْدُ، أَوِ الْبَقَرَةُ إِلَى بَرَاءَةِ، أَوْ كُلِّ سُورَةٍ دُونَ الطُّوْلِ وَدُونَ الْمَثْنِ وَفَوْقَ الْمَفْضَلِ، أَوْ سُورَةُ الْحَجِّ، وَالْقَصَصِ، وَالتَّمْلِيزِ، وَالْعَنْكَبُوتِ، وَالتَّوْرَةِ، وَالْأَنْفَالِ، وَمَرْيَمَ، وَالرُّومِ، وَيَسَّ، وَالْفِرْقَانَ، وَالْحِجْرَ، وَالرَّعْدَ، وَسَبَأَ،

والملائكة، وإبراهيم، وصّ، ومحمد ﷺ، ولقمان، والعُرف^١، والزُّخرف، والمؤمن، والسّجدة، والأحقاف، والجاثية، والدّخان، والأحزاب.

وقال ابن الأثير في «نهایته» في ذكر الفاتحة: هي السّبع المثاني، سُمّيت بذلك لأنّها تتّبي في كلّ صلاة وتعاد.

وقيل: المثاني: السُّور الّتي تقصر عن المثين وتزيد على المفصل، كأنّ المثين جُعِلت مبادي والّتي تليها مثاني.

أقول: ما ذكره أوّلًا في تفسير السّبع المثاني ووجه التّسمية بعينه مروى عن الصّادق عليه السلام، إلّا أنّ القول الأخير أوفق بهذا الحديث، بل المستفاد منه أنّ المثاني ماعدا الثّلاث الأخر، وكأّنه من الألفاظ المشتركة، فلا تنافي.

(١٧٧٢-١٧٧٣: ٥)

١- المراد بسورة العُرف هي سورة الزّمر، حيث إنّ لفظة العُرف جاء في آية ٢٠ من هذه السّورة مرتين.

الفصل السادس عشر

نصّ المشهديّ (م: ١١٢٥) في « كنز الدقائق... »

﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ البقرة / ٢٣

والسّورة: طائفة من القرآن مترجمة، لأنّ تكون أقلّ من ثلاث آيات، فخرج بقولنا: مترجمة، الآيات المتعدّدة من سورة واحدة، أو متفرقة، وما هو أكثر منها واحدة، كمجموع سورتين. ويقولنا: لأنّ تكون أقلّ من ثلاث آيات، تخرج آية الكرسيّ، وآية المدينة، من غير حاجة إلى أن يتكلّف، ويقال: هذا مجرد إضافة لم تصل إلى حدّ التسمية.

وواوها إن كانت أصليّة، فهي إمّا منقولة من سور المدينة، وهو حائطها، على وجهين: أحدهما- أن تجعل السّورة بمعنى المسوّرة، كما يراد بالحائط المحوّطة، وهو البُستان، ثمّ ينقل إلى طائفة محدودة من القرآن، وهو نقل مرتّب على تحوّل.

وثانيهما- أن ينقل من سورة المدينة إليها بغير واسطة، لأنّها يحيط بطائفة من القرآن مفرزة محوّزة على انفرادها، أو محتوية على أنواع من العلم، إحاطة سورة المدينة بما فيها واحتواءها عليه.

وجمع سورة القرآن: السّور بفتح الواو، وجمع سورة المدينة على سُور بسكونها، أو من السّورة بمعنى المرتبة... [ثمّ استشهد بشعر التّابغة، كما تقدّم سابقاً في مواضع متعدّدة].

ثمّ إنّ الرّتبة إن جعلت حسيّة، فلا ن السّور كالمراتب والمنازل يتقلّب فيها القارئ ويقف عند بعضها، أو لأنّها في أنفسها منازل مفصّلة بعضها من بعض، متفاوتة في الطّول والقصر

والتوسّط. وإن جعلت معنويّة، فلتفاوتها في الفضل والشرف والبلاغة.

وإن كانت واوها مبدّلة عن الهمزة، فمن السُّورة الّتي هي البقيّة والقطعة من الشّيء.

وضعّف هذا الوجه من حيث اللفظ، إذ لم تستعمل مهموزة في السّعة ولا في الشاذّة المنقولة في كتاب مشهور، وإنّ أشعر به كلام الأزهرّي، حيث قال: وأكثر القراء على ترك الهمزة في لفظ السّورة. وأمّا من حيث المعنى فلاّنها اسم ينبئ عن قلّة وحقارة. وأيضًا استعماله فيما فضل بعد ذهاب الأكثر، ولا ذهاب هنا إلّا تقديرًا باعتبار النّظر إليها نفسها، فكأنّها قد ذهب ما عداها.

(١: ١٧٧-١٧٨)

الفصل السابع عشر

نصّ البروجرديّ (م: ١٢٧٧) في «تفسير الصّراط المستقيم»

[معنى السّورة وتقسيم سُور القرآن]

١- في معنى السّورة

المشهورة في السُّور أنّها بالواو، والهمز إمّا لغة فيها على ما في «القماموس»، أو أنّه للاختلاف في اشتقاقها، كما في «المجمع» وغيره، فإنّها على الأوّل مأخوذة من سُور المدينة، لحائطها المحيط بها، أو من السّورة الّتي جمعها السُّور بالضمّ فالسّكون، للمنزلة الرّفيعة، ومنه قول الثّابغة... [وذكر كما تقدّم عن أبي عُبَيْدة، فقال:]

و على الثّاني من السُّور الّذي هو البقيّة غلب استعمالها على جملة من الآيات تزيد على الثّلاث ذات ترجمة.

وعرّفت بتعريفات لا داعي في التّعرّض لها في المقام، وستمع بعض الكلام في ترجمة الفاتحة، إنّما المهمّ تحديد سُور القرآن، لإناطة جملة من الأحكام عليها في الشّرع، كوجوب قراءة سورة كاملة في كلّ سورة من أولي الفرائض، وحرمة القران بين سورتين في ركعة، فضلاً عمّا قد يلزم قراءتها أو تعليمها لنذر وشبهه، أو استئجار، أو إمهار، فالمشهور عند العامّة مائة وأربع عشرة سورة، وعن أبيّ بن كعب ستّ عشرة بزيادة القنوتين، وعن بعضهم ثلاث عشرة بعد الأنفال والتّوبة واحدة، وعن ابن مسعود اثنتي عشرة سورة بنقصان المعوذتين، لكنّ الّذي استقرّ عليه مذهب الإماميّة أنّها مائة واثنيتي عشرة سورة بعد المعوذتين سورتين،

و الضحى و الانشراح سورة واحدة، و كذا الفيل و الإيلاف. أمّا المعوذتين بكسر الواو و فقد أجمع علمائنا و أكثر العامة على أنّهما من القرآن، و أنّه يجوز القراءة بهما في المكتوبة، و لم يحك الخلاف في ذلك إلا عن عبدالله بن مسعود، حيث زعم أنّهما ليستا من القرآن، و إنّما أنزلتا لتعويذ الحسن و الحسين عليه السلام و قد انقض القول به.

بل في «الذكري» أنّه قد استقرّ الإجماع من العامة و الخاصة على خلاف، مضافاً إلى استفاضة الأخبار بذلك. ففي كثير منه أنّ مولانا الصادق عليه السلام قرأ بهما في الفريضة، ثمّ قال عليه السلام: «إنّهما من القرآن»^١.

و روى الحسين بن بسطام في «طب الأئمة» عنه: أنّه سئل عن المعوذتين أهما من القرآن؟ فقال عليه السلام: «إنّهما من القرآن»، فقال الرجل: إنّهما ليستا من القرآن في قراءة ابن مسعود و لا في مصحفه، فقال عليه السلام: «أخطأ ابن مسعود» أو قال عليه السلام: «كذب ابن مسعود، هما في القرآن»، قال الرجل: فأقرأهما في المكتوبة؟ قال: «نعم»^٢.

و روى القميّ بالإسناد عن أبي بكر الحضرميّ قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنّ ابن مسعود كان يحو المعوذتين من المصحف، فقال: «كان أبي يقول: إنّما فعل ذلك ابن مسعود برأيه، و هما من القرآن»^٣. إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المعتمدة بالإجماع نقلاً و تحصيلاً.

فما يحكى عن عبارة «الفقه الرضوي»، حيث قال عليه السلام: و إنّ المعوذتين من الرقية ليستا من القرآن، أدخلوها في القرآن»، و قال: إنّ جبرائيل علّمهما رسول الله ﷺ [إلى أن قال: و أمّا المعوذتان فلا تقرأهما في الفرائض، و لا بأس بالتوافل»، انتهى^٤.

١- التهذيب ١: ١٦٦، و سائل الشيعة ٢: ٧٨٦.

٢- طب الأئمة: ١١٩، و سائل الشيعة ٢: ٧٨٦.

٣- تفسير القميّ: ٧٧٤، و سائل الشيعة ٢: ٧٨٦.

٤- فقه الرضوي: ٩، الحدائق ٨: ٢٣٢، ط الآخوندی بالتجف.

فمع الفضِّ عمّا في سنده لعدم ثبوت اعتباره، يجب حمله على التّقيّة^١.
وأما اتّحاد الضّحى والانشراح كالإيلاف، فهو وإن تردّد فيه المحقّق في «المعتبر»،
بل قطع بعض من تأخّر عنه بالتّدعّد، كثاني المحقّقين والشّهيدين وسيد المدارك وغيرهم من
التّأخّرين، نظرًا إلى عدم دلالة واضحه من الأخبار على الاتّحاد، مع الفصل باليسملة
والترجمة في جميع المصاحف، وتسميتها سورتين في خبر المفضّل، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام
يقول: «لا تجمع بين السّورتين في ركعة واحدة إلّا الضّحى وألم نشرح، وسورة الفيل
والإيلاف»، لكون الاستثناء حقيقة في المتّصل، ولا أقلّ من الظّهور. إلّا أنّ الذي ينبغي القطع
به هو الاتّحاد كما هو المشهور فتوى وعملاً، وعن غير واحد منهم نسبته إلى علمائنا.
وفي «الانتصار» أنّه مذهب الإماميّة، وعن «أمالى» الصدوق: أنّه من دين الإماميّة الذي
يجب الإقرار به.

وعن «الاستبصار» أنّ الأوّلين سورة واحدة عند آل محمد عليه السلام، بل لم يعهد ممّن سبق
على المحقّق التأمّل فيه، إلى غير ذلك ممّا يقطع معه بتحقيق الإجماع، سيّما مع كونه من متفرّدات
الإماميّة، مضافاً إلى الأخبار الكثيرة، كالمرويّ عن «هداية» الصدوق عن الصادق عليه السلام، قال:
«و موسّع عليك أيّ سورة في فرائضك الأربع، وهي الضّحى وألم نشرح في ركعة، لأنّها جميعاً
سورة واحدة والإيلاف، وألم ترفي ركعة، لأنّها جميعاً سورة واحدة^٢»، ونسبه في «التبيان»،
و «مجمع البيان» و «الشّرائع» وغيرها من كُتب الجماعة إلى رواية أصحابنا، و «صحيح
الشّعّام»: صلّى بنا أبو عبد الله عليه السلام، فقرأ الضّحى وألم نشرح في ركعة^٣.
وعن «كتاب القراءة» لأحمد بن محمد بن سيّار عن الصادق عليه السلام: «الضّحى وألم نشرح

١- الفقه الرضويّ أو الفقه الرضا كتاب منسوب إلى الرضا عليه السلام، ولكنّه ليس بمعتمد عند المحقّقين ولا يعتمدون على متفرّداته، من
أراد تحقيقه فليراجع خاتمة المستدرک للتّوريّ، والذّريعة لأغا بزرگ.

٢- البحار ١٨: ٣٤٤ ط القديم، الهدايات ٨: ٢٠٤ ط الآخوندیّ بنجف.

٣- التّهذيب ١: ٢٥٤، وسائل الشّیعة ٢: ٧٤٢.

سورة واحدة»^١. وروى العياشي عن أبي العباس، عن أحدهما: ألم تركيب فعل ربك والإيلاف سورة واحدة»^٢.

قال: وروي أن أبي بن كعب لم يفصل بينهما في مُصحفَه^٣، إلى غير ذلك من الأخبار الدالة على الاتحاد، فضلاً عما يدل على عدم الاجتزاء بواحدة منهما في الفريضة، وأنه يجب قرائتهما معاً مع حرمة الجمع بين السورتين فيها حسب ما قرّر في موضعه، ومن هنا يظهر ضعف ما ذكروه من عدم الدليل على الاتحاد.

وأما حكاية الفصل والترجمة التي قيل: إنها من أعظم الشُّبُه في ذهاب المتأخرين إلى خلاف ما عليه المتقدمون، سيّما مع ما اشتهر بينهم من دعوى تواتر السبع المتفقة على إثبات البسْملة، ففيها مع الغضّ عما سمعت من عدم إثباتها في مُصحف أبي، أنه لا عبرة بمجرد الفصل والترجمة بعد صراحة الأخبار، بل استقرار المذهب على ما مرّ، على أن جماعة من القائلين بالاتحاد ذهبوا إلى لزوم البسْملة بينهما، بل عن الحلبي «السرائر»: أنه لا خلاف في عدد آياتهما، فإذا لم يبسمل بينهما نقصتا من عددهما، ولم يكن قد قرأهما جميعاً، وإن كان الأشهر عدم الفصل، لظواهر بعض الأخبار.

وأما خبر المفضل فكأنه خرج مخرج التجوّز والمسامحة في التعبير حسبما يسمّيها الناس سورتين للفصل، ولذا وقع مثله في خبر «الهداية» وغيره. مع التصريح بالاتحاد.

وأما الأنفال والتوبة، فبعض العامة وإن نسب إلى أئمتنا عليهم السلام القول بالاتحاد، إلا أن الظاهر من عدم تعرّض أحد من الأصحاب لذلك في باب قراءة السورة التامة في الفريضة العدم.

بل في العلوي المروي في «المجمع» تعليق عدم نزول البسْملة على رأس سورة براءة بأن

١- مستدرک الوسائل ١: ٢٧٥.

٢- مجمع البيان ١٠: ٥٤٤، وسائل الشريعة ٢: ٧٤٤.

٣- نفس المصدرين.

«بسم الله» للأمان والرحمة، ونزلت براءة لرفع الأمان بالسيف^١.

ويؤيده الأخبار الكثيرة من طرق الفريقين المشتملة على بيان سبب نزول السورة، حيث علق الحكم فيها بنزول السورة لا الآية والآيات، بل الأخبار الدالة على فضلها وفضل الأنفال، مؤيداً بتقرير الثابت في المصاحف، وضبط آيات كل منها، وغير ذلك مما يشير إلى استقرار المذهب على التعدد، سيما مع سكوتهم عن الحكم بالاتحاد عند البحث عن وجوب التبعض مع تعرضهم للحكم في السورتين المتقدمتين وأما مارواه العياشي والطبرسي في تفسيرهما عن مولانا الصادق عليه السلام من اتحادهما^٢، ففيه - مع الفض عن ضعف السند، وعدم ثبوت مثل هذا الحكم بمثله - أنه لا يصلح لمقاومة ما مرّ، مضافاً إلى عدم صراحة المتن في المطلوب، وإن كان ظاهراً فيه، نعم قد يؤمى إليه عدّها سابعة السبع الطوال، وإن قيل: إن ذلك لزوّلها جميعاً في المغازي، وتسميتهما بالقرنين، بل من القريب حمل خبر الاتحاد على شيء من هذه الوجوه، إلا أن الاحتياط في مثل القراءة وغيرها لا يخفى سبيله ولا ينبغي تركه، وإن كان الأشهر حرمة كل من التبعض، والجمع بين مطلق السورتين، كما أن الأظهر في المقام التعدد.

٢- في تقسيم السور

قسّموا السور إلى أقسام أربعة:

أحدهما - الطول كصرّد، جمع الطولى بالضم مؤنثة الأطول، كالكبّر والفضل في جمع الكبّرى والفضلى.

وفي «التهاية»: إن هذا البناء يلزمه الألف أو الإضافة، قال: والسبع الطول: هي البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والتوبة، وهو مبني على إسقاط الأنفال

١- مجمع البيان: ٥: ٢.

٢- تفسير العياشي ٢: ٧٣، والبحار ١٩: ٦٩، والصابي ١: ٦٨٠، مجمع البيان ١: ٥.

رأسًا، وعدّ التوبة سورة مستقلة. لكن في «القاموس» أنها من البقرة إلى الأعراف، والسابعة سورة يونس، أو الأنفال وبراءة جميعًا، لأنهما سورة واحدة عنده. انتهى ولا يخفى أن هذين القولين يخالفان ما في «التهاية»، بل لعلّ ظاهره أن من عدّها سورتين جعل السابعة سورة يونس، وليس كذلك، بل يظهر من بعضهم أنهما معًا السابعة، ولو عند من قال بالتعدّد نظرًا إلى وحدة البسملة فيهما، أو نزولهما جميعًا في «المغازي»، أو لقربهما في الآي للست السابقة، أو لأن الأولى في ذكر العهود، والثانية في رفع العهود.

وفي «المجمع»: عن ابن عباس أنه قال لعثمان بن عفان... [وذكر كما تقدّم عن الطبري الرّقم ٦، ثم قال:]

ثمّ إنّ يظهر من «التهاية» الاتّيرية إطلاق الطّولين على الأنعام والأعراف، قال: ومنه حديث أمّ سلمة: كان يقرأ في المغرب بطولي الطّولين، تشنية الطّولى ومذكّرًا الأطول، أي أنّه كان يقرأ فيها بأطول السّورتين الطّويلتين، يعني الأنعام والأعراف.

ثانيهما - المثون - جمع المئة والتّون، قال في «الصّحاح»: أصله - يعني المئة - مأى مثال معي، والهاء عوض عن الياء، وإذا جمعت بالواو والتّون قلت: مثون بكسر الميم، وبعضهم يقول: مؤون بالضمّ.

أقول: والمراد منها ما آياتها في حدود المئة بشيء من زيادة أو نقصان، قالوا: وهي من يونس إلى الفرقان، وقيل: من بني إسرائيل إلى سبع سور، لأنّ كلّها منها على نحو مئة آية، والتّسمية للسّور باعتبار الآيات، فإنّها يوصف بها، كما يقال: مررتُ برجل مئة إبله، كما في «القاموس»، وإن قال: والوجه الرّفع.

ثالثها - المثاني: جمع المثنى كالمعنى والمعاني، وعن القرّاء أن واحدها مثناة، والمثاني وإن كانت تطلق على الفاتحة لما مرّ، وعلى جميع القرآن بمعنى المجموع أو كلّ آية منه، لاقتران آية الرّحمة بآية العذاب، أو لغيره تمامًا، لكن المراد بها في المقام ما كان أقلّ من المثين وأزيد من المفصل، قيل: كان المثين جعلت مبادئ، وآتي تليها مثاني.

وفي «مجمع البيان»: أنها مثنائي السبع الطويل، قال: وأولها سورة يونس، وآخرها التمل، وقيل: والمشهور بين العامة أنه من الطواسين إلى الحجرات، وقيل: إنه بقية السور غير الطويل السبع، والمثنى السبع، والمفصل المفسر بسورة محمد ﷺ إلى آخر القرآن، وهي تقصر عن المثنى وتزيد على المفصل، كأن الطويل جعلت مبادئ أخرى، والتي تليها مثنائي لها، فهي مثنائي لكل منهما، وقيل أقوال آخر، أشار إلى جملة منها في «القاموس»، قال: والمثنائي: القرآن، أو ما نثي منه مرة بعد مرة، أو الحمد، أو البقرة، إلى براءة، أو كل سورة دون الطويل، ودون المثنى، وفوق المفصل، أو سورة الحجّ والقصص، والتمل، والعنكبوت، والتور، والأنفال، ومريم، والروم وياسين، والفرقان، والحجر والرعد، وسبأ، والملائكة، وإبراهيم، وص، ومحمد ولقمان، والتون، والزخرف والمؤمن، والسجدة، والأحقاف، والجاثية، والدخان، والأحزاب.

رابعها-المفصل بفتح الصاد المشددة، قال في «القاموس»: إنه من الحجرات إلى آخر القرآن في الأصح، أو الجاثية، أو القتال أو «ق» عن التووي. والصفات، أو الصف، أو التبارك، عن أبي الصيف، أو إذا فتحنا، عن الذمماري، أو سيح اسم ربك الأعلى، عن الفركاح أو والضحي، عن الخطابي.

أقول: والذي استقرّ عليه مذهب أصحابنا الإمامية - عطر الله مراقدهم - أنه من سورة محمد ﷺ إلى آخر القرآن، بل عن «التبيان» نسبته إلى أكثر أهل العلم، واقتصر عليه في «مجمع البيان» من غير إشارة إلى غيره. وقد يؤيد ذلك بما في المرويّ مرسلًا في «مجمع البحرين»^١، ولعله خبر سعد الآتي أو غيره، فيعضده أن المفصل ثمان وستون سورة، نظرًا إلى انطباق هذا العدد عليه بداية ونهاية كما لا يخفى، وأما سُميت به لكثرة الفصول بين سورته بالسُملة، من قوله: عقد مفصل، أي جعل بين كل لؤلؤتين منه جوهرة، أو لقلّة المنسوخ

١- مجمع البحرين - حرف اللام - ما أوله الفاء: ٤٤٨ في كلمة فصل.

فيه، من قولهم: حكم فاصل و فيصل: ماضٍ، أو لكثرة فواصله في سُورَه أو آياته، فإن الفاصلة: الخرزة بين الخرزتين، وأواخر آيات التنزيل بمنزلة قوافي الشعر.

ثم إن التسمية في هذه الأسماء الأربعة مشهورة بين العامة، بل وبين الخاصة أيضًا، وإن توهّم بعض المتأخرين أنه لا أصل لها في أخبارنا، بل ذكر السيّد^١ في «مداركه» بعد نقل الشهرة على استحباب قراءة المفصل في الصلاة أنه ليس في أخبارنا تصريح بعد هذا الاسم ولا تحديده، وإنما رواه الجمهور عن عمر^٢ و تبعه البخاري في «حدائقه»، قال بعد نقل كلامه: ومن هنا يعلم أن الظاهر أن أصحابنا (رضي الله عنهم) قد تبعوا في ذلك العامة، ثم قال بعد أن حكى عن «مجمع البحرين»: إن في الحديث: «فُضِّلْتُ بالمفصل».

وفي الخبر أنه ثمان وستون إلخ إنه ربما أشعر كلامه بأن الأخبار المذكورة في كلامه مروية عن طرقتنا، ولم أقف على من نقلها كذلك سواء، والظاهر أنها من طرق العامة، وإن تناقلها أصحابنا في كُتُب الفروع.

نعم، وقفت على ذلك في كتاب «دعائم الإسلام»^٣، إلا أنه من كلامه ولم يسنده إلى رواية،

١- محمد بن علي بن الحسين العاملي صاحب المدارك، كان فاضلاً، متبحراً، ماهراً محققاً، مدققاً، زاهداً، عابداً، ورعاً فقيهاً، محدثاً ... توفي سنة ١٠٠٩ في قرية جبع - سفينة البحار ١: ٣٢٨.

٢- في بدائع الصنائع ١: ٢٠٥، كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن اقرأ في الفجر والظهر بطول المفصل، وفي العصر والعشاء بأواسط المفصل، في المغرب بقصار المفصل. - تعليقه المحدثات ٨: ١٧٧ ط. الآخوندي بالتجف.

٣- دعائم الإسلام للقاضي التعمان بن محمد بن منصور أبي حنيفة ابن حنبل التميمي (م: ٣٦٣)، قال المجلسي في مقدمة البحار: وكتاب دعائم الإسلام قد كان أكثر أهل عصرنا يتوهمون أنه تأليف أبي حنيفة التعمان بن منصور قاضي مصر في أيام الدولة الإسماعيلية، وكان مالكيًا أو لمّا تمّ اهتدى وصار إماميًا، وأخبار هذا الكتاب أكثرها موافقة لما في كُتُبنا المشهورة، لكن لم يرو عن الأئمة بعد الصادق خوفاً من الخلفاء الإسماعيلية، وتحت سرّ التقيّة أظهر الحق لمن نظره فيه متممًا، وأخباره تصلح للتأييد والتأكيد. قال ابن خلّكان: هو أحد الفضلاء المشار إليهم، ذكره الأمير المختار المسيحي في تاريخه، فقال: كان من العلم والفقه والدين والثل على ما لا مزيد عليه. وقال ابن زولاق في ترجمة ولده علي بن التعمان: كان أبوه التعمان بن محمد القاضي في «غاية الفضل»، من أهل القرآن والعلم بمعانيه، وعالمًا بوجوه الفقه وعلم اختلافات الفقهاء واللغة والشعر والمعرفة بأيام ←

حيث قال: ولا بأس أن يقرأ في الفجر بطوال المفصل، وفي الظهر والعشاء الآخرة بأوساطه، وفي العصر بأوساطه، وفي العصر والمغرب بقصاره، انتهى^١.

ونسج على منوالهم كثير ممن تأخر عنهم، لكن القدح ليس في موضعه، إذ في «الكافي» بالإسناد عن سعد الإسكاف، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أُعْطِيَ السُّورُ الطُّوْلُ ... [وذكر كما تقدّم عن الفيض الكاشاني، ثم قال:]

وفي «مجمع البيان»: أنه قد شاع في الخبر عن النبي ﷺ ... [وذكر كما تقدّم عن الطبرسي ثم قال:] قال: وفي رواية واثلة بن الأسقع: وأُعْطِيَ مكان الإنجيل المئين. ومكان الزبور المثاني، وأُعْطِيَ فاتحة وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها أحد قبلي، وأعطاني ربي المفصل نافلة^٢. (١٣٩:٢-١٥٣)

→ التأس، مع عقل وإنصاف. وألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف وأملح سجع، وعَمِلَ في المناقب والمثالب كتاباً حسناً، وله ردود على المخالفين، له رد على أبي حنيفة وعلى مالك، والشافعي وعلى شريح، وكتاب اختلاف ينتصر فيه لأهل البيت عليه السلام ... وفيات الأعيان ٢: ١٦٦، مجاز الأنوار ج ١.

١- الحدائق الناطرة ٨: ١٧٨ ط. الآخوندی بالتجف.

٢- مجمع البيان ج ١- مقدمة الكتاب - الفن الرابع في ذكر أسامي القرآن ومعانيها.

الفصل الثامن عشر

نصّ الزُّرقانيّ (م: ١٣٦٨) في «مناهل العرفان...»

معنى السّورة

السّورة: في اللّغة تطلق على ما ذكره «صاحب القاموس» بقوله: «والسّورة: المنزلة، ومن القرآن معروفة، لأنّها منزلة بعد منزلة، مقطوعة عن الأخرى، والشّرف، وما طال من البناء وحسن، والعلامة، وعرق من عروق الحائط».

ويمكن تعريفها اصطلاحاً بأنّها طائفة مستقلّة من آيات القرآن ذات مَطْلَعٍ ومَقْطَعٍ، قالوا: وهي مأخوذة من سُور المدينة، وذلك إمّا لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة، وآية بجانب آية، كالسُّور توضع كلّ لَبْنَةٍ فيه بجانب لَبْنَةٍ، ويقام كلّ صَفٍّ منه على صَفٍّ.

وإمّا لما في السّورة من معنى العلوّ والرّفعة المعنويّة الشّبيهة بعلوّ السُّور ورفعته الحسيّة، وإمّا لأنّها حصنٌ وحماية لمحمّد ﷺ وما جاء به من كتاب الله القرآن، ودين الحقّ الإسلام، باعتبار أنّها معجزة تخرس كلّ مكابر، ويحقّ الله بها الحقّ ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون. أشبه بسُور المدينة يُحصنُها ويُحميها غارة الأعداء، وسُورة القرآن مختلفة طولاً وقصراً.

فأقصر سورة فيه سورة الكوثر، وهي ثلاث آيات قصار، وأطول سورة فيه سورة البقرة، وهي خمس وثمانون أو ستّ وثمانون ومائتا آية، وأكثر آياتها من الآيات الطّوال، بل فيها آية الدّين الّتي هي أطول آية في القرآن كما سبق. وبين سورة البقرة وسورة الكوثر سُور كثيرة

تختلف طولاً وتوسطاً وقصراً أو مرجع الطول والقصّر والتوسط وتحديد المطلق والمقطع إلى الله وحده، لحكم سامية، عَلِمَهَا مَنْ عَلِمَهَا، وَجَهِلَهَا مَنْ جَهِلَهَا.

حكمة تسوير السُّور

لتجزئة القرآن إلى سُورٍ فوائدٌ وحِكَمٌ:

منها: التيسير على الناس وتشويقهم إلى مداينة القرآن وتحفظه، لأنه لو كان سبيكة واحدة لا حَلَقَات بها، لَصَعِبَ عليهم حفظه وفهمه، وأعياهم أن يخوضوا عُباب هذا البحر الحِظْمَ الَّذِي لا يشاهدون فيه عن كَثَبٍ مرافق ولا شواطئ.

ومنها: الدلالة على موضوع الحديث ومحور الكلام، فإن في كلِّ سورة موضوعاً بارزاً تتحدَّث عنه، كسورة البقرة، وسورة يوسف، وسورة التمل، وسورة الجن.

ومنها: الإشارة إلى أن طول السُّورة ليس شرطاً في إعجازها، بل هي معجزة، وإن بلغت الغاية في القصّر كسورة الكوثر... [ثم ذكر قول الزمخشري، كما تقدّم عنه].

أقسام السُّور

قسّم العلماء سُور القرآن إلى أربعة أقسام، خصّوا كلّاً منها باسم معيّن، وهي الطُّوال، والمثني، والمثاني، والمفصل. فالطُّوال سبع سُور... [وذكر كما تقدّم عن الزمخشري].

الفصل التاسع عشر

نصّ التّهاوندي^(م: ١٣٧١) في «نفحات الرّحمان...»

الطّرفه الحاديّة عشرة: في عدد سور القرآن وبيان الاختلاف فيه

المشهور بين الإماميّة (رضوان الله عليهم) أنّ عدد سور الكتاب العزيز مائة واثننا عشرة، لعدّهم الضّحى والانشراح سورة واحدة، والفيل وقريش أيضًا سورة واحدة، بل ادّعى بعض الأساطين الإجماع عليه، وعليه التّصوص المعتبرة من أهل البيت عليه السلام.

ونقل جماعة من العامّة أنّ في مُصحف أبي سورة الفيل وسورة لإيلاف واحدة. ونقل طاوس وغيره من مفسّري العامّة على ما في «إتقان السيّوطي»^٢ أنّ الضّحى وألم نشرح سورة واحدة، وخالف في ذلك أكثرهم، وذهبوا إلى أنّ عدد السّور مائة وأربع عشرة، وادّعوا عليه إجماعهم.

نعم، قال بعضهم: بكونه مائة وثلاث عشرة يجعل الأنفال والبراءة واحدة، لعدم التّسميّة بينهما، ولما روي عن مجاهد وسفيان وأبي روق، وهو بمكان من الضّعف، لاشتغال تعدّدتهما وتعدّد اسمهما بين المسلمين، ولرواية «المجمع» عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لم ينزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ على رأس سورة براءة، لأنّ بسم الله للأمان والرحمة، ونزلت براءة لدفع

١ - المشهور: هو ما شاع عند أهل الحديث خاصة دون غيرهم، بأن ينقله منهم رواة كثيرون، ولا يعلم هذا القسم إلا أهل الصّناعة. أو عندهم وعند غيرهم كحديث: «إنّما الأعمال بالنيّات» وأمره واضح، وهو بهذا المعنى أعمّ من الصّحيح. أو عند غيرهم خاصة، ولا أصل له عندهم وهو كثير. (انظر: الرّعاية في علم الدّراية: ١٠٥)

٢ - الإتقان ٢: ١٤ ذكره الفخر الرّازي في تفسيره.

الأمان والسيف»^١.

وعن ابن عباس^٢ قال: سألت علي بن أبي طالب: لم لم تكتب في براءة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؟ قال: «لأنها أمان، وبراءة نزلت بالسيف»^٣. وقال قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المثين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ووضعتوها في السبع الطوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ ينزل عليه السورة ذات العدد. الخبر، وقد مرّ تمامه في بعض الطوائف السابقة. وروى الصدوق رحمه الله في «نواب الأعمال» والعياشي عن الصادق عليه السلام: «من قرأ سورة الأنفال وسورة البراءة في كل شهر، لم يدخله نفاق أبداً». فمن جميع ذلك ومن عدم ظهور شبهة في تعددهما بين الأصحاب - مع تعرضهم لاتحاد بعض السور كما مر - لا ينبغي الإشكال في تعدد البراءة والأنفال، وأن ما رواه الطبرسي والعياشي رحمه الله عن الصادق عليه السلام: الأنفال وبراءة واحد، مؤول أو مطروح.

الطرفة الثانية عشرة: في بيان معنى السورة وأن

اسم كل سورة كان بتوقيف من النبي ﷺ

السورة: اسم لطائفة من القرآن ذات فاتحة وخاتمة مسماة باسم خاص بتوقيف من النبي ﷺ، وقد نصّ النبي ﷺ بأسامي السور في الأحاديث والآثار.

١- مجمع البيان لعلوم القرآن للطبرسي ٥: ٤، فيه: «لرفع الأمان بالسيف».

٢- البرهان في علوم القرآن للزركشي ١: ٣٣١، ذكره عن المستدرك للحاكم.

٣- في البرهان ١: ٣٣١: «نزلت بالسيف، لأنه ليس فيه أمان».

٤ - وهذا تمام الخبر... فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: «ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ووضعتها في السبع الطوال. (انظر: الإتيان ١: ٤ - ١).

٥- تفسير العياشي ٢: ٧٣.

رُوي عن عكرمة قال: ^١ كان المشركون يقولون: سورة البقرة و سورة العنكبوت، يستهزؤون بها، فنزل ﴿إِنَّا كَفَيْتَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ^٢. ووجه التسمية بالأسامي المعينة المعروفة ظاهر، فإن سورة الحمد سُميت بفتحة لافتتاح القرآن بها، و سورة البقرة لذكر قصّة البقرة فيها، ولم تذكر في غيرها، و سورة آل عمران لذكر آل عمران فيها، وهكذا سائر السُور ^٣.

وأما وجه تسمية كل قطعة معينة بالسورة لارتفاع منزلتها وشأنها، لأنّها كلام الله، وتطلق السورة على المنزلّة الرفيعة. وقيل: إنّها مأخوذة من سور البلد، لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور، ومنه السوار لإحاطته بالساعد.

الطُرْفَةُ الثَّالِثَةُ عَشْرَةُ: فِي أَنَّ عِدَّةَ سُورٍ مِنَ الْقُرْآنِ سُمِّيَتْ بِالطُّوَالِ وَعِدَّةٌ مِنْهَا

بِالْمِثْنِ وَعِدَّةٌ بِالْمِثْنِ وَعِدَّةٌ بِالْمِفْصَلِ وَوَجْهُ التَّسْمِيَةِ

كما سُمِّي كل سورة باسم خاصّ، سُمِّيَتْ عِدَّةُ سُورٍ بِاسْمٍ مَخْصُوصٍ، عَنْ «الْكَافِي» ^٤ بِإِسْنَادِهِ عَنْ سَعْدِ الْإِسْكَافِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: «أُعْطِيتُ السُّورَ الطُّوَالِ ... [وذكر كما تقدّم عن الفيض الكاشاني]. ثمّ أعلم أنّه يُستفاد من الرواية الشريفة أمور:

الأوّل - أن جميع سور القرآن يكون داخلًا تحت العناوين الأربعة، لا تخرج منها سورة. الثاني - أن الطُّوَالِ مقدّم في الترتيب على المِثْنِ، والمِثْنِ على المِثْنِ، والثاني، والمِثْنِ على المِفْصَلِ.

الثالث - أن الطُّوَالِ أفضل من المِثْنِ، لكونها بمنزلة التوراة التي هي أفضل من الإنجيل، والمِثْنِ أفضل من الثاني، لكونها بمنزلة الإنجيل الذي هو أفضل من الزبور، ويمكن استفادة

١- الإتهان ١: ٩٠.

٢- الحجر/ ٩٥.

٣- البرهان للزركشي ١: ٣٣٢.

٤- أصول الكافي للكليني ٣: ٥٧٥، بحار الأنوار للمجلسي ٨٩: ٢٧.

٥- هذا الخبر مقطوع في الكافي، لم يذكر فيه اسم أبي جعفر عليه السلام.

كون المفصل أفضل من الثاني، لأنها مما فضل به النبي ﷺ. قيل: الطول: كصُرْدٍ. وفي بعض روايات العامة الطوال. قيل سُمِّيَتْ به لكثرة طولها، وسُمِّيَ ما بعدها مثنٍ لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها.

وسُمِّيَ ما ولي المثنى بالثاني، لأنها تثنى، أي كانت بعدها، فهي لها ثوانٍ والمثنون لها أوائل. وقال القراء: الثاني: هي السور التي أيها أقل من مائة، لأنها تثنى أكثر مما يثنى الطوال والمثنون، وقيل: لثنية الأمثال فيها بالعبر والخبر، أو لثنية القصص فيها. وسُمِّيَ ما ولي الثاني من قصار السور بالمفصل لكثرة الفصول التي تفصل السور بالبسملة، وقيل: لقلّة المنسوخ منه، ولهذا يسمّى بالمحكم أيضاً^١.

رُوي عن سعيد بن جبیر قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم، وآخره سورة التاس بلا نزاع، ثم لا إشكال في أن عدد الطوال سبع لرواية واثلة عن النبي ﷺ قال: «أعطيت السبع الطوال مكان التوراة»^٢. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن السبع الطوال البقرة وآل عمران والتساء والمائدة والأنعام والأعراف.

قال الراوي: فذكر السابعة فنسيها^٣. وفي رواية أخرى عنه أنها الكهف، وعن مجاهد وسعيد بن جبیر أنها يونس.

وقال الفيض رحمه الله: الطوال السبع بعد الفاتحة، على أن تعد الأنفال والبراءة واحدة، لنزولهما جميعاً في المغازي وتسميتهما بالقرنتين، وفيه: أنه بعد ما ثبت أن الأنفال وبراءة سورتان، كيف يمكن عدّهما واحدة؟ إلا أن يحمل ما رُوي عن الصادق عليه السلام من قوله: الأنفال والبراءة واحد، على تنزيلهما منزلة الواحد من هذه الجهة مؤيداً بأشعار النبوي على تقدّم السبع الطوال على غيرها. ثم قال: والمثنى من بني إسرائيل إلى سبع سور لأن كلّ منها على

١- الإتيان ١: ١١٠، بتصرف قليل.

٢- التبيان للطوسي ١: ٢٠، الإتيان ١: التورع ١٩، نقل عن الصحيح البخاري.

٣- الإتيان ١: ١٠٩، أخرجه الحاكم والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس.

نحو مائة آية. والمفصل من سورة محمد إلى آخر القرآن، سُمّيت به لكثرة الفواصل. أقول: هذا مبنيّ على عدّ الضّحى والانشراح والفيل وقريش أربع سُور، وهذا خلاف الأخبار والمعروف بين الأصحاب، وعليه فلا بدّ أن يعدّ المفصل من الجاثية، حتّى يتمّ ثمان وستون سورة إلى آخر القرآن على ما في الرواية الشريفة. ثمّ قال ﷺ: والثاني بقيّة السُور، وهي التي تقصر عن المئين وتزيد على المفصل.

أقول: كان عليه أن يكتفي في تعيين الثاني بذكر بقيّة السُور، إذ بعض الثاني لا تزيد على بعض سُور المفصل على ما حدّثه، لأنّ عدد آيات سورة الرّحمن التي جعلها في المفصل ثمان وسبعون، وسورة الواقعة ستّ وتسعون، وليس في الثاني بعد الكهف سورة تكون آياته بهذا العدد إلّا قليلاً كطه والأنبياء والمؤمنون والشّراء والصّافات... [ثمّ ذكر ترتيب السُور طبق مُصحف ابن مسعود، كما تقدّم في المجلّد الثاني في قسم الجداول].

أقول: الظّاهر من هذا الخبر أنّ الممتحنات والحواميم عند ابن مسعود قسّمان خارجان من الأقسام الأربعة، وأنّه كان ترتيب السُور في مُصحفه على خلاف المُصحف الذي بأيدينا، إلّا أنّه لا اعتبار بهذا الثّقل.

الطّرفه الرابعه عشرة: في فوائد تقطيع القرآن

سُوراً واختلافها في الطّول والقصر والتّوسّط

...[ثمّ ذكر بعد هذا العنوان فوائد تفصيل القرآن وتقطيعه بالسُور نقلاً عن الرّمخشريّ

(٢٩٧-٢٨٨:١)

والزّركشيّ، كما تقدّم عنهما].

الفصل العشرون

نصّ ابن عاشور (م: ١٣٩٣) في «التحرير والتنوير»

سُور القرآن

السُّورَة: قطعة من القرآن معيّنة ببداً ونهاية لا يتغيّران، مسمّاة باسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تامّ ترتكز عليه معاني آيات تلك السُّورَة، ناشئ عن أسباب النزول، أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المناسبة.

وكونها تشتمل على ثلاث آيات مأخوذ من استقرار سُور القرآن، مع حديث عُمر فيما رواه أبو داود عن الزبير قال: «جاء الحارث ابن خُزَيْمَة (هو المسمّى في بعض الروايات خُزَيْمَة وأباخُزَيْمَة) بالآيتين من آخر سورة براءة، فقال: أشهد أنّي سمعتهما من رسول الله، فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتهما منه، ثمّ قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة» إلخ، فدلّ على أنّ عمر ما قال ذلك إلّا عن علم بأنّ ذلك أقلّ مقدار سُورَه.

وتسمية القطعة المعيّنة من عدّة آيات القرآن سورةً من مصطلحات القرآن، وشاعت تلك التسمية عند العرب حتّى المشركين منهم، فالتحدّي للعرب بقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ﴾^١ وقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^٢ لا يكون إلّا تحدّيًا باسم معلوم المسمّى والمدار عندهم وقت التحدي، فإنّ آيات التحديّ نزلت بعد السُّور الأول، وقد جاء في القرآن تسمية

١- هود/١٣.

٢- البقرة/٢٣.

سورة التور باسم سورة في قوله تعالى: ﴿سُورَةُ التَّوْرَةِ﴾^١، أي هذه سورة، وقد زادته السُّنة بياناً. ولم تكن أجزاء التوراة والإنجيل والزبور مسمّاة سُوراً عند العرب في الجاهلية ولا في الإسلام.

وجه تسمية الجزء المعين من القرآن سورة، قيل: مأخوذة من السُّور بضم السين وتسكين الواو، وهو الجدار المحيط بالمدينة أو بحلّة قوم، زادوه هاء تأنيث في آخره مراعاة لمعنى القطعة من الكلام، كما سمّوا الكلام الذي يقوله القائل خطبة أو رسالة أو مقامة. وقيل: «مأخوذة من السُّور بهمزة بعد السين، وهو البقية ممّا يشرب الشارب بمناسبة أن السُّور جزء ممّا يُشرب، ثم خَفَّفوا الهمز بعد الضمة فصارت واواً، قال ابن عطية: «وترك الهمز في سورة هـ لفة قريش ومن جاورها من هُذَيْل وكنانة وهوازن وسعد بن بكر، وأمّا الهمز فهو لفة تميم، وليست إحدى اللغتين بدالة على أن أصل الكلمة من المهموز أو المعتل، لأنّ للعرب في تخفيف المهموز وهمز المخفّف من حروف العلة طريقتين، كما قالوا: أجوه وإعاء وإشاح، في وجوه وعاء وإشاح، وكما قالوا: الذّئب بالهمز والذّيب بالياء؛ قال الفراء: ربّما خرجت بهم فصاحتهم إلى أن يهمزوا ما ليس مهموزاً، كما قالوا: «رئأت الميت ولُبأت بالحجّ وحلأت السويق بالهمز».

وجمع سورة سُور بتحريك الواو كقُرف، ونقل في «شرح القاموس» عن الكراع^٢ أنّها تجمع على سُور يسكون الواو.

وتوسير القرآن من السّنة في زمن النبي ﷺ، فقد كان القرآن يومئذٍ مقسّماً إلى مائة وأربع عشرة سورة بأسمائها، ولم يخالف في ذلك إلّا عبد الله بن مسعود، فإنّه لم يثبت المعوّدتين في سُور القرآن، وكان يقول: «إنّما هما تَعَوّدُ أمر الله رسولَه أن يقولَه، وليس هو على سُور

١- التور/١.

٢- هو عليّ بن حسن الهَمَانيّ - بضمّ الهاء - نسبة إلى هُناة - بوزن مُثامة - اسم جدّ قبيلة من قبائل الأزد، والكراع بضمّ الكاف وتخفيف الراء لقبٌ لعليّ هذا، كان يلقّب كراع التمل.

كثيرة. فالمصاحف الأولى التي كتبها الصحابة لأنفسهم في حياة النبي ﷺ كانت مختلفة في ترتيب وضع السور... [إلى أن قال:]

أخرج الثرمذي وأبو داود عن ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان... [وذكر كما تقدم عن الطبري الرقم ٦، ثم قال:]

وهو صريح في أنهم جعلوا علامة الفصل بين السور كتابة البسملة، ولذلك لم يكتبوها بين سورة الأنفال وسورة براءة، لأنهم لم يحزموا بأن براءة سورة مستقلة، ولكنه كان الراجح عندهم، فلم يقدموا على الجزم بالفصل بينهما تحريراً.

وفي باب تأليف القرآن من «صحيح البخاري» عن عبد الله بن مسعود أنه ذكر التظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرأهن في كل ركعة، فسئل علقمة عنها فقال: عشرون سورة من أول المفضل على تأليف ابن مسعود، آخرها من الحواميم حم الدخان، و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، على أن الجمهور جزموا بأن كثيراً من السور كان مرتباً في زمن النبي ﷺ... [إلى أن قال:]
وفائدة التيسير ما قاله صاحب «الكشاف» في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَنشَأُوا سُورَةً مِّثْلَهُ﴾... [وذكر كما تقدم عنه].

ونقل ابن عطية عن الباقلاني الجزم بأن ترتيب السور بعضها إثر بعض هو من وضع زيد بن ثابت بمشاركة عثمان، قال ابن عطية: وظاهر الأثر أن السبع الطوال والحواميم والمفضل كانت مرتبة في زمن النبي ﷺ، وكان من السور ما لم يرتب، فذلك هو الذي رتب وقت كتابة المصحف.

أقول: لا شك أن طوائف من سور القرآن كانت مرتبة في زمن النبي ﷺ على ترتيبها في المصحف الذي بأيدينا اليوم، الذي هو نسخة من المصحف الإمام الذي جمع وكتب في خلافة أبي بكر الصديق، ووزعت على الأمصار نسخ منه في خلافة عثمان ذي التورين،

فلا شكّ في أنّ سورَ المفصل كانت هي آخر القرآن، ولذلك كانت سنة قراءة السّورة في الصلّوات المفروضة أن يكون في بعض الصلّوات من طوال المفصل، وفي بعضها من وسط المفصل، وفي بعضها من قصار المفصل، وأنّ طائفة السُّور الطّولى الأوائل في المصحف كانت مرتّبة في زمن النبي ﷺ أوّل القرآن، والاحتمال فيما عدا ذلك... [إلى أن قال:]

واعلم! أنّ معنى الطّولى والقصرى في السُّور مرأى فيه عدد الآيات لا عدد الكلمات والحروف، وأنّ الاختلاف - بينهم في تعيين المكي والمدنيّ من سور القرآن - خلاف ليس بكثير، وأنّ ترتيب المصحف تخلّلت فيه السُّور المكيّة والمدنيّة. وأمّا ترتيب نزول السُّور المكيّة ونزول السُّور المدنيّة ففيه ثلاث روايات:

إحداها- رواية مجاهد عن ابن عباس.

والثانية- رواية عطاء الخراسانيّ عن ابن عباس.

والثالثة- الجاهل بن زيد، ولا يكون إلّا عن ابن عباس، وهي التي اعتمدها الجعفريّ في منظومته التي سماها «تريب المأمول في ترتيب التّزول»، وذكرها السيوطي في «الإتقان»، وهي التي جرينا عليها في تفسيرنا هذا.

[أسماء السُّور]

وأما أسماء السُّور فقد جعلت لها من عهد نزول الوحي، والمقصود من تسميتها تيسير المراجعة والمذاكرة. قد دلّ حديث ابن عباس الذي ذكر أنّا أنّ النبي ﷺ كان يقول إذا نزلت الآية: «ضعوها في السّورة التي يُذكر فيها كذا»، فسورة البقرة مثلاً كانت تلقّب بالسّورة التي تُذكر فيها البقرة.

وفائدة التسمية: أن تكون بما يميّز السّورة عن غيرها.

وأصل أسماء السُّور أن تكون بالوصف، كقولهم: السّورة التي يذكر فيها كذا، ثمّ شاع فحذفوا الموصول وعوضوا عنه الإضافة، فقالوا: سورة ذكر البقرة مثلاً، ثمّ حذفوا المضاف وأقاموا المضاف إليه مقامه، فقالوا: سورة البقرة. أو أنهم لم يقدّروا مضافاً، وأضافوا السّورة

إلى ما يذكر فيها لأدنى ملابسة. وقد ثبت في «صحيح البخاري» قول عائشة (رضي الله عنها): «لما نزلت الآيات من آخر البقرة» الحديث، وفيه: عن ابن مسعود قال: قرأ رسول الله ﷺ، وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ سجد بالتَّجْم.

وما روي من حديث عن أنس مرفوعاً: «لا تقولوا: سورة البقرة، ولا سورة آل عمران، ولا سورة النساء، وكذلك القرآن كله، ولكن قولوا السُّورَةُ الَّتِي يذكر فيها آل عمران - وكذا القرآن كله»، فقال أحمد بن حنبل: هو حديث منكر، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات»، ولكن ابن حجر أثبت صحته. ويذكر عن ابن عمر أنه كان يقول مثل ذلك ولا يرفعه إلى النبي ﷺ، ذكره البيهقي في «شُعَبُ الْإِيمَان».

وكان الحَجَّاج بن يوسف يمنع من يقول: سورة كذا، ويقول: قل: السُّورَةُ الَّتِي يذكر فيها كذا. والذين صحَّحوا حديث أنس تأولوه، وتأولوا قول ابن عمر بأن ذلك كان في مكة حين كان المسلمون إذا قالوا: سورة الفيل وسورة العنكبوت مثلاً، هزأ بهم المشركون، وقد روي أن هذا سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾، فلما هاجر المسلمون إلى المدينة زال سبب التَّهْيِي فُتْسِخ، وقد علم الناس كلهم معنى التسمية. ولم يشتهر عن السلف هذا المنع، ولهذا ترجم البخاري في كتاب «فضائل القرآن» بقوله: «باب من لم ير بأساً أن يقول: سورة البقرة وسورة كذا» وأخرج فيه أحاديث تدل على أنهم قالوا: سورة البقرة، سورة الفتح، سورة النساء، سورة الفرقان، وسورة براءة، وبعضها من لفظ النبي ﷺ. وعليه فللقائل أن يقول: سورة البقرة، أو التي يذكر فيها البقرة، وأن يقول: سورة والتَّجْم، وسورة التَّجْم، وقرأت التَّجْم، وقرأت والتَّجْم، كما جاءت هذه الإطلاقات في حديث السَّجود في سورة التَّجْم عن ابن عباس.

والظاهر أن الصحابة سَمَّوْا بما حفظوه عن النبي ﷺ، أو أخذوا لها أشهر الأسماء التي كان

التاس يعرفونها بها، ولو كانت التسمية غير مأثورة، فقد سُمّي ابن مسعود القنوت سورة «الخُلَع والخَنَع» كما مرّ، فنعيّن أن تكون التسمية من وضعه، وقد اشتهرت تسمية بعض السُور في زمن النبي ﷺ وسمّوها وأقرّها، وذلك يكفي في تصحيح التسمية.

واعلم! أن أسماء السُور إما أن تكون بأوصافها مثل الفاتحة وسورة الحمد، وإما أن تكون بالإضافة إلى شيء اختصّت بذكره، نحو: سورة لقمان وسورة يوسف وسورة البقرة، وإما بالإضافة إلى ما كان ذكره فيها أوفى، نحو: سورة هود وسورة إبراهيم، وإما بالإضافة إلى كلمات تقع في السُورة نحو: سورة براءة وسورة حم عسقّ، وسورة حم السّجدة - كما سمّاها بعض السلف - وسورة فاطر. وقد سمّوا مجموع السُور المفتحة بكلمة حمّ «آل حم»، وربّما سمّوا السُورتين بوصف واحد، فقد سمّوا سورة الكافرون وسورة الإخلاص المُقشّقتين.

واعلم! أن الصّحابة لم يثبتوا في المُصحف أسماء السُور، بل اكتفوا بإثبات البسملة في مبدأ كل سورة علامة على الفصل بين السُورتين، وإما فعلوا ذلك كراهة أن يكتبوا في أثناء القرآن ما ليس بآية قرآنيّة، فاختاروا البسملة لأنّها مناسبة للافتتاح، مع كونها آية من القرآن.

وفي «الإتقان»: أن سورة البينة سُمّيت في مُصحف أبي سورة «أهل الكتاب»، وهذا يؤذن بأنّه كان يسمّى السُور في مُصحفه. وكتبت أسماء السُور في المصاحف باطّراد في عصر التابعين، ولم ينكر عليهم ذلك.

قال المازريّ في «شرح البرهان» عن القاضي أبي بكر الباقلاني: إن أسماء السُور لمّا كتبت المصاحف، كتبت بخط آخر لتمييز عن القرآن، وإن البسملة كانت مكتوبة في أوائل السُور بخط لا يتمييز عن الخط الذي كتب به القرآن.

وأما ترتيب آيات السُورة فإن التّجسيم في التّزول من المعلوم كما تقدّم آنفاً، وذلك في آياته وسُوره، فربّما نزلت السُورة جميعاً دفعة واحدة، كما نزلت سورة الفاتحة وسورة

المرسلات من السُّور القصيرة، وربما نزلت نزولاً متتابعاً كسورة الأنعام، وفي «صحيح البخاري» عن البراء بن عازب قال: آخر سورة نزلت كاملة براءة، وربما نزلت السُّورة ونزلت السُّورتان مفرقتان في أوقات متداخلة. روى الترمذي عن ابن عباس عن عثمان بن عفان قال: «كان رسول الله ﷺ يأتى عليه الزمان... [وذكر كما تقدم عن الطبري الرقم ٦]. ولذلك فقد تكون السُّورة بعضها مكثياً وبعضها مدنيّاً. وكذلك تهية كل سورة كان بتوقيف من النبي ﷺ، فكانت نهايات السُّور معلومة، كما يشير إليه حديث: «من قرأ الآيات الحواتم من سورة آل عمران»، وقول زيد بن ثابت: «فقدت آخر سورة براءة». وقد توفي رسول الله ﷺ والقرآن مسوّر سوّراً معيّنة، كما دلّ عليه حديث اختلاف عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم بن حزام في آيات من سورة الفرقان في حياة النبي ﷺ، كما تقدم في المقدمة الخامسة. وقال عبدالله بن مسعود في سوّر بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: «وهن من تِلَادِي».

وقد جمع من الصحابة القرآن كلّهُ في حياة رسول الله: زيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء، وعبدالله بن عمر، وعُبادة بن الصّامت، وأبو أيوب، وسعد بن عُبَيْد، ومُجمّع بن جارية، وأبوموسى الأشعري، وحفظ كثير من الصحابة أكثر القرآن على تفاوت بينهم.

وفي حديث غزوة حُنين: لما انكشف المسلمون قال النبي ﷺ للعبّاس: «اصْرُخْ يا معشر الأنصار، يا أصحاب السُّمُرَةِ، يا أصحاب سورة البقرة»، فلعلّ الأنصار كانوا قد عَكَفُوا على حفظ ما نزل من سورة البقرة، لأنها أوّل السُّور التّازلة بالمدينة، وفي «أحكام القرآن» لابن العربي عن ابن وهب عن مالك: كان شعارهم يوم حُنين يا أصحاب سورة البقرة. وقد ذكر التّحويّون في الوقف على تاء التّأنيث هاءاً: أن رجلاً نادى: يا أهل سورة البقرة بإثبات التّاء في الوقف، وهي لغة، فأجابه مجيب: «ما أحفظ منها ولا آيت محاكاة للغته. (١: ٨٢-٩٠)

الفصل الحادي والعشرون

نصّ عَزَّةَ دَرَوَزَة (م: ١٤٠٠) في «القرآن المجيد»

أسماء السُّور

- ١- إن الضَّابِط أو الأصل العامّ في تسمية السُّور القرآنيّة- على ما يبدو من أسمائها- هو تسمية السُّورة بكلمة أو باشتقاق كلمة واردة فيها. وإذا كانت الأسماء المشهورة لبعض السُّور لا تستمدّ من هذا الأصل، مثل: سُور الفاتحة والأنبياء والإخلاص، فإنّ هناك روايات بأسماء أخرى لهذه السُّور تستمدّ منه، مثل: الحمد للأولى، واقتربت للثانية، والصّد للثالثة.
- ٢- على أن بعض المصاحف يختلف عن بعض في الأسماء مع المحافظة على ذلك الأصل، فسورة التوبة مثلاً تذكر في بعض المصاحف باسم «براءة» والإسراء باسم «إسرائيل»، وغافر باسم «المؤمن»، وفُصِّلَت باسم «السجدة» والمُلْك باسم «تبارك»، والتَّوْبَا باسم «عمّ» والبيّنة باسم «لم يكن» والمسّد باسم «أبوهب» و«تَبَّت» والإخلاص باسم «الصّد».
- ٣- وهذا الاختلاف ناشئ عن روايات مختلفة معزّوة إلى بعض الصحابة، كما أنّ هناك روايات مثلها بتسمية سُور أخرى بأسماء أخرى، وإن لم نطَّلِع على مصاحف تذكر ذلك، مثل سورة التوبة الّتي يروى أنّ من أسمائها «العذاب والمشرّدة والمنكلة والمدممة والمتشقة»، والفاتحة الّتي يروى من أسمائها «السبع المثاني والوافية والشافية والصلاة والدعاء وأمّ القرآن والقرآن العظيم»، والأنفال والشعراء والتّملّ والسجدة والزُّمَر وفُصِّلَت والجاثية وقّ والمجادلة والحشر والطلاق والصفّ والنصر الّتي لها أسماء أخرى، هي بالتّوالي: بدر

والجامعة وسليمان والمضاجع والثرف والمصاييح والشرعية والباسقات والظهار والتضير والتساء الصغرى والحواريين والتوديع. وهناك كذلك روايات سميت فيها بعض السور بأكثر من كلمة واحدة، مثل سورة المؤمنون التي ذكرت بتعبير «قد أفلح المؤمنون»، والإنسان بتعبير «هل أتى على الإنسان»، والأعلى بتعبير «سبح اسم ربك الأعلى» والليل بتعبير «والليل إذا يغشى».

٤- هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن هناك أحاديث وروايات مختلفة في طريقة تسمية السور، فقد روي عن أنس بن مالك حديث جاء فيه «لا تقولوا: سورة البقرة ولا سورة آل عمران، ولكن قولوا: السورة التي يذكر فيها البقرة، والسورة التي فيها آل عمران. وقد ذكرت جل السور في تفسير ابن عباس رواية أبي صالح بالطريقة الثانية، في حين أن البخاري روى عن ابن مسعود في معرض تجويز القول بسورة كذا، أنه قال: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة، وأن هناك أحاديث نبوية وصحابة نقلناها في المجموعة الثالثة في مبحث تدوين وترتيب القرآن، احتوت أسماء بعض السور بالطريقة المختصرة المتداولة، أي سورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء وسورة الكهف إلخ، بل هناك حديث طويل منسوب إلى النبي ورد فيه جميع أسماء السور وفضائلها، ذكره الزمخشري والخازن والبيضاوي في تفسيرهم بالطريقة المتداولة المختصرة وأوردوا وراء تفسير كل سورة فضيلة السورة المذكورة في الحديث.

٥- ومن جهة ثالثة فإن أسماء السور لم تكتب في جميع المصاحف المخطوطة - التي هي الأصل في المصاحف المطبوعة، والتي كانت هي المتداولة قبل الطباعة - على رؤوس الصفح، حيث منها ما كتب فيه الأسماء على رؤوس الصفح وفي فواصل السور، ومنها ما كتبت فيه الأسماء في فواصل السور فقط.

فكل ما تقدم يمكن أن يسوغ القول: إن كتابة أسماء السور في فواصلها وعلى رؤوس صفح المصاحف حسب المتداول، ليست واردة في مصحف عثمان، لأنها لو كانت كذلك لما

كان محلّ لهذا الخلاف في التسمية والكتابة، وإثما هو عمل تنظيمي متأخّر عن نسخ هذا المصحف. وقد يكون - بل هذا هو الأرجح - مستنداً إلى روايات تُثَوِّقُ فكتبت في المصاحف، وكُتِبَ القراءات والتفاسير على الوجه الشهير المتداول أو المختلف أحياناً، ونرجّح بناءً على ذلك أيضاً أن للأحاديث والروايات أصلاً صحيحاً ما، وأنه كان للسور كلّها أو كثير منها منذ عهد النبيّ أسماء تذكر وتعرف بها.

(١١٦-١١٨)

الفصل الثاني والعشرون

نص العلامة الطباطبائي (م: ١٤٠٢) في «الميزان في تفسير القرآن»

[معنى السورة وعددها]

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾

[وفي الآية] ثلاثة فصول:

الفصل الأول - إن القرآن الكريم أجزاء يعرف بها، كالأجزاء والحزب والعشر وغير ذلك، والذي ينتهي اعتباره إلى عناية من نفس الكتاب العزيز اثنان منها وهما السورة والآية، فقد كرّر الله سبحانه ذكرهما في كلامه كقوله: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾، وقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^١ وغير ذلك.

وقد كثر استعماله في لسان النبي ﷺ والصحابة والأئمة كثرة لا تدع ريباً في أن لها حقيقة في القرآن الكريم، وهي مجموعة من الكلام الإلهي مبدوءة بالبسملة مسوقة لبيان غرض، وهو معرف للسورة مطّرد غير منقوض إلا ببراءة، وقد ورد - عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أنها آيات من سورة الأنفال، وإلا بما ورد - عنهم (عليهم السلام) أن الضحى والم نشرح سورة واحدة وأن الفيل والإيلاف سورة واحدة... [وذكر معنى الآية وعددها كما سيجيء عنه في باب، فقال:]

الفصل الثاني - أما عدد السور القرآنية، فهي مائة وأربع عشرة سورة على ما جرى عليه

الرسم في المصحف الدائر بيننا، وهو مطابق للمصحف العثماني، وقد تقدم كلام أئمة أهل البيت عليه السلام فيه، وأنهم لا يعدّون براه سورة مستقلة، ويعدّون الضحى وألم نشرح سورة واحدة، ويعدّون الفيل والإيلاف سورة واحدة... [ثم ذكر الفصل الثالث في «ترتيب القرآن نزولاً» كما تقدم في المجلد الثاني]

﴿سُورَةُ الْأَنْزِلَاتِهَا وَقُرْطَانَهَا وَأَلْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ التور ١/ السورة: طائفة من الكلام يجمعها غرض واحد سيقت لأجله، ولذا اعتبرت تارة نفس الآيات بما لها من المعاني، فقيل: ﴿قُرْطَانَهَا﴾، وتارة ظرفاً لبعض الآيات ظرفية المجموع للبعض، فقيل: ﴿أَلْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ وهي بما وضعه القرآن وسمي به طائفة خاصة من آياته، وتكرر استعمالها في كلامه تعالى، وكأنه مأخوذ من سور البلد، وهو الحائط الذي يحيط به، سُميت به سورة القرآن لإحاطتها بما فيها من الآيات أو بالغرض الذي سيقت له.

(٧٨:١٥)

﴿إِذْ تُسَوِّرُوا وَالْمِحْرَابَ﴾ ص ٢١

والتسوير: الارتقاء إلى أعلى السور وهو الحائط الرقيق، كالتسّم بمعنى الارتقاء إلى سنام البعير، والتذري بمعنى الارتقاء إلى ذروة الجبل.

(١٧:١٩١)

نصّه في كتابه الآخر «القرآن في الإسلام»

أسماء السور

تقسيم القرآن الكريم إلى السور تقسيم قرآني، كتقسيمه إلى آيات، وقد صرح تعالى في مواضع بلفظة «السورة»، فقال: ﴿سُورَةُ الْأَنْزِلَاتِهَا﴾ و﴿إِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ و﴿فَأَنزِلْنَا سُورَةَ﴾ من مثله.

وتسمية السُّور تناسب مع موضوع ذكر فيها، أو جاء الاسم نفسه فيها، كسورة البقرة وسورة آل عمران وسورة الإسراء وسورة التوحيد، وفي نُسَخ القرآن القديمة كثيرٌ أما كانوا يكتبون «سورة تُذكر فيها البقرة» و«سورة يُذكر فيها آل عمران». وربما تكون جملة من سورة معرَّفًا لها، كسورة «اقرأ باسم ربِّك»، وسورة «إنا أنزلناه»، وسورة «لم يكن»، وأشباهها. وأحيانًا يكون وصف السُّورة معرَّفًا لها، كسورة فاتحة الكتاب^١، وسورة أم الكتاب، والسَّبْع المثاني، وسورة الإخلاص^٢، وسورة نسبة الرِّبِّ وأمثالها. إنَّ هذه الأسماء والتَّعوت كانت موجودة في الصِّدْر الأوَّل بشهادة الآثَر والتَّاريخ، وحَتَّى أسماء بعض السُّور جاءت في الأحاديث النَّبويَّة، كسورة البقرة وسورة آل عمران، وسورة هود، وسورة الواقعة. ولهذا يمكن القول بأنَّ كثيرًا من هذه الأسماء تعيينيَّة من زمن الرِّسول نتيجة لكثرة الاستعمال، وليس شيء منها توقيفيًّا شرعيًّا. (١٩١-١٩٣)

١- سورة الحمد تسمَّى «فاتحة الكتاب» بمناسبة وقوعها أوَّل القرآن، وتسمَّى «السَّبْع المثاني» بمناسبة أنَّها سبع آيات.

٢- سورة «قل هو الله أحد» تسمَّى بـ «الإخلاص» بمناسبة اشتغالها على التَّوحيد الخاص، وتسمَّى نسبة الرِّبِّ بمناسبة أنَّها تصف الله تعالى، لأنَّ التَّسبة هنا بمعنى الوصف.

الفصل الثالث والعشرون

نصّ الأَشَيْقِر (معاصر) «لمحات من تاريخ القرآن»

[معنى السّورة]

وبصد السُّور فإنّ معناها اللّغويّ هي المنزلة الرّفيعة السّامية ... [ثمّ استشهد بشعر الثّابغة، كما تقدّم].

ومعنى قوله هذا هو أنّ الله سبحانه قد أعطاك منزلة سامية من منازل الشّرف والكرامة، ودرجة عالية من درجات الرّفعة والسُّودد، قصرت عنها منازل ودرجات الملوك والسّلاطين الآخرين، وبلغت الثّورة يقول الشّاعر: أنت الأوحد الذي لا منازع لك، والقائد الذي ليس لك نظير ولا شبيه.

وقيل في معنى السّورة أيضًا: أنّها جاءت من سُور البلدة وجدارها، بسبب إحاطتها بآياتها كاحاطة الجدار والسُّور بالمدينة، وقيل كذلك: إنّها مأخوذة من التّسوّر وهو التّصاعد والتركّب، بسبب أنّ تركيبها جاء بعضًا على بعض. وبصد تعريف السّورة بآياتها قطعة من القرآن مستقلّة، تشمل آيات ذات فاتحة وخاتمة، وأقلّها ثلاث آيات بالإضافة إلى البسملة.

والحكمة في تقطيع القرآن سُورًا هي الحكمة في تقطيع السُّور آيات معدودات، حيث نرى لكلّ سورة خاتمة ومطلع، حتّى تكون كلّ واحدة منها بل كلّ آية فُتًا مستقلّة وقرآنًا معتبرًا.

قبل أيضًا: إنّ الحكمة من تسوير القرآن سُورًا هو تحقيق، ودليل على كون السّورة

بمجردِها معجزةٌ وآيةٌ من آياتِ الله، و سُورَتِ السُّورَ طَوَّلًا وَأَوْسَاطًا وَقِصَارًا إِنْشَارَةً إِلَى الطُّوْلِ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِعْجَازِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ كُلَّ سُورَةٍ لَهَا نَمَطٌ مُسْتَقِلٌّ وَبَحْثٌ خَاصٌّ. وَالسُّورَةُ مَهْمَا تَعَدَّدَتْ قَضَايَاهَا فَهِيَ كَلَامٌ وَاحِدٌ يَتَعَلَّقُ آخِرُهُ بِأَوَّلِهِ وَأَوَّلُهُ بِآخِرِهِ، وَأَمَّا لَاغِي لِمَنْتَهَمِ السُّورَةِ وَنَظْمُهَا عَنْ اسْتِيفَاءِ النَّظَرِ فِي جَمِيعِهَا، كَمَا لَاغِي عَنْ ذَلِكَ فِي أَجْزَائِهَا^١.

وَالسُّورَةُ قَدْ تَكُونُ ذَاتُ مَوْضُوعٍ وَاحِدٍ تَبْحَثُ عَنْهُ وَلَا تَتَعَدَّاهُ إِلَى سِوَاهُ، مِثْلُ كَثِيرٍ مِنَ السُّورِ الْقَصِيرَةِ كَسُورَةِ اللَّهَبِ وَالْفِيلِ وَغَيْرِهِمَا، كَمَا وَقَدْ تَنَاوَلَتِ السُّورَةُ أَغْرَاضًا عَدِيدَةً مِثْلَ مُعْظَمِ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ، وَلَا سِيَّمَا السُّورِ الطَّوِيلَةِ، وَلَنْ يَنْتَقِلَ الْقُرْآنُ بَيْنَ الْأَغْرَاضِ الْمَخْتَلِفَةِ فِي السُّورِ الْآخِرَةِ اعْتِبَاطًا أَوْ عَفْوًا، وَإِنَّمَا لِلصَّلَاتِ الْوَثِيقَةِ الَّتِي تَرْبِطُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَغْرَاضِ، بِحَيْثُ تَتَظَاوَرُ سَائِرُهَا لِلْوُصُولِ إِلَى هَدَفِ السُّورَةِ، وَحِينَمَا يَسْتَوْفِي الْغَرَضُ الْخَاصَّ تَنْتَهِي السُّورَةُ. فَسُورَةُ التَّوْبَةِ تَحْدَدُ عِلَاقَةَ الْمُسْلِمِينَ بِالْكَفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ، وَسُورَةُ الْأَعْرَافِ تَنْتَجِعُ إِلَى الْإِنْذَارِ وَالِاتِّعَازِ بِقِصَصِ الْأَوَّلِينَ وَأَخْبَارِهِمْ، وَسُورَةُ الشُّعَرَاءِ تُشِيرُ إِلَى التَّخْوِيفِ وَالْإِرْهَابِ وَإِنْذَارِ قَرِيْشَ وَبَقِيَّةِ الْمُشْرِكِينَ، بَيْنَمَا سُورَةُ طه تَوْشِكُ أَنْ تَسْتَغْرِقَ قِصَّةَ مُوسَى وَكَذَلِكَ سُورَةُ يُوسُفَ تَوْشِكُ أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى يُوسُفَ وَأَحْوَالِهِ.

وَأَسْمُ السُّورَةِ جَاءَ تَوْقِيفًا، أَيْ بِإِشَارَةٍ وَتَعْلِيمٍ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَشْهُرِ الْأَقْوَالِ. كَمَا أَنَّ الضَّابِطَ وَالْقَاعِدَةَ الْعَامَّةَ فِي تَسْمِيَةِ السُّورِ الْقُرْآنِيَّةِ - عَلَى مَا يَبْدُو مِنْ أَسْمَائِهَا - هُوَ تَسْمِيَةُ السُّورَةِ بِطَالِعِهَا، أَوْ بِكَلِمَةٍ بَارِزَةٍ فِيهَا، أَوْ بِاشْتِقَاقِ كَلِمَةٍ، أَوْ حَادِثَةٍ مَعْيَنَةٍ وَارِدَةٍ فِيهَا كَقِصَّةٍ أَوْ حُكْمٍ، أَوْ بِمَا تَحْدُثُ عَنْهُ مِنْ حَيَوَانٍ أَوْ إِنْسَانٍ.

وَقَدْ يَكُونُ لِلْسُّورَةِ الْوَاحِدَةِ اسْمٌ وَاحِدٌ فَقَطْ، وَعَلَيْهِ غَالِبِيَّةُ سُورِ الْقُرْآنِ، كَمَا وَقَدْ يَكُونُ لَهَا اسْمَانِ أَوْ أَكْثَرُ، فَمِنْ السُّورِ الَّتِي لَهَا أَكْثَرُ مِنْ اسْمٍ وَاحِدٍ هِيَ... [ثُمَّ ذَكَرَ أَسْمَاءَ السُّورِ الَّتِي لَهَا أَكْثَرُ مِنْ اسْمٍ وَاحِدٍ كَمَا تَقَدَّمَ عَنِ السَّيْوطِيِّ] (٢٩-٣١)

الفصل الرَّابِع والعشرون

نصّ السُّبُكِيِّ (معاصر) في «في رياض القرآن»

عدد السُّور

يبلغ عدد سُور القرآن مائة وأربع عشرة سورة. ويفصل بالبَسْمَلَة بين كلِّ سورة وأختها في التلاوة، كما كان الوحي ينزل بذلك، وكما هو استظهار العلماء من مطلع سورة العلق، فقد بدئ بها القرآن، وبُدِئَتْ هي من عند الله تعالى بأمر النبي ﷺ أن يقرأ باسم ربِّه الَّذِي خلق، فصار مفهوماً أن تكون تسمية الله في ابتداء كلِّ قراءة وبعد الاستعاذة، تنفيذاً لأمر الله بالاستعاذة في أوَّل القراءة.

والتسمية تكون بالبَسْمَلَة، فيما عدا سورة براءة، فقد نزلت مجردة من التسمية. وخير ما قيل في ذلك: إنها سورة نزلت في مقام الإرهاب للمشرِّكين الناقضين لعهد الحُدَيْبِيَّة مع الرِّسُول والمؤمنين، وتبرئة لذمَّة المسلمين من ذلك العهد بعد أن نقضه المشركون. ونظراً لأنَّ التسمية فيها وصف الله بالرحمة، وفي ذكر الرحمة إيحاء بالتفاؤل والاطمئنان، لم يكن المقام مقام إيحاء بالتفاؤل، بل هو قرع لأسماعهم بالبراءة منهم، والغضب عليهم، وتهديدهم بما وراء ذلك من شرور تحقيق بالكافرين. وقد كان ذلك كلّهُ، والحمد لله الَّذِي صدَّق وعده.

ولهذا الاعتبار لم يقرأ الصَّحابة بِسْمَلَة في أوَّل براءة - ولو على سبيل التبرُّك بها - مراعاةً لنسق القرآن وسنة الرِّسُول ﷺ.

هذا والعلم بعدد السُّور على هذا الوجه من الضَّبْط والحصر عصمة للعقيدة من زيغ
المترددين في الرِّضوخ للحقّ ومن تشكيكهم في عدد السُّور، للتَّوصُّل بهذا التَّشكيك إلى
إثبات تعصّبهم وجنوحهم إلى مذهب طائفيٍّ من المذاهب الّتي كان تعدّها نكبة على المجتمع
الإسلاميّ...

(٦٨-٦٩)

الفصل الخامس والعشرون

نصّ المصطفويّ (م: ١٤٢٨) في «التّحقيق في كلمات القرآن»

[التّحقيق في معنى السّورة]

(سُور): أصل واحد يدلّ على علوّ وارتفاع، من ذلك سَارَيْسُور، إذا غضب وثار، وإنّ لغضبه لسّورة، والسّور: جمع سُورة، وهي كلّ منزلةٍ من البناء. وأمّا سِوار المرأة، والإسوار من أساورة الفرس، وهم القادة، فأراهما غير عربيّين. وسورة الخمر حدّتها وعليانها^١. سَارَيْسُور، إذا غضب، والسّورة: اسم منه، والجمع سُورات. وقال الزّبيديّ: السّورة: الحدّة، البطش، وسار السّراب يسور سَوْرًا وسورة، إذا أخذ الرّأس، وسورة الجوع والخمر: الحدّة أيضًا، ومنه المساورة وهي المواثبة. والسّورة من القرآن جمعها سُور. وسُور المدينة: البناء المحيط بها، والجمع أسوار^٢.

السّور: وثوب مع علوّ، ويستعمل في الغضب والشّراب، وسِوار المرأة معرّب، وأصله «دِسْتَوَارَه»، وكيفما كان فقد استعملته العرب واشتقّ منه: سَوْرَتُ الجارية وجارية مسورة ومُخلّلة^٣. سار عليه: وثب، وساوره، والحية تُساور الرّاكب، وله سَوَرة في الحرب، وتُسَوْرَتُ إليه الحائظ، وسُرت إليه في أعالي السّور، وكلب سَوَار: جَسُور على التّناس،

١- مقاييس اللّغة ٣: ١١٥.

٢- المصباح المنير ١: ٢٩٤.

٣- مفردات الرّاغب: ٢٤٧.

وجلس على المسورة، وجلسوا على المساور، وهي الوسائد، وهو سَوَار في الشراب: مُعْرِدٌ^١.

والتحقيق: أن الأصل الواحد في هذه المادة هو هيجان مع اعتلاء وارتفاع، وهذا المعنى يختلف خصوصية باختلاف المصاديق. يقال: سار غضبه، إذا هاج وظهر، واعتلى أثره. وسار الشراب، إذا أثره، وظهر السكر وبرز. وسارت الحية، إذا هاجت وحملت على شخص، وسار البناء، إذا اعتلى وارتفعت مراتبه وطبقاته من دون انتظار. وبهذه المناسبة يطلق السور على جدار عظيم، وسد يمنع عن المخالف، ويسد بين المتجاوزين أو متجاوز، فالسور مظهر هيجان وارتفاع وعلامة وتوب وتوّران وغضب، وهو أعم من أن يكون سور بلدًا وفي غيرها، كما قال تعالى: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورَ لَهٗ بَابُ بَاطِلُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾^٢، أي يضرب يوم القيامة بين المؤمنين والمنافقين هذا السدّ للدّفاع عن المنافقين وردّهم.

وبهذه المناسبة أيضًا تسمى سور القرآن، كلّ واحدة منها بسورة، فإن كلّ سورة منها كالسور يسدّ به ويدفع به المخالفون، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾^٣، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾^٤، فكلّ سورة سور في الحقيقة بين المؤمنين والكافرين، وأسدّ عدّة معنوية قطعية يدفع بها أي نوع من وساوس المخالفين وتعرضهم، وهو مظهر من هيجان الحقّ واعتلائه وظهوره في قبال المعاندين.

وبهذا ظهر أن السورة من القرآن كلّ قطعة وطائفة من الآيات الكريمة تكون على هذه الصّفة، وليست مخصوصة بما هو المشهور المعروف خارجًا، وإن كان هذا مصداقًا كاملاً له. ويدلّ على هذا المعنى أيضًا قوله تعالى: ﴿يَخْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ

١- أساس البلاغة: ٢٢٤.

٢- الحديد/١٣.

٣- البقرة/٢٣.

٤- يونس/٣٨.

بِنَا فِي قُلُوبِهِمْ»^١، ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ أَمُتُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ﴾^٢، و﴿يَقُولُ الَّذِينَ أَمُتُوا لَوْلَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ...﴾^٣.

فإن وحشة المنافقين ودعاء المؤمنين ليس في نزول سورة كاملة تامة، بل في سورة تتضمن التنبيه عليها في قلوبهم وذكر القتال فيها. وكذا صدور حكم الإيمان مع الجهاد في سورة، فإن المراد طائفة من الآيات التي تحتوي على هذه الأمور. وعلى هذا المبني يلزم البحث عن وجود دليل قاطع يثبت وجوب قراءة سورة كاملة من القرآن في الصلاة بعد الحمد. وأما عجز البشر عن الإتيان بسورة مثل القرآن، فإن القرآن - مضافاً إلى محتوياته من المعارف العالية والحكم الجامعة والحقائق في كل جهة قد نزل على أحسن بيان وأفصح منطق وأكمل تأليف.

ومن وجوه إعجازه التي يبحث هذا الكتاب عنها استعمال كل كلمة في معناها الحقيقي، وانتخاب أي كلمة مخصوصة بالمورد من بين الألفاظ المترادفة، والمتشابهة، ورعاية صيغة مخصوصة من صيغ المادة على مقتضى ما يستدعيه المورد، وتركيب الكلمات على أجمل نحو يذكر في علم الفصاحة. وهذا مما لا يمكن للبشر أن يأتي به، وإن بلغ من العلم إلى أقصاه وقد أثبتنا هذا الموضوع إلى هنا من هذا الكتاب بتوفيقه وتأييده وتعليمه، ونرجو أن يوفقنا في إتمام الكتاب بمثته وجوده.

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾^٤، الظاهر أن المراد هو السورة الكاملة، وهي سورة التور، وهكذا في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرِيهِ قُلْ فَأَنذَرْتُكُمْ سُورٍ مِثْلَهُ مَقْتَرَنَاتٍ﴾^٥.

١- التوبة/ ٦٤.

٢- التوبة/ ٨٦.

٣- محمد/ ٢٠.

٤- التور/ ١.

٥- هود/ ١٣.

وأما كلمة سوار والإسوار فالظاهر كونهما معربتين من الفارسية. فالأسوار: مقربة من أسوار وسوار بمعنى الفارس في مقابل الرّاجل والسّوار معربة من «دستوار»، بمعنى دست بُند. ويجمع السّوار على أسورة وأساور، وقد يشتق منه انتزاعاً، فيقال: سَوَّرها فتسوّرت، أي جعل لها سواراً فأخذته واختارته.

﴿يَحْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾^١، ﴿وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾^٢ ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾^٣ التحلية هو التحسين بالزينة العرضية كالأساور وغيرها، والأساور جمع أسورة. والآية الأخيرة راجعة إلى موسى عليه السلام من جانب فرعون.

وأما تفسير الآيات الكريمة من جهة الروحانية، وفالتحلية يكون إشارة إلى ما يتجسم من بعض الأعمال الصالحة التي تتحلّى بها النفوس. والأساور: تكون إشارة إلى الموارد ومصادر يحلّى ومجالها، وهي أيدي القدرة وسواعد المجاهدة والعمل. والذهب والفضة إشارة إلى مقدار الخلوص وميزان الكيفية فيها: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٤.

﴿وَهَلْ أُنَبِّئُكَ أَنَّ الْخَضَمَ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ﴾^٥، التسوّر: تفعل من السّور، وقلنا: إنه الهيجان مع اعتلاء، فيكون المعنى اختيار الهيجان والاعتلاء وإظهاره بالرغبة في محلّ المحراب، فإنّ التّخاضع يقتضي تلك المجاملة ويستدعي اختيار تلك الموانبة.

وبهذا التوضيح في تفسير تلك الآيات الكريمة يتضح ما في التّفسير وكُتب اللّغة من الوهن والاختلاف والخلاف، والله هو الهادي.

(٥: ٢٩٩-٣٠٢)

١- الكهف / ٣١.

٢- الذّهر / ٢١.

٣- الزّخرف / ٥٣.

٤- التوبة / ١٢٠.

٥- ص / ٢١.

الفصل السادس والعشرون

نصّ العسكري (م: ١٤٢٩) في «القرآن الكريم وروايات المدرستين»
[معنى السّورة لغةً واصطلاحاً وقرأتاً]

١- في اللّغة

اختلفوا في أصلها لغةً، منها قولهم: إنّها من سور المدينة، لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسُّور^١.

٢- في المصطلح الإسلاميّ القرآنيّ

جزء من القرآن يفتتح بالبسملة ما عدا سورة البراءة، ويشتمل على أي ذوات عدد، وقد جاءت بالمعنى الاصطلاحيّ في القرآن الكريم بلفظ المفرد تسع مرّات، ولفظ الجمع مرّة واحدة. وإنّ أصغر سور القرآن الكوثر وأكبرها البقرة.

٣- في القرآن الكريم

نرى أن أسماء سور القرآن المنحصرة باسم واحد؛ مثل: «الرّحمن» و«الأنفال» و«الأنعام» مصطلحات إسلاميّة، نزلت عن طريق الوحي إلى رسول الله ﷺ وما اشتهر لها اسمان أو أكثر مثل سورة الإسراء التي تسمّى أيضاً بني إسرائيل ينبغي أن ندرس الروايات المرويّة عن الرّسول ﷺ في شأن تعدّد أسماء بعض السُّور لمعرفة المصطلح الإسلاميّ منهنّ ما عن مصطلح المسلمين.

(ص: ٢٧٨)

١- راجع مادة «السّورة» في معجم ألفاظ القرآن الكريم.

الفصل السابع والعشرون

نصّ الحجّتيّ (معاصر) في «مختصر تاريخ القرآن الكريم»

معنى السّورة وعددها

معناها اللّغويّ

ذكر للسّورة معانٍ لغويّة متعدّدة أهمّها... [وذكر كما تقدّم عن الزّركشي وغيره].

قليل في معنى السّورة: إنّها مجموعة من آيات القرآن الكريم لها بداية ونهاية.

وقيل: مجموعة من الآيات تقع بين بسمَلتين.

عدد سُور القرآن

عدد سُور القرآن مائة وأربع عشرة سورة، وقيل: مائة وثلاث عشرة سورة، ومنهم من زاد على ما ذكرنا، ومنهم من أنقص. والقائلون بأنّ عددها (١١٣) اعتبروا سورتي الأنفال وبراءة سورة واحدة، لعدم وجود البسملة بينهما. والأرقام الأخرى الّتي ذكرت لعدد السّور هي ناتجة عن اختلاف المصاحف، فقد ذكر أنّ مُصْحَفَ عبد الله بن مسعود كان يتضمّن البسملة في بداية سورة براءة، ولكنّه كان خاليًا من المعوذتين (سورتي الفلق والنّاس). وذكر أنّه كان خاليًا أيضًا من سورة الحمد، لاعتقاده أنّ النّاس قد استظهروها. وقيل: أنّ عدد سُور مُصْحَفَ عبد الله بن مسعود مائة واثننتا عشرة سورة.

وعن مُصْحَفِ أَبِي بَن كعب قيل: إنّهُ يحوي مائة وستّ عشرة سورة، وأنّه يحتوي على سورتين: «الحفد» و«الحلج»، وقالوا: إنّ الخليفة الثّاني كان يتلو هاتين السّورتين مع البسملة في قنوت الصّلاة... [وذكر كما تقدّم عن السيوطي، ثمّ قال:]

من العلماء من برّر إضافة «الحفد» و«الحلغ» إلى القرآن قائلاً: إن أبيّ بن كعب لم يقصد إضافتهما باعتبارهما جزءاً من القرآن، بل أتهما من قنوت الصلاة، وأراد «أبيّ» أن يضعهما بين أيدي المسلمين للحفظ والتلاوة في أدعية القنوت. ومع تعدّد الأرقام المذكورة في عدد السور يكاد العلماء يجمعون على الرقم (١١٤). وهذا ما تؤيّده رواية عن رسول الله ﷺ... [وذكر كما تقدّم عن الطبرسي].

أسماء السور القرآنيّة

هل هذه الأسماء توقيفيّة، أم أنّ كل سورة اتخذ لها اسم حسب موضوع من موضوعاتها؟ بما لا شك فيه أنّ العرب اعتادوا على وضع أسماء لكل ما يثير اهتمامهم، فسّموا بعض الخطب معيّنة، وهكذا اتخذت السور القرآنيّة أسماءً لمناسبة فيها، كاسم البقرة للسورة التي تناولت قصة بني إسرائيل، والتساء للسورة التي تضمّنت تفاصيل أحكام النساء. غير أنّ هناك ظواهر في تسمية السور القرآنيّة تشير إلى عدم كون منشأ التسمية هو الموضوع البارز فيها.

ففي سورة «هود» حديث عن نوح، صالح، إبراهيم، لوط، وشعيب، ولكن السورة سُميت باسم «هود»، وبينما الحديث فيها عن (نوح) أكثر تفصيلاً. كما نرى كثيراً من السور القرآنيّة قد سُميت بأسماء الأنبياء والأقوام، ولا يوجد بينها سورة باسم «موسى» مع أنّ الحديث عن هذا النبيّ فيه من التفاصيل ما يفوق الحديث عن الأنبياء الآخرين. ونحن نعتقد أنّ السور القرآنيّة قد اتخذت لها أسماء في زمن الرسول ﷺ عن طريق الوحي. وبعد عصر الرسالة الأولى اتخذت بعض السور والآيات كذلك أسماء خاصةً لمناسبات موضوعيّة وعلميّة مختلفة. ولا أدلّ على ذلك ممّا نشاهده من أسماء معيّنة لبعض الآيات في علم الفقه وأصول الفقه، كآية نفي السبيل، وآية الثبأ وآية التفر، وآية السؤال، وآية الكتمان، وآية التصديق^١.

تعدد أسماء السُّور

ولبعض السُّور القرآنية أكثر من اسم، وعلى سبيل المثال ذُكر لسورة الحمد أكثر من عشرين اسماً، هي... [وذكر كما تقدّم عن السيوطي].

أسماء مجاميع السُّور

قد تتخذ مجموعة من السُّور القرآنية اسماً معيناً. وورد عن طريق أهل السُّنة والشيعة أن القرآن الكريم ينقسم إلى أربعة أقسام، لكل قسم اسم خاص... [ثم ذكر رواية عن النبي ﷺ كما تقدّم نحوها عن الطوسي، ثم بين شرحاً لكل واحد من الأقسام الأربعة، كما تقدّم عنه، فقال:]

ويقول الطبرسي: أن المثاني ما تلي السبع الطوال. وروي أن من العلماء من قال: أن المثاني هي كل سُّور القرآن طوالها وقصارها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي﴾^١. وفي كُتُب التفسير وعلوم القرآن أسماء أخرى لمجاميع السُّور القرآنية مثل: الحواميم (تبدأ بحم)، وال (تبدأ بالالف واللام: الم، الر، الم، ...)، والمسبحات (تبدأ بمادة سبّح)، والطواسين (تبدأ ب طس)، والمعوذتين (تبدأ ب قل أعوذ).

الحكمة في تقسيم القرآن إلى سُّور

قالوا في حكمة تقسيم القرآن إلى سُّور: إن كل سورة من هذه السُّور تشكل معجزة متكاملة مستقلة، ولها أسلوبها الإعجازي الخاص بها. والإعجاز في السُّور الطويلة كالبقرة. وقيل: إن الحكمة في هذا التقسيم تعليمية، أي لتسهيل تعلّم القرآن واستظهاره. وذكروا أيضاً أنه لرفع الملل عن القارئ، إذا يتوقّف في القراءة عند محطّات يستريح فيها، ثم يعاود القراءة بنفّس جديد.

(٥٨-٤٧)

الفصل الثامن والعشرون

نصّ مير محمد ديّ (معاصر) في «بحوث في علوم القرآن»

تقسيم السُّور إلى آيات و ترتيبها بأمر النبي ﷺ

إنّ ما نريد البحث حوله هنا هو الأمور التالية:

١- في من قسّم السُّور إلى آيات، وجعلها آية آية، وهو مع أنّه لا ريب في كونه من الله، لكن ربّما يقع الاشتباه في ذلك وفي كلّ أمر ضروريّ.

٢- في من ربّب الآيات على هذا التّحوّل الذي لدينا الآن، وجعل هذه تلو تلك.

٣- في ترتيب السُّور، ومن الذي جعل هذه قبل وتلك بعد.

وأما تقسيم القرآن إلى سُور متعدّدة، واعتبار هذه المجموعة سورة وتلك كذلك، فقد سبق وإن بحثناه في مقال لنا في هذه المجلّة في العدد الثّاني من السّنة الخامسة، وقلنا: إنّهُ بنزول البسملة يعلم انتهاء سورة وابتداء غيرها...

تقسيم السُّور إلى آيات

فلا بدّ من ذكر مقدّمة ترتبط بالمقام، فنقول: إنّهُ لا إشكال في أنّ كلمة آية تطلق الآن ويراد بها هذه الآيات الّتي نعرفها في القرآن، وهي المقصودة في قولهم في أوّل كلّ سورة: هي كذا وكذا آية، كقولهم مثلاً: سورة البقرة مدنيّة، وهي (٢٨٦) آية. وكذا لا إشكال أيضاً في أنّ الأئمّة قد استعملوا كلمة (آية) وأرادوا بها هذا المعنى، وقد روي عنهم عليه السلام الكثير من الروايات. فلاحظ أبواب قراءة القرآن من كتاب الوسائل للحرّ العامليّ عليه السلام. ونذكر كمثال

على ذلك الرواية التالية:

محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم عن أبيه، عن حماد، عن حُرَيْز، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية»^١.

ولا يخفى أن المراد من قوله عليه السلام: «خمسين آية» هو هذه الآيات الموجودة بين أيدينا الآن في المصاحف، على هذا التحوّل الخاص. وأما إطلاق الآية في زمان النبي عليه السلام وفي كلماته هو عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنها أيضاً كذلك، لا تختلف عما ورد في كلمات الأئمة عليهم السلام، وعما نعرفه في عصرنا الحاضر.

وإذا ثبت ذلك أمكن أن يقال: إن القرآن أيضاً استعمل كلمة آية وأراد بها هذه القطعات الموجودة بين أيدينا ولها مبدأ ومنتى، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿كَتَابٌ أُخْكِمَتْ آيَاتُهُ وَفُصِّلَتْ﴾^٢، وقوله: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾^٣.

ومما يشهد على أنه كانت الآية في زمن الرسول صلى الله عليه وآله، تستعمل في نفس المعنى الذي نستعملها نحن في اليوم ما يلي:

- ١- عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ لَمْ يَكُتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ»^٤.
- ٢- عن يونس عن رفعه قال: سألت عبد الله عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ﴾؟ قال: «سورة الحمد، وهي سبع آيات، منها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾»^٥.
- ٣- عن عمرو بن جميع رفعه إلى علي بن الحسين عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ قَرَأَ

١- الوسائل ج ٤ باب ١٥ ص ٨٤٩.

٢- هود / ١.

٣- آل عمران / ٧.

٤- البحار ٩٢: ١٩٩.

٥- المصدر ٩٢: ٢٣٥.

أربع آيات من أول البقرة، وآية الكرسي، وآيتين بعدها، وثلاث آيات من آخرها، لم ير في نفسه وما له شيئاً يكره، ولا يقربه الشيطان، ولا ينسى القرآن^١. ولا يخفى أن الظاهر من كلامه هو إرادته من كلمة آية نفس ما يراد منها من عصرنا الحاضر، وهي القطعة المخصوصة من الكلام، لها مبدأ ومقطع.

(٩٣-٩٥)

متى يكون انتهاء السورة وابتداء غيرها؟

بماذا كان أهل الجاهلية يصدرون كتبهم؟

إننا قبل أن ندخل في الموضوع الأساس هنا، تحسن الإشارة بإيجاز إلى موضوع آخر يرتبط به نحوًا من الارتباط، ويتصل به نوعًا من الاتصال، وهذا الموضوع هو أنه قد جاء في «السيرة الحلبية» عن الشعبي قال: «كان أهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم، فكتب رسول الله ﷺ أول ما كتب باسمك اللهم، وتقدم أنه كتب ذلك في أربع كتب، حتى نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسِيَهَا﴾^٢، فكتب باسم الله. ثم نزلت: (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن)، فكتب بسم الله الرحمن. ثم نزلت: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^٣ فكتبها...^٤.

ونقل المحدث القمّي عن كتاب «المقتصر في شرح المختصر» لابن فهد، عن الصادق عليه السلام قال: «لا تدع البسملة، ولو كتبت شعرًا. وكانوا قبل الإسلام يصدون كتبهم باسمك اللهم، فلما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ صَدَرُوا بِهَا...^٥، هذا ما ذكروه.

مناقشة ما قيل: ولكن هذا مما لا يمكن القبول به، ولا المساعدة عليه، لأننا نقول: إن

١- المصدر ٢٤٥، عن ثواب الأعمال الصدوق.

٢- هود / ٤١.

٣- الثمل / ٣٠.

٤- السيرة الحلبية ٣: ٢٣.

٥- راجع سفينة البحار، مادة «سما».

الَّتِي كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهَا كَانَتْ بِإِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿من أول أمره وبدء بعثته، لأنه حينما بُعث وجاءه الوحي من ربه، كان مصدرًا بِ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. سواء قلنا: إن أول ما نزل هو ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، أو هو سورة «فاتحة الكتاب»، أو غيرهما من السُّور التي قيل: إنها أول ما نزل عليه ﷺ، لأنها كلها مصدرٌ بالبسملة، كما يشهد له ما بأيدينا من المصاحف الشريفة التي لا شك في موافقتها لمصاحف الصحابة.

خَطُّ الْبَسْمَلَةِ وَالْمُصْحَفِ سَوَاءٌ

ويلاحظ أيضًا أنهم قد كتبوا البسملة بنفس خط المصحف وأدخلوها في ضمن الأجزاء، ولم يميزوا بينها وبين سائر القرآن، وذلك يدل على أنها جزء من السورة كسائر أجزائها، إذ لو كانت خارجة عن السورة، وليست جزءًا منها، لمنعوا من كتابتها بخط المصحف، كما منعوا من كتابة ما ليس منه عن أن يكتب بنفس خطه، وذلك كأسماء السُّور، والأعشار، والأحزاب القرآنية، ونحوها، حيث قد كتبت فوق الصفحات أو في الهوامش، متميزة عن غيرها من الأجزاء القرآنية.

ويشهد لما ذكرناه من جزئية البسملة للسورة وليست للفصل، أو التبرك أنهم لم يكتبوا البسملة بين البراء والأفقال، ولو كانت للفصل أو المتبرك لكتبوها بينهما.

الْفَاتِحَةُ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ

يضاف إلى ذلك أن الصلاة قد شرعت بمكة في أوائل أمره وبعثته، ولا شك أن الفاتحة جزء منها والبسملة في الفاتحة أيضًا، الأمر الذي يدل على أنه ﷺ كان يعرف ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من ذلك الحين، كما أنه يدل ضمناً على أن الفاتحة قد نزلت في مكة.

قال بعض المحققين: «إن الصلاة شرعت في مكة، وهذا ضروري لدى جميع المسلمين، ولم تعهد في الإسلام صلاة بغير فاتحة الكتاب، وهذا الحديث منقول عن طريق الإمامية،

وغيرهم»^١.

وقال الواحدي: «ولا يسعنا القول بأنّ رسول الله ﷺ قام بمكّة بضع عشرة سنة يصليّ بلا فاتحة الكتاب، هذا ممّا لا تقبله العقول»^٢.

كان الرسول ﷺ يعرف البسملة من أوّل البعثة

وبعد هذا فإنه قد روي عن أبي جعفر عليه السلام قوله: «أولّ كلّ كتاب نزل من السماء: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾»^٣.

كان ﷺ يعرف انقضاء السّورة بنزول البسملة

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «ما نزل كتاب من السماء إلّا أوله ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾».

وروي السيوطي عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: «كان جبرئيل إذا جاءني بالوحي، أول ما يلقي عليّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾»^٤.

وعن الواحدي من وجه آخر أنّ ابن عمر قال: «نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في كلّ سورة»^٥.

وإذ قد عرفنا أنّه ﷺ كان يعرف البسملة من أوّل البعثة، وإنّ ما قيل من أنّه لم يكن يعرفها حتّى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ﴾ إلخ، غير صحيح، فلنعدّ إلى بحث الموضوع الأساس الذي نحن بصددّه، وهو «متى يكون انتهاء السّورة، وابتداء غيرها»؟

فنقول: أنّ ذلك لما كان أمراً تعديديّاً، فلا بدّ من التطلّع إلى الروايات وما هو مفادها، وقد

١- البيان في تفسير القرآن: ٢٩٣ ط. التجف.

٢- أسباب النزول: ١١.

٣- راجع: وسائل الشّيعه كتاب الصّلاة باب ١١ من أبواب القراءة.

٤- الإتهان، النوع ١٩ ص ٧٩.

٥- المصدر السابق.

رأينا أن مفادها هو أنه إذا نزل جبرئيل، وقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، عرف النبي ﷺ أنها سورة جديدة، وأن السورة السابقة قد انتهت.

فعن أبي عبد الله عليه السلام: «ما أنزل الله من السماء كتاباً إلا وفتحته: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وإثما كان يعرف انقضاء السورة بنزول ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ابتداءً للآخرى...»^١.

وعن ابن عباس: «أن النبي ﷺ كان إذا جاءه جبرئيل فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ علم أنها سورة...»^٢. وعن ابن عباس أيضاً قال: «كان النبي ﷺ لا يعلم ختم السورة حتى تنزل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾...»^٣.

وعن ابن عباس كذلك قال: «كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فإذا نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ علموا أن السورة قد انقضت». قال الحاكم: هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين...»^٤.

وقال البيهقي: «قال الشيخ رحمه الله: فالتبني ﷺ قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ عند افتتاح سورة، ولم يقرأها عند افتتاح آيات لم تكن أول سورة، وفي ذلك تأكيد لما روينا عن ابن عباس عليه السلام، وأنها إثما كتبت في المصاحف حين نزلت والله أعلم^٥. وأخيراً فإن المستفاد من هذه الروايات أن جعل السورة سورة ابتداءً وانتهاءً كان في عصر النبي الأمي ﷺ.

لماذا اختلفوا في عدد سور القرآن؟

وإذا كان التعيين في السورة مقداراً و عددًا مرتبطاً بوجود البسملة وعدمه، فإن عدد

١- تفسير الميثاق ١: ١٩.

٢- مستدرک الحاكم ١: ٢٣، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

٣- المصدر السابق، وأسباب النزول للواحي ٩، والسّنن الكبرى للبيهقي ٢: ٤٢، إلا أنه عبر بكلمة «فصل» بدل كلمة ختم.

٤- السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٤٣، والإتهان، النوع ١٩ ص ٨٠، ومستدرک الحاكم ١: ٢٣١.

٥- السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٤٣.

سُورَ القرآن حنيئذ يكون ١١٣ سورة، وذلك لأن البراءة على هذه لابد وإن تلحق بالأنفال، لعدم وجود البَسْمَلَةِ في أول البراءة. إلا أن يقال: إن عدم وجود البَسْمَلَةِ فيها ليس من جهة أن البراءة ليست سورة مستقلة، بل كان لعدم المناسبة بين ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وبين الآيات في أول البراءة... [ثم ذكر رواية ابن عباس عن علي رضي الله عنه: لَمْ تَكُتَبْ فِي بَرَاءَةِ الْبَسْمَلَةِ، كما تقدّم عن الثهاوندي، فقال:]

هذا، وربما ينعكس الأمر، فتقع البَسْمَلَةُ بين جزئي سورة واحدة كما في الضحى و«ألم نشرح»، وكذا الفيل، والإيلاف^١، فإن المعروف أنها سورة واحدة، ويشهد لاتحادهما هذا ارتباط مضمونيهما بعضه ببعض، وقد أشار العلامة بحر العلوم إلى ذلك في «منظومته»، حيث قال:

والضحى والانشراح واحدة	بالاتفاق والمعاني شاهدة
كذلك الفيل مع الإيلاف	وفصل بسم الله لا ينافي

وعلى هذا يكون عدد السُور ١١٢ سورة.

ولكن من الواضح أن دعوى عدم منافاة الفصل البَسْمَلَةِ إنما تصح لو كان الجمع وجعل السُورة سورة ابتداءً وانتهاءً، كمّا وكيفاً. كان من غير المعصوم، ويؤيده ما روي عن أبي بن كعب أنه لم يفصل بينهما في مُصحّفه بالبَسْمَلَةِ.

وأما إذا كان التفسير من النبي ﷺ نفسه، كما هو المختار، فمشكل جداً، ولا يحيص لنا عن القول بأنهما سورتان، لوجود البَسْمَلَةِ بينهما في المصاحف المعروفة بين المسلمين. وقد جزم في المدارك بتعددها، تمسكاً بوجود البَسْمَلَةِ بينهما في المصاحف^٢. وعلى هذا فيكون عدد السُور القرآنية ١١٤ سورة، كما هو ظاهر.

(٥٨-٥٣)

١- الشرائع للمحقّق الحليّ، كتاب الصلاة، باب القراءة، والإتيان الترتيب ١٩ ص ٦٧.

٢- مصباح الفقيه للهمداني، كتاب الصلاة باب القراءة: ٣١٦.

الفصل التاسع والعشرون

نصّ الحسيني الجلاليّ (١٣٦١هـ-...) في «دراسة حول القرآن الكريم»

سُور القرآن

تضمّنت روايات علوم القرآن التعبير عن طائفة من السُّور بأوصاف خاصّة، كالطُّوال والمئين والمثاني والمفصّلات، وقد حصرت في ١١٤ سورة، فما المراد من التسمية بالسُّورة؟ وما هو المقياس في عدّ السُّورة مفردة عن غيرها؟

قال ابن منظور الأفرقيّ (ت ٧١١هـ): السُّورة: المُنزلة، والجمع سُور وسُور... ومنه: سورة القرآن، لأنّها منزلة بعد منزلة، مقطوعة عن الأخرى، والجمع سُور بفتح الواو... ابن سيّده: سُمّيت السُّورة من القرآن سورة لأنّها درجة إلى غيرها، ومن همزها جعلها بمعنى بقية من القرآن في قطعة^١...

وقد وردت مادّة السُّورة في القرآن الكريم بصيغة الجمع مرّة واحدة: قال تعالى: ﴿فَأَنشَأُوا بَعْثَرٍ سُّورٍ مِّثْلَهُ مَقْتَرَيَاتٍ﴾^٢، وتسع مرّات مفردة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾^٣، قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ

١- لسان العرب ٣: ٣٨٦.

٢- هود/ ١٣.

٣- البقرة/ ٢٣.

سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ^١، وقال تعالى: ﴿قُلْ قَاتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ^٢﴾.

ومما قال التهانوي (ح ١١٥٨ هـ): السّورة بالضّمّ في الشّرع: بعض قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة، وأقلّها ثلاث آيات، كذا قال الجعبري. والسّور بالضّمّ وسكون الواو وفتحها: الجمع، وقيل: السّورة: الطائفة المترجمة توقيفاً، أي الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي ﷺ، وقد ثبتت أسماء السّور بالتوقيف من الأحاديث والآثار. وقيل: السّورة: بعض من كلام مُنزل مبين أوّله وآخره إعلاماً من الشّارع، قرأنا كان أو غيره، بدليل ما يقال: سورة الزبور وسورة الإنجيل، هكذا في التلويح. [كشاف اصطلاحات الفنون].

أقول: المعنى الأوّل هو المفهوم في عصرنا دون غيره.

وقال الرّاغب (ت ٥٠٣): «والسّورة: المنزلة الرّقيقة، وسُور المدينة: حائطها، وسورة القرآن تشبيهاً بها، لكونه محاطاً بها إحاطة السّور بالمدينة، أو لكونها منزلة كمنازل القمر. ومن قال: سورة فمن: أسارت، أي أبقيت منها بقيّة، كأنّها قطعة مفردة من جملة القرآن»^٣.

والمستفاد من الاستعمالات المفردة لهذه المادّة أنّ المعنى الجامع هو الشّيء المحييط على الآخرة إحاطة تامّة كاملة، قطعة مستقلّة بحيث لا يمكن الإفلات عنها، لذلك سُمّيت الخمر سورة عند حدّتها، وكذا غيرها كسُور البلد التي تجعله مستقلاً، فالسّورة من القرآن معناها قطعة مستقلّة منه، وليس المراد خصوص السّور (١١٤) التي يتألف منها القرآن بل كلّ قطعة مستقلّة ذات موضوع كامل. هو أشبه بما هو المصطلح اليوم بالقطع أو الرّكوع وما شابه ذلك، هذا من النّاحية اللّغويّة.

١- القوية / ٦٤.

٢- يونس / ٣٨.

٣- المفردات: ٢٥٤.

تحديد السورة

ليس تحديد السورة بالآيات التي نزل الوحي بها متتالية، إذ إنها تختلف طولاً وقصرًا، فأقصر السور سورة الكوثر وهي ثلاث آيات، وأطولها سورة البقرة وهي ٢٨٦ آية. كما أنها ليست بوحدة الموضوع، فإن مواضع سورة واحدة تختلف اختلافاً كبيراً، والطريق الوحيد لتحديد السورة ما تعارف عليه في عصر الرسول ﷺ وتحت إشرافه من دون أي تكبر.

قال السيوطي: « قيل: الحكمة في تسوير القرآن... [وذكر كما تقدّم عنه، ثم ذكر قول الجعفري، كما تقدّم عن الزركشي، ثم قال:]

وكلامه ﷺ متين جداً بالتسبة إلى السور القصار، فإنها ذات موضوع واحد، وتحتوي على مقدمة وموضوع وخاتمة حسب تعبيرنا اليوم. وذلك لا يستقيم في السور الطوال، فإنها ذات مقاطع في مواضع مختلفة، لكل موضوع مقدمة وخاتمة، مثلاً: آية الكرسي، فإنها تعدّ آية مع أنها لا تعدّ سورة بل آية من سورة البقرة. فالأولى تحديد السورة بأنها قسم من القرآن الذي حدّده الرسول ﷺ قسمًا مستقلاً عن سائر أقسام القرآن، إما لوحدة الموضوع كما في السور القصار غالباً، أو لوحدة المقصود كتشريع خاص في المجتمع المدني، كما هو الحال في سورة البقرة وهكذا، وإن لم نعرف المقصود بالتفصيل.

ترتيب السور

الروايات في جمع القرآن تصرّح بأن ذلك حصل في عهد الرسالة، ومن الطبيعي اهتمام النبي ﷺ شخصياً بذلك، حيث أمر كتاب الوحي بكتابة القرآن... [ثم ذكر قول الحاكم في مراحل الجمع وقول الباقلاني في ترتيب السور، كما تقدّم عنهما في الجزء الثالث، فقال:]

والملاحظ أن ترتيب السور وإن لم يكن على حسب النزول، إلا أن السور ذات الآيات القليلة نسبياً متأخرة في الترتيب، وكلما كانت أبعد زمناً كانت أكثر عدداً في الآيات،

والاعتبار يساعد على أن السُّورَ القصار المعروفة بالمفصلات كانت تحفظ في مكّة، ولم يكن للمسلمين من القوة والمنعة والوقت الكافي لحفظ السُّور الطُّوال. والأمر كان على العكس في المدينة، فقد كان للمسلمين من القوة والمنعة والوقت ما أمكنهم من حفظ السُّور الطُّوال. عن الرسول ﷺ: «أُعْطِيَ الطُّوال مكان التَّوراة، وأُعْطِيَ المثنى مكان الإنجيل، والمثنى مكان أنزبور، وفُضِّلَت بالمفصل: سبع وستين سورة»^١.

ونقل الشهرستاني ذلك عن كتاب «الاستغناء» عن رسول الله ﷺ... [وذكر كما تقدّم عن الطُّبريّ الرّقم ٢]

وفي هذه الرواية تحديد ترتيب السُّور في طوائف أربع: السَّبع الطُّوال، المثنى، المثنى، والمثنى، المفصلات. وقد رُوِيَ عن الصَّحابة الخلاف في عدّ بعض السُّور من هذه الطُّوائف.

السَّبع الطُّوال

عن ابن عباس قال: قلت لعُثمان: ما حملكم على أن عمدتم... [وذكر كما تقدّم عن السَّجِسْثاني الرّقم ٥١ في ج ٣ «باب كيفيّة جمع القرآن»، ثم قال:]

وكلام السيوطيّ هذا أقرب إلى تسبيع القرآن، ويمكن استخراج ذلك من الرواية التالية: عن حذيفة الثَّقَفِيّ قال: كنت في الوفد الذين أسلموا من تقيف - وفي الحديث: فقال لنا رسول الله ﷺ: «طراً عليّ حزب من القرآن، فأردت أن لا أخرج حتّى أقضيه». فسالنا أصحاب رسول الله ﷺ، قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: تحزبه ثلاث سُور، وخمس سُور، وسبع سُور، وتسع سُور، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة وحزب المفصل من ق حتّى نختم. قال: فهذا يدلّ على أن ترتيب السُّور على ما هو في المصحف الآن كان في عهد رسول الله ﷺ.

قال: ويحتمل أن الذي كان مرتباً حينئذٍ حزب المفصل خاصة بخلاف ما عداه في عهد

رسول الله ﷺ. وبناء على رواية الثَّقَفِيّ هذه يكون تسبيح القرآن كالآتي:

الأول - البقرة وآل عمران إلى النساء .

الثاني - المائدة إلى التوبة .

الثالث - يوسف إلى التحل .

الرابع - بنو إسرائيل إلى الفرقان .

الخامس - الشعراء إلى يس .

السادس - الصافات إلى الحجرات .

السابع - سورة ق إلى آخر القرآن .

والملاحظ أن كل سبع يختلف عن الآخر بعددين إلى الأخير، وهو سبع المفصل، وأن عدد الصفحات دون الآيات من طبعة ١٣٣٧ هـ لكل جزء كالآتي:

١٤٩ + ١٠٠ + ١٠٩ + ١١٤ + ٩٨ + ٦٧ + ٩٤ و معدّلها ٤ و ١٠٤ من الصفحات. وهذا

يستلزم أن تجزئة القرآن كان على أساس الحجم الذي يستغرق كل جزء، مما يساعد على سهولة الحمل والتقل، وخاصة في ظروف شحّ الورق في العصور المتقدمة .

ويبدو أن ما ذهب إليه السُّيُوطِيّ من قوله: «وَيَحْتَمَلُ أَنْ الَّذِي كَانَ مَرْتَبًا حِينَئِذٍ حَزَبِ الْمَفْصَلِ خَاصَّةً بِخِلَافِ مَا عَدَاهُ» يعتبر احتمالاً وجيهاً وذلك:

أولاً - لقصر السُّورِ الدَّاعِي لترتيبها كي يسهل حملها وحفظ تسلسلها.

ثانياً - لكونها مَكِّيَّة - على الأغلب - وقلة المسلمين في بدء الدَّعوة الإسلاميّة، كانت تستدعي سُورًا أقصرًا لتعلّم مبادئ الإسلام الأصليّة الضّروريّة بخلاف الحالة في المدينة، حيث قوي المسلمون وكثروا وتوفّرت الدَّواعي لتعلّم السُّورِ الكِبَار... [ثم ذكر قول الشَّهْرِسْتَانِيّ في «المثون والمثاني» نقلًا عن كتابي «الاستغناء» و«المختار في القراءات»، كما

تقدّم عنه، ثم ذكر قول السيوطي في معنى المثاني كما تقدّم عنه وعن الزّر كشيء، فقال: [والذي يفهم من كلامهم أن سُورَ المثاني تقع في مرتبة تالية للمئين، فهي السبع الثالث، فالتثنية هي للمرتبة لا للموضوع، وأن التثنية هنا بمعنى التكرار .

المفصّلات

قال الشهرستاني في كتاب «الاستغناء»: السبع المفصل: هي مفصّلاتها... [وذكر كما تقدّم عنه، ثم ذكر قول السيوطي في معنى المفصل، كما تقدّم عنه، فقال:]

والذي يظهر الاضطراب في كلام الصيّد لاني وكتاب «الاستغناء»، فإنّ تربع القرآن ينافي الطوائف المتقدّمة في كلامه المبني على تسبيع القرآن، حيث قال: السبع الطوال والسبع المئون والسبع المثاني والسبع المفصل على أساس الكسور العشرية، لتسهيل قراءة القرآن بأكمله خلال أسبوع واحد فقط. وبما أن كمية السبع الأوّل تعادل سوراً سبعة هي طوال، فقد التبس الأمر في عنوان «السبع الطوال» على أساس العدد الصحيح، لأنها سور سبع عدداً وطوال وصفاً، فإنّ المفروض أنها من الكسور العشرية، وتعني السبع من القرآن الحاوي على سبع سور طوال، مع أن صفة الطوال - في هذه الصورة - يجب أن تطابق الموصوف بالإفراد، فيقال: «السبع الطويل» دون صورة وصف السور، إذ تجب المطابقة بالجمع.

تسمية السور

قال الزّر كشيء: قد يكون للسورة اسم، وهو كثير... [وذكر كما تقدّم عنه، ثم قال:] وعقد السيوطي فصلاً في أسماء السور وقال: «قد يكون للسورة اسم واحد... [وذكر كما تقدّم عنه، ثم قال:]

أقول: وكلامه لا يخلو من تأمل دليلاً ودلالة، فالظاهر أن هذه الأسماء التي عدّها لم تكن سوى صفات للسور، باعتبار محتواها أو موقعها من القرآن. فالفاتحة صفة للسورة الأولى من القرآن الكريم، باعتبار وقوعها في مفتتح القرآن كالمقدمة للكتاب، وكذلك الأسماء

الأخرى، فالتعبير عن بعضها باعتبار المواضيع الهامة فيها، كسورة نوح لقصة نوح، وسورة البقرة لموضوع البقرة، وبعضها باعتبار مبتدئها، كالمقطعات ألف لام ميم وما شابه، ومن هنا جاز جمعها في طوائف «كالمسبحات» و«طواسين» و«الحامدات»، هذا في عصر الرسالة، أما بعد ذلك فلا شك في أن التسمية الغالبة هي المتبعة.

طوائف من السُّور

وعرفت طوائف من السُّور بأسماء خاصة لمناسبات تجمع بينها، منها:

١- الحامدات: الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر.

٢- الحواميم: وهي كما قال الصِّيدلاني: «الحواميم سبع سُور: المؤمن، الزخرف، حم السجدة، حم عسق، الذخان، السجدة، الأحقاف، الجاثية.

٣- الطَّواسين: الشعراء، التمل، القصص.

٤- المسبحات: الإسراء، الحديد، الحشر، الصف، الجمعة، التغابن، الأعلى.

٥- المحتحنة: وهي كما قال الصِّيدلاني: أربع وعشرون، ثم عدَّ منها أربعة عشر فقط، ولم يذكر الباقي، فقد ذكر الفتح، الحديد، الحشر، ألم السجدة، ق، الطلاق، الحُجرات، تبارك، التغابن، المنافقون، الصف، الجن، نوح، المجادلة، ولم يذكر الباقي^١.

عدد السُّور

تتفق المصاحف العثمانية على أن عدد السُّور ١١٤ سورة، وهو الحايوي على ما بين الدفتين اليوم، وذهب ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) على أن المصاحف العثمانية ١١٣ سورة، وليس ذلك من النَّقص في القرآن معاذ الله، بل لأنه عدَّ سورتي الأنفال والبراءة سورة واحدة، لعدم وجود البسملة في البراءة. والجمهور على أن البراءة سورة مستقلة، وإنما لم تبدأ بالبسملة لأنَّ البسملة أمان - كما في حديث عليٍّ عليه السلام - والبراءة ليست كذلك.

أما المصاحف الغير العثمانية - والتي بادت اليوم - تختلف عدد السور فيها، فإن مُصحف ابن مسعود لم يحتو على المعوذتين، فيكون عدد السور ١١٢ سورة، وأبي بن كعب زاد سورتي الخلع والحفد، فيكون عدد السور ١١٦ سورة، وذهب جمع من الفقهاء إلى أن سورتي الضحى والانسراح سورة واحدة، فتكون السور ١١٣ سورة، وسيأتي الكلام في ذلك.

قال ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ): «أما سوره؛ فقال أبو الحسن بن المنادي: جميع سور القرآن في تأليف زيد بن ثابت على عهد الصديق وذي الثورين مائة وأربع عشرة سورة، فيهن الفاتحة والتوبة والمعوذتان.

وذلك هو الذي في أيدي أهل قبلتنا، وجملة سوره على ما ذكر عن أبي بن كعب مائة وست عشرة سورة، وكان ابن مسعود يسقط المعوذتين، فنقصت جملة سورتين عن جملة زيد، وكان أبي بن كعب يلحقها ويزيد إليهما سورتين وهما الحفد والخلع، إحداهما: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، وهي سورة الخلع، والأخرى: اللهم إياك نعبد، وهي سورة الحفد، فزادت جملة عن جملة زيد سورتين وعلى جملة ابن مسعود أربع سور، وكل أدنى ما سمع، ومُصحفنا أولى بنا أن يتبع^١.

الأنفال والبراءة

ذهب جمع إلى أنهما سورة واحدة كما في سورة أخرى، والخلاف ليس في النص القرآني، فإنهما بنصهما في القرآن ومنشأ الخلاف هو عدم وجود البسملة في أول السورة... [ثم ذكر قول السيوطي نقلاً عن أبي روق وأبي رجاء وغيرهما كما تقدم عنه، فقال:]

ومن ذلك يظهر أن الخلاف إنما نشأ في عدم وجود البسملة، وليس الوحدة الموضوع بين السورتين آية صلة بالقول بوحدتهما. (و عليه) تكون الأقوال دعوى بلا دليل وخاصة أن السبب في عدم ذكر البسملة هو موضوع السورة، أي البراءة، وهي لا تجتمع مع الرحمة.

الضُّحَى والانشراح

ذهب فقهاء المذهب إلى أنهما سورة واحدة، ووحدة الموضوع فيهما تساعد على ذلك، ففيهما سلسلة من الأسئلة على نحو الاستفهام الإنكاري تأكيداً على صحة الأمر.

قال العاملي: «الضُّحَى والانشراح سورة واحدة عند آل محمد عليه السلام كما في «الاستبصار»، ومن دين الإمامية الإقرار بذلك كما في «الأمالى»، وهو الذى تذهب إليه الإمامية كما في «الانتصار»^١.

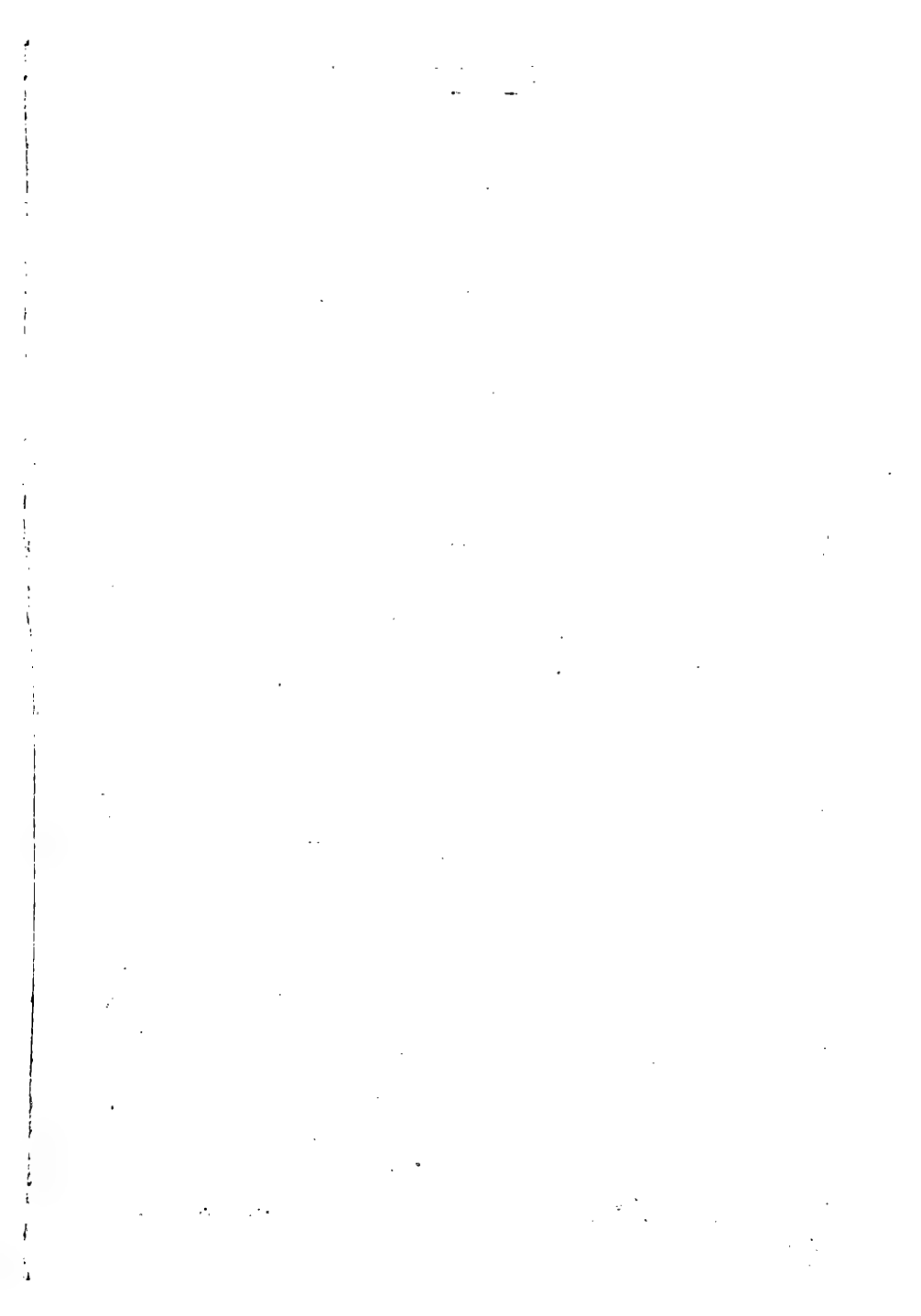
وقال الطباطبائي: «الأقوى اتحاد سورتي «الفيل» و«الإيلاف» وكذا «الضُّحَى» و«الم نشرح» وتفصيل ذلك في «المستدرک»^٢.

(٤١-٣٢)

١- مفتاح الكرامة ٢: ٢٨٥.

٢- المستدرک ٦: ١٧٥.

الباب التاسع
معنى الآية والحرف والكلمة وعددهم في القرآن
وفيه فصول:



الفصل الأول

نصّ الخليل (م: ١٧٥) في «العين»

[معنى الآية واشتقاقها]

الآية: العلامة، والآية: من آيات الله، والجميع: الآي. وتقديرها: فَعَلَتْهُ
إِنَّ الْأَلْفَ الَّتِي فِي وَسْطِ الْآيَةِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَالْآيَاتِ الْعَلَامَاتِ هِيَ فِي الْأَصْلِ: يَاءٌ، وَكَذَلِكَ
مَا جَاءَ مِنْ بَنَاتِهَا عَلَى بَنَاتِهَا نَحْوُ: الْغَايَةِ وَالرَّايَةِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ. فَلَوْ تَكَلَّفْتَ اشْتِقَاقَهَا مِنْ (الْآيَةِ)
عَلَى قِيَاسِ عِلَامَةٍ مُعْلَمَةٍ لَقُلْتُ: آيَةٌ مَا يَأْتِي قَدْ أُيِّتَتْ، فَاعْلَمْ أَنَّ شَاءَ اللَّهِ. (٤٤١: ٨)

الفصل الثاني

نصّ الطبري (م: ٣١٠) في «جامع البيان...»

وَأَمَّا الْآيَةُ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ

فإنها تحتل وجهين في كلام العرب:

أحدهما - أن تكون سُمِّيَتْ آيَةً، لِأَنَّهَا عِلَامَةٌ يُعْرَفُ بِهَا تِمَامُ مَا قَبْلَهَا وَابْتِدَآؤُهَا، كَالْآيَةِ الَّتِي
تَكُونُ دَلَالَةً عَلَى الشَّيْءِ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَيْهِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَلِكُنِّي إِلِهَا عَمْرُكَ اللَّهُ يَا فَتَى بَايَةَ مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا نَهَادِيَا

يعني: بعلامة ذلك. ومنه قوله جل ذكره: ﴿رَبَّنَا أُنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا

عبدًا لَوْلَا وَأُخْرِنَا وَآيَةٌ مِنْكَ» أي علامة منك لإجابتك دعاءنا وإعطائك إيماننا سُئِلْنَا.
والآخر منهما: القصة، كما قال كعب بن زهير بن أبي سلمى:

أَلَا بَلِّغْنَا هَذَا الْمُعَرِّضَ آيَةً أَيْقِظَانَ قَالَ الْقَوْلَ إِذْ قَالَ أُمُّ حُلُمٍ
يعني بقوله «آية»: رسالة مني وخبرًا عني. فيكون معنى الآيات: القصص، قصة تتلو
قصة بفصولٍ وفصولٍ. (٤٧:١)

﴿وَإِنظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِتَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ البقرة / ٢٥٩

إنما عني بقوله: ﴿وَلِتَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾، «وَلِتَجْعَلَكَ» حجة على من جهل قدرتي، وشك
في عظمتي. وأنا القادر على فعل ما أشاء من إمامة وإحياء وإنشاء، وإنعام وإذلال، وإقتار
وإغناء، بيدي ذلك كله، لا يملكه أحد دوني، ولا يقدر عليه غيري...

وقال آخرون: معنى ذلك أنه جاء وقد هلك من يعرفه، فكان آية لمن قدم عليه من قومه.
قال أبو جعفر: والذي هو أولى بتأويل الآية من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر
أنه جعل الذي وصف صفته في هذه الآية حجة للناس، فكان ذلك حجة على من عرفه من
ولده وقومه ممن علم موته، وإحياء الله إياه بعد مماته، وعلى من بُعث إليه منهم. (٤٢:٣)

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ الأنعام / ٤

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وما تأتيهم من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين. وأولاهم
وأهلهم ﴿آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، يقول: حجة وعلامة، ودلالة من حُجج ربهم، ودلالاته
وأعلامه على وحدانيته، وحقيقة نبوتك يا محمد، وصدق ما أتيتهم به من عندي. (١٤٨:٧)

الفصل الثالث

نصّ الطوسيّ (م: ٤٦٠) في «التبيان في تفسير القرآن»

[معنى الآية والآيات]

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ...﴾ البقرة/ ٣٩

و«آيات الله» دلالة وكُتِبَ التي أنزلها على أنبيائه. والآية: الحجّة والدلالة والبيان والبرهان، واحد في أكثر المواضع - وإن كان بينها فرق في الأصل - لأنك تقول: دلالة هذا الكلام كذا، ولا تقول: آيته ولا علامته، وكذلك تقول: دلالة هذا الاسم، ولا تقول: برهانه.

(١٧٨: ١)

﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ البقرة/ ٢١١

والآيات البينات؛ ما ذكرها الله تعالى: من قلب عصا موسى حيّة، ويده البيضاء، وفلقه البحر، وتفريق عدوهم من فرعون وأصحابه، وتظليله عليهم الغمام، وإنزال المَنّ والسَّلْوَى، وذلك من آيات الله التي أتى بها بني إسرائيل، فخالفوا جميع ذلك، وقتلوا أنبيائه، ورُسّله، وبدّلوا عهده، ووَصَّيته إليهم.

(١٩٠: ٢)

﴿وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِتَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ البقرة/ ٢٥٩

ورؤي عن عليّ عليه السلام: أن عَزْرًا أخرج من أهله، وامراته حامل، وله خمسون سنة. فأماه الله مائة سنة، ثم بعثه فرجع إلى أهله ابن خمسين سنة، وله ابن له مائة سنة، فكان ابنه أكبر منه، وذلك من آيات الله.

(٣٢٤: ٢)

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ آل عمران/ ٤١

الآية: العلامة وإثما سأل العلامة، والآية لوقت الحمل الذي سأل ربّه ليتعجّل السرور به،

في قول الحسن، فجعل الله تعالى آيته في إمساك لسانه، فلم يقدّر أن يكلم الناس إلا إيماءً من غير آفة حدثت في لسانه، كما يقال في مريم / ١٠ ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ هذا قول الحسن، وقتادة، والربيع، وأكثر المفسرين. وفي وزن «آية» ثلاثة أقوال:

أحدها - «فَعْلَةٌ» إلا أنه شذ من جهة إعلال العين مع كون اللام حرف علة، وإثما القياس في مثله إعلال اللام، نحو: حياة ونواة. ونظيرها: راية وطاية، وشذ ذلك، للإشعار بقوة إعلال العين.

الثاني - «فَعَلَةٌ» أمية إلا أنها قلبت كراهية التضعيف، نحو: طاي في طيبي.

الثالث - «فاعلة» منقوصة، وهذا ضعيف، لأنهم صغروها «أُيَيْتَةٌ» ولو كانت «فاعلة» لقالوا: «أُويَّة» إلا أنه يجوز على ترخيم التصغير، نحو: فُطَيْمَةٌ. (٢: ٤٥٤)

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ الأنعام / ٤

في هذه الآية إخبار من الله تعالى أنه لا يأتي هؤلاء الكفار - المذكورين في أول الآية - : ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، وهي المعجزات التي يظهرها على رسوله، وآيات القرآن التي كان ينزلها على نبيه ﷺ. ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ لا يقبلونها ولا يستدلون بها على ما دلهم الله عليه من توحيده وصدق رسوله محمد ﷺ.

(٤: ٨٣)

﴿لَنْ يَجَاءَ ثَهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ الأنعام / ١٠

وقوله: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي اجتهدوا في اليمين وبالعوا فيه. والآية التي سألوا النبي ﷺ إظهارها قيل: فيها قولان:

أحدها - أن سألوا تحوّل الصفا ذهبًا.

الثاني - ما ذكره في موضع آخر من قوله: ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ إلى قوله: ﴿كِتَابًا تَقْرَؤُهُ...﴾^١ والمعنى أن هؤلاء الكفار أقسموا متحكمين على النبي ﷺ وبالعوا في أيمانهم أنهم إذا جاءتهم الآية التي اقترحوها ليؤمنن بها - أي عندها -

فأمر الله نبيه ﷺ أن يقول لهم: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

فإن قيل: كيف قال: ﴿الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وذلك معلوم؟

قيل: معناه من أجل أن الآيات عند الله ليس لكم أن تتحكموا في طلبها، لأنه لا يجوز أن يتخلف عنكم ولا عن غيركم مافيه المصلحة في الدين، لأنه تعالى لا يخلّ بذلك. (٤: ٢٥٥)

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَاتٍ كُتُبًا ٣٧﴾

﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ يعني الآية التي سألوها واقترحوا أن يأتيهم بها من جنس ما شاءوا، لما قالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أَرْسَلْنَا الْآوَلُونَ﴾^١، يعنون فلق البحر وإحياء الموتى. وإنما قالوا ذلك حين أيقنوا بالعجز عن معارضته فيما أتى به من القرآن، فاستراحوا إلى أن التمسوا مثل آيات الأولين، فقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا عِنْدَ الْكِتَابِ﴾^٢، وقال هاهنا قل يا محمد: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً...﴾. (٤: ١٣٤-١٣٥)

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا...﴾ الأعراف / ٧٣

و«الآية» هي البينة العجيبة بظهور الشهادة ولطف المنزلة. والآية والعبرة والدلالة والعلامة نظائر. و«الآية» التي كانت في الناقة خروجها من صخرة ملساء تمخضت بها كما تمخض المرأة، ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها، وكان لها شرب يوم، تشرب فيه ماء الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله، ولهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماء هم. (٤: ٤٨٠)

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا...﴾ الأعراف / ١٣٢

في هذه الآية إخبار من الله تعالى، وحكاية ما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام، بأنهم قالوا له: أي شيء تأتينا به من المعجزات وتسحرنا بها، فإننا لانصدّقك عليه، ولا نؤمن بك. و«الآية» هي المعجزة الدالة على نبوته، وهو كل ما يعجز الخلق عن معارضته ومقاومته، كما لا يمكن مقاومة الشبهة للحجة، وكما لا يمكن أن يقاوم الجهل للعلم، والسراب للماء، وإن توهّم ذلك

قبل النظر والاعتبار، ويُخَيَّل قبل الاستدلال الذي يزول معه الالتباس. (٥٥٢:٤)

﴿أَرْبَعٌ مِّنْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ يونس / ١

و«الآية» العلامة التي تُنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة. والقرآن مفصَّل بالآيات مضمَّن بالحكم الثافية للشبهات. (٣٨٢:٥)

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلِّسَّائِلِينَ﴾ يوسف / ٧

و«الآية» الدلالة على ما كان من الأمور العظيمة. والآية والعلامة والعبرة نظائر في اللغة. وقال الرَّمْثَانِي: الفرق بين الآية والحجة: أن الحجة معتمد البينة التي توجب الثقة بصحة المعنى. والآية تكشف عن المعنى الذي فيه أعجوبة. ووجه الآية في يوسف وإخوته أنهم نالوه للחסد بالأذى مع أنهم أولاد الأنبياء: يعقوب وإسحاق وإبراهيم، فصّح وعفا، وأحسن ورجع إلى الأولى، وكان ذلك خروجاً عن العادات. (٩٩:٦)

[عدد الآيات والكلمات والحروف]

وجميع أي القرآن:

في البصريّ ستة آلاف ومئتان وأربع آيات.

وفي المدنيّ الأوّل ستة آلاف ومئتان وسبع عشرة آية.

وفي الكوفيّ ستة آلاف ومئتان وستة وثلاثون آية.

وفي المدنيّ الأخير ستة آلاف ومئتان وأربع عشرة آية. وجميع ما نزل بمكة خمس وثمانون سورة لاخلاف في ذلك. وبالمدينة تسع وعشرون سورة لاخلاف في ذلك، فذلك مائة وأربع عشرة سورة. وعلى ما روينا على أصحابنا وعن جماعة متقدمين مائة واثنان عشرة سورة.

وعدد جميع كلمات القرآن: تسعة وسبعون ألفاً ومئتان وسبع وسبعون كلمة. ويقال: سبع وثمانون كلمة. ويقال تسع وثلاثون كلمة. وجميع حروفه: ثلثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف وخمسة عشر ألف. وعبّد نُقْطَته: مائة ألف وستة وخمسون ألفاً وإحدى وثمانون نقطة. (٤٣٨:١٠)

الفصل الرابع

نصّ القيسيّ (م: ٤٣٧) في «مشكل إعراب القرآن»
[معنى الآية لغةً]

في وزن «آية» أربعة أقوال:

قال سيّبويه: هي «فَعْلَة» وأصلها: أَيْيَة، ثمّ أبدلوا من الياء الساكنة ألفاً، هذا معنى قوله، ومثله عنده: غايَة و نايَة . واعتلال هذا عنده شاذّ، لأنّهم أعلّوا العين، وصحّحوا اللّام، والقياس إعلال اللّام، وتصحيح العين.

وقال الكوفيّون: آية «فَعْلَة» بفتح العين، وأصلها أَيْيَة، فقلّبت الياء الأولى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وهو شاذّ في الاعتلال؛ إذا كان الأصل أن تُعَمَلَ الياء الثانية وتصحّ الأولى، فيقال: آيَة. وقال بعض الكوفيّين: آية «فَعْلَة»، وأصلها: أَيْيَة فقلّبت الياء الأولى ألفاً لانكسارها وتحرك ما قبلها، وكانت الأولى أولى بالعلّة من الثانية، لتقلّ الكسرة عليها، وهذا قول صالح جارٍ على الأصول.

وقال ابن الأنباريّ في «آية»: وزنها «فاعِلَة»، وأصلها: آيِيَة، فأسكنت الياء الأولى استتقلاً للكسرة على الياء، وأدغموها في الثانية فصارت «آيَة»، مثل لفظ «دابة» ووزنها، ثمّ خففوا الياء، كما قالوا: «كَيْنُونَة» بتخفيف الياء ساكنة وأصلها: «كَيْنُونَة» ثمّ خففوا فحذفوا الياء الأولى المتحركة استتقلاً للياء المشدّدة مع طول الكلمة، وهذا قول بعيد من القياس؛ إذ ليس في «آية» طول يجب الحذف معه كما في «كَيْنُونَة». (١: ٤٢٠-٤٢١)

الفصل الخامس

نصّ العاصمي (٣٧٨ - ؟) في «المباني لنظم المعاني»^١

[عدد الآي وحروفه و كلماته]

وأما عدد الآي: فروي عن ابن مسعود قال: آيات القرآن ستة ألف ومائتان وثمانية عشرة آية. وحروفها ثلاثمائة ألف حرف وستمائة حرف وتسعون حرفاً. فلتالي القرآن حرف منها عشر حسانات.

والقرآن كله في عدد أهل مكة ستة آلاف آية ومائتا آية وعشر آيات، فيما ذكره الزعفراني عن عكرمة بن سليمان، وذكر مثله عن مجاهد وعن عبدالله بن كثير، عن مجاهد أنه قال: القرآن ثلاثمائة ألف حرف وواحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانية وثمانون حرفاً. وعن إسماعيل بن جعفر: أن القرآن كله ستة آلاف آية ومائتا آية وأربع عشرة آية وعن شيبه بن نصاح: أنه ستة آلاف ومائتا آية وسبع عشرة آية.

وكلماته: عند أهل المدينة سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة. وحروفه: ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وخمسة عشر حرفاً.

١ - كان مؤلف هذا الكتاب مجهولاً لدينا في البداية، فاطلقنا عليه في الأجزاء الثلاثة السابقة من كتاب التصوص «صاحب المباني». ثم أطلقنا عليه في الأجزاء اللاحقة اسم «العاصمي»، تمويلاً على رأي أحد المحققين الإيرانيين. ولكن محققاً آخر يسمي الدكتور محمود أحمد الشنيطي، الأستاذ بقسم القراءات في كلية المعلمين بالمدينة المنورة، ادعى سنة ١٤٢٦ هـ في مقال له بعنوان «كتاب المباني لنظم المعاني لم يتدبّر المألف»: أن مؤلفه يدعى «أبو محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام الطحيري كرامى المذهب» ودعم رأيه بأدلة موثقة. وقد ارتأينا في هذا الأمر أن نعدّ العاصمي مؤلفاً لهذا الكتاب ريثما نتجلى الحقيقة. (م)

وعن ابن سيرين، القرآن ستة آلاف آية ومائتان وست عشرة آية.
وعن زيد بن عبد الواحد أبي المعافى الضُّرير قال: عدد أهل الكوفة ستة آلاف آية ومائتا
آية وست وثلاثون آية، وينسب عددهم إلى أبي عبد الرحمن السُّلَمي، عن
علي بن أبي طالب عليه السلام.

وعدد أهل البصرة، ستة آلاف ومائتان وأربع آيات، وينسب عددهم إلى عاصم
الجَحْدري. وعن أبي جعفر يزيد بن القَعْقاع أنه ستة آلاف ومائتان وعشر آيات.
وفي عدد أهل الشام، ستة آلاف ومائتان وست وعشرون آية، وينسب عددهم إلى
يحيى بن أبي الحرث الذُّمَارِي.

وعن حميد الأعرج قال: جميع أي القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية واثننا عشرة آية.
النُّصف الأول ألفا آية ومائتا آية وآيتان، والنُّصف الثاني أربعة آلاف آية وعشر آيات.
والثُّلث الأول ألف آية وثلاثمائة آية وثلاث وعشرون آية، والثُّلث الثاني ألفا آية وأربع
وخمسون آية، والثُّلث الثالث ألفا آية وثلاثمائة آية وخمس وثلاثون آية.
والرُّبُّع الأول تسعمائة وخمسون آية، والرُّبُّع الثاني ألف آية ومائتا آية واثنان وخمسون
آية، والرُّبُّع الثالث ألف آية وسبعمائة وإحدى وعشرون آية، والرُّبُّع الرابع ألفا آية ومائتا
آية وثمانون وتسع آيات.

والخُمُس الأول سبعمائة واثنان وأربعون آية، والخُمُس الثاني ثمانمائة وست وتسعون
آية، والخُمُس الثالث ألف آية ومائتا آية وثمان وعشرون آية، والخُمُس الرابع ألف آية
وثلاثمائة آية وتسع وسبعون آية، والخُمُس الخامس ألف آية وتسعمائة وسبع وستون آية.
والسُّدُس الأول ستمائة وخمس وعشرون آية، والسُّدُس الثاني ستمائة وسبع وتسعون
آية، والسُّدُس الثالث ثمانمائة وثمانون آية، والسُّدُس الرابع ألف آية ومائة وأربع وسبعون آية
والسُّدُس الخامس ألف آية ومائة وست آيات، والسُّدُس السادس ألف آية وسبعمائة
وثلاثون آية.

والسَّبع الأول خمسمائة وخمسون آية، والسَّبع الثاني خمسمائة وخمس وسبعون آية،

والسُّبعُ الثَّالثُ سِتِّمِائَةٌ وأربع وخمسون آية، والسُّبعُ الرَّابِعُ تسعمائة وأربعون آية، والسُّبعُ الخامس تسعمائة وآيتان، والسُّبعُ السَّادس تسعمائة واثنان وسبعون آية، والسُّبعُ السَّابع ألف آية وستِّمِائَةٌ وتسع عشرة آية.

والثُّمنُ الأوَّلُ أربعمِائَةٌ وثمانون آية، والثُّمنُ الثَّاني أربعمِائَةٌ وإحدى وسبعون آية، والثُّمنُ الثَّالثُ خمسَمِائَةٌ وسبع وخمسون آية، والثُّمنُ الرَّابِعُ سِتِّمِائَةٌ وخمس وتسعون آية، والثُّمنُ الخامس تسعمائة وخمس وأربعون آية، والثُّمنُ السَّادس سبعمِائَةٌ وستّ وسبعون آية، والثُّمنُ السَّابع ثمانمِائَةٌ واثنان وأربعون آية، والثُّمنُ الثَّامن ألف وأربعمِائَةٌ وستّ وأربعون آية. والثُّعُ الأوَّلُ أربعمِائَةٌ وثمان وعشرون آية، والثُّعُ الثَّاني أربعمِائَةٌ وتسع آيات، والثُّعُ الثَّالثُ أربعمِائَةٌ وستّ وثمانون آية، والثُّعُ الرَّابِعُ خمسَمِائَةٌ وثمان وثمانون آية، والثُّعُ الخامس سبعمِائَةٌ وأربع آيات، والثُّعُ السَّادس سبعمِائَةٌ واثنان وستّون آية، والثُّعُ السَّابع سبعمِائَةٌ وثمان وأربعون آية، والثُّعُ الثَّامن ثمانمِائَةٌ وتسع وثلاثون آية، والثُّعُ الثَّاسع ألف آية ومائتا آية وثمان وأربعون آية.

والعُشرُ الأوَّلُ ثلاثمِائَةٌ وستّ وسبعون آية، والعُشرُ الثَّاني ثلاثمِائَةٌ وستّ وستّون آية، والعُشرُ الثَّالثُ أربعمِائَةٌ وستّ وأربعون آية، والعُشرُ الرَّابِعُ أربعمِائَةٌ وخمسون آية، والعُشرُ الخامس خمسَمِائَةٌ وأربع وستّون آية، والعُشرُ السَّادس سِتِّمِائَةٌ وثلاث وستّون آية، والعُشرُ السَّابع سِتِّمِائَةٌ وسبع وثمانون آية، والعُشرُ الثَّامن سِتِّمِائَةٌ واثنان وتسعون آية، والعُشرُ الثَّاسع ثمانمِائَةٌ وثمان وعشرون آية، والعُشرُ العاشر ألف ومائة وأربعون آية.

وأما أعداد الحروف والكلمات فذكر بعض العاديين: أن عدد كلام القرآن سبعة وسبعون ألف كلمة وأربعمِائَةٌ كلمة وستّ وثلاثون كلمة. وعدد حروفه ثلاثمِائَةٌ ألف حروف، وعشرون ألف حرف، ومائتان وأحد عشر حرفاً.

وعدد ألفات القرآن ثمانية وأربعون ألفاً وثمانمِائَةً حرف.

وعدد الياء أحد عشر ألفاً ومائتا حرف وحرف واحد.

وعد التاء عشرة آلاف ومائة وتسعة وتسعون حرفاً.

وعدد الناء ألف ومائتان وستّة وسبعون حرفاً.
وعدد الجيم ثلاثة آلاف ومائتان وثلاثة وسبعون حرفاً.
وعدد الحاء ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثة وتسعون حرفاً.
وعدد الخاء ألفان وأربعمائة وستّة عشر حرفاً.
وعدد الدال خمسة آلاف وستّمائة واثنان وأربعون حرفاً.
وعدد الذال أربعة آلاف وستّمائة وتسعة وتسعون حرفاً.
وعدد الزاء أحد عشر ألفاً وسبعمائة وثلاثة وتسعون حرفاً.
وعدد الزاي ألف وخمسمائة وسبعون حرفاً.
وعدد السين خمسة آلاف وثمانمائة واحد وتسعون حرفاً.
وعدد الشين ألفان ومائتان وثلاثة وخمسون حرفاً.
وعدد الصاد ألفان واحد وثمانون حرفاً.
وعدد الضاد ألفان وستّمائة وسبعة أحرف.
وعدد الطاء ألف ومائتان وأربعة وسبعون حرفاً.
وعدد الظاء ثمانمائة واثنان وأربعون حرفاً.
وعدد العين تسعة آلاف وعشرون حرفاً.
وعدد الغين مائتان وثمانية أحرف.
وعدد الفاء ثمانية آلاف وأربعمائة وسبعة وتسعون حرفاً.
وعدد القاف ستّة آلاف وثمانمائة وثلاثة وعشرون حرفاً.
وعدد الكاف عشرة آلاف وثلاثمائة وأربعة وخمسون حرفاً.
وعدد اللام ثلاثة وثلاثون ألفاً وخمسمائة واثنان وعشرون حرفاً.
وعدد الميم ستّة وعشرون ألفاً ومائة وخمسة وثلاثون حرفاً.

وعدد الواو خمسة وعشرون ألفاً وخمسمائة وستة وثلاثون حرفاً.

وعدد الهاء تسعة عشر ألفاً وتسعون حرفاً.

وعدد الياء خمسة وعشرون ألفاً وتسعمائة وتسعة عشر حرفاً.

وذكر أن الحجاج بن يوسف جمع القراء^١ والكتبة، فعدّوا له جميع أي القرآن وكلامه وحروفه، فبلغ (آيه) ستة آلاف ومائتين وعشرين آية، وقيل: بل وجدّه ستة آلاف آية ومأتي آية وأربع آيات. ووجدوا كلامه سبعة وسبعين ألف كلمة وأربعمائة وأربعاً وثلاثين كلمة. وحروفه ثلاثمائة ألف حرف وخمسة وعشرين ألفاً واثنين وسبعين حرفاً...

فعرفت بما ذكرنا أنهم أجمعوا على أن القرآن هو هذا الذي جَزَّؤُهُ أثلاثاً وأرباعاً وأخماساً، وعدّوا آية وكلماته وحروفه، فمن خالفهم فقد خالفهم فقد خالف الجميع، وكفاه بمخالفة الجميع خزيًا ونكالًا، وكفاك بما أوضحنا لك حجةً واستدلالًا فأغرّفه. (٢٤٦-٢٥٠)

الفصل السادس

نصّ الدّامغانيّ (م: ٤٨٧) في «الوجوه والتّظائر»

[معنى الآية ووجوها]

الآيات على ستة أوجه: العلامات، آي القرآن، المعجزات، العبرة، الكتاب، الأمر والتّهي .
فوجه منها: الآيات، العلامات، فذلك قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾^١ مثلها: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾^٢، نظيرها في الرّعد / ٣، ونحوه: ﴿أَتَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً﴾^٣ يعني علامة، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾^٤؛ طلوع الشمس من مغربها .
والوجه الثّاني: آيات يعني آي القرآن، قوله تعالى: ﴿آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ...﴾^٥ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾^٦ .
والوجه الثّالث: الآيات يعني المعجزات، قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُّوسَى بِآيَاتِنَا...﴾^٧
كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا...﴾^٨ ونظائرها كثيرة .

١- الرّوم / ٢٠ .

٢- التحلّل / ٧٩ .

٣- الشّراء / ١٢٨ .

٤- الأنعام / ١٥٨ .

٥- آل عمران / ٧ .

٦- التحلّل / ١٠١ .

٧- القصص / ٣٦ .

٨- القمر / ٢ .

والوجه الرابع: آية يعني عبرة، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾^١ يعني عبرة وقوله تعالى: ﴿وَلِتَجْعَلُ آيَةً...﴾^٢ يعني عبرة للناس .

والوجه الخامس: الآية يعني الكتاب، قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي...﴾^٣ يعني كتابي ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ...﴾^٤، كقوله: ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ...﴾^٥ يعني القرآن يتلى عليه .

والوجه السادس: الآية يعني الأمر والتبهي، كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ...﴾^٦ يعني أمره ونهيه، ونحوه كثير .

(ص: ٢٨)

١- المؤمنون / ٥٠ .

٢- مريم / ٢١ .

٣- المؤمنون / ٦٦ .

٤- الجاثية / ٨ .

٥- البقرة / ١٨٧ .

الفصل السابع

نصّ الراغب الأصفهاني (م: ٥٠٢) في «المفردات...»

[معنى الآية لغةً واصطلاحاً]

والآية: هي العلامة الظاهرة، وحقيقته لكل شيء ظاهر، هو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته، إذ كان حكمهما سواء، وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات، فمن علم ملازمة «العلم» للطريق المنهج، ثم وجد «العلم» علم أنه وجد الطريق، وكذا إذا علم شيئاً مصنوعاً علم أنه لا بد له من صانع. واشتقاق الآية إما من «أي» فإنها هي التي تبين أيّاً من أي، والصحيح أنها مشتقة من التأني الذي هو التثبت والإقامة على الشيء. يقال: تأني، أي أرفق. أو من قولهم: أوي إليه. وقيل للبناء العالي آية، نحو: ﴿أَتَبْنُون بِكُلِّ بَيْعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾^١. ولكل جملة من القرآن دالة على حكم آية، سورة كانت أو فصلاً أو فصلاً من سورة، وقد يقال لكل كلام منه منفصل بفصل لفظي آية. وعلى هذا اعتبار آيات السور التي تُعَدُّ بها السورة. (ص: ٣٣)

الفصل الثامن

نصّ المبيّديّ (م: ٥٢٠) في «كشف الأسرار وعُدّة الأبرار»

[عدد الآيات والكلمات والحروف في القرآن]

إنّ عدد الآيات القرآنيّة طبق العدّ الكوفيّ، وهو العدّ المنسوب إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٦٢٣٦، وطبق العدّ البصريّ ٦٢٠٤ آية، وطبق قول الجمهور من أهل العلم ٦٦٦٦ آية.

وقد اختلف العلماء في كلمات القرآن، والاختيار هو قول عطاء بن يسار، وهو: ٧٧٤٣٩ كلمة.

واختلف في عدد الحروف، قال ابن عباس: ٣٢١٦٧١ حرفاً، وقال مُجاهد: ٣٢١١٢٠ حرفاً، وقال ابن مسعود: ٣٢٢٦٧٠ حرفاً، قال: ولتالي القرآن بكلّ حرف، عشر حركات.

قد عدّ جماعة من المفسّرين حروف القرآن من الألف إلى الياء، فقالوا:

عدد الألفات: ثمانية وأربعون ألفاً وثمانمائة واثنان وسبعون حرفاً.

عدد الباءات: أحد عشر ألفاً وأربعمائة وثمانية وعشرون حرفاً.

عدد التاءات: عشرة آلاف ومائة وتسعة وتسعون حرفاً.

عدد اللّاءات: ألف ومائتان وستّة وسبعون حرفاً.

عدد الجيمات: ثلاثة آلاف ومائتان وثلاثة وسبعون حرفاً.

عدد الحاءات: ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثة وتسعون حرفاً.

عدد الخاءات: ألفان وأربعمائة وستّة عشر حرفاً.

عدد الدّالات: خمسة آلاف وستّمائة واثنان وأربعون حرفاً.

عدد الذّالات: أربعة آلاف وستّمائة وسبعة وتسعون حرفاً.

عدد الرّاءات: أحد عشر ألفاً وسبعمائة وثلاثة وتسعون حرفاً.

عدد الزّاءات: ألف وخمسمائة وتسعون حرفاً.

عدد السيّنات: خمسة آلاف وثمانائة وأحد وتسعون حرفاً.

عدد الشّينات: ألفان ومائتان وثلاثة وخمسون حرفاً.

عدد الصّادات: ألفان وثلاثة عشر حرفاً.

عدد الضّادات: ألف وستّمائة وسبعة عشر حرفاً.

عدد الطّاءات: ألف ومائتان وأربعة وسبعون حرفاً.

عدد الظّاءات: ثمانمائة واثنان وأربعون حرفاً.

عدد العينات: تسعة آلاف ومائتان وعشرون حرفاً.

عدد الغينات: ألفان ومائتان وثمانية أحرف.

عدد الفاءات: ثمانية آلاف وأربعمائة وتسعة وتسعون حرفاً.

عدد القافات: ستّة آلاف وثمانمائة وثلاثة عشر حرفاً.

عدد الكافات: تسعة آلاف وخمسمائة حرف.

عدد اللّامات: ثلاثون ألفاً وأربعمائة واثنان وثلاثون حرفاً.

عدد الميمات: ستّة وعشرون ألفاً ومائة وخمسة وثلاثون حرفاً.

عدد النّونات: ستّة وعشرون ألفاً وخمسمائة وستّة أحرف.

عدد الواوات: خمسة وعشرون ألفاً وخمسمائة وستّة وثلاثون حرفاً.

عدد الهاءات: سبعة عشر ألفاً وسبعون حرفاً.

عدد حروف «لا»: أربعة آلاف وسبعمائة وعشرون حرفاً.

عدد الياءات: خمسة وعشرون ألفاً وتسعمائة وتسعة عشر حرفاً.

في كلّ حرف إرادة، في كلّ كلمة إشارة، في كلّ آية زيادة، في كلّ سورة سعادة، في كلّ

حرف بداية، في كلّ كلمة هداية، في كلّ آية غاية، في كلّ سورة سراية، في كلّ ألف آلاء، في

كلَّ بَاءَ بهاء، في كلِّ تاء تحفة، في كلِّ ثاء ثواب، في كلِّ جيم جزاء، في كلِّ حاء حياة، في كلِّ خاء
خيال، في كلِّ دال دواء، في كلِّ ذال ذوق، في كلِّ راء راحة، في كلِّ زاء زيادة، في كلِّ سين سناء،
في كلِّ شين شعاع، في كلِّ صاد صفاء، في كلِّ ضاد ضياء، في كلِّ طاء طهارة، في كلِّ ظاء ظرافة،
في كلِّ عين عناية، في كلِّ غين غبن، في كلِّ فاء فائدة، في كلِّ قاف قرابة، في كلِّ كاف كرامة، في
كلِّ لام لواء، في كلِّ ميم ميناء، في كلِّ نون نور، في كلِّ واو ولاء، في كلِّ هاء هواء، في كلِّ لام
ألف ألف وطف، في كلِّ ياء يُعْن ...
(١٠: ٦٨٢-٦٨٤)

الفصل التاسع

نصّ أبي الفتح الرازيّ (م: ٥٣٥) في «رَوْضِ الْجَنَانِ وَرَوْحِ الْجَنَانِ»
في معنى الآية والكلمة والحرف

أما معنى الآية:

١- فهي العلامة، من قولهم: «آية كذا وكذا» أي علامته، كما حكى الله تعالى عن عيسى عليه السلام في ذكر المائدة: ﴿تَكُونُ لَنَا عَيْدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ﴾ أي علامة لإجابة دعائنا.

٢- والرسالة... [ثم استشهد بشعر كعب بن زهير، كما تقدّم عن الطبري، فقال:]

٣- والجماعة، كما يقولون: «خرج القوم بآيتهم» أي بجماعتهم وآية من القرآن: مجموعة من الكلمات والحروف، يتصل بعضها ببعض حتى يتم المعنى.

٤- والعجيب، كما في قولهم: «فلان آية في كذا» أي أعجوبة.

وأما معنى الكلمة: فهي لفظٌ موضوع بدلالة المعنى بالوضع، وجمعها الكلمات والكلم.

وأما معنى الحرف: فله معنيان:

أحدهما- حرف الهجاء، مثل: ا، ب، ت، ث.

وثانيهما - ما يستعمل في كلام أهل النحو، وهو ما جاء لمعنى، ليس باسم ولا فعل، نحو:

هَلْ بِلْ، قَدْ... (١٥: ١٦)

الفصل العاشر

نص ابن عطية (م: ٥٤٦) في «المحرر الوجيز...»^١

[معنى الآية]

الآية: فهي العلامة في كلام العرب، ومنه قول الأسير الموصي إلى قومه باللُّغز: بآية ما أكلت معكم حيسًا. فلما كانت الجملة التامة من القرآن علامة على صدق الآتي بها، وعلى عجز المتحدثي بها سُميت آية، هذا قول بعضهم.

وقيل: سُميت آية لما كانت جملة وجماعة كلام، كما تقول العرب: جئنا بآيتنا، أي بجماعتنا. وقيل: لما كانت علامة للفصل بين ما قبلها وما بعدها سُميت آية. ووزن آية عند سيبويه «فَعْلَة» بفتح العين، أصلها «آيَّة»، تحرّكت الياء الأولى وما قبلها مفتوح، فجاءت آية.

وقال الكسائي: أصل آية «آيَّة» على وزن «فاعلة»، حذفت الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها من الإدغام ما لزم في دابة. وقال مكّي في تحليل هذا الوجه: سَكَنْتِ الْوَلَى وَأَدْغَمْتَ، فجاءت آية على وزن دابة، ثم سهّلت الياء المثقلة.

وقيل: أصلها آيَّة على وزن «فَعْلَة» بسكون العين، أبدلت الياء الساكنة ألفًا استغناءً للتضعيف، قاله الفراء، وحكاه أبو علي عن سيبويه في ترجمة: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ﴾^٢. وقال بعض الكوفيين: أصلها آيَّة على وزن «فَعْلَة» بكسر العين؛ أبدلت الياء الأولى ألفًا لنقل الكسر عليها وانفتاح ما قبلها.

(٥٧: ١)

١ - وكذا نصّه في «مقدمتان في علوم القرآن»: ٢٨٤-٢٨٥. (م)

٢ - آل عمران/ ١٤٦.

الفصل الحادي عشر

نصّ الطبرسيّ (م: ٥٤٨) في «مجمع البيان لعلوم القرآن»

في تعداد آي القرآن

اعلم! أنّ عدد أهل الكوفة أصحّ الأعداد وأعلىها إسناداً، لأنّه مأخوذ عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وتعضده الرواية الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «فاتحة الكتاب» سبع آيات إحداهنّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وعدد أهل المدينة: منسوب إلى أبي جعفر يزيد بن القعقاع القارئ، وشيبيّة بن نِصاح، وهما المدنيّ الأوّل، وإلى إسماعيل بن جعفر، وهو المدنيّ الأخير.

وقيل: المدنيّ الأوّل هو الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر.

والمدنيّ الأخير: أبو جعفر وشيبيّة وإسماعيل، والأوّل أشهر.

وعدد أهل البصرة: منسوب إلى عاصم بن أبي الصباح الجَحْدَرِيّ، وأيوب بن المتوكّل، لا يختلفان إلّا في آية واحدة في ص / ٨٤ قوله: ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾، عدّها الجَحْدَرِيّ، وتركها أيّوب.

وعدد أهل مكّة: منسوب إلى مجاهد بن جبر، وإلى إسماعيل المكيّ.

وقيل: لا ينسب عددهم إلى أحد، بل وجد في مصاحفهم على رأس كلّ آية ثلاث نقط.

وعدد أهل الشّام: منسوب إلى عبد الله بن عامر.

والفائدة في معرفة آي القرآن

أن القارئ إذا عدها بأصابعه كان أكثر ثواباً، لأنه قد شغل يده بالقرآن مع قلبه ولسانه، وبالحرى أن تشهد له يوم القيامة، فأنها مسؤولة، ولأن ذلك أقرب إلى التحفظ، فإن القارئ لا يأمن من السهو، وقد روى عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «تعاهدوا القرآن فإنه وحشي». وقال الإمام لأبي بعض النساء: «اعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات ومستنطقات». وقال حمزة بن حبيب وهو أحد القراء السبعة: «العدد مسامير القرآن». (١٠: ٩-١)

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ البقرة / ٣٩

والآيات: جمع آية، ومعنى الآية في اللغة: العلامة... [وذكر كما تقدم عن الطبري]. وقال أبو عبيدة: معنى الآية أنها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها، وانقطاعه من الذي بعدها. وقيل: إن الآية القصّة والرّسالة... [ثم ذكر شعر كعب بن زهير، كما تقدم عن الطبري، فقال:]

فعلى هذا يكون معنى الآيات القصص أي: قصّة تتلو قصّة.

وقال ابن السكيت: خرج القوم بآيتهم أي: بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئاً، وعلى هذا يكون معنى الآية من كتاب الله جماعة حروف دالة على معنى مخصوص. (٩١: ١)

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ أَيْتُكَ...﴾ آل عمران / ٤١

أي علامة لوقت الحمل والولد. فجعل الله تعالى تلك العلامة في إمساك لسانه عن الكلام إلا إيماءً من غير آفة حدثت فيه، بقوله: ﴿قَالَ أَيْتُكَ﴾ أي قال الله. ويحتمل أن يكون المراد قال جبرائيل: ﴿أَيْتُكَ﴾ أي علامتك ﴿أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾ أي إيماءً. (٤٤٠: ١)

الفصل الثاني عشر

نصّ الشّهْرستانيّ (م: ٥٤٨) في «مفاتيح الأسرار...»

[عدد الآي والكلمات والحروف في القرآن]

... آياته: في عدد الكوفيّين: وهو العدد الذي رواه الكسائيّ عن حمزة، ورفع حمزة إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٦٢٣٦، وفي عدّ البصريّين: وهو العدد الذي عليه مصاحفهم ٦٢٠٤، وفي عدد المدنيّ الأوّل عن الحسين بن عليّ^١ وعبدالله بن عمر ٦٢١٧، وفي عدد المدنيّ الآخر عن أبي جعفر وشيبة وإسماعيل ٦٢١٤، وفي عدد المكيّين ٦٢١٩، وفي عدد أهل الشام ٦٢٢٦. وكلماته: ٧٧٤٣٩ وقيل: ٧٧٤٣٦.

وحروفه: ٣٢٣٥١٤، وقيل: ٣٢٢٦١٧، وقيل: ٣٢٥١٨٨، وقيل: ٣٢١٦٧٥.

وقد قيل: في علّة الاختلاف في عدد الحروف والكلمات: إنّ بعضهم كان يعدّ كلّ حرف مشدّد حرفين، فصارت حروفه عنده أكثر من حروف من عدّه حرفاً واحداً، وعدّ بعضهم مثلاً «في خلق» كلمتين، كان يعدّ «في» كلمة و«خلق» كلمة، فصار عدد كلماته أكثر من عدد منّ عدّها كلمة واحدة.

وفي نسخة عن بعض العادّين والمتأخّرين نقلت هو عبدالله بن عبد العزيز:

١- في مجمع البيان: الحسن بن عليّ. (م)

٢- انظر: الروايات المختلفة للأعداد في: مقدّمات: ٢٤٦-٢٤٧، والبرهان ٢٤٩-٢٥١، وفي النسخة أيضاً [وعواشره وخوامسه] مدرجة أمام الأرقام، وليس لها محلّ في هذا المكان.

عدد آي القرآن: ٦٢٤٦ وكلماتها: ٧٧٤٣٦، وحروفها: ٣٢٥٢١١ وعدد ما في القرآن من
الآلف: ٤٨٩٥٥، والباء: ١٢٥٥، والثاء: ١٥١٩٩، والناء: ١٢٥٥، والجيم: ٣٢٧٣، والحاء
٣٩٩٣، والخاء: ٢٤١٦، والذال: ٢٤١٢، والذال: ٤٦٤٢، والراء: ١١٧٩٣، والزاء: ١٤٥٥،
والسين: ٤٩٩١، والشين: ٢٢٤٣، والصاد: ٢٥٨١، والضاد: ٢٦٥٧، والطاء: ١٢٧٤،
والظاء: ٨٤٢، والعين: ٩٥٢٥، والغين: ٢٢٥٨، والفاء: ٨٤٧٧، والقاف: ٩٨١٣، والكاف:
١٥٣٤٤ واللام: ٣٣٤٢٢، والميم: ٢٦١٣٤، والنون: ٢٦٤٦٤، والواو: ٢٤٤٣٦، والهاء:
١٧٥٧٥، والياء: ٢٤٩١٩.

وقد عدّوا آيات سورة الفاتحة ٧: وكلماتها: ٢٨، وقيل: ٢٩، وحروفها: ١٤٤، وكلماتها
الثلاث: ١٢ وتحت كلّ عدد سرّ، وفوق كلّ ذي علم عليم. (١: ١٦٠-١٦٢)

الفصل الثالث عشر

نص الشاطبي (م: ٥٩٠) في «ناظمة الزُّهر في عدد الآي»^١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَتَجَنِّي بِمَوْنِ اللَّهِ عَيْنًا مِنَ الزُّهْرِ	بَدَأَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ نَازِمَةَ الزُّهْرِ
وَلَذْتُ بِهِ فِي السُّرِّ وَالْجَهْرِ مِنْ أَمْرِي	وَعُدْتُ بِرَبِّي مِنْ شُرُورِ قَضَائِهِ
سَمِعَ بِصِيرٍ دَائِمٍ قَادِرٍ وَثَرٍ	بِحَيِّ مُرِيدٍ عَالِمٍ مُتَكَلِّمٍ
وَأَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ لِلذِّكْرِ وَالشُّكْرِ	وَأَحْمَدُهُ حَمْدًا كَثِيرًا مَبَارَكًا
عَلَى خَيْرِ مَخْتَارٍ مِنَ الْمُجْدِّ الْقُرِّ	وَبَعْدُ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
وَعَتَرْتَهُ سُحْبِ الْمَكَارِمِ وَالْبِرِّ	مُحَمَّدٍ الْهَادِي الرَّؤُوفِ وَأَهْلِهِ
عَلَى جَمْعِ آيِ الذِّكْرِ فِي مَشْرِعِ الشُّعْرِ	وَإِنِّي اسْتَحَرْتُ اللَّهَ ثُمَّ اسْتَعْنَيْتُهُ
فَسُرَّ مُحَيَّاهُ بِمَنْحَلِ حَيَا الْقَطْرِ	وَأَنْبَطْتُ فِي أَسْرَارِهِ سِرًّا عَذِيبًا
لِاقْبَالِهَا بَيْنَ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ	سَتَحِييَ مَعَانِيهِ مَغَانِي قَبُولِهَا
فَتَبَسَّمَ عَنْ ثَغْرِ مَا غَابَ مِنْ ثَغْرِ	وَيُطْلَعُ آيَاتُ الْكِتَابِ أَيَّانَهَا
تَخَيَّرَهَا خَيْرَ الْقُرُونِ عَلَى التَّبَسُّرِ	وَيُنْظَمُ أَزْوَاجًا كَثِيرًا مَعَادِرًا

١- هذه رسالة طبعت مع رسائل أخرى في كتاب بعنوان: «تحاف البررة بالمتون العشرة» للشيخ علي محمد الضباع. (م)

هُم بِحُرُوفِ الذِّكْرِ مَعَ كَلِمَاتِهِ
وَهُامُوا بِعَقْدِ الْآيِ فِي صَلَوَاتِهِمْ
وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنْ إِحْرَازَ آيَةٍ
وَقَدْ صَحَّ فِي السَّبْعِ الْمَعَانِي وَغَيْرِهَا
وَلَمَّا رَأَى الْحُقَاطُظُ أَسْلَافَهُمْ عُنُوا
فَعَمِنَ نَافِعٌ عَنْ شَيْبَةٍ وَيَزِيدُ أَوْ
وَحْمَزَةٌ مَعَ سُفْيَانٍ قَدْ أَسْنَدَاهُ عَنْ
وَالْآخِرِ إِسْمَاعِيلَ يَرَوِيهِ عَنْهُمَا
بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَدَّ عَلَيْهِمَا
وَعَدَّ عَطَاءُ بْنُ الْيَسَارِ كَعَاصِمٍ
وَيَحْيَى الذُّمَارِيُّ لِلشَّامِيِّ وَغَيْرِهِ
وَأَكْبَدُهُ أَشْبَاهُ آيٍ كَثِيرَةٍ
وَسَوْفَ يُوَافِي بَيْنَ الْأَعْدَادِ عَدُّهَا
وَعَدُّ الَّذِي يَنْهَى وَالْأَشَقَى وَمَنْ طَفَى
وَمَا بَدَأَهُ حُرُوفُ التَّهْجِي فَايَةً
وَمَا تَأَتَتْ آيَاتُ الطُّوَالِ وَغَيْرِهَا
وَلَكِنْ يُعَوِّثُ الْبَحْثُ لِأَقْلٍ حَدُّهَا
وَقَدْ أُلْفِتْ فِي الْآيِ كُتُبٌ وَإِنِّي
رَوَيْتُ عَنْ أَبِي وَالدُّمَارِيِّ وَعَاصِمٍ

وَأَيَّاتُهُ أَنْشُرُوا بِأَعْدَادِهَا الْكُثْرَ
لِحُضْرِ رَسُولِ اللَّهِ فِي حِفْظِهَا الْمُنْثَرِ
لِأَفْضَلٍ مِنْ كُومٍ مِنَ الْإِبْلِ الْهَمُورِ
مِنَ الْعَدِّ وَالتَّعْيِينِ مَا لَاحَ كَالْفَجْرِ
بِهَا دَوَّ تَوْهَا عَنْ أَوْلَى الْفَضْلِ وَالْبِرِّ
وَلِ الْمَدَنِيِّ إِذْ كُلُّ كُوفٍ بِهِ يُقْرَى
عَلِيٌّ عَنْ أَشْيَاخِ ثِقَاتِ ذَوِي حُسْبٍ
بِنَقْلِ ابْنِ جَمَازٍ سُلَيْمَانَ ذِي النَّشْرِ
لَهُ الْآيِ تَوْسِيْعًا عَلَى الْخَلْقِ فِي الْيُسْرِ
هُوَ الْجَمْدُورِيُّ فِي كُلِّ مَا عُدَّ لِلْبَصْرِ
وَذُو الْعَدَدِ الْمَكِّيُّ أَبِي بِلَالٍ الْكُفْرِ
وَلَيْسَ لَهَا فِي عَزْمَةِ الْعَدِّ مِنْ ذِكْرِ
فَيُوفِي عَلَى تَقْظِمِ الْيَوَاقِيْتِ وَالشُّذْرِ
وَعَنْ مَنْ تَوَلَّى فِي عِدَادِهَا عَذْرٍ
لِكُوفٍ سِوَى ذِي رَاوِطِيسَ وَالْوِثْرِ
عَلَى قَصْرِ إِلَّا لِمَا جَاءَ مَعَ قَصْرِ
عَلَى جَدِّهَا تَغْلُو الْبَشَائِرَ بِالنَّصْرِ
لِمَا أُلْفَ الْفَضْلُ بْنُ شَاذَانَ مُسْتَقَرِّ
مَعَ ابْنِ يَسَارٍ مَا احْتَبَّوْهُ عَلَى يُسْرِ

وما لابن عيسى ساقه في كتابه
ولكنني لم أسر إلا مظاهراً
عسى جمعه في الله يصفو ونفعه
على الله فيه عمدي وتوكلني

وعنه روى الكوفي وفي الكل استبر
يجمع ابن عمار وجمع أبي عمرو
يعم برحماء فيشفي من الضر
ومنه غيائي وهو حسبي مدى الدهر

(٣٤٤-٣٤٢)

الفصل الرابع عشر

نصّ ابن الجوزي (م: ٥٩٧) في «فنون الأفتان في عيون علوم القرآن»^١

[الاختلاف في عدد الآيات]

وأما عدد آي القرآن فمختلف فيها أيضاً على حسب اختلاف العاذين، والعدد منسوب إلى ستة بلدان: مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشّام وحنص، فالعدد المكّي منسوب إلى مجاهد بن جبر، وعبدالله بن كثير،

والمدنيّ على ضربين: مدنيّ أول، ومدنيّ آخر، فالمدنيّ الأول منسوب إلى نقل أهل الكوفة إياه عن أهل المدينة مرسلًا، ولم يسمّوا فيه أحدًا. والمدنيّ الآخر منسوب إلى أبي جعفر يزيد بن الققاع وصهره شيبّة بن نضاح، وبينهما خلاف في ست مسائل، وهنّ له ﴿مِمَّا تُحِثُّونَ﴾^٢، ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُنَّ...﴾^٣، ﴿وَقَدْ جَاءَنَا تَذِيرٌ...﴾^٤، ﴿إِلَى طَعَامِهِ﴾^٥، ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾^٦، ترك هذه الخمس آيات أبو جعفر وعدّهنّ شيبّة، وعدّه أبو جعفر: ﴿مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ﴾^٧ وتركها شيبّة.

قال ابن المنادي: المدنيّ الأول، فلا يدري على الحقيقة في أيّ زمن هو، وكأنّه عدد صحابيّ

١- ط: مطبعة التجاح، الدار البيضاء، سنة ١٩٦٥ م.

٢- آل عمران / ٩٢.

٣- الصافات / ١٦٧.

٤- الملوك / ٩.

٥- عبس / ٢٤.

٦- التكاوير / ٢٦.

٧- آل عمران / ٩٧.

وافق عليه، فلكثر أهله لم يعز إلى أحد مسمّى، فإن كان قبل كُتِبَ كتابٌ صُحِفَ فهو مأخوذ من أفواه الرجال، وإن كان عن مُصَحِّفٍ فهو مأخوذ قبل استنساخه كُتِبَا. فلمّا نشأ أبو جعفر وشيئة اختار من عدّ الماضين كما اختار من الحروف، وأمّا الكوفيّ فممنسوب إلى أبي عبد الرحمن السُّلَميّ عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد نسبته قوم إلى ابن مسعود، والأوّل أصحّ.

وأما البصريّ فممنسوب إلى عاصم بن ميمون الجَحْدَرِيّ، وهو أحد التابعين الحُفَظ الذين ندهم الحجاج إلى عدد حروف القرآن مع الحسن البصريّ ومالك بن دينار وأبي العالية الرّياحيّ وأبي محمّد بن راشد الحِمَانيّ ونُصِرَ بن عاصم اللّيثيّ، فعُدّوه بالشّعير وحسبوه، وقد نسبته بعضهم إلى أيّوب بن المتوكّل، والأوّل أظهر. وأمّا الشاميّ فممنسوب إلى عبد الله بن عاصم اليَحْصِيّ. روى قوم أنّ أيّوب بن ميمم زعم أنّه عدد عثمان بن عفّان رضي الله عنه، والأوّل أصحّ، وقد رُوِيَ عن أهل حِمَصٍ خلاف لما رُوِيَ عن أهل الشّام مطلقاً.

وقد وقع إجماع العادّين على أنّ القرآن ستّة آلاف مائتا آية، ثمّ اختلفوا في الكسر الزائد على ذلك، فروى المِثَالُ بن عمرو عن ابن مسعود أنّه قال: القرآن ستّة آلاف ومائتا آية وسبع عشرة آية، هذا مبلغه في المدنيّ الأوّل، وبه قال نافع، وأمّا في المدنيّ الأخير فأربع عشرة آية عن شَيْبَةَ، وعشر آيات عن أبي جعفر، وفي المكيّ عشرون آية، وفي الكوفيّ ستّ وثلاثون آية، وهو مروى عن حمزة الزيّات، وفي البصريّ خمس آيات وهو مروى عن عاصم الجَحْدَرِيّ وفي رواية عنه: وأربع آيات، وبهذه الرواية قال أيّوب بن المتوكّل البصريّ، وفي رواية عن البصريّين أنّهم قالوا: وتسع عشرة آية، وهو مروى عن يحيى بن الحارث الذّمّاريّ، وقد روى أبو عبد الرحمن عن عليّ عليه السلام أنّه قال: وتسع وعشرون آية، وروى زيد بن وهب عن ابن مسعود أنّه قال: وخمس عشرة آية وروى عن عطّاء الخراسانيّ أنّه قال: وستّ عشرة آية، وروى عن عطّاء بن يسار أنّه قال: وستّ آيات، وثقل عن أهل حِمَصٍ أنّهم قالوا: واثنان وثلاثون آية.

(٣٩-٤٠)

[ثمّ ذكر في ص: ٥٢-٧٣ عدد الآيات في كلّ سورة ولا حاجة إلى ذكرها هنا، وإن شئت فراجع].

الفصل الخامس عشر

نصّ الفخر الرازي (م: ٦٠٦) في «التفسير الكبير»

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ البقرة / ٩٩

المسألة الأولى: الأظهر أن المراد من الآيات البينات القرآن الذي لا يأتي بمثله الجن والإنس ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

وقال بعضهم: لا يمتنع أن يكون المراد من الآيات البينات القرآن مع سائر الدلائل نحو امتناعهم من المباحلة ومن تمتى الموت وسائر المعجزات، نحو إشباع الخلق الكثير من الطعام القليل، ونبوع الماء من بين أصابعه، وانشقاق القمر.

قال القاضي: الأولى تخصيص ذلك بالقرآن، لأن الآيات إذا قرنت إلى التّزويل كانت أخصّ بالقرآن، والله أعلم.

المسألة الثانية: الوجه في تسمية القرآن بالآيات وجوه:

أحدها - أن الآية هي الدّالة، وإذا كانت أبعاد القرآن دالة بفصاحتها على صدق المدّعي كانت آيات.

وثانيها - أن منها ما يدلّ على الإخبار عن الغيوب، فهي دالة على تلك الغيوب.

وثالثها - أنها دالة على دلائل التّوحيد والتّبوّة والشّرائع، فهي آيات من هذه الجهة.

فإن قيل: الدليل لا يكون إلّا بيّناً، فما معنى وصف الآيات بكونها بيّنة؟ وليس لأحد أن

يقول: المراد كون بعضها أبين من بعض، لأن هذا إنّما يصحّ لو أمكن في العلوم أن يكون بعضها أقوى من بعض، وذلك محال، وذلك لأنّ العالم بالشّيء إمّا أن يحصل معه تجويز تقيض ما

اعتقده أو لا يحصل، فإن حصل معه ذلك التجويز لم يكن ذلك الاعتقاد علمًا، وإن لم يحصل استحال أن يكون شيء آخر أكد منه؟

قلنا: التفاوت لا يقع في نفس العلم بل في طريقه، فإن العلوم تنقسم إلى ما يكون طريق تحصيله والدليل الدال عليه أكثر مقدمات، فيكون الوصول إليه أصعب، وإلى ما يكون أقل مقدمات، فيكون الوصول إليه أقرب، وهذا هو «الآية البيّنة». (١٩٩:٣)

﴿وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ البقرة/١٤٥
الآية: وزنها «فَعَلَّة» أصلها: آيَة، فاستنقلوا التشديد في الآيَة فأبدلوا من الياء الأولى ألفًا لافتتاح ما قبلها.

والآية: الحجّة والعلامة، وآية الرجل: شخصه، وخرج القوم بآيتهم: بجماعتهم، وسُميت آية القرآن بذلك لأنها جماعة حروف.
وقيل: لأنها علامة لانقطاع الكلام الذي بعدها.
وقيل: لأنها دالة على انقطاعها عن المخلوقين، وأنها ليست إلّا من كلام الله تعالى.

(١٤١:٤)

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾ الأنعام/٣٧
اعلم! أن هذا النوع الرابع من شبهات منكري نبوة محمد ﷺ، وذلك لأنهم قالوا: لو كان رسولاً من عند الله فهلاً أنزل عليه آية قاهرة ومعجزة باهرة؟
ويروى أن بعض الملحدة طعن، فقال: لو كان محمد ﷺ قد أتى بآية معجزة لما صح أن يقول أولئك الكفار: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ ولما قال: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾؟
والجواب عنه: أن القرآن معجزة قاهرة وبيّنة باهرة، بدليل أنه ﷺ تحدّاهم به فعجزوا عن معارضته، وذلك يدل على كونه معجزاً. بقي أن يقال: فإذا كان الأمر كذلك فكيف قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾؟

فنقول: الجواب عنه من وجوه:

الوجه الأول: لعل القوم طعنوا في كون القرآن معجزاً على سبيل اللجاج والعناد، وقالوا: إنه من جنس الكتب، والكتاب لا يكون من جنس المعجزات، كما في التوراة والزبور والإنجيل، ولأجل هذه الشبهة طلبوا المعجزة.

والوجه الثاني: أنهم طلبوا معجزات قاهرة من جنس معجزات سائر الأنبياء، مثل فلق البحر، وإظلال الجبل، وإحياء الموتى.

والوجه الثالث: أنهم طلبوا مزيد الآيات والمعجزات على سبيل التعتت واللجاج، مثل إنزال الملائكة وإسقاط السماء كسفاً، وسائر ما حكاه عن الكافرين.

والوجه الرابع: أن يكون المراد ما حكاه الله تعالى عن بعضهم في قوله: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ اثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^١، فكل هذه الوجوه مما يحتملها لفظ الآية.

ثم أنه تعالى أجاب عن سؤالهم، فقوله: ﴿قُلْ إِنْ أَلَّهِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾^٢ يعني أنه تعالى قادر على إيجاد ما طلبتموه، وتحصيل ما اقترحتموه... ثم ذكر وجوهاً لبيان طلبهم الآية، وإن شئت فلاحظ.

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا﴾ الأعراف / ٧٣

اختلف العلماء في وجه كون الناقة آية :

[القول الأول]: فقال بعضهم: إنها كانت آية بسبب خروجها بكاملها من الصخرة. قال

القاضي: هذا إن صح فهو معجز من جهات :

إحداها - خروجها من الجبل.

والثانية - كونها لا من ذكرٍ وأنثى.

والثالثة - كمال خلقها من غير تدريج.

والقول الثّاني: إنّها إنّما كانت آية لأجل أنّ لها شُرب يوم، ولجميع عمود شُرب يوم، واستيفاء ناقة شُرب أمة من الأمم عجيب، وكانت مع ذلك تأتي بما يليق بذلك الماء من الكلاء والحشيش.

والقول الثّالث: إنّ وجه الإعجاز فيها أنّهم كانوا في يوم شُربها يحلبون منها القدر الذي يقوم لهم مقام الماء في يوم شُربهم. وقال الحسن: بالعكس من ذلك، فقال: إنّها لم تحلب قطرة لبن قطّ، وهذا الكلام مُنافٍ لما تقدّم.

والقول الرّابع: إنّ وجه الإعجاز فيها أنّ يوم مجيئها إلى الماء كان جميع الحيوانات تمتنع من الورود على الماء، وفي يوم امتناعها كانت الحيوانات تأتي.

واعلم! أنّ القرآن قد دلّ على أنّ فيها آية، فأما ذكر أنّها كانت «آية» من أيّ الوجوه فهو غير مذكور، والعلم حاصل بأنّها كانت معجزة من وجه ما لا محالة. والله أعلم.

قوله: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ فقوله: «آية» نصب على الحال، أيّ أشير إليها في حال كونها آية، ولفظة «هذه» تتضمّن معنى الإشارة، و«آية» في معنى دالة. فلهذا جاز أن تكون حالاً. (١٤: ١٦٢)

الفصل السادس عشر

نصّ السّخاوي (م: ٦٢٣) في «جمال القراء وكمال الإقراء»

[معنى الآية ووزنها وعددها]

الآية في العربية: الدلالة على الشيء والعلامة، وسُميت آيات القرآن بذلك لأنها علامات وشواهد ودلالات على صدق النبي ﷺ، وعلى الحلال والحرام، وسائر الأحكام^١. وقالوا للرّاية: آية لأنها علامة يستدلّون بها، وقال زهير:

أُراني إذا ماشئتُ لاقيتُ آيةً تُذكرُني بغضّ الذي كنتُ ناسياً^٢
أي علامة وأماره، وقال التّابغة:

تَوَهَّمتُ آياتِها فَعَرَفْتُها لِسِتَّةِ أَغْوامٍ وَذَا الْعامِ سابعٍ^٣
وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾^٤، أي علامة ودلالة على صدق ما جاء به نبيكم ﷺ. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^٥، وأما قولهم: جاءوا بآيتهم، فقال أبو عمرو^٦: بجماعتهم، إذا جاءوا ولم يدعُوا وراءهم

١- انظر: تفسير الطبري ١: ٤٧، واللّسان: ١٤: ٦١-٦٢.

٢- ديوانه: ٢٨٨.

٣- ديوانه: ٧٩، وانظر: سيبويه ٢: ٨٦، المقتضب ٤: ٣٢٢.

٤- آل عمران/ ١٣.

٥- آل عمران/ ٤٩.

٦- أبو عمرو الشَّيباني، إسحاق بن مرار، من رمادة الكوفة، و جاور شيبان فنسب إليهم، عاش مائة وثلاثاً وستين سنة، قيل: توفي سنة ٢١٣ هـ طبقات التّحويين و اللّغويين للزبيدي: ص ١٩٤، وتاريخ العلماء التّحويين، التّنوخي: ص ٢٠٧.

وراءهم شيئاً. وقيل: كان الأصل في قولهم: جاءوا بآيتهم للرّاية، ثمّ كثر حتّى قيل للجماعة: آية، وإن لم تكن معهم راية، قال البرج بن مُسهر:

خَرَجْنَا مِنَ الثَّقَيْنِ لَاحِيًّ مِثْلُنَا
بِآيَاتِنَا تَرْجَى اللِّفَاحَ الْمَطَافِلَا^١

قال بعضهم: سُمّيت آيات القرآن بذلك لألّها جماعة حروف أو كلمات^٢.

وأصل آية عند سيبويه: «أَوِيَّة» تحرّكت الواو وانفتح ما قبلها، فقلّبت ألفاً. وجعل سيبويه موضع العين واوًا دون الياء، قال: «لأنّ ما كان موضع العين منه واوًا، واللام ياءً أكثر ممّا موضع العين واللام منه ياء ان، لأنّ مثل «شَوَيْت» أكثر من «حَيَّيْتُ». والتّسبب إليها: «أَوِيٌّ»^٣.

وقال الفراء: آية «فاعلة»، والأصل: «آيَّة»، ولكنها خفّفت فذهبت منها اللام. وجمع آية: آي وآيات، وآيائي على «أفعال»^٤. وأنشد أبو زيد:

لَمْ يَبْقِ هَذَا الدَّهْرُ مِنْ آيَايِهِ
غَيْرَ أَنَا فِيهِ وَأَوْتِدَائِهِ^٥

وآية الرّجل: شخصه، يقال منه: تَأَيَّيْتُه وتَأَيَّيْتُه، مثل تَفَعَّلْتُهُ وتَفَاعَلْتُهُ، إذا قصدت آيتهف وقالت امرأة لابنتها:

الْحُصْنُ أَذْنِي لَوْ تَأَيَّيْتِهِ
مِنْ حَنِيكَ الثَّرْبِ عَلَى الرِّكْبِ^٦

ويروى: (لو تَأَيَّيْتِهِ) بالمدّ.

وقوارع القرآن: الآيات التي يُتَعَوَّدُ بِهَا وَيُتَحَصَّنُ، وسُمّيت بذلك لألّها تَسْقَعُ الشَّيْطَانَ وتُفَرِّغُهُ وتُصْرِفُ كُلَّ مَخَوْفٍ وتُدْفَعُهُ، كآية الكرسي، والمعوذتين، ويس، وتبارك الذي

١- البيت، في اللسان آيا ١٤: ٦٢.

٢- اللسان ١٤: ٦٢.

٣- انظر: الصحاح: آيا ٦: ٢٢٧٥؛ وانظر: «عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ» لابن السمين الحلبي آيا ١: ٢٥.

٤- انظر: اللسان: آيا ١٤: ٦٣.

٥- اللسان: آيا ١٤: ٦١، الصحاح: آيا، وفيهما الرواية: غير أنا فيه وأرمدائه، وفي اللسان: آياته، مكان، آياه.

٦- اللسان: آيا ١٤: ٦١، الصحاح: آيا ٦: ٢٢٧٥.

بيده المُلْك ونحوها.

(١: ١٨٨-١٩١)

أقوى العدد في معرفة العدد

عدد آي القرآن ينقسم إلى المدني الأول والمدني الآخر، والمكي والكوفي، والبصري، والشامي.

والمدني الأول: رواه نافع بن أبي نعيم رضي الله عنه، عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع، شئبة بن نصاح، وبه أخذ القدما من أصحاب نافع.

والمدني الآخر: فهو الذي رواه إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري عن سليمان بن مسلم بن جَمَّاز، عن شئبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب مولى أم سَلَمَة زوج النبي ﷺ وعن أبي جعفر يزيد بن القعقاع مولى عبدالله بن عيَّاش بن أبي ربيعة المخزومي، وعليه الآخذون لقراءة نافع اليوم، وبه تُرسمُ الأَخماس والأعشار، وفواتح السُور في مصاحف أهل المغرب.

وأما عدد المكي: فمُنسوب إلى عبدالله بن كثير رضي الله عنه، وغيره من أهل مَكَّة، وهم يروون ذلك عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

وأما العدد الكوفي: فرواه حمزة بن حبيب الزيات رضي الله عنه بسنده عن أبي عبدالرحمان السُّلَمي، وأبو عبدالرحمان يَسندُ بعضه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأما العدد البصري: فمُنسوب إلى عاصم بن ميمون الجَحْدري.

وأما العدد الشامي: فعن يحيى بن الحارث الذمَّاري رضي الله عنه.

(١: ٤٢١-٤٢٢)

الفصل السابع عشر

نصّ القرطبي (م: ٦٧١) في «الجامع لأحكام القرآن»

[معنى الآية وعددها وعدد الكلمات والحروف]

وأما [معنى] الآية

فهي العلامة، بمعنى أنها علامة لانقطاع الكلام قبلها من الذي بعدها وانفصاله، أي هي بائنة من أختها ومنفردة. وتقول العرب: بيني وبين فلان آية، أي علامة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾^١... [ثم استشهد بشعر الثابتة وبُرج بن مُسنهر، والقول في وجه تسمية آية، كما تقدّم عن السخاوي]

وقيل: سُميت آية لأنها عجب يعجز البشر عن التكلّم بمثلها.

واختلف التحوّيون في أصل آية... [ثم ذكر قول سيبويه والكسائي والقرّاء كما تقدّم عن السخاوي والفخر الرّازي وغيرهما].

[وأما عدد آي القرآن]

وأما عدد القرآن في المدنيّ الأوّل: فقال محمّد بن عيسى: جميع عدد آي القرآن في المدنيّ ستّة آلاف آية، قال أبو عمرو: وهو العدد الذي رواه أهل الكوفة عن أهل المدينة، ولم يستموا في ذلك أحداً بعينه يسندونه إليه. وأما المدنيّ الأخير: فهو قول إسماعيل بن جعفر: ستّة آلاف آية ومائتان آية وأربع عشرة آية.

وقال الفضل: عدد أي القرآن في قول المكِّيِّين ستة آلاف ومئتا آية وتسع عشرة آية.
قال محمد بن عيسى: وجميع عدد أي القرآن في قول الكوفيِّين ستة آلاف آية ومائتا آية
وثلاثون وست آيات، وهو العدد الذي رواه سُلَيْم والكسائي عن حمزة، وأسند الكسائي
إلى علي بن أبي حمزة.
قال محمد: وجميع عدد أي القرآن في عدد البصريِّين ستة آلاف ومائتان وأربع آيات، وهو
العدد الذي مضى عليه سلفهم حتى الآن.
وأما عدد أهل الشام: فقال يحيى بن الحارث الذُمَارِيُّ: ستة آلاف ومائتان وست
وعشرون. في رواية ستة آلاف ومائتان وخمس وعشرون، نقص آية.
قال ابن ذكوان: فظنت أن يحيى لم يعد ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.
قال أبو عمرو: فهذه الأعداد التي يتداولها الناس تأليفاً، ويعدّون بها في سائر الآفاق
قديماً وحديثاً.

وأما [عدد] كلماته وحروفه

فقال الفضل بن شاذان: جميع كلمات القرآن - في قول عطاء بن يسار - سبعة وسبعون
ألفاً وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة، وحروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة
عشر حرفاً.

قلت: هذا يخالف ما تقدّم عن الحمّاني قبل هذا. وقال عبد الله بن كثير عن مجاهد قال: هذا
ما أحصينا من القرآن، وهو ثلاثمائة ألف حرف واحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون
حرفاً، وهذا يخالف ما ذكره قبل هذا الحمّاني من عدد حروفه. (٦٤-٦٥)

[وأما عدد حروفه وأجزائه]

فروى سَلَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحِمَّانِيُّ: أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يَوْسُفَ جَمَعَ الْقُرَّاءَ وَالْحَفَاطَ وَالْكُتَّابَ، فَقَالَ:
أخبروني عن القرآن كلّ كم من حرفٍ هو؟ قال: وكنت فيهم، فحسبنا فأجمعنا على أن
القرآن ثلاثمائة ألف حرف وأربعون ألف حرف وسبعمائة حرف وأربعون حرفاً، وقال:

فأخبروني إلى أي حرف ينتهي نصف القرآن؟ فإذا هو في الكهف ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ في الفاء.
قال: فأخبروني بأثلاثه، فإذا التلث الأول رأس مائة من براءة، والتلث الثاني رأس مائة
أو إحدى ومائة من «طسم الشعراء»، والتلث الثالث ما بقي من القرآن.

قال فأخبروني بأسباعه على الحروف، فإذا أول سبع في النساء ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ﴾^١ في الدال، والسبع الثاني في الأعراف ﴿حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ﴾^٢ في التاء،
والسبع الثالث في الرعد ﴿أَكْلَهَا دَائِمٌ﴾^٣ في الألف من آخر أكلها، والسبع الرابع في الحج
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مُسْكِكًا﴾^٤ في الألف، والسبع الخامس في الأحزاب ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا
مُؤْمِنَةٍ﴾^٥ في الهاء، والسبع السادس في الفتح ﴿الظَّالِمِينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾^٦ في الواو، والسبع
السابع ما بقي من القرآن.

قال سلام أبو محمد: عملناه في أربعة أشهر، وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربعا، فأول
ربعه خاتمة الأنعام. والرابع الثاني في الكهف ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، والرابع الثالث خاتمة الزمر، والرابع
الرابع ما بقي من القرآن. وفي هذه الجملة خلاف مذكور في كتاب «البيان» لأبي عمرو والداني،
من أراد الوقوف عليه وجده هناك.

[المقصود من الكلمة والحروف]

وأما الكلمة فهي الصورة القائمة بجميع ما يختلط بها من الشبهات، أي الحروف، وأطول
الكلم في كتاب الله عز وجل ما بلغ عشرة أحرف، نحو قوله تعالى: ﴿لَيْسَتْ خَلِفَتُهُمْ﴾^٧

١- النساء / ٥٥.

٢- الأعراف / ١٤٧.

٣- الرعد / ٣٥.

٤- الحج / ٣٤.

٥- الأحزاب / ٣٦.

٦- الفتح / ٦.

٧- التور / ٥٥.

﴿أَنْزَلِمُكُمُوهَا﴾^١ وشبههما، فأما قوله: ﴿فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾^٢ فهو عشرة أحرف في الرّسم واحد عشر في اللفظ، وأقصرهنّ ما كان على حرفين نحو ما ولا وله، وما أشبه ذلك. ومن حروف المعاني ما هو على كلمة واحدة، مثل همزة الاستفهام وواو العطف، إلّا أنّه لا ينطق به مفردًا وقد تكون الكلمة وحدها آية تامّة نحو قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾، ﴿وَالضُّحَى﴾، ﴿وَالْعَصْرِ﴾، وكذلك ﴿الْم﴾، ﴿الْمَصَّ﴾، ﴿طه﴾، ﴿يس﴾، ﴿حم﴾ في قول الكوفيين، وذلك في فواتح السّور، فأما في حشوهنّ فلا.

قال أبو عمرو الداني: ولا أعلم كلمة هي وحدها آية إلّا قوله في الرّحمن: ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ لا غير. وقد أتت كلمتان متّصلتان وهما آيتان، وذلك في قوله تعالى: ﴿حَمَّ * عَبَسَ﴾ على قول الكوفيين لا غير.

وقد تكون الكلمة في غير هذا: الآية التّامة، والكلام القائم بنفسه، وإن كان أكثر أو أقلّ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَوَعَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾^٣. قيل: إنّما يعني بالكلمة هاهنا قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ﴾^٤ إلى آخر الآيتين، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾^٥. قال مجاهد: لا إله إلّا الله. قال الثّبيّ رحمه الله: «كلمتان خفيفتان على اللّسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرّحمان، سبحانه الله وبحمده، سبحانه الله العظيم».

وقد تسمّى العرب القصيدة بأسرها والقصّة كلّها كلمة، فيقولون: قال قسّ في كلمته كذا، أي في خطبته، وقال زهير في كلمته كذا، أي في قصيدته، وقال فلان في كلمته، يعني في رسالته، فتسمّى جملة الكلام كلمة إذا كانت الكلمة منها، على عادتهم في تسميتهم الشيء باسم ما

١- هود / ٢٨.

٢- الحجر / ٢٢.

٣- الأعراف / ١٣٧.

٤- القصص / ٥.

٥- الفتح / ٢٦.

هو منه وما قاربه وجاوره، وكان بسبب منه، مجازاً واتساعاً. وأما الحرف فهو الشبهة القائمة وحدها من الكلمة، وقد يسمّى الحرف كلمة والكلمة حرفاً على ما يبتّاه من الاتساع والمجاز. وقال أبو عمرو والدّاني: فإن قيل: فكيف يسمّى ما جاء من حروف الهجاء في الفواتح على حرف واحد نحو: «صّ» و«قّ» و«نّ» حرفاً أو كلمة؟

قلت: كلمة لا حرفاً، ولذلك من جهة أنّ الحرف لا يسكت عليه، ولا ينفرد وحده في الصورة ولا ينفصل ممّا يختلط به، وهذه الحروف مسكوت عليها منفردة منفصلة كأنفراد الكلم وانفصالها، فلذلك سُميت كلمات لا حروفاً.

قال أبو عمرو: وقد يكون الحرف في غير هذا: المذهب والوجه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّبِعُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ أي على وجهٍ ومذهبٍ، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» أي سبعة أوجه من اللّغات، والله أعلم. (٦٧: ٦٨)

الفصل الثامن عشر

نصّ ابن منظور (م: ٧١١) في «لسان العرب»

[الأقوال في معنى الآية واشتقاقها]

والآية: العلامة، وزنها «فَعْلَةٌ» في قول الخليل، وذهب غيره إلى أن أصلها آيَةٌ «فَعْلَةٌ» فقلبت الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها، وهذا قلب شاذّ، كما قلبوها في حارّي وطائي، إلا أن ذلك قليل غير مقيس عليه، والجمع آياتٌ وآي، وآياهُ جمعُ الجمع نادرٌ... ثم ذكر شعراي زيد كما تقدّم عن السخاوي، فقال: [

وأصل آية أويّة، بفتح الواو، وموضع العين واو، والتسبة إليه أويّ، وقيل: أصلها «فاعلة» فذهبت منها اللام أو العين تحفيفاً، ولو جاءت تامّة لكانت آييّة، وقوله عزّ وجلّ: ﴿سُورِهِمْ آيَاتٍ تَتَنَادَى الْأَفْئِقُ﴾.

قال الزّجاج: معناه نريهم الآيات التي تدلّ على التوحيد في الآفاق، أي آثار من مضى قبلهم من خلق الله عزّ وجلّ في كلّ البلاد وفي أنفسهم، من أنهم كانوا طفلاً ثم علقاً ثم مضطجاً ثم عظاماً كُسيت لحماً، ثم نقلوا إلى التمييز والعقل، وذلك كلّ دليل على أن الذي فعله واحد ليس كمثله شيء، تبارك وتقدّس، وتأيّاً الشيء: تَعَمَّدَ آيَتُهُ أي شَخَّصَهُ، وآية الرجل: شَخْصُهُ. ابن السكّيت وغيره يقال: تَأَيَّيْتُه، على تفاعلتّه، وتَأَيَّيْتُه، إذا تعمّدت آيته، أي شخصه وقصدته... ثم استشهد بشعر، وذكر بعدها قول أبي منصور في إيتا، وإن شئت فراجع.]

وأياً آية: وضع علامة. وخرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم... والآية: من التزويل ومن آيات القرآن العزيز؛ قال أبو بكر: سُمِّيَتِ الآية من القرآن آية؛ لأنها علامة، لانقطاع كلام من كلام. ويقال: سُمِّيَتِ الآية آية؛ لأنها جماعة من حروف القرآن. وآيات الله: عجائبه.

وقال ابن خنّزة: الآية من القرآن كأنّها العلامة الّتي يُفَضّى منها إلى غيرها، كأعلام الطريق المنصوبة للهداية، كما قال: إذا مضى علّم منها بدا علّم.

والآية: العلامة، وفي حديث عثمان: «أحلّتهما آية وحرّمتهما آية»، قال ابن الأثير: الآية المحلّة قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^١، والآية المحرّمة قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾^٢، والآية: العبرة، وجمعها أيّ. الفراء في كتاب المصادر: الآية من الآيات والعبر، سمّيت آية كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَالْحُودِ آيَاتٍ﴾، أي أمور وعبر مختلفة، وإثما تركت العرب همزتها كما يهزون كلّ ما جاءت بعد ألف ساكنة، لأنّها كانت فيما يرى في الأصل آية، فنقل عليهم التشديد فأبدلوه ألفاً، لانتفاع ما قبل التشديد، كما قالوا أيّما، لمعنى أمّا. وكان الكسائي يقول: إائه «فاعلة» منقوصة؛ قال الفراء: ولو كان كذلك ما صعرها. إيّته، بكسر الألف؛ قال: وسألته عن ذلك، فقال: صعرّوا عاتكة وفاطمة، عتيّكة وفطيّمة، فالآية مثلهما.

وقال الفراء: ليس كذلك لأنّ العرب لا تصعّر «فاعلة» على «فُعيلة» إلّا أن يكون اسماً في مذهب فُلانة، فيقولون: هذه فُطيّمة قد جاءت، إذا كان اسماً، فإذا قلت: هذه فُطيّمة ابنتها، يعني فاطمته من الرضاع لم يجز، وكذلك صلّيح تصغيراً لرجل اسمه صالح، ولو قال رجل لرجل كيف بنتك؟ قال صوّليح، ولم يجز صلّيح لأنّه ليس باسم، قال: وقال بعضهم: آية «فاعلة» صيرت ياؤها الأولى ألفاً كما فعل بحاجة وقامة، والأصل حائجة وقائمة.

قال الفراء: وذلك خطأ لأنّ هذا يكون في أولاد الثلاثة ولو كان كما قالوا لقيّل في نواة وحياة: ناية وحاية، قال: وهذا فاسد. وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾^٣، ولم يقل آيتين، لأنّ المعنى فيهما معنى آية واحدة، قال ابن عرفة: لأنّ قصتهما واحدة. وقال أبو منصور: لأنّ الآية فيهما معاً آية واحدة، وهي الولادة دون الفحل.

١- النساء/٣.

٢- النساء/٢٣.

٣- المؤمنون/٥٠.

قال ابن سيده: ولو قيل: آيتين لجاز لأنه قد كان في كل واحد منهما ما لم يكن في ذكر
ولا أنثى من أنها ولدت من غير فعل، ولأن عيسى عليه السلام روح الله ألقاه في مريم، ولم يكن هذا
في ولد قط، وقالوا: افعله بآية كذا، كما تقول: بعلامة كذا وأمارته، وهي من الأسماء المضافة
إلى الأفعال كقوله:

بآية تُقَدِّمُونَ الْخَيْلَ شُعْنًا كَأَنَّهُ عَلَى سَنَابِكِهَا مُدَامًا

وعين الآية ياء كقول الشاعر: لم يُبَيِّحِ هذا الدهرُ من آياته... فظهور العين في آياته يدل
على كون العين ياء، وذلك أن وزن آياه «أفعال» ولو كانت العين واوًا لقال: آوائه، إذ لا مانع
من ظهور الواو في هذا الموضع.

وقال الجوهري: قال سيبويه: موضع العين من الآية واو، لأن ما كان موضع العين منه واو،
واللآم ياء أكثر مما موضع العين واللآم منه ياء، ان، مثل شَوَيْتُ أكثر من حَيَّيْتُ، قال: وتكون
التسبة إليه أووي؛ قال الفراء: هي من الفعل فاعلة، وإنما ذهب منه اللآم، ولوجاءت تامة
لجاءت آيسية، ولكنها خُفِّفَتْ، وجمع الآية أي وآياي وآيات؛ وأنشد أبو زيد: لم يبق هذا
الدهر من آياه...

قال ابن بري: لم يذكر سيبويه أن عين آية واو، كما ذكر الجوهري، وإنما قال أصلها آية،
فأبدلت الياء الساكنة ألفاً؛ وحكي عن الخليل أن وزنها «فَعْلَةٌ» وأجاز في التسبب إلى آية أيي
وأيي وآوي، قال: فأما أووي فلم يقله أحد علمته غير الجوهري. وقال ابن بري أيضاً
عند قول الجوهري في جمع الآية آياي، قال: صوابه آياه، بالهمز، لأن الياء إذا وقعت طرفاً بعد
ألف زائدة قلبت همزة، وهو جمع أي لا آية. (٦٣-٦١: ٤)

الفصل التاسع عشر

نصّ الثيسابوريّ (م: ٧٢٨) في «غرائب القرآن...»
[معنى الآية والكلمة والحرف]

وأما الآية:

فقد قال جمع من العلماء: إنّها في القرآن عبارة عن كلام متصل إلى انقطاعه وانقطاع معناه فصلاً فصلاً، ولا يخفى توقف الآية على التوقيف.

وقال غيرهم: معناها العلامة، لأنّها تدلّ على نفسها بانفصالها عن الآية المتقدمة عليها والمتأخّرة عنها.

وقيل: معناها جماعة حروف، من قولهم: خرج القوم بأيّتهم، أي بجماعتهم ولم يدعوا ورائهم شيئاً.

وقيل: معناها العجيبة، لأنّها عجيبة لمباينتها كلام المخلوقين، من قولهم: فلان آية من الآيات. واختلف في وزنها... [وذكر كما تقدّم عن القيسيّ والطوسيّ والقرطبيّ وابن منظور وغيرهم، ثمّ قال:]

وأما الكلمة:

فإنّ تراكيب «ك، ل، م» تفيد القوّة والشدّة، وتقاليب هذه الحروف الثلاثة بحسب الاشتقاق الكبير ستّة: واحد مهمل والبواقي معتبرة منها «ك، ل، م»، فمعنى الكلام، لأنّه يقرع السّمع ويؤثّر فيه، وأيضاً يؤثّر في الذّهن بواسطة إفادة المعنى، ومنه الكلم للجرح وفيه شدّة، ومنها «ك، م، ل» لأنّ الكامل أقوى من التّاقص، ومنها «ل، ك، م» ومعنى الشدّة في الالأم واضح، ومنها «م، ك، ل» ومنه: بشر مكول، إذا قلّ ماؤها، وإذا كان كذلك، كان ورودها

مكروها، فيحصل نوع شدة عند ورودها. وأيضاً أنها تدلّ على شدة منابعها، ومنها «م، ل، ك» ومنه: ملكت العجين، إذا نعمت عجنه، ومنه: ملك الإنسان لأنه نوع قوة.

ولفظ الكلمة قد يستعمل في اللفظة الواحدة، وقد يراد بها الكلام الكثير المرتبط ببعضه ببعض، ومنه: قولهم للقصيدة: كلمة، ومنه: كلمة الشهادة «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» ولأنّ المجاز خير من الاشتراك، فإطلاق الكلمة على الكلام المركّب مجاز، إمّا من باب إطلاق الجزء على الكلّ، وإمّا من باب المشابهة، لأنّ الكلام المرتبط يشبه المفرد في الوحدة، وأفعال الله تعالى كلماته، إمّا لأنه حدث بقوله: كن، أو لأنه حدث في زمان قليل كما تحدث الكلمة كذلك.

وعند التحويين: الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد. وفائد القيود تذكر في ذلك العلم. والكلام ما تضمن كلمتين بالإسناد. ومنكر الكلام التّفسيّ اتفقوا على أن الكلام اسم لهذه الألفاظ والكلمات. والأشاعرة يشبّون الكلام التّفسيّ ويقولون:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفَوَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللَّسَانُ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا

وقد تسمّى الكلمات والعبارات أحاديث، لأنّ كلّ واحدة منها تحدث عقيب صاحبها، قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾^١. وجمع الكلمة كلم، والتاء في الكلمة ليست للوحدة كاللّبنة واللّبن، والرّطبة والرّطب، لأنّ الرّطب واللّبن مذكر، والكلم مؤنث، وتصغير رطب: رطّيب، وتصغير كلم: كلّيمات بالرّدة إلى كلمة، ثمّ جمعه بالآلف والتاء، وقد يكون الكلام مصدرًا بمعنى التّكليم كالسلامة بمعنى التّسليم، قال تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾^٢. فسرّه ابن عباس بتكليم الله موسى وقت المناجاة.

وَأَمَّا الْحَرْفُ:

فهو الواحد من حروف المعجم، سُمّي حرفاً لقلة ودقته، ولذلك قيل: حرف الشيء

لطرفه، لأنه آخره والقليل منه.

والحرف أيضاً: التّاقة المهزولة، وقد يقال للسّمينه أيضاً: حرف، فهو من الأضداد.

والحرف أيضاً: اللّغة، قال عنه: «أنزل القرآن على سبعة أحرف».

والحرف أيضاً: القراءة بكماها، والقصيدة بتمامها.

والحرف أيضاً: أحد أقسام الكلمة، وذلك أن الكلمة إن احتاجت في الدلالة على معناها الإفرادي إلى ضميعة نحو: من وقد، فهو حرف، وإلا فإن كانت في أصل الوضع بهيئتها التصريفية على أحد الأزمنة الثلاثة الماضي والحال والاستقبال، فهو فعل، نحو: نصّر ويُنصّر، وإلا فهو اسم كالإنسان، فإن معناه لا يقتصر بالزّمان أصلاً، ومثل اليوم والسّاعة والزّمان، فإنّ الزّمان كلّ معناه، ومثل الصّبح والغبوق، لأنّ الزّمان جزء معناه، ومثل علم وجهل وضرب، فإنّ معناه يدلّ على الزّمان عقلاً لا بحسب الهيئته، ومثل ضارب ومضروب.

فإنّه لو سلّم أنّ معناه يدلّ على الزّمان بحسب الهيئته، إذ لكلّ منهما هيئة مخصوصة، لكنّها ليست في أصل الوضع ولا يخرج من حدّ الفعل، نحو: عسى، ممّا لا يدلّ على زمان، لأنّ تجرّده عن الزّمان عرض لغرض الإنشاء، ولا الفعل المستقبل، لكون معناه مقترناً بزمانين: الحال والاستقبال، لأنّ قولنا بأحد الأزمنة تحديد لأدنى درجات الاقتران، ولو سلّم أنّه يجب الاقتران بأحد الأزمنة فقط، فذلك في أصل الوضع، ولا مانع من اقترانه بعد ذلك بزمان آخر.

الفصل العشرون

نصّ حيدر الآمليّ (م: ٧٩٤) في «تفسير المحيط الأعظم...»

في بيان آيات الله الآفاقية وتطبيقاتها بكلمات الله القرآنية

[المراد من آيات الله الآفاقية]

فهو أن يتحقّق عندك أن آيات الله القرآنية كما هي عبارة عن هيئة جامعة مركّبة من كلمات قرآنية، فكذلك آيات الله الآفاقية، فإنّها عبارة عن هيئة جامعة مركّبة من كلمات آفاقية مسّاة بالأجناس والأنواع والأصناف والأشخاص، كما سبق ذكرها، كالعرش والكرسيّ والأفلاك والأجرام، والسّموات والجبال والعنصر والسّحاب وأمثال ذلك، المشار إليها في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾^١. وفي قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^٢.

[المقصود من الآية]

هذا من حيث التعيّن، وأمّا من حيث الإطلاق فكلّ ما في العالم فإنّه آية إلهيّة كلّياً كان أوجز ثبوتاً، أنواعاً كان أو أجناساً، مركّباً كان أو بسيطاً، لأنّ الكلّ من حيث الكلّ، أو كلّ واحد

١-الرّعد/٢.

٢-آل عمران/١٩٠.

واحد منه دالّ على معرفته، ومعرفة ذاته وصفاته وأفعاله شاهد على وحدته ووجوبه ووجوده وبقائه، كما قيل:

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد

وليس المراد من الآية إلّا ما تدلّ عليه وعلى معرفته، وما سُمّي العالم عالمًا إلّا لأجل ذلك، لأنّه مأخوذ من العلامة، فهو الدلالة، فكأنّه علم لذاته المقدّسة ودلالة على معرفتها. وعند الأكثرين أسماء الله تعالى بمثابة الأعلام، خصوصًا اسم الله الذي هو اسم الذات مطلقًا، كما سنبينه إن شاء الله. لأنّ العلم في الوضع هو ما يعلم به الشيء، ويدلّ على معرفة ذلك الشيء، والعالم يدلّ على ذاته، ويعلم به صفاته وأسمائه وأفعاله كما قيل... فيكون العالم حينئذٍ علمًا على ذاته بالضرورة وشاهدًا عليها، والذي ورد في اصطلاح المحقّقين من أهل الله يعضد ذلك كلّهُ، وهو قولهم بالنسبة إلى العالم وتعريفه: العالم هو الظلّ الثّاني، وليس إلّا وجود الحقّ الظّاهر بصوّر الممكنات كلّها، فلظهوره بتعيّنها سُمّي باسم السّوى والغير باعتبار إضافته إلى الممكنات، إذ لا وجود للممكن إلّا بمجرد هذه التّسمية، وإلّا فالوجود عين الحقّ، والحقّ هوية العالم وروحه.

وهذه التّعيّينات في الوجود الواحد أحكام اسمه الظّاهر الذي هو مجلّ لاسمه الباطن، وأعظم شاهد في هذا قوله الذي سبق مرارًا: ﴿سُتْرِهِمْ أَيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^١. ونعم الشّاهد القرآن، ونعم الدّليل الوجدان.

(٢٢٦-٢٢٧)

في بيان كلمات الله الآفاقية وتطبيقاتها بالكلمات القرآنية

فهو أن يتحقّق عندك أنّ كلمات القرآن كما هي عبارة عن الكلمات المركّبة من الحروف المفردة والبسيطة التي هي حروف التّهجّي، فكذلك كلمات الآفاق، فإنّها عبارة عن الكلمات المركّبة من الحروف البسيطة الآفاقية المشار إليها في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ

أَقْلَامُ وَالْبَحْرِ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^١.

[المقصود من الكلمات الآفاقية]

وهذه الكلمات إجمالاً، فهي عبارة عن المواليد الثلاثة من المعدن، والتّبات، والحيوان، وتفصيلاً عن كلّ متعين بتعين شخصيٍّ صوريّاً كان أو معنويّاً، من الملّك والجنّ والإنس والحيوان والدّواب وغير ذلك.

وهذه الإشارة لو كانت إشارة إلى الكلمات القرآنيّة لم يكن يبالغ في عدم إنفاذها إلى هذه الغاية، لأنّ الكلمات القرآنيّة بحسب الصّورة تنفذ بوقته من المداد فضلاً عن البحور، وإن فرض من حيث المعنى، فإنفاذها وعدم إنفاذها يرجع إلى ما قلناه، وهو أنّه مشتمل على الكتاب الآفاقيّ وأسراره وحقائقه، وأنه نسخة إجماله وتفصيله، ويعضد ذلك ما ورد في اصطلاح القوم من تعريف الكلمة وتقسيمها، وهو قولهم: الكلمة يكتئى بها عن كلّ واحدة من الماهيّات والأعيان والحقائق والموجودات الخارجيّة، وعلى الجملة عن كلّ واحدة من الماهيّات والأعيان والحقائق والموجودات الخارجيّة، وعلى الجملة عن كلّ متعين، وقد تخصّص المعقولات بين الماهيّات والحقائق والموجودات والأعيان بالكلمة المعنويّة الغيبيّة، والخارجيّات بالكلمة الوجوديّة، والمجرّدات المفارقات بالكلمة التّامة. والكلّ راجع إلى الكلمات الآفاقية دون القرآنيّة، وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَوَكَّمْتُ كَلِمَةً رَبُّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^٢، لأنّ كلماته الآفاقية الباقية الدائمة لا تبدل لها من حيث هي هي، بل من حيث الثقل من صورة إلى صورة أخرى، كما هو مقرر في بحث المعاد.

[إطلاق الكلمة في القرآن على الموجودات الخارجيّة]

والكلمة والآية والحروف لولم تصدق على الموجودات الخارجيّة لم يكن تعالى يسمّي

الإنسان تارةً بالحروف لقوله في حق نبيّنا ﷺ: «يسّ»، «طه» وأمثال ذلك^١. ولم يكن يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «أنا التّقطة تحت الباء»، وتارةً بالكلمة في حق عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾^٢. ولم يكن يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا آلم ذلك الكتاب، أنا كيّصّ، أنا القرآن التّاطق، أنا كلمة الله العليّا»، وتارةً بالآية، لقوله في حق عيسى و مريم: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾. ولم يكن يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا آية الجبّار، أنا فلك الاقدار» وأمثال ذلك ممّا ورد في الخطبة الافتخاريّة.

(٢١٢-٢١٤)

١- قوله: في حق نبيّنا ﷺ «يسّ» و «طه» وأمثال ذلك: في «معاني الأخبار» للشيخ الجليل الصدوق: ٢٢، الحديث ١: بإسناده عن سفيان بن سعيد الثوريّ، قال: قلت لجعفر بن محمد عليه السلام: ما معنى قول الله عزّ وجلّ: «طه» و «يسّ»؟ قال عليه السلام: وأما «طه» فاسم من أسماء التّبيّ، ومعناه: يا طالب الحقّ الهادي إليه. وأما «يسّ»، فاسم من أسماء التّبيّ، ومعناه: يا أيّها السّامع للوحي». قال العلّامة الطّباطبائيّ عليه السلام في تفسيره: الميزان ١٤: ٢٧، ورد عن أبي جعفر عليه السلام كما في روح المعاني، وعن أبي عبد الله عليه السلام كما في معاني الأخبار بإسناده عن الثّوريّ: أن «طه» من أسماء التّبيّ، كما ورد في روايات أخرى أن «يسّ» من أسماء، وروى الاسمين معاً في الدرّ المنثور عن ابن مردويه عن سيف عن أبي جعفر. أورد البحراني في تفسير البرهان ٣: ٢٩ نقلاً عن بصائر الدّرجات لسعد بن عبد الله بإسناده عن الكلينيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: يا كلّبيّ كم لمحمد ﷺ من اسم في القرآن؟ فقلت: إسمان أو ثلاثة، فقال: يا كلّبيّ له عشرة أسماء....

الفصل الحادي والعشرون

نصّ الزّر كشيّ (م: ٧٩٤) في «البرهان في علوم القرآن»

[في معنى الآية لغةً واصطلاحاً]

أما في اللغة؛ فلها ثلاثة معانٍ... [ثم ذكر معانيها ووزنها، كما تقدّم نحوها عن الطّوسي والفخر الرّازي والقرطبي وابن منظور...].

وأما في الاصطلاح؛ فقال الجعّفريّ في كتاب «المفرد في معرفة العدد»: حدّ الآية قرآن مركّب من جمل ولوتقديرًا، ذومبدأ ومقطّع مندرج في سورة، وأصلها العلامة، ومنه: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾، لأنّها علامة للفضل والصدق، أو الجماعة، لأنّها جماعة كلمة. وقال غيره: الآية طائفة من القرآن، منقطعة عمّا قبلها وما بعدها، ليس بينها شبه بما سواها.

وقيل: هي الواحدة من المعدادات في السّور، سُمّيت به لأنّها علامة على صدق مَنْ أتى بها، وعلى عجز المتحدّئ بها. وقيل: لأنّها علامة انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعها عمّا بعدها.

قال الواحدي: وبعض أصحابنا يجوز على هذا القول تسمية أقلّ من الآية آية، لولا أنّ التّوقيف ورد بما هي عليه الآن.

وقال ابن المنيّر في «البحر»: ليس في القرآن كلمة واحدة آية إلّا ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾.

وقال بعضهم: الصّحيح أنّها إنّما تُعلم بتوقيف من الشّارع، لاجمال للقياس فيه كمعرفة السّورة فالآية طائفة حروف من القرآن علّم بالتّوقيف انقطاعها معنًى عن الكلام الّذي بعدها في أوّل القرآن وعن الكلام الّذي قبلها في آخر القرآن، وعن الكلام الّذي قبلها والّذي بعدها في غيرهما، غير مشتمل على مثل ذلك. قال وبهذا القيد خرّجت السّورة.

وقال الزمخشري: الآيات؛ علم توقيف لا مجال للقياس فيه، فعدّوا «آلم» آية حيث وقعت من السّورة المفتتح بها، وهي ستّ وكذلك «آلمص» آية و«آلمر» لم تعدّ آية، و«آلر» ليست بآية في سورّها الخمس. و«طسم» آية في سورتيها و«طه» و«يس» آيتان و«طس» ليست بآية و«حم» آية في سورّها كلّها و«حم عسق» آيتان و«كهيعص» آية واحدة و«ص» و«ق» و«ن» ثلاثها لم تعدّ آية. هذا مذهب الكوفيين، ومن عداهم لم يعدّوا شيئاً منها آية.

وقال بعضهم: إنّما عدّوا «يس» آية ولم يعدّوا «طس» لأنّ «طس» تشبه المفرد، كقائيل في الزّنة والحروف، و«يس» تشبه الجملة من جهة أن أوله ياء، وليس لنا مفرد أوله ياء.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: ذكر النبي ﷺ: «أنّ الفاتحة سبع آيات، وسورة الملك ثلاثون آية، وصحّ أنّه قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران. قال: وتعدد الآتي من مفصلات القرآن، ومن آياته طويل وقصير، ومنه ما ينقطع، ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام، ومنه ما يكون في أثناؤه، كقوله: ﴿الْقَمَرُ عَلَيْهِمْ﴾ على مذهب أهل المدينة، فإنّهم يعدّونها آية، وينبغي أن يعولّ في ذلك على فعل السلف... [ثمّ ذكر تعداد حروف الكلمة قلّة وكثرة في القرآن كما تقدّم عن القرطبي].

(٢٦٦-٢٦٨)

[عدد الآيات]

وقال غيره: أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستّة آلاف آية، ثمّ اختلفوا فيما زاد على ذلك على أقوال؛ فمنهم من لم يزد على ذلك. ومنهم من قال ومائتا آية وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة آية، وقيل: مائتان وتسع عشرة آية، وقيل: مائتان وخمس وعشرون آية، أو ستّ وعشرون آية، وقيل: مائتان وستّ وثلاثون، حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتاب «البيان». وعدد آياته في قول عليّ عليه السلام: ستّة آلاف ومائتان وثمانية عشرة. وعطاء: ستّة آلاف ومائة وسبع وسبعون. وحُميد: ستّة آلاف ومائتان واثنان عشرة، وراشد: ستّة آلاف ومائتان وأربع.

وقال حُمَيْدُ الْأَعْرَجِ: نصفه ﴿مَعَى صَبْرًا﴾^١ في الكهف، وقيل: عين ﴿تَسْتَطِيعُ﴾^٢ وقيل: ثاني لامي ﴿وَلَيَتَلَطَّفُ﴾^٣.

واعلم! أن سبب اختلاف العلماء في عدّ الآي والكلم والحروف أن النَّبِيَّ ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلّها وصل للتّمام، فيحسب السّامع أنها ليست فاصلة، وأيضًا البُسْمَلَةُ نزلت مع السّورة في بعض الأحرف السّبعة، فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدّها، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدّها. وسبب الاختلاف في الكلمة، أن الكلمة لها حقيقة وبجاز ورسم، واعتبار كل منها جائز، وكلّ من العلماء اعتبر أحد الجوانز.

وأطول سورة في القرآن هي: «البقرة» وأقصرها: «الكوثر». وأطول آية فيه: آية الدّين مائة وثمان وعشرون كلمة، وخمسمائة وأربعون حرفًا. وأقصر آية فيه: ﴿وَالضُّحَى﴾ ثم ﴿وَالْفَجْرِ﴾؛ كل كلمة خمسة أحرف تقديرًا ثم لفظًا، ستة رسمًا، لا ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ لأنها سبعة أحرف لفظًا ورسمًا، وثمانية تقديرًا، ولا ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾^٤ لأنها كلمتان، خمسة أحرف رسمًا وكتابةً، وستة أحرف تقديرًا، خلافًا لبعضهم. وأطول كلمة فيه لفظًا وكتابةً بلا زيادة ﴿فَأَسْقِيتَ كُمُوهُ﴾^٥ أحد عشر لفظًا، ثم ﴿اقْرَأْ تُمُوهَا﴾^٦ عشرة، وكذا ﴿أَنْزَلْ مَكُمُوهَا﴾، ﴿وَالْمُسْتَضَعِّفِينَ﴾، ثم ﴿لَيْسْتَ خَلْفَهُمْ﴾، تسعة لفظًا، وعشرة تقديرًا. وأقصرها نحوباء الجبر، حرف واحد، لا أنها حرفان، خلافاً لـ «الدّاني» فيها.

(١: ٢٥١-٢٥٢)

١- الكهف / ٦٧.

٢- الكهف / ٤١.

٣- الكهف / ١٩.

٤- البقرة / ٢٨٢.

٥- المدثر / ٢١.

٦- الحجر / ٢٢.

٧- القوبة / ٢٤.

الفصل الثاني والعشرون

نصّ الفيروز آبادي (م: ٨١٧) في «بصائر ذوي التمييز»

[معنى الآية والحرف]

وأما الآية: ففي أصل اللغة: بمعنى العَجَب، وبمعنى العلامة، وبمعنى الجماعة. سُمِّيت آيةُ القرآن آيةً لأنها علامة دالة على ما تضمّنته من الأحكام، وعلامة دالة على انقطاعه عما بعده وعما قبله، ولأنّ فيها عجائب من القصص، والأمثال، والتفصيل، والإجمال، والتمييز عن كلام المخلوقين، ولأنّ كلّ آية جماعة من الحروف، وكلام متّصل المعنى إلى أن ينقطع وينفرد بإفادة المعنى. والعرب تقول: خرج القوم بآياتهم أي بجماعتهم... [ثمّ استشهد بشعر وذكر بعدها قول سيبويه والكسائي كما تقدّم سابقاً فلاحظ].

وأما الحرف: فقد جاء لمعانٍ منها: طَرَف الشيء، وحدّ السيف، وذروة الجبل، وواحد حروف الهجاء، والثاقفة السميّنة القويّة، والثاقفة الضعيفة، وقسيم الاسم والفعل.

ف قيل للحرف: حرف لوقوعه في طَرَف الكلمة، أو لضعفه في نفسه، أو لحصول قوّة الكلمة به، أو لانحرافه؛ فإنّ كلّ حرف من حروف المعجم مختصّ بنوع انحراف يميّز به عن سائر الحروف.

(١: ٨٥-٨٦)

[مصاديق الآية في القرآن]

[بعد ذكر قول الراغب والدّامغاني قال: [وحيثنّذ تصير جملة الآيات في القرآن من طريق

الفائدة والبيان على اثني عشر نوعاً:

- الأول - آية البيان والحكمة: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا...﴾^١.
- الثاني - آية العون والثورة: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾^٢.
- الثالث - آية القيامة: ﴿وَأَن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا﴾^٣.
- الرابع - آية الابتلاء والتجربة: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾^٤.
- الخامس - آية العذاب والمهلكة: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾^٥.
- السادس - آية الفضيلة والرحمة: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾^٦.
- السابع - آية المعجزة والكرامة: ﴿لَنَّا عِيدٌ الْأَوَّلْنَا وَآخِرْنَا وَآيَةٌ مِنْكَ﴾^٧.
- الثامن - آية العظة والعبرة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ﴾^٨.
- التاسع - آية التشريف والتكريم: ﴿وَلَنَجْجَعَنَّكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾^٩.
- العاشر - آية العلامة: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾^{١٠}.
- الحادي عشر - آية الإعراض والتكبر: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾^{١١}.
- الثاني عشر - آية الدليل والحجة: ﴿سَتَرِبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾^{١٢}. (٦٥: ٢)

١- البقرة / ١٥١.

٢- آل عمران / ١٣.

٣- القمر / ٢.

٤- سبأ / ١٥.

٥- الأعراف / ٧٣.

٦- آل عمران / ٩٧.

٧- المائدة / ١١٤.

٨- يوسف / ٧.

٩- البقرة / ٢٥٩.

١٠- آل عمران / ٤١.

١١- الأنعام / ٤.

١٢- فصلت / ٥٣.

عدد الآتي والكلمات والحروف والتُّقَط وكل حرف من حروف التَّهْجِي

وأما عدد الآيات

فإن صدر الأمة وأئمة السلف من العلماء والقراء كانوا ذوي عناية شديدة في باب القرآن وعلمه، حتّى لم يبق لفظ ومعنى إلّا بحثوا عنه، حتّى الآيات والكلمات والحروف، فلإنهم حَصَرُوا وعدّوها. وبين القراء في ذلك اختلاف؛ لكنّه لفظي لا حقيقيّ.

مثال ذلك أن قراء الكوفة عدّوا قوله: ﴿وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ﴾ آيةً، والباقيون لم يعدّوها آيةً. وقراء الكوفة عدّوا: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ آيةً، والباقيون لم يعدّوها، بل جعلوا آخر الآية: ﴿فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾^١ و﴿لَا مَلَأَنَّا جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^٢. وهكذا عدّ أهل مكة والمدينة والكوفة والشام آخر الآية: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾^٣، وأهل البصرة جعلوا آخرها: ﴿وَالْأَخْرَبِينَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾^٤ ولا شك أن ما هذا سبيله اختلاف في التسمية لا اختلاف في القرآن.

ومن هاهنا صار عند بعضهم آيات القرآن أكثر، وعند بعضهم أقلّ، لأن بعضهم يزيد فيه، وبعضهم ينقص، فإن الزيادة والنقصان في القرآن كفر ونفاق، على أنّه غير مقدور للبشر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^٥.

فإذا علمت هذه القاعدة في الآيات، فكذلك الأمر في الكلمات والحروف، فإن بعض القراء عدّ «في السماء» و«في الأرض» و«في خلق» وأمثالها كلمتين، على أن «في» كلمة،

١- ص / ٨٤.

٢- ص / ٢.

٣- أي هي آخر الآية الثانية، وهي أواخر سورة ص / ٨٥.

٤- ص / ٣٧.

٥- ص / ٣٨.

٦- المجر / ٩.

و«السَّاء» كلمة، وبعضهم عدَّها كلمةً واحدةً، فمن ذلك حصل الاختلاف، لأنَّ مَنْ عدَّ «في السَّاء» وأمثاله كلمتين كانت كلمات القرآن عنده أكثر. وأمَّا الحروف فإنَّ بعض القراء عدَّ الحرف المشدَّد حرفين، فيكون على هذا القرآن عنده أكثر.

فإذا فهمت ذلك، فاعلم! أنَّ عدد آيات القرآن عند أهل الكوفة ستَّة آلاف ومائتان وست و ثلاثون آية. هكذا مُسند المشايخ من طريق الكسائي إلى عليِّ بن أبي طالب. وقال سُلَيم عن حمزة قال: هو عدد أبي عبد الرَّحمان السُّلَمي. ولا شكَّ فيه أنه عن عليٍّ، إلَّا أنَّني أُجِبُّ عنه. وروى عبد الله بن وهب عن عبد الله بن مسعود أنه قال: آيات القرآن ستَّة آلاف ومائتان و ثمانِي عشرة آية. وحروفها ثلاثمائة ألف حرف وستَّمائة حرف وسبعون حرفاً، بكلِّ حرفٍ منها عشر حسنات لقارئ القرآن.

وروي عن الفضل بن عبد الحُثَّان قال: سمعت أبا مُعَاذٍ التَّحَوِي يَقُول: القرآن ستَّة آلاف آية ومائتان وسبع عشرة آية. وهو ثلاثمائة ألف حرفٍ وأحد وعشرون ألفَ حرفٍ ومائتان حرفٍ.

قال صاحبُ^١ «الإيضاح»: عدد آيات القرآن في قول^٢ المدنيِّ الأوَّل ستَّة آلاف ومائتان وأربع عشرة آية، وهو أحد وعشرون ألف. وهو العدد الَّذِي رواه أهل الكوفة عن أهل المدينة، قال: وفي قول المدنيِّ الأخير^٣ ستَّة آلاف ومائتان وسبع عشرة آية. وهو عدد شَيْبَةَ بنِ نَصَّاح، قال: وفي عدد يزيد بن القَعْقَاع: ستَّة آلاف ومائتان وعشر آيات.

قال: وعددها عند أهل مَكَّة ستَّة آلاف وعشر آيات. وفي بعض الروايات مائتان وخمس، وفي بعضها مائتان وأربع. وعند أهل الشَّام ستَّة آلاف ومائتان وستَّ وعشرون آية. وروينا عن ابن عَبَّاس وابن سيرين أنه ستَّة آلاف ومائتان وستَّ عشرة آية، وعن عطاء بن يَسَار أنه ستَّة آلاف ومائة وتسعون وسبع آيات. وعن قَتَادَةَ مائتان وثمانِي عشرة آية. هذه جملة

١- هو أبو عليِّ الحسن بن عليٍّ بن إبراهيم الأهوازي المتوفَّى سنة ٤٤٦ هـ. (انظر: كشف الظُّنون).

٢- هو ما يرويه نافع عن شيخه أبي جعفر يزيد بن القَعْقَاع، وشيْبَةَ بنِ نَصَّاح. (انظر: شرح ناظمة الزُّهري: ١٧).

٣- هو ما يرويه إسماعيل بن جعفر عن سليمان بن جَمَّاز عن يزيد وشيْبَةَ. (المرجع السابق: ١٨).

الاختلاف في عدّ الآي.

قلت: ومن هذه الجملة ألف آيةٍ وستّ مائة آيةٍ في قصص الأنبياء، وألف ومائتان في شرائع الإيمان، وألف وعشرون في التوحيد والصفات، وألف في ترتيب الولايات، وأربع مائة في الرقبة وتعويذ الآفات، وأربع مائة في أنواع المعاملات، ومائة في عذر جرّم العصاة، ومائة في ضمان أرزاق البريات، وسبعون في جهاد الغزاة، وخمسون فيما يتعلّق بقصد مكّة وعرفات. وبالباقي في أحكام التّكاح، وطلاق المنكوحات.

أمّا عدد كلمات القرآن:

اعلم! أن كلمات القرآن مع أوائل السّور — نحو حم والم — سبعون ألفاً وسبعة آلاف وأربع مائة وسبع وثلاثون كلمة. ورؤي عن عطاء بن يسار أنّها سبعون ألفاً وسبعة آلاف وأربع مائة وسبع وثلاثون كلمة، ومائتان وسبع وسبعون.

وأمّا عدد الحروف:

فإنّ جملتها ثلاثمائة ألف وثلاث وعشرون ألفاً وستّ مائة وأحد وسبعون حرفاً.

قال صاحب «الإيضاح»: [أخبرني] بذلك أبو الحسن بن الحسين إجازةً، أخبرنا عبد الرّحمان بن محمّد، أنا ابن سلّم، أنا وكيع، حدّثني الحسن بن عبّاس، أنا محمّد بن أيّوب، قال: حسّبوا حروف القرآن وفيهم حميد بن قيس، فعرضوه على مجاهد وسعيد بن جبّير، فلم يخطئوهم فبلغ ما عدّوه ثلاثمائة ألف حرفٍ وثلاثة وعشرين ألف حرفٍ وأحد وسبعين حرفاً، وعدّوا كلّ القرآن بما فيه من الحرف — يعني الم وحم — فبلغ سبعاً وسبعين ألف كلمة وأربع مائة كلمة وسبعاً وثلاثين كلمة.

قال: وأخبرنا الحسن، أنا أبو الحسن، أنا ابن سلّم، أنا وكيع، أنا إسماعيل بن مّجمع، أنا محمّد بن يحيى، أنا عبد الملك بن عبد الرّحمان، حدّثني أيّوب، وأبو عكرمة، عن مرجّس، عن جعفر بن سلّيمان، عن مالك بن دينار، وراشد وغيرهما قالوا: قال لنا الحجاج: عدّوا لي حروف القرآن، ومعنا الحسن وأبو العالية، ونضر بن عاصم فحسّبنا بالشّعير، وأجمعنا على أنّه

ثلاثمائة ألف حرفٍ وثلاثة وعشرون حرفاً. وفي رواية عطاء بن يسار: ثلاثمائة ألف حرفٍ وستون ألفاً وثلاثة وعشرون حرفاً. وكلماته سبع وسبعون ألف كلمةٍ ومائتان وسبع وسبعون كلمةً.

قال وكيع: قال: أبو عمر حفص بن عمر: حدثني أبو عمارة حمزة بن القاسم، عن حمزة الرّياتي، وأبي حفص الحرّاز، قالوا: حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرفٍ وثلاثة وسبعون ألف حرفٍ ومائتان وخمسون حرفاً.

وقال وكيع: أخبرني الحارث بن محمد، عن محمد بن مسعود عن محمد بن عمر، عن سويد ابن عبدالعزيز، عن يحيى بن الحارث الذّمّاريّ قال: عدد حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرفٍ وأحد وعشرون ألف حرفٍ ومائتا حرفٍ وخمسون حرفاً.

قال وكيع: وذكر ابن شماس عن أبي عمر عن سهل بن حماد، عن شهاب بن شريق، عن راشد أبي محمد - وكان شهد الحجاج حين ميّز القرآن - قال: القرآن ستّة آلاف ومائة وسبع وتسعون آيةً. وحروفه ثلاثمائة ألف وأحد وعشرون ألف حرفٍ ومائة وثمانية وثمانون حرفاً. وروى بسنده عن عبد الواحد الضّرير، قال: القرآن ثلاثمائة ألف حرفٍ وأحد وعشرون ألف حرفٍ ومائتان وخمسون حرفاً. وقال: القرآن ستّة وسبعون ألف كلمةً. وأما نقطه:

فجملة نقط القرآن مائة ألف وخمسون ألفاً وستّة آلاف وإحدى وثمانون نقطة... [ثم ذكر عدد حروف القرآن من «الألف» إلى «الياء» كما تقدّم عن ابن عطية، فقال:]

وأما ينقله أبو الفضائل المعينيّ في تفسيره، ففيه زيادة ونقص على هذا. فإنه قال جملة:

الألفات: أربعون ألفاً وثمانية آلاف واثنان وتسعون ألفاً.

والباءات: اثنا عشر ألفاً وأربعمائة وثمان وعشرون.

والتّاءات: ألفان وأربعمائة وأربع.

والشّاءات: ألف ومائة وخمس.

والجيمات: أربعة آلاف وثلاثمائة واثنان وعشرون.

- والخاءات : أربعة آلاف ومائة وثلاثون .
 والخاءات : ألفان وخمسمائة وخمس .
 والذّالات : خمسة آلاف وتسع مائة وثمانٍ وسبعون .
 والذّالات : أربعة آلاف وتسع مائة وتسع وثلاثون .
 والراءات : اثنتا عشرة ألفاً ومائتان وستٍ وأربعون .
 والزّيات : ثلاثة آلاف وستٍ وثلاثون .
 والسّينات : خمسة آلاف وتسعمائة وستٍ وتسعون .
 والشّينات : ألفان ومائة وإحدى عشرة .
 والصّادات : ألف وستّمائة واثنان وسبعون .
 والضّادات : ألفان وسبع وثلاثون .
 والطّاءات : ألفان ومائتان وأربع وسبعون .
 والظّاءات : ثمانمائة واثنان وأربعون .
 والعينات : تسعة آلاف وأربعمائة وسبع عشرة .
 والغّينات : ألف ومائتان وسبع عشرة .
 والفاءات : ثمانية آلاف وأربعمائة وتسع عشرة .
 والقافات : ستّة آلاف ومائتان وثلاث عشرة .
 والكافات : عشرة آلاف وخمسمائة وثمانٍ وعشرون .
 واللامات : ثلاثون ألفاً وثلاثة آلاف وخمسمائة واثننا عشرة .
 والميمات : عشرون ألفاً وستّة آلاف وسبعمائة وخمس وخمسون .
 والثّونات : أربعون ألفاً وخمسة آلاف ومائة وتسع .
 والواوات : عشرون ألفاً وخمسة آلاف وخمسمائة وستٍ وثمانون .
 والهاءات : ستّة عشر ألفاً وسبعون .
 واللاءات : أربعة آلاف وتسعمائة وتسع .

والياءات: عشرون ألفاً وخمسة آلاف وتسعمائة وتسع عشرة.
 هذه سُورُ القرآن - بكماها - مع ذكر موضوع التزول، وعدد الآيات، والحروف،
 والكلمات، والنقاط، وما اشتملت عليه السورة من المقاصد، وما فيها من المنسوخ والتاسخ،
 وما اختلف فيها من الآيات، وما ورد في فضل السورة. (٥٦٦-٥٥٨:١)

نصّه أيضاً في «القاموس المحيط»

[معنى الآية]

الآية: العلامة والشخص، وزنها «فَعْلَةٌ» بالفتح أو «فَعْلَةٌ» محركة أو «فاعلة»، جمعها:
 آيات وآي وآياي جمع الجمع: آباء. والعبرة جمعها: آي، والإمارة.
 ومن القرآن: كلام متّصل إلى انقطاعه. وآية تضاف إلى الفعل لقرب معناها من معنى
 الوقت. وإيا الشمس: في الحروف اللينة.
 وتآيئته وتآيئته: قصدت شخصه وتعمّدت. وتآيى بالمكان: تلبّث عليه وتأوى. وموضع
 مائي الكلاء: وخيمه. (٣٠٣: ٤)

الفصل الثالث والعشرون

نصّ السيوطي (م: ٩١١) في «الإتقان في علوم القرآن»

فصل في عدد الآي

أفرد جماعة من القراء بالتصنيف... ثم ذكر قول الجعبري والواحي والذاني والزنجشري وغيرهم، كما تقدّم عن الزركشي، فقال:

قلت: ومما يدلّ على أنّه توقيفيّ ما أخرجه أحمد في «مسنده» من طريق عاصم بن أبي النّجود، عن زرّ، عن ابن مسعود، قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورة من الثلاثين من آل حم. قال: يعني الأحقاف. وقال: وكانت السّورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سُمّيت الثلاثين.. الحديث.

وقال ابن العربي: ذكر التّبيّ ﷺ أن الفاتحة سبع آيات... [وذكر كما تقدّم عن الزركشي، ثم قال:]

وقال غيره: سبب اختلاف السّلف في عدد الآي أن التّبيّ ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتّوقيف، فإذا علم محلّها وصل للتّمام، فيحسب السّامع حينئذٍ أنّها ليست فاصلة.

وقد أخرج ابن الضّرّيس، من طريق عثمان بن عطاء، عن أبيه عن ابن عبّاس قال: جميع آي القرآن ستّة آلاف وستّمائة آية، وجميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستّمائة حرف وواحد وسبعون حرفاً.

قال الذّاني: أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستّة آلاف آية، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك، فمنهم من لم يزد، ومنهم من قال: ومائتا آية وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة. وقيل:

وتسع عشرة، وقيل: وخمس وعشرون. وقيل: وست وثلاثون.

قلت: أخرج الديلمي في «مُسْنَد الفردوس»، من طريق الفيض بن وثيق، عن فرات بن سلمان، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس مرفوعاً: «دَرَجَ الجنة على قدر آي القرآن، بكل آية درجة، فذلك ستة آلاف آية ومائتا آية وست عشرة آية، بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأرض. الفيض قال فيه ابن معين كَذَّابٌ حَبِيثٌ.

وفي «الشُعَب» للبيهقي من حديث عائشة مرفوعاً: «عدد دَرَجَ الجنة عدد آي القرآن، فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة». قال الحاكم: إسناده صحيح، لكنه شاذ. وأخرجه الآجري في «حَمَلَة القرآن» من وجه آخر عنها موقوفاً.

قال أبو عبد الله الموصلي في شرح قصيدته «ذات الرشد في العدد»: «اختلف في عدد آي أهل المدينة ومكة والشام والبصرة والكوفة، ولأهل المدينة عددان:

عدد أول: وهو عدد أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح.
وعدد آخر: وهو عدد إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري.

وأما عدد أهل مكة: فهو مروى عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، عن ابن عباس عن أبي بن كعب.

وأما عدد أهل الشام: فرواه هارون بن موسى الأخفش وغيره عن عبد الله بن ذكوان وأحمد بن يزيد الحلواني وغيره، عن هشام بن عمار. ورواه ابن ذكوان وهشام عن أيوب بن تميم القارئ، عن يحيى بن الحارث الذماري. قال: هذا العدد الذي نعهده عدد أهل الشام بما رواه الشيخة لنا عن الصحابة. ورواه عبد الله بن عامر اليحصبي لنا وغيره عن أبي الدرداء.

وأما عدد أهل البصرة: فمداره على عاصم بن العجاج المحدثي.

وأما عدد أهل الكوفة: فهو المضاف إلى حمزة بن حبيب الزيات وأبي الحسن الكسائي وخلف بن هشام، قال حمزة: أخبرنا بهذا العدد ابن أبي ليلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب.

قال الموصلي: ثم سَوَّر القرآن على ثلاثة أقسام: قسم لم يختلف فيه، لا في إجمال ولا في

تفصيل، وقسم اختُلف فيه تفصيلاً لا إجمالاً، وقسم اختُلف فيه إجمالاً وتفصيلاً.

[القسم] الأول - أربعون سورة: يوسف مائة وإحدى عشرة، الحجر تسع وتسعون، التَّحَلُّ مائة وثمانٍ وعشرون، الفرقان سبع وسبعون، الأحزاب ثلاث وسبعون، الفتح تسع وعشرون، الحُجُرَات والتَّغَايُن ثمانٍ عشرة، ق خمس وأربعون، الذَّارِيَات سِتُّون، القمر خمس وخمسون، الحشر أربع وعشرون، الممتحنة ثلاث عشرة، الصَّف أربع عشرة، الجُمُعَة والمنافقون والضُّحَى والعاديات إحدى عشرة، التَّحْرِيم اثنتا عشرة، ن اثنتان وخمسون، الإنسان إحدى وثلاثون، المرسلات خمسون، التَّكْوِير تسع وعشرون، الانْفِطَار وَسَبْع تسع عشرة، التَّطْفِيف سِتُّ وثلاثون، البروج اثنتان وعشرون، الغاشية سِتُّ وعشرون، البلد عشرون، اللَّيْل إحدى وعشرون، ألم نشرح والتَّين وأهّاكم ثمانٍ، المُعَزَّة تسع، الفيل والفلق وتَبَّت خمس، الكافرون ستّ، الكوثر والتَّصر ثلاث .

والقسم الثَّاني - أربع سُور: القصص ثمانٍ وثمانون، عدّ أهل الكوفة «طسّم» والباقون بدّها ﴿أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾^١، العنكبوت تسع وستون، عدّ أهل الكوفة «آلم»، والبَصْرَة بدّها ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^٢، والشَّام ﴿وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ﴾^٣، الجن ثمانٍ وعشرون. عدّ المكيّ ﴿لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾^٤، والباقون بدّها ﴿وَلَن أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحِدًا﴾^٥، والعصر ثلاث، عدّ المدني الأخير ﴿وَتَوَّاصُوا بِالْحَقِّ﴾^٦ دون «والعصر» وعكس الباقيون.

والقسم الثَّالث - سبعون سورة:

الفاحة: الجمهور سبع، فدّ الكوفي والمكيّ التَّسْمِلة دون ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وعكس

١- القصص/٢٣.

٢- العنكبوت/٦٥.

٣- العنكبوت/٢٩.

٤- الجن/٢٢.

٥- الكهف/٢٧.

٦- العصر/٣.

الباقون. وقال الحسن: ثمان، فعدّهما، وبعضهم ستّ فلم يعدّهما، وأخر تسع فعدّهما ﴿وَأَيُّكَ تَعْبُدُ﴾.

ويقوي الأول ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن خزيمة والحاكم والدارقطني وغيرهم عن أم سلمة: أن النبي ﷺ كان يقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - إلى - وَلَا الضَّالِّينَ. قطعها آية آية، وعدّها عدّ الأعراب، وعدّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية، ولم يعدّ ﴿عَلَيْهِمْ﴾. وأخرج الدارقطني بسند صحيح عن عبد خير، قال: سُئِلَ عَلِيٌّ عَنِ السَّبْعِ الْمَثَانِي فَقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فْقِيلَ لَهُ: إِنَّمَا هِيَ سِتُّ آيَاتٍ فَقَالَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية.

البقرة: مائتان وثمانون وخمس، وقيل: ستّ، وقيل: سبع.

آل عمران: مائتان وقيل: إلّا آية.

النساء: مائة وسبعون وخمس، وقيل: ستّ، وقيل: سبع.

المائدة: مائة وعشرون، وقيل: اثنتان، وقيل: وثلاث.

الأنعام: مائة وسبعون وخمس، وقيل: ستّ، وقيل: سبع.

الأعراف: مائتان وخمس، وقيل: ستّ.

الأنفال: سبعون وخمس، وقيل: ستّ، وقيل: سبع.

براءة: مائة وثلاثون، وقيل: إلّا آية.

يونس: مائة وعشر، وقيل: إلّا آية.

هود: مائة وإحدى وعشرون، وقيل: اثنتان، وقيل: ثلاث.

الرعد: أربعون وثلاث، وقيل: أربع، وقيل: سبع.

إبراهيم: إحدى وخمسون، وقيل: اثنتان، وقيل: أربع، وقيل: خمس.

الإسراء: مائة وعشر، وقيل: وإحدى عشرة.

الكهف: مائة وخمس، وقيل: وستّ، وقيل: وعشر، وقيل: وإحدى عشرة.

- مرسيم: تسعون وتسع، وقيل: ثمان.
- طسه: مائة وثلاثون واثنتان، وقيل: أربع، وقيل: خمس، وقيل: وأربعون.
- الأنبياء: مائة وإحدى عشرة، وقيل: واثنتا عشرة.
- الحج: سبعون وأربع، وقيل: خمس، وقيل: ست، وقيل: ثمان.
- قد أفلح: مائة وثمانى عشرة، وقيل: تسع عشرة.
- الثور: ستون واثنتان، وقيل: أربع.
- الشعراء: مائتان وعشرون وست، وقيل: سبع.
- التمل: تسعون واثنتان، وقيل: أربع، وقيل: خمس.
- الروم: ستون، وقيل: إلا آية.
- لقمان: ثلاثون وثلاث، وقيل: أربع.
- السجدة: ثلاثون، وقيل: إلا آية.
- سبأ: خمسون وأربع، وقيل: خمس.
- فاطر: أربعون وست، وقيل: خمس.
- يس: ثمانون وثلاث، وقيل: اثنتان.
- الصافات: مائة وثمانون وآية، وقيل: آيتان.
- ص: ثمانون وخمس، وقيل: ست، وقيل: ثمان.
- الزمر: سبعون وآيتان، وقيل: ثلاث، وقيل: خمس.
- غافر: ثمانون وآيتان، وقيل: أربع، وقيل: خمس، وقيل: ست.
- فصلت: خمسون واثنتان، وقيل: ثلاث، وقيل: أربع.
- الشورى: خمسون، وقيل: ثلاث.
- الزخرف: ثمانون وتسع، وقيل: ثمان.
- الدخان: خمسون وست وقيل: سبع، وقيل: تسع.

- الجبائية: ثلاثون وست، وقيل: سبع .
- الأحفاف: ثلاثون وأربع، وقيل: خمس .
- القتال: أربعون، وقيل: إلا آية، وقيل: إلا آيتين .
- الطُور: أربعون وسبع، وقيل: ثمان، وقيل: تسع .
- النَّجْم: إحدى وستون، وقيل: اثنتان .
- الرَّحْمَن: سبعون وسبع، وقيل: ست، وقيل: ثمان .
- الواقعة: تسعون وتسع، وقيل: سبع، وقيل: ست .
- الحديد: ثلاثون وثمان، وقيل: تسع .
- قد سمع: اثنتان وعشرون، وقيل: إحدى وعشرون .
- الطلاق: إحدى عشرة، وقيل: اثنتا عشرة .
- تبارك: ثلاثون، وقيل: إحدى وثلاثون، بعد ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَاٰذِيْرٌ﴾ .
- قال الموصلي: والصحيح الأول .
- قال ابن شَنِبُوذ: ولا يسوغ لأحدٍ خلافه، للأخبار الواردة في ذلك .
- أخرج أحمد وأصحاب السنن وحسنه الترمذي، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: إنَّ سورة في القرآن ثلاثين آية شُفعت لصاحبها، حتَّى غُفِرَ له، تبارك الذي بيده الملك .
- وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ سورة القرآن ما هي إلا ثلاثون آية، خاصمت عن صاحبها حتَّى أدخلته الجنة، وهي سورة تبارك .
- الحاقة: إحدى، وقيل: اثنتان وخمسون .
- المعارج: أربعون، وأربع، وقيل: ثلاث .
- نوح: ثلاثون، وقيل: إلا آية، وقيل: إلا آيتين .
- المزمل: عشرون، وقيل: إلا آية، وقيل: إلا آيتين .

المدّثر: خمسون وخمس، وقيل: ستّ.

القيامة: أربعون، وقيل: إلّا آية.

عمّ: أربعون، وقيل: وآية.

النازعات: أربعون وخمس وقيل ستّ.

عبس: أربعون، وقيل: وآية، وقيل: وآيتان.

الشّقاق: عشرون وثلاثة، وقيل: أربع، وقيل: خمس.

الطّارق: سبع عشرة، وقيل: ستّ عشرة.

الفجر: ثلاثون، وقيل: إلّا آية، وقيل: اثنتان وثلاثون.

الشمس: خمس عشرة، وقيل: ستّ عشرة.

اقرأ: عشرون، وقيل: إلّا آية.

القدر: خمس، وقيل: ستّ.

لم يكن: ثمان، وقيل: تسع.

الزلزلة: تسع، وقيل: ثمان.

القارعة: ثمان، وقيل: عشر وقيل: إحدى عشرة.

قرّيش: أربع، وقيل: خمس.

أرايت: سبع، وقيل: ستّ.

الإخلاص: أربع، وقيل: خمس.

النّاس: سبع، وقيل: ستّ.

(١: ٢٣٠-٢٣٩)

ضوابط

البسملة نزلت مع السّورة في بعض الأحرف السّبعة، من قرأ بحرف نزلت فيه عدّها، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدّها.

وعدّ أهل الكوفة «آم» حيث وقع آية، وكذا «آمّص» و«طه» و«كهيعص» و«طسم»

و«يس» و«حم» وعدّوا «حم عسق» آيتين، ومن عداهم لم يعدّ شيئاً من ذلك.
وأجمع أهل العدد على أنّه لا يعدّ «الر» حيث وقع آية، وكذا «المّر» و«طس»
و«ص» و«ق» و«ن». ثمّ منهم: من علّل بالأثر واتباع المنقول وأنه أمر لا قياس فيه. ومنهم من
قال: لم يعدّوا «ص» و«ن» و«ق» لأنّها على حرف واحد، ولا «طس» لأنّها خالفت أخويها
بجذب الميم، ولأنّها تشبه المفرد كقبايل، و«يس» وإن كانت بهذا الوزن، لكن أولها ياء.
فأشبهت الجمع، إذ ليس لنا مفرد أوله ياء. ولم يعدّوا «الر» بخلاف «الم» لأنّها أشبه بالفواصل
من «الر» وكذلك أجمعوا على عدّ «يا أيّها المذتّر» آية لمشاكلته الفواصل بعده، واختلفوا في
«يا أيّها المزمل».

قال الموصلي: وعدّوا قوله: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ آية، وليس في القرآن أقصر منها، أمّا مثلها
ف«عم»، و«الفجر» و«الضحى»...

[عدد كلمات القرآن]

وعدّ قوم: كلمات القرآن سبعة وسبعين ألف كلمة، وتسعمائة وأربعاً وثلاثين كلمة.
وقيل: وأربعمائة وسبعمائة وثلاثين.
وقيل: ومائتان وسبع وسبعون، وقيل: غير ذلك.
وقيل: وسبب الاختلاف في عدّ الكلمات أنّ الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم، واعتبار
كلّ منها جائز، وكلّ من العلماء اعتبر أحد الجوانب.

[عدد حروف القرآن]

وتقدّم عن ابن عباس عدد حروفه، وفيه أقوال أخر، والاشتغال باستيعاب ذلك ممّا
لا طائل تحته، وقد استوعبه ابن الجوزي في «فنون الأفتان» وعدّ الأنصاف والأثلاث إلى
الأعشار، وأوسع القول في ذلك، فراجع منه، فإنّ كتابنا موضوع للمهمّات لا لمثل
هذه البطالات.

وقد قال السخاوي: لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة، لأنّ ذلك إن أفاد فإفاداً

يفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والتقصان، والقرآن لا يمكن فيه ذلك.

ومن الأحاديث في اعتبار الحروف ما أخرجه الترمذي عن ابن مسعود مرفوعاً: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف».

وأخرج الطبراني عن عمر بن الخطاب مرفوعاً: «القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف، فمن قرأه صابراً محتسباً كان له بكل حرف زوجة من الحور العين»، رجاله ثقات إلا شيخ الطبراني محمد بن عبيد بن آدم بن أبي إياس، تكلم فيه الذهبي لهذا الحديث. وقد حمل ذلك على ما نسخ رسمه من القرآن أيضاً، إذا الموجود الآن لا يبلغ هذا العدد.

(١: ٢٤٠-٢٤٣)

الفصل الرابع والعشرون

نصّ الشيخ البهائي (م: ١٠٣١) في «الكشكول»

بيان ما اشتمل عليه القرآن المجيد

إن مجموع الكلمات في القرآن ٧٦٤٤٠ كلمةً ومجموع الحروف ٧٢٢٣٣٢ حرفاً.

[أما عدد حروف الهجاء في القرآن]

لتسلسل	الحروف	عددها	التسلسل	الحروف	عددها
١	اللافتات	٤٠٧٢	١٥	الضادات	١٢٠٠
٢	الباءات	١١١٤٠	١٦	الطاءات	٨٤٠
٣	التاءات	١٢٩٩	١٧	الظاءات	٩٣٢٠
٤	الثاءات	١٢٩١	١٨	العينات	١٠٢٠
٥	الجيمات	٣٢٩٣	١٩	الغينات	٧٤٩٩
٦	الحاءات	١١٧٩	٢٠	الفاءات	٢٥٠٠
٧	الخاءات	٢٤١٩	٢١	القافات	٥٢٤٠
٨	الدالات	٤٣٩٨	٢٢	الكافات	٢٢٠٠٠
٩	الذالات	٤٨٤٠	٢٣	اللامات	١٤٥٩١
١٠	الراءات	١٠٩٠٣	٢٤	الميمات	٢٠٥٦٠
١١	الزاءات	٩٥٨٣	٢٥	الثونان	٢٠٣٦
١٢	السينات	٤٥٩١	٢٦	الراوات	١٣٧٠٠
١٣	الشينات	٢٥١٣٣	٢٧	الماءات	٧٠٠
١٤	الصادات	١٢٨٤	٢٨	الياءات	٥٠٢

الفصل الخامس والعشرون

نصَّ الطُّرَيْحِيُّ (م: ١٠٨٥) في «مجمع البحرين...»

[معنى الآية]

قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلِّسَّائِلِينَ﴾^١ هي جمع «آية» وهي العبرة، والآيات: العلامات والمعائب.

قوله: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتٍ لِيَسْجُتْنَ عَنْهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾^٢ قيل: هي شهادة الصبي، والقميص المخرق من دُبر، واستباقهما الباب حتى سُمع مجاذبتها إيَّاه على الباب، فلَمَّا عصاها لم تزل مولعةً بزوجها حتى حبسه.

قوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾^٣ أي علامات واضحات، وهي - على ما جاءت به الرواية - أثر قدمي إبراهيم عليه السلام، والحجر الأسود، ومنزل إسماعيل عليه السلام.

قوله: ﴿لِئْرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾^٤ قال الشيخ أبو علي: الآيات التي أراها الله تعالى لمحمد ﷺ حين أسري به إلى البيت المقدس أن حشر الله عزَّ ذكره الأولين والآخرين من التَّبَيِّن والمرسلين، ثم أمر جبرئيل فأذن شفعًا وأقام شفعًا، وقال في أذانه: حيَّ على خير العمل، ثم تقدَّم فصلِّي بالقوم، فلَمَّا انصرف قال لهم: غلامٌ تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا

١- يوسف / ٧.

٢- يوسف / ٣٥.

٣- آل عمران / ٩٧.

٤- الإسراء / ١.

إله إلا الله وحده لا شريك له، وأتاك رسوله أخذ على ذلك عهدنا وميثاقنا . انتهى
ومنه يعلم جواب من يقول: كيف قال تعالى: ﴿وَسَنُلْهِمُكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾^١،
والتي ﷺ لم يدركهم ﴿سُرِّيهِمْ أَيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^٢، في
الآفاق: مثل الكسوف والزلازل وما يعرض في السماء من الآيات، وفي أنفسهم مرة بالجوع،
ومرة بالعطش، ومرة يشبع، ومرة يروى، ومرة يمرض، ومرة يصح، ومرة يفتقر، ومرة
يستغني، ومرة يرضى، ومرة يغضب، ومرة يخاف، ومرة يأمن، فهذا من عظيم دلالة الله على
التوحيد.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾^٣ لم يقل آيتين، لأن قصتهما واحدة، وقيل: لأن الآية
فيهما معاً، وهي الولادة بغير فحل.

قوله: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^٤ نقل: «أنه أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها
أوائل هذه الأمة»، أي شيئاً من أجزائها إلى زمان بعثة النبي ﷺ.

وفي الخبر: «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» الآية هنا: الكلام المفيد نحو: «مَنْ سَكَتَ نَجَا» أي بَلَّغُوا
عَنِّي أحاديث ولو قليلة.

وفي حديث مدح الإسلام وجعله آية لمن توسم. التوسم: التفرس، أي من تفرس الخير في
الإسلام كان علامة له عليه.

والآية من القرآن، قيل: كل كلام متصل إلى انقطاعه. وقيل: ما يحسن السكوت عليه.
وقيل: هي جماعة حروف، من قولهم: «خرج القوم بآيتهم» أي بجماعتهم... [ثم ذكر قول
الجوهري كما تقدم عنه]. (٤٠-٣٩:١)

١- الزخرف / ٤٥.

٢- فصلت / ٥٣.

٣- المؤمنون / ٥٠.

٤- القمر / ١٥.

الفصل السادس والعشرون

نصّ البروجرديّ (م: ١٢٧٧) في «الصّراط المستقيم»

معنى الآية والكلمة والحرف

أمّا الآية: فهي في الأصل بمعنى العلامة، أو العلامة التي فيها العبرة، أو التي فيها الحجة، أو العلامة الظاهرة، وبمعنى العجب، من قولهم: فلان آية في العلم، والعبرة، والشخص. ولعلّ الأظهر كونها حقيقةً في الأوّل، وإن أطلقت على الجميع باعتبار الموارد، وعليه حمل قوله تعالى: ﴿عِيدُ الْإِوْلَاءِ وَآخِرِنَا وَآيَةُ مِنْكَ﴾^١، أي علامة لإجابتك دعائنا، وآيات الكتاب: علامات ودلالات على معانيها.

وعن أبي عبيدة أنّ معنى الآية أنّها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها وانقطاعه عمّا بعدها، ويقال: إنّ الآية هي القصّة والرّسالة... [ثمّ استشهد بشعرا بن زهير، كما تقدّم عن الطبريّ، وذكر قول ابن السكّيت كما تقدّم عن الطبرسي].

قال في الصّحاح: الآية: العلامة والأصل أوّية بالتحريك، قال سيبويه... [وذكر كما تقدّم عن السّخاوي].

وقال القاسي: اشتقاقها من أيّ، لأنّها تبين أيّاً من أيّ، أو من أوي إليه، وأصلها «أية» أو «أوّية» كنمرة، فأبدلت عينها ألفاً على غير قياس، أو «أوية» أو «أيّّة» كرملة فأعلّت، أو «آنية» كقابلة فحذفت الهمزة تخفيفاً.

ثمّ أنّها قد غلبت في دين الإسلام غلبة عرفيّة عامّة، أو خاصّة متشرّعة، أو شرعيّة، وإن كان الأظهر الأخير في جماعة حروف أقصرها اثنان، مثل حم ويس، وأطولها آية المداينة في أواخر البقرة، وهي مائة وثلاث وثلاثون كلمة على ما قيل، وهو مبنيّ على عدم عدّ الحرف الواحد آية كما استقرّت عليه كلمتهم.

قال شيخنا الطبرسيّ في «المجمع»: لم يعدّ «ق» آية، ولا نظراؤه من: ن وص، لأنّه مفرد وكلّ مفرد فإنّه لا يعدّ لبعده عن شبه الجملة، فأما المركّب فما أشبه الجملة ووافق رؤوس الآي فإنّه يعدّ مثل: طه وحمّ والم.

أقول: ومن هنا يظهر أنّهم اعتبروا في معناها معنى الجمعيّة الّتي أحد معانيها، من قولهم: خرج القوم بآيتهم، أي بجمعهم، وإن كانت مع ذلك عبرة وعلامة واضحة، وحجّة بيّنة على صدق النبيّ ﷺ، ولذا كان كلّ آية منه معجزة أبد الدهر، وعلى الحقائق الكلّيّة والعلوم الرّبانيّة، والمعارف الإلهيّة الّتي هي دليل عليها حسبما سمعت، فكأنّه قد لوحظت في المنقول إليه جميع المعاني، كما هو الأوفق بالجمعيّة المعبرة في مسماها، فإنّ الأظهر حصول الثقل الشرعيّ فيها.

ولذا قال الجاحظ: سمّى الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمّى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل، سمّى جملته قرآناً كما سمّوا ديواناً، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كفاية.

ثمّ لا يخفى أنّ ما ذكرناه في تعريف الآية تعريف لفظي، لم نقصد به إلّا المعرفة الإجماليّة الّتي يتميّز بها النوع عن غيره في الجملة، إذ لا يهتّمنا الاستقصاء في تعريفه بما يسلم طرذاً وعكساً من المناقشات، وإن كان ملحوظاً فيما ذكرناه حيثيّة الجعل الشرعيّ الّذي معها يسلم عن كثير من الاعتراض بخلاف ما ذكره القوم في المقام، مثل ما قيل: من أنّها كلّ كلام يتّصل إلى انقطاعه، أو أنّها ما يحسن السكوت عليه، أو أنّها جماعة حروف، إلّا غير ذلك ممّا لا يسلم منها لولا اعتبار الحيثيّة المتقدّمة.

وأما الكلمة: فمن الفراء وغيره أنّ فيها ثلاث لغات: فتح الأوّل وكسر الثاني، وهو

الأشهر، ويجوز سكون الثاني مع فتح الأول وكسره، بل قد يقال بإطراد الثلاثة في كلّ ما كان على «فعل» بفتح الفاء وكسر العين، نحو: كَبِدَ وَوَرِقَ، تطلق على كلّ لفظٍ وضع لمعنى مفرد، وتجمع على كلمات وعلى الكلّم على الأظهر من الأقوال فيها، كما صرّح به في «الصّحاح» وغيره. وقد يقال: إنّها مشتقة من الكلّم بالفتح، فالسكون بمعنى الجراحة، نظرًا إلى أن السّمع والقلب يتأثران بها، كما أن البدن قد يتأثر بالجراحة، بل قد يكون الأول أقرب إلى الدّوام، وأبعد عن الالتئام والالتحام، ولذا قيل:

جراحات السّنان لها التيامٌ ولا يلتام ما جرح اللّسان

وفي «الصّحاح»: الكلّم: الجراحة، والجمع كلّوم وكلام، تقول: كلّمته كلّمًا. قال: وقرأ بعضهم: ﴿ذَابَتْ مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي تجرحهم وتسمهم، لكنّه اشتقاق بعيد، كما نبّه عليه نجم الأئمة وغيره، وأبعد منه ما يتوهّم من اشتقاقها من الكلام بالضمّ؛ قال في القاموس: إنّ الأرض الغليظة، وربّما يفسّر بالقوت، قيل ومنه قولهم: شغلنا الكلام عن الكلام

وأما الحروف: فهو في الأصل بمعنى الطرف، والتهاية، والحدّ والشفير، ومنه حرف الجبل، وهو أعلاه المحدّد، وحرف لشفيره، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾، أي على وجه واحدٍ وهو أن يعبدّه على السّرّاء دون الضّرّاء، أو في العلانيّة دون السّرّاء، أو باللسان دون الجنان، فإنّ الدّين حرفان، أو على ضعف في العبادة، كضعف القائم على حرف، أي طرف جبل، إلى غير ذلك مما يؤوّل إلى مامرّ.

١- المراد به ابن زُرّعة الذي قرأ تكلمهم بتخفيف اللام على ما صرّح به الطّبرسيّ في مجمع البيان ٧: ٢٣٢.

٢- التعلّ ٨٢.

٣- نجم الأئمة محمّدين الحسن الرضّيّ الأسترابادي: محقّق من نوادر الزّمان من الإماميّة، له مصنّفات رائعة فائقة منها: «شرح الكافية لابن الحاجب» في التحوو و «شرح مقدّمة ابن الحاجب المسماة بالشافية في علم الصّرف» و «شرح القوائد السبع لابن أبي الحديد» توفي نحو ٦٨٦ هـ. خزنة الأدب للبغدادي ١: ١٢، والأعلام ٧: ٣١٧.

٤- الحجّ ١١.

نعم، قد غلب عرفاً على هذه المسموعات التي يقال لها: حروف المعجم، وربما يعرف بأنه كيفية للصوت، بها يمتاز الصوت عن صوت آخر مثله في الحدة والتقل تمييزاً في المسموع، والتقييد بالمثلثة في الوصفين لإخراجهما، إذ لا يمتاز بشيء من الحدة، أي الزيرية والتقل - أي البمية - صوت يماثله فيهما وإن كانا كيفيتين للصوت، وبالتميز في المسموع لإخراج الفئة التي تظهر من تسريب الهواء بعضاً إلى الأنف وبعضاً إلى الفم مع انطباق الشفتين، والهبوحة التي هي للصوت الخارج من الحلق، وغيرهما من طول الصوت وقصره، وكونه طيباً وغيره، فإن شيئاً من ذلك لا يوجب التميز في المسموع. ولذا قد تختلف هذه الأمور والمسموع واحد، وقد تتحد والمسموع هو الحروف خاصة لا تلك الكيفيات، وهو لا يخلو عن تأمل.

نعم، قد يقسم الحروف إلى زمانية صرفة، وهي ما يمكن تمديدها بلا توهم تكرار كالفاء والقاف والشين، وكالحروف المصوتة المشهورة بحروف المد واللين المقابلة للصوامت التي هي ما سواها، وإلى آتية صرفة كالباء والطاء والدال وغيرها من الصوامت التي لا يمكن تمديدها أصلاً فأنها لا توجد إلا في آخر زمان حبس النفس، كما يشهد به التكلم بها ساكنة بعد الهزلة المفتوحة، ولذا قيل: إن تسميتها بالحروف أولى من تسمية غيرها، لأنها أطراف الصوت، وقد سمعت أن الحرف هو الطرف.

وإلى آتية تشبه الزمانية، وهي أن تتوارد أفراد آتية مراراً فيظن أنها فرد واحد زماني كالراء والحاء والخاء، حيث إن الغالب على التطق أن الراء التي في آخر الدار مثلاً راءات متوالية، كل واحد منها آتي الوجود، إلا أن الحس لا يشعر بامتياز أزمنتها، فظنّها حرفاً واحداً زمانياً.

ومن هنا يعترض على التعريف المتقدم بعدم شموله للحروف الآتية، نظراً إلى أنها لا توجد إلا في الآن الذي هو بداية زمان الصوت أو نهايته، فلا تكون عارضة له حقيقة، لأن العارض يجب أن يكون موجوداً مع المعروض، وهي لا توجد مع الصوت الذي هو زماني. وأجيب: بأن عروضها للصوت على نحو عروض الآن للزمان، والتقطعة للخط يعني أن

عروض الشيء للشيء قد يكون بحيث يجتمعان في الزّمان، وقد لا يكون، وحينئذٍ يجوز أن يكون كلّ واحد من الحروف الآتية طرفاً للصّوت عارضاً له عروض الآن للزّمان، فيندفع الإشكال.

أقول: وفي كلّ من الاعتراض والجواب نظراً.

أمّا في الأوّل - فللمنع من كون هذه الحروف آتية حقيقيّة، والتّسمية باعتبار الإضافة، سلّمنا لكن عروض الكيفيّة إنّما هو لأجزاء الصّوت أو عيبتها زمانيّاً وآثماً، ومنه يظهر الحقّ في الجواب.

وأما في الثّاني - فلأنّ التّقطة مجرد نهاية للخطّ، وهذا كيفيّة للتّهاية، والفرق واضح جدّاً، نعم تعريف الحرف بالهيئة العارضة إنّما هو المشهور عند الحكماء، وأمّا أهل العربيّة - بل العرف العامّ - فالظاهر منهم إطلاقه على مجموع العارض والمعرض كما لا يخفى.

ثمّ إنّ حكّي في «المصباح المنير» عن الفراء وابن السكّيت: أنّ حروف المعجم جميعها مؤنّثة، ولم يسمع التذكير في شيء من الكلام، وإنّه يجوز تذكيرها في الشّعْر.

وعن ابن الأنباريّ: التّأنيث في حروف المعجم عندي على معنى الكلمة، والتذكير على معنى الحرف. وعن البارعي^١ أنّ الحروف مؤنّثة إلّا أن تجعلها سماً، فعلى هذا يجوز أن يقال: هذا جيم، وما أشبهه.

عدد الآيات والكلمات والحروف

اختلفوا في تعيين عدد آيات القرآن الكريم على أقوال، بعد اتّفاقهم في الجملة على أنّها لا تقصر عن ستّة آلاف ومائتي آية وشيء زائد، فاختلافهم في تعيين شيء زائد، والأقوال المختلفة ولا ترجع إلى إثبات بعض الآيات ورفعها رأساً إلى عدّ بعض الآيات.

فمن المكيّين أنّ القدر الزّائد ستّ عشرة آية، وقيل: تسع عشرة آية، وقيل: اثنتي عشرة

١- البارعي البغداديّ الحسين بن محمّد بن عبد الوهاب، من علماء التّحويّ واللّغة، وهو من بيت وزارة، ولد في بغداد سنة ٤٤٣.

وعمي في آخر عمره وتوفيّ سنة ٥٣٤. وفيات الأعيان ١: ١٥٨، أنباء الرّواة ١: ٣٢٨، الأعلام ٢: ٢٨٠.

آية، وعن المدينتين إحدى عشرة آية، والأكثر على أنها عندهم سبع عشرة آية، ولعل نسبة الأول إليهم وهم.

وعن البصريين أربع آيات، وقيل: ثلاث آيات، وقيل: خمس آيات، وربما يقال: إن بناء مصاحفهم على الأول.

وعن الشاميين سبع وعشرون، وقيل: تسع وعشرون، والمحكي عن إبراهيم التميمي نقصان واحدة عن المائتين.

وعن الكوفيين خمس وثلاثون، وفي «برهان القارئ» حكاية عن بعض البارعين في هذا الشأن أنها في عدد هم ست وثلاثون، وربما ينسب إليهم غير ذلك، بل فيه أن الزيادة عند المديني الأول سبع عشرة آية، وعند المديني الأخير - وهو إسماعيل بن جعفر المديني - أربع عشرة آية إلى غير ذلك من الأقوال التي لا طائل تحت التعرض لها، لعدم الدليل على شيء منها.

ثم روى شيخنا الطبرسي في «المجمع» في تفسير سورة الإنسان عن النبي ﷺ أن جميع سور القرآن... [وذكر كما تقدم عنه، ثم قال:]

أقول: ومن هنا يظهر صحة عدد الكوفيين، سيما مع ملاحظة ما ذكره في أول «المجمع»... [وذكر كما تقدم عن الطبرسي].

أقول: أما الفائدة في معرفة الآيات فلعله يكفي فيها ما سمعت، بل قد تظهر أيضاً في مثل التذر، والاستيجار للتعليم، أو للقراءة، وقراءة الجُنب، وأخيه لسبع آيات المحكم بكرة ما زاد عليها، واشتدادها فيها زاد على السبعين، هذا مضافاً إلى الفضل المترتب على أعداد الآيات، فضلاً عما يترتب على الحروف والكلمات، كما ورد في النبوي «أن من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائتي آية كتب من القانتين، ومن قرأ ثلاثمائة آية لم يحاجه

القرآن»^١. وأنه ينبغي أن يقرأ في الوتيرة بعد العشاء مائة آية^٢. «وأن من قرأ مائة آية يصلي بها في ليلة، كتب الله له بها قنوت ليلة، ومن قرأ مائتي آية في غير صلاة الليل، كتب الله له في اللوح قنطاراً من الحسنات، والقنطار ألف ومائتا أوقية، والأوقية أعظم من جبل أحد»^٣. «وأن درجات الجنة على قدر آيات القرآن، يقال له: اقرأ وارقي»، بل قد يعدّ الوقف على خصوص الآيات من الترتيل المندوب إليه، ولذا ورد^٤ أن النبي ﷺ كان يقطع قراءته آية آية^٥.

وأما سبب الاختلاف فيها مبني على اختلاف أنظارهم، كغيره من الاختلافات الكثيرة الواقعة في المواد والهيئات المستندة إليها، أو إلى اختلاف المصاحف، نعم، ذكر في «برهان القارئ» تبعاً لهم أن الموجب هو التقل والتوقيف، قال ويؤيده ما رواه عاصم عن زرّ عن عبدالله بن مسعود أنه قال: اختلفنا في سورة من القرآن، فقال بعضنا: ثلاثين، وقال بعضنا: اثنتين وثلاثين، فأتينا رسول الله ﷺ وأخبرناه، فتغيّر لونه، فأسرّ إلى علي بن أبي طالب عليه السلام بشيء، فالتفت إلينا علي عليه السلام فقال: «إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا القرآن كما علمتموه»، قال: وفي هذا دليل على أن العدد راجع إلى التعليم، وفيه أيضاً دليل على تصويب العددين.

أقول: بل لعلّ الأظهر فيه على فرض صحّة الخبر أن العدد الحق هو ما أسره النبي ﷺ إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إرشاداً لهم إلى سؤاله والأخذ منه، حيث إنّه عليه السلام باب مدينة حكمته ﷺ، وحيث إنّه عليه السلام علم أن الناس لا يأتون البيوت من الأبواب، أمرهم بالقراءة كما

١- معاني الأخبار: ٤١٠. قال بعد نقل الحديث: يعني من حفظ قدر ذلك من القرآن، يقال: قد قرأ الغلام القرآن، إذا حفظه.

٢- مصابح التهجد: ٨١. يستحب أن يقرأ فيهما (الركعتين للوتيرة) مائة آية من القرآن، وروي في فلاح السائل: ٢٥٩ عن

الصادق عليه السلام قال: كان أبي يصلي بعد عشاء آخر ركعتين وهو جالس، يقرأ فيهما مائة آية.

٣- معاني الأخبار: ١٤٧ عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤- أمالي الصدوق: ٢١٦ عن الصادق عليه السلام.

٥- مجمع البيان: ١٠: ٣٧٨ عن أم سلمة.

عُلمُوا، وفي معناه ما رُوي عن مولانا الصادق عليه السلام: «اقرأوا كما عُلِّمتم حتى يحصي من يعلمكم».

وأما الكلمات القرآنية، فقد يقال: إن مجموعها عند الجميع سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة و شيء زائد اختلفوا في تعيينه، فعند البصريين أربع وستون، وعند الكوفيين والثاميين ثلاثون، وعن أهل الحرمين تسع وثمانون، وربما يحكي عن الكوفيين خمسون، وعن حميد بن الأعرج عشرون، وعن إبراهيم التيمي تسع وتسعون، وعن غطاء تسع وثلاثون، وعن عبدالعزيز ست وثلاثون، وعن البصريين سبع وثلاثون إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة التي لا طائل تحت التعرض لها فضلًا عن الترجيح بينها.

نعم، في «برهان القارئ»: «عددنا الكلمات فكانت اثنتين وسبعين ألفًا» ولعله سهو منه، وكان منشأ الاختلاف في الأعداد هو الاختلاف في تعيين الكلمات.

نعم، في «جواهر التفسير»: «أن أقصرها حرفان، كمن وعن وما وآ، وإن جاء كثير من حروف المعاني على حرف واحد كواو العطف وهزة الاستفهام، والباء الجارة، لكنها لما لم ينطق بها مفردة لم يعتبروها رأسًا وأطولهما عشرة أحرف مثل: ﴿لَيْسَتْ خَلْقُهُمْ﴾^١. وأما قوله: ﴿فَأَسْقَيْنَا كُؤُوهُ﴾^٢ فهو وإن كان في اللفظ أحد عشر حرفًا، لكنه في الرسم عشرة.

أقول: وفيه تأمل إذ الملفوظ أولى بالاعتبار، بل الأظهر موافقة المکتوب له.

وأما أعداد حروف القرآن فهي ثلاثمائة وأحد وعشرون ألفًا و شيء زائد اختلفوا في تعيينه، فعن أهل الحرمين مائتان وخمسون، وعن البصريين مائتان، وعن الكوفيين مائة وثمانون، وعن الثاميين مثله بزيادة ثمانية. وربما يحكى عن مجاهد مائة وعشرون، وعن غيره أقوال أخر ربما تزيد على ما سمعت بكثير، لكنه لا داعي للتعرض لها، سيما بعد ما سمعت في التبوي المحكي عن «جمع البيان»: «أن جميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف وأحد وعشرون ألف

حرف ومائتان وخمسون حرفاً وهو الموافق للمحكي عن أهل الحرمين. ثم إنه قد روي عن مولانا الصادق عليه السلام: «أن من تعلم من القرآن حرفاً، كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات»، ثم قال عليه السلام: «لا أقول: بكل آية، ولكن بكل حرف (باء) أو (تاء) أو شبههما»، قال: «ومن قرأ حرفاً وهو جالس في صلاة، كتب الله له به خمسين حسنة، ومحا عنه خمسين سيئة، ورفع له خمسين درجة، ومن قرأ حرفاً وهو قائم في صلاته، كتب الله له مائة حسنة، ومحا عنه مائة سيئة، ورفع له مائة درجة»... وعلى هذا فيكتب لمن تكلم كل القرآن مضروب العدد المذكور على عشرة، وهو ثلاثة آلاف ومائتان واثنان عشر ألفاً وخمسمائة حسنة (٣٢١٢٥٠٠). ويحي عنه بهذا العدد من السيئة، وترفع له بهذا العدد درجة، ولن قرأه وهو جالس في صلاة مضروبة في خمسين، وهو ستة عشر ألف ألف واثنان وستون ألفاً وخمسمائة (١٦٦٠٢٥٠٠) بالنسبة إلى كل من الثلاثة، ولن قرأه قائماً فيها مضروبة في مائة وهو اثنان وثلاثون ألف ألف ومائة وخمسة وعشرون ألفاً (٣٢١٢٥٠٠٠)، والله يرزق من يشاء بغير حساب.

ثم إن أكثر الحروف دورائاً في الكتاب العزيز، بل في مطلق الكلام هو الألف، حتى لا يكاد يخلو منها شيء من الكلام القصير، فضلاً عن الخطب والكتب الطويلة، وإن أنشد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام خطبة طويلة خالية منها على وجه الارتجال، وليس يبدع من غرائب البديعة وروحي له الفداء! أولها: «حَدَّثْتُ مَنْ عَظُمَتْ مِنْهُ، وَسَبَقَتْ غَضَبُهُ رَحْمَتُهُ، وَكَلِمَتُهُ، وَكَفَذَتْ مَشِيئَتُهُ»، الخطبة بطولها^١.

كما أنه عليه السلام أنشد خطبة طويلة^٢ خالية من التقط مع كثرة دورانها في الكلام، أولها: «الحمد لله الملك المحمود، المالك الودود، وكل مطرود»، الخطبة بطولها. وربما يروي عنه خطبة

١- وسائل الشيعة ٤: ٨٤١ ح ٧٦٩٦.

٢- الوافي للفيض الكاشاني ٢: ٢٦٥ ط: الإسلامية بطهران.

٣- هذه الخطبة مروية بطرق عديدة، رواها العلامة المجلسي في المجلد السابع عشر من البحار عن مصباح الكنعمي باختلاف شديد وقال في المجلد التاسع منه، وروى الكليني عن أبي صالح الخ.

أخرى في ذلك، كما رواه ابن شهر آشوب في «المناقب» قال: روى الكلبي عن أبي صالح، وأبو جعفر بن بابويه بإسناده عن الرضا عن آبائه عليهم السلام: أنه اجتمعت الصحابة، فتذاكروا أن الألف أكثر دخولاً في الكلام، فارتجل الخطبة المونقة، أولها: «حمدت من عظمت» إلخ، ثم ارتجل خطبة أخرى من غير التَّقَطُّ التي أولها: «الحمد لله أهل الحمد وماواه، أوكد الحمد وأحلاه، وأسرع الحمد وأسراه، وأطهر الحمد وأسماءه، وأكرم الحمد وأولاه» إلى آخرها... وبالجمل، فجميع الألفات المذكورة في القرآن - على قول عبدالعزيز المزني الذي قيل: إنه أشهر الأقوال - ثمانية وأربعون ألفاً وثمانمائة (٤٨٨٠٠)، وهو أكثر الحروف دوراً في الكتاب العزيز، كما أقلها الظاء المشالة، وعدة ما ورد منها فيه اثنان وثمانمائة (٨٠٢)، وغيرهما متوسطات في ذلك، مضبوطة الأعداد عند المعتنين بهذا الشأن.

(١٧٣-١٦٥:٢)

الفصل السابع والعشرون

نصّ الزُّرقانيّ (م: ١٣٦٨) في «مناهل العرفان...»

معنى الآية

آيات القرآن جمع آية، والآية تطلق في لسان اللغة بإطلاقات :

أولها - المعجزة، ومنه قوله تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ أي معجزة واضحة .

ثانيها - العلامة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾^١ أي علامة ملكه .

ثالثها - العبرة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾^٢ أي عبرة لمن يعتبر.

رابعها - الأمر العجيب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾^٣.

خامسها - الجماعة، ومنه قولهم: خرج القوم بآيتهم، أي بجماعتهم، والمعنى أنهم لم يدعوا وراءهم شيئاً.

سادسها - البرهان والدليل، نحو قوله جلّ ذكره: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

١- البقرة / ٢١١.

٢- البقرة / ٢٤٨.

٣- البقرة / ٢٤٨.

٤- المؤمنون / ٥٠.

وَالْخِلَافُ أَلَسَّيْتِكُمْ وَالْوَانِكُمْ^١، والمعنى أن من براهين وجود الله واقتداره واتصافه بالكمال خلق عوالم السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان. تلك كلها إطلاقات لغوية، وقد يستلزم بعضها بعضاً.

ثُمَّ خُصَّتِ الْآيَةُ فِي الاصطلاح بِأَنَّهَا طَائِفَةٌ ذَاتُ مَطْلَعٍ وَمَقْطَعٍ مَنْدَرَجَةٌ فِي سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ. والمناسبة بين هذا المعنى الاصطلاحي والمعاني اللغوية السالفة واضحة، لأن الآية القرآنية معجزة ولو باعتبار انضمام غيرها إليها، ثم هي علامة على صدق من جاء بها ﷺ وفيها عبرة، وذكرى لمن أراد أن يتذكر، وهي من الأمور العجيبة لمكانها من السُّمُو والإعجاز، وفيها معنى الجماعة، لأنها مؤلفة من جملة كلمات وحروف، وفيها معنى البرهان والدليل على ما تضمنته من هداية وعلم، وعلى قدرة الله وعلمه وحكمته، وعلى صدق رسوله في رسالته.

طريقة معرفة الآية

لا سبيل إلى معرفة آيات القرآن إلا بتوقيف من الشارع، لأنه ليس للقياس والرأي مجال فيها، إنما هو محض تعليم وإرشاد، بدليل أن العلماء عَدُّوا «القص» آيةً ولم يُعَدُّوا نظيرها وهو «المر» آيةً، وعَدُّوا «يس» آيةً، ولم يُعَدُّوا نظيرها وهو «طس» آيةً، وعَدُّوا «حمص» آيتين، ولم يُعَدُّوا نظيرها وهو «كهيعص» آيتين بل آيةً واحدةً، فلو كان الأمر مبنيًا على القياس، لكان حكم المثليين واحدًا فيما ذكر، ولم يجز هكذا مختلفًا.

ذلك مذهب الكوفيين، لأنهم عَدُّوا كل فاتحة من فواتح السُّور التي فيها شيء من حروف الهجاء آيةً سوى «حمص»، فإنهم عَدُّوها آيتين، وسوى «طس» ولم يُعَدُّوا من الآيات ما فيه «ر» وهو «الر» و«المر» وما كان مفردًا وهو «ق، ص، ن» أي لم يُعَدُّوا شيئًا منها آيةً.

وغير الكوفيين لا يعتبرون شيئًا من الفواتح آيةً إطلاقًا. وحيث قلنا: إن المسألة توقيفية، فلا يشتبهن عليك هذا الخلاف، لأن كلاً وقف عند حدود ما بلغه أو علمه. ولا تقولن: كيف عَدُّوا ما هو كلمة واحدة آية؟ لأن الوارد عن الشارع هو هذا، كما عَدَّت كلمة «الرحمن» في

صدر سورة «الرَّحْمَن» آية، وكما عدّت كلمة ﴿مُذْهَبَاتَانِ﴾ آية، وقوفاً عند الوارد.

أخرج البخاريّ وأبو داود والتّسائيّ عن أبي سعيد بن المعلّى قال: «كنت أصليّ في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، ثمّ أتيتُه فقلت: يا رسول الله إني كنت أصليّ. فقال ألم يقل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُخْبِرْكُمْ﴾، ثمّ قال: لأعلمتُك سورة هي أعظم السُّور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد. ثمّ أخذ بيدي، فلمّا أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمتُك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هي السّبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتُه، فهذا الحديث يدلّ على أن الفاتحة سبع آيات، وعلى أنّها هي المرادة بالسّبع المثاني في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾.^٢

وأخرج الترمذيّ والحاكم عن أبي هريرة أنّه قال: قال النبيّ ﷺ: «إنّ لكلّ شيء سنماً، وإنّ سنّ القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيّدة أي القرآن؛ آية الكرسي». وأخرج مسلم والترمذيّ عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر! أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ فضرب في صدري وقال ليهنك العلم أبا المنذر».

وأخرج الحمسة إلّا التّسائيّ عن أبي مسعود البدريّ، أنّه قال: قال النبيّ ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة، كفتاه».

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود قال: «أقرأني رسول الله ﷺ سورة من الثلاثين من «آل حم» قال: يعني الأحقاف، لأنّ السّورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سمّيت الثلاثين».

وقال ابن العربيّ: ذكر النبيّ ﷺ: «أنّ الفاتحة سبع آيات، وسورة الملّك ثلاثون آية».

رأي آخر:

وبعض العلماء يذهب إلى أن معرفة الآيات منه ما هو سماعيٌ توقيفيٌ، ومنها ما هو قياسيٌ، ومرجع ذلك إلى الفاصلة، وهي الكلمة التي تكون آخر الآية، نظيرها قرينة السجع في التثنية البيت في الشعر. يقولون فما ثبت أن النبي ﷺ وقف عليه دائماً تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائماً تحققنا أنه ليس فاصلة، وما وقف عليه مرةً ووصله أخرى، احتمال الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة، أو لتعريف الوقف التام، أو للاستراحة، واحتمل الوصل أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها.

وفي هذا مجال للقياس، وهو ما ألحق غير المنصوص عليه بالمنصوص عليه لأمر يقتضي ذلك، ولا محذور فيه لأنه لا يؤدي إلى زيادة ولا نقصان في القرآن، وإنما غايته تعيين محل الفصل أو الوصل. وقد يلاحظ في الكلمة الواحدة من القرآن أمران، يقتضي أحدهما عدها من الفواصل والآخر يقتضي خلاف ذلك. مثال ذلك كلمة «عَلَيْهِمْ» الأولى في سورة الفاتحة، منهم من يعتبرها رأس آية، ومنهم من لا يراها كذلك.

وسبب هذا أنهم اختلفوا في «البسْملة» أي آية من الفاتحة أم لا؟ مع اتفاقهم على أن عدد آيات الفاتحة سبع. فالذين ذهبوا إلى أن «البسْملة» آية من الفاتحة جعلوا ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إلى آخر السورة آية واحدة. والذين ذهبوا إلى أن «البسْملة» ليست آية منها، جعلوا الآية السابعة ما بعد كلمة «عَلَيْهِمْ» الأولى، واعتبروا هذه الكلمة فاصلة لوقوعها في آخر الآية السادسة.

ومن المرجحات؛ لعدّها فاصلة تحقق التناسب بين الآيات في المقدار، بخلاف ما إذا لم يعتبر فاصلة، فإن هذه الآية الأخيرة تطول وتزيد على ما سواها كثيراً. ومن المرجحات؛ لعدم عدّها فاصلة أنها لا تشاكل فواصل الفاتحة، فإنه جاء في كل واحدة منها قبل الحرف الأخير بـ «ياء مدّ» بخلاف هذه. أضف إلى ذلك أنه لم تحي فاصلة على هذا النمط في سورة من السور.

واعلم! أنه قد تطلق الآية القرآنية ويراد بعضها أو أكثر، ولكن على ضرب من المجاز والتوسّع، فلا تتوقف فيه. مثال إطلاق الآية على بعضها، قول ابن عباس: «أرجى آية في

القرآن ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْفَرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾^١، فإنّ هذه الجملة الكريمة بعض آية باتفاق. ومثال إطلاق الآية على أكثر منها قول ابن مسعود: أحكم آية ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^٢ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^٣، فإنّهما آيتان باتفاق.

عدد آيات القرآن

قال صاحب «التبيان» ما نصّه: وأما عدد آي القرآن فقد اتفق العاذون على أنّه ستّة آلاف ومائتا آية وكسر، إلّا أنّ هذا الكسر يختلف مبلغه باختلاف أعدادهم: ففي عدد المدنيّ الأوّل سبع عشرة، وبه قال نافع.

وفي عدد المدنيّ الأخير أربع عشرة عند شعبة، وعشر عند أبي جعفر. وفي عدد المكيّ عشرون. وفي عدد الكوفيّ ست وثلاثون، وهو مروي عن حمزة الرّيات. وفي عدد البصريّ خمس، وهو مروي عن عاصم الجحدريّ، وفي رواية عنه أربع، وبه قال أيوب بن المتوكلّ البصريّ، وفي رواية عن البصريّين أنّهم قالوا: تسع عشرة، ورؤي ذلك عن قتادة.

وفي عدد الشاميّ ستّ وعشرون، وهو مروي عن يحيى بن الحارث... اهـ. وقال صاحب «التبيان» أيضاً قبل ذلك ما نصّه: عدد المكيّ منسوب إلى عبد الله بن كثير أحد السبعة، وهو يروي ذلك عن مجاهد، عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب. وعدد المدنيّ على ضربين: عدد المدنيّ الأوّل وعدد المدنيّ الأخير، فعدد المدنيّ الأوّل غير منسوب إلى أحد بعينه، وإنّما نقله أهل الكوفة عن أهل المدينة مرسلًا، ولم يسمّوا في ذلك أحدًا، وكانوا يأخذون به وإن كان لهم عدد مخصوص.

وعدد المدنيّ الأخير منسوب إلى أبي جعفر بن يزيد بن القعقاع أحد العشرة، وشيبة بن نضاح، وقد رواه عنهما إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاريّ بواسطة سليمان بن جَمَاز.

١- الرّعد / ٦.

٢- الزّلزلة / ٨.

وقد وهم من نسب عدد المدني الأول إلى أبي جعفر وشَيْبَةَ، وعدد المدني الأخير إلى إسماعيل بن جعفر. وكان الذي أوقعه في ذلك ما ذكر في بعض الكتب من أن نافعاً روى عنهما عدد المدني الأول، وأن أبا عمرو عَرَضَ العدد المذكور على أبي جعفر، فإن رواية ذلك عنهما لا تقتضي نسبته إليهما. وأما نسبة عدد المدني الأخير إليهما فهو مما لا ريب فيه» اهـ. ما أردنا نقله، تنويراً في هذا الموضوع الذي اضطربت فيه بعض الأقوال .

سبب هذا الاختلاف:

سبب هذا الاختلاف أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي تعليمًا لأصحابه أنها رؤوس آي، حتى إذا علموا ذلك وصل ﷺ الآية بما بعدها طلباً لتسام المعنى، فيظن بعض الناس أن ما وقف عليه النبي ﷺ ليس فاصلة، فيصلها بما بعدها معتبراً أن الجميع آية واحدة، والبعض يعتبرها آية مستقلة فلا يصلها بما بعدها. وقد علمت أن الخطب في ذلك سهل، لأنه لا يترتب عليه في القرآن زيادة ولا نقص. وآيات القرآن مختلفة في الطول والقصر، فأطول آية هي الدِّين في سورة البقرة التي هي أطول سورة، وأقصر آية كلمة «يس» الواقعة في صدر سورة «يس».

فوائد معرفة الآيات

يزعم بعض الناس أنه لا فائدة من معرفة آيات القرآن، وللرد عليهم نذكر لهذه المعرفة ثلاث فوائد لا فائدة واحدة:

الفائدة الأولى - العلم بأن كل ثلاث آيات قصار معجزة للنبي ﷺ. وفي حكمها الآية الطويلة التي تعدل بطولها تلك الثلاث القصار. ووجه ذلك: أن الله تعالى أعلن التحدي بالسورة الواحدة، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾^١، والسورة تصدق بأقصر سورة كما تصدق بأطول سورة. وأقصر سورة في القرآن هي سورة الكوثر، وهي ثلاث آيات قصار. فثبت أن كل ثلاث آيات قصار معجزة، وفي قوتها

الآية الواحدة الطويلة التي تكافئها.

الفائدة الثانية — حُسُن الوقف على رؤوس الآي عند من يرى أن الوقف على الفواصل سُنة، بناءً على ظاهر الحديث الذي استدلّوا به فيما يرويه أبو داود عن أمّ سلمة (رضي الله عنها): «أن النبي ﷺ كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية، يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقف، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ثم يقف.

قال صاحب «التبيان» في موضع آخر ما نصّه: «قال بعض العلماء: وفي الاستدلال به — أي بذلك الحديث — على ما ذكر نظر، وذلك لأنه حديث غريب غير متصل الإسناد. رواه يحيى بن سعد الأموي وغيره عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة عن أمّ سلمة. والأصح ما رواه الليث عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مالك أنه سأل أمّ سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته؟ فقالت: ما لكم وصلاته؟ ثم نعتت قراءته مفسرةً حرفاً حرفاً. ذكر ذلك الترمذي.

أقول: ويمكن الجمع بين هذين الحديثين بأن النبي ﷺ كان تارة يقف على كل فاصلة ولو لم يتم المعنى، بيانا لرؤوس الآي. وكان تارة يتبع في الوقف تمام المعنى، فلا يلتزم أن يقف على رؤوس الآي، لتكون قراءته مفسرةً حرفاً حرفاً. وعلى هذا يمكن أن يقال: حيثما كان الناس في حاجة إلى بيان الآيات، حُسُن الوقف على رؤوس الآي، ولولم يتم المعنى، وحيثما كان الناس في غنى عن معرفة رؤوس الآي، لم يحسن الوقف إلا حيث يتم المعنى. ويحتمل أن كلمة «مفسرةً حرفاً حرفاً» في الحديث الآنف يراد بها الترتيل وإخراج الحروف من مخارجها، فلا تعارض الحديث الأول.

الفائدة الثالثة — اعتبار الآيات في الصلاة والخطبة، قال السيوطي ما نصّه: يترتب على معرفة الآي وعددها وفواصلها أحكام فقهية... [وذكر كما تقدّم عنه، ثم ذكر قول الهذليّ والزعفرانيّ، كما تقدّم أيضاً عن السيوطي، فقال:] غير أننا لا ندري ما الذي أراد الهذليّ على التّعيين من كلامه هذا؟ ولا عن أي مذهب يتحدث؟ (٣٣٩-٣٣١:١)

الفصل الثامن والعشرون

نصّ ابن عاشور (م: ١٣٩٣) في «التحرير والتنوير»

آيات القرآن

الآية: هي مقدار من القرآن مركّب ولو تقديرًا أو إلحاقًا، فقولي: «ولو تقديرًا» لإدخال قوله تعالى: ﴿مُدَّاهِمَتَانِ﴾^١ إذ التقدير «هما مُدَّاهِمَتَانِ» ونحو: ﴿وَالْفَجْرِ﴾^٢، إذ التقدير أقسم بالفجر. وقولي: «أو إلحاقًا» لإدخال بعض فواتح السور من الحروف المقطعة، فقد عدّ أكثرها في المصاحف آيات، ما عدا الر والعر وطس، وذلك أمر توقيفيّ وسنة متبعة، ولا يظهر فرق بينها وبين غيرها.

وتسمية هذه الأجزاء آيات هو من مبتكرات القرآن، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾^٣ وقال: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾^٤ وإما سُميت آية لأنها دليل على أنها موحى بها من عند الله إلى النبي ﷺ، لأنها تشتمل على ما هو من الحد الأعلى في بلاغة نظم الكلام، ولأنها لوقوعها مع غيرها من الآيات جعلت دليلًا على أن القرآن مُنزل من عند الله وليس من تأليف البشر، إذ قد تحدّى النبي به أهل الفصاحة والبلاغة من أهل اللسان العربي، فعجزوا عن تأليف مثل سورة من سورته. فلذا لا يحقّ لجمل

١- الرحمن / ٦٤.

٢- الفجر / ١.

٣- آل عمران / ٧.

٤- هود / ١.

التوراة والإنجيل أن تسمي آيات، إذ ليست فيها هذه الخصوصية في اللغة العبرانية والآرامية. وأما ما ورد في حديث رجم اليهوديين اللذين زنيا من قول الراوي: «فوضع الذي نشر التوراة يده على آية الرجم» فذلك تعبير غلب على لسان الراوي على وجه المشاكلة التقديرية تشبيهاً بجمل القرآن، إذ لم يجدها اسماً يعبر به عنها.

وتحديد مقادير الآيات مروى عن النبي ﷺ، وقد تختلف الرواية في بعض الآيات، وهو محمول على التخخير في حد تلك الآيات التي تختلف فيها الرواية في تعيين منتهاها ومبتدأ ما بعدها، فكان أصحاب النبي ﷺ على علم من تحديد الآيات.

قلت: وفي الحديث الصحيح «أن فاتحة الكتاب السبع المثاني، أي السبع الآيات». وفي الحديث: «من قرأ العشر الخواتم من آخر آل عمران» وهي الآيات التي أولها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^١ إلى آخر السورة.

وكان المسلمون في عصر النبوة وما بعده يُقدِّرون تارة بعض الأوقات بمقدار ما يقرأ القارئ عدداً من الآيات، كما ورد في حديث سُحُورِ النَّبِيِّ ﷺ أنه كان بينه وبين طلوع الفجر مقدار ما يقرأ القارئ خمسين آية. وقصير، ومنه ما ينقطع ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام، وقال الزمخشري: «الآيات علم توقفي».

وأنا أقول: لا يبعد أن يكون تعيين مقدار الآية تبعاً لانتهاه نزولها، وأمارته وقوع الفاصلة. والذي استخلصته أن الفواصل هي الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب، مع تماثل أو تقارب صيغ التلحق بها، وتكرر في السورة تكررًا يؤذن بأن تماثلها أو تقاربها مقصود من النظم في آياته كثيرة متماثلة، تكثر وتقل، وأكثرها قريب من الأسجاع في الكلام المسجوع. والعبرة فيها بتماثل صيغ الكلمات من حركات وسكون، وهي أكثر شبهاً بالتزام ما لا يلزم في القوافي، وأكثرها جارٍ على أسلوب الأسجاع.

والذي استخلصته أيضاً أن تلك الفواصل كلها منتهى آيات، ولو كان الكلام الذي تقع فيه

لم يتم فيه الغرض المسوق إليه، وأتت إذا انتهت الغرض المقصود من الكلام ولم تقع عند انتهائه فاصلة، لا يكون منتهى الكلام نهاية آية إلا نادرًا، كقوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾^١، فهذا المقدار عُدَّ آية وهو لم ينته بفاصلة، ومثله نادر، فإن فواصل تلك الآيات الواقعة في أول السورة أُقيمت على حرف مفتوح بعد ألف مُدَّ بعدها حرف، مثل: شِيقاق، مُناس، كَذَّاب، عُجاب.

وفواصل بُنيت على حرف مضموم مشبّع بواو، أو على حرف مكسور مشبّع بياء ساكنة، وبعد ذلك حرف، مثل: ﴿أَلَيْسَ لَهُ مُعْرِضُونَ﴾^٢، ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ﴾^٣، ﴿تَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^٤، ﴿مِنْ طِينٍ﴾^٥، فلو انتهت الغرض الذي سيق له الكلام، وكانت فاصلة تأتي بعد انتهاء الكلام، تكون الآية غير منتهية ولو طالت، كقوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾^٦ إلى قوله: ﴿وَحَرَّزَ الْكَافَّةَ وَإِنَّا بِكَ﴾^٧، فهذه الجملة كلّها عدت آية واحدة.

واعلم! إن هذه الفواصل من جملة المقصود من الإعجاز، لأنها ترجع إلى محسنات الكلام، وهي من جانب فصاحة الكلام، فمن الغرض البلاغي الوقوف عند الفواصل، لتقع في الأسماع فتتأثر نفوس السامعين بحاسن ذلك التماثل، كما تتأثر بالوقوف في الشعر وبالأسجاع في الكلام المسجوع.

فإن قوله تعالى: ﴿إِذَا الْغُلَاقُ فِي أَعْتَابِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾^٨، ﴿فِي الْعَمِيمِ ثُمَّ نَفْسٍ

١-ص/١.

٢-ص/٦٨٠.

٣-الإسراء/٤٧.

٤-الأعراف/١٨٤.

٥-الأنعام/٢.

٦-ص/٢٤.

٧-ص/٢٤.

٨-غافر/٧١.

التَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿١﴾، ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ إِنَّ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾^٢ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^٣ الآيات. فقوله: ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾^٤ متّصل بقوله: ﴿يُسْجَرُونَ﴾، وقوله: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^٥ متّصل بقوله: ﴿تُشْرِكُونَ﴾، وينبغي الوقف عند نهاية كل آية منها. وقوله تعالى: ﴿وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ آية، وقوله: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾^٦ ابتداء الآية بعدها.

ألا ترى أن من الإضاعة لدقائق الشعر أن يلقيه ملقيه على مسامع الناس دون وقف عند قوافيه؟ فإن ذلك إضاعة لجهود الشعراء، وتغطية على محاسن الشعر، وإلحاق للشعر بالثثر. وإن إلقاء السجع دون وقوف عند أسجاعه هو كذلك لا محالة. ومن السّداجة أن ينصرف ملقي الكلام عن محافظة هذه الدقائق، فيكون مضيقاً لأمر نفيس أجهد فيه قائله نفسه وعنايته. والعلّة بأّنه يريد أن يبيّن للسّامعين معاني الكلام فضول، فإنّ البيان وظيفّة ملقي درس لا وظيفّة مُنشد الشعر، ولو كان هو الشّاعر نفسه.

وفي «الإتقان» عن أبي عمرو قال بعضهم: الوقف على رؤوس الآي سئّة. وفيه عن البهقيّ في «شعّب الإيمان»: الأفضل الوقف على رؤوس الآيات، وإن تعلّقت بما بعدها اتّباعاً لهدي رسول الله ﷺ وسنّته... [ثم ذكر قول أم سلمة في قراءة النبي ﷺ، كما تقدّم عن الزّرقاني] على أن وراء هذا وجوب اتّباع المأثور من تحديد الآي كما قال ابن العربيّ والزّمخشريّ، ولكن ذلك لا يصدّقنا عن محاولة ضوابط تنفع الناظر وإن شدّعنها ما شدّ. ألا ترى أن بعض الحروف المقطّعة التي افتتحت بها بعض السّور قد عدّ بعضها آيات مثل: ألم، المص، كهيعص،

١- غافر / ٧٢.

٢- غافر / ٧٣.

٣- غافر / ٧٤.

٤- غافر / ٧١.

٥- هود / ٥٤.

٦- هود / ٥٥.

عسق، طسم، يس، حم، طه. ولم تعد: الر، الم، طس، ص، ق، ن، آيات. وآيات القرآن متفاوتة في مقادير كلماتها، فبعضها أطول من بعض، ولذلك فتقدير الزمان بها في قولهم: مقدار ما يقرأ القارئ خمسين آية مثلاً، تقدير تقريبي، وتفاوت الآيات في الطول تابع لما يقتضيه مقام البلاغة من مواقع كلمات الفواصل على حسب ما قبلها من الكلام.

وأطول آية قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^١ إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ في سورة الفتح وقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيمٍ﴾^٢ إلى قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ في سورة البقرة. ودونهما قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾^٣ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ في سورة النساء. وأقصر آية في عدد الكلمات قوله تعالى: ﴿مُذْهَبَانِ﴾^٤ في سورة الرحمن وفي عدد الحروف المقطعة قوله: ﴿طه﴾.

وأما وقوف القرآن فقد لأسائر نهايات الآيات، ولا ارتباط لها بنهايات الآيات، فقد يكون في آية واحدة عدة وقوف كما في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَرْجِعُ السَّاعَةِ﴾ (وقف) وَمَا تَخْرُجُ مِنْ نَمْرَاتٍ مِنْ أَكْمامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ (وقف) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ إَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذَلِكَ مَا مِنَّا مِنْ شَيْءٍ^٥ (وقف، ومنتهى الآية) في سورة فصلت ... فأما ما اختلف السلف فيه من عدد آيات القرآن بناءً على الاختلاف في نهاية بعضها، فقد يكون بعض ذلك عن اختلاف في الرواية كما قدّمنا آنفاً، وقد يكون بعضه عن اختلاف الاجتهاد... [ثم ذكر قول الذّاني في عدد الآي من القرآن كما تقدّم عن السيوطي، فقال:]

قال المازيري في «شرح البرهان»: قال مكّي بن أبي طالب: قد أجمع أهل العدد من أهل

١- الفتح/ ٢٥.

٢- البقرة/ ١٠١-١٠٢.

٣- النساء/ ٢٢-٢٣.

٤- الرحمن/ ٦٤.

٥- فصلت/ ٤٧.

الكوفة والبصرة والمدينة والشّام على ترك عدّ البسملة آيةً في أوّل كلّ سورة، وإنّما اختلفوا في عدّها وتركها في سورة الحمد لا غير، فعدها آية الكوفي والمكيّ، ولم يعدّها آية البصريّ ولا الشاميّ ولا المدنيّ. وفي «الإتقان» كلام في الضّابط الأوّل من الضّوابط غير محرّر، وهو آيل إلى ما قاله المازريّ، ورأيت في عدّ بعض السّور أنّ المصحّف المدنيّ عدّها أكثر ممّا في الكوفيّ، ولو عونا عدّ البسملة لكان الكوفيّ أكثر.

وكان لأهل المدينة عددان، يعرف أحدهما بالأوّل ويعرف الآخر بالآخر، ومعنى ذلك أنّ الذين تصدّوا لعدّ الآي بالمدينة من أئمة القراء هم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، وأبو نصح شيبّة بن نصح، وأبو عبد الرّحمان عبد الله بن حبيب السّلمي، وإسماعيل بن جعفر بن كثير الأنصاريّ، وقد اتّفق هؤلاء الأربعة على عدد، وهو المسمّى بالعدد الأوّل، ثمّ خالفهم إسماعيل بن جعفر بعدد انفرد به، وهو الذي يقال له: العدد الثّاني، وقد رأيت هذا ينسب إلى أيّوب بن المتوكّل البصريّ المتوفّى سنة ٢٠٠.

ولأهل مكّة عدد واحد، وربّما اتّفقوا في عدد آي السّورة المعينة، وربّما اختلفوا قد يوجد اختلاف تارة في مصاحف الكوفة والبصرة والشّام، كما نجد في «تفسير المهدوي» وفي «كتب علوم القرآن»، ولذلك تجد المفسّرين يقولون في بعض السّور: عدد آياتها في المصحّف الفلاني كذا. وقد كان عدد آي السّور معروفًا في زمن النّبي ﷺ، وروى محدّد بن السّائب عن ابن عبّاس أنّه لما نزلت آخر آية وهي قوله تعالى: ﴿وَأَقْبُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية، قال جبريل للنّبي ﷺ: ضَعُها في رأس ثمانين ومائتين من سورة البقرة، واستمرّ العمل بعدّ الآي في عصر الصّحابة، ففي «صحيح البخاريّ» عن سعيد بن جبّير عن ابن عبّاس قال: إذا سرّك أن تعلم جهل العرب فاعرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾^١.

(١: ٧٣-٧٧)

الفصل التاسع والعشرون

نص العلامة الطباطبائي (م: ١٤٠٢) في «الميزان في تفسير القرآن»

﴿وَأَرْتَلَكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ يونس / ١

والآية: ومعناها العلامة، وإن كان من الجائز أن يسمى بها ما هو من قبيل المعاني أو الأعيان الخارجية، كما في قوله: ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَغْلِبَهُ عَلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾^١، وفي قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابِتْهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^٢، وكذا ما هو من قبيل القول، كما في قوله ظاهرًا: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾^٣. ونحو ذلك.

لكن المراد بالآيات ههنا هي أجزاء الكلام الإلهي قطعًا، فإن الكلام في الوحي التنازل على النبي ﷺ - وهو كلام متلوّ مقروء بأي معنى من المعاني - صوّر لنزول الوحي. فالمراد بالآيات أجزاء الكتاب الإلهي، وتتعين في الجملة من جهة المقاطع التي تفصل الآيات بعضها من بعض، مع إعانة ما من ذوق التفاهم، ولذلك ربّما وقع الخلاف في عدد آيات بعض السور بين علماء الإحصاء الكوفيّين والبصريّين وغيرهم. (٨٠: ٧-٨)

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ الحجر / ٧٥

الآية: العلامة، والمراد بالآيات:

أولًا - العلامات الدالة على وقوع الحادثة من بقايا الآثار.

١- الشعراء / ١٩٧.

٢- الأنبياء / ٩١.

٣- التحل / ١٠١.

وثانيًا - العلامة الدّالة للمؤمنين على حقّيّة الإنذار والدّعوة الإلهيّة. (١٢: ١٨٥)

عدد الآيات

[بعد ذكر قول في معنى السّورة كما تقدّم عنه في بابه، قال:]

ونظيره القول في الآية، فقد تكرّر في كلامه تعالى إطلاق الآية على قطعة من الكلام، كقوله: ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^١، وقوله: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^٢، وقد روى عن أمّ سلمة أنّ النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي، وصحّ أنّ سورة الحمد سبع آيات، وروي عنه ﷺ: أنّ سورة الملّك ثلاثون آية، إلى غير ذلك ممّا يدلّ على وقوع العدد على الآيات في كلام النبي ﷺ.

والذي يعطيه التأمّل في انقسام الكلام العربيّ إلى قطع وفصول بالطّبع - وخاصة فيما كان من الكلام مسجّعًا، ثمّ التدبّر فيما ورد عن النبي ﷺ في أعداد الآيات - أنّ الآية من القرآن هي قطعة من الكلام من حقّها أن تعتمد عليها التلاوة بفصلها عمّا قبلها وعمّا بعدها.

ويختلف ذلك باختلاف السياقات وخاصة في السياقات المسجّعة، فربّما كانت كلمة واحدة كقوله: ﴿مُذْهَبَانِ﴾^٣، وربّما كانت كلمتين فصاعدًا كلامًا، أو غير كلام كقوله: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^٤، وقوله: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾^٥، وربّما طالت كآية الدّين من البقرة / ٢٨٢... [ثمّ ذكر عدد السّور كما تقدّم عنه في بابه، فقال:]

وأما عدد الآي، فلم يرد فيه نصّ متواتر يعرف الآي، ويميّز كل آية من غيرها، ولا شيء من الأحاد يعتمد عليه، ومن أوضح الدّليل على ذلك اختلاف أهل العدد فيما بينهم، وهم

١- الأنفال / ٢.

٢- فصلت / ٣.

٣- الرحمن / ٦٤.

٤- الرحمن / ١-٤.

٥- الحاقة / ١-٣.

المَكِّيُّونَ والمدَنِيُّونَ والشَّامِيُّونَ والبَصْرِيُّونَ والكُوفِيُّونَ.

فقد قال بعضهم: إن مجموع القرآن ستة آلاف آية، وقال بعضهم: ستة آلاف ومائتان وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة، وقيل: وتسع عشرة، وقيل: وخمس وعشرون، وقيل: وست وثلاثون.

وقد روى المَكِّيُّونَ عددهم عن عبد الله بن كثير، عن مُجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب. وللمدَنِيِّينَ عددان ينتهي أحدهما إلى أبي جعفر مَرْثَدُ بن الْقَعْقَاعِ وشَيْبَةَ بنِ نَصَّاحٍ، والآخر إلى إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري. وروى أهل الشام عددهم عن أبي الذُّرْدَاءِ، وينتهي عدد أهل البصرة إلى عاصم بن العجاج الجَحْدَرِيُّ، ويضاف عدد أهل الكوفة إلى حمزة والكسائي وخلف، قال حمزة: أخبرنا بهذا العدد ابن أبي ليلى عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وبالجملة لما كانت الأعداد لا تنتهي إلى نص متواتر، أو واحد يعبا به ويجوز الركون إليه، ويتميز به كل آية عن أختها، لا ملزم للأخذ بشيء منها، فما كان منها بيّناً ظاهراً الأمر فهو، وإلا فللباحث المتدبر أن يختار ما أدى إليه نظره.

والذي روي عن علي عليه السلام من عدد الكوفيين معارض بأن البسملة غير معدودة في شيء من السُّور ما خلا فاتحة الكتاب من آياتها، مع أن المروي عنه عليه السلام وعن غيره من أئمة أهل البيت عليهم السلام أن البسملة آية من القرآن، وهي جزء من كل سورة افتتحت بها، ولازم ذلك زيادة العدد بعدد البسملات. وهذا هو الذي صرفنا عن إيراد تفاصيل ما ذكره من العدد هاهنا، وذكر ما اتفقوا على عدده من السُّور القرآنية وهي أربعون سورة، وما اختلفوه في عدده أو في رؤوس آية من السُّور وهي أربع وسبعون سورة، وكذا ما اتفقوا على كونه آية تامة أو على عدم كونه آية مثل: ﴿الر﴾ أينما وقع من القرآن وما اختلف فيه، وعلى من أراد الإطلاع على تفصيل ذلك أن يراجع مظائره... [ثم ذكر ترتيب السُّور نزولاً عن السيوطي]

كما تقدّم عنه في باب الرّابع من الجزء الثّاني].

(١٣: ٢٣١-٢٣٣)

نصّه أيضًا في «القرآن في الإسلام»

[انتهاء عدد الآيات]

عدد الآيات القرآنيّة ينتهي إلى زمن الرّسول ﷺ، فقد روي عنه بعض الأحاديث الّتي يذكر فيها عدد خاصّ من آيات سورة، كآيات عشر من سورة آل عمران مثلاً، وحتّى روي عنه عدد آيات بعض السُّور أيضًا كسورة الفاتحة سبع آيات وسورة الملّك ثلاثون آية. واختلفوا في عدد مجموع الآيات على ستّة أقوال ذكرها الدّاني... [ثمّ ذكر قوله، كما تقدّم عن السيوطي، فقال:]

قولان من هذه الأقوال الستّة لأهل المدينة، وأربعة أقوال لأهل بقيّة المُدن الّتي أرسل إليها مُصحّف عثمان، وهي مكّة والكوفة والبصرة والشّام. وكلّ صاحب قول من هذه الأقوال يسند رأيه إلى بعض الصّحابة، ثمّ يعتبرونها روايات موقوفة فينسبونها إلى النبيّ ﷺ ومن هنا اعتبر الجمهور عدد الآيات والتمييز بينها توقيفيّاً.

لأهل المدينة عددان كما ذكرنا؛ أحدهما لأبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاب، والثّاني عدد إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاريّ.

وعدد أهل مكّة هو عدد ابن كثير، عن مُجاهد، عن ابن عباس، عن أبيّ بن كعب.

وعدد أهل الكوفة عدد حمزة والكسائيّ وخلف، ويرويه حمزة عن ابن أبي ليلى عن أبي عبد الرّحمان السّلميّ عن عليّ عليه السلام. وعدد أهل البصرة عدد عاصم بن العجاج الجحدريّ.

وعدد أهل الشّام عدد ابن ذكّوان وهشام بن عمار وينسب إلى أبي الدرداء. والاختلاف في عدد مجموع الآيات أتى من قبل الاختلاف في عدد آية كلّ سورة. وقد ذكرنا أيضًا عدد حروف وكلمات سور القرآن وعدد المجموع، ولكن لا يهتّمنا الآن ذكر التفاصيل هنا.

(١٨٩-١٩١)

الفصل الثلاثون

نصّ الأُشيقِر (معاصر) في «لمحات من تاريخ القرآن»

[الآيات وأسمائها ومعناها]

هناك أسماء خاصة لآية واحدة أو عدة آيات متتالية، قد تكون هذه الأسماء كما في السُّور على أشهر الأقوال توقيفية (بأمر من الرّسول)، أو غير توقيفية عن طريق تسميتها باسم كلمة بارزه أو عبارة رئيسية موجودة في نفس الآية أو الآيات المتتالية، ومن أمثلة ذلك هي آية الكرسي في سورة البقرة، وآية التّجوى في سورة المجادلة، وآية المباهلة في سورة آل عمران، وآية التّطهير في سورة الأحزاب وغير ذلك.

أمّا بشأن الآية فإن معناها هي العلامة والمعجزة، وإنّما سُميت بذلك لأن كلّ آية هي دليل وعلامة على صحّة التّبوءة. فضلاً عن أن اجتماع والتقاء عدة آيات تتكوّن منها معجزة قائمة بذاتها، ويعجز الآخرون عن محاکاتها.

أمّا في الاصطلاح: فالآية هي طائفة من القرآن منقطعة عمّا قبلها وما بعدها وليس بينها شبه بما سواها.

وأطول آية في القرآن هي آية الدّين، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُضِيَ إِلَيْكُمْ بِذَيْنِ...﴾^١ وتضمّ هذه الآية مائة وعشرون كلمة... [ثم ذكر معنى الكلمة كما تقدّم عن الزّركشي].

أما الفاصلة فهي تطلق على الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن، كما وتطلق على رأس الآية، ويقال: إنها جاءت من التفصيل، وإثما سُميت بذلك لأنّها يتمّ بيان المعنى ويزداد وضوحه جلاءً وقوّةً. كما قيل: إنها سُميت بذلك لأنّه ينفصل عندها كلامان، لأنّ آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها. والسرّ في عدم تسميتها إسجاعاً يعود إلى خلوّ القرآن من السّجع، ولأنّ السّجع نقص وعيب، بينما الفواصل بلاغة وبيان.

والفاصلة^١ تكمل معنى الآية ويتمّ بها النغم الموسيقي لها، فهي أكثر ما تنتهي بالتّون والميم وحروف المدّ، وهي كلّها من الحروف الطّبيعيّة في الموسيقى نفسها.

ويتعلّق معنى الفاصلة بمعنى الآية كلّها تعلقاً كبيراً بحيث إنّنا لو أبعدناها لاختلّ المعنى واضطرب الفهم، فهي تؤدّي في محلّها جزءاً من معنى الآية ينقص ويُرْتَبك بطرحها واستبعادها، وقد يتضاعف تمكّن الفاصلة من مكانها حتّى لتشير إليها قبل التّفوّه والنّطق بها. وقد حفلت الكتب بأمثلة ملموسة على صحّة الفقرة الأخيرة ممّا لا مجال لإيرادها في هذا البحث الوجيز.

(٣٢-٣٤)

الفصل الحادي والثلاثون

نص السُّبُكِيِّ (معاصر) في «في رياض القرآن»

عدد الآيات في القرآن

فقد اختلف فيه العلماء وسبب الاختلاف أن الآية تحسب آيةً فقط عند بعضهم، وتحسب آيتين مثلاً عند غيره، فيزيد العدد وينقص، وهذا أمرٌ اعتباريٌّ لا أثر له ما دامت الآيات نفسها معروفةً، وقائمةٌ محفوظةٌ بحفظ الله لها، ولم يتطرق إليها أي احتمال.

هذا وقد بلغ بها بعضهم في العدد ستة آلاف وستمائة وست عشرة آيةً، ولكن حسابها في مُصْحَفِ عُثْمَانَ المتداول بإجماع المسلمين لم يصل بها إلى هذا القَدْر.

وقد جرى العرف الإسلامي أن يقال عند مفتاح كلِّ سورة في مُصْحَفِ عُثْمَانَ: سورة كذا، وعدد آياتها كذا، وهي مكِّيَّة أو مدنيَّة، أو هي كذلك إلا آية كذا... إلخ. والأمر في ذلك كله يسير كما قلنا، ولا مساس فيه بالقرن نفسه.

وهل البَسْمَلَةُ تعتبر آية واحدة في سورة التَّمَلُّ كما نزلت، وإلما تتكرَّر في افتتاح السُّور مجرد الفصل فقط، ولا تحسب آية من كلِّ سورة؟ ذلك رأي. وبعض الأئمة يراها باجتهاده آيةً في الفاتحة وفي كلِّ سورة. ويتربَّع على هذا أن تقرأ احتماً في كلِّ ركعات الصَّلَاة باعتبارها جزءاً من الفاتحة، تبطل الصَّلَاة بتركها كما تبطل بترك الفاتحة كلها. هذا هو اجتهاد الجمهور، ولكلٍّ مجتهدٍ نوابه.

الفصل الثاني والثلاثون

نص المصطفوي (م: ١٤٢٨) في «التحقيق في كلمات القرآن»

[معنى الآية لغةً واصطلاحاً]

«أيي» وأصل آخر وهو التعمد، يقال: تأييتُ على تفاعلتُ، وأصله تعمّدت آيته وشخصه. قالوا: وأصل آية: أءية بوزن أغية، مهموز همزتين، فحققت الأخيرة. قال سيبويه: موضع العين من الآية واو، لأن ما كان موضع العين منه واوًا واللام ياءًا أكثر مما موضع العين واللام منه ياء ان. قال الأصمعي: آية الرجل شخصه. قال الخليل: خرج القوم بأيّتهم، أي: بجماعتهم، منه آية القرآن، لأنها جماعة حروف، والجمع أي. وإيابة الشمس ضوءها، وهو من ذلك، لأنه كالعلامة.^١ قال ابن بري: لم يذكر سيبويه أن عين آية واو، وإنما قال: أصلها ياء، وهو آية، فأبدلت الياء الساكنة ألفاً.^٢

والظاهر أن هذه الكلمة مأخوذة من مادة «أوى يأوي» بمعن التوجّه والقصد والسير إلى مقام ليستريح فيه، فهي على وزن: «فَعَلَة» وهذه المادة كثير استعمالها من الياثي [أيي] وإن كان معناه قريباً منها وهو التعمد. فالآية ما يكون موردًا للتوجّه والقصد في السير إلى المقصود ووسيلة للوصول بها إليه، وهذا المعنى منظور في جميع موارد استعمالها. ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾^٣ فهي كل ما يكون موردًا للقصد والتوجّه للوصول إلى

١- مقاييس اللغة ١: ١٦٨.

٢- لسان العرب ١٤: ٦٣.

٣- البقرة ٢٣١.

الله تعالى ومعرفته. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾^١، أي آيات من الكتاب الذي عند الله تعالى من الحقائق والمعارف والعلوم الثابتة، وهو الكتاب المبين والكتاب الحكيم، والقرآن المبين.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾^٢، فإن ذلك الكتاب باعتبار الضبط كتاب، وباعتبار قراءته قرآن، فالكتاب إذا ينسب إلى الكاتب المنشيء الضابط، والقرآن إذا ينسب إلى القارئ المتعلم المخاطب به. وإطلاق الكتاب والقرآن على هذه المجموعة باعتبار أنها مظهر تام ومصداق كامل ومرتبة نازلة جامعة منه، وهي في الحقيقة آيات منه.

﴿ذَلِكَ ثُلُوثٌ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾^٣.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تُلْوَهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾^٤.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ...﴾^٥.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾^٦.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾^٧.

﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾^٨.

﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ﴾^٩.

﴿كِتَابٍ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَّبَ بَرُّو آيَاتِهِ﴾^{١٠}.

(١: ١٧٢-١٧٣)

١- يونس/ ١.

٢- الحجر/ ١.

٣- آل عمران/ ٥٨.

٤- آل عمران/ ١٠٨.

٥- الأنعام/ ٩٨.

٦- الحج/ ١٦.

٧- التمل/ ١.

٨- الزمر/ ٧١.

٩- الطلاق/ ١١.

١٠- ص/ ٢٩.

الفصل الثالث والثلاثون

نصّ العسكريّ (م: ١٤٢٨) في «القرآن الكريم وروايات المدرستين»
[معنى الآية لغةً واصطلاحاً]

في اللغة

أشهر معاني «الآية» في اللغة: العلامة الواضحة للشيء المحسوس، والأمانة الدالة على المراد للأمر المعقول.

ومثال الأول: قوله تعالى في سورة مريم/١٠ في حكاية قول زكريّا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، أي: قال اجعل لي علامة واضحة.
ومثال الثاني: قوله تعالى في سورة يوسف/١٠٥: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾. أي كم من أمانة تدلّ على قدرة الله وحكمته - أو غيرها من صفاته - يرون عليها وهم عنها معرضون. وقول الشاعر:
وفي كل شيء له آيةٌ تدلّ على أنه واحد

في المصطلح الإسلاميّ

ما قاله الراغب في «مفردات القرآن»... [وذكر كما تقدّم عنه، ثم قال:] وتضاف إليه الحروف المقطعة المبدوء بها بعض سور القرآن، مثل قوله تعالى في سورة البقرة/١: ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ وفي سورة فصلت/١: ﴿حَمَّ تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.
قال المؤلف: إن الرّاغِب وإن لم يفرّق بين المعنى اللّغويّ للآية والذي قدّم ذكره، وبين معانيها في المصطلح الإسلاميّ وآتي آخر ذكرها، غير أنّنا لمّا وجدنا المجموعة الثّانية لم ترد

عند العرب، وإتجاهات في الكتاب والسنة خاصة، وشاع فيهما استعمال الآية في تلك المعاني، قلنا بأنها من معاني الآية في المصطلح الإسلامي، وكذلك القاعدة في معرفة المصطلح الإسلامي، مثل مصطلح الصلاة والزكاة والخمس في الشريعة الإسلامية. وإن الرأغب في تعريفه معنى الآية قسم ما وصفناه بالمصطلح الإسلامي إلى قسمين:

١- ما اعتبر «الحكم» في التسمية، حيث قال: «كل جملة دالة على حكم آية، سورة كانت أو...».

٢- ما اعتبر «اللفظ» في التسمية، حيث قال: كل كلام...

ونحن بعد البحث والفحص عن موارد استعمال الآية في القرآن الكريم وجدنا الرأغب مصيباً في قوله، وإليك الدليل على ذلك:

أولاً- وجدنا من أمثلة القسم الأول:

١- قوله تعالى في سورة البقرة/١٠٦: ﴿مَّا تَسْمَعُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِيحَاتٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾.

٢- قوله تعالى في سورة التحل/١٠١: ﴿وَإِذَا بَدُلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾.

٣ - وقوله تعالى في سورة الأحزاب/٣٤ في خطابه لأزواج النبي ﷺ: ﴿وَإِذْ كُنَّ مَائِثَلِي فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾.

٤ - ومنها قوله تعالى في سورة القصص/٥٩: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾. وقوله تعالى في سورة الزمر/٧١ في حكاية خطاب الملائكة لأهل جهنم: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزِّتْهَا لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾.

٥- وقوله تعالى في سورة آل عمران/١١٣: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾. والمعنى:

في الآية الأولى: ما تنسخ من حكم في فصل من كتاب الله أو ننسه نأت بخير منه أو بمثله.

وفي الآية الثانية: وإذا بدلنا حكمًا في فصلٍ أو فصولٍ من كتاب الله بحكم آخر في فصلٍ أو فصولٍ من كتاب الله.

وفي الآية الثالثة: واذكرن يا أزواج النبي ﷺ ما يتلى في بيوتكن من أحكام الله اللاتي جاءت في فصولٍ من كتاب الله.

وفي الآية الرابعة: حتى يبعث الله في أم القرى رسولاً يتلو على أهلها أحكام الله في فصولٍ من كتاب الله.

وفي الآية الخامسة: ليس أهل الكتاب متساوين في أمر الدين، منهم أمة مستقيمة يتلون أحكامًا من فصول كتاب الله.

ثانيًا - وجدنا من أمثلة القسم الثاني، قوله تعالى في سورة يوسف ١/ ﴿الَّتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾. وقوله تعالى في سورة الرعد ١٠/ ﴿الَّتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾. وكذلك جاء نظيرها في أول يونس والتمل، والثانية من الشعراء والقصص ولقمان.

إن هذه الآيات ونظائرها تُشير إلى الآيات التي تشخص في كل سورة بالعدد، ويقال مثلاً: سورة الحمد سبع آيات، كما جاء في حديث الرسول ﷺ.

والآية بهذا المعنى لم ترد في القرآن الكريم بغير لفظ الجمع، وقد قصد من الآية هنا ألفاظ الجملة القرآنية دون معناها. ونضيف إلى ما سبق ما جاء في مادة الآية من مُعْجَم ألفاظ القرآن الكريم قولهم. وسميت معجزات الأنبياء آية لأنها علامة على صدقهم وعلى قدرة الله. ونقول: إن منها قوله تعالى في حكاية قول صالح لقومه: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾.

وقوله تعالى في سورة التمل ١٢/ في خطابه لموسى بن عمران حين أرسله إلى فرعون وقومه: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ

إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ^١، وبناءً على ما بيّناه فلفظ «آية» مشترك بين ثلاثة معانٍ في المصطلح الإسلاميّ مضافاً إلى معانيها في اللّغة العربيّة. وقد استعملت الآية بكثرة في معانيها اللّغويّة والاصطلاحيّة جميعاً في القرآن الكريم.

ولابدّ لنا في تشخيص المعنى المقصود أن نعمل بما قرّره العلماء في علم أصول الفقه من أنّ اللفظ المشترك إذا جاء في الكلام لابدّ أن تدلّ قرينة على المعنى المقصود منه. وعليه ينبغي لفهم المراد مما جاء من مادة الآية في القرآن، أن نبحث عن القرينة الدّالة على المعنى المقصود في التعبير القرآنيّ.

الخلاصة: الآية في اللّغة: العلامة الواضحة على شيء محسوس أو الإمارة الدّالة على شيء معقول. في الكلام دوغماً قرينة تعيّن المعنى المقصود....

وفي المصطلح الإسلاميّ قد تكون الآية: معجزة من معاجز الأنبياء أو جملة من ألفاظ سورة قرآنيّة معيّنة بالعدد أو فصلاً أو فصولاً من كُتُب الله تبين حكماً من أحكام شريعته.

ولا نقول: إنّ معنى الآية في المصطلح الإسلاميّ ينحصر بما ذكرناه، بل نقول: هذا ما عرفناه من معاني الآية إلى اليوم، ولعلّ البحث يعرفنا بعد اليوم غيرها من معاني الآية في المصطلح الإسلاميّ. إذا لفظ الآية مشترك في المصطلح الإسلاميّ بين عدّة معانٍ، ولا يستعمل اللفظ المشترك.

(٢٧٩-٢٨٤)

الفصل الرابع والثلاثون

نصّ حسن زاده الآمليّ (١٣٤٧-...) في «فصل الخطاب...»^١

عدد آي القرآن وحروفه

ومّا يعلن بشدّة عناية المسلمين بضبط القرآن وحفظه عن التحريف عدّهم كلماته وآيه وحروفه حتّى فتّحاته وكسّراته وضّمّاته وتشدّيداته ومدّاته، وأفرد السيوطيّ في «الإتقان» فضلاً في ذلك.

وفي «الوافي» للفيض رحمته، قال السيّد حيدر بن عليّ بن حيدر العلويّ الحسينيّ طاب ثراه في تفسيره الموسوم «بالمحيط الأعظم»: إن أكثر القراء ذهبوا إلى أن سور القرآن بأسرها مائة وأربع عشرة سورة، وأن آياته ستّة آلاف وستّمائة وست وستون آية، وإلى أن كلماته سبعة وسبعون ألفاً وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة، وإلى أن حروفه ثلاثمائة ألف واثنتان وعشرون ألفاً وستّمائة وسبعون حرفاً وإلى أن فتّحاته ثلاثة وتسعون ألفاً ومائتان وثلاث وأربعون فتحة.. إلخ.

روى الطبرسيّ في تفسير سورة «هل أتى» من المجمع رواية مستندة عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وآله عن ثواب القرآن... [وذكر كما تقدّم عنه في عدد السور] وذكر ابن التّديم في الفهرست ص: ٤١ من المقالة الأولى اختلاف النّاس في أي القرآن.

١- طبعت هذه الرسالة في كتاب يسمّى «ثماني رسالات عربية» بالفارسيّة. (م)

أقول: قد عُدَّ خلق كثير حروف القرآن وآخرون نقلوا منهم وذكروا في تأليفاتهم، ومنهم المولى أحمد التراقي في «الخرائن»^١: ٢٧٥ ط: طهران ١٣٨٠ ق. ثم اختلف العادون في مقدارها عددًا، ولا ريب أن تحديد أمثال هذه الأمور لا يخلو من اختلاف، والاختلاف ليس إلا منهم لا من المصحف، فإنه واحد نزل من عند واحد، وما بُدِّل منه شيء وما زيد فيه حرف وما نقص منه كما علمت، وإنما غرضنا في ذلك التوجه إلى اهتمام المسلمين قاطبةً عصرًا بعد عصرٍ في ضبط كلام الله تعالى عن تحريف ما، وإن كان الاشتغال باستيعاب ذلك ممَّا لا طائل تحته، ولننعم ما قال السخاوي: «لا أعلم لعدِّ الكلمات والحروف من فائدة، لأن ذلك إن أفسد فإنما يفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والتقصان، والقرآن لا يمكن فيه ذلك»^٢.

وأما اختلاف الآي وسببه فهو ما قال السيوطي في «الإتقان»: «أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك... إلى أن قال: وسبب الاختلاف في عدد الآي أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلها وصلها للتمام، فيحسب السامع حينئذٍ... ثم ذكر قول الطبرسي في عدد آي القرآن والفائدة في معرفتها، كما تقدم عنه، فقال: [

وبالجملة: أن عدد أمثال تلك الأمور وتحديداتها قلما يتفق أن يتحد الاثنان من العاديين، ولا يفتقر القارئ الكريم بتلك الاختلافات أن المصاحف كانت مختلفة.

والعجب من الفيض ﷺ قال في «الوافي» ج ٥ ص: ٢٧٤: «قد اشتهر اليوم بين الناس أن القرآن ستة آلاف وستمائة وست وستون آية، ثم روى رواية الطبرسي المذكورة آنفًا في «المجمع» عن النبي ﷺ، ثم جعل أحد الاحتمالات في اختلاف الرواية والشهرة اختلاف المصاحف، حيث قال: فلعن البواقى تكون مخزونة عند أهل البيت ﷺ وتكون فيما جمعه أمير المؤمنين عليه السلام إلخ.

١ - ط: طهران ١٣٨٠ ق، ص: ٢٧٥.

٢ - الإتقان: ٧٢.

لكنّه ﷺ عدل عنه واستبصر وقال في المقدمة السادسة من تفسيره «الصافي» بعد نقل عدّة روايات في تحريف الكتاب؛ أقول: ويرد على هذا كلّ إشكال، وهو أنّه على هذه التقدير لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن، إذ على هذا يحتمل كلّ آية منه أن يكون محرّفًا ومغيّرًا ويكون على خلاف ما أنزل الله، فلم يبق لنا في القرآن حجة أصلاً، فتنتفي فائدة الأمر باتّباعه والوصيّة بالتمسك به إلى غير ذلك، وأيضاً قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^١ وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^٢، فكيف يتطرّق إليه التحريف والتّغيير، إلخ.

(٢٦٩-٢٧١)

الفصل الخامس والثلاثون

نصّ مرتضى العامليّ (معاصر) في «حقائق هامة...»

عدد حروف القرآن وآياته

أخرج الطبراني بسند موثق عن عمر بن الخطاب مرفوعاً: «القرآن ألف ألف وسبعة وعشرون ألف حرف»^١.

وقيل: ألف ألف واحد وعشرون ألفاً ومائة وخمسون حرفاً.

وقيل: غير ذلك^٢. وفي نصّ آخر: سبعة عشر ألف آية، مع أن القرآن الموجود فعلاً أقلّ من

ثلاث هذا العدد^٣.

أولاً- قال الصدوق: «بل نقول: إنه قد نزل من الوحي الذي ليس بقرآن ما لوجع إلى القرآن، لكان مبلغه مقدار سبع وعشرة ألف آية، وذلك مثل قول جبرئيل للسّبيّ ﷺ: «إن الله يقول لك: يا محمد! دارِ خلقي مثل ما أداري»، ومثل قوله: «اتقِ شُحناء الناس وعداوتهم» إلخ. ثمّ يذكر كثيرًا من الفقرات التي تتعلّق بوصايا جبرئيل له ﷺ بالسّواك والجار وغير ذلك،

١- الإتهان ١: ٧٠، وكنز العمال ١: ٤٦٠ و ٤٨١، عن الطّيالسيّ، وأبي نصر السّجزيّ في الإبانة، وابن مرّدويه، والطّبراني في الصغير، وجمع الزّوائد ٧: ١٦٣ والبرهان للزّركشيّ ١: ٢٤٩، و ٢: ١٢٧، ومناهل العرفان ١: ٣٤٢، وراجع: ٢٧٣ والبيان لآية الله الخوئيّ: ٢٢١، عن الإتهان، وعن كنز العمال ١: ٥١٧ و ٥٤١.

٢- راجع: سعد السّعود: ٢٧٨ و ٢٧٩.

٣- راجع: سعد السّعود: ١٧٩ والإتهان ١: ٦٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١: ٧، والواقي ٥: ٢٧٤ ومصابيح الأنوار ٢: ٢٩٥ وتاريخ القرآن للأبياري: ١٥٨، واعتقادات الصدوق، والفهرست لابن التّديم: ٣٠.

وما أبلغه إتياء من أوامر إلهية، كأمره تعالى له بعد الخندق المسير إلى بني قريظة، وغير ذلك مما لا مجال له هنا^١.

وثانيًا - يلاحظ وجود اختلاف في رواية عدد الحروف، الأمر الذي يضعف الثقة بصحتها وصدورها.

وثالثًا - هناك التصوص التي تعدّ بالمشات إن لم ترد على ذلك، وتدل على أنّ هذا الذي وصل إلينا هو نفس المصحف الذي كتبه عثمان، وأرسله إلى الأقطار الإسلامية، بل لقد ادّعى أنّه هو نفس ما جمعه أبو بكر أو عمر قبل ذلك. ونحن نرى أنّه هو نفس ما تركه رسول الله ﷺ، فلو كان قد ذهب منه ثلثاه، لقامت قيامة الصحابة وسائر المسلمين، ولتواتر نقل ذلك لنا وأعلنت به المعارضة، ولظهرت المطالبة بالمبادرة إلى ما يحفظ لهم ما بقي منه. أضعف إلى ذلك أنّنا قد ذكرنا في هذا الكتاب أنّ صحابة النبي ﷺ كانوا لا يقبلون بأدنى تصرف يتعرّض له كتاب ربهم، بل هم على استعداد لحمل السيف وخوض غمار حرب لا تعلم نتائجها في سبيل حرف من حروفه ولو مثل الواو أو نحو ذلك، كما جرى لأبي بن كعب رضي الله عنه.

بل إن ما جرى على أبي ذر رضي الله عنه قد كان في سبيل دفاعه عن حريم القرآن العظيم والسنة الشريفة. هذا إلى شواهد كثيرة أخرى تؤيد ذلك وتدعمه.

ورابعًا - ولا يجب أن ننسى أخيرًا أنّ الصحابة قد كتبوا كثيرًا من مصاحفهم في عهد رسول الله ﷺ، وإن كانوا قد كتبوها مشوشة الترتيب، كلّ حسبما تيسّر له. وقد أوردنا بعض التصوص الدالة على وجود المصاحف في عهده ﷺ لديهم.

هذا بالإضافة إلى وجود كثير من الصحابة قد جمعوا القرآن كلّ في عهده رسول الله ﷺ، وقد حفظ لنا التاريخ أسماء طائفة منهم. وكان حفاظ القرآن يعدّون بالمشات والألوف إلى آخر ما قدّمناه ممّا لا مجال لإعادته.

(٣٧١-٣٧٣)

الفصل السادس والثلاثون

نصّ آل عصفور (معاصر) في «المرشد الوجيز لقراء كتاب الله العزيز»

[معنى الكلمة والاختلاف في عددها]

اعلم! أن اللَّفْظ عبارة عن الصَّوْت المفلوظ من الفَم المتسبِّب عن الهوَاء الخارج من الرئتين والمرَّ بجهَّاز التَّنْقِي في الفم، وهو من باب تسمية المسبَّب باسم السَّبَب، وهو على قسمين:

الأوَّل منهما- ما كان مفارقاً لمعنى ويسمَّى بالمُهْمَل، وهو ما لم يوضع بإزاء معنى معيَّن ولا يفهم منه شيء.

وثانيهما- ما كان مقارناً لمعنى ويسمَّى بالمستعمل، وهو ما تمَّ التَّوَّاضع عليه في أصل وضع اللَّفْظ بإزاء معنى معيَّن مراد ومُفْهَم مطلوب وينقسم إلى طبيعيٍّ ووضعيٍّ:

الأوَّل- ما كان صادرًا بمقتضى طبع الإنسان وفطرته، وهو خارج عن مباحث العلوم اللَّغَوِيَّة والقرآنيَّة لعدم افتقاره إلى ضبط وإطباق الجبلة عليه وعدم تعلُّق غرض من مسائلهما به البتَّة.

الثَّاني- ما كان صادرًا بمقتضى الحاجة للبيان، وهو المقصود بالبحث عنه فيهما، ويكون تارةً منطوقاً بالفعل وهو المسموع صريحاً، وأخرى بالقوَّة وهو المفهوم ضمناً بقرينة المسموع. ومنه عرِّفت الكلمة في الاصطلاح بأنَّها لفظ بالقوَّة أو بالفعل مستقلٌّ دالٌّ بجملته على معنى مفرد على أجدود التعاريف. وقد وقع الخلاف في عدد كلمات القرآن الكريم والمستقرب أنَّه (٧٧٤٣٦) كلمة.

ومما قيل: إنّه (٧٧٤٣٧) كلمة ذكره السيّد حنّدر الآمليّ في تفسيره، ونسب إلى البصريّين كما في تفسير البروجرديّ.

وقيل: إنّه (٧٧٤٣٠) كلمة، ونسب إلى الكوفيّين والشاميّين.

وقيل: إنّه (٧٧٤٨٩) كلمة، ونسب إلى أهل الحرّمين.

وقيل: إنّه (٧٧٤٣٤) كلمة، ونسب إلى أعثر على قائله.

وقيل: إنّه (٧٧٤٥٠) كلمة، ونسب إلى الكوفيّين.

وقيل: إنّه (٧٧٤٢٠) كلمة، عند حُميد بن الأعرج.

وقيل: إنّه (٧٧٤٩٩) كلمة، ونسب إلى إبراهيم التيميّ.

وقيل: إنّه (٧٧٤٣٩) كلمة، والقائل به عطاء.

وقيل: إنّه (٧٧٤٣٦) كلمة، والقائل به عبدالعزيز.

وغيرها من الأقوال الّتي لا طائل من ذكرها، وكان منشأ الاختلاف في تعيين الكلمات، حيث إنّ أقصرها حرفان، كمن وما ولا وإن، وإن جاء كثير من حروف المعاني على حرف واحد كواو العطف، وهمزة الاستفهام والباء الجارّة، لكنّها لما لم ينطق بها مفردة فلم يعتبروها رأساً وأطواها عشرة أحرف مثل: «ليستخلفنهم»، وأمّا قوله: «أفأسقيناكموه» فهو وإن كان في اللفظ أحد عشر حرفاً لكنّه في الرّسم عشرة. وكيف كان، فتنقسم جملة ما تأتلف الكلمة منه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل - الحروف الهجائيّة، وقد تقدّم الكلام عليها مفصّلاً فلا نعيد، وتنقسم بحملتها إلى ضربين:

الأوّل - ما يكون في حقيقته مفرد، وحدوثه عن حبة هوائية صوتيّة غير تامّة، ويكون كذلك في أحد عشر حرفاً، وهي الباء والتاء أو الجيم والذال والضاد أيضاً من وجه، والطاء والقاف والكاف واللام والميم والتون أيضاً من وجه.

الثاني - ما يكون في حقيقته مركّب، وحدوثه عن حبة هوائية صوتيّة غير تامّة مع إطلاق في آن واحد، ويكون كذلك في الهمزة والتاء والهاء والخاء والذال والراء والزاي

والسّين والشّين والصاد والعين والغين والفاء والهاء والواو والياء والظاء. ويرجع سبب حدوث الحروف فيما هو المردّد بين نفس التّموج، فإنّه يفعل الصّوت، وقد سبق إيضاحه في صدر الفصل السّابق فراجع.

القسم الثّاني - الأشكال - ويقال لها: العلامات وهي على ثلاثة أنواع:

النوع الأوّل - الحركات وهي جمع حركة، وهي عرض للحرف تحلّه، قال أبو عمرو الدّاني: اعلم! أنّ الحركات ثلاث: فتحة وكسرة وضمة، فموضع الفتحة من الحرف أعلاه، لأنّ الفتح مُستقلّ، وموضع الكسرة منه أسفله، لأنّ الكسر مُستقلّ، وموضع الضّمة منه أمامه أو وسطه، لأنّ الفتح لما حصلت في أعلاه. والكسرة في أسفله لأجل استعلاء الفتح وتَسفُل الكسر بقي وسطه فصار موضعاً للضّمة، انتهى. والأصحّ في الفتح والضّم والكسر والسكون أنّها حركات للعضو من الشّفتين أو اللّسان أو الحنك التي يخرج منه الحرف، فالفتحة عبارة عن فتح الشّفتين عند التّطقي بالحرف، والضّمة تحريك الشّفتين بالضّم، والكسرة تُنشأ من انجرار اللّحي الأسفل إلى الأسفل انجراراً قوياً، وهذه الحركات تكون ظاهرة ومقدّرة.

وعدد الضّمّات التي توجد في القرآن أربعون ألفاً وثمانمائة وأربع ضّمّات (٤٠٨٠٤). وقيل: أربعون ألفاً ثمانمائة وأربع عشرة ضمة (٤٠٨١٤). وعدد الفّتحات ثلاث وتسعون ألفاً ومائتان وثلاث وأربعون فتحة (٩٣٢٤٣). وعدد الكسّرات تسع وثلاثون ألفاً وخمسمائة وست وثمانون كسرة (٣٩٥٨٦). وقيل: تسع وثلاثون ألفاً وخمسمائة وثلاث وثمانون كسرة (٣٩٥٨٣). وقيل: تسع وثلاثون ألفاً وخمس مائة وثلاث وثمانون كسرة (٣٩٥٨٣).

النوع الثّاني - التّنوين، وهو نون السّاكنة زائدة أصالة متطرّفة، تلحق آخر الاسم لفظاً ووصلاً وتسقط خطأً ووفقاً لغير تأكيد. وهو عبارة عن تضعيف الحركات الثلاث إلى ضمتين وفتحتين وكسرتين كتابةً وإخراجها عند التّلفّظ نوّناً وسياًتي مزيد من الكلام عنه في بابه.

النوع الثّالث - السّكون: وهو ضدّ الحركة، أو بعبارة أخرى عدمها. (١٦٩-١٧٢)

الفصل السابع والثلاثون

نصّ الأبياريّ (معاصر) في «الموسوعة القرآنيّة»^١

عدد الآيات

والآية : طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها، وهي مسأله توقيفيّة أخذت عن الرسول. وهذا الاختلاف الذي وقع بين السلف في عدد الآيات مرجعه إلى اختلاف السامعين عن الرسول في ضبط الوقف والوصل، فالمعروف أنّه كان ﷺ يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا علّم محلّها وصل للتّمام، فوهم بعض السامعين عند الوصل أن ليس ثمة فصل، ومن هنا كان الخلاف... [ثمّ ذكر أقسام السّور بالنسبة إلى اختلاف عدد الآيات، كما تقدّم عن السيوطي نقلاً عن الموصلي].

(٣٣٦-٣٣٢)

١- مثل هذا النصّ في كتابه: «تاريخ القرآن»: ٥٥-٦١، ط: دار القلم. (م)

الفصل الثامن والثلاثون

نصّ الحجّتيّ (معاصر) في «مختصر تاريخ القرآن الكريم» [معنى الآية لغةً واصطلاحاً]

المعنى اللّغويّ

من المعاني اللّغويّة لكلمة (آية):

١- العلامة، وهذا المعنى ورد في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ...﴾^١.

٢- الجماعة، كقولهم: «خرج القوم بآيتهم لم يدعوا وراءهم شيئاً»^٢.

٣- الأمر العجيب، كقولهم: «فلان آية في كذا»^٣.

وهذه المعاني الثلاثة تصدق على أي القرآن الكريم، فهي:

أولاً- دليل على صدق الرّسول وعلامة لنبوته، كما أنّها علامة عجز المخالفين

والمعارضين^٤.

ثانياً- هي مجموعة من حروفٍ وكلماتٍ وجُمَلٍ.

ثالثاً- أنّها مثيرة للعجب لإعجازها في اللفظ والمعنى.

١- البقرة/٢٤٨.

٢- راجع النهاية في غريب الحديث مادة آية، وروض الجنان ١: ١٠.

٣- انظر: لسان العرب وتاج العروس.

٤- انظر: نفس المصدر.

وذكرت للآية معانٍ لغويةً أخرى فراجعها في مظانها.^١
 المعنى الاصطلاحي

كلام قرآني مكوّن من حروف أو كلمات أو جمل، حدود معيّنة عن طريق الرواية. فمعرفة بداية الآية ونهايتها إذن (توقيفي)، أي يفهم عن طريق بيان الشارع ونبي الإسلام ﷺ، ولا مجال للذوق والاجتهاد في ذلك.

ومع أن معرفه حدود الآية توقيفي وليس اجتهادياً، فقد اختلف العلماء في تعيين حدود بعض الآيات، فقال بعضهم: إن الآية الوحيدة المكوّنة من كلمة واحدة هي: ﴿مُذْهَبَانِ﴾ وقال آخرون: هناك آيات أخرى مكوّنة من كلمة واحدة مثل: «والسّجّم، والضّحى، والعصر» كما اختلفوا في تعيين الحروف المقطعة التي تبتدئ بها بعض السّور مثل: «الْم» و«الْمصّ»، «المرّ»... أي آية مستقلة أم جزء من آية؟

وهذا الاختلاف ناتج عن الاختلاف في الرواية، فرسول الله ﷺ كان يقف عند انتهاء الآية في تلاوته، كي يعرف الناس حدودها. وقال ابن العربي، إن الرّسول ﷺ عيّن حدود الآيات كما عيّن حدود السّور، ولكن ابن العربي صرح بأن إحصاء الآيات وعدّها من المشاكل المعضلة، وذلك لاختلاف الرواية في حدود بعض الآيات.^٢

اتجاهات عدّ آيات القرآن الكريم

ذكرنا أن رسول الله ﷺ كان يقف في تلاوته عند انتهاء الآية ليفهم المسلمون حدودها، غير أنّه ﷺ كان يصل بين الآيتين أحياناً لاتصال موضوعهما، ولذلك اختلف الروايات في حدود بعض الآيات. وأدّى ذلك إلى اختلاف في عدّ الآيات، وظهرت اتجاهات متعدّدة في العدد، كل اتجاه يستند إلى ما توفّر لديه من روايات بهذا الشأن ونحن نستعرض باختصار هذه الاتجاهات:

١- راجع التّهايه في غريب الحديث: مادة آية، وروض الجنان ١: ١٠١.

٢- الإختان ١: ١١٥.

١- الاتجاه الكوفي: أو العدد الكوفي، وهو العدد المنسوب إلى حمزة بن حبيب الزيات وأبي الحسن الكسائي وخلف بن هشام. ورُوي عن حمزة قال: إنه أخذ هذا العدد عن ابن أبي ليلى، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب عليه السلام.^١

٢- الاتجاه المدني: ويُقَل عن أهل المدينة عددان... [وذكر كما تقدّم عن الطبرسي]

٣- الاتجاه المكي: أو العدد المكي، قيل: إنه منسوب إلى مجاهد بن جبر المكي وإسماعيل المكي. وقيل: إنه غير منسوب إلى أحد، بل إن نهاية كل آية في مصاحف مكة مشخصة بثلاث نُقْط، وهي علامة تشخيص عدد أهل مكة. أما السيوطي فقال: إن هذا العدد مروى عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب.^٢

٤- الاتجاه البصري: العدد البصري يستند إلى عاصم بن أبي الصباح أو أبي حجاج الجحدري^٣، وأيوب بن المتوكل. وليس بين الاثنين اختلاف في عدّ الآيات سوى آية ﴿وَالْحَقُّ﴾ والحق أقول^٤، فالجحدري اعتبرها آية بينما أيوب لم يعتبرها آية مستقلة^٥.

٥- الاتجاه الشامي: العدد الشامي منسوب إلى عبد الله بن عامر اليحصبي، وقيل: إن اليحصبي نقله عن أبي الدرداء.^٦

والطبرسي يرجّح العدد الكوفي لأنها مروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومؤيد بحديث عن الرسول ﷺ.^٧

فيكون عدد الآيات حسب هذا الاتجاه نقلًا عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ

١- الإتيان ١: ١١٦، وجمع البيان ١: ١١.

٢- مقدّمتان: ٢٤٦، الإتيان ١: ١١٦.

٣- راجع: جمع البيان ١: ١١، ومقدّمتان: ٢٤٦.

٤- ص/ ٨٤.

٥- جمع البيان ١: ١١.

٦- الإتيان ١: ١١٦، مقدّمتان: ٢٤٦.

٧- جمع البيان ١: ١١.

٦٢٣٦ آية^١... [ثم ذكر قول الدّانيّ في عدد آي القرآن، كما تقدّم عن السيوطي].

(٤٠-٣٥)

عدد حروف القرآن وكلماته

شكّك بعض العلماء في جدوى مثل هذه الدّراسة وهذه العدّة، وقالوا: إنّما يكون جدوى لمثل هذا العدّ لواحتملنا حدوث زيادة أو نقصان في القرآن، وهذا ما لا يحدث^٢. لكنّ كثيرًا من العلماء تناولوا هذا الموضوع بدقّة واهتمام مؤكّدين أنّ كلّ لون من الدّراسة والبحث في كتاب الله لا تخلو من فائدة خاصّة، وإنّ السّلف قد اهتموا بهذه المسألة أيضًا. بشأن عدد كلمات القرآن ذكرت الأرقام التّالية:

٧٦٤٤٠ و ٧٧٢٧٧ و ٧٧٤٣٧ و ٧٧٤٣٩ و ٧٧٩٣٤.

وحول الحروف ذكرت أرقام متباينة أيضًا على التّحو التّالي: ٣٠٠٦٩٠ و ٣٢٠٢١٠ و ٢١٢٥٠ و ٣٢٢٣٧٣ و ٣٢٣٦٧٠ و ٣٢٥٠٧٢ و ١٠٢٧٠٠٠^٣.

ومن الواضح أنّ الاختلاف في أرقام الكلمات والحروف يعود إلى الاختلاف في الإملاء القرآنيّ والاختلاف الروائيّ.

ويذكر ابن عطية إحصائية للحروف والمجانيّة في القرآن كما يلي... [وذكر كما تقدّم نحوه عن الشّيخ البهائيّ].

جدول لعدد آيات كلّ سورة من سور القرآن وكلماتها وحروفها ورقمها حسب ترتيب التّزول وكونها مكّيّة أو مدنيّة^٤:

١- مجمع البيان ١: ٤٠٦.

٢- الإقنآن ١: ١٢٠.

٣- الإقنآن ١: ١١٥ و ٢٢١ ومقدّمتان ص ٢٤٦ و ٢٥٠ ومجمع البيان ٨: ٤٠٦ ط: صيدا والكشكول للشّيخ البهائيّ ١: ٤٥٦.

٤- لقد اعتمدنا فيما يتعلّق بعدد الآيات المكيّة والمدنيّة في كلّ سورة وفي السّور نفسها المصنّف المتداول بين المسلمين دون كتب التفسير التي قد تختلف فيما بينها في ذلك، بل إنّ الكتاب الواحد قد يورد عدّة أقوال.

اسم السورة	عدد الآيات	عدد الكلمات	عدد الحروف	رقم السورة حسب ترتيب النزول	مكيّة أو مدنيّة
الفاتحة	٧	٢٩	١٤٢	١ أو ٢ أو ٥	مكيّة أو مكيّة و مدنيّة
البقرة	٢٨٦ أو ٢٨٥. ٢٨٧	٦٢٢١	٢٥٥٠٠	٨٦ أو ٨٧	مدنيّة عدا الآية ٢٨١
آل عمران	٢٠٠ أو ١٩٩	٣٤٨٠	١٤٥٢٥	٨٩	مدنيّة
النساء	١٧٦ أو ١٧٧، ١٧٥	٣٧٤٥	١٦٠٣٠	٩٢	مدنيّة
المائدة	١٢٠ أو ١٢٢ ١٢٣	٢٧٠٤	١١٩٣٣	١١٢	مدنيّة عدا الآية ٣
الأنعام	١٦٥- ١٦٦- ١٦٧	٣٨٦٠	١٢٢٥٤	٥٥	مكيّة عدا الآيات ٢٠، ٢٣، ٩١، ٩٣، ١١٤، ١٥١، ١٥٣، ١٤١، ١٥١، فهي مدنيّة
الأعراف	٢٥٠ أو ٢٠٦ (٢٠٦)	٣٨٢٥	١٣٨٧٧	٣٩	مكيّة سوى الآيات (١٦٣ إلى ١٧٠)
الأفقال	٧٥ أو ٧٦، ٧٧	١٠٩٥	٥٠٨٠	٨٨	مدنيّة عدا الآيات (٣٠ إلى ٣٦)
التوبة	١٢٩ أو ١٣٠	٤٠٩٨	١٠٤٨٨	١١٣	مدنيّة سوى الآيتين الأخيرتين
يونس	١٠٩ أو ١١٠	١٨٣٢	٧٥٦٧	٥١	مكيّة عدا ٩٠ و ٩٤-٩٦
هود	١٢٣ أو ١٢٢ ١٢١	١٧١٥	٧٥١٣	٥٢	مكيّة عدا الآيات ١١٤، ١٧، ١٢

يوسف	١١١	١٧٦٦	٧١٦٦	٥٣	مَكِّيَّة عدا الآيات ٧.٣.٢.١
الرَّعد	٤٣ أو ٤٤ - ٤٧	٨٥٥	٣٥٠٦	٩٦	مدنيّة
إبراهيم	٥٢ أو (٥٥.٥٤.٥١)	٨٣١	٣٤٣٤	٧٢	مَكِّيَّة عدا الآيتين ٢٨ و ٢٧
الحِجْر	٩٩	٦٥٤	٢٧٦٠	٥٤	مَكِّيَّة عدا الآية ٨٧
التَّحَلُّ	١٢٨	٢٨٤٠	٧٧٠٧	٧٠	مَكِّيَّة عدا الآيات ١٢٦ إلى ١٢٨
الإِسْرَاء	١١١ أو ١١٠	١٥٣٣	٦٤٦٠		مَكِّيَّة عدا الآيات ٢٦.٣٣.٣٢.٥٧ و من (٧٣ إلى ٨٠)
الكهف	١١٠ أو (١٠٥.١٠٦.١٠٧) (١١١)	١٥٧٩	٦٣٦٠	٦٩	مَكِّيَّة عدا الآيات ٢٨ و (٨٣ إلى ١٠١)
مريم	٩٨ أو ٩٩	٩٨٢	٣٨٠٢	٤٤	مَكِّيَّة عدا الآيتين ٥٨ و ٧١
طه	١٣٥ أو ١٣٢. ١٣٤. ١٤٠	١٣٤١	٥٢٤٢	٤٥	مَكِّيَّة عدا الآيتين ١٣٠ و ١٣١
الأنبياء	١١٢ أو ١١١	١١٦٨	٤٨٩٠	٧٣	مَكِّيَّة
الحِجّ	٧٨ أو (٧٦.٧٥.٧٤)	١٢٩١	٥٠٧٠	١٠٣	مدنيّة عدا الآيات ٥٢ إلى ٥٥ نزلت في السّفر مَكِّيَّة
المؤمنون	١١٨ أو ١١٩	١٨٤٠	٤٨٠٢	٧٤	مَكِّيَّة
التَّوْر	٦٤ أو ٦٢	١٣١٦	٥٦٨٠	١٠٢	مدنيّة
الفرقان	٧٧	٨٩٢	٣٧٣٣	٤٢	مَكِّيَّة عدا الآيات (٦٨ إلى ٧٠)

الشعراء	٢٢٧ أو ٢٢٦	١٢٩٧	٥٥٢٢	٤٧	مَكِّيَّة عدا الآيات ١٩٧ و (٢٢٤ إلى ٢٢٧)
الثلث	٩٣ أو ٩٢، ٩٤، ٩٥	١١٤٩	٤٧٩٩	٤٨	مَكِّيَّة
القصص	٨٨ أو ٨٧	١٤٤١	٥٨٠٠	٤٩	مَكِّيَّة عدا الآيات (٥٢ إلى ٥٥ و ٨٥)
العنكبوت	٦٩	١٩٨١	٤١٩٥	٨٥	مَكِّيَّة عدا الآيات (١١ إلى ١١)
الرّوم	٦٠ أو ٥٩	٨١٩	٣٥٣٤	٨٤	مَكِّيَّة عدا الآية ١٧
لقمان	٣٤ أو ٣٣	٥٤٢	٢١١٠	٥٧	مَكِّيَّة عدا الآيات (٢٧ إلى ٢٩)
السّجدة	٣٠ أو ٢٩	٣٨٠	١٥٠٠	٧٥	مَكِّيَّة عدا الآية ١٦-٢٠
الأحزاب	٧٣	١٢٨٠	٥٧٩٦	٩٠	مدنيّة
سَبَأ	٥٤ أو ٥٥	٨٨٢	١٥١٢	٥٨	مَكِّيَّة عدا الآية ٦
فاطر	٤٥ أو ٤٦	٧٩٧	٣١٣٠	٤٣	مَكِّيَّة
يس	٨٣ أو ٨٢	٧٢٩	٣٠٠٠	٤١	مَكِّيَّة عدا الآية ٤٥
الصّافات	١٨٢ أو ١٨١	٨٢٠	٣٨٢٣	٥٦	مَكِّيَّة
ص	٨٨ أو ٨٥ أو ٨٦	٧٣٢	٣٠٢٩	٣٨	مَكِّيَّة
الزّمر	٧٥ (أو ٧٢ أو ٧٣)	١١٩٢	٤٧٠٨	٥٩	مَكِّيَّة عدا الآيات (٥٤ إلى ٥٢)
المؤمن (غافر)	٨٥ أو ٨٢ أو ٨٤	١١٩٩	٤٩٦٠	٦٠	مَكِّيَّة عدا الآيتين ٥٦ و ٥٧
فصلت (حمّ)	٥٤ (أو ٥٢ أو ٥٣)	٧٩٦	٣٣٥٠	٦١	مَكِّيَّة
الشّجدة					
الشّورى	٥٣ أو ٥٠	٨٦٦	٣٥٧٧	٦٢	مَكِّيَّة عدا الآيات ٢٧ (إلى ٢٥ و ٢٧)

الزّخرف	٨٨ أو ٨٩	٨٣٣	٣٤٠٠	٦٣	مكّية عدا الآية ٥٤
الدّخان	٥٩ (أو ٥٦ أو ٥٧)	٣٤٦	١٤٣١	٦٤	مكّية
الجاثية	٣٦ أو ٣٧	٤٨٨	٢١٩١	٦٥	مكّية عدا الآية ١٤
الأحقاف	٣٤ أو ٣٥	٦٤٤	٢٥٩٨	٦٦	مكّية عدا الآيات ١٠، ٣٥، ١٥
محمّد (القتال)	٣٨ (أو ٣٩ أو ٤٠)	٥٣٩	٣٣٤٩	٩٥	مدنيّة عدا الآية ١٣
الفتح	٢٩	٥٦٠	٢٤٣٨	١١١	مدنيّة
المُحجّرات	١٨	٣٤٣	١٤٩٦	١٠٦	مدنيّة
ق	٤٥	٣٥٧	١٤٩٤	٣٤	مكّية عدا الآية ٣٨
الذّاريات	٦٠	٣٦٠	١٢٨٧	٦٧	مكّية
الطور	٤٩ أو ٤٧ أو ٤٨	٣١٢	١٥٠٠	٧٦	مدنيّة
التّجم	٦٢	٢٠٨	١٤٠٥	٢٣	مكّية عدا الآية ٣٢
القمر	٥٥	٣٤٢	١٤٢٠	-	مكّية عدا الآيات ٤٤-٤٦
الرّحمن	٧٨ أو ٧٦ أو ٧٧	٣٥١	١٦٣٦	٩٧	مدنيّة
الواقعه	٩٦-٩٧ أو ٩٩	٣٧٨	١٧٠٣	٤٦	مكّية عدا الآيتين ٨١ و ٨٢
الحديد	٢٩ أو ٢٨	٥٤٤	٢٤٧٦	٩٤	مدنيّة
المجادلة	٢٢ أو ٢١	٤٧٣	١٧٩٢	١٠٥	مدنيّة
الحشر	٢٤	٤٤٥	١٩١٣	١٠١	مدنيّة
المتنحه	١٣	٢٤٨	١٥١٠	٩١	مدنيّة
الصّصف	١٤	٢٢١	٩٠٠	١٠٩	مدنيّة
الجمعة	١١	١٨٠	٧٢٠	١١٠	مدنيّة
المنافقون	١١	١٨٠	٧٧٦	١٠٤	مدنيّة

التغابن	١٨	٣٤١	١٠٧٠	١٠٨	مدينة
الطلاق	١١ أو ١٢	٢٤٨	١٠٦٠	٩٩	مدينة
التحريم	١٢	٢٤٦	١١٦٠	١٠٧	مدينة
الملك	٣١ أو ٣٠	٢٣٠	١٣٠٠	٧٧	مكة
القلم (ن)	٥٢	٣٠٠	١٢٥٦	١٢ أو ٥	مكة عدد الآيات ١٧ إلى ٤٨ و ٤٠ إلى ٥٠
الحاقة	٥١ أو ٥٢	٢٥٦	١٠٨٤	٧٨	مكة
المعارج	٤٣، ٤٤	٢١٦	١٠٦١	٧٩	مكة
نوح	٣٠ أو ٢٩ أو ٢٨	٢٢٤	٩٢٩	٧١	مكة
الجن	٢٨	٢٣٥	٨٧٠	٤٠	مكة
المزمل	١٨ أو ١٩ أو ٢٠	٢٨٥	٨٣٨	٣ أو ٤	مكة عدد الآيات ٢٠، ١١، ١٠
المدثر	٥٥ أو ٥٦	٢٥٥	١٠١٠	٢ أو ٣	مكة
القيامة	٣٩ أو ٤٠	١٩٩	٦٥٢	٣١	مكة
الدھر	٣١	٢٤٠	١٠٥٤	٩٨	مدينة
المرسلات	٥٠	١٨١	٨١٦	٣٣	مكة عدد الآية ٤٨
النبا (عم)	٣٩ أو ٤٠	١٧٣	٧٧٠	٨٠	مكة
التازعات	٤٥ أو ٤٦	١٣٩	٧٥٣	٨١	مكة
عبس	٤٢ أو ٤١ أو ٤٠	١٣٣	٥٣٣	٢٤	مكة
التكوير	٢٩	١١٤	٥٣٣	٧	مكة
الانفطار	١٩	٨٠	٣٢٧	٨٢	مكة
المطففين	٣٦	١٧٧	٨٣٠	٨٦	مكة
الانشقاق	٢٥ أو ٢٣ أو ٢٤	١٠٩	٤٣٠	٨٢	مكة
البروج	٢٢	١٠٩	٤٥٨	٢٧	مكة

الطّارق	١٧ أو ١٦	٦١	٢٤٥	٣٦	مكيّه
الأعلى	١٩	٧٢	٢٧٠	٨	مكيّه
الغاشية	٢٦	٧٢	٣٣٠	٦٨	مكيّه
الفجر	٣٠ أو ٢٩ أو ٣٢ أو ٣٣	١٣٧	٥٧٧	١٠	مكيّه
البلد	٢٠	٨٢	٢٣٠	٣٥	مكيّه
الشمس	١٥ أو ١٦	٥٤	٢٤٧	٢٦	مكيّه
الليل	٢١	٧١	٣٢٠	٩	مكيّه
والضحى	١١	٤٠	١٩٢	١١-٣-٢	مكيّه
الإنشراح	٨	٢٧	١٠٣	١٢	مكيّه
الثّين	٨	٣٤	١٥٠	٢٨	مكيّه
العلق	١٨ أو ١٩ أو ٢٠	٩٢	٢٨٠	٥	مكيّه
القدر	٥ أو ٦	٣٠	١٢	٢٥	مكيّه
البَيْتَة	٨ أو ٩	٩٤	٣٩٢	١٠٠	مدنيّه
الزّلزال	٨ أو ٩	٣٥	١٤٩	٩٣	مدنيّه
العاديّات	١١	٤٠	١٦٣	١٤	مكيّه
القارعة	١١ أو ١٠ أو ٨	٣٦	١٥٠	٣٠	مكيّه
الثّكائر	٨	٢٨	١٢٠	١٦	مكيّه
العصر	٣	١٤	٦٨	١٣	مكيّه
المُهمّزة	٩	٣٣	١٣٠	٣٢	مكيّه
الفيل	٥	٢٣	٩٦	١٩	مكيّه
قريش	٤ أو ٥	١٧	٩٣	٢٩	مكيّه
الماعون	٧ أو ٦	٢٥	١٢٥	١٧	مكيّه عدا الآيات ٤-٧
الكوثر	٣	١٠	٤٢	١٥	مكيّه
الكَافِرُون	٦	٢٦	٩٤	١٨	مكيّه

التصريح	٣	١٩	٧٨	١١٤	نزلت في منى
أبولهب (تبت)	٥	٢٠	٧٧	٦	مكة
الإخلاص	٤ أو ٥	١٥	٤٧	٢٢	مكة
العلق	٥	٢٣	٧٤	٢٠	مكة
الناس	٦ أو ٧	٢٠	٧٩	٢١	مكة

(٧١-٧٨)

الفصل التاسع والثلاثون

نص مير محمد دي (معاصر) في «بحوث في تاريخ القرآن ...»

تقسيم السور إلى آيات

أعني تقسيم السور إلى آيات، وتقديرها في مقدار معين من الكلمات: إن الظاهر أن ذلك حصل من الله جلّ وعلا، فنزل آيات كتابه على هذا النحو الخاص الموجود على الرسول ﷺ بواسطة جبرئيل، وليس لغير الله أي حظ في ذلك. ويدل على ذلك أمور:

الأول - ما دل على أن القرآن معجز للخلق يدل على أن أسلوب القرآن، ومنه التجزئة إلى الآيات معجز أيضاً، فلا يمكن إيكاله إلى الناس، ليستقلّوا به، وتلعب أيديهم فيه، مع ما هو من اختلافهم في الفهم والدّوق.

أضف إلى ذلك أنه لو كان أذن لهم، لحصل الاختلاف قطعاً، ولحصل الاختلاف لبان. ونحن لا نرى اختلافاً بينهم إلّا ما شذّما كان منشؤه تلقّي الآيات من النبي ﷺ، وسيأتي.

وهذا الاتفاق والتسالم من الناس كافة يعتبر أقوى شاهد على أن التجزئة أمر توقيفي إلهي، يجب إطاعته على الناس... ولو كانت الآيات تتكوّن نتيجة اجتهاد المجتهد، لرأينا أن المجتهد الآخر الذي يرى نفسه أعلم وأفهم يعارض ذلك ويناقضه، ولا يتصور في حقّه قبوله. فالرضا منهم جميعاً دليل على أن ذلك حصل بمن تجب طاعته، وهو واضح.

الثاني - ما ورد من الأحاديث المروية في كتب الإمامية وغيرهم، الدالة على أن الآيات بهذه الصورة كانت موجودة في عصر النبي ﷺ، وأنه ﷺ كان يذكر الآيات، ويعين مقدار الثواب لقارئها.

منها: ما عن الشيخ الثقة ماجيلويه بسند ذكره عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ أربع آيات من أول البقرة، وآية الكرسي وآيتين بعدها، وثلاث آيات من آخرها لم ير في نفسه وماله شيئاً يكرهه إلخ^١.

٢- ما عن أمالي الصدوق بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات: تمامها بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عز وجل قال لي: يا محمد: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ﴾^٢ فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم إلخ...^٣
٣- ما عن سعيد بن المعلّى.. [وذكر كما تقدّم عن الزرقاني].

٤- ما رواه الصدوق رحمته الله من أنه قيل لأمر المؤمنين عليه السلام: أخبرنا عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هل من فاتحة الكتاب؟ فقال: نعم، كان رسول الله ﷺ يقرأها ويعدها آية منها، ويقول: «فاتحة الكتاب هي السبع المثاني»^٤.

فهذه الأخبار تدلّ على أن تجزئة سورة الحمد إلى آيات سبع كان من الله تعالى، حيث عبّر عنها في كتابه المجيد بالسبع المثاني.

وهذه الرواية والتي قبلها وإن كانت واردة في مورد خاص، إلا أنها يمكن أن تجعل دليلاً على الكلّ بالاستعانة بالقول بعدم الفصل.

الثالث - أن عدّ جملة من كلام الله آية، وعدم عدّ ما يشابهها آية دليل على أن ذلك أمر تعبدّي لا اجتهادي، وإلا لا تحذف المأخذ والأسلوب... [ثم ذكر قول الزمخشري، كما تقدّم عن الزركشي فقال:]

ثم إن المصحف الأميري الذي تلقاه المسلمون بالقبول، وعنه طبع ملايين النسخ سنوياً

١- البحار ٩٢: ٣٦٥، عن ثواب الأعمال.

٢- المجهر/ ٨٧.

٣- البحار ٩٢: ٢٢٧.

٤- البحار ٩٢: ٢٢٧ عن عيون أخبار الرضا عليه السلام.

قد لوحظ فيه (طسم) و (الم) و (يس) و (حم) حيث وقعت (عسق) و (طه) و (المص) و (كهيعص) آية، ولم يلاحظ فيه (طس) و (ص) و (ق) و (ن) و (الر) و (المر) آية. وهذا يكشف أيضًا عن أن لجنة مراجعة المصاحف بمشيخة الأزهر قد لاحظت أن هذا أمر تعبدي، لا يجوز المساس به ولا التصرف فيه.

الاختلاف في عدد آيات القرآن

وأما اختلافهم في عدد الآيات، فهو كما في «التبيان» قليل جدًا، حيث قال... [وذكر كما تقدّم عن الزرقاني ثم قال:]

ولكن ربّما نجد الاختلاف بشكل أوسع ممّا قاله في «التبيان» فقد نقل عن ابن عباس قوله: جميع أي القرآن ستّة آلاف آية وستّمائة آية، وستّ عشرة آية... [ثم ذكر قول الذّاني في عدد الآيات، كما تقدّم عن السيوطي، وذكر بعدها سبب اختلاف العلماء في عدد الآيات، كما تقدّم عن الزّر كشي، فقال:] هذا كلّّه بالتسبة إلى تجزئة السُّور إلى آيات الذي ثبت أنّه من الله تعالى.

(٦٩-٩٩)

الفصل الأربعون

نصّ الحسيني الجلاليّ (١٣٦١ - ...) في «دراسة حول القرآن الكريم»

الآية مفهوماً ومصداقاً

جاءت الآية في اللغة بمعانٍ مختلفة، منها: العلامة والعُجب والجماعة. وقد وردت كلمة الآية ومشتقاتها في القرآن الكريم (٣٨٣) مرّةً بمعنى العلامة في موارد كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾^١.

ولكن رجوع الموارد الأخرى إلى هذا المعنى أيضاً يمكن بنوعٍ من التّكلف. كما أن في القرآن الكريم استعملت مادّة الآية إلى المقطعات في آيات، منها:

﴿أَلَمْ تَلِكْ أَلْكِتَابَ الْحَكِيمِ﴾^٢.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾^٣.

﴿أَلَمْ تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾^٤.

﴿أَلَمْ تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾^٥.

١- البقرة/٢٤٨.

٢- يونس / ١.

٣- آل عمران/٧.

٤- يوسف / ١.

٥- الحجر/١.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾^١.

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾^٢.

﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾^٣.

فقوله تعالى: ﴿الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُخَكَّمَاتٌ﴾ تطبيق لمادة الآية على قسم من النّص القرآني. وقوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ تصريح بأن الآية قسم من السّورة وليست قسيماً لها. وقوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ إرجاع إلى القرآن والمفهوم من السياق، أمّا الآيات التي أشارت إلى الحروف المقطّعة نحو: (الر) و(الم) و(ص) بأئها (آيات الكتب) تطبيق بأن هذه الكلمات تشكّل آية من القرآن، وكلّ ذلك لما لها من دلالة لغويّة، أي أنّها علامات الوحي المنزّل على النبي المرسل. وبهذا المعنى اللّغويّ استعملت كلمة (الآية) في الروايات، منها:

وكان الرضا عليه السلام يختم القرآن في كلّ ثلاث، ويقول: «لو أردت أن أختمه في أقلّ من ثلاثٍ لختمته، ولكن ما مررت بآية قطّ إلا فكّرتُ فيها وفي أي شيء أنزلتُ، وفي أي وقتٍ، فلذلك صرّْتُ أختّم ثلاثة أيّامٍ»^٤. وقد عرفت مقاطع من القرآن بالآيات مع أنّها أكثر من جملة، منها:

١- آية الكرسي: وهي الآيات من ٢٥٥ إلى ٢٥٧ من سورة البقرة.

٢- آية السّخرة: وهي الآيات من ٥٤ إلى ٥٦ من سورة الأعراف^٥. وقد ورد في الروايات

تصريح بهذه التّسمية:

عن الباقر عليه السلام: «من قرأ آية الكرسي مرّةً صرف عنه ألف مكرهٍ من مكروه الدّنيا

١- الحج/١٦.

٢- التّور/١.

٣- التّمل/١.

٤- البحار ٩٢: ٢٠٤.

٥- البحار ٨٧: ٥٨.

وألف مكروه من مكروه الآخرة، أيسر مكروه الدنيا الفقير، وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر».

وعن موسى بن جعفر عليه السلام قال: «سمع بعض آبائي عليه السلام رجلاً يقرأ «أُمّ القرآن»، قال «شُكْرٍ وأجر» ثم سمعه يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال آمَنَ و آمِن، ثم سَمِعَهُ يقرأ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾^١، فقال: صدقَ و غُفِرَ له، ثم سَمِعَهُ يقرأ آية الكرسي، فقال: يخُ بخُ نزلت براءة هذا من النار»^٢.

وروى السيوطي: «سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ؛ آيَةُ الْكَرْسِيِّ»^٣.

٣- آيَةُ النَّبَا: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^٤.

٤- آيَةُ التَّطْهِيرِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^٥.

٥- آيَةُ الثَّفَرِ: ﴿فَلَوْلَا تَفَرُّمٌ كُلٌّ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^٦. وليست هذه العناوين من تسمية النبي نفسه بل أوصاف هي باعتبار مواضعها انتخابها القراء أو الفقهاء والمحدثون القدماء إشارة إلى مواضعها.

تحديد الآية

[بعد ذكر قول الجعبري وغيره كما تقدّم عن الزركشي، قال: [وقول الزركشي (تقديراً)]

١- الإخلاص / ١.

٢- القدر / ١.

٣- البحار ٩٢: ٢٦٢.

٤- الإتيان ٢: ١٥٣.

٥- الحجرات / ٦.

٦- الأحزاب / ٣٣.

٧- التوبة / ١٢٢.

يشتمل الكلمات المفردة، ولعلّ لهذا السبب عدل السيوطي في تعريف الآية وقال: فالآية طائفة من حروف القرآن عُلِمَ بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذي بعدها في أول القرآن، وعن الكلام الذي قبلها في آخر القرآن، وعمّا قبلها وما بعدها في غيرهما غير مشتمل على مثل ذلك. قال: وبهذا القيد خرجت السّورة.

وقال الزّخشرى: الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه، ولذلك عدّوا: ألم آية حيث وقعت وآلمص، ولم يعدّوا: آلر وآلر، وعدّوا: حم آية.

ويظهر من بعض الروايات أن المفهوم الاصطلاحي للآية لم يحدّد في عصر الصحابة. قال ابن عباس: أرجى آية في القرآن: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾^١، وهذا بعض الآية وليس كلّها.

قال الزّرقاني: ثمّ خصّت الآية في الاصطلاح بأئها طائفة ذات مطلق ومقطع متدرّجة في سور القرآن^٢.

فإن كان قصده الله المطلق والمقطع في المعنى، فهذا يستلزم أن يكون كل آية مستقلة في المعنى من الآية الأخرى، أي أن تكون جملة تامّة ذات معنى مستقل، وهذا لا يستقيم في كلّ الآيات.

ويظهر مقياس الجملة التامة من كلام ابن عطية بقوله... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:] وكلام ابن عطية لا يستقيم، فإنّ في الآيات القرآنيّة ما تشتمل على الكلمة المفردة والجملة التامة والجملة الغير التامة، فليس المقياس في الآية كونها جملة تامّة... [ثمّ ذكر قول ابن العربي، كما تقدّم عن الزّركشي، فقال:]

وهنا زاد السيوطي على قول ابن العربي: وقال غيره سبب اختلاف السلف في عدد الآي

١- الرعد/٦.

٢- مناهل العرفان ١: ٣٣٢.

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقِفُ عَلَى رُؤُوسِ الْآيِ لِلتَّقْوِيفِ، فَإِذَا عَلِمَ مَحَلَّهَا وَصَلَ لِلتَّمَامِ، فَيَحْسِبُ السَّمَاعَ حَيْثُذُ أَتَاهَا لَيْسَتْ فَاصِلَةً.

فتمديد الآية بالجملة المفيدة يقتضي أن تكون الآيات ذات الاستثناء واحدة، وليست كذلك في القرآن. مثلاً في سورة البقرة الآيتان ١٥٩ و ١٦٠ تشكّلان جملة واحدة مع أنهما آيتان، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ تَحْتِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ...﴾^١، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ لَكَ أَثُوبٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَّا الثَّوَابُ الرَّجِيمُ﴾^٢ فهما آيتان من القرآن، مع أن الجملة لاتتم إلا بعد الاستثناء.

إن تمديد الآيات حسب الترقيم المتداول اليوم ليس على اعتبار تمامية المعنى واستقلالية الجملة، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^٣، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ﴾، مع أن الآية ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ليست جملة تامة، ولولا تصوّر أن هذا تلاعب بالتصّ القرآني، لكان الأفضل إلحاقها بما قبلها. ورؤي أن مواضع الآيات في السُّور كانت بإشراف النبي ﷺ، وكان ﷺ يقول: «ضَعُوا آيَةً كَذَا فِي مَكَانٍ كَذَا»... [إلى أن قال:]

عدد الآيات

قال الدّاني: «أجمعوا على أن عدد الآيات في القرآن ستّة آلاف ومائة آية، ثم اختلفوا فيما زاد»... [ثم ذكر قول ابن عطية والطبرسي والسيوطي في عدد الآيات، كما تقدّم عنهم، ثم ذكر بعدها جدول في عدد الآيات، كما تقدّم عن الحُجّتي مع تفاوت يسير، فقال:]

١- البقرة/ ١٥٩.

٢- البقرة/ ١٦٠.

٣- البقرة/ ٢١٩.

٤- البقرة/ ٢٢٠.

ولم يحدّد بالضبط في الخلاف القائلون بها سوى ما حدّده ابن الجوزي من ستة موارد فراجع: ص ٦٢.

والآيات في القرآن الكريم تختلف في الطول والقصر، فقد تكون:

١- كلمة واحدة ﴿مُدَّهَا مَتَّانٍ﴾^١.

٢- كلمتان ﴿وَالضُّحَى﴾^٢.

٣- كلمات في جملة غير تامة.

٤- أو جملة تامة، وهي أغلب الآيات.

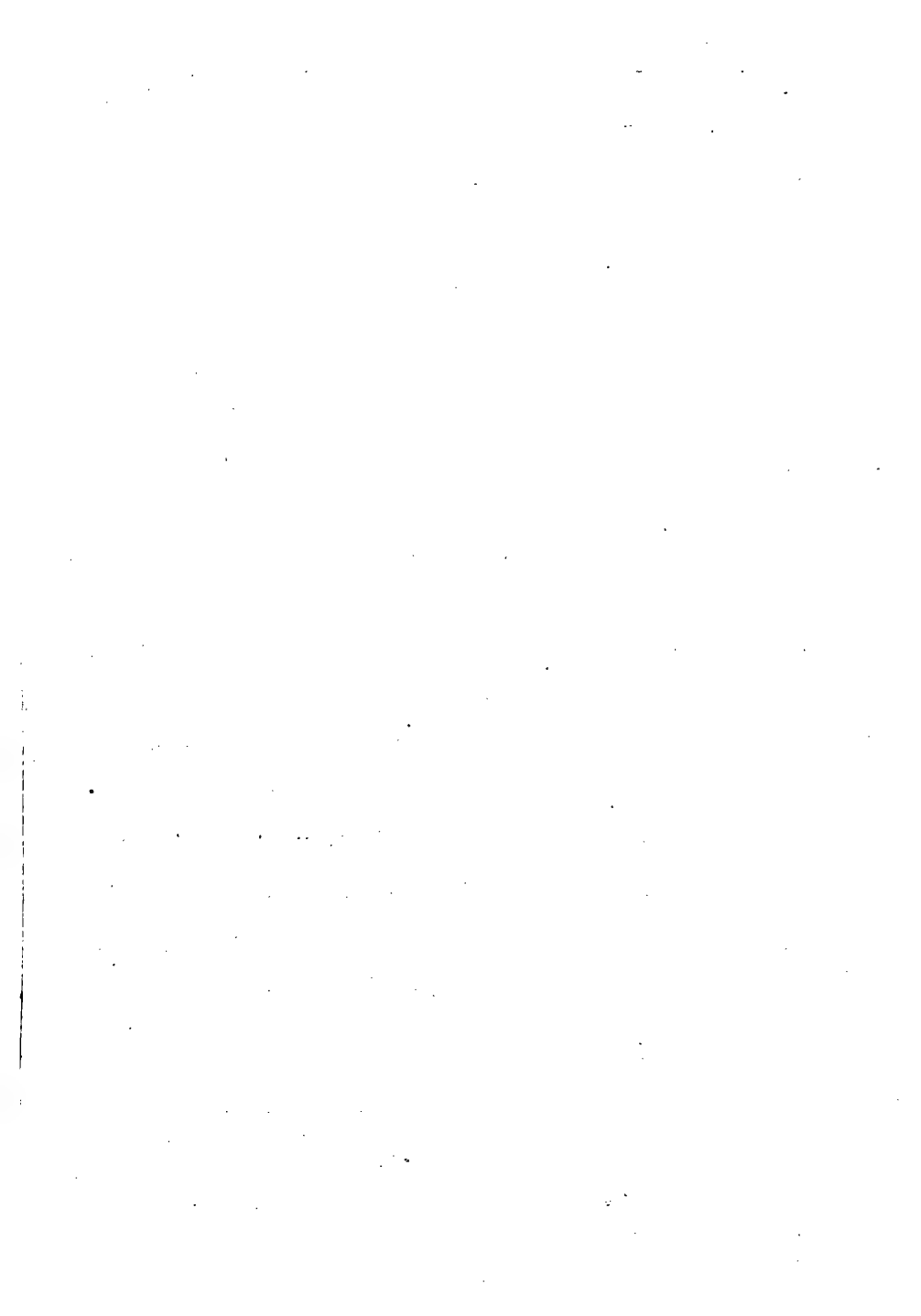
وأطول آية في سورة البقرة الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَسْتُمْ بِدِينٍ...﴾ في ١٥ سطرًا. ويرى السيوطي: أن فائدة معرفة الآية معرفة حكم الوقف، فنقل عن الهذلي... [وذكر كما تقدّم عنه، ثم قال:]

أقول: وهذا حكم قاسٍ على فائدة العدد، وإن كان هناك من يستقلّ به ليرجّح به سوجه ومصلحته الشخصية، ولكن ضبط العدد إن استند إلى قراءة النبي ﷺ لهو من أعظم الفوائد. ومن هنا يكشف أن ضبط العدد لم يكن مستنداً إلى النبي ﷺ، بل هو من اجتهادات المتأخّرين، ولذلك يصحّ كلام الزعفراني المذكور، والمعول اليوم في تحديد آيات القرآن هو طريقة الكوفيّين ٦٢٣٦، وأقلّ روايات السيوطي هي: ٦١٧٥، والفرق (٦١)، وليس هذا من النقص في القرآن الكريم، بل في تحديد مواضع الآيات.

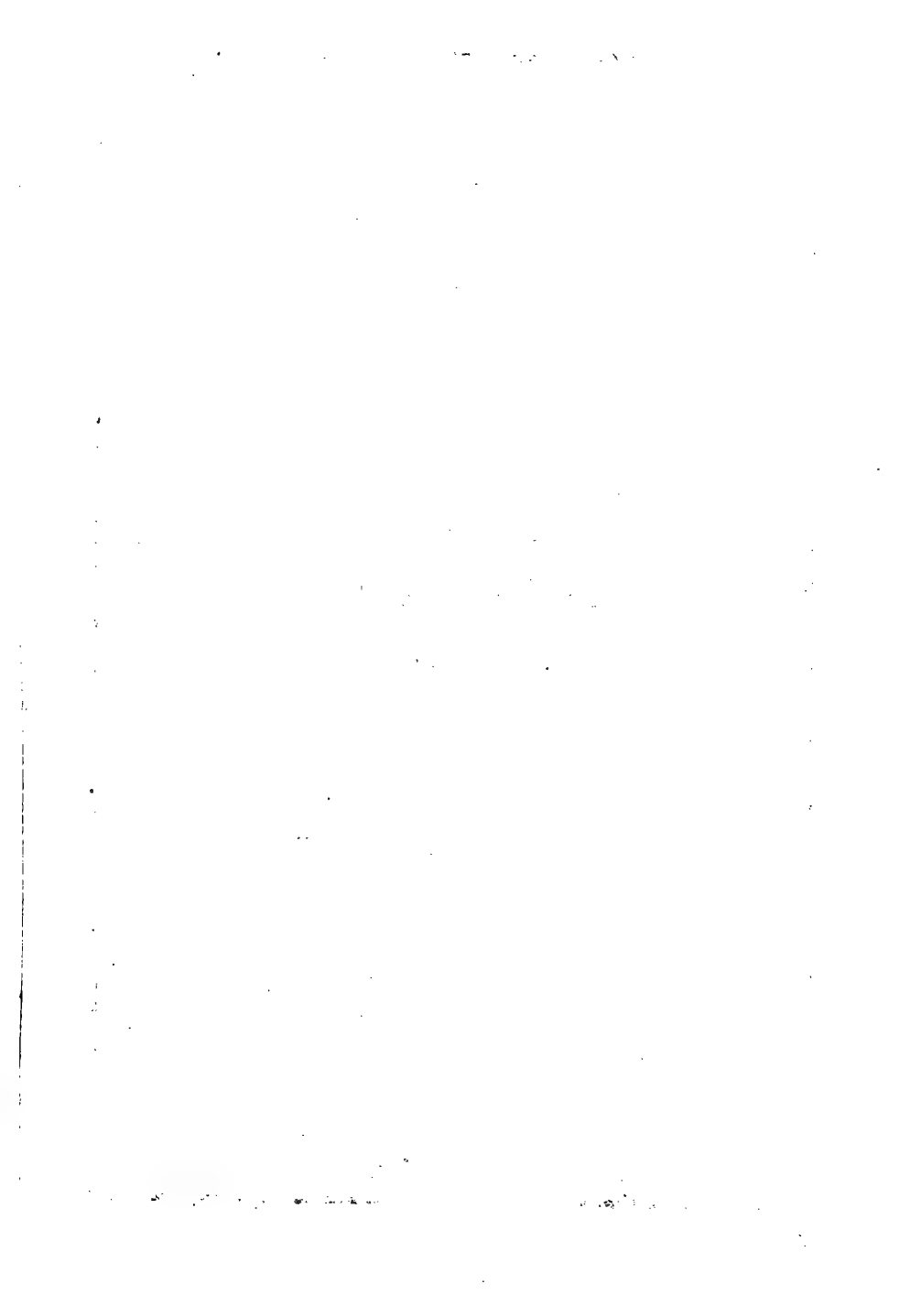
(٤١-٥٦)

١- الرحمن / ٦٤.

٢- الضحى / ١.



الباب العاشر
تناسب الآيات والسُّور
وفيه فصول:



الفصل الأوّل

نصّ الطّبرسيّ (م: ٥٤٨) في «مجمع البيان لعلوم القرآن»

[اعتقد الشّيخ التّناسب بين الآيات والسُّورسيّما بين آخر كلّ سورة وفاتحة لاحقتها، كما ذكر ذلك في مواضع مختلفة من تفسيره، ونذكر فيما يلي نماذج منها:]
[قال في سورة الفاتحة:]

التّظّم: وأمّا نظم هذه السّورة، فأقول فيه: إنّ العاقل المميّز إذا عرف نعم الله سبحانه بالمشاهدة، وكان له من نفسه بذلك أدل شاهد، وأصدق رائد، ابتداءً بآية التّسمية استفتاحاً باسم المُنعم، واعتراقاً بإلهيته، واسترواحاً إلى ذكر فضله ورحمته.

ولمّا اعترف بالمنعم الفرد، اشتغل بالشّكر له والحمد، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

ولمّا رأى نعم الله تعالى على غيره واضحة، كما شاهد آثارها على نفسه لائحة، عرف أنّه ربّ الخلائق أجمعين، فقال: ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

ولمّا رأى شمول فضله للمربوبين، وعموم رزقه لمرزوقين، قال: ﴿الرَّحْمَنُ﴾.

ولمّا رأى تقصيرهم في واجب شكره، وتعذيرهم^١ في الانزجار عند زجره، واجتناب نهيه، وامتنال أمره، وأنّه تعالى يتجاوز عنهم بالفقران، ولا يؤاخذهم عاجلاً بالعصيان، ولا يسلبهم نعمه بالكفران، قال: ﴿الرَّحِيمُ﴾.

ولمّا رأى ما بين العباد من التّباغي والتّظالم، والتّكالم والتّلاكم، وأن ليس بعضهم من شرّ

١- عذر تعذير! لم يثبت له عذر، وذلك إذ لم يأت بعذر صدق.

بعض بسالم، على أن وراءهم يوماً ينتصف فيه للمظلوم من الظالم، فقال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. وإذا عرف هذه الجملة، فقد علم أن له خالقاً رازقاً رحيماً، يحيي ويميت، ويبدي ويعيد، وهو الحي لا يشبهه شيء، والإله الذي لا يستحق العبادة سواه.

ولما صار الموصوف بهذا الوصف كالمدرَك له بالعيان، المشاهد بالبرهان، تحول عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب، فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. وهذا كما أن الإنسان يصف الملك بصفاته، فإذا رآه، عدل عن الوصف إلى الخطاب.

ولما رأى اعتراض الأهواء والشبهات، وتعاور الآراء المختلفة، ولم يجد معيناً غير الله تعالى، سألَه الإعانة على الطاعات، بجميع الأسباب لها والوصولات، فقال: ﴿وإِيَّاكَ كَسْتَعِينُ﴾.

ولما عرف هذه الجملة، وتبين له أنه بلغ من معرفة الحق المدى، واستقام على منهج الهدى، ولم يأمن العثرة لارتفاع العصمة، سأل الله تعالى التوفيق للدوام عليه والثبات، والعصمة من الزلات، فقال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وهذا لفظ جامع يشتمل على مسألة معرفة الأحكام، والتوفيق لإقامة شرائع الإسلام، والافتداء بمن أوجب الله طاعته من أئمة الأنام، واجتناب المحارم والآثام.

وإذا علم ذلك، علم أن الله سبحانه عبادة خَصَّهم بنعمته، واصطفاهم على بريته، وجعلهم حُجَجاً على خليفته، فسأله أن يلحقه بهم، ويسلك به سبيلهم، وأن يعصمه عن مثل أحوال الزالين المزلين، والضالين المضلين، ومن عاند الحق، وعمي عن طريق الرشد، وخالف سبيل القصد، فغضب الله عليه ولعنه، وأعد له الحزى المقيم، والعذاب الأليم، أو شك في واضح الدليل، فضل عن سواء السبيل، فقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

[قال في سورة الأعراف:]

لَمَّا خَتَمَتْ سُورَةُ «الأنعام» بِالرَّحْمَةِ ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^١،
افتتحت هذه السُّورَةُ «الأعراف» بِإِنزَالِ الْكِتَابِ ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ...﴾^٢ لَأَنَّ فِيهِ مَعَالِمَ
الدِّينِ وَهِيَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ. (٣٩٣:٢-٣٩٤)

[قال في سورة الرعد:]

لَمَّا خَتَمَتْ سُورَةُ يُوسُفَ بِذِكْرِ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾^٣، افتتحت
هذه السُّورَةُ بِأَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ آيَاتُ الْكِتَابِ: ﴿أَلَمْ تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ...﴾! (٢٧٣:٣)

[قال في سورة الحج:]

لَمَّا خَتَمَ اللَّهُ سُورَةَ إِبْرَاهِيمَ بِذِكْرِ الْقُرْآنِ وَإِنَّهُ بِلَاغٌ وَكُفَايَةٌ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، افتتحت هذه
السُّورَةُ بِذِكْرِ الْقُرْآنِ ﴿أَلَمْ تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾! (٣٢٦:٣)

[قال في سورة الأنبياء:]

خَتَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ سُورَةَ طه بِذِكْرِ الْوَعِيدِ، وافتتحت هذه السُّورَةُ بِذِكْرِ الْقِيَامَةِ. (٣٨:٤)

[قال في سورة التور:]

خَتَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ سُورَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ لِلْعَبَثِ، بَلْ لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وابتدأ هذه
السُّورَةُ بِذِكْرِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَبَيَانِ الشَّرَائِعِ. (١٢٣:٤)

[قال في سورة الشعراء:]

ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي مَخْتَمِ سُورَةِ الْفِرْقَانِ تَكْذِيبَهُمْ بِالْكِتَابِ، وَذَكَرَ فِي مَفْتَتِحِ هَذِهِ السُّورَةِ
وَصِفَ الْكِتَابِ، فَقَالَ: ﴿طَسَمَ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾. (١٨٣:٤)

١- الأنعام/ ١٦٥.

٢- الأعراف/ ٢.

٣- يوسف/ ١١١.

[قال في سورة الروم:]

أَجْمَلُ فِي آخِرِ الْعَنْكَبُوتِ ذِكْرُ الْمُجَاهِدِينَ، ثُمَّ فَصَّلَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَالَ: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ*
فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾.

(٢٩٤:٤)

[قال في سورة الذاريات:]

لَمَّا خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى سُورَةَ قَ بِالْوَعِيدِ، افْتَتَحَ هَذِهِ السُّورَةَ بِتَحْقِيقِ الْوَعِيدِ.

(١٥١:٥)

[قال في سورة الواقعة:]

خَتَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ سُورَةَ الرَّحْمَنِ بِصِفَةِ الْجَنَّةِ، وَافْتَتَحَ هَذِهِ السُّورَةَ أَيْضًا بِصِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ،
فَاتَّصَلَتْ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى اتِّصَالِ التَّظْيِيرِ لِلتَّظْيِيرِ.

(٢١٣:٥)

[قال في سورة الحشر:]

لَمَّا خَتَمَ اللَّهُ سُورَةَ الْمُجَادَلَةِ بِذِكْرِ حِزْبِ الشَّيْطَانِ، وَحِزْبِ اللَّهِ، افْتَتَحَ هَذِهِ السُّورَةَ بِقَهْرِهِ
حِزْبِ الشَّيْطَانِ، وَمَا نَالَهُمْ بِالْجَلَاءِ مِنَ الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ، وَنَصْرَةِ حِزْبِهِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ. (٢٥٦:٥)

(٢٥٦:٥)

[قال في سورة الطلاق:]

لَمَّا خَتَمَ اللَّهُ سُورَةَ التَّغَابُنِ بِذِكْرِ النِّسَاءِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُنَّ، افْتَتَحَ هَذِهِ السُّورَةَ بِذِكْرِ هُنَّ،
وَذِكْرِ أَحْكَامِهِنَّ، وَأَحْكَامِ فِرَاقِهِنَّ.

(٣٠٢:٥)

الفصل الثاني

نصّ ابن عربيّ (م: ٦٣٨) في «رحمة من الرّحمان»

المناسبة بين آي القرآن

لابدّ من مناسبة بين آي القرآن من نسق بعضها إلى بعض، فيُعرف الجامع بين الآيتين، وإن كان بينهما بُعد ظاهر، فذلك صحيح، ولكن لابدّ من وجه جامع بين الآيتين مناسب هو الذي أعطى أن تكون هذه الآية مناسبة لما جاورها من الآيات. لأنّه نظم إلهيّ.

وما رأينا أحداً ذهب إلى التّظنّ في هذا إلّا «الرّمانيّ» من التّحويّين، فإنّ له تفسيراً للقرآن، أخبرني من وقف عليه أنّه نحّا في القرآن هذا المنحى، ولذلك نقول: إنّ كلّ آية في الهجيرات تؤخذ على انفرادها كما سطرت، وعند أهل التّحقيق هذا المأخذ وإن كان عالي الأوج، فإنّ مسمّى الآية إذا لزمها أمور من قبل أو بعد، يظهر من قوّة الكلام أنّ الآية تطلب تلك اللّوازم، فلا تكمل الآية إلّا بها، وهو نظر الكامل من الرّجال، فمن ينظر في كلام الله على هذا التّمط، فإنّه يفوز بعلم كبير وخير كثير.

فإنّ الحقّ سبحانه لا يعيّن لفظاً ولا يقيد أمراً إلّا وقد أراد من عباده أن ينظروا فيه من حيث ما خصّه وأفرده لتلك الحالة، أو عيّن بتلك العبارة، ومتى لم ينظر الناظر في هذه الأمور بهذه العين فقد غاب عن الصّواب المطلوب.

الفصل الثالث

نصّ ابن الزُّبَيْر (م: ٧٠٨) في «البرهان في تناسب سُور القرآن»

[تناسب السُّور وتلاحمها]

... فإني اعتبرت قوله ﷺ «ما من نبيّ إلّا وقد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإلّا كان الذي أُوتيت وحياً أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة»^١. وتأملت ما أيد به ﷺ من المعجزات سوى القرآن، فإذا بضروب لا يحصى العدة، ولا تكاد تنحصر بالحدّ، وقد قال ﷺ: «وإلّا كان الذي أُوتيت وحياً» يشير إلى دليل القرآن، وما خصّ به ﷺ من ساطع ذلك البرهان، وما ذاك إلّا لكون (معجزته) أوضح وأحكم، وأهدى وأقوم، فإلّا ضمننت إلى الدلالة والشهادة إيضاح الطريق، وأعلمت (بحال) كلّ فريق، ثمّ زادت بنقائنها للمعتبر ومشاهدتها للمذكّر، وقد اضطرّ من (تأخّر) فيما سواها للخبر، وليس كالعيان، فللّه ما أعظمها معجزة باقية مدى الدهور والأزمان، وللمشاهدة حال لا ينكر وتعريف لا يتنكر، وفرق بين ما عرف بالمشاهدة وبين ما علّم بالدليل، وحسبك سؤال نبيّ الله الخليل.

فالحمد لله الذي جمع لهذه الأمة الأمرين، وخصّها بالاعتبارين، فمن معجزات نبيّنا ﷺ المستوضح اعتباراً بالبيان، والمشاهد حسّاً بالعيان، وكما أن من تعامى في حياته ﷺ عن نبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من معجزاته ملوّم مدحور، وما زور غير مأجور، فكذلك من تعامى عن آيات الكتاب وكان لم يقرع أذنه قارع من هذا الباب، ولهذا نبّه تعالى بقوله:

١- البخاري، فضائل القرآن: ٦١، مسلم، كتاب الإيمان: ٢٣٩.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾^١، وبقوله: ﴿كِتَابُ الْوَكَاةِ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَّبَ رُؤَايَايَةِ﴾^٢، وجهات اعتباره كثيرة، ولسلف هذه الأمة وخلفها مسالك في ذلك شهيرة.

وإني تأملت منها - بفضل الله - وجوه ارتباطاته وتلاحم سوره وآياته إلى ما يلتحم (مع) هذا القبيل من عجائب شواهد التنزيل، فعلقت في ذلك ما قدر لي، ثم قطعت بي قواطع الأيام عن تميم رومي من ذلك وعملي، فاقترصت بحكم الاضطراب في هذا الاختصار على (توجيه) ترتيب السور، وإن لم أر في هذا الضرب الخاص شيئاً لمن تقدم وغيره، وإنما بدر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع مفترقات، وذلك في الباب أوضح، وبجمال الكلام فيه أفسح. وأما تعلق السور على ما ترتبت في الإمام واتفق عليه الصحابة الأعلام فمما لم يتعرض له فيما أعلم، ولا قرع أحد هذا الباب ممن تأخر أو تقدم. فإن صلى أحد بعد فهذه الإقامة أو انتم فمرتبط حتماً بهذه الإمامة، فإن أنصف فلا بد أن ينشد إذعائاً للحق وإنابه: فلو قبل بكاهها بكت صباة... [ثم ذكر باب التعريف بترتيب السور^٣، وإن شئت فراجع، فقال:]

[نماذج من تناسب السور]

سورة أم القرآن: قد ذكر الناس كيفية تضمّنها مجملًا لما تفصل في الكتاب العزيز بمجملته، وهو أوضح وجه في تقدمها سوره المكرمة، ثم (هي) مما يلزم المسلم حفظه، ولا بد للمصلي من قراءتها، ثم افتتاحها بحمد الله سبحانه، وقد شرع في ابتداء الأمور، وأوضح الشرع فضل ذلك، وأخذ به كل خطيب ومتكلم، وفيها تعقيب الحمد (له) سبحانه بذكر صفاته الحسنی، والإشارة إلى إرسال الرسل في قوله: ﴿إِهْدِنَا﴾، وقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وقد قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِ﴾^٤، وذكر افتراق الخلق

١- النساء، ٨٩، محمد/ ٢٤.

٢- ص/ ٢٩.

٣- ذكر المؤلف هذا الباب في هذا المجال وحذفناه لأننا ذكرناه في موضعه ج ٣ من هذا الكتاب. (م)

٤- الأنعام / ٩٠.

بذكر المهتدين وذكر المغضوب عليهم والضالين، وأن ملاك الهدى بيده: ﴿وَإِلَّا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وهذا كله اشقي شيء في بيان (وجه) التقديم.

سورة البقرة: لما قال العبد بتوفيق ربه: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قيل له: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، هو مطلوبك وفيه أربك، وهو الصراط المستقيم ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ القائلين: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ والخائفين من حال الفريقين المغضوب عليهم والضالين، فاتخذوا وقاية من العذاب خوف ربهم وتقوا، بامتثال أمره ونهيه، ثم أشير من الأعمال إلى ما (يستحق) سائرهما من قبيل البدنيات والماليات بياناً للصراط المستقيم، ف قيل في وصف المتقين: إياهم: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾... [إلى أن قال:]

فحصل من (السورة) بأسرها بيان الصراط المستقيم على الاستيفاء والكمال أخذاً وتركاً، وبيان شرف من أخذ به وسوء حال من تنكب عنه، وكان العباد لما علموا أن يقولوا: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة، قيل لهم: عليكم بالكتاب إجابة لسؤالهم، ثم بين لهم حال من سلك ما طلبوه، فكان قد قيل لهم: أهل الصراط المستقيم وسالكوه هم الذين من أمرهم ومن شأنهم...، والمغضوب عليهم من المتنكبين هم اليهود الذين من أمرهم ومن شأنهم...، والضالون هم التنصاري الذين من أمرهم ومن شأنهم...، فيجب على من رغب في سلوك الصراط المستقيم أن يحذر ما أصاب هؤلاء مما تبّه عليه، من أن يأخذ نفسه بكذا وكذا، وأن ينسحب (إيمانه) على كل ذلك، وأن يسلم الأمر لله الذي (يطلب) منه الهداية، ويتضرع إليه بأن لا يؤاخذ به بما يشره التسيان والخطأ، وأن لا يحمله ما ليس في وسعه، وأن يعفو عنه، إلى آخر السؤال.

(٧٠-٨٤)

[بعد ذكر سورة العلق وتناسبها بما قبلها، قال في فصل:]

و لعلّ بعض من لم يتفطنّ يعترض هنا بأنّ هذه السّورة من أوّل ما نزل، فكيف يستقيم مرادك من ادّعاء ترتيبها على ما تأخّر عنها نزولاً؟ فنقول له: وأين غاب اعتراضك في عدّة سورٍ ممّا تقدّم؟ بل في معظم ذلك؟ وإلاّ أفليست سورة البقرة من المدنيّ ومقتضى تأليفنا هذا بناء ما بعدها من السّور - على التّرتيب الحاصل في مُصحف الجماعة - إنّما هو عليها، وفي ما بعدها من المكّيّ ما لا يحصى؟ فإنّما غاب عنك ما قدّمنا في خطبة هذا الكتاب من أنّ ترتيب السّور على ما هي عليه راجع إلى فعله عليه السلام، كان ذلك بتوقيفٍ منه عليه السلام أو باجتهاد الصّحابة على ما قدّمناه. فأرجع بصرك، وأعدّ في الخطبة نظرك، والله يوفّقنا إلى اعتبار بيانّه وتدبر آياته، ويحملنا في ذلك على ما يقرب إليه بمنّته وفضله. (ص: ٢٣٦)

سورة الفيل: لما تضمّنت سورة الهُمزة ذكر اغترار من فتنّ بماله حتّى ظنّ أنّه يخلّده، وما أعقبه ذلك، أتبع هذا بذكر أصحاب الفيل الذين غرّهم تكاثّرهم، وخدعهم امتدادهم في البلاد واستيلاؤهم، حتّى همّوا بهدم البيت المحرّم، فتعجّلوا التّقمة، وجعل الله كيدهم في تضليل: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾^١ أي جماعات متفرقة ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾^٢، حتّى استأصلتهم وقطعت دابرهم ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾^٣، وأغرّهم ذلك اغترارهم وتوفّر حظّهم من الخسر المتقدّم.

سورة قريش: لا خفاء باتّصالها، أي إنّّه تعالى فعل ذلك بأصحاب الفيل، ومنعهم عن بيته وحرمة لانتظام شمل قريش، وهم سكّان الحرم وقطّان بيت الله، وليؤلفهم بهاتين الرّحلتين فيقيموا بمكّة آمن ساحتهم. (٢٤٠-٢٤١)

١- الفيل / ٣.

٢- الفيل / ٤.

٣- الفيل / ٥.

الفصل الرابع

نصّ الزّرّكشيّ (م: ٧٩٤) في «البرهان في علوم القرآن»

معرفة المناسبات بين الآيات

وقد أفرده بالتصنيف الأستاذ أبو جعفر بن الزّبير شيخ الشّيخ أبي حَيّان ، وتفسير الإمام فخر الدّين فيه شيء كثير من ذلك .

واعلم! أنّ المناسبة علمٌ شريفٌ، تحزّره العقول، ويُعرف به قدر القائل فيما يقول، والمناسبة في اللّغة: المقاربة، وفلان يناسب فلاناً أي يقرب منه ويشاكله، ومنه التّسبب الّذي هو القريب المتّصل كالأخوين وابن العمّ ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى رابطٍ بينهما، وهو القرابة. ومنه المناسبة في العلّة في باب القياس: الوصف المقارب للحكم، لأنّه إذا حصلت مقاربتة له ظنّ عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم، ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقّته بالقبول.

وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها - والله أعلم - إلى معنى ما رابط بينهما: عامٌ أو خاصّ، عقليّ أو حسّيّ أو خياليّ، وغير ذلك من أنواع العلاقات. أو التّلازم الذّهنيّ كالسّبب والمستبّب، والعلّة والمعلول، والتّظهير، والضّدّين، ونحوه، أو التّلازم الخارجيّ، كالمرتبّ على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر.

وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيتّوًى بذلك الارتباط، ويصير التّأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء .

وقد قلّ اعتناء المفسّرين بهذا النوع لدقّته، ومَن أكثر منه الإمام فخر الدّين الرّازي، وقال

في «تفسيره»: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط .

وقال بعض الأئمة: من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعاً .

وهذا النوع يعمل به بعض المفسرين أو كثير منهم، وفوائده غزيرة، قال القاضي أبو بكر بن العربي في «سراج المريدين»: ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون الكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلَة، ورأينا الخلق بأوصاف البُطْلَة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه .

وقال الشيخ أبو الحسن الشهرستاني^١: أول من أظهر ببغداد علم المناسبة - ولم تكن سمعناه من غيره - هو الشيخ الإمام أبو بكر التيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لِمَ جُعِلَتْ هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يُزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام^٢: المناسبة علم حَسَن، ولكن يشترط في حُسْن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة، لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر .

قال: ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك، يُصان عنه حَسَن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في ثَيَف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض؛ إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب كتصرف الملوك والحُكَّام والمفتين،

١ - منسوب إلى شهرابان، قرية شرقي بغداد، ينسب إليها كثير من العلماء .

٢ - هو الإمام عبدالعزيز بن عبد السلام المشهور بالعمري، ولد سنة ٥٧٧ هـ، وتوفي سنة ٦٦٠ هـ. (انظر: ترجمته في طبقات الشافعية

وتصرف الإنسان نفسه بأمر متوافقة ومتخالفة ومتضادة، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها، واختلاف أوقاتها.

قال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم من قال: لا يُطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنها حسب الوقائع المتفرقة. وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً، فالمصحف كالصُحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سُورَه كلها وآياته بالتوقيف. وحافظ القرآن العظيم لو استغني في أحكام متعددة، أو ناظر فيها أو أملاها، لذكر آية كل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يثُل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقاً، بل كما أنزل جملةً إلى بيت العزة. ومن المعجز البين أسلوبه، ونظمه الباهر، فإنه ﴿كِتَابٌ أُخْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^١.

قال: والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكتملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيق لها.

قلت: وهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي، وهذا الراجح كما سيأتي، وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة، وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى، كافتتاح سورة الأنعام بالحمد، فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء، كما قال سبحانه: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٢، وكافتتاح سورة فاطر ﴿الْحَمْدُ﴾ أيضاً، فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾^٣، وكما قال تعالى: ﴿فَقَطَّعَ ذَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^٤.

١- الظاهر هو الشيخ ولي الدين الملوي، كما ذكره السيوطي في الإتيان. (م)

٢- هود / ١.

٣- الزمر / ٧٥.

٤- سبا / ٥٤.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^١، وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح، فإنه مناسب لختام سورة الواقعة من أمر به^٢، وكافتتاح البقرة بقوله: ﴿أَلَمْ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَبَّ فِيهِ﴾ إشارة إلى الصراط في قوله: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم، قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتهم الهداية إليه هو الكتاب. وهذا معنى حسن، يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاحة، وهو رد سؤال الزمخشري في ذلك.

وتأمل ارتباط سورة ﴿لَا يَلَافُ قُرَيْشٌ﴾ بسورة الفيل، حتى قال الأخفش: اتصالها بها من باب قوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^٣.

ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها، لأن السابقة قد وصف الله فيها المنافق بأمر أربعة: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة، فذكر هنا في مقابلة البخل: ﴿إِنَّا أَغْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ أي الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة: ﴿فَصَلِّ﴾ أي دُم عليها، وفي مقابلة الرياء: ﴿لِرَبِّكَ﴾ أي لرضاء لا للناس، وفي مقابلة منع الماعون: ﴿وَالْحَرِّ﴾، وأراد به التصديق بلحم الأضاحي، فاعتبر هذه المناسبة العجيبة.

وكذلك مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتسبيح وسورة الكهف بالتحميد؛ لأن التسبيح حيث جاء مقدّم على التحميد، يقال: سبحان الله، والحمد لله.

وذكر الشيخ كمال الدين الزملاكي في بعض دروسه مناسبة استفتاحها بذلك ما ملخصه: إن سورة بني إسرائيل افتتحت بمحدث الإسراء، وهو من الخوارق الدالة على صدق رسول الله ﷺ، وأنه رسول من عند الله، والمشركون كذبوا ذلك، وقالوا: كيف يسير في ليلة من مكة إلى بيت المقدس! وعادوا وتعتنوا، وقالوا: صف لنا بيت المقدس، فرُفع له حتى وصفه

١- الأنعام / ٤٥.

٢- إشارة إلى ختام سورة الواقعة بقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، وافتتاح سورة الحديد بقوله سبحانه: ﴿سَبِّحْ فِيهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

٣- القصص / ٨.

لهم. والسبب في الإسراء أولاً لبیت المقدس ليكون ذلك دليلاً على صحة قوله بصعود السماوات، فافتتحت بالتسبيح تصديقاً لنبيه فيما ادّعاء؛ لأن تكذيبهم له تكذيب عناده، فزّده نفسه قبل الإخبار بهذا الذي كذّبوه. أما الكهف فإنه لما احتبس الوحي، وأرجف الكفار بسبب ذلك، أنزلها الله رداً عليهم، وأنه لم يقطع نعمه عن نبيه ﷺ بل أتمّ عليه بإنزال الكتاب، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة. وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور، فما ظنك بالآيات وتعلّق بعضها ببعض! بل عند التأمل يظهر أن القرآن كلّه كالكلمة الواحدة.

[أنواع ارتباط الآتي بعضها ببعض]

عُدنا إلى ذكر ارتباط الآتي بعضها ببعض، فنقول: ذكر الآية بعد الأخرى؛ إمّا أن يظهر الارتباط بينهما لتعلّق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير، أو الاعتراض والتشديد، وهذا القسم لا كلام فيه. وإمّا ألا يظهر الارتباط، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف التوسع المبدوء به، فإمّا أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم أولاً.

القسم الأول - أن تكون معطوفة، ولا بد أن تكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه، كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُفُ فِيهَا﴾، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَبْضُ وَيَسْطُ وَأَنَّهُ يُرْجَعُونَ﴾^١، وفائدة العطف جعلهما كالظهيرين والشريكين.

وقد تكون العلاقة بينهما المضادة، وهذا كمناسبة ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب، والرغبة بعد الرهبة. وعادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً ووعيداً؛ ليكون ذلك باعثاً على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات التوحيد والتّزويه؛ ليعلم عظم الأمر والناهي، وتأمل

١- الحديد / ٤.

٢- البقرة / ٢٤٥.

سورة البقرة والتساء والمائدة وغيرها تجده كذلك .

وقد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها ويُشكل وجه الارتباط، فتحتاج إلى شرح، ونذكر من ذلك صُورًا يلتحق بها ما هو في معناها:

فمنها: قوله تعالى: ﴿يَسْتَلْؤُكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا...﴾^١، فقد يقال: أي رابط بين أحكام الأهلّة وبين حكم إتيان البيوت؟ والجواب من وجوه:

أحدها- كأنّه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلّة ونقصانها: معلوم أنّ كلّ ما يفعله الله فيه حكمة ظاهرة ومصلحة لعباده، فدعوا السؤال عنه، وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم، بما ليس من البرّ في شيء وأنتم تحسبونها برًّا.

الثاني- أنّه من باب الاستطراد، لما ذكر أنّها مواقيت للحجّ، وكان هذا من أفعالهم في الحجّ، ففي الحديث: أنّ ناسًا من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطًا ولا دارًا ولا فسطاطًا من باب، فإن كان أهل المدّر نقب نقبًا في ظهر بيته، منه يدخل ويخرج، أو يتخذ سلّمًا يصعد به. وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء، ففيل لهم: ليس البرّ بتحرّجكم من دخول الباب، لكن البرّ من اتقى ما حرّم الله، وكان من حقّهم السؤال عن هذا وتركهم السؤال عن الأهلّة. ونظيره في الزيادة على الجواب قوله ﷺ لما سُئل عن المتوضّئ بماء البحر، فقال: «هو الطّهور ماؤه، الحلّ ميّته».

الثالث- أنّه من قبيل التمثيل لما همّ عليه من تعكيسهم في سؤالهم، وأنّ مثّلهم كمثّل من يترك بابًا ويدخل من ظهر البيت، ففيل لهم: ليس البرّ ما أتتم عليه من تعكيس الأسئلة، ولكن البرّ من اتقى ذلك، ثمّ قال الله سبحانه: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، أي باشرُوا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها، ولا تعكسوا. والمراد أن يصمّ القلب على أن جميع أفعال

الله حكمة منه، وأنه ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾^١، فإن في السؤال اتهامًا. ومنها: قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾^٢ إلى أن قال: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، فإنه قد يقال: أي رابط بين الإسراء و﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾؟ ووجه اتصالها بما قبلها أن التقدير: أطلعناه على الغيب عيانًا، وأخبرناه بوقائع من سلف بيانا، لتقوم أخباره على معجزته برهانا، أي سبحانه الذي أطلعك على بعض آياته لتقصها ذكرًا، وأخبرك بما جرى لموسى وقومه في الكرتين؛ لتكون قصتهما آية أخرى. أو أنه أسرى بمحمد إلى ربه كما أسرى موسى من مصر حين خرج منها خائفًا يترقب، ثم ذكر بعده ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾^٣، ليتذكر بنو إسرائيل نعمة الله عليهم قديمًا، حيث نجّاهم من الغرق، إذ لو لم ينجّ أباهم من أبناء نوح لما وجدوا. وأخبرهم أن نوحًا كان عبدًا شكورًا، وهم ذريته، والولد سرّ أبيه، فيجب أن يكونوا شاكرين كأبيهم، لأنه يجب أن يسيروا سيرته فيشكروا.

وتأمل كيف أثنى عليه، وكيف تليق صفته بالفاصلة، ويتمّ التّظّم بها مع خروجها مخرج المرور عن الكلام الأوّل إلى ذكره ومدحه بشكره، وأن يعتقدوا تعظيم تخليصه إيّاهم من الطوفان بما حملهم عليه، ونجّاهم منه، حين أهلك من عداهم. وقد عرفهم أنه إنما يؤاخذهم بذنوبهم وفسادهم فيما سلّط عليهم من قتلهم.

ثم عاد عليهم بالإحسان والإفضال، كي يتذكروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم وعلى نوح الذي ولّدهم وهم ذريته، فلمّا صاروا إلى جهالتهم وقرّءوا عاد عليهم التعذيب.

ثم ذكر تعالى في ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصّة بكلمات قليلة العدد، كثيرة الفوائد، لا يمكن شرحها إلّا بالتفصيل الكثير والكلام الطويل، مع ما اشتمل عليه من التدريج

١- الأنبياء / ٢٣.

٢- الإسراء / ١.

٣- الإسراء / ٣.

العجيب، والموعظة العظيمة بقوله: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لَا تُفْسِدُكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾^١، ولم ينقطع بذلك نظام الكلام إلى أن خرج إلى قوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُذْنَا﴾، يعني إن عُذْتُمْ إلى الطَّاعَةِ عُذْنَا إلى العفو. ثم خرج خروجاً آخر إلى حكمة القرآن؛ لأنه الآية الكبرى. وعلى هذا فقس الانتقال من مقام إلى مقام حتى ينقطع الكلام.

وهذا يظهر لك اشتغال القرآن العظيم على التَّوَعُّمِ المسمَّى بـ «التَّخْلُصِ»، وقد أنكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغامِّي، وقال: ليس في القرآن الكريم منه شيء لما فيه من التَّكَلُّفِ، وليس كما قال.

ومن أحسن أمثله قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٢، فإن فيها خمس تَخْلُصَات: وذلك أنه جاء بصفة التَّوَرِّقِ وتمثيله، ثم تَخْلَصَ منه إلى ذكر الزَّجَاجَةِ وصفاتها، ثم رجع إلى ذكر التَّوَرِّقِ والزَّيْتِ يستمد منه، ثم التَّخْلُصَ منه إلى ذكر الشَّجَرَةِ، ثم تَخْلَصَ من ذكرها إلى صفة الزَّيْتِ، ثم تَخْلَصَ من صفة الزَّيْتِ إلى صفة التَّوَرِّقِ وتضاعفه، ثم تَخْلَصَ منه إلى نِعَمِ اللَّهِ بالهدى على من يشاء.

ومنه قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^٣، فإنه سبحانه ذكر أولاً عذاب الكفار وأن لا دافع له من الله، ثم تَخْلَصَ إلى قوله: ﴿تُفَرِّجُ الْمُلْكُتِ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾^٤ بوصف ﴿اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوَّلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ﴾^٥ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ؟^٥ إلى قوله:

١- الإسراء / ٧.

٢- التَّوَرِّقِ / ٣٥.

٣- المعارج / ١.

٤- المعارج / ٤.

٥- الشعراء / ٦٩ - ٧٠.

﴿فَلَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^١، فهذا تخلص من قصة إبراهيم وقومه إلى قوله هكذا، وتمتّى الكفار في الدار الآخرة الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا بالرسل، وهذا تخلص عجيب. وقوله: ﴿قَالَ هَلْ يُسْمِعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَهُمْ أَنْ يَنْتَفِعُوا بِكَ أَوْ يَضُرُّوكَ﴾ إلى أن قال: - أَلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾^٢، وذلك أنه لما أراد الانتقال من أحوال أصنامهم إلى ذكر صفات الله قال: إن أولئك لي أعداء إلا الله، فانتقل بطريق الاستثناء المنفصل.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ - إِلَى أَنْ قَالَ: - أَلَلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^٣.

وقوله تعالى في سورة الصافات: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزَّلْنَا أَمْ شَجَرَةُ الزَّوْمِ﴾^٤، وهذا من بديع التلخيص، فإنه سبحانه خلص من وصف المخلصين وما أعد لهم، إلى وصف الظالمين وما أعد لهم.

ومنه أنه تعالى في سورة الأعراف ذكر الأمم الخالية والأنبياء الماضين من آدم عليه السلام إلى أن انتهى إلى قصة موسى عليه السلام، فقال في آخرها: ﴿وَاحْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ...﴾^٥ إلى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾، وهو من بديع التلخيص.

واعلم! أنه حيث قصد التلخيص فلا بد من التوطئة له، ومن بديعه قوله تعالى: ﴿تَخُنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾^٦، يشير إلى قصة يوسف عليه السلام، فوطأ بهذه الجملة إلى ذكر القصة،

١- الشعراء / ١٠٢.

٢- الشعراء / ٧٢-٧٨.

٣- القمل / ٢٣-٢٦.

٤- الصافات / ٦٢.

٥- الأعراف / ١٥٥.

٦- يوسف / ٣.

يشير إليها بهذه التكتة من باب الوحي والرمز. وكقوله سبحانه موطنًا للتخلص إلى ذكر مبتدأ خلق المسيح عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾^١.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْتَمَّا تُولَدُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾^٢، فإنه قد يقال: ما وجه اتصاله بما قبله، وهو قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَتَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾^٣؟ قال الشيخ أبو محمد الجويني في تفسيره: سمعت أبا الحسين الدهان يقول: وجه اتصالها هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق، أي فلا يجر منكم ذلك واستقبلوها، فإن الله المشرق والمغرب.

ومنها قوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^٤ وإلى السماء كيف رُفِعَتْ^٥، فإنه يقال: ما وجه الجمع بين الإبل والسماء والجبال والأرض في هذه الآية؟

والجواب: أنه جمع بينهما على مجرى الإلف والعادة بالنسبة إلى أهل الوبر، فإن كل انتفاعهم في معاشهم من الإبل، فتكون عنايتهم مصروفة إليها، ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب، وذلك بزل المطر، وهو سبب تقلب وجوههم في السماء، ثم لا بد لهم من مأوى يؤويهم، وحسن يتحصنون به، ولا شيء في ذلك كالجبال، ثم لا غنى لهم - لتعذر طول مكثهم في منزل - عن التنقل من أرض إلى سواها، فإذا نظر البدوي في خياله وجد صورة هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾^٦، فيقال: أي ارتباط بينهما؟ وجوابه: أن المبتدأ - وهو ﴿مَنْ﴾ - خبره محذوف أي أفمن هو قائم على كل

١- آل عمران / ٣٣.

٢- البقرة / ١١٥.

٣- البقرة / ١١٤.

٤- الفاشية / ١٧ - ١٨.

٥- الرعد / ٣٣.

نفس تترك عبادته؟ أو معادل الهمة، تقديره: أفمن هو قائم على كل نفس كمن ليس بقائم؟ ووجه العطف على التقديرين واضح. أما الأول فالمعنى: أترك عبادة من هو قائم على كل نفس، ولم يكف الترك حتى جعلوا له شركاء! وأما على الثاني فالمعنى: إذا انتفتت المساواة بينهما فكيف تجعلون لغير المساوي حكم المساوي!

ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ «أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ»، عطف قصّة على قصّة مع أن شرط العطف المشاكلة، فلا يحسن في نظير الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ «أَوْ كَالَّذِي». ووجه ما بينهما من المشابهة أن ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بمنزلة هل رأيت كالذي حاج إبراهيم؟ وإنما كانت بمنزلة لأن ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ مركبة من همة الاستفهام وحرف التقي، ولذلك يجاب ببلى، والاستفهام يعطي التقي إذ حقيقة المستفهم عنه غير ثابتة عند المستفهم، ومن ثم جاء حرف الاستفهام مكان حرف التقي، ونفي التقي إيجاب، فصار بمثابة «رأيت» غير أنه مقصود به الاستفهام، ولم يمكن أن يؤتى بحرفه لوجوده في اللفظ، فلذلك أعطى معنى هل رأيت؟

فإن قلت: من أين جاءت «إلى» ورأيت يتعدى بنفسه؟ أجيب: لتضمنه معنى «تنظر».

القسم الثاني - ألا تكون معطوفة، فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط، والأول مزج لفظي، وهذا مزج معنوي، تؤول الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني، وله أسباب:

أحدها - التنظير، فإن إلحاق التّظير بالتّظير من دأب العقلاء، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾^١ عقب قوله: ﴿أَوَلَيْسَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، فإن الله سبحانه أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على

١- البقرة/ ٢٥٨- ٢٥٩.

٢- الأنفال/ ٥.

كُرِه من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون، وذلك أنهم اختلَفوا في القتال يوم بدر في الأنفال، وحاجَّوا النبي ﷺ وجادلوه، فكَرِه كثير منهم ما كان من فعل رسول الله ﷺ في التَّل، فأنزل الله هذه الآية، وأنفذ أمره بها، وأمرهم أن يتَّقوا الله ويطيعوه، ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شيء ما بعد أن كانوا مؤمنين. ووصف المؤمنين ثم قال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾، يريد أن كراهتم لما فعلته من الغنائم ككراهتم للخروج معك.

وقيل: معناه أولئك هم المؤمنون حقًا، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق. كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾^١.

وقيل: الكاف صفة لفعل مضمر، وتأويله: أفعَل في الأنفال كما فعلت في الخروج إلى بدر، وإن كره القوم ذلك، ونظيره قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾، معناه: كما أنعمنا عليكم بإرسال رسول من أنفسكم، فكذلك أتم نعمتي عليكم، فشبه كراهتم ما جرى من أمر الأنفال وقسمتها بالكرهية في مخرجه من بيته وكل ما لا يتم الكلام إلا به من صفة وصلة، فهو من نفس الكلام.

وأما قوله تعالى: ﴿كَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ بعد قوله: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾^٢، فإن فيه محذوفًا، كأنه قال: أنا النذير المبين عقوبة أو عذابًا مثل ما أنزلنا على المقتسمين.

وأما قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَفْجَلَ بِهِ﴾^٣، وقد اكتنفه من جانبيه قوله: ﴿يَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ و﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾^٤، وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾^٥.

١- الذاريات / ٢٣.

٢- الحجر / ٩٠.

٣- الحجر / ٨٩.

٤- القيامة / ١٦.

٥- القيامة / ١٤- ١٥.

وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ»^١، فهذا من باب قولك للرجل وأنت تحدّثه بحديث فينتقل عنك ويقبل على شيء آخر: أقبل عليّ واسمع ما أقول، وافهم عنّي، ونحو هذا الكلام، ثمّ تصلّ حديثك، فلا يكون بذلك خارجاً عن الكلام الأوّل قاطعاً له، وإلّا يكون به مشوّكاً للكلام. وكان رسول الله ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان إذا نزل عليه الوحي وسمع القرآن حرّك لسانه بذكر الله، فقيل له: تدبّر ما يوحى إليك، ولا تتلقّفه بلسانك، فإنّما نجعله لك ونحفظه عليك ...

الثاني - المضادة، ومن أمثلته قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾^٢، فإنّه أوّل السّورة كان حديثاً عن القرآن الكريم، وأنّ من شأنه كَيْتٌ وكَيْتٌ، وأنه لا يهدى القوم الذين من صفاتهم كَيْتٌ وكَيْتٌ، فرجع إلى الحديث عن المؤمنين، فلمّا أكمله عقب بما هو حديث عن الكفار، فبينهما جامع وهمي بالتضادّ من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأوّل كما قيل: «وبضدّها تبيّن الأشياء».

فإن قيل: هذا جامع بعيد، لأنّ كونه حديثاً عن المؤمنين بالقرّض لا بالذات، والمقصود بالذات الذي هو مساق الكلام إلّا ما هو الحديث عن الكتاب، لأنّه مفتتح القول.

قلنا: لا يشترط في الجامع ذلك، بل يكفي التعلّق على أيّ وجه كان، ويكفي في وجه الرّبط ما ذكرنا، لأنّ القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به، والحثّ على الإيمان به، ولهذا المسافرغ من ذلك قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾^٣، فرجع إلى الأوّل.

الثالث - الاستطراد، كقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاءَ تَكُمُ رَيْبًا وَسَوَاءَ لِبَاسٍ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾^٤.

قال الزّحخشري: هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد، عقب ذكر بدو السّوءات وخفف

١- القیامة / ٢٠ - ٢١.

٢- البقرة / ٦.

٣- البقرة / ٢٣.

٤- الأعراف / ٢٦.

الورق عليها، إظهاراً للمنة فيما خلق الله من اللباس، ولما في العُري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن السّتر باب عظيم من أبواب التقوى.

وجعل القاضي أبوبكر في كتاب «إعجاز القرآن» من الاستطراد، قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ﴾ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾. وقال: كأن المراد أن يجري بالقول الأوّل إلى الإخبار عن أن كل شيء يسجد لله عزّ وجلّ، وإن كان ابتداء الكلام في أمر خاص، انتهى. وفيه نظر.

ومنه الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطاً للسامع، كقوله تعالى في سورة ص بعد ذكر الأنبياء: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾^١، فإن هذا القرآن نوع من الذّكر لما انتهى ذكر الأنبياء - وهو نوع من التّزليل - أراد أن يذكر نوعاً آخر، وهو ذكر الجنّة وأهلها، فقال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾، فأكد تلك الإخبارات باسم الإشارة، تقول: أشير عليك بكذا، ثمّ تقول بعده: هذا الذي عندي والأمر إليك، وقال: ﴿وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ كما يقول المصنّف: هذا باب يشرع في باب آخر، ولذلك لما فرغ من ذكر أهل الجنّة قال: ﴿هَذَا وَإِن لِلطَّاغِينَ لَشَرٌّ مَّآبٍ﴾^٢... ثمّ ذكر في «اتّصال اللفظ والمعنى على خلاف»، وإن شئت فراجع [.

(٥٠-٣٥:١)

في خواتم السّوَر

وهي مثل الفواتح في الحسن، لأنّها آخر ما يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمّنة للمعاني البديعة مع إيدان السّامع بانتهاء الكلام حتّى يرتفع معه تشوّق النفس إلى ما يذكر بعد.

١- التحل ٤٨/٤٩.

٢- ص ٤٩/.

٣- ص ٥٥/.

ومن أوضحه خاتمة سورة إبراهيم: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾^١، وخاتمة سورة الأحقاف: ﴿بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾^٢، ولأنها بين أدعية ووصايا وفرائض ومواظ وتحميد وتهليل ووعد ووعيد إلى غير ذلك، كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة فاتحة الكتاب؛ إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال، ففصل جملة ذلك بقوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، والمراد المؤمنين، ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيدته ليتناول كل إنعام، لأن من أنعم عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم عليه بكل نعمة، لأن نعمة الإيمان مستتبعة لجميع النعم، ثم وصفهم بقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله والضلال المسببين عن معاصيه وتعدّي حدوده.

وكالدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة.

وكالوصايا التي ختمت بها سورة آل عمران بالصبر على تكاليف الدين، والمصابرة لأعداء الله في الجهاد ومعاقبتهم، والصبر على شدائد الحرب، والمرابطة في الفوز المحضوس عليها بقوله: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْغَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^٣، والتقوى الموعود عليها بالتوفيق في المضائق وسهولة الرزق في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^٤ ويرزقه من حيث لا يحتسب^٥، وبالفلاح لأن ﴿لَقُلُّ﴾ من الله واجبة.

وكالوصايا والفرائض التي ختمت بها سورة النساء، وحسن الختم بها لأنها آخر ما نزل من الأحكام عام حجة الوداع. وكالتبجيل والتعظيم الذي ختمت به المائدة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ

١- إبراهيم / ٥٢.

٢- الأحقاف / ٣٥.

٣- الأنفال / ٦٠.

٤- الطلاق / ٢- ٣.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^١، ولإرادة المبالغة في التعظيم أُخترت «ما» على «من» لإفادة العموم، فيتناول الأجناس كلها.

وكالوعد والوعيد الذي ختمت به سورة الأنعام بقوله: «إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ»^٢، ولذلك أُورد على وجه المبالغة في وصف العقاب بالسرعة وتوكيد الرحمة بالكلام المفيد لتحقيق الوقوع.

وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت به سورة الأعراف، والحضّ على الجهاد وصلة الأرحام الذي ختم به الأنفال.

ووصف الرسول ومدحه والاعتداد على الأمم به وتسليمه ووصيته والتهليل الذي ختمت به براءة.

وتسليمته عليه الصلاة والسلام الذي ختم بها سورة يونس، ومثلها خاتمة هود ووصف القرآن ومدحه الذي ختم به سورة يوسف، والردّ على من كذب الرسول الذي ختم به الرعد. ومدح القرآن وذكر فائدته والعلّة في أنّه إله واحد الذي ختمت به إبراهيم ووصيته الرسول التي ختم بها الحجر.

وتسليمية الرسول بطمأنينته ووعد الله سبحانه الذي ختمت به التحل، والتحميد الذي ختمت به سبحان.

وتحضيض الرسول على البلاغ والإقرار بالتثنية، والأمر بالتوحيد الذي ختمت به الكهف. وقد أتينا على نصف القرآن، ليكون مثلاً لمن نظر في بقيته.

فصل في مناسبة فواتح السُّور وخواتمها

ومن أسرارها مناسبة فواتح السُّور وخواتمها. وتأمل سورة القصص وابدأها بقصة مبدأ

١- المائدة / ١٢٠.

٢- الأنعام / ١٦٥.

أمر موسى ونصرته، وقوله: ﴿قُلْنَ أَكُونُ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾^١، وخروجه من وطنه ونصرته وإسعافه بالمكاملة، وختمها بأمر النبي ﷺ ألا يكون ظهيرًا للكافرين، وتسليته بخروجه من مكة والوعد بعوده إليها بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾^٢.

قال الزمخشري: وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^٣، وأورد في خاتمتها: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾^٤، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة.

فصل في مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها

ومن أسرارها مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها، حتى إن منها ما يظهر تعلُّقها به لفظًا، كما قيل في: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُولٍ﴾^٥، ﴿لَا يَلَافُ قَرِيضٌ﴾.

وفي الكواشي: لما ختم سورة النساء أمرًا بالتوحيد والعدل بين العباد، أكد ذلك بقوله في أول سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا بِالْعُقُودِ﴾^٦. (١: ١٨٢-١٨٦)

١- القصص / ١٧.

٢- القصص / ٨٥.

٣- المؤمنون / ٢.

٤- المؤمنون / ١١٧.

٥- الفيل / ٥.

٦- المائدة / ١.

الفصل الخامس

نصّ البقاعيّ (م: ٨٨٥) في «نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور»

[علم المناسبات]

علم المناسبات - الأهم من مناسبات القرآن وغيره - علم تعرف منه علل الترتيب.
موضوعه: أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب.
وثمرته: الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من
الارتباط والتعلّق الذي هو كلحمة النسب.

فعلم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سرّ البلاغة، لأدائه إلى
تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال. وتتوقّف الإجابة فيه على معرفة مقصود السُّورة
المطلوب ذلك فيها. ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية
التفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو.

وطالعتُ على ذلك كتاب العلامة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير الثَّقفيّ العاصميّ
الأندلسيّ المُعَلِّم بـ «البرهان في ترتيب سور القرآن»، وهو لبيان مناسبة تعقيب السُّورة
بالسُّورة فقط، لا يتعرّض فيه للآيات.

ثمّ ظفرت بكتاب الإمام بدر الدّين محمّد عبده الزركشيّ المصريّ الشافعيّ،
سمّاه «البرهان في علوم القرآن» فرأيت ذكر فيه ما يعرف بمقدار كتابي هذا، فقال في التّوَع الثاني
منه: - وهو في المناسبة - قد قلّ اعتناء المفسّرين بهذا التّوَع لدقّته، وممّن أكثر منه الإمام

فخر الدّين، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط ...
[ثم ذكر قول القاضي أبي بكر بن العربي نقلاً عن كتابه: «سراج المريدين»، وقول سلطان
العلماء الشيخ عبد السلام، كما تقدّم عن الزركشي، فقال:]

قلت: والشيخ المشار إليه هو العارف ولي الله محمد بن أحمد الملوّي المفلوطي
الشافعي، ذكر ذلك في كلام مفرد على قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾^١،
﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ﴾^٢.

ونقل الإمام شمس الدّين محمود الأصفهاني في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ﴾^٣، عن
الإمام الرّازي أنّه قال: «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السّورة وفي بدائع ترتيبها، علّم أنّ
القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم
آياته، ولعلّ الذين قالوا: إنّ معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك، إلّا أنّي رأيت جمهور
المفسّرين معرضين عن هذه اللّطائف غير متنبّئين لهذه الأسرار، وليس الأمر في هذا الباب
إلّا كما قيل:

والتّجم تستصغر الأبصار صورته فالذّنب للطّرف لا للتّجم في الصّغر

وانتفعت في هذا الكتاب كثيراً بتفسير على وجه كلّيّ للإمام الرّبّاني عليّ بن أحمد بن
الحسن التّجيّبي الحرّائي - بمهملتين مفتوحتين ومدّ وتشديد اللّام - المغربي نزّيل «حمّة» من
بلاد الشّام، سمّاه «مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل»، وكتاب العروة لهذا المفتاح يذكر
فيه وجه إنزال الأحرف السّبعة وما تحصل به قراءتها، وكتاب «التّوشية والتّوفية» في فصول
تتعلّق بذلك، وقد ذكرت أكثر هذا الكتاب في تضاعيف كتابي هذا معزّواً إليه في مواضع تليق
به، ثمّ بعد وصولي إلى سورة الأنفال ملكت جزءاً من تفسيره فيه من أوّله إلى: ﴿إِنَّ اللَّهَ

١- الأنعام/ ١٦٥.

٢- القصص/ ٥.

٣- البقرة/ ٢٨٥.

اصطفى ﴿ في آل عمران / ٣٣، فرأيته عديم التّظير، وقد ذكرت فيه المناسبات، وقد ذكرت ما أعجبني منها وعزوته إليه، يسّر الله الاطلاع على بقيته بخوله وقوته.

وبعد أن وصلت إلى سورة الكهف ذكر لي أن تفسير ابن التّقيب الحنفيّ - وهو في نحو ستين مجلداً - يذكر فيه المناسبات، وفي خزانة جامع الحاكم كثير منه، فطلبت منه جزءاً، فرأيت الأمر كذلك بالنسبة إلى الآيات لاجملها، وإلى القصص لاجميع آياتها، ومن نظر كتابي هذا غير علم النسبة بينهما والله الموفق.

وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكّن من اللّب، [وذلك] أنّه يكشف أن الإعجاز طريقين:

أحدهما - نظم كل جملة على حياها بحسب التركيب.

والثاني - نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب. والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً، فإن كلّ من سمع القرآن من ذكيّ وغبيّ يهتزّ لمعانيه، وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره، وكلّما دقّق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز.

ثمّ إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تلتّه وما تلاها، خفي عليه وجه ذلك، ورأى أن الجمل متباعدة الأغراض، متناثية المقاصد، فظنّ أنّها متنافرة، فحصل له من القبض والكرّب أضعاف ما كان حصل له بالسّماع من الهزّ والبسط، ربّما شكّكه ذلك بكثير، وزلزل إيمانه وزحزح إيقانه، وربّما وقف مكّيس من أذكّاء المخالفين عن الدّخول في هذا الدّين بعد ما وضّحت لديه دلّالة، وبرزت له من حجاها دقائقه وجلالته، لحكمة أرادها منزله، وأحكمها مجمله ومفصله، فإذا استعان بالله وأدام الطّرق لباب الفرج بإنعام التّأمّل وإظهار العجز والوثوق بآئه في الذّروة من أحكام الرّبط، كما كان في الأوج من حسن المعنى واللفظ، لكونه كلام من جلّ عن شوائب النّقص، وحاز صفات الكمال إيماناً بالغيب وتصديقاً للرّب، قائلاً ما قال الرّاسخون في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ

رَحْمَةً إِلَيْكَ أَتَيْتَ الْوَهَّابُ^١.

فانفتح له ذلك الباب ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار، رقص الفكر منه طرباً، وشكر الله استغرائاً وعجباً، وشاط لعظمة ذلك جناحه، فرسخ من غير مزية إيمانه، ورأى أن المقصود بالترتيب معانٍ جليلة الوصف، عالية الأمر، عظيمة القدر، مباحدة لمعاني الكلام على أنها منها أخذت، فسبحان من أنزله وأحكمه وفصله وغطاه وجلّاه، وبينه غاية البيان وأخفاه، وبذلك أيضاً يقف على الحق من معاني آيات حار فيها المفسرون لتضييع هذا الباب من غير ارتياب، منها قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ أَذْهَبَ حَظَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ﴾^٢، الآية، ومنها قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾^٣، مع قوله عقيبهِ: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^٤ دَرَجَاتٍ^٥، وقوله تعالى في آية هود: ﴿فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾^٦ الآية، إلى غير ذلك، وقوله تعالى في سبحان: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^٧ الآية، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الْمَلَائِكَةُ﴾^٨ وقوله تعالى: ﴿أَتُنْفِئُ الْيَهُودَ لَا يَرْجِعُونَ﴾^٩.

ثمّا تراه وينكشف لك غامض معناه، وبه يتبين لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة، فلمعنى ادّعى في تلك السورة، استدللّ عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقّت له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيّرت

١- آل عمران / ٨.

٢- البقرة / ١٣٣.

٣- النساء / ٩٥.

٤- النساء / ٩٥-٩٦.

٥- هود / ١٠٩.

٦- الإسراء / ٨٥.

٧- السجدة / ١١.

٨- يس / ٣١.

التظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل، مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة، وعلى قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها.

ولقد شفاني بعض فضلاء العجم، وقد سأله عن شيء من ذلك فرآه مشكلاً، ثم قرّرت إليه وجه مناسبتة، وسأله هل وضّح له؟ فقال: يأسدي! كلامك هذا يتسابق إلى الذهن. فلاتظنّ أنّها الناظر إلى كتابي هذا أنّ المناسبات كانت كذلك قبل الكشف لقناعها والرفع لستورها، فربّ آية أقمت في تأملها شهوراً، منها: ﴿وَأَذْغَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾^١، ومنها: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾^٢، و﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾^٣.

ومن أراد تصديق ذلك فليتأمل شيئاً من الآيات قبل أن ينظر ما قلته، ثم لينظره يظهر له مقدار ماتعبت وما حصل من قبل الله ومن العون، سواء كان ظهر له وجه لذلك عند تأمله أو لا، وكذا إذا رأى ما ذكر غيري من مناسبات بعض الآيات. وبه أيضاً يتضح أنّه لا وقف تام في كتاب الله، ولا على آخر سورة: ﴿قُلِ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^٤، بل هي متصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة التي هي أوله كائصالها بما قبلها، بل أشدّ إلّا أن يحمل نفهم لتعلقه على اللفظ مطلقاً ولو خفياً، وفي الكافي على اللفظ بقيد الجلاء، ولا تنكشف هذه الأغراض أتمّ انكشاف إلّا لمن خاض غمرة هذا الكتاب، وصار من أوله وآخره وأثنائه على ثقة وصواب، وما يذكّر إلّا أولو الأبواب.

وقد ذكر الزركشي نحو أربع ورقات من مناسبات بعض الآيات، وإذا تأملتها عظم عندك ما في هذا البحر الزاخر من نفائس الجواهر وبدائع السرائر، وقد أدرجت فيه ممّا ليس من باب

١- آل عمران / ١٢١.

٢- النساء / ١٢٧.

٣- النساء / ١٧٦.

٤- الناس / ١.

اليسير من غرائب التفسير تمالأ أظفريه في كتاب مع أنه كالمثل يسير... [إلى أن قال:]
 قال شيخنا الإمام المحقق أبو الفضل محمد بن العلامة القُدوة أبي عبد الله محمد المغربي
 البجائي المالكي: الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر
 الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى
 مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات
 إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي
 البلاغة شفاء العليل يدفع عنه الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن
 على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه التظم مفصلاً بين
 كل آية وآية في كل سورة سورة، والله الهادي، انتهى.

وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبا في السنة العاشرة من
 ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء يظهر
 المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه، وذلك هو الذي أنبأ به آدم
 (عليه الصلاة والسلام) عند العرض على الملائكة (عليهم الصلاة والسلام) ومقصود كل
 سورة هادٍ إلى تناسبها؛ فأذكر المقصود من كل سورة، وأطبق بينه وبين اسمها، وأفسر كل
 بسملة بما يوافق مقصود السورة، ولا أخرج عن معاني كلماتها، فالفاتحة اسمها «أُم الكتاب»
 و«الأساس»... [وذكر كما تقدم عن السيوطي في باب معنى السورة، ثم قال:]

فمدار هذه الأسماء كما ترى على أمر خفي كاف لكل مراد، وهو المراقبة التي سأقول: إنها
 مقصودها، فكل شيء لا يفتح بها لا اعتداد به، وهي أم كل خير، وأساس كل معروف،
 ولا يعتد بها إلا إذا تثبت، فكانت دائمة التكرار، وهو كنز لكل شيء، شافية لكل داء، كافية
 لكل هم، وافية بكل مرام، واقية من كل سوء، رقية لكل ملم، وهي إثبات للحمد الذي
 هو الإحاطة بصفات الكمال، وللشكر الذي هو تعظيم المنعم، وهي عين الدعاء، فإنه التوجه
 إلى المدعو، وأعظم مجامعها الصلاة.

الفصل السادس

نص السيوطي^١ (م: ٩١١) في «الإتقان في علوم القرآن»^١

في مناسبة الآيات والسور

أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه «البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن»، ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه «نظم الدرر في تناسب الآي والسور» وكتابي الذي صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك، جامع لمناسبات السور والآيات، مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة، وقد لخصت منه مناسبة السور خاصة في جزء لطيف سميته «تناسق الدرر في تناسب السور». وعلم المناسبة علم شريف، قلّ اعتناء المفسرين به لدقته، وتمن أكثر منه الإمام فخر الدين، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط... [ثم ذكر قول ابن العربي في «سراج المريدين» وقول أبي الحسن الشهرستاني وعز الدين عبد السلام وولي الدين الملوّي، كما تقدّم عن الزركشي، فقال:]

وقال الإمام الرازي في سورة البقرة: ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة... [وذكر كما تقدّم عن البقاعي].

فصل [في معنى المناسبة]

المناسبة في اللغة: المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني،

١- ذكر مثل هذا النص في «معترك الأقران في إعجاز القرآن» ١: ٤١ - ٥٨. (م)

كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والتظهير والصدّين، ونحوه.

وفائدة جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، وبصير التأليف حاله حال البناء المحكّم المتلائم الأجزاء، فنقول... [ثم ذكر أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض الأخرى، وأيضاً أسباب الربط والتناسب، كما تقدّم عن الزركشي، فقال:]
وقد خرجت على الاستطراد، قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^١، فإنّ أول الكلام ذكر الردّة على النصارى الزاعمين نبوة المسيح، ثم استطرّد الردّة على العرب الزاعمين نبوة الملائكة.

ويقرب من الاستطراد - حتى لا يكادان يفترقان - حسن التخلّص، وهو أن ينتقل ممّا ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاساً، دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأوّل إلّا وقد وقع عليه الثّاني، لشدة الالتئام بينهما.
وقد غلط أبو الغلاء محمد بن غانم في قوله: لم يقع منه في القرآن شيء لما فيه من التّكلّف، وقال: إنّ القرآن إنّما ورد على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم. وليس كما قال: ففيه من التّخلّصات العجيبة ما يحير العقول.

وانظر إلى سورة الأعراف، كيف ذكر فيها الأنبياء والقرون الماضية والأمم السّالفة، ثمّ ذكر موسى، إلى أن قصّ حكاية السّبعين رجلاً ودعائه لهم، ولسائر أمته بقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفَى الْآخِرَةِ﴾^٢، وجوابه تعالى عنه، ثمّ تخلّص بمناقبة سيّد المرسلين بعد تخلّصه لأمته بقوله: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ﴾^٣، من صفاتهم كُتِبَتْ وكُتِبَتْ، وهم الذين يتبعون الرّسول التّي الأمّي، وأخذ في صفاته

١- النساء / ١٧٢.

٢- الأعراف / ١٥٦.

٣- الأعراف / ١٥٦.

الكرامة وفضائله.

وفي سورة الشعراء حكى قول إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾^١، فتخلص منه إلى وصف المعاد بقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾^٢.

وفي سورة الكهف حكى قول ذي القرنين في السد بعد دكّه الذي هو من أشرط الساعة، ثم التفخ في الصور وذكر الحشر، ووصف مآل الكفار والمؤمنين.

وقال بعضهم: الفرق بين التخلص والاستطراد أنك في التخلص تركت ما كنت فيه بالكليّة، وأقبلت على ما تخلصت إليه، وفي الاستطراد تمرّ بذكر الأمر الذي استطردت إليه مروراً كالبرق الخاطف، ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه، كأنك لم تقصده وإلما عرض عرضاً.

قيل: وبهذا يظهر أن ما في سورتي الأعراف والشعراء من باب الاستطراد لا التخلص، لعوده في الأعراف إلى قصّة موسى بقوله: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ إلى آخره، وفي الشعراء إلى ذكر الأنبياء والأئم.

ويقرب من حسن التخلص، الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطاً للسامع مفصلاً بهذا، كقوله في سورة ص بعد ذكر الأنبياء... [وذكر كما تقدّم نحوه عن الزركشي، ثم قال:]

قال ابن الأنبر: هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل، وهي علاقة أكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر.

ويقرب منه أيضاً حسن المطالب: قال الزنجاني والطبي: وهو أن يخرج إلى الغرض بعد تقدّم الوسيلة، كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^٣.

١- الشعراء / ٨٧.

٢- الشعراء / ٨٨.

٣- الفاتحة / ٥.

قال الطيبي: ومما اجتمع حُسن التخلّص والمطلب معاً قوله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿فَأَنَّهُمْ عُدُوِّيَ الْآرَبِ الْعَالَمِينَ﴾ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿١﴾ إلى قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّيْ بِالصَّالِحِينَ﴾ ٢... [ثم ذكر قول أبي الفضل محمد بن العلامة، كما تقدّم عن البقاعي].

تنبيه

من الآيات ما أشكلت مناسبتها لما قبلها من ذلك قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُغْجِلَ بِهِ...﴾ ٣ الآيات، فإن وجه مناسبتها لأوّل السّورة وآخرها عسر جداً، فإن السّورة كلّها في أحوال القيامة، حتّى زعم بعض الرافضة أنّه سقط من السّورة شيء، وحتّى ذهب القفال فيما حكاه الفخر الرازي، أنّها نزلت في الإنسان المذكور قبل في قوله: ﴿يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ ٤، قال: يُعْرَضُ عليه كتابه، فإذا أخذ في القراءة تلجلج خوفاً، فأسرع في القراءة، فيقال له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُغْجِلَ بِهِ﴾ ٥ إن علينا أن نجتمع عملك، وأن نقرأ عليك، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ ٦ بالإقرار بأنك فعلت، ثم إن علينا بيان أمر الإنسان وما يتعلّق بعقوبته، انتهى.

وهذا يخالف ما ثبت في الصحيح أنّها نزلت في تحريك النبي ﷺ لسانه حالة نزول الوحي عليه. وقد ذكر الأئمة لها مناسبات:

منها: أنّه تعالى لما ذكر القيامة، وكان من شأن من يقصّر عن العمل لها حبّ العاجلة وكان من أصل الدّين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة، فنّبّه على أنّه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجلّ منه، وهو الإصغاء إلى الوحي، وتفهم ما يرد منه، والتشغل بالحفظ قد

١- الشعراء / ٧٧ - ٧٨.

٢- الشعراء / ٨٣.

٣- القيامة / ١٧.

٤- القيامة / ١٣.

٥- القيامة / ١٨.

يصدّ عن ذلك، فأمر بالآياد إلى التّحفظ، لأنّ تحفيظه مضمون على ربّه، وليصنغ إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضي فيتّبع ما اشتمل عليه، ثمّ لما انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام إلى ما يتعلّق بالإنسان المبتدأ بذكره ومن هو من جنسه، فقال: ﴿كَلَّا﴾^١، وهي كلمة ردع، كأنه قال: «بل أنتم يا بني آدم لكونكم خلقتكم من عَجَلٍ تعجلون في كلّ شيء ومن ثمّ تحبّون العاجلة».

ومنها: أن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد - حيث يعرض يوم القيامة - أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدّينية في الدّنيا التي تنشأ عنها المحاسبة عملاً وتركاً، كما قال في الكهف: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾^٢ إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾^٣ الآية.

وقال في سبحة: ﴿فَمَنْ أَوْتَى كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾^٤ إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾^٥.

وقال في طه: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾^٦ إلى أن قال: ﴿فَتَقَالِي اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾^٧.

ومنها: أن أوّل السّورة لما نزل إلى ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾^٨، صادف: **أَنَّهُ** **ﷻ** في تلك الحالة، بادر إلى تحفّظ الذي نزل، وحرك به لسانه من عجلته خشية من تفلّته، فنزل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ

١- القيامة / ٢٠.

٢- الكهف / ٤٩ - ٥٤.

٣- الإسراء / ٧١ - ٨٩.

٤- الإسراء / ٨٩.

٥- طه / ١٠٢.

٦- طه / ١١٤.

٧- القيامة / ١٥.

لِسَائِكَ لِتَفْجَلْ بِهِ^١، إلى قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ^٢﴾، ثم عاد الكلام إلى تكملة ما ابتدئ به . قال الفخر الرازي: ونحوه ما لو ألقى المدرّس على الطالب مثلاً مسألة، فتشغل الطالب بشيء عرض له، فقال له: ألقى إليّ بالك وتفهم ما أقول، ثم كمل المسألة، فمن لا يعرف السبب يقول: ليس هذا الكلام مناسباً للمسألة بخلاف من عرف ذلك.

ومنها: أن «التفس» لما تقدّم ذكرها في أول السّورة، عدل إلى ذكر «نفس» المصطفى، كأنه قيل: هذا شأن النفوس وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس، فلتأخذ بأحكام الأحوال. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْتَلْزِمُكَ عَنِ الْأَهْلِ^٣﴾، فقد يقال: أي رابط بين أحكام الأهلّة وبين حكم إتيان البيوت؟ وأجيب: بأنه من باب الاستطراد، لما ذكر أنّها مواقيت للحجّ، وكان هذا من أفعالهم في الحجّ - كما ثبت في سبب نزولها - ذكر معه من باب الزيادة في الجواب على ما في السّؤال، كما سئل عن ماء البحر فقال: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» . ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ...^٤﴾، فقد يقال: ما وجه اتّصاله بما قبله وهو قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ...^٥﴾... [ثمّ ذكر قول الشيخ أبي محمد الجويني، كما تقدّم عن الزّر كشي].

[المناسبة بين فواتح السّور وخواتمها]

من هذا النوع: مناسبة فواتح السّور وخواتمها، وقد أفردت فيه جزءاً لطيفاً سمّيته: «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع».

وانظر إلى سورة القصص كيف بُدئت بأمر موسى ونصرته، وقوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً

١- القيامة / ١٦.

٢- القيامة / ١٩.

٣- البقرة / ١٨٩.

٤- البقرة / ١١٥.

٥- البقرة / ١١٤.

لِلْمُجْرِمِينَ^١، وخُتِمَتْ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَنْ لَا يَكُونَ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ، وتسليته عن إخراجهم من مكة وعده بالعود إليها، لقوله في أول السّورة: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ^٢﴾. قال الزّمخشري: وقد جعل الله فاتحة سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ^٣﴾، وأورد في خاتمتها ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ^٤﴾، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة.

وذكر الكرّماني في «العجائب» مثله. وقال في سورة «ص»: بدأها بالذكر، وختمها به في قوله: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ^٥﴾.

في سورة «ن»: بدأها بقوله: ﴿مَا آتَتْ نِعْمَةٌ رَبِّكَ بِمَجْثُونٍ^٦﴾، وختمها بقوله: ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ^٧﴾.

ومنه: مناسبة فاتحة السّورة لخاتمة ما قبلها حتّى أن منها ما يظهر تعلّقها به لفظاً، كما في: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُولٍ^٨﴾، ﴿لَا يَلَافُ قُرَيْشٌ^٩﴾، فقد قال الأخفش: اتّصّالها بها من باب ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا^{١٠}﴾.

وقال الكواشي في تفسير المائدة: لما ختم سورة النساء أمراً بالتوحيد والعدل بين العباد، أكّد ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ﴾. المائدة / ١.

١- القصص / ٧.

٢- القصص / ١٧.

٣- المؤمنون / ١.

٤- المؤمنون / ١١٧.

٥- ص / ٨٧.

٦- القلم / ٢.

٧- القلم / ٥١.

٨- النّيل / ٥.

٩- قريش / ١.

١٠- القصص / ٨.

وقال غيره: إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة... [وذكر كما تقدم عن الزركشي، ثم ذكر ارتباط سورة البقرة بالفاتحة والكوثر بالسورة التي قبلها، كما تقدم عنه أيضاً].

وقال بعضهم: لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم:

أحدها - بحسب الحروف كما في الحواميم.

الثاني - لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها، كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة.

الثالث - للتوازن في اللفظ كآخر تبت وأول الإخلاص.

الرابع - لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى كالضحى وألم نشرح.

قال بعض الأئمة: وسورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية والالتجاء إليه في دين الإسلام، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية، وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين، وآل عمران مكملته المقصودها، فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم، ولهذا ورد فيها ذكر التشابه لما تمسك به النصارى، وأوجب الحج في آل عمران، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع، وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه. وكان خطاب النصارى في آل عمران أكثر كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر، لأن التوراة أصل، والإنجيل فرع لها، والتي ﷺ لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر، كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب. ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء، فخطب به جميع الناس. والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فخطبوا بـ «يا أهل الكتاب»، «يا بني إسرائيل»، «يا أيها الذين آمنوا».

وأما سورة النساء: متضمنة أحكام الأسباب التي بين الناس وهي نوعان: مخلوقة لله ومقدورة لهم، كالنسب والصهر، ولهذا افتتحت بقوله: ﴿اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

وَاحِدَةً وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا^١، ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾، فانظر هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح، وبراعة الاستهلال، حيث تضمنت الآية المفتوح بها ما أكثر السورة في أحكامه؛ من نكاح النساء ومحرماته، والموارث المتعلقة بالأرحام، فإن ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم، ثم خلق زوجة منه، ثم بثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً في غاية الكثرة.

وأما المائدة: فسورة «العقود»، تضمنت بيان تمام الشرائع، ومكملات الدين، والوفاء بعهود الرسل، وما أخذ على الأمة، وبها تمّ الدين، فهي سورة «التكميل»؛ لأنّ فيها تحريم الصيد على المخرم الذي هو من تمام الإحرام، وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين، وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال، وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله تعالى، ولهذا ذكر فيها ما يختصّ بشريعة محمد ﷺ، كالوضوء، والتيمم، والحكم بالقرآن على كلّ ذي دين، ولهذا أكثر فيها من لفظ الإكمال والإتمام، وذكر فيها أنّ من ارتدّ عوّض الله بخير منه، ولا يزال هذا الدين كاملاً، ولهذا أورد أنها آخر ما نزل فيها من إشارات الختم والتمام. وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب.

وقال أبو جعفرين الزبير: حكى الخطابي أنّ الصحابة لما اجتمعوا على القرآن، وضعوا سورة القدر عقب العلق، استدّلوا بذلك على أنّ المراد بها الكناية في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، الإشارة إلى قوله: ﴿اقْرَأْ﴾^٢. قال القاضي أبو بكر بن العربي: وهذا بديع جداً... [إلى أن قال:]

[فوائد منشورة في المناسبات]

في تذكرة الشيخ تاج الدين السبكي ومن خطّه نقلت: سأل الإمام ما الحكمة في افتتاح

١- النساء / ١.

٢- العلق / ١.

سورة الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتحميد؟ وأجاب بأن التسبيح - حيث جاء - مقدم على التحميد، نحو: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾... [ثم ذكر قول الزمّلكاني في مناسبة سورة الإسراء لقبها، كما تقدم عن الزرّكشي، فقال:]

في تفسير الخويي: ابتدئت الفاتحة بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بوصف أنه مالك جميع المخلوقين، وفي الأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر، لم يوصف بذلك، بل بفرد من أفراد صفاته، وهو خلق السماوات والأرض، والظلمات والطور في الأنعام، وإنزال الكتاب في الكهف، ومُلك ما في السماوات وما في الأرض في سبأ، وخلقهما في فاطر، لأن الفاتحة أم القرآن ومطلعه، فناسب الإتيان فيها بأبلغ الصفات وأعظمها وأشملها.

في «العجائب» للكرّماني: إن قيل: كيف جاء «يسألونك» أربع مرّات بغير واو؟ يستلّونك عن الأهلّة^١، يستلّونك ماذا يثقفون^٢، يستلّونك عن الشهر الحرام^٣، يستلّونك عن الخمر^٤، ثم جاء ثلاث مرّات بالواو: «وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُثْقُونَ»^٥، «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى»^٦، «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحْضِ»^٧؟

قلنا: لأنّ سؤالهم عن الحوادث الأوّل وقع متفرّقاً، وعن الحوادث الآخر وقع في وقت واحد، فجاء بحرف الجمع دلالة على ذلك.

فإن قيل: كيف جاء: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ»^٨، وعادة القرآن مجيء «قل»

١- البقرة/ ١٨٩.

٢- البقرة/ ٢١٥.

٣- البقرة/ ٢١٧.

٤- البقرة/ ٢١٩.

٥- البقرة/ ٢١٩.

٦- البقرة/ ٢٢٠.

٧- البقرة/ ٢٢٢.

٨- طه/ ١٠٥.

في الجواب بلا فاء؟ وأجاب الكرّماني بأنّ التقدير: لو سُئِلَتْ عنها فَقُلْ. فإن قيل: كيف جاء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾^١، وعادة السؤال يجيء جوابه في القرآن «بقل»؟

قلنا: حذفت للإشارة إلى أنّ العبد في حال الدّعاء في أشرف المقامات، لا واسطة بينه وبين مولاه. ورد في القرآن سورتان: أولهما ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾^٢، في كلّ نصفِ سورة، فالتي في النّصف الأوّل تشتمل على شرح المبدأ، والتي في الثّاني على شرح المعاد. (٣: ٣٦٩-٣٨٩)

١- البقرة / ١٨٦.

٢- النساء / ١١، الحج / ١١.

الفصل السابع

نصّ الشوكاني (م: ١٢٥٠) في «فتح القدير...»

[عدم التناسب في الترتيب الموجود]

اعلم! أنّ كثيرًا من المفسّرين جاءوا بعلم متكلّف، وخاضوا في بحر لم يكلّفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنّ لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلّم بمحض الرأى المنهنيّ عنه في الأمور المتعلّقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنّهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنيّة المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلّفات وتعمّقات يتبرّأ منها الإنصاف، ويتنزّه عنها كلام البلغاء فضلًا عن كلام الرّبّ سبحانه، حتّى أغردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهمّ من التّأليف، كما فعله البتاعيّ في «تفسيره» ومن تقدّمه حسبما ذكر في خطبته.

وإنّ هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أنّ هذا القرآن ما زال ينزل مفرّقًا على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحي على رسول الله ﷺ إلى أن قبضه الله عزّ وجلّ إليه، وكلّ عاقل فضلًا عن عالم لا يشكّ أنّ هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها، بل قد تكون متناقضة كتحرّيم أمر كان حلالًا وتحليل أمر كان حرامًا، وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله، وتارة يكون الكلام مع المسلمين، وتارة مع الكافرين، وتارة مع من مضى، وتارة مع من حضر، وحيثما في عبادة، وحيثما في معاملة، ووقتًا في ترغيب، ووقتًا في ترهيب، وآونة في بشارة، وآونة في نذارة، وطورًا في أمر دنيا، وطورًا في أمر آخرة، ومرة في تكاليف آتية، ومرة في أقاصيص ماضية.

وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف، ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف، فالقرآن التازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضبّ، والتون، والماء، والثار، والملاح، والحادي، وهل هذا إلّا من فتح أبواب الشكّ، وتوسيع دائرة الرّيب على من في قلبه مرض، أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور، فإنّه إذا وجد أهل العلم يتكلّمون في التناسب بين جميع آي القرآن، ويفردون ذلك بالتصنيف، تقرر عنده أن هذا أمر لا بدّ منه، وأنّه لا يكون القرآن بليغاً معجزاً إلّا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة وتبيين الأمور الموجب للارتباط، فإن وجد الاختلاف بين الآيات، فرجع إلى ما قاله المتكلّمون في ذلك، فوجده تكلّفاً محضاً وتعسفاً بيئاً، انقذح في قلبه ما كان عنه في عافية وسلامة.

هذا على فرض أن نزول القرآن كان مترتباً على هذا الترتيب الكائن في المصحف، فكيف وكلّ من له أدنى علم بالكتاب، وأيسر حظّ من معرفته يعلم علماً يقيناً أنّه لم يكن كذلك، ومن شكّ في هذا، وإن لم يكن ممّا يشكّ فيه أهل العلم، رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب النزول، المطلعين على حوادث التبوّة، فإنّه ينتلج صدره، ويزول عنه الرّيب بالتظر في سورة من السّور المتوسطة، فضلاً عن المطوّلة، لأنّه لا محالة يجدها مشتملة على آيات نزلت في حوادث مختلفة، وأوقات متباينة لا مطابقة بين أسبابها، وما نزل فيها في الترتيب، بل يكفي المقصّر أن يعلم أن أول ما نزل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^١، وبعده ﴿بِأَيِّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾^٢ و﴿بِأَيِّهَا الْمُرْجُلُ﴾^٣، وينظر أين موضع هذه الآيات والسّور في ترتيب المصحف؟ وإذا كان الأمر هكذا، فأيّ معنى لطلب المناسبة بين آيات؟ نعلم قطعاً أنّه قد تقدّم في ترتيب المصحف ما أنزله الله متأخراً، وتأخّر ما أنزله الله متقدّماً، فإنّ هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن،

١- العلق / ١.

٢- المدثر / ١.

٣- المزمل / ١.

بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه بمن تصدّى لذلك من الصحابة، وما أقلّ نفع مثل هذا! وأنزّر ثمرته! وأحقر فائدته! بل هو عند من يفهم ما يقول، وما يقال له من تضييع الأوقات، وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس.

وأنت تعلم أنه لو تصدّى رجل من أهل العلم للمناسبة مع بين ما قاله رجل من البلغاء من خطبته، ورسائله، وإنشاءاته، أو إلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحاً، وأخرى هجاءً، وحيثاً نسيباً، وحيثاً رثاءً، وغير ذلك من الأنواع المتخالفة، فعمد هذا المتصدّي إلى ذلك المجموع، فناسب بين فقره ومقاطعته، ثم تكلف تكلفاً آخر، فناسب بين الخطبة التي خطبها في الجهاد، والخطبة التي خطبها في الحجّ، والخطبة التي خطبها في التّكاح، ونحو ذلك، وناسب بين الإنشاء الكائن في العزاء والإنشاء الكائن في الهناء، وما يشابه ذلك، لعدّ هذا المتصدّي لمثل هذا مصائباً في عقله، متلاعباً بأوقاته، عابثاً بعمره الذي هو رأس ماله.

وإذا كان مثل هذا بهذه المنزلة، وهو ركوب الأحموق في كلام البشر، فكيف تراه يكون في كلام الله سبحانه الذي أعجزت بلاغته بلغاء العرب، وأبكمت فصاحته فصحاء عدنان وقحطان، وقد علم كل مقصّر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربيّ، وأنزله بلغة العرب، وسلك فيه مسالكهم في الكلام، وجرى به مجاريهم في الخطاب. وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد، فيأتي بفنون متخالفة، وطرائق متباينة فضلاً عن المقامين، فضلاً عن المقامات، فضلاً عن جميع ما قاله ما دام حيّاً، وكذلك شاعرهم. ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي تعثر في ساحاتها كثير من المحققين، وإثما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن، لأنّ الكلام هنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام، فإذا قال متكلف: كيف ناسب هذا ما قبله؟ قلنا: لا كيف:

فدع عنك نهياً صريح في حجراته وهات حديثاً ما حديث الرواحل

الفصل الثامن

نصّ الزُّرقانيّ (م: ١٣٦٨) في «مناهل العرفان ...»

[بعد ذكر ثلاث خصائص للقرآن، قال:]

الخاصّة الرَّابِعة - جودة سبك القرآن وإحكام سرّده^١، ومعنى هذا أن القرآن بلغ من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وجُمَله وآياته وسُوره، مبلغًا لا يدانيه فيه أيّ كلام آخر، مع طول نَفْسِه، وتنوّع مقاصده، وافتنانه وتلويّنه في الموضوع الواحد، وآية ذلك أنّك إذا تأملت في القرآن الكريم، وجدت منه جسمًا كاملاً تربط الأعصاب والجلود والأغشية بين أجزائه، ولحمت فيه روحًا عامًّا يبعث الحياة والحسّ على تشابك وتساند بين أعضائه، فإذا هو وحدة متماسكة متألّفة، على حين أنّه كثرة متنوّعة متخالفة، فبين كلمات الجملة الواحدة من التّأخّي والتّناسق، ما جعلها رائعة التّجانس والتّجاذب، وبين جُمَل السّورة الواحدة من التّشابك والتّرباط، ما جعلها وحدة صغيرة متآخّذة الأجزاء متعانقة الآيات، وبين سُور القرآن من التّناسب ما جعله كتابًا سويّ الخلق، حُسْن السّمت: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾^٢، فكأنّما هو سبيكة واحدة تأخذ بالأبصار، وتلعب بالعقول والأفكار، على حين أنّها مؤلّفة من حلّقات، لكلّ حلقة منها وحدة مستقلّة في نفسها ذات أجزاء، ولكلّ جزء وضع خاصّ من

١- يقال: درج مسرّدة ومسرودة، أي منسوجة متداخلة حلقة بعضها في بعض، فالمراد هنا أن القرآن مترابط الأجزاء، متناسب

تناسبيًا قويًّا. (م)

الحلقة، ولكل حلقة وضع خاص من السبيكة، لكن على وجه من جودة السبك وإحكام السرد، جعل من هذه الأجزاء المنتشرة المتفرقة وحدة بديعة متألقة، تُربك كمال الانسجام بين كل جزء وجزء، ثم بين كل حلقة وحلقة، ثم بين أوائل السبيكة وأواخرها وأواسطها.

يعرف هذا الإحكام والترابط في القرآن كل من ألقى باله إلى التناسب الشائع فيه، من غير تفكك ولا تحاذل ولا انحلال ولا تنافر، بينما الموضوعات مختلفة متنوعة، فمن تشريع إلى قصص جدل إلى وصف، إلى غير ذلك، وكُتب التفسير طافحة ببيان المناسبات، فنحيلك عليها، ونكتفي بمثل واحد نضربه مع الاختصار والاقتصار.

هذه سورة الفاتحة، تأمل كيف ترابط وتتناسق في حُسن تخلص من معنى إلى معنى، ومن مقصد إلى مقصد؛ لقد افتتحت مُتَوَجِّة ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، كما يتوَجَّع القاضي كل حكم من أحكامه باسم جلالة الملك، لإعلان الجهة التي يستمد منها نفوذه في صدور أحكامه.

ثم انتقل الكلام فيها سريعاً إلى الاستدلال على أن الاستعانة إنما هي به تعالى وحده، وذلك بإضافة الاسم إلى لفظ الجلالة الذي هو اسم الذات الجامع لصفات الكمال، وبوصف لفظ الجلالة بأنه: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

ثم انتقل الكلام إلى إعلان أنه تعالى مستحق للمحامد كلها ما دام أنه المستعان وحده بالدليل. ثم انتقل الكلام إلى تدعيم هذا الاستحقاق بأدلة ثلاثة جرّت على اسم الجلالة مجرى الأوصاف في مقام حمده: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^١. ثم انتقل الكلام إلى إعلان وحدانيته في ألوهيته وربوبيته: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^٢، ما دام أنه هو المعين وحده ومستحق المحامد كلها وحده.

ثم انتقل الكلام في براعة إلى بيان المطمح الأعلى للإنسان وأن هذا المطمح الأعلى هو

١- الفاتحة / ٢- ٤.

٢- الفاتحة / ٥.

الهداية إلى الصراط المستقيم، وأنه لا سبيل إلى الوصول إلى هذا المطمح عن طريق أحد إلا عن طريق الله وحده، بقرينة ما سبق من أدلة التوحيد والتمجيد قبله: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^١.

ثم انتقل الكلام من حيث لا تشعر أو من حيث تشعر إلى تقسيم الخلق بالنسبة إلى هذه الهداية ثلاثة أقسام تنبيهًا وإغراءً على المقصود وتحذيرًا وتنفيراً من الوقوع في نقیض هذا المقصود: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^٢.

وإذا التأس أمام عينيك بين منعم عليه بمعرفة الحق وأتباعه، ومغضوب عليه بمخالفة الحق مع العلم به، وضال رضي أن يعيش عيشة الأنعام في متاهة الجهالة والحيرة والضلال لا يكلف نفسه عناء البحث عن الحق، ليتشرف بمعرفته ويسعد باتباعه.

ثم تنظر في سورة البقرة، فإذا هي وما بعدها ترتبط بالفاصلة ارتباطاً المفصل بالمجمل، فالهداية إلى الصراط المستقيم صراط من أنعم الله عليهم من التبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين تشرحها سورة البقرة وما وليها من سور القرآن حيث جاء تناً بتفاصيل هذه الهداية في بيان كامل، وعرض شامل.

أما بعد، فقد يظن بعض الجهلة أن هذه الوحدة الفتية البائية في القرآن أمر تافه حين لا يسمو إلى حد التنويه به، فضلاً عن أن يُنظّم في عداد ما هو مناط للإعجاز، ولأجل الردّ على هؤلاء نطلب منهم أن ينظروا نظرة فاحصة في كلام البلغاء وحملّة الأقلام، فإن لم يكن عندهم نظر ولا ذوق، فليستمعوا إلى حكم نقدة البيان وصيارفته عليهم، بأهم كثيرًا مما يخطئون في تنظيم أغراضهم إذا قالوا، بل يأتون بها شتيًا مفككًا غير متماسك ولا متجاذب، مما يعاب الشعراء من أجله بسوء التخلّص، حين ينتقلون من غرض إلى غرض في القصيدة

١- الفاتحة ٦/.

٢- الفاتحة ٧/.

الواحدة، ومما يضطرّ الكتاب والعلماء والمؤلفين إلى تلافي هذا النقص، بما يستخدمون في تنقلاتهم بين أغراضهم، من أسماء الإشارة وأدوات التنبيه والحديث عن النفس وكثرة التّقسيم والترقيم والتبويب والعنونة، ولفظ أمّا بعد، نحو هذا، وإن، ألا، وإن قلنا كذا، ونقول كذا، ينقسم الكتاب إلى مباحث: المبحث الأول في كذا إلخ، ينقسم هذا المبحث إلى نقاط: أولها كذا إلخ ملاحظة، تنبيه، فذلكة، أمّا بعد إلخ.

هذا في كلام البشر، أمّا كلام مالك القويّ والقُدّر، فإنّه على تنوّع أغراضه وطول نفسه في سُورَه وآياته، ينتقل من مقصد إلى مقصد، وينقلك أنت معه بين هذه المقاصد، غير مستعين بوسائل العجز المذكورة، بل بطريقة سحرية قد تشعر بها وقد لا تشعر، وحسبك أن تنظر في المثال الآنف الذي قدّمناه لك في سورة الفاتحة، وحبّذا أن تنظر في أطول سُور القرآن وهي سورة البقرة، فإنّك ستطرب وتعجب، وسيذهب بك الطّرب والعجّب إلى حدّ الذّوق البالغ لهذا اللّون من الإعجاز القاهر، وأدّ لك على كتاب «التّبأ العظيم»، فقد أجاد في بيان هذا اللّون وأبدع وأشبع العقول والقلوب وأمتع بما عرض من التّناسب والترابط بين آحاد هذه السّورة.

(١٩٧:٢-١٩٩)

الفصل التاسع

نصّ التهاونديّ (م: ١٣٧١) في «نفحات الرّحمان...»

تناسب السُّور والآيات

لا شبهة في أنّ الترتيب المقرّر عند الله المنزل على النبي ﷺ بين الآيات والسُّور لمناسبات لطيفة، وروابط منيفة، وتُكْت بدیعة، وحِكمٌ بليغة، لا يعلم جميعاً إلّا الله والراسخون في العلم، ولا يدركها إلّا من نور الله قلبه، وخصّ بالانقياد والطّاعة ربّه، وهب له فهم القرآن، وباشر روحه روح الإيمان... [ثمّ ذكر قولين للفخر الرّازي كما تقدّم عن الزّر كشيّ والبّقاعيّ، وذكر بعدها قول ابن العربيّ، كما تقدّم عن الزّر كشيّ]

هذا ولعمري أنّ ما ذكرته بالنظر إلى حكمة الله البالغة، وعدم إمكان وضعه الشّيء في غير موضعه، وترجيحه أمراً بلا مرجّح، من أوضح الواضحات، وأبين البينات، غنيّ عن الاستدلال والتأييد بأقوال الرّجال، والعجب مع ذلك من بعض حيث قال... [ثمّ ذكر قول عزّ الدّين بن عبد السّلام، كما تقدّم عن الزّر كشيّ، ثمّ قال:]

فإنّ مثل هذا الكلام في ترتيب كلام الله لا ينبغي صدوره عن عاقل فضلاً عن فاضل، إذ من الواضح أنّ كلّ من ألف كتاباً مشتملاً على مطالب متفرّقة وقضايا متشعّبة، ويلاحظ البتّة في ترتيبها مناسبةً وارتباطاً، فكيف بالحكيم المتعال؟

فإنّ المناسبات بين القضايا المتفرّقة والأحكام المختلفة كثيرة جدّاً، خصوصاً في نظر من كان عالماً بمحقاق الأشياء وجهات الأمور، نعم، فهم غير العلماء الرّاسخين الرّبانيّين، قاصر

عن درك جميع المناسبات اللطيفة المنظورة للطف الخبير، ولذا لم يحم حوله المفسرون، فلم يخض فيه المتبحرون، نعم، تكلف قليل من علماء العامة لبيانها، وأجالوا الفكر في هذا العرصة مع عدم كونهم من فرسانها، وأين لهم التمكن في هذا القصر المشيد؟ وأتسى لهم التناوش من مكان بعيد، حيث إنهم ما تقفوا بجبل الله المتين، وما اتخذوا سبيلاً مع الهداة الراسخين؟ وأتسى وإن سلكت في هذا الطريق الزليق، وغضت في هذا البحر العميق، وحضت كالذي خاضوا، وأفضت من حيث أفاضوا، غير أنني لمعرفتي بقصوري ما غصصت على ما نلت بضرس قاطع، وما حكمت فيما قلت على أنه هو الحق الواقع، بل أبدت ما يليق بالظن والاحتمال، لآلاتي توهم في ترتيب الكتاب العزيز ما توهمه هذا البعض من الأمر المحال... ثم ذكر قول ولي الدين الملوّي، كما تقدّم عن الزرّكشي، فقال: [

قال بعض العلماء: «سورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية والالتجاء إليه في دين الإسلام، والصيانة عن دين اليهودية والتصرّاتية»... [وذكر كما تقدّم عن السيوطي، ثم قال:]

وقال بعض آخر: إذا اعتبرت افتتاح كل سورة، وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ثم هو يخفي تارة ويظهر أخرى... [وذكر كما تقدّم عن الزرّكشي والسيوطي، ثم قال:]

أقول: الغرض من نقل هذه العبارات والوجوه هو التأييد وإن قلنا: إن المدّعي لوضوحه غني عنه.

(١٣: ١٢-١٣)

الفصل العاشر

نصّ سيّد قطب (م: ١٣٨٧) في «التّصوير الفنّي في القرآن الكريم»

التّناسق الفنّي

حينما نقول: إنّ التّصوير هو القاعدة الأساسيّة في تعبير القرآن، وإنّ التّخييل والتّجسيم هما الظّاهرتان البارزتان في هذا التّصوير، لانكون قد بلغنا المدى في بيان الخصائص القرآنيّة بصفة عامّة، ولا خصائص التّصوير القرآنيّ بصفة خاصّة. و وراء هذا وذاك آفاق أخرى يبلغ إليها التّسق القرآنيّ، وبها تقويمه الصّحيح من ناحية الأداء الفنّيّ.

هنالك التّناسق الذي يبلغ الذّروة في تصوير القرآن، والتّناسق ألوان ودرجات، ومن هذه الألوان ما تنبّه إليه بعض الباحثين في بلاغة القرآن، ومنها ما لم يمسسه أحد منهم حتّى الآن:

منها: ذلك التّنسيق في تأليف العبارات، بتخيّر الألفاظ، ثمّ نظمها في نسق خاصّ، يبلغ في الفصاحة أرقى درجاتها. وقد أكثروا من القول في هذا اللون، وبلغوا غاية مداه، بل تجاوزوا الصّحيح منه إلى التّمحلّ الذي لا ضرورة له!

ومنها: ذلك الإيقاع الموسيقيّ الناشئ من تخيّر الألفاظ ونظمها في نسق خاصّ. ومع أنّ هذه الظّاهرة واضحة جدّ الوضوح في القرآن، وعميقة كلّ العمق في بنائه الفنّيّ، فإنّ حديثهم عنها لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظّاهريّ، ولم يرتق إلى إدراك التّعدّد في الأساليب الموسيقية، وتناسق ذلك كلّ مع الجوّ الذي تطلق فيه هذه الموسيقيّ، ووظيفتها التي تؤدّيها

في كل سياق .

ومنها: تلك التُّكَّتُ البلاغية التي تنبّه لها الكثيرون، من التعقيبات المتفقة مع السياق، كأن تحيء الفاصلة: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^١ بعد كلام يثبت القدرة، والفاصلة: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^٢ بعد كلام في وادي العلم المستور. وكان يعبر بالاسم الموصول لتكون جملة الصلة بياناً لعلّة الجزاء، مثل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^٣. وكان يعبر بلفظ «الرَّبِّ» في مواضع التربية والتعليم، مثل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^٤ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾^٥ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^٦، بينما يعبر بلفظ «الله» في مواضع التأليه والتعظيم، مثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِلْمُهُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾^٧، وكما يظهر اسم جلالة أو يضره لغرض يقتضيه السياق. وكما يقدم أو يؤخر، ويصل أو يفصل، ويطلق أو يقصر، ويستفهم أو يقرر، إلى آخر المباحث البلاغية المعروفة، وفيهم من يعدّ هذا أقصى مظاهر البلاغة في تعبير القرآن.

ومنها: ذلك التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات، والتناسب في الانتقال من غرض إلى غرض. وبعضهم يتمحّل لهذا التناسق تمحّلاً لا ضرورة له، حتّى ليصل إلى حدّ من التكلّف، ليس القرآن في حاجة إلى شيء منه.

ولعلّ أعلى نوع من التناسق تنبّهوا إليه هو هذا التناسق التّفسيّ بين الخطوات المتدرّجة في بعض النصوص، والخطوات التّفسيّة التي تصاحبها، كالمثل الذي أخذناه من «الزمخشري»

١- المائدة / ١٢٠، هود / ٤، الروم / ٥٠، التّوري / ٩، الحديد / ٢، التّفاين / ١، الملّك / ١.

٢- آل عمران / ١١٩، لقمان / ٢٣.

٣- الأعراف / ٤٠.

٤- الملّك / ١- ٥.

٥- لقمان / ٣٤.

عن الفاتحة في فصل «كيف فهم القرآن».

ومع أن الخصائص التي طرّقوها حقيقيّة وقيّمة، فإنّها لا تزال أوّل مظاهر التناسق التي يلمحها الباحث في القرآن، ووراءها آفاق أخرى لم يتعرّضوا لها أصلاً، فيما عدا ظاهرة الإيقاع الموسيقيّ، فهي أحد هذه الآفاق العالية. ولكنهم كما قلت: وقفوا عند مظاهرها الخارجيّة.

ولمّا كان التصوير في القرآن مسألة لم يعرضوا لها قطّ، بوصفها أساساً للتعبير القرآنيّ جملة، فقد بقي التناسق الفنّيّ في هذا «التصوير» بعيداً عن آفاق بحثهم بطبيعة الحال.

وإذا كان قصدنا من هذا الكتاب هو أن نستعرض الآفاق الجديدة، لأن نكرّر الاتجاهات التي اهتدى إليها الباحثون، فإننا سنترك تفصيل القول في هذه الاتجاهات - مع اعتقادنا أن كلّ ما كتب فيها قابل للعرض في ضوء جديد - للتقدّم فيه خطوات بعيدة بعد آخر خطوة وقف عندها الأسلاف... [ثم ذكر التناسق المعنويّ والتفسيّ والأسلوب الفنّيّ في القصص القرآنيّة وغيرها تفصيلاً، وإن شئت فراجع ثم قال:]

ولكن هذا كلّه إنّما ينتهي إلى تناسق المعاني والأغراض. والبحث في هذا التطاق مهما دقّ وارتفع يبقى في معزل عن أجمل وأبدع وسائل القرآن في التعبير، وهو التصوير. ولما كانت نقلة بعيدة أن نقفز من هذه السطوح المستوية إلى تلك القمم الشاخنة، فإننا سنختار أن نرقى إلى هذه الآفاق خطوة بعد أخرى؛ حتّى نتطّلع إلى قمّتها البعيدة.

١- هناك المواضع التي يتناسق فيها التعبير مع الحالة المراد تصويرها؛ فيساعد على إكمال معالم الصّورة الحسيّة أو المعنويّة. وهذه خطوة مشتركة بين التعبير للتعبير، والتعبير للتصوير، وهي مفرق الطريق بين السطوح المستوية والقمم المتدرّجة!

مثال ذلك: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الَّذِينَ لَا يَحْكُمُونَ﴾^١. فإن «الدّوّاب» تطلق

عادةً على الحيوان - وإن كانت تشمل الإنسان فيما تشمل لأنه يدب على الأرض - ولكن سموها هذا للإنسان ، ليس هو الذي يتبادر إلى الذهن ، لأنَّ للعادة حكمها في الاستعمال . فاختيار كلمة «الدَّوَابَّ» هنا ، ثم تحسيم الحالة التي تمتنعهم من الانتفاع بالهدى بوصفهم: «الصُّمُّ الْبُكْمُ» كلاهم يكمل صورة الغفلة والحيوانية ، التي يريد أن يرسمها لهؤلاء الذين لا يؤمنون لأنهم «لا يعقلون» .

ومن هذا النحو: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾^١ ، فقد رسم لهم بهذا التشبيه صورة دقيقة: إنهم يأكلون ويتمتعون ، غافلين عن غاية الوجود الإنساني ، غافلين عن الجزاء الذي ينتظرهم ، كما تأكل الأنعام وتمرح ، غافلة عن شفرة القصاب ، أو غافلة عما سوى الطعام والشراب .

ومثال ذلك: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾^٢ ، وفي هذا التعبير ألوان من التناسق الظاهر والمضمر ، ومن لطف الكناية عن ملابسات دقيقة . وأدق ما فيه هو ذلك التشابه بين صلة الزارع بحرثه ، وصلة الزوج بزوجه في هذا المجال الخاص ، وبين ذلك التبت الذي يخرج المحرث ، وذلك التبت الذي تخرجه الزوج ؛ وما في كليهما من تكثير وعمران وفلاح . وكل هذه الصور تنطوي تحت استعارة في بضع كلمات .

٢- وقد يستقل لفظ واحد - لا عبارة كاملة - برسم صورة شاخصة - لا بمجرد المساعدة على إكمال معالم صورة - . وهذه خطوة أخرى في تناسق التصوير ، أبعد من الخطوة الأولى ، وأقرب إلى قيمة جديدة في التناسق . خطوة يزيد من قيمتها أن لفظاً مفرداً هو الذي يرسم الصورة ، تارة بجرسه الذي يليه في الأذن ، وتارة بظله الذي يليه في الخيال ، وتارة بالجرس والظل جميعاً .

١- محمد/ ١٢.

٢- البقرة/ ٢٢٣.

نسمع الأذن كلمة «اتأقلمت» في قوله تعالى: ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ الْفِرُّوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا قُلْنَا إِلَيْهِ الْأَرْضُ﴾^١، فيتصوّر الخيال ذلك الجسم المتأقل، يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثقل. إنّ في هذه الكلمة «طُثًا» على الأقلّ من الأثقال! ولو أنك قلت: تتأقلمت، لحفّ الجرس، ولضاع الأثر المنشود، ولتواترت الصّورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ، واستقلّ برسمها.

وتقرأ: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ﴾^٢، فترسم صورة التبطئة في جرس العبارة كلّها - وفي جرس «ليبطئن» خاصة - وإنّ اللسان ليكاد يتعثّر، وهو يتخبّط فيها، حتّى يصل ببطء إلى نهايتها.

وتتلو حكاية قول هود: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾^٣، فتحسّ أنّ كلمة «نلزمكموها» تصوّر جوّ الإكراه بإدماج كلّ هذه الضّمائر في التّطق، وشدّ بعضها على بعض، كما يدمج الكارهون مع مايكرهون، ويشدّون إليه وهم منه نافرون! ...

ونوع آخر من تصوير الألفاظ بجرسها يبدو في سورة التّاس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ ...﴾، أقرأها متوالية تجد صوتك يحدث «وسوسة» كاملة تناسب جوّ السّورة. جوّ وسوسة ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ ...﴾ ...

ومن هذا الوادي كلّ التّماذج التي عرضناها في فصل «التّخييل الحسيّ والتّجسيم» عن «التّخييل». فالظلال التي تلقّيها التعبيرات هناك من هذا القبيل.

وقد يشترك الجرس والظلّ في لفظ واحد مثل: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ تَارِجِهِمْ دَعَاً﴾^٤، فلفظ

١- القوبة / ٣٨.

٢- التّساء / ٧٢.

٣- هود / ٢٨.

٤- الطّور / ١٣.

الدَّعْ يَصَوِّر مدلوله مجرسه وظلّه جميعاً. ومما يلاحظ هنا أنّ «الدَّعْ» هو الدَّعْ في الظهور بعُنفٍ، وهذا الدَّعْ في كثير من الأحيان يجعل المدفوع يخرج صوتاً غير إراديّ، فيه عين ساكنة هكذا: «أعْ» وهو في جرسه أقرب ما يكون إلى جرس الدَّعْ! ومثله: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾^١، فالعتل جرس في الأذن وظلّ في الخيال، يؤذيان المدلول للحسّ والوجدان.

ونستطيع أن نضيف إلى هذا الباب ألفاظاً مما ذكرنا هناك في الألفاظ الدالّة بجرسها، مثل: «التعاس» و«تنفّس» و«الطامة». فلها كذلك ظلال بجانب ما لها من جرس. والتفرقة في الواقع عسيرة، لأنّ الفوارق دقيقة لطيفة.

إنّما تلتقي جميعاً عند تصوير الألفاظ للمدلولات، لا من قبيل الدلالة المعنويّة فحسب، ولكن من قبيل الطّريقة التّصويريّة التّخيليّة، وهو ما يعنينا خاصّة في هذا المقام.

٣- وهناك تلك المقابلات الدّقيقة بين الصّور الّتي ترسمها التّعبيرات (والتّقابل طريقة من طُرُق التّصوير وطريقة من طُرُق التّللحين) والتّعبير القرآنيّ يكثر من استخدامها في تنسيق صوره الّتي يرسمها بالألفاظ على نحو دقيق.

من ذلك هاتان الصّورتان السّريعتان اللَّبَثَ والجمع في قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾^٢، فصورة بَثَّ الدّواب، وصورة جمعها، تلتقيان في سطر، بينما الخيال نفسه يكاد يستغرق مدى أطول في تصوّرهما: واحدة بعد الأخرى.

ومن ذلك الصّورتان اللَّتان يعرضهما لإماتة الأحياء وإحياء الموتى في قوله: ﴿وَأَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾

١- الدّخان / ٤٧.

٢- الثّوري / ٢٩.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿١﴾ ففي وَصْفَةِ عَيْنِ نَقْلِهِمْ مِنَ الْقَرْيَةِ الْمُهْلِكَةِ الدَّائِرَةِ بَعْدَ الْحَيَاةِ وَالْعِمْرَانِ، إِلَى الْأَرْضِ الْحَيَّةِ الْمَرْعَةِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْأَجْدَابِ. فَالتَّقَابِلُ هُنَا بَيْنَ حَالَتَيْنِ وَحَالَتَيْنِ فِي الْوَاقِعِ لَا بَيْنَ حَالَةٍ وَحَالَةٍ.

هذه المقابلة تكاد تطرد في صُورِ التَّعْيِيمِ وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ جَدًّا فِي الْقُرْآنِ، فَكَتَفِي هُنَا بِأَمثلةٍ مِنْهَا:

فِي وَسْطِ الْهَوْلِ الَّذِي تَرْسُمُ صُورَتَهُ هَذِهِ الْفَقْرَاتُ: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دُكًّا دُكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَا يُؤْتِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾^٢، فِي وَسْطِ هَذَا الرُّوعِ الَّذِي يَبْنِي ذَلِكَ الْعَرْضَ الْعَسْكَرِيَّ - الَّذِي تَشْتَرِكُ فِيهِ جَهَنَّمَ - بِمُوسِيقَاةِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْمُنْتَظِمَةِ الدَّقَاتِ، الْمُنْبَعِثَةِ مِنَ الْبِنَاءِ اللَّفْظِيِّ الشَّدِيدِ الْأَسْرَرِ، وَبَيْنَ الْعَذَابِ الْفَذِّ وَالْوِثَاقِ التَّمُودَجِيِّ... يُقَالُ لِمَنْ آمَنَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتي﴾^٣.

هَكَذَا فِي عَطْفٍ وَلُطْفٍ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ﴾ وَفِي رُوحَانِيَّةٍ وَتَكْرِيمٍ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ﴾. ﴿الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ فِي وَسْطِ هَذَا الرُّوعِ، ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ بِمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنْ صَلَةٍ وَإِضَافَةٍ، ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ بِهَذَا الْإِنْجَامِ الَّذِي يَغْمُرُ الْجَوْكَلَ بِالرَّضَى وَالْتِّعَاطِفِ، ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ بِمُتَرَجِّعَةٍ بِهِمْ مُتَوَادَّةٍ مَعَهُمْ، ﴿وَادْخُلِي جَنَّتي﴾ بِالْمُضَافَةِ لِي. وَالمُوسِيقَى حَوْلَ الْمَشْهَدِ مُطْمَئِنَّةٌ مُتَمَوِّجَةٌ رَخِيَّةٌ. فِي مَقَابِلِ تِلْكَ الْمُوسِيقَى الْقَوِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ ...

٤- وَهَنَاقَ نُوْعٍ مِّنَ التَّقَابِلِ، وَلَكِن لَّا بَيْنَ صُورَتَيْنِ حَاضِرَتَيْنِ كَمَا هُوَ الْحَالُ هُنَا، بَلْ بَيْنَ

١- السَّجْدَةُ ٢٦- ٢٧.

٢- الْفَجْرِ ٢١- ٢٦.

٣- الْفَجْرِ ٢٧- ٣٠.

صورتين: إحداهما حاضرة الآن، والأخرى ماضية في الزمان. حيث يعمل الخيال في استحضار هذه الصورة الأخيرة ليقابلها بالصورة المنظورة.

من ذلك: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾^١، فالصورة الحاضرة هنا هي صورة الإنسان «الخصيم المبين»، والصورة الماضية هي صورة النطفة الحقيرة، وبين الصورتين مسافة بعيدة يراد إبرازها لبيان هذه المفارقة في تصرف الإنسان، ولهذا جعل الصورتين متقابلتين، وأغفل المراحل بينهما، لتؤدّي المفارقة الواضحة هذا الغرض الخاص، بالتقابل التخيلي بين حال وحال.

ومنه قوله: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّفْعَةِ وَمُهْلِكُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَا أَكْثَالَ وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾^٢، فالمقابلة هنا بين صورة «أولي النعمة» الحاضرة، وصورة الطعام ذي الغصة، لتخيلة، لها قيمتها الفنية بجانب قيمتها الدينية.

ومنه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُبَذَّنَ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * تَارَ اللَّهُ الْمُوقَدَةَ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِتَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾^٣، فصورة الهُمزة اللُّمزة الذي يهزأ بالناس ويلمزهم، والذي جمع مالا وعدده، صورة هذا المتعالي الساخر، تقابلها صورة «المنبوذ» والمنبوذ في «الحطمة» التي تحطم كل ما يلقي إليها، فتحطم كبرياءه وقوته «جاهه»، وهي النار «تطلع» على فؤاده، الذي ينبعث منه الهمز واللمز، ويخفى فيه التعاضد والكبرياء. وتكملة لصورة المنبوذ المحطم المهمل: هذه الحطمة مقلدة عليه لا يتقده منها أحد، ولا يسأل عنه فيها أحد.

ومثلها: ﴿وَأَصْحَابُ الشُّمَالِ * أَصْحَابُ الشُّمَالِ * فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ - إلى قوله - ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾، فالسُموم والحميم، والظل الذي ليس له من الظل إلا اسمه، لأنه ﴿مِنْ يَخْمُومٍ﴾.

١- التحل / ٤.

٢- المزمل ١١-١٣.

٣- الهمة ١-٩.

﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾ صورة هذا الشّظف تقابل صورة التّرف: ﴿أَتَاهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾^١. وهنا موضع تأمل لطيف في هذا التصوير وفيما يمثله: فهؤلاء المتحدّث عنهم يعيشون في الدّنيا الحاضرة، وصورة التّرف هي الصّورة القريبة. أمّا ما ينتظرهم من السّوم والحميم والشّظف، فهو الصّورة البعيدة. ولكنّ التصوير هنا لفرط حيويّته يخيّل للقارئ أنّ الدّنيا قد طويت، وأنّهم الآن هناك؛ وأنّ صورة التّرف قد طويت كذلك، وصورة الشّظف قد عرضت. وأنّهم الآن يُذكّرون في وسط السّوم والحميم، بأنّهم ﴿كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾! وذلك من عجائب التّخييل.

و لكنّه التسق المتّبع غالباً في القرآن، والذي يلبي طلبه الفنّ والدّين في أن: يلبي طلبه الفنّ في قوّة الإحياء، حتّى لينسى المشاهد أنّ هذا ممثّل يُضرب، ويحسّ أنّه حاضر يشهد؛ ويلبي طلبه الدّين، لأنّ الإحساس بالمغيّب حاضرًا ممّا يلبس الوجدان، ويهيئ لدعوة الإيمان... [ثم ذكر نماذج أخرى تفصيلاً، وإن شئت فراجع] (٦٨-٧٩)

الفصل الحادي عشر

نصّ ابن عاشور (م: ١٣٩٣) في «تفسير التحرير والتنوير»

[اتساق حروف القرآن وآياته وسوره]

واتساق الحروف واتساق الآيات واتساق السور كلّ عن رسول الله ﷺ: فلهذا كان الأصل في أي القرآن أن يكون بين الآية ولاحتتها تناسب في الغرض، أو في الانتقال منه أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل. ومما يدلّ عليه وجود حروف العطف المفيدة الاتصال، مثل: الفاء ولكن وبل^١، ومثل: أدوات الاستثناء على أن وجود ذلك لا يعين اتصال ما بعده بما قبله في النزول، فإنه قد اتفق على أن قوله تعالى: ﴿غَيْرَ أُولَى الضَّرَرِ﴾ نزل بعد نزول ما قبله وما بعده من قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾^٢... [ثم ذكر قول المكلوي نقلاً عن الزرّكشي، كما تقدّم عنه، فقال:]

على أنه يندر أن يكون موقع الآية عقب آتي قبلها، لأجل نزولها عقب آتي قبلها من سورة هي بصدد النزول، فيؤمر النبي ﷺ بأن يقرأها عقب آتي قبلها، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْزِيلُ الْإِبْرَاهِيمَ﴾^٣ عقب قوله: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾^٤. فقد

١- دون الواو، لأنها تعطف الجمل والقصص، وكذلك ثم، لأنها قد تعطف الجمل.

٢- النساء/ ٩٥.

٣- مريم/ ٦٤.

٤- مريم/ ٦٣.

روي أنّ جبريل لبث أياماً لم ينزل على النبي ﷺ، فلما نزل بالآيات السابقة عاتبه النبي ﷺ، فأمر الله جبريل أن يقول: ﴿وَمَا تَنْتَظِرُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾، فكانت وحياً نزل به جبريل، فقرأ مع الآية التي نزل بأثرها، وكذلك آية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَّا فُوتَهَا﴾^١ عقب قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ في سورة البقرة/٢٥، إذا كان ردّاً على المشركين في قولهم: أما يستحي محمد أن يمثّل بالذباب وبالعنكبوت؟ فلما ضرب لهم الأمثال بقوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾^٢، تخلّص إلى الردّ عليهم فيما أنكروه من الأمثال، على أنّه لا يعدم مناسبة مّا، وقد لا تكون له مناسبة، ولكنّه اقتضاه سبب في ذلك المكان كقوله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَفْجَلَ بِهِ﴾^٣ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ ثمّ إنّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ^٤، فهذه الآيات نزلت في سورة القيامة في خلال توبيخ المشركين على إنكارهم البعث ووصف يوم الحشر وأحواله، وليست لها مناسبة بذلك، ولكن سبب نزولها حصل في خلال ذلك، روى البخاري عن ابن عباس قال: كان رسول الله إذا نزل جبريل بالوحي، كان ممّا يحرك به لسانه وشفّتيه يريد أن يحفظه، فأنزل الله الآية التي في ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، فذلك يفيد أنّ رسول الله ﷺ حرّك شفّتيه بالآيات التي نزلت في أول السورة.

على أنّه قد لا يكون في موقع الآية من التي قبلها ظهور مناسبة، فلا يوجب ذلك حيرة للمفسر؛ لأنّه قد يكون سبب وضعها في موضعها أنّها قد نزلت على سبب، وكان حدوث سبب نزولها في مدة نزول السورة التي وضعت فيها، فقرئت تلك الآية عقب آخر آية انتهى إليها النزول، وهذا كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ تَكُونُوا

١- البقرة/٢٦.

٢- البقرة/١٧.

٣- القيامة/١٦-١٩.

تَعْلَمُونَ^١، بين تشريعات أحكام كثيرة في شؤون الأزواج والأُمَمَات، وقد ذكرنا ذلك عند هذه الآية في التفسير. وقد تكون الآية ألحقت بالسورة بعد تمام نزولها بأن أمر الرسول بوضعها عقب آية معينة، كما تقدم أنفاً عن ابن عباس في آية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ^٢﴾.

وكذلك ما روي في «صحيح مسلم» عن ابن مسعود: أن أول سورة الحديد نزل بمكة، ولم يختلف المفسرون في أن قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ^٣﴾ إلى آخر السورة نزل بالمدينة، فلا يكون ذلك إلا لمناسبة بينها وبين أي تلك السورة والتشابه في أسلوب التظلم، وإثما تأخر نزول تلك الآية عن نزول أخواتها من سورتها لحكمة اقتضت تأخرها، ترجع غالباً إلى حدوث سبب النزول كما سيأتي قريباً.

ولما كان تعيين الآيات التي أمر النبي ﷺ بوضعها في موضع معين غير مروي إلا في عدد قليل، كان حقاً على المفسر أن يتطلب مناسبات لمواقع الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلاً موصلاً، وإلا فليعرض عنه ولا يكن من المتكلفين.

إن الغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الأمة بأسرها، فإصلاح كفارها بدعوتهم إلى الإيمان، ونيل العبادة الضالة واتباع الإيمان والإسلام، وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هدايتهم، وإرشادهم إلى طرق النجاح وتركبة نفوسهم، ولذلك كانت أغراضه مرتبطة بأحوال المجتمع في مدة الدعوة، فكانت آيات القرآن مستقلة بعضها عن بعض، لأن كل آية منه ترجع إلى غرض الإصلاح والاستدلال عليه، وتكميله وتحليصه من تسرب الضلالات إليه، فلم يلزم أن تكون آياته متسلسلة، ولكن حال القرآن كحال الخطيب يتطرق إلى معالجة الأحوال الحاضرة على اختلافها وينتقل من حال إلى حال بالمناسبة، ولذلك تكثر

١- البقرة/٢٣٨-٢٣٩.

٢- البقرة/٢٨١.

٣- الحديد/١٠.

في القرآن الجُمْلُ المعترضة لأسباب اقتضت نزولها أو بدون ذلك، فإنَّ كلَّ جملة تشتمل على
 حكمة وإرشاد أو تقويم معوّج، كقوله: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ
 عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ - إِلَى قَوْلِهِ - قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلُ مَا
 أُوتِيْتُمْ﴾، فقولُه: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ جملة معترضة . (١: ٧٨ - ٨٠)

الفصل الثاني عشر

نصّ عِزَّة دَرَوَزَة (م: ١٤٠٠) في «القرآن المجيد»

تسلسل الفصول القرآنية وسياقها

إن أكثر الفصول والمجموعات في السُّور القرآنية متّصلة السِّياق ترتيباً أو موضوعاً أو سبكاً أو نزولاً، وأنّ فهم مداها ومعانيها وظروفها الزمّنية والموضوعية وخصوصياتها وعمومياتها وتلقينها وتوجيهها وأحكامها فهماً صحيحاً، لا يتيسّر إلّا بملاحظة تسلسل السِّياق والتناسب، وأنّ في أخذ القرآن آية أو عبارة عبارة أو كلمة كلمة بترّ الوحدة السِّياق في كثير من المواقف والمواضيع، وهو مؤدّ إلى التّشويش على صحّة التّفهّم والتّدبر والإحاطة أو على حقيقة ومدى الهدف القرآنيّ.

و لتمثيل ذلك وإيضاحه نذكر آية الصّافات: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^١، فهذه الآية كثيرٌ ما تُورد في معرض الحِجاج والبرهنة في بعض المذاهب الكلاميّة على أنّ القرآن ينصّ على أنّ الله قد خلق أعمال النّاس، و بطلان القول الّذي يقوله بعض المذاهب الكلاميّة الأخرى بأنّ الإنسان خالق أفعال نفسه ومستوول عن تبعاتها. فبقطع النّظر عن هذا الموضوع الكلاميّ الخلافيّ، فإنّ الّذين يوردون الآية في معرض الحِجاج والبرهان قلّما يلحظون أنّها ليست تقريراً ربّانيّاً مباشراً في صدد خلق النّاس وخلق أعمالهم، وبالتالي في صدد الموضوع

الكلامي، وإما هي جزء من سلسلة تتضمّن حكاية قول إبراهيم لقومه في سياق التهديد بهم، لأنهم يعبدون ما ينحتون من الأصنام، مع أن الله كما خلقهم خلق المادة التي يعملونها، أي ينحتونها أصناماً ليعبدوها، وهي السلسلة (٨٣ - ١١٣) من السورة. فالآية هي جزء من حكاية أقوال إبراهيم، و لو لوحظ السياق جميعه، لما كان هناك محلّ لاقطاع هذه الآية وحدها من السلسلة وتلقّيها كتقرير ربّاني مباشر بخلق أعمال الناس، كما أن من الواضح مع ملاحظة جزئية الآية من السلسلة أنها لا تصحّ أن تورد في معرض البرهان الذي تورد فيه، هذا بقطع النظر عمّا ورد في السلسلة نفسها من نسبة العبادة والتّحت والإلقاء وإرادة الكيد إلخ إلى قوم إبراهيم وتقرير صدور هذه الأعمال عنهم.

ونذكر جملة ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾^١، فكثير من المفسّرين يفسّرونها منفردة و يصفونها بأنّها آية السيف، ويقولون: إنّها نسخت كلّ ما جاء في القرآن من عدم قتال غير المعتدّين والمقاتلين من المشركين، وبذلك ينسفون آيات محكمة في هذا الصّدّد، مع أن في الآية فقرة أخرى مرتبطة أشدّ الارتباط بها ومحتوية للتعليل الرّائع المعقول المتّسق مع طبيعة الأمور للأمر الذي تضمّنته بقتال المشركين كافّة وهي ﴿كَمَا يَقَاتِلُوكُمْ كَافَّةً﴾، فلو لوحظ ذلك ولم تجزأ الآية، لما كان محلّ لذلك التفسير والوصف والقول، حيث يبدو واضحاً أنّها في معرض حتّ المسلمين على قتال المشركين المحاربين مجتمعين إلّبا واحداً كما يقاتلونهم كذلك، ولزال الإشكال الذي ينشأ عن هذا التفسير، يؤدّي إلى نسخ أحكام وآيات محكمة متّسقة مع مبادئ القرآن ومثله السامية ومع طبائع الأمور وقائع السيرة النبوية المؤيّدّة بالآيات من جهة والأحاديث من جهة أخرى، ونعني حصر القتال في الأعداء المقاتلين أو المعتدّين دون المشركين والكفّار المعاهدين الموفين بعهدهم والمهاجرين والمسلمين والعاجزين والنساء والأطفال ممّا يقتضي قتالهم جميعاً وفاق ذلك التفسير.

ونذكر آية المجادلة الثالثة كمثل ثالث، وهي التي جاء فيها: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا^١﴾، فكثير من المفسرين ينظرون إلى هذه الآية مستقلة عن سابقتها ويحارون في تأويل جملة ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾، حتى قال غير واحد منهم: إن الجملة من مشكلات القرآن، واضطروا إلى اعتبار «لما» بمعنى «عن ما»، وقالوا: إن الجملة تعني «ثم يرجعون عن ما قالوا عنه ويرغبون في معاشرة أزواجهم»، أو إلى تأويلات أخرى، هذا مع أن هذه الآية متصلة كل الاتصال بسابقتها التي جاء فيها: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدَتْهُنَّ وَأُتَتْهُنَّ لِيَقُولُوا مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ^٢﴾، فلو لاحظ ذلك لما كان هناك محل لهذه الحيرة والإشكال والتأويل. فالآية الأولى نددت بالمظاهرين والظهار وعدته عملاً منكراً، ثم انتهت بمقطع ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾، فكأنما تقدمت باستنكار الظهار من حيث المبدأ، وتقرر أن الله يعفو ويغفر للمظاهرين قبل نزول هذا الاستنكار وبالتالي قبل نزول الآيتين على اعتبار أنه لم يكن مستنكراً أو منهياً عنه، ثم أعقبتها الثانية لتقرر الحكم الإسلامي، فالذين يعودون إلى ما نهوا عنه واستنكروا أي الظهار - بعد ذلك الاستنكار والوصف تجب عليهم الكفارة قبل معاشرة أزواجهم، لأنهم يكونون قد أتوا بعمل عدّه القرآن منكراً وزوراً. وطبيعي أن الحكم الإسلامي صار حكماً ملزماً لكل مظاهر، وأن العفو عن المظاهر ظلّ خاصاً بمن ظاهر قبل نزول الآية الأولى، وهي حالة خصوصية الزمن لا تتكرر.

ولقد احتوت السورة نفسها نفس الحروف في الآية (٨) التي جاء فيها ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ الْفَحْشَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْنَا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْأَنفِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حِيَّوكَ بِمَا لَمْ يَحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ

١- المجادلة / ٣.

٢- المجادلة / ٢.

يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْمَصِيرُ^١، حيث يأتي المعنى فيها واضحاً بأن العودة هي لما نُهي عنه، وأن الوعيد هو للعائدين إلى التناجي بعد التهي عنه، ولا فرق بين الجمليتين كما هو ظاهر. وهناك أمثلة كثيرة أخرى بالنسبة إلى آيات واردة في السُّور الطويلة والمتوسطة مما نبهنا عليه في سياق التفسير. فبينما تكون المجموعة أو الفصل القرآني مفهوماً سائغاً يبدو عليه الانسجام والترابط التامان سبكاً وموضوعاً إذا قرئ ونظر فيه ككل، اضطرب على الناظر في القرآن فهمه، وقامت في ذهنه بلبله أو مشكلة أو حيرة في مداه ومدلوله إذا أخذه آية آية أو عبارة عبارة.

ومما يجدر التنبيه عليه في هذا المقام أن هناك روايات كثيرة تورد كأسباب لنزول آيات منفردة أو جزء من آية في حين أن سياق الآية ومفهومها لا يتفقان مع الرواية كسبب للنزول، ويلهمان أن الآية منسجمة الأجزاء، وأنها متصلة اتصالاً وثيقاً بما قبلها أو بعدها في السياق، وكل ما يمكن فرضه في أمر الرواية في حالة صحتها أن تكون الآية أوردت على سبيل الاستشهاد على حادث ما وقع بعد نزولها، أو يكون الحادث قد وقع قبل نزولها بمدة ما، فجاءت الإشارة إليه في السياق العام الذي أتت فيه الآية على سبيل التشريع أو التذكير أو التنديد أو التنبيه أو العظة إلخ، فالتبس الأمر على الراوي وظن أن الحادث هو سبب النزول. فقد روي مثلاً عن ابن مسعود قوله: «كما أمرنا بالصدقة كنّا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة ذلك وأن ما فعله الآخر ليس إلّا رياء»، فنزلت ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^٢.

فهذه الرواية توهم أن الآية نزلت منفردة بسبب هذا الحادث مع أنها متصلة بسياق عام

سابق ولاحق بها أشد الاتصال، وأن في السياق قرائن تدل على أن الفصل الطويل الذي تقع فيه هذه الآية (٣٨-٩٩) قد نزل كله أو جلّه في أثناء غزوة تبوك وظروفها وسببها.

وهناك رواية أخرى في البخاري عن ابن مسعود: أن رجلين من قريش وختناهما من ثقيف كانوا في بيت، فقال بعضهم لبعض: أترون أن الله يسمع حديثنا؟ قال بعضهم: يسمع بعضه، وقال بعضهم: لئن كان يسمع بعضه لقد يسمعه كله، فزلت الآية: ﴿هُوَ مَا كُنْتُمْ تَسْتُرُونَ أَن يُشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾^١.

مع أن الآية متصلة بسياق يحكي فيه محاورة في الآخرة بين الكفار وبين أعضاء أبدانهم التي تشهد عليهم أشد الاتصال، وليس هناك تطابق ما بين مفهوم الرواية وعبارة الآية.

والفصول الأولى من سورة النساء من موارث وأنكحة مترابطة ومنسجمة، والآية الأولى في السورة بمثابة براعة استهلال لما تضمنته من هذه الفصول، وروح آيات الفصول يلهم أنها وحده تشريعية، في حين أن هناك روايات تكاد تجعل لكل آية مناسبة نزول مستقلة، وتوهم أنها نزلت منفردة بسببها. ويقال هذا في فصول سورة الحجرات أيضاً. وأمثال ذلك كثيرة جداً، نبهنا عليها في سياق التفسير.

فملاحظة السياق والتناسب والترابط بين الفصول والمجموعات القرآنية ضرورية ومفيدة جداً في فهم مدى القرآن ومواضيعه وأهدافه من جهة، وفي لس ناحية من نواحي الروعة والإعجاز والإتيان فيه، لأنهما يظهران الناظر في القرآن على ما هو عليه من ترتيب وانسجام وترابط نظماً وموضوعاً من جهة ثانية، وعلى نقاط الضعف في روايات كثيرة وردت في سياق الآيات القرآنية، وخاصة في مكّيّة بعض الآيات في السور المدنيّة ومدنيّة بعض الآيات في السور المكّيّة من جهة ثالثة، وتزيلان ما هو عالق في الذهن خطأ من أن

الفصول القرآنية فوضي لاترتيب ولا انسجام بينها من جهة رابعة.

ومن فوائد هذه الملاحظة المهمة إزالة وهم التعارض والتناقض في نصوص القرآن وتقريراته المتكررة بأساليب متنوعة حسب المواقف والمناسبات، وخاصة في القصص والمواظ والإنذار والتبشير والمشاهد الكونية والأخروية، وبنوع أخص في عبارات وجمل الهداية والضلال والكفر والإيمان وتزيين الأعمال والطبع على القلب وتسلط الشياطين والإغواء ومسؤولية الإنسان عن عمله، وحكمة الله في عدم خلق الناس أمة واحدة إلخ، ففي تدبر سياق كل مناسبة وكل جملة قرآنية من هذا القبيل يمكن أن يلمح الناظر في القرآن حكمة، ورود كل منها بالأسلوب الذي وردت به والمناسبة التي جاء فيها والمعنى الذي أريد منها والهدف الذي استهدفه، وكل هذا قد يكون متنوعاً بتنوع المواقف والأساليب والمضامين والسياق، فيطمئن بسلامة المعنى وحكمة النص الوارد في السياق الذي ورد فيه، ويزول وهم التعارض والتناقض وما يؤدي إليه من الحيرة أحياناً، ويحمل عليه من التكلف والتجوز والتخريج والجدل على غير ضرورة ولا طائل وعلى غير اتساق مع الهدف القرآني ونطاقه.

فأنت مثلاً إذا أخذت جملة ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^١، وجملة ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^٢، وقعت في حيرة، لأن هناك آيات كثيرة جاء في بعضها: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^٣، وفي بعضها: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾^٤، ولكثك إذا قرأت سياق آيتي فاطر والمدثر كوحدة (٣-١٠ فاطر) و(١-٣١ المدثر)، ظهر لك المعنى سائناً

١- فاطر/٨.

٢- المدثر/٣١.

٣- الكهف/٢٩.

٤- يونس/١٨.

مفهوماً، وبدا لك أنهما استهدفتا فيما استهدفتاه التّنديد بالكافرين والضّالّين والحملة عليهم من جهة، والتّنويه بالمؤمنين الصّالحين وتطمينهم وتبشيرهم من جهة، وتسلية التّبيّ فيما ألم به من حزن وحسرة على مكابرة الكافرين وعنادهم من جهة، بل ظهر لك أنّ تلك المعاني الّتي تقرّرها آيات الكهف ويونس منطويّة في نفس سياق جمليّتي سورتي فاطر والمدثر، حيث احتوى سياق آية فاطر ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ إلى قوله: - فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴿١﴾ وحيث احتوى سياق آية المدثر ﴿إِنَّهَا لَا تَخَذِي الْكُبْرَ * تَذِيرًا لِلْبَشَرِ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ * كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ * وَيُطْرَدُ هَذَا فِي أَمْثَال كَثِيرَةٍ، مثل آية البقرة ١٦٧ مع سياقها، وآية التّحلّ ٩٣ مع سياقها، وآية القصص ٥٦ مع سياقها، وآية يونس ٩٩-١٠٠ مع سياقها إلخ، ممّا عليه في التفسير عند مناسباته.

وأنت إذا أخذت مثلاً جملة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾^٢ لحديثها، وجدت نفسك أمام مشكلة محيرة، لأنّها توهم أنّ الله قد صرف الكفّار عن فهم القرآن والتأثّر به، وحتم عليهم عدم الإجابة والاهتداء، ولكّلك إذا تدبّرت سياق الآية جميعه (الآيات ٤٥—٥٩)، بل أوّل الآية الّتي وردت فيها، ظهر لك قصد وصف مكابرة الكفّار وعنادهم والتّسرية عن النّبّي إزاء هذه المكابرة والعناد. ويطرّد هذا كذلك في أمثال كثيرة كآيات هود/١١٨ والرعد/٣١ والبقرة/٧ ويس/٩ وسياقها.

ونقول استطراداً: إنّ هذه الأمثلة قد كانت موضوع أخذ وردّ وجدل في كتب التفسير، بسبب صلتها بالموضوع الخلافيّ الكلاميّ في صدد فعل الإنسان وكسبه وإرادته، حيث ذهب

١- فاطر/٨-٥.

٢- المدثر/٣٥-٣٨.

٣- الكهف/٥٧.

فريق إلى ما يفيد أن الإنسان مجبور على أفعاله، وأنها محتمّة عليه في الأزل، لا معدّي له عنها ولا اختيار له فيها من كفر وإيمان وفساد وصلاح وشرّ وخير، وأنّ العقاب والثواب ينالان التّاس بمحض مشيئة الله وفضله، ولا صلة ولا أثر لأعمالهم فيها في حقيقة الأمر، وحيث ذهب فريق آخر إلى ما يفيد أن الإنسان خالق أفعال نفسه، فيؤمن ويكفر ويفسق ويصلح بإرادته واختياره، وأنّ الله لا يصحّ عليه إرادة الكفر والفسق من العبد ولا تقديرها عليه، بل ولا يصحّ أن يكون مريدًا للقيح، وأنه يجب عليه الأصلح لعباده، وأنّ الإنسان يُعاقب ويُثاب على أفعاله حقًا وعدلًا وحيث توسّط فريق، فذهب إلى ما يفيد أن الله هو خالق أفعال عباده من كفر وإيمان وعصيان وطاعة ومنكرات وصالحات، وكلّ بإرادته ومشيئته وقضائه وتقديره في حدود عموم تأثير صفاته الأزليّة، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بمعنى خلقه الضلال والهدى، وأنه لا يجب عليه الأصلح، وقرّروا مع ذلك للإنسان فعلًا اختياريًا يُثاب عليه إذا كان طاعةً وصلاحًا، ويعاقب عليه إذا كان معصيةً وفسادًا، وقالوا: إنّ معنى أن الله أراد من الكافر كفره، ومن الفاسق فسقه، ومن المؤمن إيمانه، ومن الطّائع طاعته، أنّه أرادها باختيار التّاس وكسبهم، وتشادّ الجميع حول هذه المواضع، كلّ يؤيد رأيه ويردّ على رأي الآخرين بأساليب جدليّة من جهة وعبارات قرآنيّة من جهة أخرى، مقتطعة من آيات أو سياق دون تدبّر في بقيّة الآية أو السّياق، ويؤوّل ما هناك من نصوص تناقض رأيه في ظاهرها ولا تتّسق معه، على ما هو مبسوط في كتب المتكلّمين المسلمين على اختلاف مذاهبهم.

والموضوع في أصله إلى كون الإنسان مخيّرًا أو مسيرًا عويص وموضوع جدليّ عامّ، لا ينحصر التشادّ حوله في المذاهب الإسلاميّة الكلاميّة، وله جبهات متنوّعة، ولا يدخل التّبسّط فيه في موضوع هذا الكتاب، غير أنّ المقام يتحمّل بعض القول بسبب ما احتواه القرآن من آيات كثيرة جدًّا اتخذها علماء المذاهب الكلاميّة الإسلاميّة مستندًا لمذاهبهم المختلفة في هذا الموضوع ومع أنّ من المسلّم به أنّ التّصوص القرآنيّة هي سند رئيسي في العقائد

و الشرائع والأحكام الإسلامية، فالذي نعتقه أن الناظر في الآيات القرآنية إذا أخذ المجموعة القرآنية وحدة، ولم يعقل سياقها وظروف نزولها وهدفها، ولم يقطع منها الجمل وينظر فيها على حدة، كما يفعل أصحاب المذاهب الكلامية في تشادهم ومجادلاتهم فيما بينهم - وهذا هو موضوع هذا المبحث في الأصل - يستطيع أن يتبين أهداف القرآن في العبارات الواردة تبيناً يزول معه من نفسه ما قد يقوم من وهم التعارض والتناقض في آياته، والقرآن بريء من التعارض والتناقض بنص صريح فيه، جاء في آية النساء: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، ويمجد حلاً لما يبدو من إشكال وتعليلاً سائناً لما يوهم ظاهره من معانٍ متعارضة فيه.

ويظهر له أن كثيراً مما دار ويدور من جدل ونقاش وججاج وخلاف، لا تتحمله عبارات القرآن ولا تقتضيه، وليس من ورائه طائل ولا ضرورة، وإن هذه العبارات ليست في صدد هذه التقريرات الكلامية، وفي الأمثلة التي أوردناها دلائل كافية، وهي مطردة في سائر فصول القرآن ومجموعاته التي وردت أمثالها فيها، ثم نجد - وهذا مهم جداً - أن النصوص والأهداف القرآنية تجري في مدى هداية الناس ودعوتهم إلى الخير وإصلاحهم، وتوجيههم إلى أفضل الوجاهات وأنفعها، والتنويه بالمستجيبين المهتدين الصالحين المتقين المحسنين، وتبشيرهم وتطمينهم والتحذير من الفساد والإثم والفاحشة وإنكار الله وحدثه وكمال صفاته، والتدبير بالضائين الآثمين المكابرين المنافقين الظالمين وإنذارهم، ولا تجري في أي حال في مجرى التقريرات الكلامية التي يدور حولها الخلاف والجدل المذهبي، وهذا هو أسلوب الحكيم الذي يعلمنا إياه القرآن في جميع الأمور، المتسق مع طبائع الأشياء وحقائقها، ونعني كون القرآن يخاطب بشراً تُعورَف على أنهم ذَوُّ قابليّات وكسب واختيار، وأن لهم أثراً فيما يصدر عنهم من أعمال وأقوال ومواقف، وفقاً لما تمليه عليهم عقولهم وميولهم

و مداركهم وتقديراتهم ومنافعهم وظروفهم الخاصّة والعامة، وأنهم متفاوتون في كلّ هذا، وأنهم ذوو تمييز للخير والشرّ والحسن والقيح في نطاق تلك العقول والميول والمدارك والتّقديرات والمنافع والظروف والقابليّات المتفاوتة، وأنّ المهمّ في الأمر هو دعوتهم إلى الهدى والخير، وإخراجهم من الظّلمات إلى النّور، وإنقاذهم من الضّلال، وأثارة نفوسهم وإيقاظ ضمائرهم، وتبشير المستجيبين، وإنذار المكابرين، وإرشاد الضّالّين الجاهلين منهم، وأنّ من الممكن أن تؤثر فيهم الدّعوة، فيستجيبوا تسليماً وإذعائاً وإدراكاً أو خوفاً وطمعاً ورغبة ورهبة، وأنّ الانحراف عن هذا النّطاق والمدى إلى الجدل في ما وراء ذلك تكلف وتجوّز وتُبعد عن مقاصد القرآن وأهدافه، ومؤدّى إلى البلبلة والحيرة والتشويش على هذه المقاصد والأهداف وعلى الرّاعبين في تفهّم القرآن والتّأطرين فيه.

فهم القرآن من القرآن

إنّ الأوثق والأوكد والوسيلة الفضلى لفهم مدى القرآن ودلالاته وتلقيناته، بل وظروف نزوله ومناسباته تفسير بعض القرآن ببعض، وعطف بعضه على بعض، وربط بعضه ببعض، كلّما كان ذلك ممكناً لغةً أو مدلولاً أو حادثاً أو مناسبة أو سبباً أو حكماً أو موقفاً أو تقريراً، وسواء ذلك ما يدخل في نطاق الأسس والأهداف أو الوسائل والتّدعيمات. وإمكانيّات ذلك قائمة على نطاق واسع في مختلف فصول القرآن المكيّة والمدنيّة. فإنّ القرآن يكاد يكون سلسلة تامّة يتّصل بعضها ببعض أوتى اتّصال في ما يمثّل من أدوار السّيرة التّبويّة في عهدها، كما أنّ من شأن عباراته وجملته وأحكامه ومشاهده وقصصه ومواظمه وحججه أن يفسّر بعضها بعضاً، وأن يدعم بعضها بعضاً.

وفائدة هذه الملاحظة عظيمة كما يتّضح عند التّدبّر، حيث يمكن أن تعني التّأطّر في القرآن عن الفروض والتكلف والتّخمين، وتحوّل بينه وبين التّورط في موهبات التعارض والإشكالات اللّغويّة وغير اللّغويّة. وكثيراً ما تساق على تمييز القويّ من الضّعيف والصّحيح من الباطل من الأقوال والرّوايات الواردة في تفسير كثير من الآيات أو في

مناسبات نزولها وأسبابها. وهذا باب واسع الشمول والمدى، ولنضرب مثلاً لذلك آية وردت في سورة الأنعام، جاء فيها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَّءُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^١.

فقد قال غير واحد من المفسرين وعلماء المذاهب أقوالاً يستفاد منها أن الآية قد احتوت إخباراً غيبياً بما نجم بعد النبي من خلافات ومنازعات وفرق وشيع وبدع إلخ، في حين أنه جاء في سورة الروم جملة مثلها مسبوقة بجملة فيها صراحة بأنها تعني المشركين، كما ترى ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ قَرَّءُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرْحُونٌ﴾^٢.

فلو لوحظت هاتان الآيتان وربط بينهما وبين آية الأنعام لما كان محل تلك الأقوال التي تبدو فيها رائحة ما نجم من تلك الخلافات والمنازعات والفرق والشيع والبدع بعد وفاة النبي بسنين قليلة، بل لوحظ سياق آية الأنعام على ما نبهنا عليه في المبحث السابق وخاصة الآيتين ١٥٥-١٥٦، لظهر أنه احتوى تنديداً بالمشركين ومواقفهم من الدعوة والقرآن، ولبدأ الاتساق واضحا بين آيات السورتين القرآنيتين، ولما كان محل تلك الأقوال أيضاً.

ومن الأمثلة التي تساق في صدد المبحث الحالي ما روي عن ابن عباس في الآية: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^٣، وهو قوله: إن الجن طائفة من الملائكة، وأن التسمية من الاختفاء الذي يشمل الملائكة كما يشمل الجن، هذا في حين أن الآية جمعت بين الملائكة والجن على اعتبارهما خلقين مستقلين، وأن هناك آيات قرآنية عديدة حكى قول إبليس إنه مخلوق من النار، وأخرى قررت أن الجن قد خلقوا من النار،

١- الأنعام/ ١٥٩.

٢- الروم/ ٣١-٣٢.

٣- الكهف/ ٥٠.

فملاحظة هذا الاشتراك تظهر عدم صحّة الرواية، لأنّ هذا ليس ممّا يمكن أن يخفى عن ابن عباس الَّذي يوصف بما يوصف به من سعة العلم وقوّة الذكاء والإحاطة بالقرآن، وتساعد على القول الحاسم في جيّنة إبليس في التّصوص القرآنيّة.

ويمكن أن تساق الآيات نصّت على أنّ الله يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء، ولا نريد أن نكرّر ما قلناه قبل قليل في هذا الأمر. ولكنّا نريد أن ننبه على أنّ في القرآن آيات من هذا الباب فيها إيضاح من شأنه أن يضع الأمر في نصاب الحقّ بالنسبة إلى إطلاقاً لعبارة في آيات أخرى. ففي سورة البقرة: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾^١، وفي سورة الرعد: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَرَادَ﴾^٢، وفي سورة إبراهيم: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^٣، فهذه الآيات حينما تلاحظ أثناء تلاوة وتفسير الآيات التي جاءت عبارتها مطلقة وتفسّر بها، يزول كلّ ما يدور حول هذا الموضوع الكلامي من أسباب الحجاج والثّقاش، ويبدو قصد تقرير كون هدى الله إنّما يكون لمن استتار قلبه وحسنت نيّته ورغب في الإنابة إلى الله، وكون الضلال إنّما يكون للظالمين والفاسين وأردياء التّيّة والخلق، وكون الهدى والضلال منوطين بحسن نوايا الناس وسونها والرغبة في الإنابة إلى الله والمكابرة فيها، ويسوق النّاظر إلى التماس سبب مجيء العبارة مطلقة في الآيات التي جاءت فيها مطلقة في أسلوبها وسيافها على ما ذكرناه قبل.

ويمكن أن تساق آية الشّورى هذه كمثل آخر: ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ

١- البقرة/٣٦.

٢- الرعد/٢٧.

٣- إبراهيم/٢٧.

فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ^١.

فإن بعض المفسرين وخاصة مفسري الشيعة - فسروا الآية على أنها تفيد إيجاب محبة أقارب النبي الأذنين والبر بهم وطاعتهم، في حين أن هناك آيات قرآنية عديدة^٢ - أمرت النبي بالقول: إنه لا يسألهم أجرًا دون أي استثناء. فملاحظة ذلك تجعل التأخر في القرآن يحمل ما جاء في آية الشورى من استثناء على عمل آخر يبعد عن القرآن وهم التعارض، وينزه الله ونبيه عن تقاضي الأجر على هداية الناس وإجابه بالنسبة إلى ذريته أو أقاربه الأذنين، ولا يتورط في تأويل يؤيد الاستثناء والأجر للذين يثيران حيرة وإشكالا.

هذا يقطع النظر عن ما في ذلك التفسير من تحلٍ وتجوز لا يتحملها مضمون الآية، وعن ما هنالك من رواية مأثورة عن ابن عباس في صدها تجعلها متسقة كل الاتساق مع النصوص القرآنية الأخرى، وتفيد أن قصد الآية تقرير كون حرص النبي على هداية قومه لا يمكن أن يتهم، لأنه لا يطلب عليها أجرًا، وكون مراد هذا الحرص هو ما بين النبي وقريش من أوشاج القربي، حيث لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبينه وبين النبي قرابة.

وهناك تأويل آخر جاء في تفسير ابن كثير المشهور، وهو أن الآية بمعنى أنني لأريد منهم شيئًا إلا أن تحترموا قرابتي لكم وتؤدوني من أجلها، وتكفوا عن الأذى والصد والتعطيل، وهو تأويل وجيه ومتسق مع روح القرآن واللغة. وننبه على أننا هنا في صدد فهم نصوص القرآن، ولسنا في صدد نفي واجب المسلمين في بر ومودة الصالحين الأتقياء الذين ليست نسبتهم إلى بضعة الرسول محل شك وريب من أجل هذه النسبة الشريفة الكريمة.

ومن فوائد ملاحظة ما هو موضوع هذا البحث أنها تساعد على معرفة التاسخ والنسخ وصور التطورات المتنوعة في سير الدعوة النبوية والسيرة النبوية والتشريع القرآني. فأيات

١- الشورى / ٢٣.

٢- يوسف / ١٠٤، المؤمنون / ٧٧، الفرقان / ٥٧، سبأ / ٤٧، ص / ٨٦، القلم / ٤٦.

النساء / ١٥-١٦ مثلاً تشير إلى جريمة الزنى وتعيّن نصاب شهود ثبوتها، ولكنها لاتعيّن حداً، وتكتفي بالأمر بامساك النساء في البيوت وأذية الزناة بعبارة مطلقة، في حين أن آية سورة التور الثانية تعيّن حداً للزّانين والزّانيات مائة جلدة. فملاحظة آيات النساء والتور معاً في النّظر والتفسير تساعد على معرفة كون آيات النساء قد نزلت قبل آيات التور، وأن آيات التور هي المحكمة في جريمة الزنى دون آيات النساء، وأنّ في نزول آيات التور بعد آيات النساء تطوّراً في التشريع القرآني. وفي آية النساء / ٢٥ جملة تنصّ على أنّ حدّ الإماء المحصنات (المتزوجات) إذا زنين هو نصف حدّ الحرائر المحصنات، وهي هذه: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾^١، فملاحظة آية التور في تفسير هذه الجملة تساعد على معرفة أنّ هذه الجملة نزلت بعد آيات التور، بعكس الآيات السابقة، حيث نزلت آيات النساء قبل آيات التور، وأنها وضعت في محلّها للتناسب الموجود في سلسلة أحكام الأنكحة والأسرة والموارث الواردة في سورة النساء، وتساعد كذلك على معرفة صورة من صوّر التأليف القرآني.

كذلك إذا قرأنا آيتي سورة المنافقون هاتين: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَن عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ * يَقُولُونَ لِنَنْ رَجِعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلِلسِّبْغَةِ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ^٢، ثم قرأنا آيتي سورة التوبة هاتين: ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنَكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ^٣، استطعنا أن نتبيّن من ملاحظة آيات السورتين أنّ المنافقين في المدينة كانوا في أوائل العهد المدنيّ معتدّين بقوتهم ومالهم ومركزهم، بينما صاروا في أواخر هذا العهد إلى

١- النساء / ٢٥.

٢- المنافقون / ٧-٨.

٣- التوبة / ٥٦-٥٧.

حالة الخوف والضعف، وأن نلمس صورة تطورية من صور السيرة النبوية، وأن نحكم على تهاافت الرواية التي ذكرت أن مُفسّر المنافقين عند الاستعداد لغزوة تبوك كان يعادل في سعته وعدده مُفسّر المؤمنين المخلصين. والأمثلة في هذا الباب كثيرة جداً أو منبثّة في السور والفصول القرآنية مكّيها ومدنيها نبهنا عليها في التفسير. وهذه الكثرة تظهر فائدة هذه الملاحظة في حُسن فهم القرآن وتفسيره كما هو واضح.

ولا أدعي بأن هذه الملاحظات جديدة وغير مسبوقة، ففي «الإتقان» للسيوطي لنفسه وغيره من العلماء وللمؤلفين نذ عديدة في شروط التفسير وأصوله، احتوت غير واحدة من هذه الملاحظات، كما أن كثيرًا من العلماء والباحثين والمفسرين نبهوا عليها بأساليب متنوعة، ومنهم من فعل ذلك في مقدّمات كتبهم التفسيرية، أو في ما كتبه عن القرآن من كتب خاصة، بل ومنهم من سار عليها قليلاً أو كثيراً.

غير أنني لم أرى ما تيسّر لي من الاطلاع عليه من كتب التفسير^١ العديدة القديمة والحديثة أن هذه الملاحظات قد لوحظت متفرقة وبسعة أو إيجاز، حيث يمكن أن يكون مفسّر لاحظ بعضاً وسار عليه، وآخر لاحظ بعضاً وسار عليه، مع أن ملاحظتها جميعاً والسير وفقها جوهرى جداً فيما اعتقد لفهم القرآن فهماً صحيحاً وخدمته خدمة فضلى، هذا مع اعترافي بالتقصير إزاء ما أحرزه الذين بحثوا في القرآن وعلومه، وألفوا فيه وفسّروه قديماً وحديثاً من علم واطلاع وتمكّن وممارسة طويلة وتفرغ أطول، وخاصة في علوم الصرف والتحو والبلاغة واللغة وأصول الفقه والحديث والرواية والخلافات المذهبية والكلامية، ومع اعترافي بالمجهود الذي بذله كل منهم في خدمة القرآن وتفسيره، وما لكثير من كتب التفسير

١- من كتب التفسير التي اطّلت قراءة أو تصفّحاً على جميع أو بعض أجزائها التفسير المزوّل إلى ابن عباس رواية أبي صالح، وباب التفسير في البخاري، وتفسير الطبري والتفسي وأبي السعود والطوسي والخازن والرازي والزخشري والطبرسي والبيضاوي والجوهري وفريد وجدي ورشيد رضا والآلوسي وأبي حيان وابن كثير والبغوي والقرطبي والمرغني والمادلي.

من خصوصيّات مفيدة، إمّا من حيث الإسهاب والإيجاز، أو من حيث اللّغة والبلاغة والقواعد التحوّية بالمعاني والقضايا وتفرّيعاتها، أو من حيث الأحكام واستنباطها، أو من حيث إبراز ما في القرآن من إشراق وبعد مدى وقوّة تلقين وتوجيه، أو من حيث روايات المناسبات وأسباب التّزول والتّاسخ والمنسوخ، أو من حيث التّعليق على ما فيه من قصص وإيضاحها، أو من حيث شرح المذاهب الكلاميّة والفقهيّة وجدليّاتها. (١٩٧-٢١٦)

الفصل الثالث عشر

نصّ صُبْحِي الصَّالِح (م: ١٤٠٧) في «مباحث في علوم القرآن»

[وجه المناسبة بين الآيات]

إنّ في تساؤل المفسّرين - رغم ما جرت به عادتهم من الابتداء بذكر الأسباب - عن الأولى أن يبتدئوا به تقديم المناسبة أم تقديم السبب؟ لإيحاء أقوى من التصريح بأن ارتباط آي القرآن، و تناسق بعضها مع بعض، واقتران كلماتها و جملها، و مشاهدتها و صورها، علمٌ عظيمٌ أودعت فيه أكثر لطائف القرآن و رواثقه، و فُسِّرَت في ضوئه أكثر أحكامه و شرائعه. لذلك كان الإمام أبو بكر التيسابوريّ الَّذِي أظهر هذا العلم ببغداد يُزري على علماء بلده لجهلهم و جوه المناسبة بين الآيات، و كان لا يني يقول إذا قرئت عليه الآية أو السورة: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ و ما الحكمة في جعل هذه إلى جنب هذه السورة؟^١

و في صنيع أبي بكر التيسابوريّ هذا اتّجاه جديد إلى الكشف عن الترابط بين السُور إلى جانب الكشف عن التناسب بين الآيات. و الحقّ أنّ الَّذِي ينبغي التّفتيش عنه و الاستيثاق من نتائجه هو بالمقام الأوّل وجه المناسبة بين الآيات، إذ يبحث أوّل كلّ شيء عن الآية: أمّكَمَلَةٌ لما قبلها أم مُستَقَلَّةٌ؟ ثمّ المستقلّة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ و لم سيقت هذا المساق؟

أمّا التماس أوجه الترابط بين السُور - على ما فيه من تعسّف و تكلف - فهو مبنيّ على أنّ ترتيب السُور توقيفيّ، و لهذا انتصرنا و عليه عولنا، إلّا أنّ ترتيب السُور التوقيفيّ لا يستلزم حتمًا أن يكون بين كلّ سورة سابقة و كلّ سورة لاحقة أو أصغر قُرْبى، كما أنّ ترتيب الآيات

التوقيفي لا يقتضي عقلاً ارتباط إحداها بالأخرى إذا وقعت كلّ منها على أسباب مختلفة، وإنما يغلب في السّورة الواحدة أن تكون ذات موضوع بارز كلّّي، تأتلف عليه جزئياتها كلّها في مقاطعها المتلاحقة المترابطة، لكنّ الوحدة الموضوعيّة في كلّ سورة على حدة لا ينبغي أن تكون هي الوحدة الموضوعيّة عينها في السّور كلّها مجتمعة.

ولم يبلغ المفسّرون هذا المبلغ من التّكلف، بل اكتفوا بإظهار العلاقة بين ختام السّورة السّابقة و فاتحة السّورة اللاحقة كأنّ التّرابط بينهما - ولا فصلهما بالبتّ - وقع عن طريق الآيات موقعاً جزئياً، لا عن طريق السّورتين موقعاً شاملاً كلّياً. ومعيار الطّبع أو التّكلف فيما لمح من ضروب التّناسب بين الآيات والسّور يرتدّ في نظرنا إلى درجة التّماثل أو التشابه بين الموضوعات، فإن وقع في أمور متّحدة مرتبطة أوائلها بأواخرها، فهذا تناسب معقول مقبول، وإن وقع على أسباب مختلفة وأمر متنافرة، فما هذا من التّناسب في شيء. وما أصدق قول القائل: «المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقّته بالقبول»!

وأقلّ ما يعنيه هذا المعيار الدّقيق أن وجه المناسبة بين الآيات أو بين السّور يخفى تارة ويظهر أخرى، وأن فرص خفائه تقلّ بين الآيات، وفرص ظهوره تندر بين السّور، ذلك بأنّ الكلام قلماً يتمّ بآية واحدة، فتتعاقب الآيات في الموضوع الواحد تأكيداً وتفسيراً، أو عطفاً وبيانا، أو استثناءً وحصرًا، أو اعتراضاً وتذييلاً، حتّى تبدو الآيات المتعاقبات كالظّائر والأتراب... ثمّ ذكر وجه التّناسب بين أحكام الأهلّة وحكم إتيان البيوت في الآية ١٨٩/ من البقرة، كما تقدّم نحوه عن الزّركشي، فقال: [

و واضح أنّنا في آية الأهلّة قد اكتشفنا الارتباط بين تركيبتين تتابعا في آية واحدة، وقد اضطررنا إلى اكتشاف هذا الارتباط لئلا يبدو آخر الآية منفصلاً عن أوّلها، أفلا نضطرّ إلى إظهار التّناسب بين آيتين تستقلّ كلّ منهما عن الأخرى بوحدتها الإيقاعيّة المسماة

بالمفاصلة؟ ومن ذا الذي أوجب أن تكون رؤوس الآي أمارات انقطاع أو رموز انفصال؟
 أنقرأ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ *
 وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ *^١، فنرى رفع السماء مفصولاً عن
 خلق الإبل، ونصب الجبال مستقلاً عن رفع السماء، وسطح الأرض منقطعاً عن نصب
 الجبال، ولا نلمح بين هذه الآيات كلها وجهاً جامعاً أو رابطاً فكرياً؟ أليس الحد الأدنى من
 الارتباط بينها ضرباً من التناسق التصوري لمجموعة من المشاهد الكونية المعروضة لنظر
 الإنسان حينما كان، وهي تضم في لوحة متناسقة الأبعاد والاتجاهات: السماء المرفوعة
 والأرض المسطوحة، والجبال شامخة القمم، والجمال بارزة السنام؟^٢

وهل لنا في استجلاء مواطن ارتباطها واتساقها أن نستعير عبارة الزركشي ونرجع
 أصداءها متلاقية مع بيئة العربي المخاطب بهذا القرآن، فنقول كما قال: «جمع بينها على
 الجرى الإلف والعادة...» [وذكر كما تقدم عنه، ثم قال:]

أم نقرأ قوله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^٣، وقد اكتنفه من جانبيه قوله: ﴿بَلِ
 الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ *^٤، وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ
 الْآخِرَةَ﴾^٥، ثم لا نلمح بينها جميعاً أي ارتباط؟ أليس في تسمية الدنيا بالعاجلة هنا إيماء
 مقصود بقصر الحياة يتناسق مع استعجال النبي تلقي الوحي وتلقفه إيّاه بتحريك لسانه، كأن
 الله يقول له: تدبر! ما يوحى إليك، ولا يأخذك فيه ما يأخذ البشر من العجلة في حياتهم
 القصيرة العابرة؟... [ثم ذكر قول الزمخشري في وجه المناسبة بين الآية / ٢٦ من سورة

١- الفاشية / ١٧ - ٢٠.

٢- قارن بظلال القرآن ٣٠: ١٤٩.

٣- القيامة / ١٦.

٤- القيامة / ١٤ - ١٥.

٥- القيامة / ٢٠ - ٢١.

الأعراف وبين الآية قبلها، كما تقدّم عن الزّركشي، ثم قال: [

و صحيح أيضاً أن التّنظير - أي إلحاق التّظير بالتّظير - وجه أدبيّ مستساغ من أوجه التّناسب بين ذكر قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾^١، وقوله قبل ذلك: ﴿أَوَلَيْسَ لَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، فإن الله أمر رسوله أن يمضي لأمره في تنفيل الغزاة على كرهه من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون، فشبه كراهتهم تنفيله الغزاة بكراهتهم الخروج معه للقتال^٢.

وما على قارئ القرآن - لتستبين له وجوه التّناسب بين الآيات - إلا أن يحتكم إلى ذوقه الأدبيّ تارة، ومنطقة الفطريّ تارة أخرى، وحينئذ يقع على ربط عام أو خاص، ذهنيّ أو خارجي، عقليّ أو حسيّ أو خياليّ، من غير أن يقوم لهذه الألفاظ في نفسه مدلولات اصطلاحية أو فلسفية، فكثيراً ما يدور التّلازم بين الآيات دوران العلة والمعلول، فإن لم تتلاق و يستلزم بعضها بعضاً، تقابلت تقابل الأضداد، كذكر الرّحمة بعد ذكر العذاب، و وصف الجنّة بعد وصف النّار، وتوجيه القلوب بعد تحريك العقول، واستخلاص الموعدة بعد سرد الأحكام.

واستناداً إلى هذا المنطق الذي يقتضيه أوجه التّناسب بين الآيات برشاقة وخفّة، نحسب أن فرص الغموض في استجلاء هذه الوجوه لا تكثر إلا في الرّوابط بين السّور، ولو وقع إلينا كتاب أبي جعفر بن الزّبير «البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن»، لرأينا أغماطاً من هذا الغموض، وصوراً من هذا الخفاء، وما نظنّ احتفال المفسّرين قليلاً بهذا التّوع لدقّته وحسب، بل لقلة جدواه وكثرة التّكلّف فيه، فإنهم يقطعون أنفاسهم من شدّة اللّهاث وهم يلتمسون بين سورتين لفظين يتشابهان، أو آيتين تتناظران، حيثما كان موضعهما من السّورتين في

١ - الأنفال: ٥.

٢ - تفسير الكشاف: ١: ١١٤.

البداية أو الوسط أو الختام... [ثم ذكر تناسب افتتاح بعض السور بما قبلها، كما تقدم عن الزر كشي، فقال:] . وأعظم - بعد هذا كله - بتعسف الأخفش حين عدا ارتباط سورة «إيلاف قريش» بسورة الفيل... [وذكر كما تقدم عن الزر كشي، ثم قال:]

وأيما ما يكن تكلف المتكلفين في إبراز التناسب بين الآيات والسور، فمما لا ريب فيه أن المفسرين المحققين جنوا أطيب الثمر لما ضربوا صفحا عن كل تعسف، وسعهم أن يقتنعوا ويقنعوا الدارسين بأن هذا القرآن الذي نزل في ثيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب متباينة، قد تناسقت الآيات في كل سورة من سورته أكمل تناسق وأوفاه، حتى أغنى تناسقها في مواطن كثيرة عن التماس أسباب نزولها، وعوض انسجامها الفني واقعا التاريخي، ثم بدت السور كلها - بآياتها المتناسقات - مائة وأربع عشرة قلادة طوقت جيد الزمان!

ولتجدن القرآن أحرص الكُتب على التناسق الفني، ولتجدن علماءنا المحققين أحصر الدارسين على اقتناص أسرار تناسقه، فقد يعوض بوجوه المناسبة بين آياته أسباب نزولها إن لم تعرف، أو عرفت ولم تحفظ، أو حفظت ولم تشتهر. وقد يثبت بهذه الوجوه أسباب نزولها ويزيدها اتصالا وارتباطا، ويشيع في سياقها كله حركة ونشاطا، وفي هذا كله ألوان من التناسق تتلاقى جميعا في علم المناسبة العظيم.

وللقرآن أيضا ألوان من التناسق - من غير طريق التناسب بين الآيات - يعوض بها أسباب النزول إذا لم تذكر، أو يؤكد مدلولاتها بالصورة الشاخصة، والمشهد الحية المتكررة، والأنماط المتشابهة المتكاثرة، إذا كان لها في عهد الوحي سبب معروف، أو واقع مشهود. والعين لا تخطئ هذه الألوان الجديدة المتناسقة في مواضع ثلاثة من القرآن:

أما أحدها - ففي الآيات التي اتفق العلماء على تعديتها إلى غير أسبابها.

وأما الآخر - ففي تعميم الصياغة ووقعته على سبب خاص.

وأما الثالث - ففي رسم «غماذج» إنسانية تتخطى الزمان والمكان، وتتجاوز المناسبات

الفصل الرابع عشر

نص الحويّ (م: ١٤٠٩) في «الأساس في التفسير»

[أسرار الصلّة بين الآيات والسور]

اعتماداً على حديث حسن سنراه اعتبرنا أن القرآن يتألف من أربعة أقسام: قسم المئين، وقسم المثاني، وقسم المفصل، وبناءً على معانٍ سنراها اعتبرنا أن السبع الطوال تنتهي بانتهااء سورة (براءة)، وأن قسم المئين ينتهي بانتهااء سورة (القصص)، وأن قسم المثاني ينتهي بانتهااء سورة (ق)، وأن قسم المفصل ينتهي بانتهااء القرآن، وبناءً على تتبع المعاني رأينا أن كلّاً من القسم الثاني والثالث والرابع يتألف من مجموعات متعدّدة من السور، كلّ مجموعة تشكّل وحدة في قسمها.

إن الخاصية الأولى لهذا التفسير قد تكون ميزته الرئيسية أنه قدّم لأول مرة - فيما أعلم - نظرية جديدة في موضوع الوحدة القرآنية، وهو موضوع حاوله كثيرون، وألّفوا فيه الكتب، وصلّوا فيه إلى أشياء كثيرة، ولكن أكثر ما اشتغلوا فيه كان يدور إمّا حول مناسبة الآية في السورة الواحدة، أو مناسبة آخر السورة السابقة لبداية السورة اللاحقة، ولم يزدوا على ذلك - فيما أعلم - هذا مع ملاحظة أن الموضوع الأول نادراً من استوعبه والتزم به في تفسير كامل للقرآن، وإذا التزم به فلم يكن ذلك على ضوء نظرية شاملة تحتوي مفاتيح الوحدة القرآنية. ولقد من الله عليّ منذ الصغر أنّي كنت كثير التفكير في أسرار الصلّة بين الآيات والسور، ووقع في قلبي منذ الصغر مفتاح للصلّة بين سورة البقرة والسور السبع التي جاءت

بعدها، وهي بمجموعها تشكل القسم الأول من أقسام القرآن كما سنرى ذلك في حديث حسن.

فقد لاحظت مثلاً أن الآيات الأولى في سورة البقرة مبدوءة بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ﴾، ومنتبهة بقوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^١، وأن سورة آل عمران مبدوءة بـ ﴿أَلَمْ﴾، ومنتبهة بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾^٢، فقلت في نفسي: هل سورة آل عمران تفصيل للآيات الأولى من سورة البقرة؟

ثم لاحظت أنه بعد مقدمة سورة البقرة يأتي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^٣، وأن سورة النساء الآتية بعد سورة آل عمران مبدوءة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ...﴾^٤.

فتساءلت عما إذا كانت سورة النساء تفصيلاً لآيات تقابلها من سورة البقرة؟ ثم لاحظت أنه بعد آيات من سورة البقرة يأتي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ...﴾^٥، وأن سورة المائدة الآتية بعد سورة النساء مبدوءة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتُؤَاوِلُونَ بِالْقُودِ...﴾^٦.

فتساءلت عما إذا كانت سورة المائدة تفصيلاً لشيء يقابلها في سورة البقرة؟ ثم لاحظت أنه بعد ذلك في سورة البقرة يأتي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^٧.

١- البقرة/ ٥.

٢- آل عمران/ ٢٠٠.

٣- البقرة/ ٢١.

٤- النساء/ ١.

٥- البقرة/ ٢٦- ٢٧.

٦- المائدة/ ١.

٧- البقرة/ ٢٩.

وأن سورة الأنعام تفصل هذا المعنى، ولذلك تتكرر فيها الآيات المبدوءة بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ﴾، بل آخر آية فيها هي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ...﴾^١، وصلة ذلك بآية البقرة واضحة.

فتساءلت عما إذا كانت سورة الأنعام تفصيلاً لآية أو لأكثر تقابلها في سورة البقرة؟ ثم لاحظت أنه بعد ذلك في سورة البقرة تأتي قصة آدم وهي منتهية بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هَذَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ...﴾^٢.

وأن الآية الثانية في سورة الأعراف هي قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾، وأن قصة آدم معروضة فيها منذ بدايتها، فهل لسورة الأعراف صلة بآيات تقابلها في سورة البقرة؟

ثم بعد ذلك بآيات كثيرة في سورة البقرة تأتي الآية التي يفرض بها القتال ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ...﴾^٣، وبعدها مباشرة آية فيها سؤال عن قضية لها صلة بالقتال ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ...﴾^٤، وأن سورة الأنفال وبراءة - وهما في موضوع واحد - وهو القتال - قد بدتأ بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾، فكأتهما تفصيل لقضايا متعلقة بالقتال.

وهكذا وجدنا أن السبع السور التي جاءت بعد البقرة - وهي التي تشكل مع سورة البقرة القسم الأول من أقسام القرآن كما سنرى - هذه السور التي جاءت بعد المعاني في سورة البقرة، وأن لكل سورة منها محوراً موجوداً في سورة البقرة.

هذه الملاحظة وقعت في قلبي منذ الصغر، وسجلتها في كتاب «الرسول» ﷺ في فصل المعجزة القرآنية، ورأيتني بعد استعراضات كثيرة لكتاب الله قد عثرت فعلاً على مفتاح من

١- الأنعام / ١٦٥.

٢- البقرة / ٣٨.

٣- البقرة / ٢١٦.

٤- البقرة / ٢١٧.

مفاتيح وحدة القرآنية، وتفتحت لدي من آفاق الفهم معانٍ كثيرة بخصوص السياق العام للقرآن والسياق الخاص داخل السورة الواحدة. وكلّما سرت في عرض القرآن الكريم تبين لي من الأدلة على سلامة سبّري الكثير الكثير.

وليست هذه المقدمة هي محلّ عرض هذا الاتجاه في موضوع فهم الوحدة القرآنية، ولكنها نموذج على عملي في التفسير أكملت فيه بناءً أو حققت فيه أملاً، فلقد دُئِنَ علماؤنا حول هذا الموضوع ولم يستوعبوه، واستوعبته بفضل الله، وأشاروا إليه ولم يفصلوا فيه، ولقد فصلت فيه تفصيلاً استوعب الآيات في السورة الواحدة والسور في القرآن كلّ على ضوء نظرية شاملة أثبتت البحث صحتها، وهي تعطي الجواب على كثير من الأمور مما له صلة بوحدة السورة، ووحدة المجموعة القرآنية، ووحدة القسم القرآني، ثم في الوحدة القرآنية كلّها. وبدون هذه النظرية فإنّ كثيراً من الصلّات التي تحدّث عنها المتحدّثون، إنّما تتحقّق بنوع من الاستكراه. ولئن توسّعت في هذا الشأن بما لم يتوسّع به أحد، فلائّه كما ذكرت احتياج عصر وضرورته، أمّا الماضون فلم يكونوا يستشعرون ضرورته، فاكفوا بالتلميح إليه مع اعتقادهم أنّه موجود؛ قال الإمام فخر الدّين الرّازي في تفسيره لسورة البقرة ما نصّه... [وذكر كما تقدّم عن البقاعي، ثمّ ذكر قول الملوّي، كما تقدّم عن الزّركشي، فقال:]

هذان الثّقان نقلهما صاحب مناهل العرفان في الصّفحة ٧٣- ٧٤ من كتابه في طبعته الثّانية. هذان الثّقان ندرك أنّ علماءنا قد دُئِنوا حول ضرورة البحث عن الصّلة والمناسبة بين الآيات في السّورة الواحدة، بل كان البقاعي - الذي يُطبع تفسيره الآن ولم أطلع عليه - يلوّم علماء بغداد لإهمالهم الكلام في هذا الشأن، وكما دُئِنوا حول المناسبة بين الآيات في السّورة الواحدة، بحثوا عن الصّلة والمناسبة بين سور القرآن عامّة.

وهذه قضايا بمجموعها نادرًا ما تجد تفسيرًا قد خلا عن طرّف منها، ونادرًا ما تجد مفسّرًا إلّا وقد عرّج عليها ما بين مكثّر ومقلّ. ويبدو أنّ بعض الصّحابة قد عرّج عليها، فقد ذكر ابن كثير: «قال الأعمش عن أبي وائل: استخلف عليّ عبد الله بن عباس على الموسم، فخطب

التاس فقرأ في خطبته سورة البقرة، وفي رواية سورة التور، ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والدليل لأسلموا»، ترى ما هو هذا التفسير الذي فسره ابن عباس حتى لو سمعه هؤلاء لأسلموا إلا أن يكون من جملته ذكر معانٍ دقيقة زائدة على ما يفهم الرجل العادي من مجرد النظرة الباهدة لسورة البقرة؟! ولا شك أن هذا احتمال، ولكنه احتمال له حظّ من النظر.

ولكن لئن عرّج بعض المفسرين على هذا الموضوع، فإنّ أحداً منهم لم يستوعب القرآن كلّهُ بذكر الرّبط والمناسبة بين الآيات في السّورة الواحدة، وبين سور القرآن بعضها مع بعض على ضوء نظريّة شاملة، وقد بذل حتّى الآن الجهد الأكبر في الرّبط بين الآيات في السّورة الواحدة، ولكنّ التّقطة الثّانية لم يبذل فيها جهد إلا ضمن حدود ضيقة، وكلا الجهدين فاتته إلى حدّ كبير بعض أسرار الوحدة الشّاملة.

ولقد حاولت في هذا التفسير أن أسدّ هذه الثّغرة مع اعتقادي أن أسرار الوحدة القرآنيّة لا يحاط بها، ولكن وإذ أصبح الكلام عن هذا الموضوع مطلباً خاصّاً وعمماً، حتّى جعلها بعض المستشرقين مدخلاً يلبّج من خلاله إلى تشكيك المسلمين أو اتّهام القرآن أو اتّهام علماء المسلمين بالقصور، إذ أصبح الأمر كذلك، فقد أصبحت على يقين من أن هذا الموضوع لا بدّ من تغطيته، وسيرى قارئ هذا التفسير أنّي بفضل الله غطّيت هذا الموضوع تغطية تامّة، وسيرى قارئ هذا التفسير صحّة سيرنا في هذه التّغطية كلّما قرأ صفحة جديدة من صفحات هذا التفسير.

هذه التّغطية لهذا الموضوع كما أنّها تلبي مطلباً من مطالب عصرنا، فإنّها تروي ظمأ طُلاب المعرفة والباحثين عن دقائق أسرار هذا القرآن، كما أنّها تضع لبنة في صرح الحديث عن إعجاز القرآن ومعجزاته، كما أنّها تجيب على تساؤلات كثيرة من جُمَلتها موضوع فواتح السّور، سواء منها المصدّرة بالأحرف الهجائيّة أو المصدّرة بما سوى ذلك، ومن خلالها يزاد ترجيح بعض الجوانب التي وقع فيها خلاف، كفضيّة أن ترتيب سور القرآن توقيفيّ وليس اجتهاديّاً. فمع أن جماهير الأُمّة ذهبت إلى هذا، فإنّ هذا التفسير سيبرهن على هذا

الموضوع بشكل عملي، كما أنه يبرزنا الوحدة القرآنية، بإبراز الصلة بين سُور القرآن والصلة بين الآيات في السورة الواحدة، سنأخذ الجواب على السؤال: لماذا لم تكن المعاني ذات المضمون الواحد موجودة بجانب بعضها؟ وسنجد لذلك حكماً كثيرة.

وسيرى القارئ لهذا التفسير أن هذا الترتيب ما بين سُور القرآن على هذه الشاكلة التي رتبها الله عز وجل في كتابه، شيء به وحده تقوم الحجة على كل من يتصور أن هذا القرآن يمكن أن يكون بشري المصدر. وذلك من جانب ترتيبه فقط، فكيف بما سوى ذلك من عشرات الظواهر التي في كل واحدة منها الدليل من خلال عشرات الأمثلة، على أن هذا القرآن يستحيل أن يكون بشري المصدر. ثم إنه بعملنا هذا نكون قد زدنا بعض حُجج الكاتبين عن القرآن وضوحاً، فمثلاً ذكر صاحب «مناهل العرفان» في باب حكم نزول القرآن مُنجزاً هذه الحكمة التي هي الحكمة الرابعة في عرضه فقال: «الإرشاد إلى مصدر القرآن وأنه كلام الله وحده، وأنه لا يمكن كلام محمد ﷺ ولا كلام مخلوق سواه».

وبيان ذلك: أن القرآن الكريم تقرأه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، أخذ بعضه برقاب بعض في سُورته وآياته وجُمَله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكة واحدة، وعقد فريد يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جُمَله وآياته، وجاء آخره مساوفاً لأوله، وبدا أوله موافقاً لآخره.

وهنا نتساءل: كيف اتسق للقرآن هذا التأليف المعجز؟ وكيف استقام هذا التناسق المدهش على حين أنه لم يتنزل جملة واحدة، بل تنزل آحاداً مفرقة، تفرق الوقائع والحوادث في أكثر من عشرين عاماً؟

الجواب: أننا نلمح هنا سرّاً جديداً من أسرار الإعجاز، ونقرأ دليلاً ساطعاً على مصدر

القرآن، وأنه كلام الواحد الدّيتان: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، وإلاّ فحدّثني برّيك كيف تستطيع أنت، أم كيف يستطيع الخلق جميعاً أن يأتوا بكتاب محكم الاتّصال والترابط، متين النّسج والسّرّد، متألّف البدايات والتهايات، مع خضوعه في التّأليف لعوامل خارجة عن مقدور البشر، وهي وقائع الزّمن وأحداثه الّتي يجيء كلّ جزء من أجزاء هذا الكتاب تبعاً لها، ومتحدّثاً عنها سبباً بعد سبب، وداعية إثر داعية، مع اختلاف ما بين هذه الدّواعي، وتغاير ما بين تلك الأسباب، ومع تراخي زمان هذا التّأليف، وتطاول أمد هذه التّجوم إلى أكثر من عشرين عاماً؟!

لا ريب أنّ هذا الانفصال الزّمانيّ وذاك الاختلاف الملحوظ بين هاتيك الدّواعي، يستلزم أن في مجرى العادة التّفكّك والانحلال، ولا يدعان مجالاً للارتباط والاتّصال بين نجوم هذا الكلام. أمّا القرآن الكريم فقد خرق العادة في هذه التّاحية أيضاً؛ نزل مفرّقاً منجّماً، ولكنّه تمّ مترابطاً محكمّاً، وتفرّقت نجومه تفرّق الأسباب، ولكن اجتمع نظمه اجتماع شمل الأحباب، ولم يتكامل نزوله إلّا بعد أكثر من عشرين عاماً ولكن تكامل انسجامه بدايةً وختاماً.

أليس ذلك برهاناً ساطعاً على أنّه كلام خالق القوّى والقُدَر، ومالك الأسباب والمسبّبات، ومدبّر الخلق والكائنات، وقيوم الأرض والسّمّوات، العلّيم بما كان وما سيكون، الخبير بالزّمان وما يحدث فيه من شؤون؟

لاحظ فوق ما أسلفنا: أنّ رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية أو آيات، قال: «ضعوها في مكان كذا من سورة كذا»، وهو بشر لا يدري - طبعاً - ما ستجيء به الأيام، ولا يعلم ما سيكون في مستقبل الزّمان، ولا يدرك ما سيحدث من الدّواعي والأحداث، فضلاً عمّا سينزل من الله فيها، وهكذا يمضي العمر الطّويل والرسول ﷺ على هذا العهد، يأتيه الوحي بالقرآن نجماً بعد نجم، وإذا القرآن كلّ بعد هذا العمر الطّويل يكمل ويتمّ وينتظم ويتآخى ويألف

ويلتئم، ولا يؤخذ عليه أدنى تخاذل ولا تفاوت، بل يعجز الخلق طراً بما فيه من انسجام
ووحدة وترايط: ﴿كِتَابٌ أُخْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^١. وإِنَّه ليستبين لك
سرّ هذا الإعجاز، إذا ما علمت أنّ محاولة مثل هذا الاتساق والانسجام لا يمكن أن تأتي على
مثل هذا التمثّل الذي نزل به القرآن، ولا على قريب من هذا التمثّل، لا في كلام الرّسول ﷺ
ولا كلام غيره من البلغاء، حُذْ مثلاً حديث النبي ﷺ وهو ما هو في روعته وبلاغته وطهره
وسموّه، لقد قال الرّسول ﷺ في مناسبات مختلفة لدواعٍ متباينة في أزمان متطاولة، فهل في
مُكْتَنِكِ ومُكْتَنَةِ البشر معك أن ينظموا مثله، أو يزيدوا عليه أو يتصرّفوا فيه؟ ذلك ما لن يكون
ولا يمكن أن يكون. إذن فالقرآن الكريم ينطق نزوله منجّماً بأثمه كلام الله وحده، وتلك
حكمة جليلة الشأن تدلّ الخلق على الحقّ في مصدر القرآن: ﴿قُلْ أُنْزِلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^٢.

إنّ هذه الحكمة التي ذكرها المؤلّف تتضح أبعادها بشكل أقوى وأكثر بيّاناً عندما يقرأ
الإنسان تفسيرنا هذا، ليجد من عجائب الصّلة بين الآيات والسّور ما لا يمكن أن يخطر ببال
بشر، بحيث يجد أنواعاً من الوحدة الشّاملة التي تضمّ معاني القرآن وآياته وسُورَه بما يحَيّر
الألباب ويدهش الأبصار والبصائر. ولا يستعجلن القارئ علينا وهو يرى هذا الكلام قبل
أن يقرأ هذا التفسير، فإن وجد الأمر كما ذكرنا فليدع لنا بحسن الخاتمة والمغفرة، وإذا لم يجد
ما نقلناه هنا فإني أسأحه في كلّ ما يقول.

ولقد سئلت أكثر من مرّة من بعض من عرضت عليه وجهة نظري في فهمي للصّلة بين
الآيات والسّور عن فائدة هذا الموضوع، وكنت أجيبه بمثل ما ذكرته فيما مضى من هذه
المقدمة، في أنّ الإجابة على هذا الموضوع تخدّم ردّ شبهة أنّ هذا القرآن لا يجمع آياته في السّورة

١- هود/١.

٢- الفرقان/٦.

الواحدة جامع، ولا يجمع بين سورته رابط، وذلك لا يليق في كلام البشر فكيف بكلام ربّ العالمين؟ إنها لشبهة فظيعة جدًّا أن يحاول محاول إشعار المسلم بأنّ كتاب الله ينزل عن كُتُب البشر في هذا الشأن. ولقد استطعت بتوفيق الله أن أُبْرِهن على أنّ كمال القرآن في وحدة آياته في السورة الواحدة، وكمالها في الوحدة الجامعة التي تجمع ما بين سورته وآياته على طريقة لم يعرف لها العالم مثيلاً ولا يمكن أن تخطر على قلب بشر. لقد استطعت خلال هذا أن أردّ السهم إلى كبد راميهِ من أعداء الله في هذه النقطة بالذات. على أنّ الإجابة على هذا الموضوع كما قلنا نخدم قضايا أخرى منها قضية تأكيد إعجاز القرآن، ومنها قضية دحض شبهة أنّ هناك افتراقاً بين القرآن المكيّ والمدنيّ، ومنها أنّها نخدم في معرفة بعض أسرار القرآن، ومنها أنّها نخدم قضية الفهم للكثير من المعاني التي يدلّ عليها السياق.

إنّ هذه النقطة التي هي في بعض تميّز هذا التفسير عن غيره لا نخدم فقط فيما ذكرناه، بل نخدم في رؤية كثير من المعاني، ومحلّ هذه المعاني في البرهان على كثير من القضايا. كما أنّها ترينا أنّ هذا القرآن من خلال سياق الآية في السورة، ومن خلال سياق الآيات بالنسبة إلى مجموع القرآن، ومن خلال صلات السور بعضها ببعض، ومن خلال نواحٍ أخرى، يعطينا معاني لانهاية لها ولا يمكن الإحاطة بها، وهو موضوع سنراه كثيراً في هذا التفسير. وكأثر من آثار هذه النظرة الشاملة التي على ضوئها فهمت الوحدة القرآنية تكشّفت لي إحدى الحكيم في كون بعض السور مفتوحة ببعض الحروف، فكانت ملاحظة جديدة تضاف إلى ملاحظات كثيرة، سجّلها علماء المسلمين خلال العصور حول أسرار هذه الأحرف.

لقد أقمت على هذا الاتجاه الذي اتّجهته في موضوع الوحدة القرآنية من الحُجَج الكثير، بحيث لا يرتاب عالم منصف بعد الاطلاع عليها بأنّ اتّجاهي في ذلك كان صحيحاً. ولكنتي تعمّدت ألا أذكر حُجَجِي كلّها في مكان واحد بل وزعتها في الكتاب كلّهُ عندما تأتي مناسبتها، ولولا ذلك لاقتضى إبراز كلّ الحُجَج مجلّداً كاملاً من مجلّدات هذا التفسير، ثمّ هي في هذه الحالة لا تستوعب كما لو جاءت في مناسبتها...

الفصل الخامس عشر

نصّ الدرّاز (معاصر) في «التبّ العظيم»

[نظم السُّور القرآنيّة]

[بعد ذكر ما بين نهج التّأليف الإنسانيّ وبين نهج التّأليف في التجوّم القرآنيّ قال:]

ها أنت ذا قد عرفت نهج التّأليف الإنسانيّ في صنعة البيان وغير البيان، ورأيت بُعد ما بينه وبين نهج التّأليف في نجوم القرآن، وعرفت ماذا كان يجب أن يحدث في التّظّم القرآنيّ من جرّاء هذا التّهجّ العجيب في أسباب ثلاثة^١ من شأنها ألاّ يستقيم بها للكلام طبع، ولا يلتئم له معها شمل. فانظر الآن هل استطاعت هذه الأسباب على تضافرها أن تنال شيئاً من استقامة التّظّم في السُّور المؤلّفة على هذا التّهجّ؟

أمّا العرب الّذين تحدّاهم القرآن بسورة منه، فلقد علمت لو أنّهم وجدوا في نظم سورة منها مطعمًا لطامع، بل مغمزًا لغامز، لكان لهم معه شأن غير شأنهم، وهم هم. وأمّا البلغاء من بعدهم فما زلنا نسمعهم يضربون الأمثال في جودة السّبك وإحكام السّرّد بهذا القرآن حين ينتقل من فنّ إلى فنّ.

وأمّا أنت فأقبل بنفسك على تدبّر هذا التّظّم الكريم، لتعرف بأيّ يد وضع بنيانه؟ وعلى أيّ عين صنع نظامه؟ حتّى كان كما وصفه الله: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾^٢.

١- عناصر معنويّة مختلفة، ظروف زمنيّة منفصلة، أوضاع تأليفيّة عَجَلَى ومُشْتَعَلَى.

اعتمد إلى سورة من تلك السُّور الَّتِي تتناول أكثر من معنى واحد - وما أكثرها في القرآن، فهي جمهوره - و تنقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة، ثم أرجع البصر كرتين: كيف بُدِئت؟ وكيف خُتِمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدّماتها بنتائجها، ووطأت أولها لأخرها؟

وأنا لك زعيم بآئك لن تجد البتّة في نظام معانيها أو مبانيها ما تعرف به أكانت هذه السُّورة قد نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى؟ ولسوف تحسب أن السَّبع الطُّول^١ من سُور القرآن قد نزلت كل واحدة منها دفعة، حتّى يحدّثك التاريخ أنّها كلّها أو جُلّها قد نزلت نجومًا. أو لتقولن: إنّها إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق، فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع، كمثّل بنيان كان قائمًا على قواعده، فلمّا أُريد نقله بصورته إلى غير مكانه، قُدّرت أبعاده ورُقمت لبناته، ثم فرّق أنقاضًا، فلم تلبث كلّ لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوًّا يشدّ بعضه بعضًا كهيئته أوّل مرّة.

أجل، إنك لتقرأ السُّورة الطُّويلة المنجّمة بحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حُشيت حشواً، وأوزاعًا من المباني جُمعت عفواً، فإذا هي لو تدبّرت بُنيّة متماسكة قد بُنيت من المقاصد الكلّية على أُسس وأصول، وأقيم على كلّ أصل منها شُعَبٌ وفصول، وامتدّ من كلّ شعبة منها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حُجرات وأُفنية في بنيان واحد، قد وُضع رسمه مرّة واحدة، لائحسّ بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفضال في الخروج من طريق إلى طريق؛ بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التّضام والالتحام.

كلّ ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإلّا هو حُسْن السَّيَاقَة

١- وإذا كانت هذه السُّورة على طولها وكثرة نجومها لا يبدو عليها انفصال التّظم، فما ظنك بما دونها إلى سُور المُفَصَّل، حيث جرى التّنجيم حتّى في بعض الأقصار منها، كالشُّحى وأقرأ، والماعون الَّتِي نزلت كلّ واحدة منها مفرقة على نجمين؟

ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلاً، والمختلف مؤلفاً.

ولماذا نقول: إن هذه المعاني تتسق في السورة كما تتسق الحُجرات في البنيان؟ لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العَظْمان عند المَفْصَل، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثر، كما يشبك العضوان بالشرابين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتّجاه معيّن، وتؤدي بجموعها غرضاً خاصاً. كما يأخذ الجسم قواماً واحداً، ويتعاون بمجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية.

فيا ليت شعري إذا كانت كافة الأجزاء والعناصر التي تتألف منها وحدة السور منوطة بأسباب لم تكن كلها واقعة ولا متوقعة، وكان لا بدّ لتمام هذه الوحدة من وقوع تلك الأسباب كلها في عصر نزول القرآن ليتناولها ببيانها، فما الذي أخضع دورة الفلك لنظام هذه الوحدات، وجعل هذه التوازل تتوارد بأسرها في إبان التنزيل؟ لماذا لم يتفق في حادثة واحدة منها أن تخلف عن عالم الوجود يومئذ لينخرم هذا النظام، فتجيء سورة من السور مبتورة في مُفتتحها أو في مُختتمها أو فيما بين ذلك؟ أليست مطاوعة تلك الأحداث الكونية، ومعاونتها بدقة دائمة لنظام هذه الوحدات البيانية، شاهداً واضحاً على أن هذا القول وذاك الفعل كانا يجيئان من طريق واحدة، وأن الذي صدرت هذه الكلمات عن علمه هو نفسه الذي صدرت تلك الكائنات عن مشيئته^١؟

بل ليت شعري لو أن هذا الإنسان الغريب الذي جاء القرآن على لسانه كان قد أحصى ما سوف يلبه الزمان من مفاجآت الحوادث المستقبلية صغيرة وكبيرة في مدى دهره، ثم قدر ما سوف تتطلبه تلك التوازل من تعاليم الفرقان، فما علمه بالنظام البياني الذي ستوضع عليه

١- قل كل من عند الله سبحانه، لا معقب لحكمه، ولا مبدل لكلماته.

صيفة تلك التعاليم؟ ثمّ ما علّمه أيّ هذه التعاليم سيكون قرينة لهذا الجزء أو ذاك؟ ليتأهّب لتلك القرائن قبل ورودها، فيودع في كلّ جزء ساعة نزوله عروة لاثقة بقرينته المعينة، حتّى إذا قدمت استمسكت بعروتها، فازدوجت بقرينها ذلك الازدواج المحكم. ولماذا حين وردت كلّ قرينة وجدت من قرينتها جارّاً لا يجور ولا يجار عليه، ووجدت بجانبه المكان الذي ينتظرها، لاضيقاً فيزاحمها ويتبرّم بها، ولا واسعاً فتقطع الصلّة بينهما، بل وجدته مقدّراً بمقدارها، حتّى لا حاجة إلى الاستدراك على الماضي بمحو حرف، ولا بزيادة حرف، ولا بتبديل وضع، وحتّى لا مجال هناك لقول: «ليت....»، ولا «لو إن...»؟

بل كيف عرف كلّ جزء من هذه الأجزاء أين مجموعته، وأين مستقرّه بينها في رأس أو صدر أو طرف، من قبل أن تتبيّن سائر الآحاد والفصائل، حتّى إذا تمّ توزيع تلك الأجزاء المتفرقة، والأشلاء الممزّقة، إذا السّتار يرتفع في كلّ سورة عن دُمية حسناء كاملة الأعضاء متناسقة الحليّ؟

أيّ تدبير محكم، وأيّ تقدير مبرم، وأيّ علم محيط لا يضلّ ولا ينسى، ولا يتردّد ولا يتمكّت، كان قد أعدّ لهذه الموادّ المبعثرة نظامها، وهداها في إبان تشتتها إلى ما قدره لها، حتّى صيغ منها ذلك العقد التّظيم، وسرّى بينها هذا المزاج العجيب؟

سبحان الله! هل يمتري عاقل في أن هذا العلم البشريّ، وأنّ هذا الرّأي الأنف البدائيّ الذي يقول في الشّيء: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لقلت أو فعلت، ولقدّمت أو أخّرت»، ولم يك أهلاً لأن يتقدّم الزّمان ويسبق الحوادث بعجيب هذا التدبير؟ أليس ذلك وحده آية بيّنة على أنّ هذا التّظم القرآنيّ ليس من وضع بشر، وإنّما هو صنع العليم الخبير؟ بلى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

أمّا إن طلبت شاهداً من العيان على صحّة ما أصّلناه في هذا الفصل من نظام الوحدات في

السُّور على كثرة أسباب اختلافها، وأما إن أحببت أن تُريك نموذجًا من السُّور المنجمعة كيف التَّأَمَّت منها سلسلة واحدة من الفكر تتلاحق فيها الفصول والحلقات، ونسق واحد من البيان تتعاقب فيه الجُمَل والكلمات، فأَيّ شيء أكبر شهادة وأصدق مثالاً من سورة نعرضها عليك هي أطول سُور القرآن كافّة، وهي أكثرها جمعًا للمعاني المختلفة، وهي أكثرها في التَّنْزِيل نجومًا، وهي أبعدُها في هذا التَّنْجِيم تراخيًا؟

تلك هي سورة البقرة الَّتِي جمعت بضعًا وثمانين ومائتي آية، وحوَّرت فيما وصل إلينا من أسباب نزولها نيفًا وثمانين نجمًا، وكانت الفترات بين نجومها تسع سنين عددًا^١.

واعلم! أنّه ليس من ههنا الآن أن نكشف لك عن جملة الوشائج اللَّفْظِيَّة والمعنويَّة الَّتِي تربط أجزاء هذه السُّورة الكريمة بعضها ببعض، فتلك دراسة تفصيليَّة لها محلُّها من كُتُب التفسير، ذلك ولو نشاء لأريناك في القطعة الواحدة منها أسبابًا ممدودة عن أيمانها وعن شمائلها تمَّت بها إلى الجار ذي القربى والجار الجنب، في شبكة من العلائق يحار التَّأَظُّر إلى خيوطها مع أيَّها يتَّجه؟ ولا يدري أيُّها هو الَّذِي قصد بالقصد الأوَّل.

وإنما نريد أن نعرض عليك السُّورة عرضًا واحدًا نرسم به خطَّ سيرها إلى غايتها، ونبرز به وحدة نظامها المعنويِّ في جملتها، لكي ترى في ضوء هذا البيان كيف وقعت كلُّ حلقة موقعها من تلك السِّلْسِلَة العظْمى.

يبدأ أُنَّا قبل أن نأخذ فيها قصدنا إليه نحبُّ أن نقول (كلمة) ساق الحديث إليها: وهي أن السِّيَاسة الرَّشيَّدة في دراسة النَّسق القرآنيِّ تقضي بأن يكون هذا التَّحْو من الدَّرْس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدَّم التَّأَظُّر إلى البحث في الصَّلَات الموضوعيَّة بين جزء جزء منه - وهي تلك

١- ففيها ذكر تحويل القبلة، وذكر صيام رمضان، وذكر أوَّل قتال وقع في الإسلام، فنزل بسببه قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الآية / ٢١٧ وكلَّ أوَّلئك كان نزولهم في أوائل السَّنَة الثَّانية من الهجرة. وفيها تلك الآية الخاتمة الَّتِي نزلت في آخر السَّنَة العاشرة من الهجرة، وهي آخر آية نزلت من القرآن بإطلاق: ﴿وَآتُوا أَيَّامًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية / ٢٨١، وفيها ما بين ذلك.

الصّلات المبنوثة في مثاني الآيات ومطالعها ومقاطعها- إلّا بعد أن يُحكم التّظّر في السّورة كلّها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون مغوّناً له على السّير في تلك التفاصيل عن بيّنة، فقدّمنا قال الأئمّة: «إنّ السّورة مهما تعدّدت قضاياها فهي كلام واحد يتعلّق آخره بأوّلّه، وأوّلّه بآخره، و يترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلّق الجُمْل بعضُها ببعض في القضية الواحدة، وإنّه لا غنى لمتفهّم نظم السّورة عن استيفاء التّظّر في جميعها، كما لا يخفى عن ذلك في أجزاء القضية».

وبهذا تعرف مبلغ الخطأ الذي يتعرّض له التّساظرون في المناسبات بين الآيات، حين يعكفون على بحث تلك الصّلات الجزئية بينها بنظر قريب إلى القضيتين أو القضايا المتجاورة، غاضّين أبصارهم عن هذا التّظام الكلّي الذي وضعت عليه السّورة في جملتها، فكم يجلب هذا التّظر القاصر لصاحبه من جور عن القصد؟ وكم ينأى به عن أروع نواحي الجمال في النّظم، وهل يكون مثله في ذلك إلّا كتمثّل امرئ عرضت عليه حلّة موشية دقيقة الوشي ليتأمّل نقوشها، فجعل ينظر فيها خطّاً خيطاً ورُقعة رُقعة، لا يجاوزه ببصره موضع كَفّه، فلمّا رآها يتجاور فيها الخيط الأبيض والخيط الأسود وخيوط آخر مختلف ألوانها اختلافاً قريباً أو بعيداً، لم يجد فيها من حسن الجوار بين اللّون واللّون ما يروقه ويونقه، ولكنّه لو مدّ بصره أبعد من ذلك إلى طرائف من نقوشها، لرأى من حسن التشاكل بين الجملة والجملة، ما لم يره بين الواحد والواحد، ولتبيّن له من موقع كلّ لون في مجموعته بإزاء كلّ لون في المجموعة الأخرى ما لم يتبيّن له من قبل، حتّى إذا ألقى على الحلّة كلّها نظرة جامعة تنظّم أطرافها وأوساطها، بدا له من تناسق أشكالها ودقّة صنعها ما هو أبهى وأبهى؟ فكذلك ينبغي أن يصنع التّاظر في تدبّره لنظم السّورة من سور القرآن.

١- كافي بكر التّيسابوري، وفخر الدّين الرّازي، وأبي بكر ابن العربي، وبرهان الدّين البقاعي، وأبي أسحاق الشّاطبي في «المواقف»، في المسألة الثالثة عشرة من الكلام على الأدبّة تفصيلاً، وقد عرض فيها سورة المؤمنون عرضاً إجماليّاً.

و كلمة أخرى تمس إليها حاجة الباحث في التسق إذا أقبل على تلك المناسبات الموضوعية بين أجزاء السورة، وهي أن يعلم أن الصلة بين الجزء والجزء لاتعني اتحادهما أو تماثلهما أو تداخلهما أو ما إلى ذلك من الصلات الجنسية حسب، كما ظنه بعض الباحثين في المناسبات، فجعل فريق منهم يذهب في محاولة هذا النوع من الاتصال مذاهب من التكلف والتعسف، وفريق آخر متى لم يجد هذه الصلة من وجه قريب أسرع إلى القول بأن في الموضع اقتضاباً محضاً، جرياً على عادة العرب في الاقتضاب.

ألا إن هذا الرأي بشعبيته لأوغل في الخطأ من سابقه^١، وإن الأخذ به على علته في القرآن لغفلة شديدة عن مستوى البلاغة التي تميز بها القرآن عن سائر الكلام.

فلو أن ذاهباً ذهب يحو تلك الفوارق الطبيعية بين المعاني المختلفة التي ينظمها القرآن في سورة منه، إذأ لجرده من أولى خصائصه، وهي أنه لايسرسل في الحديث عن الجنس الواحد استرسالاً يرده إلى الإطالة المملة، كيف وهو الحديث الذي لايميل؟

ولو أنه - من أجل المحافظة على استقلال هذه المعاني - ذهب يفرقها. ويقطع أرحامها، ويزيل التداعي المعنوي والتظمي من بينها، إذأ لجرده من خاصته الأخرى، وهي أنه لاينتقل في حديثه انتقالاً طفيفاً يخرج به إلى حد المفارقات الصيبانية التي تجمع شتى الأحاديث على غير نظام، والتي لاتدع نفس السامع تستشرف إلى اختتام كلام وافتتاح كلام، كيف وهو

١- بل زعم بعضهم أن الاقتضاب هو الأصل في القرآن كله. نقل السيوطي في «الإتقان» في بحث المناسبة بين الآيات والسور عن أبي العلاء محمد بن غانم أن القرآن إنما وقع على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم. وكذلك نقل عن عز الدين بن عبد السلام أن النظر في مناسبة الآية لايمس إلا في القضية التي نزلت على سبب واحد، أما إذا اختلفت الأسباب فالربط بينها ضرب من التكلف، لأن القرآن نزل في ثيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لايتأني ربط بعضه ببعض اهـ، وقد خالفهما الأئمة وهوها.

٢- وهو تضيق دائرة البحث في المناسبات بالتماسها بين المعاني المتجاورة خاصة، فإذا أضيف إلى ذلك التزام طريق معين في المناسبة، وهو أن تكون من قبيل التجانس المعنوي، زادت المسألة ضيقاً وحرَجاً، ولذلك أفضى هذا الرأي بأصحابه إلى أحد الطرفين المذمومين: التكلف أو المحروج.

القول الرّصين المحكم؟

كلّا، بل الحديث فيه كما علمت ذو شجون، ولكنّه حين يجمع الأجناس المختلفة لا يدعها حتّى يبرزها في صورة مؤتلفة، وحتّى يجعل من اختلافها نفسه قواماً لائتلافها، وهذا التّأليف بين المختلفات ما زال هو «العقدة» التي يطلب حلّها في كلّ فنّ وصنعة جميلة، وهو المقياس الدقيق الذي تقاس به مراتب البراعة ودقّة الذّوق في تلك الفنون والصناعات، فإنّ تقويم التّسق وتعديل المزاج بين الألوان والعناصر الكثيرة أصعب مراساً وأشدّ عناءً منه أجزاء اللّون الواحد والعنصر الواحد.

وعلى هذه القاعدة ترى القرآن يعمد تارةً إلى الأضداد يجاور بينها، فيخرج بذلك محاسنها ومساوئها في أجلى مظاهرها، ويعمد تارةً أخرى إلى الأمور المختلفة في أنفسها من غير تضادّ، فيجعلها تتعاون في احكامها بسوق بعضها إلى بعض مساق التّنظير أو التّفريع، أو الاستشهاد أو الاستنباط، أو التكميل أو الاحتراس، إلى غير ذلك. وربّما جعل اقتران معنيين في الوقوع التاريخي، أو تجاور شيئين في الوضع المكاني، دعامة لاقتترانهما في التّظم، فيحسبه الجاهل بأسباب التّزول وطبيعة المكان خروجاً وما هو بخروج، وإلّا هو إجابة لحاجات النفوس التي تداعى فيها تلك المعاني. فإن لم يكن بين المعنيين نسب ولا صهر بوجه من هذه الوجوه ونحوها، رأيته يتلطف في الانتقال من أحدهما إلى الآخر؛ إمّا بحسن التخلّص والتمهيد، وإمّا بإمالة الصّيغ التّركيبية على وضع يتلاقى فيه المتباعدان، ويتصافح به المتناكران. وهذه كلّها وجوه حسنة لو نظر إليها بين آحاد المعاني لأغنى بعضها عن بعض في إقامة التّسق.

على أنّ روعة التّظم القرآنيّ - كما علمت - لا تقوم دائماً على حُسن التّجاور بين الآحاد، بل ربّما تراه قد أتمّ طائفة من المعاني، ثمّ عاد إلى طائفة أخرى تقابلها، فيكون حُسن الموقع في التّجاور بين الطّائفتين موجباً لحُسن المقابلة بين الأوائل من كلّ منهما، أو بين الأواخر كذلك، لا بين الأوّل من هذه والآخر من تلك. وملاك الأمر في ذلك أن تنظر إلى التّظام المجموعيّ

الذي وضعت عليه السّورة كلّها، كما وصّيناك به من قبل. ونحن ذاكرون لك الآن نموذجًا منه لو وضعته نصب عينيك واحتذيت في سائر السّور، لكان ذلك نغم الدليل في دراستك. وبالله التوفيق... [وذكر «نظام عقد المعاني في سورة البقرة تفصيلًا، وإن شئت فراجع، ثم قال: [تلك هي سورة البقرة أرايت وحدتها في كثرتها؟ أعرفت اتّجاه خطوطها في لوحها؟ أرايت كيف التّحمت لبناتها من غير ملاطٍ يمّسكها، وارتفعت سماؤها بغير عَقدٍ تسندها؟ أرايت كيف انتظم من رأسها وصدورها وأحشائها وأطرافها، لا أقول أحسن دُمية، بل أجمل صورة حيّة، كلّ ذرّة في خليّتها، وكلّ خلية في عضوها، وكلّ عضو في جهازه وكلّ جهاز في جسمه، ينادي بأنّه قد أخذ مكانه المقسوم، وفقًا لخطّ جامع مرسوم، رسمه مربّي النفوس ومزكّيها، ومنورّ العقول وهاديها، ومرشد الأرواح وحاديها. فتالله لو أنّ هذه السّورة ربّبت بعد تمام نزولها، لكان جمع أشتاتها على هذه الصّورة معجزة، فكيف وكلّ نجم منها - كسائر النّجوم في سائر السّور - كان يوضع في رتبته من فور نزوله، وكان يحفظ لغيره مكانًا انتظارًا للحلوله، وهكذا كان ما لم ينزل منها معروف الرّتبة محدّد الموقع قبل أن ينزل؟. ثمّ كيف وقد اختصّت من بين السّور المنجّمة بأنّها حدّدت مواقع نجومها لا قبل نزولها بعام أو بعض عام، بل بتسعة أعوام؟ لعمرى لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب تربيته معجزات، وفي نبوءاته الصّادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كلّ ما استخدمه من حقائق العلوم التّفسّية والكوئيّة (معجزات) ومعجزات، لعمرى إنّه في ترتيب آية على هذا الوجه هو معجزة المعجزات!

الفصل السادس عشر

نصّ الشيخ معرفة (م: ١٤٢٧) في «تلخيص التمهيد»

تلاؤم فرائده وتآلف خرائده

الترباط والتناسق المعنويّ

لا شكّ أنّ حُسْنَ الكلام إنّما هو بالتّناسب القائم بين أجزائه، من مفتتحٍ لطيفٍ وختامٍ مُنِيفٍ، ومقاصد شريفة احتضنها الكلام الواحد، وهكذا كان التّناسب بين آيات الذّكر الحكيم أنيقاً، والتّرباط بين جُمْلِهِ وتراكيبه وثيقاً.

وهذا التّناسب والتّرباط بين أجزاء كلامه تعالى قد يلحظ في ذات آية واحدة من صدر وذيل هي فاصلتها، أو في آيات جمعتها مناسبة واحدة هي التي استدعت نزولهنّ دفعة واحدة في مجموعة آيات يختلف عددهنّ، خمساً أو عشرّاً أو أقلّ أو أكثر.

وقد يلحظ في مجموعة آيات سورة كاملة، باعتبارها مجموعة واحدة ذات هدف واحد أو أهداف متضامّة بعضها إلى بعض، هي التي شكّلت الهيكل العظمى للسّورة ذات العدد الخاصّ من الآيات، فإذا ما اكتمل الهدف وتمّ المقصود، اكتملت السّورة وتمّت أعداد آياتها، الأمر الذي يرتبط مع الهدف المقصود، ومن ثمّ يختلف عدد آيات السّور من قصار وطوال.

وهناك مناسبة زعموها قائمة بين خاتمة كلّ سورة وفاتحة السّورة التالية لها، وقد تكلفها البعض بغير طائل. ولنتنظر في كلّ هذه المناسبات:

تناسب الآيات مع بعضها

كان القرآن نزل نجومًا، وفي فترات لمناسبات قد يختلف بعضها عن بعض وكانت كل مجموعة من الآيات تنزل لمناسبة تخصها تستدعي وجود رابط بينها بالذات، وهو الذي يشكل سياق الآية في مصطلحهم.

و المناسبة القائمة بين كل مجموعة من الآيات مما لا يكاد يخفى، حتى ولو كانت هي مناسبة التضاد، كما أفاده الإمام الزركشي في عدة من السور جاء فيها ذلك... قال: وعادة القرآن إذا ذكر أحكامًا.... [وذكر كما تقدم عنه، ثم قال:]

لكن قد يخفى وجه التناسب، فتقع الحاجة إلى تأمل وتدقيق للوقوف على الجهة الرابطة، لأنه كلام الحكيم، وقد تحذى به، فلا بد أنه عن حكمة بالغة.

من ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾، فقد يقال: أي رابط بين أحكام الأهل وبين حكم إتيان من ظهورها؟

قيل: إنه من باب الاستطراد - وهو الانتقال من قصد إلى آخر لأدنى مناسبة يراه المتكلم أولى بالقصد - وكأنه جعل مبدأ كلامه ذريعة لهذا الانتقال، ولكن بلطف وبراعة، وهو من بدیع البيان^١.

قال الزمخشري: لما ذكر أنها مواقيت للحج، عمد إلى التعرض لمسألة كانت أهم بالعلاج، وهي عادة جاهلية كانت بدعة رذيلة، كان أحدهم إذا أجرم لا يدخل حائطًا ولا دارًا ولا فسطاطًا، فإن كان من أهل المدر نقب في مؤخرة بيته فيدخل ويخرج منه، وإن كان من أهل الوبر جعل خلف خبائه مدخله ومخرجه، ولم يدخلوا من الباب... بدعة

١- البقرة/١٨٩.

٢- قال الأمير العلوي: عليه أكثر القرآن. (الطراز ٣: ١٤).

جاهليّة مقبّية لامبرّر لها... فلما وقع سؤاها عن الأهلّة - وهي مواقيت للنّاس في شؤون حياتهم، وللحجّ بالذّات، ولم يكن كبير فائدة في مثل هذا السّؤال - استغلّه تعالى فرصة مناسبة للتّعرّض لموضع أهمّ، كان الأجدر هو السّؤال عنه، بُغية تركه... على عكس ما كانوا يرونه برّاً، وهو عملٌ تافهٌ مستقبح^١.

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ وعقبه بقوله: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾^٢، فقد يقال: أي رابط بين حادث الإسراء وإتيان موسى الكتاب والتّعرّض لحياة بني إسرائيل؟! وهو أيضاً من الاستطراد البديع، كأنّ المقصود الأقصى تذكير بني إسرائيل بسوء تصرفاتهم في الحياة، وهم في أشرف بقاع الأرض، وفي متناولهم أفضل وسائل الهداية. فبدأ بالكلام عن الإسراء من مكّة المكرّمة إلى القدس الشّريف، وبذلك ناسب الكلام عن هتك هذا الحرم المقدّس على يد أبنائه والذين فضّلوا بالتّشرّف فيه، تأنيباً وليتذكروا. وهو من حسن المدخل ولطف المستهلّ من أروع البديع.

وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَفْجَلَ بِهِ﴾^٣، إذ لا تناسب لها ظاهراً مع سياق السّورة الواردة في أحوال القيامة وأهوالها؛ قال جلال الدّين السيوطي: وجه مناسبتها لأوّل السّورة وآخرها عسر جدّاً^٤.

وفي تفسير الرّازي وجوه لبيان التّناسب، وقد تعسّف فيها، وبهت قدّماء الإماميّة أنّهم قالوا: بأنّ القرآن قد غُيّر وبُدّل وزيد فيه ونُقِصَ عنه، والآية من ذلك^٥.

١- الكشاف ١: ٢٣٤ نقلاً بالمعنى.

٢- الإسراء ١-٢.

٣- القيامة ١٧.

٤- الإيقان ٣: ٣٢٨.

٥- التفسير الكبير ٣٠: ٢٢٢.

لكن نزول القرآن منجماً وفي فترات متلاحقة يدفع الإشكال برأسه، ولا موجب لارتكاب التأويل، ولا سيما مع هذا التعسف الباهت الذي ارتكبه شيخ المتشككين.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَالْيَتَامَىٰ مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^١ لكن لما كانت الآية السابقة لها حديثاً عن إيتاء اليتامى أموالهم، والتهي عن تبدل الخبيث بالطيب، وأن لاتأكلوا أموالهم إلى أموالكم إته كان حوباً كبيراً، فربما كان المتكفلون لأمر اليتامى يتحرّجون التصرف في أموالهم خشية اختلاطه بأموال أنفسهم، فيكون حيفاً لمال اليتيم أحياناً. فكانت قضية الاحتياط في الدين التجنب عن مقاربة أموال اليتامى رأساً، الأمر الذي كان يوجب اختلالاً بشأن اليتامى، فلا يتكفلهم المؤمنون الصالحون.

هذا إلى جنب وقرة اليتيم في ظل الحروب التي شنتها خصوم الإسلام طول التاريخ، فكان تكفل أمر اليتيم ضرورة إيمانية. إذ أفا المخرج من هذا المأزق، والآية نزلت لثري وجهاً من وجوه المخلص؟ ولأجل هذا التخرج جاء السؤال التالي: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾^٢.

فكان الجواب: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَالْجَوَائِكُمْ وَاللَّهُ يُعَلِّمُ الْمُنْكَرَ مِنَ الْمُنْصِلِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ أي هذا واجب فرض، وكل أحد يمكنه المواظبة على ترك الحرام. وأخيراً فلو تعنتم لأخذناكم بتكليف أشق وأعنت، إذ فاسترسلوا في أمركم وشاركوهم في أموالهم كما تشاركون سائر إخوانكم، مع المواظبة على غبطة مصلحة الشريك، فهذا هو خير يعود عليكم نفعه أيضاً.

وأما إذا كانت اليتامى نسوة فطريق المخلص بشأن مخالطة أموالهم أسهل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾^٣

١- النساء/٣.

٢- البقرة/٢٢٠.

٣- النساء/١٢٧.

ففي الآية السابقة ترخيص لنكاحهن ﴿فَالْكَحُّ مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي يتامى النساء اللاتي تحت كفالتكم ﴿مَتْنِي وَثَلَاثَ وَرُبَاعٍ﴾^١، والآية بعد ذلك تستطرد في شؤون شتى، كما هو دأب القرآن.

وعلى آية حال، فالترخيص بهن هي إحدى طرق التخلص من مأزق التخرج في مال اليتيم، إذ المرأة تقض طرفها عن المداقة في مالها المختلط مع مال زوجها المرافق لها الكافل لشؤونها. وهذا خامس الوجوه التي ذكرها الطبرسي في توجيه مناسبة الآية^٢، وهو أحسن الوجوه، وأكثر انسجاماً مع سياق الآية، والله العالم.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾^٣.

قيل: ما هي المناسبة القريبة بين الأمر باستجابة الرسول فيما إذا دعاهم إلى الحياة والتهديد بالحيلولة بين المرء وقلبه؟

وقد أخذت الأشاعرة - وفي مقدمتهم شيخ المتشككين الإمام الرازي^٤ - من هذه الآية - نظراً إلى الذيل - دليلاً على القول بالجبر بأن الله هو الذي يجعل المؤمن مؤمناً والكافر كافراً ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^٥.

وذهب عنهم أن الدعوة في صدر الآية دليل على الاختيار، وحاشا القرآن أن يتناقض كلامه في آية واحدة. وحاول العلماء تفسير الآية بوجوه أدق وأوفى:

منها: أن في القلب نقطة تحولات مفاجئة، قد يتحول الإنسان من حالة إلى أخرى في

١- النساء/٣.

٢- جمع البيان ٦: ٣.

٣- الأنفال/٢٤.

٤- التفسير الكبير ١٥: ١٤٧-١٤٨ و ١٨١-١٨٢.

٥- التحل ٩٣/فاطر ٨.

مصادفة مباغتة، فينقلب الشقي سعيداً أو السعيد شقيّاً، لمواجهة غير مترقبة عارضت مسيرته التي كان عليها، زاعماً عكوفه عليها مدة حياته، ولكن رغم مزعومه أخذ في التراجع والانعطاف إلى خلاف مسيره.

وهذا لخلق الخوف والرجاء وطرده اليأس والغرور، وهذا من أعظم التربية للنفوس البشرية، فلا يأخذها القنوط واليأس إن هي أسرفت في التمرّد والعصيان، ولا يسطو عليها العُجب والغترار إن هي بلغت مدارج الكمال.

ومنها: أن الإسلام دعوة إلى الحياة العليا والسعادة القصوى، كما أن في رفضها والتمرّد عن تعاليمها إماتة للقلوب، وبذلك تموت معالم الإنسانية في النفوس، وتذهب كرامتها أدراج الرياح، وإذا بهذا الإنسان دابة، فبدلاً من أن يمشي على أربع، يمشی على رجلين لا أكثر من ذلك، وفي ذلك هبوط من قمة الشموخ إلى حضيض الهمجية والابتذال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾^١، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَسْأَلُوا اللَّهَ فَأَلْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^٢، وجوه آخر ذكرناها في فصل المتشابهات من الآيات^٣... [ثم ذكر قول سيد قطب في ألوان التناقض الفتي، كما تقدّم عنه، ثم قال:]

وقال الأستاذ درّاز: إن هذه النقطة غفل عنها جميع المستشرقين، فضلاً عن بعض علماء المسلمين، فعندما لاحظ بعضهم بنظرته السطحية عدم توافر التجانس والربط الطبيعي بين المواد التي تتناولها السور، لم ير القرآن إلا أشتاتاً من الأفكار المتنوعة، عُولجت بطريقة غير منظمة، بينما رأى الآخر أن علّة هذا التشيت المزعوم ترجع إلى الحاجة إلى تخفيف الملل الناتج من رتابة الأسلوب. وهناك فريق آخر لم يري في الوحدة الأدبية لكل سورة - وما لا يستحيل نقله في آية ترجمة - إلا نوعاً من التعويض لهذا النقص الجوهري في وحدة

١- الأعراف/١٧٦.

٢- الحشر/١٩.

٣- راجع التمهيد في علوم القرآن ٣: ٢٣٩-٢٥٢ تحت رقم ١٨٠ الطبعة الثانية.

المعنى. وفريق آخر - يضمّ غالبية المستشرقين - رأى أنّ هذا العيب يرجع إلى الصحابة الذين جمعوا القرآن، وقاموا بهذا الخلط عندما جمعوا أجزاءه وربّوها على شكل سور. قال: إنّ هذه التفسيرات لا تبدو صالحة للأخذ بها، إذ من المتفق عليه أنّ السور كانت بالشكل الذي نقرأها به اليوم، وبتركيبتها الحاليّة، منذ حياة الرسول ﷺ. قال: ولقد اتّضح أنّ هناك تخطيطاً واضحاً ومحدّداً للسورة، يتكوّن من ديباجة وموضوع وخاتمة، ولا جدال في أنّ طريقة القرآن هذه ليس لها مثيل على الإطلاق في أيّ كتاب في الأدب أو في أيّ مجال آخر، يمكن أن يكون قد تمّ تأليفه على هذا النحو. وإذا كانت السور القرآنيّة من نتاج ظروف النزول تكون وحدتها المنطقيّة والأدبيّة معجزات المعجزات^١.

التناسب القائم في كلّ سورة بالذات

الوحدة الموضوعيّة

وتمّا سترعى الانتباه ما تشتمل عليه كلّ سورة من أهداف خاصّة تستهدفها لغرض الإيفاء بها وأداء ما فيها من رسالة بالذات، الأمر الذي يوجّه مصير انتخابها في كميّة لحن الأداء وفي كميّة عدد الآيات. ينبثق بذلك اختلاف السور في عدد الآي، قليلها وكثيرها، فما لم تستوف الهدف لم تكتمل السورة، قصرت أم طالت. وهكذا اختلاف لهجاتها من شديدة فمعتدلة وإلى ليّنة خفيفة، فلا بدّ من حكمة مقتضية لهذا التنوع في العدد واللحن، لأنّه من صنّع عليهم حكيم.

هذا مضافاً إلى ما لكلّ سورة من حُسن مطلع و لطف ختام، فلا بدّ أن تحتضن مقاصد هي متلائمة مع هذا البدء والختام، وبذلك يتمّ حُسن الالتفاف والانسجام. ومن ثمّ فمن الضّرورة - بمقتضى الحكمة - أن تشتمل كلّ سورة على نظام خاصّ

١ - المدخل إلى القرآن الكريم (أهداف كلّ سورة: عبدالله محمود شحاته: ٥-٦).

يستوعب تمام السّورة من مفتحتها حتّى نهاية المطاف، وهذا هو الذي اصطلحوا عليه من الوحدة الموضوعيّة الّتي تحتضنها كلّ سورة بذاتها.

ولسيد قطب محاولة موفّقة - إلى حدّ ما - في سبيل الإحاطة بما تشتمل عليه كلّ سورة من أهداف، يقدّم فكرة عامّة عن السّورة بين يدي تفسيرها، وبيّاناً إجمالياً عن مقاصد السّورة قبل الورود في التفصيل، ممّا يدلّ على تسلسل طبيعيّ في كلّ سورة تنتقل خلاله من غرض إلى غرض حتّى تنتهي إلى تمام المقصود تناسّقاً معنوياً رتيباً، تنبّه له المتأخّرون في كلّ سورة بالذّات. ولم يزل العمل مستمرّاً في البلوغ إلى هذا الهدف البلاغيّ البديع في جميع السّور، لكن يجب التّريث دون التّسرّع، ونحن في بداية المرحلة، فلا يكون هناك تكلف أو تمحّل لضرورة إليه.

وقال الأستاذ المدني: إنّ في كلّ سورة من سور القرآن الكريم روحاً تُسري في آياتها، وتُسيطر على مبادئها وأحكامها وتوجيهاتها وأسلوبها. قال: ومن الواضح أنّ سور القرآن - مع كون كلّ واحدة منها ذات طابع خاصّ وروح تُسري في نواحيها - لا يمكن أن تعدّ فصولاً أو أبواباً مقسّمة منسّقة على غمط التّأليف الّتي يؤلّفها النّاس، ومن أراد أن يفهمها على ذلك أو أن يفسّرها على ذلك، فإنّه يكون متكلّفاً مشتطّاً، محاولاً أن يخرج بالقرآن عن أسلوبه الخاصّ الّذي هو التّنقّل والمراوحة والتّجول، وبثّ العظة في تضاعيف القول، والوقوف عند العبرة لتجليتها، والتّوجّه إلى مغزاها، وانتهاز الفرصة أينما واتت، لدغم العقيدة السّليمة والمبادئ القويّة.

إنّ هناك فرقاً بين من يحاول أن يفعل ذلك، ومن يحاول أن يجعل القارئ يلمح الرّوح السّاري والبيئة المعنويّة الخاصّة الّتي تجول فيها السّورة دون أن يخرج التّنزيل الحكيم عن سنّته وأسلوبه الّذي انفرد به، وكان من أهمّ نواحي الإعجاز فيه.

وهذه الطّريقة في الدّراسة القرآنيّة أجدى على النّاس من تتبّع الآيات آية بعد آية، فإنّ ذلك لا يعطي المنظر العامّ، ولا يساعد على تصوّر عظمة الصّورة مجتمعة الملامح، منضمة

التّقاسيم، كاملة الوضع^١.

و بعد فالإليك غمّاذج من محاولات بُذلت للحصول على تلك الوحدات الموضوعيّة التي تشتمل عليها كلّ سورة لذاتها، بحيث كادت تقرب من نظم التّأليف من ديباجة و مقاصد و خاتمة في تبويب رتيب، حصولاً على قدر الجهد المبذول، والله من وراء القصد.

سورة الفاتحة: ما يشتمل عليه هذه السّورة القصيرة من نظم و ترتيب طبيعيّ، هو من أبدع النّظم التي تصوّر موقف العبد تجاه ربّه الكريم في ضراعة و خشوع، و مسترحماً مبتهلاً إيّاه تعالى أن يهديه سواء السّبيل، و ينعم عليه بأفضل نعمة و آلائه في أسلوب جميل و سبك طريف.

إنّ هذه السّورة المباركة انتظمت من ثلاثة مقاطع، كلّ مقطع مرحلة هي مقدّمة للمرحلة التالية في تدرّج رتيب، و يتمثّل خلالها أدب العبد المائل بين يدي مولاه، تلك مراحل يجتازها في إناقه يريد مسألته، يمجّده أولاً، ثمّ ينقطع إليه كمال الانقطاع، و أخيراً يعرض حاجته في أسلوب لطيف، ينتقل من الغيبة إلى الخطاب، و كأنّه كان في حجاب عن وجه سيّده المتفضّل عليه بالإنعام، ثمّ مثّل بين يديه و حُظي بالحضور.

قالوا: إنّ العبد إذا افتتح حمد مولاه الحقيقي بالحمد - عن قلب حاضر و نفس ذاكرة لما هو فيه بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الدّالّ على اختصاصه بالحمد، و أنّه حقيق به - وجد من نفسه لا محالة محرّكاً للإقبال عليه.

فإذا انتقل على نحو الافتتاح إلى قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ - الدّالّ على أنّه مالك للعالمين، لا يخرج منهم شيء عن ملكوته و ربوبيّته - قوي ذلك المحرّك.

ثمّ انتقل إلى قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الدّالّ على أنّه منعم بأنواع النعم جلالتها و دقائقها، تضاعفت قوّة ذلك المحرّك.

١ - المجمع الإسلاميّ كما تنظّمه سورة التّساء لمحمّد محمّد المدني: ٧-٥. (الأهداف: ٧)

٢ - الزّحزحريّ في الكشف: ١: ١٤.

ثم إذا انتقل إلى خاتمة هذه الصفات العظام، وهي قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الدال على أنه مالك للأمر كله يوم الجزاء، تناهت قوته، وأوجب الإقبال عليه وخطابه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات: ﴿إِنِّي أَنَا نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ﴾ وهذا كمال الانقطاع بيديه العبد لدى مولاه، يهد بها أسباب الشفاعة، فيردفها مع عرض حاجته، بعية قضائها ونجاحها، والتوفيق يرافقه لا محالة.

وسورة البقرة - وهي أول سورة نزلت بالمدينة، واكتملت لعدة سنوات، ونزلت خلالها سور وآيات - تراها على طولها، منتظمة على أسلوب رتيب، مقدمة لا بد منها، ثم دعوة، وأخيراً تشريع^١.

أما المقدمة، ففي بيان طوائف الناس ومواقفهم تجاه الدعوة إما متعهد يخضع للحق الصريح، أو معاند يمحذ بأيات الله، أو منافق يراوغ مراوغة الكلاب. أما الشك فلا مجال له بعد وضوح الحق وفور دلائله، وقد نفاه القرآن الكريم ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. وقد أعلن الدعوة بتوجيه نداء عام إلى كافة الناس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ^٢، ودعمها بدلائل وبراهين نيرة، مستشهداً بسابق حياة الإنسان منذ بدء الخلقة، وتصرفاته الغاشمة في الحياة، ولا سيما حياة بني إسرائيل السوداء المليئة بالمخازي والآثام، وهي الأمة الوحيدة التي تعرفها العرب، ولهم معها نسب قريب.

ثم يأتي دور التشريع^٣ ويتقدمه الحديث عن الكعبة وتشريفها، وبيان التسخ والإنساء في الشرائع، فيبتدئ بتحويل القبلة^٤ وتشريع الحجّ والمجاهد والقتال في سبيل الله، والصوم والزكاة والاعتكاف، والتكاح والطلاق والعدد، والمحيض والرضاع والإيمان، والوصية

١- المقدمة في (٢٠) آية، والدعوة في قريب من (١٢٤) آية والتشريع (١٤٢).

٢- البقرة/ ٢١.

٣- من الآية رقم ١٢٥.

٤- الآية رقم ١٤٤.

والدين والربا، والتجارة الحاضرة، وبذلك تنتهي السورة. هذه هي الصبغة العامة للسورة، وفي ضمنها الاستطراق إلى عدة مواضع بالمناسبة، كما هي طريقة القرآن في جمعه لشتات الأمور.

وفي ختام السورة^١ جاء الحديث عن ملكوت السماوات والأرض، وعلمه تعالى بما في الصدور فيحاسب العباد عليه، وعن إيمان الرسول بما أنزل إليه، والمؤمنون على أثره، وأن لا تكليف بغير المستطاع، ولا بد من الاستغفار على الخطايا وطلب فضله تعالى ورحمته في نهاية المطاف.

والمناسبة ظاهرة بعد ذلك التفصيل عن دلائل الدعوة ومعالم التشريع. وقد جهد الإمام الرازي في بيان التظم القائم بين هذه الآيات الثلاث بالذات وما سبقتها من دلائل التوحيد وتشريع الأحكام، وذكر في ذلك وجوها لا بأس بها نسبياً، وعقبها بقوله... [وذكر كما تقدم عن البقاعي، ثم قال:]

والآيتان الأخيرتان منها قوله تعالى: ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكُوتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...﴾^٢.

انظر كيف تناسق البدء والختام، وكيف تجمعت مواضع السورة وأهدافها، ملخصة في آخر بيان، ليتأكد أولها وآخرها بهذا الشكل البديع؟!

ولعلنا في مجال أت نعرض سوراً أخرى تكشف لنا وجه التناسب القائم فيها في عدد آياتها الخاص ولحنها الخاص إن شاء الله تعالى، ولا تزال المحاولات دائبة في هذا التّكشّف بوجه عام.

تناسب السور

الثابت من ضرورة الربط والتناسب المعنوي هو ما بين آيات نزلن معاً أو القوائم على

١- الآيات رقم ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦.

٢- البقرة/ ٢٨٥.

أكتاف السّورة، وهي الوحدة الموضوعيّة الجامعة بين أهدافها ومقاصدها، كما أسلفنا.
 أمّا التناسب بين السُّور بعضها مع بعض - حسب ترتيبها الرَّاهن في المصحف الشريف -
 فلا ضرورة تدعو إليه، وإن تكلفه أناس، إذ هذا التّظّم السُّوريّ القائم شيء صنّعه أصحاب
 الجمع بعد وفاة الرّسول ﷺ، ليس مستنداً إلى وحي السّماء، حسبما قدّمنا.
 فمن التّكلف الباهت محاولة اختلاق التناسب بين خواتيم السُّور ومفتحات السُّور
 التّالية لها، لأنّه التزام بما لا يلزم، فضلاً عن كونه تعسفاً في الرّأي والاختيار.
 وأوّل من استنكر زعم التناسب بين السُّور - فيما نعلم - هو سلطان العلماء الشّيخ
 عزّ الدّين عبدالعزيز بن عبد السّلام (توفي سنة ٦٦٠) قال ... [وذكر كما تقدّم عن الزّر كشيء،
 ثمّ ذكر قول الملوّي وتوجيه الزّر كشيء لكلامه وعقب أيضاً تناسب بعض السُّور، كما تقدّم
 عن الزّر كشيء، فقال:]

هذا كلامه المتكلف فيه تكلفاً ظاهراً، ومع ذلك فهو من خير ما قيل في هذا الشّأن. أمّا من
 تأخّر عنه كجلال الدّين السيوطي وزميله برهان الدّين البقاعي وأضرابهما، فقد زادوا تمحلاً
 في تكلف وأتوا بغرائب الكلام.

هذا جلال الدّين السيوطي مع سعة باعه وكثرة أطلاعه نراه قد هبط في هذا الاختيار إلى
 حدّ بعيد، يختار أوّلاً فيما زعم ما قاله البيهقي: إنّ ترتيب كلّ السُّور توقيفيّ وقع بأمر
 من الرّسول ﷺ، سوى سورتي الأنفال والتوبة، فإنّ ترتيبهما - حسبما زعم - من صنّع
 عثمان بن عفّان، قال: وقد استقرّ التّوقيف في العرصة الأخيرة - الّتي عرض القرآن فيها على
 رسول الله - على القراءات العثمانيّة!

ثمّ يعتمد ما ذكره بعضهم: أنّ لترتيب وضع السُّور في المصحف أسراراً دقيقة وأسباباً
 حكيمة، تطلع على أنّه توقيفيّ صادر عن حكيم... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

قلت: ولعلّ أذهاننا كلّت عن فهم هذه الأسرار الّتي نقلها عن بعضهم وأعجبتهم.
 وعلى أيّة حال، فإنّاه يعترض على نفسه باختلاف ما بين مصاحف الأصحاب، كمصحف

ابن مسعود مع مُصَحَّف أَبِي بَن كعب، و لو كان توقيفًا لَمَا وقع بينهما اختلاف، كما لم يقع اختلاف في ترتيب الآيات ضمن السُّور.

ثمَّ يبتهج بما منَّ الله عليه بالإلهام بجواب نفيس، وهو أنَّ القرآن وقع فيه نسخٌ كثيرٌ حتَّى لِسُورٍ كاملة، فلا عجب أن يكون الترتيب العثماني هو الَّذي استقرَّ في العرصة الأخيرة، ولم يبلغ ذلك كبار الصحابة وحُفَظ القرآن أمثال عبدالله بن مسعود وأبي بَن كعب! (يا لَهُ مِنْ زَعْمٍ فَاسِدٍ ورأي كاسِدٍ).

وأخيرًا يأخذ في شرح التناصب القائم بين السُّور في ترتيبها الحاضر سورة سورة من الفاتحة حتَّى نهاية القرآن، وأكثره تكلفٌ وتحلٌ وسفاسف فارغة، فمما قاله بهذا الشأن: إنَّ سورة الحمد تضمَّنت الإقرار بالربوبية، وسورة البقرة تضمَّنت قواعد الدين، وآل عمران مكملَّة لمقصودها، فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل، وآل عمران بمنزل الجواب عن الشبهات. وأما سورة النساء فتضمَّنت أحكام الأسباب (الروابط) الَّتِي بين النَّاس، وأما سورة المائدة فسورة العقود.

ويُقل عن الخوي^١: أنَّ أوائل سورة البقرة مناسبة لآخر سورة الحمد، قال: فقد ظهر لي بحمد الله وجوهاً من هذه المناسبات، منها: أنَّ القاعدة الَّتِي استقرَّ بها القرآن أنَّ كلَّ سورة لاحقة هي تفصيل لإجمال ما وقع في السُّورة قبلها، وشرح له وإطناب لإيجازه، وقد استقرَّ معي ذلك في غالب السُّور طويلاً وقصيراً!

وهكذا يستمرُّ في معجماته مكرِّراً قوله: ظهر لي، ظهر لي، إلى حدِّ الإسراف المملِّ الخارج عن التهج السَّوي، والله العاصم^٢.

وهذا معاصره المتقدِّم عليه، برهان الدِّين إبراهيم بن عمر البقاعي، وضع تفسيره

١ - بضمَّ الحاء وفتح الواو وتشديد الياء المكسورة، ونسبة إلى (خوي) من أعمال آذربيجان، هو محمَّد بن أحمد أبو عبدالله شهاب الدِّين، قاضي دمشق (توفي سنة ٦٩٣هـ).

٢ - راجع كتابه: «تناسق الدُّرَر في تناسب السُّور» طبع باسم «أسرار ترتيب القرآن».

المُطَنَّب على نفس الأساس، لبيان ما بين الآيات كلّها والسُّور من التَّنَاسُب والرِّبْط المزعوم، وأسماء «نظم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّور» وأسهب فيه، وأتى في تكلفاته بما يفوق الإسراف!

مثلاً يزعم في همزة الاستعاذة أنها إشارة إلى ابتداء الخلق، والميم في آخرها من الرَّحِيم إشارة إلى المعاد. أمّا البَسْمَلَةُ فكُلُّها إشارة إلى المعاد، لا ابتدائها بحرف شفويّ (باء) وختمها بالميم من الرَّحِيم، قال: ولما افتتح التَّعوذ بالهمزة - إشارة إلى ابتداء الخلق - وختم بالميم - إيماء إلى المعاد - جُعِلَت البَسْمَلَةُ كُلُّها للمعاد، لا ابتدائها بحرف شفويّ^١.

هكذا وبهذا الأسلوب يفتتح كلامه في بيان وجه التَّنَاسُب بين الآيات والسُّور! ومن مزاعمه أيضاً قوله بالتَّنَاسُب الدَّوْرِيّ بين السُّور، بمعنى أن آخر سورة من القرآن أيضاً تتناسب مع الفاتحة، لو وصل القارئ ختم القرآن بالشروع فيه. وهكذا تتناسب السُّور في ترتيبها بلا وقفة ولا انتهاء، فكأنها حلقة مفرغة يدور فيها القارئ في تلاوته، لا بدء ولا ختم، قال: وبه يتضح أنه لا وقف تامّ في كتاب الله، ولا على آخر سورة النَّاس، بل هي متّصلة - مع كونها آخر القرآن - بالفاتحة الَّتِي هي أوَّلُه، كاتِّصالها (أي سورة النَّاس) بما قبلها، بل أشدّ. وذكر في وجه الأشدّيّة أنه كما يتناسب التَّعوذ مع الشُّرُوع في القراءة، كذلك تتناسب المَعُوذَتَان مع الفاتحة، قال: ومن هنا تعرف مناسبة المَعُوذَتَيْن بالفاتحة^٢.

هكذا وبهذه العقلية الهزيلة يسترسل في توهّماته بشأن تناسب السُّور والآيات سورة سورة، وآية آية حتّى نهاية القرآن.

تلك أُمَّة قد خلت، لها ما تخرّصت بالغيب، ولكن ما لنا واتباع طريقتهم العمياء تقليدياً ومن غير تحقيق وإمعان؟! هذا الإمام الطَّبْرَسِيّ أبو عليّ الفضل بن الحسن صاحب التفسير

١ - نظم الدُّرَر ١: ٢٢.

٢ - نفس المصدر ١: ١٥.

القيّم «مجمع البيان»، نراه يتّبع خطوات أشياخ أمثال البقاعي، فيذكر مناسبات السُّور سورة سورة، ويرتكب في ذلك تكلّفات بعيدة لا مبرّر لها ولا ضرورة تدعو إليه... [وذكر نماذج من تناسب بعض السُّور بما قبلها، كما تقدّم عنه، فقال:]

هكذا وبهذا الأسلوب يحاول ربط خواتيم السُّور بفواتح السُّور بعدها. والشّيء الغريب الذي يبدو من كلامه زعم كون الترتيب الحاضر هو ترتيب التّزول، بأنّه يقول: لمّا ختم الله سورة كذا بكذا، افتتح السُّورة بعدها بكذا! الأمر الذي يخالف إجماع الأمة على أنّه ترتيب يخالف ترتيب التّزول قطعاً. وقد تعرّض هو أيضاً لترتيب التّزول وفق المشهور، فلماذا غفل عنه عند اختلاق التناسبات؟!

ولم نجد من رافقه في مسلكه هذا في تناسب السُّور من علماء ومحقّقين سوى بعض من راقته الأفكار السّلفيّة إذا ما حلّيت بثوب قشيب. فقد زعم الأستاذ «شريعتي» أنّ الترتيب الحاضر في المصحّف الشريف بين سورّه هو شيء صنعه الرّسول ﷺ، قال: ونحن نعتقد أنّ الترتيب القائم بهذه الصّورة الحاضرة هو فعله تعالى^١.

وزعم أنّ الرّسول ﷺ هو الذي كان يعيّن موضع السُّورة قبل وبعد آية سورة. وعدّ من أدلّته على ذلك التناسب والترابط الذي بين خاتمة كلّ سورة وفاتحة تاليتها، الأمر الذي يشتمل على أسرار ورموز لا يمكن الإحاطة بها سوى علام الغيوب، قال: وقد صنف كلّ من برهان الدّين البقاعي، وجلال الدّين السيوطي، كتاباً بهذا الشّأن، كشفوا عن كثير من أسرار هذا التناسب السُّوري، ولا يزال تقدّم الزّمان يكشف عن حكم وأسرار جديدة، ممّا يدلّ على أنّ البشريّة كانت قاصرة عن إمكان القيام بهذه المهمّة الخطيرة، المشتعلة على أسرار وحكم تنبّك عن صنّع عليم حكيم، وهو وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم^٢.

١- تفسير «توئين»: ٤٢٧.

٢- تفسير «توئين»: ١٩- ٢٠.

وبالفعل نراه اكتشف أسراراً جديدة أودعها في تفسيره الحديث «نوين»^١، من ذلك قوله - بشأن سورة التاس - : ليس في القرآن سورة هي أمس بموضعها الخاص من هذه السورة بالذات، صورة ومعنى، أما الصورة فلسلاستها على اللسان ولا سيما على الناشئين. وأما المعنى فلأنه كما ينبغي الاستعاذة بالله من شر الشيطان عند تلاوة القرآن والأخذ بآدابه الكريمة - طلباً للتوفيق في التعلم - كذلك ينبغي الاستعاذة بالله من وساوسه بعد الفراغ من القراءة لأجل التوفيق على العمل به^٢.

قلت: ولماذا لم توضع المعوذتان في فاتحة الكتاب؟ أو لا أقل من وضع إحداها في البدء والأخرى في الختم؟! وهل ورد في الشريعة استحباب الاستعاذة بعد الفراغ من قراءة القرآن؟ فياترى كيف ابتدعه الأستاذ شريعتي؟! وتخربات هذا القبيل كثيرة في كلامه زعمهم اكتشافات!

(٢: ٢٨٩-٣٣٠)

١- «نوين»: كلمة فارسية ترجمتها «الجديد».

٢- تفسير «نوين»: ٤٢٧.

الفصل السابع عشر

نص المدرسيّ (معاصر) في «من هدى القرآن»

التدبر والسياق القرآنيّ

للسياق دورٌ كبيرٌ في بيان الواقع العلميّ للقرآن، والسبب أن القرآن يلاحظ ارتباط آية بأخرى ملاحظة دقيقة. ولا تتلاحق الآيات ولا الكلمات داخل آية واحدة إلا بإحدى علاقتين: علاقة علميّة أو تربويّة.

١ - العلاقة العلميّة

القرآن يعكس واقع ارتباط حقيقة بأخرى فيذكرهما مع بعض، فمثلاً يقول الله سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾^١. إن علاقة الاستغفار من الذنب بتوحيد الله علاقة واقعيّة تفرضها الحقيقة الربانيّة من جهة، والعبوديّة من جهة ثانية، إذ أن العقيدة بأحديّة الله توجب العقيدة بعبوديّة الله، وواضح أن العبد يجب أن يخضع لله.

وتأمّاماً مثل هذه العلاقة موجودة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^٢، فعلاقة عبادة الله بتوحيده أمر واقعيّ من جهة أن على العبد مسؤوليّة العبادة لله الواحد.

و كذلك علاقة آيتين ببعضهما في مثل قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي

١ - محمد / ١٩.

٢ - الأنبياء / ٢٥.

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ^١، فعلاقة الآية الأولى بالثانية ناشئة من وجود ارتباط بين صفات المنافقين، فهم من جهة يَمَقُّون كلامهم، وهم من جهة ثانية يفسدون في الأرض. إن القرآن يتحدث إلينا عن نموذج من الناس، لذلك يذكر كل صفاتهم ولا تنموصفة فيهم دون وجود أخرى.

إن هذه العلاقة نجدها في أواخر الآيات التي تنتهي في كثير من الأحيان بذكر صفة أو صفتين لله سبحانه، ترتبط بنوع المضمون المذكور في الآية، فمثلاً نجد في هذه الآيات الكريمة مدى ارتباط آخر الآية بمضمونها (ارتباطاً واقعياً)؛ يقول الله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ^٢﴾، فالولي الذي يحب عباده ينزل عليهم الغيث، والحميد ينشر عليهم رحمته، فهناك علاقة وثيقة بين الولاية ونزول الغيث والحمد ونشر الرحمة.

وكانت العرب ترى وجود هذه العلاقة وتستنبط منها أشياء وأشياء، فمرة سمع أعرابي رجلاً يتلو آية هكذا: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)!

فقال له: أخطأت! قال: وكيف؟ قال: إن المغفرة والرحمة لاتناسبان قطع يد السارق! فتذكر الرجل الآية وقال: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^٣﴾، فقال الأعرابي: نعم، بعزته أخذها وبحكمته قطعها إنه عرف كيف يجب أن تكون نهاية الآية متناسبة مع بدايتها من ناحية العلاقة الواقعية.

٢- العلاقة التربوية

بما أن القرآن كتاب تربية، وبما أن صفات النفس ترتبط ببعضها، فإن القرآن المجيد يلاحظ

١- البقرة/ ٢٠٤- ٢٠٥.

٢- الشورى/ ٢٨.

٣- المائدة/ ٣٨.

النفس البشريّة بما يصلحها من التوجيهات، إن طفت - إفراطاً صفة عليها، عاجلها بحكمة. فإن طفت - تفريطاً - عاجلها بحكمة أخرى، ولا يزال يعدلها حتّى تتحوّل إلى نفس سويّة.

ونستفيد من دراسة علاقة الآيات التربويّة ببعضها، نستفيد علمًا بمحيّنة النفوس، ومعرفة بالقوانين التربويّة التي تتحكّم فيها. وكمثل لهذه العلاقة نذكر قوله سبحانه: ﴿وَالْفُقُورِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^١ إنّ جُمْل هذه الآية ثلاث: الأولى في الإنفاق، والثانية في التهي عن إلقاء النفس في التهلكة، والثالثة في الإحسان، فما هي علاقتها ببعضها؟

أول ما أمر الله بالإنفاق توجّهت النفوس إليه، فكانت مخافة التقصير في الإنفاق. فجاءت الجملة الثانية تنهى عن التهلكة التي تتمّ إذا ترك الإنفاق، وحيث إنّ النفوس مفضولة على البخل، كان من الضروريّ ترجيح كفة الإنفاق، لمقابلة الشحّ الطبعي عند البشر، فجاءت الجملة الثالثة ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وربّما نستنبط من سياق الآية المباركة أنّ هناك درجتين في الإنفاق: الإنفاق الذي لولاه يهلك الإنسان ويكون بمثابة الإنفاق على الدّواء، وقد أمر به الجزء الأوّل من الآية، والإنفاق الإضافي الذي يقوم به المحسنون، وقد أمر به الجزء الثاني من الآية. (١: ٦٢-٦٥)

الفصل الثامن عشر

نصُّ البُستانيّ (معاصر) في «التفسير البنائيّ للقرآن الكريم»

[وحدة العامة للسُّور القرآنيّة وعلاقتها]

يُلاحظ أنّ الدّراسات الّتي تناولت القرآن الكريم لم تتوفّر على دراسة سُورَه من حيث العمارة الّتي تنتظم السّورة الكريمة، أي لم تناول السّورة بصفّتها مجموعة من الآيات الّتي ترتبط إحداها مع الأخرى، مع أنّ المسوّغ لمثل هذه الدّراسة يفرض ضرورته على المعنيين بشؤون القرآن الكريم، نظرًا إلى كون القرآن قد انتظم في (سُور)، ولم يكن مجرد آيات أمّلتها مناسبات خاصّة، وعندما تنتظم مجموعة من الآيات في سورة خاصّة، فلا بدّ حينئذٍ من أن تكون هذه الآيات المجمّعة في سورة دون غيرها من الآيات، لا بدّ أن تكون هذه الآيات خصوصيّة من حيث تناسب بعضها مع الآخر، وإلاّ لم تكن هناك ضرورة بأن يأمر النبيّ ﷺ كتاب الوحي بأن يضعوا هذه الآية أو تلك في السّورة الفلانيّة أو بجانب الآية الفلانيّة، كلّ ذلك يعني أنّ وضع الآيات في سورة خاصّة وتحديد مكان الآية من السّورة أو الآيات الأخرى، كلّ ذلك يعني أنّ السّورة هي هيكل أو بناء قد حُطّط له بدقّة وإتقان، وأنّ لهذا التخطيط فلسفته أو نكاته الفكريّة.

والسرّ في ذلك هو أنّ قراءة النّصّ (أو مواجهة آية تجربة) لا تنحصر آثارها على المتلقّي في جزئياتها فحسب، بل أنّ الانطباق العامّ أو الأثر العامّ الّذي تتركه القراءة لنصّ له أهيمته أيضًا، فكما أنّ البحث العلميّ مثلاً أو الخطبة الجماهيريّة أو التحليل التّفسيّ يراعي طبيعة

الشخص وطريقة إدراكه للأمور، ويخضع لقوانين خاصّة في الاستجابة للأشياء مثل إدراكه للمجمل أو لا ثمّ للمفصل أو العكس، ومثل التدرّج بمشاعره وأفكاره من البسيط إلى المعقد ... إلخ، كلّ أو لكّ لها أهميّتها من حيث الهدف الذي يرسمه النّصّ، فإذا كان هدف هذه السّورة القرآنيّة أو تلك هو تعديل سلوك الإنسان بالنّسبة إلى علاقته مع الآخرين مثلاً، حينئذٍ فإنّ قراءة سورة (كالحجّرات مثلاً) سوف تترك أثراً عاماً بعد الانتهاء من قراءتها بنحو قد لا يتحسّسه القارئ، ولكنّ النّصّ نظراً إلى معرفته بطرائق التأثير، حينئذٍ فإنّه يسلك أساليب خاصّة من حيث التّقديم والتّأخير لهذه الآية أو تلك أو لهذا الموضوع أو ذاك، ومن حيث طرحه وفق أسلوب الرّغبة أو الرّهبة أو ... إلخ، ليتحقّق من خلال ذلك هدفه الفكريّ في النّصّ.

إنّ هذه الأسباب وغيرها تجعل لمعرفة أو لدراسة السّورة القرآنيّة— من حيث كونها عمارة خاصّة ترتبط آياتها وأفكارها وموضوعاتها بعضها مع الآخر— أهميّة خاصّة، ومن ثمّ فإنّ هذه الأسباب دفعتنا إلى محاولة دراسة القرآن الكريم من خلال العمارات الّتي تنتظم سورّه. طبعياً أنّ تناول السّورة القرآنيّة الكريمة من حيث عمارتها يتمّ وفق أسلوبيّين: أحدهما— الوقوف عند السّمات الفكرية أو الموضوعيّة الّتي تربط الآيات بعضها مع الآخر.

والثّاني— الوقوف عند السّمات (الفنّيّة) أيضاً، أي ملاحظة مجموع السّورة من حيث بدايتها ووسطها ونهايتها من جانب، ثمّ علاقة كلّ آية بما سبقها ولحقها من جانب ثانٍ، ثمّ (وهذا هو المائز الملحوظ بين الدّراسة الفنّيّة وغيرها) ملاحظة العناصر القصصيّة واللفظيّة والصّوريّة والإيقاعيّة وغيرها من العناصر الّتي تنتظم التّصوص الأدبيّة وتميّزها عن النّصّ العلميّ الصّرف، ملاحظة هذه العناصر ومدى إسهامها في عمليّة الرّبط بين أجزاء السّورة، ثمّ كيفية توظيفها من أجل إنارة الفكرة الّتي يتضمّنها النّصّ.

إنّ الدّراسة الّتي توفّرنا عليها تُعني بالسّمات (الفنّيّة) إلى جانب السّمات الفكرية، حيث

لا ينفصل أحدها عن الآخر، وقد حاولنا - ما أمكن - أن نبرز (الوحدة العامة) التي تحكم السورة، حيث يُنظر إليها من زوايا متنوعة، منها:

١- من حيث الموضوعات والأهداف: فالسورة الكريمة تتخذ أحد الأبنية الآتية من حيث علاقة موضوعاتها بالأفكار المطروحة فيها:

وحدة الفكرة ووحدة الموضوع، وحدة الفكرة وتعدد الموضوع.

وحدة الموضوع وتعدد الفكرة، تعدد الفكرة وتعدد الموضوع.

٢- من حيث الأشكال: تتخذ السورة واحداً من الأبنية التالية:

البناء الأفقي: وهو أن تبدأ السورة بموضوع وتختتم بالموضوع ذاته عبر سلسلة من الموضوعات المتنوعة.

البناء الطولي: وهو أن تبدأ السورة بموضوع تتدرج في عرضه، بحيث يُختم الموضوع مع نهاية السورة.

البناء المقطعي: وهو أن تطرح السورة جملة من الموضوعات، تنتهي كل واحد منها بآية أو أكثر تكرر في المقاطع جميعاً، مثل: ﴿فَبَايَ الْأَئِمَّةِ كَيْفَ تُكَذِّبَانِ﴾^١.

٣- من حيث العلاقات: تتخذ السورة واحدة من العلاقات الآتية:

السببية: ويقصد بها أن الموضوعات في السورة يترتب أحدها على الآخر على نحو (السببية) بحيث يكون الموضوع (سبباً) للاحقه، و (مسبباً) عن سابقه.

التطور: ويقصد به أن الموضوع ينتقل أو يتحول أو يتطور من مرحلة إلى أخرى، كما يتنامى الثبات ويقطع مراحل متنوعة حتى يصل إلى نهاية غموة.

التجانس: ويقصد به مجانسة كل عنصر من عناصر النص مع الآخر، أي مجانسة الموضوعات مع الأفكار بالنسبة إلى الأدوات الفنية المستخدمة كعنصر القصة والصورة

والإيقاع، و... إلخ.

هذه المستويات من (الوحدة) التي تنتظم عمارة السّورة الكريمة، حاولنا أن نقف عندها مفصّلاً حسب ما تقتضيه السّورة ذاتها، حيث إنّ كلّ سورة تتخذ لها شكلاً خاصّاً من العمارة التي تتناسب خطوطها مع طبيعة الأفكار التي يستهدفها النصّ.

وهناك مستويات أخرى من الأبنية التي لانجد ضرورة في الإشارة إليها في هذه المقدمة، بقدر ما يلحظها القارئ في حينه، ويكتشف ما تنطوي عليه من جماليّة وإحكام وإمتاع فنيّ، بخاصّة ملاحظة تلك الأساليب التي سلكها النصّ القرآنيّ الكريم في الانتقال من آية إلى أخرى أو موضوع إلى آخر، أو الأساليب التي سلكها في جعل القارئ يكتشف بنفسه كثيراً من الخطوط التي انتظمت عمارة السّورة القرآنيّة الكريمة.

(١:٧-١٠)

الفصل التاسع عشر

نصّ الفلاح (معاصر) في مقدّمة «البرهان في تناسب سور القرآن»^١

مناسبة آي القرآن وسوره

من أجلّ علوم القرآن المناسبة بين الآي والسور... [ثم ذكر معنى المناسبة و مرجعها وأول من أظهر علم المناسبة، كما تقدّم عن الزركشي، فقال:]

وقال ابن الزبير الثقفي في «مقدّمة البرهان»: لم أر في هذا الضرب الخاص... [وذكر كما تقدّم عنه، فقال:]

وقلة اعتناء المفسرين بهذا العلم إنما يعود أساساً لدقته، ولما يستجرّه من التكلّف فيما خفي من بعض وجوه المناسبة بين الآي أو السور، ومن الذين اعتنوا به ابن العربي... [وذكر كما تقدّم عن الزركشي، ثم ذكر قول الرّازي، كما تقدّم عن البقاعي، فقال:]

ومن أشهر الذين أفردوه بالتأليف... [وذكر كما تقدّم عن السيوطي، فقال:]

والناس إزاء علم المناسبة بين منتصر له غلاً^٢ في تكلف المناسبة حتّى فيما لا مناسبة فيه، حجّته في ذلك أن ترتيب القرآن في آياته وسوره توقيفي ولا يخلو ذلك من أسرار من أجلّها الإعجاز بالتظم، فطفق يثبت ذلك بكل الوسائل، وبين مقصّر أغفل التنبيه حتّى إلى ما وضحت وظهرت مناسبتها، مستنده أن آي القرآن وسوره على حسب الوقائع المتفرقة

١- مؤلفه هو احمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (٦٢٧-٧٠٨هـ). (م).

٢- غلاً، أي بالغ وتجاوز الحد.

و الأزمان المتباعدة، ومن التكلّف المناسبة بينها، وبين معتدل توسّط في ذلك، ونَبّه إلى المناسبة في مواطن ظهورها، ورغب عن التكلّف فيما لا سبيل فيه إلى المقاربة، ودليله في ذلك أنّ المناسبة بين الآيات والسُور - وإن سلّمنا بوجودها - فهي متردّدة بين الظهور والخفاء، فلا داعي إلى ركوب متن التكلّف والتحمّل فيما خفي منها... [وذكر قول المَلَوّي: كما تقدّم عن الزّر كشي، وقول الرّازي كما تقدّم عن البقاعي، فقال:]

ودرءاً للخلاف وإبعاداً للتكلّف المقيت في المناسبة، عمل بعض العلماء على التنبيه إلى بعض الضوابط الّتي ينبغي أن تلتزم في القول بها، كوحدة الموضوع، وجود رابط من الروابط، عامّ أو خاصّ، عقليّ أو حسّيّ أو خياليّ، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهنيّ كالسبب والمسبّب، والعلة والمعلول، والتضاد، والتنظير والاستطراد، والتخلّص... [ثمّ ذكر قول ابن عبد السّلام، وقول بعض المتأخّرين كما تقدّم عن الزّر كشيّ والسيوطي، ثمّ قال:]

فمعيار الطّبع والتكلّف في إثبات المناسبة بين الآي والسُور إنّما يعود أساساً إلى مدى التماثل والتقارب، أو البُعد والتنافر بين الموضوعات، فإن تماثلت وتقاربت، وارتبطت الأوائل بالأواخر، فالتناسب معقول مقبول، وإن تنافرت وتباعدت فلا سبيل إلى القول بالتناسب، وإلاّ كان التكلّف والتحمّل والإغراب، وصدق من قال: المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقّته بالقبول^١.

إنّ وجه المناسبة بين الآيات والسُور يخفى تارة ويظهر أخرى، وأنّ فُرص خفائه تقلّ بين الآيات، وفُرص ظهوره تندر بين السُور، ذلك لأنّ الكلام قلّما يتمّ بآية واحدة، فتعاقب الآيات في الموضوع الواحد، ولأنّ السُورة - كما يدلّ عليه اسمها - غالباً ما تكون مكتملة بحيطه بموضوعها، وليس بالضرورة أن يكون تشوّف بينها وبين سابقتها ولاحقتها، ولا أن

تكون وحدتها الموضوعية هي الوحدة الموضوعية عينها في السُّور جميعها، حتى وإن سلّمنا بالتوقيف في ترتيبها.

ولكلّ ما تقدّم كثراً اشتغال المفسّرين بالمناسبة بين الآيات، وندر وقوفهم على ما بين السُّور، قال ابن الزُّبَيْر التَّقْفِي: بدر لبعضهم توجيه ارتباط آيات... [وذكر كما تقدّم عنه، ثم قال:] ومن العلماء من لم يحفّ تحفّظه إزاء المناسبة بين السُّور، ولم يتردّد في إظهار تخوّفه من ركوب بعضهم متن التكلّف والإغراب، يقول الدكتور صبحي الصّالح: والحقّ أنّ الذي ينبغي التّنقيب عنه... [وذكر كما تقدّم عنه، فقال:]

ويقول في موضع آخر^١: وما نظنّ احتفال المفسّرين قليلاً بهذا النوع لدقته وحسب، بل قلّة جدواه وكثرة التكلّف فيه.

وكيفما تكن مواقف العلماء من المناسبة بين الآي والسُّور، ومهما يتّسم به توجيههم للمناسبة من طبع أو تكلّف، فإنّ ما قاموا به قد أثّر فوائد جيّة، فقد ساعد على إبراز ما بين أجزاء القرآن من لحمة متينة، فإنّ بعضه أخذ بأعناق بعض في تأليف محكم، حاله حال البناء المتين، المتلائم الأجزاء، وكالكلمة الواحدة متّسق المعاني منتظم المباني، ومن محاسن الكلام عند الأئمة أن يرتبط بعضه ببعض.

كما أعان على الكشف عن جانب من جوانب الإعجاز القرآني، فالتأمّل في لطائف نظم سُور الكتاب وفي بدائع ترتيبها - رغم تنجيمها على نيّف وعشرين سنة - يتبيّن أنّ القرآن مصدره الحكيم الخبير، وأثّه إلى جانب إعجازه من ناحية فصاحة ألفاظه وشرف معانيه معجز من جهة ترتيبه ونظم آياته وسوره، ولعلّ الذين قالوا: إنّّه معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك.

وأنّ لنا في مناسبات ابن الزُّبَيْر أقوى دليل على ما قلنا، فقد أبانت من جهة لطائف

وأسرار القرآن المودعة في الترتيبات والروابط، وأثبتت من جهة أخرى أنّ هذا الكتاب لا تنتهي عجائبه، يُفرّق على نيف وعشرين سنة وعلى موضوعات عديدة، مقارنة حيناً ومتباينة أحياناً، فيأتي سبيكة واحدة متناسج الآيات، متناسب السُور: ﴿كِتَابٌ أُخْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^١، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^٢. إنّ فضيلة هذا العلم لم تقف عند هذا، بل تجاوزته إلى تسديد الفهوم بتجلية المفهوم، فالمناسبة لا تقل أهمّيته عن السبب في الإعانة على فهم المعنى وتبيين حدود الأحكام، ولئن جرت عادة المفسرين البدء بذكر سبب النزول، فإنهم يقدمون أحياناً ذكر المناسبة كلّما رأوا فيها المصحح الحقيقي والذي لا غنى عنه، لنظم الكلام وإجلاء المعنى، يقول الزركشي: إذا كان وجه المناسبة لا يتوقف على سبب النزول، فالأولى تقديم وجه المناسبة^٣، من ذلك أنّ قوله تعالى في سورة النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنِبَتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾^٤، قد نزل في كعب بن الأشرف، وكان من أهل الكتاب، قدم مكة وشاهد قتل بدر، وحرّض الكفار على الأخذ بشأهم وقاتل النبي ﷺ، فسألوه: من أهدى سبيلاً؟ المؤمنون أم هم؟ فتملّق عواطفهم وقال: بل أنتم أهدى من المؤمنين سبيلاً، وبعد أن تتعاقب الآيات في حقّ هذا الرجل وحقّ من شاركه في مقاتلته من أهل الكتاب، يتحوّل السياق القرآني إلى آية جديدة موضوعها أداء الأمانات إلى أهلها، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^٥، ويذكر المفسرون أنّ هذه الآية نزلت في عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدريّ حاجب الكعبة، لما

١- هود/١.

٢- النساء/٨٢.

٣- البرهان ١: ٣٤.

٤- النساء/٥١.

٥- النساء/٥٨.

أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح البيت يوم الفتح ثم رده عليه^١، وبين الآية الأولى التي نزلت عقب بدر والثانية التي نزلت عند الفتح ست سنوات، فلم قرنتا؟ ولم أعقب هذا الموضوع بذلك رغم البعد الزمني؟

يجد العلماء بين هذين المقطعين رابطاً مشتركاً رغم السنوات الست التي تفصل بينهما، لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول ولا يشترط في المناسبة، إذ المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها^٢، فيجعلون منها موضوعاً واحداً، بحكم البناء متلاحم الأجزاء، أخذاً ببعضه برقاب بعض، معولين على المناسبة، وغير حافلين بالسبب، فيقولون: إن الذين تلقوا عواطف المشركين وقالوا لهم: أنتم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً، هم أهل كتاب يجحدون عندهم في كتابهم بعث النبي و صفته، وقد أخذت عليهم المواثيق ألا يكتسبوا تلك الأمانة، فخانوها ولم يؤدوها، وكانت حالهم في الخيانة كحال الذين يحملون الأمانات ثم لا يحملونها، وناسب أن يدعوا ويدعي معهم كل إنسان إلى استشعار معنى الأمانة في كل ما كان عنه مسؤولاً.

قال ابن العربي: وجه التظلم أنه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد ﷺ، وقولهم: «إن المشركين أهدى سبيلاً، فكان ذلك خيانة منهم، فانحجر الكلام إلى ذكر جميع الأمانات»^٣. ثم إن المناسبة، وإن تقدمت أحياناً على سبب النزول، وكانت أقرب إلى ترابط المعنى واكتماله، فإنها كثيراً ما يشكل وجهها ويتوقف فهمها على معرفة السبب، ولعل هذا ما يعنيه مسلک المحققين في إيجاب البدء بذكر سبب النزول، يقول الزركشي: إذا كان وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول... فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب، لأنه حينئذ من باب تقديم

١- انظر: تفسير الطبري ٥: ٩١-٩٢، وتفسير ابن كثير ١: ٥١٥.

٢- البرهان للزركشي ١: ٢٦.

٣- نفس المصدر.

الوسائل على المقاصد^١.

والذي نخلص إليه أن المحققين، وإن ذهبوا مرةً إلى تقديم السبب حين لا تتضح المناسبة إلا به، وذهبوا أخرى إلى تقديم المناسبة حين لا يتوقف وجهها على سبب التزول، فإنهم التزموا بهذا وبذاك وجمعوا في تفسير كتاب الله بين السبب التاريخي والسياق الأدبي، فما أغفلوا حقائق التاريخ في اشتراط الزمان لمعرفة سبب التزول، ولا أغفلوا التناسق الفني حين أقصوا فكرة الزمان لمراعاة السياق، وما أكثر الآيات التي نزلت على الأسباب الخاصة، ووضعت مع ما يناسبها من الآي رعايةً لنظم القرآن وحسن السياق! وما أكثر السور التي تأخر نزولها وتقدم ترتيبها، والعكس، مراعاة لوجوه المناسبة!

هذه بعض ملامح عن علم المناسبة رأيت من الصالح التمهيد بها لمناسبات ابن الزبير، علّها تعطي فكرة عن هذا العلم الجليل الذي قلّ فيه التصنيف عامّة، ندر منه المطبوع خاصة.

(٦٢-٦٩)

الفصل العشرون

نصّ بازمول (معاصر) في «علم المناسبات في السُّور والآيات»

علم المناسبات في السُّور والآيات

تشتمل هذه الدراسة على بيان الأمور التالية:

- ١- بداية علم المناسبات
- ٢- تعريف علم المناسبات
- ٣- علم المناسبات توقيفي
- ٤- حكم تطلّب المناسبات
- ٥- فضل علم المناسبات
- ٦- مسائل وتنبهات
- ٧- أهمّ المصتفات في هذا العلم

١- بداية علم المناسبات

إذا عُلِمَ أن ترتيب سُور القرآن العظيم و ترتيب آياته إنّما كان بتوقيفٍ من الله اللّطيف الحكيم الخبير، إذا عُلِمَ ذلك فإننا يقيناً نعلم أن الله عزَّ وجلَّ ما قدّم هذه السّورة على تلك، وما استفتح بهذه الآية هذه السّورة، وما ختم تلك السّورة بكذا إلّا لمناسبة، قد تظهر حتّى يعلمها المتدبّر لكتاب الله تبارك و تعالى، وقد تدقّ حتّى لا تكاد تعلم، أو لا تعلم على وجه اليقين أصلاً.

وقد تتلمّس تأييد ذلك، أعني مراعاة مناسبات القرآن في سُورَه وآياته، فيما ورد عن جابر رضي الله عنه... [وذكر هذه الرواية وإن شئت فراجع، فقال:]

و الشّاهد في الحديث قوله في الحديث: «فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^١، أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا»^٢.

فالرّسول صلّى الله عليه وآله بدأ بالصفا لما بدأ الله بها في الآية، وقال: «أبدأ بما بدأ به الله»، فراعى صلّى الله عليه وآله مناسبة البدء بذكر الصفا في الآية، فبدأ بها في السّعي.

و مما يتضمّن إشارة إلى المناسبات في القرآن ما جاء عن عبادة بن الصّامت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»^٣.

ففي هذا الحديث الشّريف بيان مناسبة وعلاقة الفاتحة بالقرآن العظيم، فهي فاتحته، وهي أمّه... [ثمّ ذكر ذلك الحديث، وإن شئت فراجع، فقال:]

وقد قيل: سُمّيت أمّ القرآن لاشتغالها على المعاني التي في القرآن، من التّناء على الله تعالى والتّعبد بالأمر والتهمي والوعد والوعيد، وعلى ما فيها من ذكر الذات والصفات والفعل، واشتغالها على ذكر المبدأ والمعاد والمعاش^٤.

وهذا النوع من المناسبات يعرف بمناسبة اسم السّورة لمضمونها، ومقصودها. فبداية علم المناسبات والإشارة إليه تتلمّس في أحاديث الرّسول صلّى الله عليه وآله، بل أنّ الأعرابيّ بسليقته وفطرته يستشعر المناسبات في القرآن العظيم؛ قال الأصمعيّ: «كنت أقرأ سورة المائدة ومعني أعرابيّ،

١- البقرة / ١٥٨.

٢- حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحجّ، باب حجة التيّ، حديث رقم ١٢١٨.

٣- حديث صحيح أخرجه البخاريّ في كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلّها، حديث رقم (٧٥٦)،

ومسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كلّ ركعة، حديث رقم (٣٩٤).

٤- فتح الباري ٨: ١٥٦.

فقرأت هذه الآية: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا كِتَابًا مِنَ اللَّهِ...﴾^١ فقلت: «والله غفور رحيم» سهواً، ثم تنبّهت فقلت: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فقال: الآن أصبت! فقلت كيف عرفت؟ قال: يا هذا عزيز حكيم، فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع»^٢. وحكي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: ﴿فَإِنْ زُلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ كُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلُظْوا أُنْزِلَ اللَّهُ...﴾ «غفور رحيم»، ولم يكن يقرأ القرآن، فقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، ومرّ بهما رجل فقال: كيف تقرأ هذه الآية؟ فقال الرجل: ﴿فَاغْلُظْوا أُنْزِلَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فقال: هكذا ينبغي، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه^٣.

وتعرف هذه المناسبات بمناسبة ختم الآية بأسماء الله الحسنى. فالكلام عن المناسبات في البداية كان موجوداً بصورة متناثرة في ثنايا الحديث والتفسير عموماً، ولكنه لما يأخذ بعد في تلك المرحلة هيئة جامعة، واضحة المعالم.

وفي مرحلة تالية نجد الكلام عن المناسبات أخذ صورة واضحة المعالم، ولكن لم يدوّن تدويناً جامعاً مستقلاً، وهذه المرحلة تظهر في كلام بعض العلماء، من ذلك... [ثم ذكر قول ابن العربي وأبي الحسن الشَّهْرَابِي، كما تقدّم عن الزَّركَشِي، فقال:]
والحال في هذه المرحلة التي لم تظهر فيها كُتُب جامعة في المناسبات، سوى شذرات متفرقة هنا، وهناك... [ثم ذكر قول الرَّازِي، كما تقدّم عن البقائي، فقال:]

وتأتي بعد هذه المرحلة الثالثة، حيث أخذ هذا العلم صورة مستقلة جامعة، وظهرت كُتُب تفسير تعني بإبراز المناسبات في جميع سور القرآن العظيم. ولعلّ كتاب «التفسير الكبير» للرَّازِي يمثّل بداية هذه المرحلة، ثم بعده توالى المؤلفات، فمن ذلك: كتاب «مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل»، لأبي الحسن عليّ بن أحمد الحرَّائي (ت ٦٣٧هـ). وقد أكثر

١- المائدة/٣٨.

٢- تفسير الرَّازِي: ١١: ٢٢٩.

٣- الإقنان ٣: ٣٠٣.

البِقَاعِيّ من الثَّقَلِ عنه، وذلك في كتابه «نظم الدرر»؛ يقول البِقَاعِيّ واصفاً هذا التفسير: «وانتفعت في هذا الكتاب...» [وذكر كما تقدّم عنه، فقال:]
وكتاب «التحرير والتحجير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير» المعروف بـ «تفسير ابن التقيّ»، ومصنّفه أبو عبد الله محمد بن سليمان المقدسيّ الحنفيّ المعروف بـ «ابن التقيّ (ت ٦٩٨ هـ)»... [ثمّ ذكر قول البِقَاعِيّ في وصفه، كما تقدّم عنه]، وكتاب «البرهان في ترتيب سور القرآن» لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسيّ (ت ٧٠٨ هـ). وقد ذكر البِقَاعِيّ ﷺ هذا الكتاب وقال عنه: «وهو لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط، لا يتعرّض فيه للآيات»^١... [إلى أن قال:]، ثمّ توالى بعد ذلك المؤلفات. هذا ما يتعلّق ببداية هذا العلم.

٢- تعريف علم المناسبات

...ويقصد بالأصول الكليّة: الأمور العامّة التي يرجع إليها هذا العلم، كقولهم: الأصل أن ترتيب سور القرآن العظيم وآياته توقيفيّ.
الأصل أنّه لم يقدّم هذا على هذا، أو لم يأت هذا كذا إلّا لحكمة ورسرّ.
الأصل أن الرّابط إمّا أن يكون لفظيّاً أو معنويّاً.
الأصل أن طلب المناسبة توقيفيّ.
الأصل أن مقاصد القرآن ثلاثة: تقرير التوحيد والعقيدة، وتقرير الأحكام والحلال والحرام، وتقرير قصص السّابقين.
ويقصد بالمسائل: الأمور الجزئيّة المتعلّقة ببيان الرّابط في موضع ما؛ والعلل هي المعاني التي تصلح أن تكون رابطة بين الآية والآية، والسورة والسورة.
وقد تضمّن هذا التعريف الإشارة إلى أنواع المناسبات، وهي التالية:

القسم الأول - المناسبات الدّاخلية، وهي الأنواع التالية:

الأول - مناسبات ترتيب آيات السّورة الواحدة، واعتلاق بعضها ببعض، وارتباطها وتلاحمها وتناسقها.

الثاني - مناسبة مطلع السّورة للمقصد الذي سبقت له، وذلك براعة الاستهلال.

الثالث - مناسبة ختام السّورة لمطلعها.

الرابع - مناسبة فواصل الآي للآية التي ختمت بها، ومنه مناسبة أسماء الله الحسنى للآية التي ختمت بها.

القسم الثاني - المناسبات الخارجيّة، وهي الأنواع التالية:

الأول - مناسبة السّورة لما قبلها ولما بعدها.

الثاني - مناسبة ختام السّورة لمطلع السّورة التالية لها.

الثالث - مناسبة مطلع السّورة لمطلع السّورة التي تليها.

وهناك نوع يدخل في القسمين، فلا ينظر فيه إلى سورة بمفردها مع سورة أخرى، ولا إلى آية بمفردها مع آية أخرى، وهو مناسبة موضوع مجموعة من السّور لمجموعة من السّور أو لسورة ومناسبة موضوع مقطع من الآيات في السّورة لمقطع آخر.

فمثلاً الفاتحة أم الكتاب؛ لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف وقراءتها في الصلّة قبل السّورة، ولأنّ الأم مبدأ الولد، أو لأنّ الفاتحة أصل القرآن، لانطوائها على جميع أغراض القرآن العظيم وما فيه من العلوم والحكم؛ لأنّ أمّ الشيء أصله.

وهذا التقرير فيه إشارة إلى معنى يربط بين الفاتحة وسائر سُور القرآن العظيم، فمنها مناسبة سورة لمجموع سُور القرآن.

مثال آخر: ما جاء عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا المنذر أتدري أيّ آية من

كتاب الله معك أعظم؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم! قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، قال: فضرب في صدري وقال: والله ليُيَهِّكَ العلم أبا المنذر^١. فهذا الحديث فيه بيان معنًى يربط بين آية واحدة وسائر آي القرآن العظيم.

مثال آخر: الآيات من آية رقم (١)، إلى الآية رقم (٢٠) من سورة البقرة تعتبر المقدمة بالنسبة إلى محتوى السّورة، حيث وصف القرآن بما هو أهله، ووصف متبعية ومخالفية كلّاً بما يستحقّه.

ثمّ يأت المقصد الأوّل من آية رقم (٢١-٢٥) في دعوة التّاس كافّة إلى الإسلام. ثمّ يأت المقصد الثّاني من آية رقم (٤٠-١٦٢) في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصّة إلى ترك باطلهم والدّخول في هذا الدّين الحقّ.

ثمّ يأت المقصد الثّالث من آية رقم (١٧٨-٢٨٣) في عرض شرائع هذا الدّين تفصيلاً. ثمّ يأت المقصد الرّابع في آية واحدة وهي رقم (٢٨٤) في ذكر الوزع والتّنازع الدّينيّ الذي يبعث على ملازمة تلك الشّرائع ويعصم عن مخالفتها.

ثمّ تات الخاتمة في آيتين اثنتين هما رقم (٢٨٥-٢٨٦) في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدّعوة الشّاملة لتلك المقاصد، وبيان ما يرجى لهم في عاجلهم وأجلهم.

أمّا الآيات من (٢٦-٣٩) الواقعة بين المقصد الأوّل والثّاني، فقد كان الحديث فيها عوداً على بدء. والآيات من (١٦٣-١٧٧) كانت مدخلاً للمقصد الثّالث.

ها أنت ترى مدى التّناسب بين مقاطع أطول سورة في القرآن العظيم^٢، فهنا مناسبة بين مجموعة آيات ومجموعه أخرى داخل سورة واحدة.

١- حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب «صلاة المسافرين وقصرها»، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، حديث رقم (٨١٠).

٢- وقد فصلّ في بيان ذلك وتقريره صاحب كتاب «التبّ العظيم»: ١٦٣-٢١١.

٣- علم المناسبات توقيفيّ

لعلّك وقد وصل بك الحديث إلى هذا الحدّ قد أدركت أن هذا العلم ليس توقيفيّاً، بل يعتمد على اجتهاد المفسّر، ومبلغ درايته بعلوم العربيّة والبلاغة والشريعة، وتذوّقه للأساليب وأوجه بيانها، ومبلغ رهاقة حسّه لإعجاز القرآن وأسراره في التّظّم واللفظ والمعنى^١، وما دام الحال كذلك فما حكم تطلّب المناسبات في السُّور والآيات؟ هذا يقودنا إلى القضية التالية:

٤- حكم تطلّب المناسبات بين السُّور والآيات

لمّا لم يكن علم المناسبات توقيفيّاً، وكان مرجعه إلى اجتهاد المفسّر، فقد اختلف العلماء (رحمهم الله) في حكم تطلّب المناسبات في القرآن العظيم.

فذهب بعضهم إلى أنّه لا يجوز تطلّب المناسبات في القرآن العظيم؛ لأنّه من التّقول على الله بغير علم، ولأنّ الآيات كانت تنزّل بحسب الوقائع في نيّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة، ووقائع متعدّدة، وما كان كذلك لا يتأتّى ربط بعضها ببعض. وممّن ذهب هذا المذهب عبدالعزيز بن عبدالسلام^٢، والثوكاني^٣، ببل ذهب أبو العلاء محمد بن غانم إلى أنّ الاقتضاب هو الأصل في القرآن كلّ [وأنّ القرآن إنّما ورد على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم]^٤. وذهب آخرون إلى جواز تطلّب المناسبات في سور القرآن العظيم وآياته إلى درجة التّكلّف والرّجْم بالغيب، دون ضابط أو قيد، وكلا طرقي الأمور ذميم.

١- مباحث في علوم القرآن لمناخ القطان: ٩٨.

٢- البرهان في علوم القرآن ١: ٣٧.

٣- فتح القدير الجامع بين علمي الرواية والدراية في التفسير ١: ٧٢.

٤- الفوائد المشوّق: ١٤١، الإتيان ٣: ٣٢٦. وقد ذُكر في معجم البلاغة العربيّة: ٥٤٦-٥٤٨ أنّ من البلاغيّين من ذهب إلى أنّ الاقتضاب موجود في مواضع من القرآن العظيم، ولكنهم لم يقولوا كافي المُطرّف أنّه هو الأصل في أسلوب القرآن العظيم ونظمه. ومرادهم بالاقتضاب الانتقال من كلام غيره بدون ملازمة ولا مناسبة بين الكلامين، مأخوذ من قضب بمعنى قطع ويكون الانتقال من باب حسن التخلّص ونحوه.

و نوقش القائلون بأنه لا يجوز تطلّب المناسبات، بما يلي:

أنّ قولهم: إنّ القرآن لم ينزل على هذا الترتيب حق! ولكن لا يلزم من ذلك أن لا يكون ترتيبه في المصحف في سورة وآياته اجتهاديّ، بل هو في آياته ترتيب توقيفيّ إجماعاً، فترتيب الآيات داخل كل سورة بتوقيف من الرسول ﷺ إجماعاً. أمّا ترتيب سورة فإنه بتوقيف على الصحيح، وإذا كان الحال كذلك فإن طلب المناسبة لا يتعارض مع كونه نزل منجماً على غير ترتيب المصحف.

و وجود آيات لا يظهر فيها وجه قريب للرّبط بين السور والآيات، لا يعني بطلان تطلّب المناسبات من أصله، وكذا وجود تكلفات من بعضهم في تقرير المناسبة، إمّا تكون سبباً لردّ قولهم، لا لردّ علم المناسبات من أصله، علماً بأنه ليس من شرط المناسبة أن تكون ظاهرة بحيث يعلمها كلّ أحد، وليس من شرطها أن تكون الآيات متّحدات أو متماثلات أو متداخلات أو ما أشبه ذلك، بل قد تكون كذلك، وقد تكون بأمر آخر غير هذا... [ثم ذكر قول الملوّي، كما تقدّم عن الزّر كشي].

و نوقش المتكلّفون في تطلّب المناسبات بما يلي:

هؤلاء ظنّوا أنّ المناسبة بين الآية والآية تعني اتّحادها أو تماثلها أو تداخلها أو ما إلى ذلك من الصّلات الجنسيّة... [و ذكر كما تقدّم عن الدّرّاز، فقال:]

و الصّواب - إن شاء الله تعالى - بعد هذه المناقشة لمذهب المانعين والمطلقين القول بالجواز إلى حدّ التّكافؤ: جواز طلب المناسبات بين السور والآيات وأنّه علم حسن، ولكن بالشروط التّالية:

شروط جواز طلب المناسبات في القرآن العظيم:

١- أن تكون المناسبة منسجمة مع السّياق والسّباق واللّحاق.

- ٢- أن لا تكون المناسبة متعارضة مع الشرع.
- ٣- أن تكون متوافقة مع تفسير الآية، غير مخالفة له مخالفة تضاد.
- ٤- أن لا تكون المناسبة متعارضة مع اللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن العظيم.
- ٥- أن لا يجزم المفسر بأن هذه المناسبة هي مراد الله تعالى، غاية الأمر أن هذا ما آذاه إليه اجتهاده ونظره وتدبره.
- ٦- أن يعلم أن المناسبة موجودة، ولا يلزم أن تكون ظاهرة في كل موضع لكل أحد. وعلى الجملة فإنه يشترط لجواز طلب المناسبات ما يشترط في قبول التفسير بالرأي؛ إذ هي مرتبطة ارتباط وثيق به، والله أعلم.

٥- فضل علم المناسبات

- لعلّ مما يؤكد جواز تطّلب المناسبات في القرآن العظيم الوقوف على فضله وأهميته، ويمكن إيراد ذلك على وجه الاختصار في النقاط التالية:
- ١- أن في هذا العلم إبراز لجانب من أسرار القرآن العظيم وصوره من إعجازه... [وذكر قول الرازي، كما تقدّم عن البقاعي، ثم قال:]
- وقال الأصبهاني (ت ٧٤٩ هـ): «إن القرآن معجز، والركن الأبين للإعجاز يتعلّق بالنظم والترتيب»... [ثم ذكر قول الملوّي كما تقدّم عن الزركشي، وقول البقاعي في رسوخ هذا العلم في القلب وكشف طرق الإعجاز، كما تقدّم عنه].
- ٢- أن في هذا العلم آية من آيات صدق المصطفى (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله) وأن هذا القرآن كتاب الله من لدن لطيف حكيم خير؛ إذ من المعلوم أن القرآن العظيم كان ينزل منجّماً مفرّقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة، وقد تلقّى الصحابة عن رسول الله ﷺ

١- نظم الدرر ١: ١٩.

٢- تفسير القرطبي ١: ٧٥.

ترتيب آيات القرآن العظيم و سُورَه، و معلوم أنّ هذا الترتيب الحاصل بين سُور القرآن العظيم و آياته، ليس في مقدور بشر، مهما كان عقله، و مهما بلغت فصاحته و بيانه، فكان في ذلك آية على ثبوت نبوة النبي ﷺ^١.

٣- أنّ في إظهار المناسبات في السُور والآيات ما يساعد على فهم النصّ القرآني و يبيّن معناه. قال الزّركشي رحمه الله: «اعلم أنّ المناسبة علم شريف ... [وذكر كما تقدّم عنه، ثم ذكر قول البقاعي في تعريف هذا العلم كما تقدّم عنه].

٤- أنّ طلب المناسبات إعانة على الحفظ، و امتثال لأمر الله عزّ وجلّ، حيث قال تبارك و تعالى: ﴿كَتَابُ أَنْزِلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلْوَابِ﴾^٢، و قال تبارك و تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^٣.

٥- أنّ طلب المناسبات فيه تحصيل الأجر و الثواب من الله عزّ وجلّ، إذا تحصل فيه قراءة القرآن العظيم، فيحصل أجر قراءة القرآن العظيم. عن عبدالله بن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، و الحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: آلم حرف، ولكن ألف حرف و لام حرف و ميم حرف»^٤.

٦- مسائل و تنبيهات

أورد هنا جملة من المسائل و التنبيهات المتممة للتعريف بمبادئ علم المناسبات،

١- الثبا العظيم: ١٤٢-١٥٧.

٢- ص / ٢٩.

٣- محمد / ٢٤.

٤- أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب فيمن قرأ حرفاً من القرآن، حديث رقم (٣٠٨٧)، و أخرجه الدارمي موقوفاً على عبدالله بن مسعود في كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، حديث رقم (٣٣٠٨). و الحديث قال عنه الترمذي: «حسن صحيح غريب من هذا الوجه»، و صحّحه محقق جامع الأصول ٨: ٤٩٨، و الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣: ٩٠، تحت رقم ٢٣٢٧.

وهي التالية:

مسألة: المناسبات تتعلق بالسورة؟ وما هي الآية؟ السورة: هي الطائفة من الآيات المترجمة توقيفياً. ويقصد بـ «المترجمة توقيفياً» أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي ﷺ. والآية: هي العلامة التي يعرف بها تمام ما قبلها وابتدائها توقيفياً.

مسألة: ما الطريقة الرشيدة لمعرفة المناسبة؟

إن السياسة الرشيدة في دراسة التسق القرآني تقتضي أن تعرض السورة... [وذكر كما تقدم عن الدرّاز، ثم قال:]: وهذا ما يسمّى الآن بـ «الوحدة الموضوعية» للسورة.

قال محمد بن أحمد الملوّتي: «الذي ينبغي في كل آية... [وذكر كما تقدم عن الزركشي، ثم ذكر قول البجائي المالكي كما تقدم عن البقاعي، فقال:]

قال البقاعي رحمه الله متحدّثاً عن المناسبات في القرآن العظيم: «وتوقّف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها»^١.

مسألة: ما أحوال ارتباط الآي بعضها ببعض؟ ارتباط الآي بعضها ببعض يكون على أحوال:

الأول - أن يظهر الارتباط بين الآية الأولى والآية الثانية؛ لتعلّق الكلام بعضه ببعض، وعدم تمام معنى الآية الأولى وإلاّ بالثانية. فهذه الحال وجه المناسبة فيها بين الآيتين واضح. وكذلك إذا كانت الثانية للأولى وجه التأكيد والتفسير أو الاعتراض والتشديد، وهذه الحال لا كلام فيها.

الثاني - أن لا يظهر الارتباط بين الآية والأخرى، بل يظهر أن كلّ جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به، فهذه على نوعين:

النوع الأول - أن تكون معطوفة على ما قبلها بجرف من حروف العطف المشتركة في الحكم.

التّوع الثّاني - أن تكون غير معطوفة على ما قبلها. ففي التّوع الأوّل إذا كانت الآية الثّانية معطوفة على الأولى، لا بدّ أن تكون بينهما جهة جامعة إمّا برابط عامّ، أو خاصّ، وهو من المزج اللفظي بالتّظر إلى العطف.

ومن أمثلته: ذكر الرّحمة بعد ذكر العذاب، والرّغبة بعد الرّهبّة، وذكر الوعد والوعيد بعد ذكر الأحكام؛ ليكون باعثاً على العمل بها، ثمّ يذكر آيات التّوحيد والتّنزيه، ليعلم عظم الأمر والتّاهي سبحانه وتعالى. وتأمل سورة البقرة والنّساء والمائدة وغيرها تجدّها كذلك.

وفي التّوع الثّاني إذا كانت الآية الثّانية غير معطوفة على الأولى مع عدم ظهور الارتباط بينهما، فلا بدّ من دعامة تؤدّن باتّصال الكلام، وهي قرأتان معنويّة مؤدّنة بالرّبط، وهذا مزج معنويّ، حيث تنزّل الثّانية من الأولى منزلة جزئها الثّاني ... [ثمّ ذكر أسباب المزج المعنويّ كما تقدّم نحوها عن الزّر كشيّ، فقال:]

مسألة: يكفي في الجامع التعلّق على أيّ وجه كان^١، مادامت شروط قبوله متوفّرة.

مسألة: كما أنّ التّكات لا تتزاحم^٢، فكذا المناسبات لا تتزاحم، بمعنى لا مانع أن توجد بين الآية والآية أكثر من مناسبة.

مسألة: أيّهما أولى البداءة به: المناسبة أو سبب التّزول؟ ... [ثمّ ذكر قول الزّر كشيّ في وجه ارتباط المناسبة وسبب التّزول، كما تقدّم عنه، فقال:]

تنبيه: الاهتمام بمعرفة مقاصد السّورة وموضوعاتها يساعد على سداد القول وتوفيقه للصّواب ويبعده عن جور القصد^٣.

تنبيه: لا يشترط في الكلام على مناسبة آية وآية أن يكون وقت نزولهما واحداً، لأنّ الزّمان إمّا يشترط في سبب التّزول، ولا يشترط في المناسبة، لأنّ المقصود منها وضع آية

١- الإتيان ٣: ٣٢٥.

٢- حاشية الشّهاب على البيضاوي ١: ٢٩٢.

٣- التّبا العظيم: ١٥٨-١٥٩.

موضع يناسبها، والآيات كانت على أسبائها، وتأخذ ترتيبها في السّورة بتوقيفٍ من الرّسول ﷺ^١.

تنبيه: لا يقصد بالصلة بين الآية والآية اتّحادهما أو تماثلهما أو تداخلهما، أو ما إلى ذلك من الصّلات الجنسيّة فحسب، بل الصّلة تكون بذلك وبغيره ممّا مضت الإشارة إليه^٢.

تنبيه: تكرر من بعضهم قوله: «ختم بكذا مراعاة للفاصلة في الآي»، أو قوله: «قدّم وأخر مراعاة لفواصل الآي»!!

وفي هذا بإطلاقه نظر؛ إذ القرآن قائم على مراعاة المعنى مع إعجاز اللفظ، والظاهر أنّ ختم الآي بفاصلة معيّنة، والتّقديم والتّأخير فيها ليس لمجرّد مراعاة فواصل الآي، إنّما الأمر معنوي آخر، فإن أمكن الباحث مراعاتهما (أعني المناسبة المعنويّة واللفظيّة) دون إخلال فيها، وإلا فإن إظهار الجانب المعنويّ مقدّم في القرآن العظيم. ألا ترى مثلاً قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^٣، لم يقل: «وما أنت بمصدّق» مع أنّ فيه رعاية للتّجنيس؛ لأنّ في قوله تبارك وتعالى: ﴿بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ من المعنى ما ليس في «بمصدّق»؛ لأنّ معنى «مصدّق» قال لي: أنت صدقت. وأمّا قوله: ﴿بِمُؤْمِنٍ﴾ مصدّق مع إعطاء الأمن والاطمئنان إليه، وهذا مقصود إخوة يوسف (عليه الصّلاة والسّلام) ولذلك جاء به^٤.

ومراعاة المناسبات المعنويّة أدخل في أقسام البلاغة، وأثبت في محلّ الإعجاز... [ثمّ ذكر أهمّ المصنّفات في هذا العلم، كما تقدّم عن الزّركشيّ والسيوطي]. (١٧-٥٦)

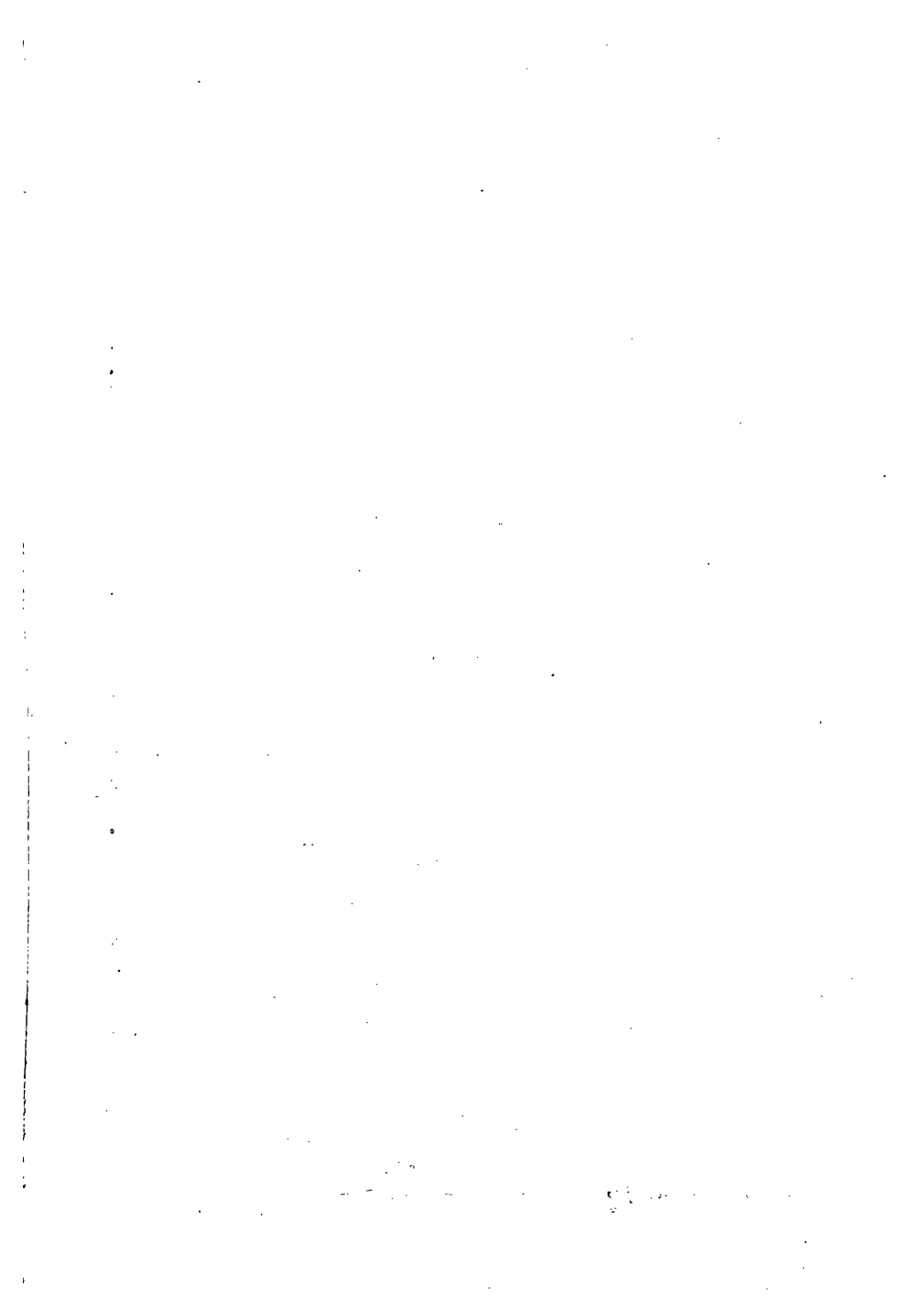
١- البرهان ١: ٢٦، الإتهان ١: ٨٨.

٢- الثّبا العظيم: ١٦٠-١٦٢.

٣- يوسف / ١٧.

٤- انظر: إعجاز القرآن للباقلائي: ٥٧-٦٥، الإتهان ٣: ٢٧٣-٢٧٤ و ٢٩٣-٢٩٤.

الباب الحادي عشر
أجزاء القرآن وأحزابه
وفيه فصول:



الفصل الأول

نصّ السّجّستانيّ (م: ٣١٦) في «المصاحف»

باب تجزئة المصاحف

١- حدّثنا عبدالله، حدّثنا محمود بن آدم المرّوزيّ، حدّثنا بشر بن السّريّ، حدّثنا محمّد بن مسلم، عن إبراهيم بن ميسرة، عن عثمان بن عبدالله بن أوس، عن المغيرة بن شعبة قال: استأذن رجل على رسول الله ﷺ وهو بين مكّة والمدينة، فقال: إنّه قد فاتني اللّيلة جزئي من القرآن، فأبى لا أوثر عليه شيئاً.

٢- حدّثنا عبدالله، حدّثنا يعقوب بن سُفيان، حدّثنا ابن أبي مريم قال: أخبرنا يحيى بن أيّوب، قال: حدّثني ابن الهاد قال: سألتني نافع بن جُبَيْر فقال: في كم تقرأ القرآن؟ فقلت: ما أحزبه، فقال نافع: لا تنقل ما أحزبه، فإن رسول الله ﷺ كان يقول: قرأت جزءاً من القرآن، قال: حسبت أنّه ذكره عن المغيرة بن شعبة.

٣- حدّثنا عبدالله، حدّثنا محمّد بن عبد الملك الدّققيّ، حدّثنا يزيد بن هارون، حدّثنا همام، حدّثنا قتادة قال: أسبّاع القرآن، السّبع الأوّل في النّساء / ٧٦: ﴿وَإِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، والثّاني في الأنفال / ٣٦: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾، والثّالث في الحجّ / ٤٩: ﴿ثُمَّ إِنَّ عِبَادِيَ أُتُوا أَنَا الْقَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، والرّابع خاتمة المؤمنين / ١١٨، والخامس خاتمة سبأ / ٥٤، والسادس خاتمة الحجّرات / ١٨، والسّابع ما بقي من القرآن.

٤ - حدّثنا عبدالله، حدّثنا هارون بن سلیمان، حدّثنا عبدالله بن بکر، حدّثنا سعيد بن أبي

عَرُوبَةً أَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سُبَّحَ الْقُرْآنُ، فَأَمَّا أَوَّلُ سُبْحِ، النَّسَاءِ / ٧٦: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، السُّبْحِ الثَّانِي فِي الْأَنْفَالِ / ٧٤: ﴿وَالَّذِينَ أَوْوَا وَنَصَرُوا﴾، وَالثَّلَاثُ فِي التَّحْلِ / ٤١: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوَّهُنَّ هُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَالرَّابِعُ فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ يَعْنِي مِنَ الْحَجِّ، أَوْ هُنَّ / ٥٢: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾ إِلَى آيَةِ / ٥٥: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ وَسَقَطَ عَلَى هَارُونَ آخِرُ الْحَدِيثِ ...

٥- قَالَ عَمْرُو: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَلْوَانَ عَنِ الْمَجَاشِعِيِّ قَالَ يَحْيَى تَوْبَةُ بْنُ عَلْوَانَ عَنِ الْمَجَاشِعِيِّ، قَالَ: وَكَانَ مِنْ قُرَاءَةِ النَّاسِ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحِمَّانِيِّ قَالَ: وَسَأَلْنَا عَنْ أَرْبَاعِهِ، فَبِإِذَا أَوَّلُ رُبْعٍ خَاتَمَةُ الْأَنْعَامِ / ١٦٥، وَالرُّبْعُ الثَّانِي الْكَهْفِ / ١٩: ﴿وَلَنُتِلِّظَنَّ﴾ وَالرُّبْعُ الثَّلَاثُ خَاتَمَةُ الزُّمَرِ / ٧٥، وَالرَّابِعُ مَا بَقِيَ مِنَ الْقُرْآنِ. قَالَ وَقَالَ مُطَهَّرُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحِمَّانِيِّ، قَالَ: عَلِمْنَاهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ...

٦- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الْفَيْضِ بْنِ مُوسَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ الْعَطَّارُ، عَنْ هَلَالِ الْوَرَّاقِ وَعَاصِمِ الْجَحْدَرِيِّ أَنَّهُمَا قَالَا: نَصَفَ الْقُرْآنَ خَاتَمَةُ الْكَهْفِ / ١١٠ وَخَاتَمَةُ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ وَثَلَّثَ الْقُرْآنَ خَاتَمَةُ بَرَاءةِ / ١٢٩، وَخَاتَمَةُ طِسْمِ الْقَصَصِ / ٨٨، وَآخِرُ الْقُرْآنِ. وَرُبِعَ الْقُرْآنَ خَاتَمَةُ الْأَنْعَامِ / ١٦٥ وَخَاتَمَةُ الْكَهْفِ / ١١٠، وَخَاتَمَةُ يَسَ / ٨٣، وَآخِرُ الْقُرْآنِ.

٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الْفَيْضِ بْنِ مُوسَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ الْعَطَّارُ، عَنْ هَلَالِ الْوَرَّاقِ وَعَاصِمِ الْجَحْدَرِيِّ أَنَّهُمَا قَالَا: وَخُمُسَ الْقُرْآنَ خَاتَمَةُ الْمَائِدَةِ / ١٢٠ وَخَاتَمَةُ يُوسُفَ / ١١١، وَخَاتَمَةُ الْفُرْقَانِ / ٧٧ وَخَاتَمَةُ حَمِّ السَّجْدَةِ / ٥٤، وَآخِرُ الْقُرْآنِ، وَسُدَّسَ الْقُرْآنَ خَاتَمَةُ النَّسَاءِ / ١٧٦، وَخَاتَمَةُ بَرَاءةِ / ١٢٩، وَخَاتَمَةُ الْكَهْفِ / ١١٠ وَخَاتَمَةُ طِسْمِ الْقَصَصِ / ٨٨، وَخَاتَمَةُ الدُّخَانِ / ٥٩، وَآخِرُ الْقُرْآنِ. وَسُبَّحَ الْقُرْآنَ: ﴿يُصْذَوْنَ عَنْكَ صُدُودًا﴾، فِي النَّسَاءِ / ٦١، وَفِي الْأَعْرَافِ / ١٧٠: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ

المُصْلِحِينَ ﴿، وفي إبراهيم/ ٢٥: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، وفي المؤمنين/ ٥٥: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدَّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ﴾، وفي سبا/ ٢٠: ﴿فَاتَّبَعُوا الْأَفْرِيقَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وخاتمة الفتح/ ٢٩، وآخر القرآن، وثمن القرآن البقرة وآل عمران وخاتمة الأنعام وخاتمة هود وخاتمة الكهف وخاتمة الشعراء وخاتمة يس وخاتمة الذاريات وآخر القرآن، ولم يحفظ التسع. وعُشر القرآن البقرة ومائة من آل عمران/ ١٠٠ وخاتمة المائدة وخاتمة الأنفال وخاتمة يوسف وخاتمة الكهف وخاتمة الفرقان وخاتمة الأحزاب وخاتمة حم السجدة وخاتمة الواقعة وآخر القرآن وفي قولهم كلُّه ستة آلاف آية ومائتان وأربع آيات، وهو مائة وأربع عشرة سورة مع فاتحة الكتاب.

٨- حدَّثنا عبد الله، حدَّثنا شُعَيْب بن أَيُّوب، حدَّثنا يحيى بن آدم قال: أسباع القرآن السبع الأول خمسمائة وسبع وأربعين آية، والسبع الثاني خمسمائة وتسعون آية، والسبع الثالث ستمائة آية واحد وخمسون آية، والسبع الرابع تسعمائة وثلاث وخمسون آية، والسبع الخامس ثمانمائة آية وثمان وست وثمانون آية، والسبع الآخر ألف آية وستمائة وأربع وعشرون آية، فجميع أي القرآن ستة آلاف ومائتا آية وتسع وعشرون آية في الجملة، نقصان ثلاثون آية خطأ في الحساب. وجميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف واحد وعشرون ألف حرف ومائتا حرف وخمسون حرفاً.

٩- قال يحيى بن آدم: حدَّثني يزيد بن أسحم، قال: أعطانيه حمزة الزيات من كتابه، فيصير كل سبع من أسباع القرآن خمسة وأربعون ألف حرف وثمانمائة حرف واثنتان وتسعون حرفاً، يبقى ستة أحرف. [قال أبو بكر بن أبي داود: القائل حدَّثني يزيد بن أسحم عن يحيى بن آدم]، وأسباع القرآن، السبع الأول في النساء/ ٦١: ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾، والثاني في الأعراف/ ١٧٠: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾، والسبع الثالث في إبراهيم/ ٢٥: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، والرابع في المؤمنين قوله/ ٥٥: ﴿نُمِدَّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ﴾، والخامس في سبا/ ٢٠: ﴿فَاتَّبَعُوا الْأَفْرِيقَا

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»، والسَّادِسُ خاتمة الفتح / ٢٩، والسَّابِعُ بقية القرآن. (١٣١-١٣٥)

[تقسيم القرآن إلى أرباع والرُّبُع إلى أجزاء]

١٠- أخبرنا القاضي أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي قراءة عليه، قال: أخبرنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة المَعْدَل، قال: أخبرنا أبو عمرو عثمان بن محمد المعروف بابن الأدمي، قال: أخبرنا أبو بكر عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، حدَّثنا يعقوب بن سُفيان، حدَّثنا عبدالله بن الزُّبَيْر الحُمَيْدي، حدَّثنا أبو الوليد عبدالملك بن عبدالله بن مسعود، عن إسماعيل بن عبدالله بن قُسطَنْطِين، [قال ابن أبي داود: وهو أحد القُرَّاء عن حُمَيْد الأعرج]: أنه حسب حروف القرآن فوجد التَّصَف الأول من القرآن ينتهي إلى خمس وستين آية من سورة الكهف عند قوله آية / ٦٦: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتُ رَبُّنَا﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تُسْتَطِيعَ، وهو الرُّبُع الثاني والسُّدُس الثالث والثَّمَن الرابع والعُشْر الخامس، وصارت ﴿مَعِيَ صَبْرًا﴾ من التَّصَف الآخر إلى أن يتم القرآن. والتُّلُث الأول ينتهي إلى بعض إحدى وتسعين آية من براءة عند قوله / ٩٠: ﴿كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ﴾ إلى الباء من ﴿سَيُصِيبُ﴾، وهو السُّدُس الثاني والسَّبع الثالث، وصارت الباء من ﴿سَيُصِيبُ﴾ من التُّلُث الثاني، والتُّلُث الأوسط ينتهي إلى بعض ست وأربعين آية في سورة العنكبوت عند قوله / ٤٦: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ الْأَيِّ﴾ وهو السُّدُس الرابع والسَّبع السادس، وصارت ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من التُّلُث الآخر والتُّلُث الآخر ينتهي إلى أن يختم القرآن.

والرُّبُع الأول ينتهي إلى أول آية من سورة الأعراف إلى / ٢: ﴿وَذِكْرِي لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهو الثَّمَن الثاني، وصارت ﴿اتَّبِعُوا﴾ من الرُّبُع الثاني، والرُّبُع الثاني ينتهي إلى / ٦٧: ﴿إِنَّكَ لَنْ

١- تعلّمني: هي في مُصَحَّفنا «تعلّم» بلاياء كما قال اللّٰه أَنِّي فِي الْقِتْع: ٣٣.

٢- السَّبع: كذا في الأصل والصواب، «التَّسع» وكذلك أيضًا في السَّطَر ١٧ وص: ١٢٦، السَّطَر ١٨ و٢٣.

تُسْتَطِيعُ ﴿ حيث انتهى التصف، والرُّبْعُ الثالث إلى بعض مائة وثمان وأربعين آية من سورة الصَّافَّات عند ١٤٨: ﴿فَأَمَّا مَن قَامَ ثَمَّاهُمْ﴾ وهو الثَّمَنُ السَّادس، وصارت ﴿إِلَى حِينٍ﴾ من الرُّبْع الآخر، والرُّبْع الآخر إلى أن يختم.

والخُمُسُ الأوَّل ينتهي إلى بعض اثنتين وثمانين آية من سورة المائدة عند قوله / ٨٠: ﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وهو العُشْرُ الثاني ينتهي إلى بعض ست وأربعين آية من سورة يوسف عند قوله تعالى / ٤٦: ﴿أَرْجِعْ إِلَى النَّاسِ﴾، وهو العُشْرُ الرَّابِع، وصارت ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ من الخُمُسُ الثالث، والخُمُسُ الثالث ينتهي إلى بعض إحدى وعشرين آية من سورة الفرقان عند قوله / ٢١: ﴿أَوْ تَرَى رَبَّنَا﴾، وهو العُشْرُ السَّادس، وصارت ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾ من الخُمُسُ الرَّابِع، والخُمُسُ الرَّابِع ينتهي إلى بعض خمس وأربعين آية من سورة حم السَّجدة عند قوله / ٤٦: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ هُوَ الْعُشْرُ الثَّامِن، وصارت ﴿أَسَاءَ فَعَلَّيْهَا﴾ من الخُمُسُ الآخر، والخُمُسُ الآخر ينتهي إلى أن يختم القرآن.

والسُّدُسُ الأوَّل ينتهي إلى بعض إحدى وأربعين ومائة من سورة النساء عند قوله / ١٤٢: ﴿إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا﴾ وصارت ﴿كُسَالَى﴾ من السُّدُسُ الثاني، والسُّدُسُ الثاني ينتهي إلى إحدى وتسعين آية من سورة براءة في / ٩٠: ﴿سَيُصِيبُ﴾ إلى الباء، وهو الثُّلُثُ الأوَّل والسُّبْعُ الثالث، فصارت الباء من ﴿سَيُصِيبُ﴾ من السُّدُسُ الثالث، والسُّدُسُ الثالث ينتهي إلى بعض خمس وستين آية من سورة الكهف عند / ٦٧: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ﴾، وهو الأوَّل، يعني التصف الأوَّل والرُّبْع الثاني والثَّمَنُ الرَّابِع والعُشْرُ الخامس، وصارت ﴿مَعِيَ صَبْرًا﴾ من السُّدُسُ الرَّابِع، والسُّدُسُ الرَّابِع ينتهي إلى بعض ست وأربعين آية من سورة العنكبوت عند قوله / ٤٦: ﴿بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا﴾، وهو السُّبْعُ السَّادس، فصارت ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من السُّدُسُ الخامس، والسُّدُسُ الخامس ينتهي إلى بعض أربع وثلاثين آية من حم الجاثية عند

قوله ٣٥: ﴿فَأَلَيْتُمْ لَا تَخْرَجُونَ مِنْهَا﴾، وصارت ﴿وَلَا هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ من السُّدُسِ الآخر، والسُّدُسِ الآخر ينتهي إلى أن يحتم القرآن.

والسُّبُع الأول ينتهي إلى بعض ست وخمسين آية من سورة النساء عند قوله ٧٥: ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَذُنُوبٌ﴾، وصارت ﴿خِلَافُهُمْ﴾ من السُّبُع الثاني، والسُّبُع الثاني ينتهي إلى مائة وتسع وستين آية من الأعراف عند قوله ٢٦٧: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعَلَمِ﴾، صارت ﴿عِقَابٍ﴾ من السُّبُع الثالث، والسُّبُع الثالث ينتهي إلى بعض أربع وعشرين آية من سورة إبراهيم عند قوله ٢٢: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَى﴾، وصارت ﴿كُمُ﴾ من السُّبُع الرابع، والسُّبُع الرابع ينتهي إلى بعض سبع وأربعين آية من سورة المؤمنين عند قوله ٤٩: ﴿أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، وصارت ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ من السُّبُع الخامس، والسُّبُع الخامس ينتهي إلى بعض ثماني عشرة آية من سورة سبأ عند قوله ١٨: ﴿قُرْئِي ظَاهِرَةً وَقَدَّرُ﴾، وصارت ﴿هَا﴾ من السُّبُع السادس، والسُّبُع السادس ينتهي إلى آخر حرف من الآية الثانية من سورة الحجرات ٢: ﴿وَأَلْثُمُ لَا تَشْعُرُونَ﴾، وصارت ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفُضُّونَ﴾ من السُّبُع الآخر، والسُّبُع الآخر إلى أن يحتم القرآن.

والثُّمَن الأول ينتهي إلى بعض مائة وخمس وتسعين آية من سورة آل عمران عند قوله ١٩٧: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْتٍ﴾، وصارت الواو والياء والهاء والميم التي في ﴿مَأْوَاهُمْ﴾ من الثُّمَن الثاني، والثُّمَن الثاني ينتهي إلى انقضاء أول آية من سورة الأعراف عند ٢: ﴿وَذَكَّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وهو الرُّبُع الأول، وصارت ﴿إِثْبَعُوا مَا نُزِّلَ إِلَيْكُمْ﴾ من الثُّمَن الثالث، والثُّمَن الثالث ينتهي إلى بعض سبع وثلاثين آية من سورة هود عند ٤٠: ﴿وَوَفَّارُ﴾، وصار ﴿الْتُّشُّورُ﴾ من الثُّمَن الرابع، والثُّمَن الرابع ينتهي إلى خمس وستين آية من سورة الكهف عند ٦٧: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ﴾، حيث انتهى إلى التَّصَف الأول، وهو الرُّبُع الثاني والعُشْر الخامس، وصارت ﴿مَعَى صَبْرًا﴾ من الثُّمَن الخامس، والثُّمَن الخامس ينتهي إلى آخر سورة الشعراء ٢٢٧: ﴿أَيُّ مُتَقَلِّبٍ يَتَقَلَّبُونَ﴾، الياء من الثُّمَن الخامس والتون والقاف واللام

والباء والواو والتون من الثمن السادس والثمن السادس ينتهي إلى بعض مائة وثمان وأربعين آية من سورة الصافات عند /١٤٨: ﴿فَأَمْتُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾، وهو الربع الثالث، وصارت ﴿إِلَى حِينَ﴾ من الثمن السابع، والثمن السابع ينتهي إلى أول عشر من سورة النجم إلى قوله /١٠: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾، وصارت ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾ من الثمن الآخر، والثمن الآخر إلى أن يختتم القرآن.

والثمن الأول ينتهي إلى بعض مائة وثلاث وأربعين آية من سورة آل عمران /١٤٣: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوُ وَأَنتُمْ﴾، قالوا: والألف آخر الثمن الأول، وصارت التون والتاء والميم من الثمن الثاني، والثمن الثاني ينتهي إلى بعض أربع وخمسين آية من سورة الأنعام عند /٥٣: ﴿لَيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيِّنَاتٍ﴾، وصارت ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾، من الثمن الثالث، والثمن الثالث ينتهي في بعض إحدى وتسعين آية من سورة براءة عند /٩٠: ﴿سَيُصِيبُ﴾ إلى الباء، وهو الثلث الأول والستس الثاني، وصارت الباء من ﴿سَيُصِيبُ﴾ من الثمن الرابع، والثمن الرابع ينتهي إلى بعض إحدى عشرة من سورة التحل /١١: ﴿مَنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِن فِي﴾، وصارت ﴿ذَلِكِ﴾ من الثمن الخامس، والثمن الخامس ينتهي في بعض ثمان وعشرين آية من سورة الحج عند /٣٠: ﴿وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْآ﴾، وصارت التون والعين والألف والميم التي في ﴿الْأَنْعَامِ﴾ من الثمن السادس، والثمن السادس ينتهي في بعض ست وأربعين آية من سورة العنكبوت /٤٦: ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا﴾، وهو الثلث الأوسط والستس الرابع، وصارت ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من الثمن السابع، والثمن السابع ينتهي إلى بعض تسع آيات من أول سورة حم المؤمن عند /١٠: ﴿يَسْأَلُونَ لَكَ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتَحِكُمْ أَن﴾، وصارت الفاء والسين والكاف والميم من ﴿الْفُسُكُمُ﴾، في الثمن الثامن، والثمن الثامن ينتهي إلى بعض سبع عشرة آية من أول سورة الواقعة عند /١٥: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ عَلَى﴾، وصارت ﴿سُرُرٍ﴾ من الثمن الآخر، والثمن الآخر إلى أن يختتم القرآن.

والعشر الأول ينتهي إلى بعض إحدى وتسعين آية من سورة آل عمران عند /٩٢:

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا﴾، وصارت ﴿تُحِبُّونَ﴾ من العُشر الثاني، والعُشر الثاني ينتهي إلى بعض اثنتين وعشرين آية من سورة المائدة عند ٨٠: ﴿لَبِسَمًا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، وهو الخمس الأول، وصارت ﴿وَفِي الْعَذَابِ﴾ من العُشر الثالث، والعُشر الثالث ينتهي إلى بعض اثنتين وثلاثين آية من سورة الأنفال عند ٣٢:، وصارت ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ من العُشر الرابع، والعُشر الرابع ينتهي إلى بعض ست وأربعين آية من يوسف عند قوله تعالى ٤٦: ﴿أَرْجِعْ إِلَى النَّاسِ﴾، وهو الخمس الثاني، وصارت ﴿لَعَلَّهُمْ يُقْلِقُونَ﴾ من العُشر الخامس، والعُشر الخامس ينتهي إلى بعض خمس وستين آية من سورة الكهف عند قوله ٦٧: ﴿أَتَكُنَّ تَسْتَبِيعَ﴾، وهو النصف الأول والرُّبع الثاني والسُّدس الثالث والثُّمن الرابع، وصارت ﴿مَعِيَ صَبْرًا﴾ من العُشر السادس، والعُشر السادس ينتهي إلى بعض إحدى وعشرين آية من سورة الفرقان عند ٢١: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾، وهو الخمس الثالث، وصارت ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في العُشر السابع، والعُشر السابع ينتهي إلى بعض إحدى وثلاثين آية من سورة الأحزاب ٣١: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُكِنُّهُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَفَعَلَ﴾، وصارت ﴿صَالِحًا﴾ من العُشر الثامن، والعُشر الثامن ينتهي إلى بعض خمس وأربعين آية من سورة حم السجدة عند ٤٦: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ﴾، وهو الخمس الرابع، وصارت ﴿أَسَاءَ فَعَلِيَهَا﴾ من العُشر التاسع، والعُشر التاسع ينتهي إلى بعض خمس وعشرين آية من سورة الحديد عند ٢٦: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾، وصارت ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ في العُشر العاشر، والعُشر العاشر ينتهي إلى آخر القرآن.

(١٤٤-١٣٩)

[ثم ذكر أخبارًا كثيرة عن بعض الأعلام في التنقيط والتعشير وإحصاء الصُّور وكتابة الفواتح والعدد والعواشر في المصاحف، وإن شئت فلاحظ]

الفصل الثاني

نصّ الدّانيّ (م: ٤٤٤) في «المحكم في نقط المصاحف»

في تعشير المصاحف وتخميسها ومن كره ذلك ومن أجازّه

١- حدّثنا خُلف بن إبراهيم قال: حدّثنا أحمد بن محمّد قال: حدّثنا عليّ، قال: حدّثنا القاسم بن سلّام قال: حدّثنا أبو بكر بن عيّاش قال: حدّثنا أبو حُصَيْن عن يحيى بن وثّاب، عن مسروق عن عبد الله أنّه كره التعشير^١ في المصحف.

٢- حدّثنا خُلف بن إبراهيم، قال: حدّثنا أحمد، قال: حدّثنا عليّ، قال: حدّثنا أبو عُبَيْد، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن مهديّ عن زائدة بن قدامة، عن أبي حُصَيْن، عن يحيى بن وثّاب، عن مسروق، عن عبد الله: أنّه كان يحكّ التعشير من المصحف.

٣- حدّثتُ عن الحسن بن رَشِيْق، قال: حدّثنا أبو العلاء، قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ، قال: حدّثنا أبو بكر بن عيّاش، عن أبي حُصَيْن، عن يحيى، عن مسروق، عن عبد الله: أنّه كان يكره التعشير في المصحف.

٤- وبه عن ابن أبي شَيْبَةَ، قال: حدّثنا أبو خالد الأحمر، عن حَجّاج، عن عطاء أنّه كره التعشير في المصحف أو يُكْتَب فيه شيء من غيره.

٥- وبه عن ابن أبي شَيْبَةَ، قال: أنا المَحَارِبِيُّ، عن ليث، عن مجاهد أنّه كان يكره أن يُكْتَب

١- التعشير: وضع علامة بعد كلّ عشر آيات من القرآن.

في المصحف تعشير أو تفصيل^١.

٦- وبه عن ابن شيبه^٢، قال: حدثنا عَفَّان، قال: حدثنا حَمَّاد بن زيد، عن شُعَيْب بن الحَبَاب: أن أبا العالية كان يكره العواشر.

٧- حدثنا خَلْف بن إبراهيم، قال: حدثنا أحمد المَكِّي، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا، عبد الرحمن، عن سُفْيَان، عن لَيْث، عن مجاهد: أنه كره التعشير والطيب في المصحف^٣.

٨- حدثنا خَلْف بن إبراهيم، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا أبو عُبَيْد، قال: حدثنا يزيد عن هِشَام عن ابن سيرين: أنه كان يكره الفواتح والعواشر التي فيها قاف كاف.

٩- حدثني عبد الملك بن الحسين، قال: حدثنا عبد العزيز بن علي، قال: حدثنا المقْدَام بن تَلِيد، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الحَكَم، قال: سمعت مالكا وسُئِلَ عن العشر التي تكون في المصحف بالحُمرَة وغيرها من الألوان، فكره ذلك، وقال: تعشير المصحف بالحبر لا بأس به.

١٠- حدثنا فارس بن أحمد، قال: حدثنا أحمد بن محمد، قال: حدثنا أبو بكر الرَّاظي، قال: حدثنا الفضل بن شاذان، قال: حدثنا أحمد بن يزيد، قال: حدثنا العَبَّاس بن الوليد، قال: حدثنا فُذَيْك، قال: حدثنا الأوزاعي، قال: سمعت قتادة يقول: بدؤوا فنقطوا ثم خمسون ثم عشروا.

قال أبو عمرو: وهذا يدل على الترخّص في ذلك والسعة فيه. (١٤-١٥)

١- أي تفصيل ما جاء موجزًا في القرآن، وذلك بإثبات الم حذف إيجازًا بين الكلم.

٢- والظاهر هو ابن أبي شيبه. (م)

٣- وذلك أنهم كانوا يطيبون المصاحف بالطيب، أو يضعون بين صفحاتها أوراق الورد وغيره من الأزهار.

الفصل الثالث

نصّ العاصميّ (٣٧٨-؟) في «المباني لنظم المعاني»

أجزاء القرآن

وأما ذكر أجزاء القرآن فقد ذكرها الشيخ الأجلّ أبوسهل الأنماري رحمته الله في كتابه:
فأما الأنصاف، فإنه روي عن الحسين بن أحمد الزعفرانيّ قال: أخبرنا محمد بن خالد
البرّاز، قال أخبرنا أحمد بن محمد من ولد القاسم بن أبي بزة، قال: حدّثني أبي عن حميد بن
عمر و قال: هذا حساب حميد الأعرج: التّصف الأوّل ينتهي إلى بعض خمس وستين آية من
سورة الكهف... [وذكر كما تقدّم عن السّجستانيّ الرّقم ٨٠، ثمّ قال:]
وروي يوسف بن موسى قال: حدّثنا محمد بن يحيى، قال: حدّثنا يزيد بن الثّضر، عن
شهاب بن شريق، عن الحِمانيّ في الأثلاث، الثّلاث الأوّل هذه الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَافِقِينَ
وَالْمُتَافِقَاتِ - إلى قوله - جَهَنَّمَ﴾^١.

وفيما يروي محمد بن يحيى عن عبد الملك عن محبوب، عن شهاب ومطهر عن الحِمانيّ
رأس مائة من براءة، والثّاني: رأس هذه الآية من طسم القصص: ﴿هَآءِ آيَاتُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
اللَّيْلِ سَرْمَدًا - إلى قوله - أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾^٢. أو مائة وإحدى عشرة من طسم الشعراء، والآخـ
ر ما بقي... [ثمّ ذكر الأرباع من أجزاء القرآن، كما تقدّم نحوها عن السّجستانيّ، الرّقم ١٠ فقال:]
وفي رواية الحِمانيّ: الرّبع الأوّل: البقرة، وآل عمران، والتّساء، والمائدة، والأنعام، والثّاني:

١- التوبة / ٦٨.

٢- القصص / ٧١.

في الكهف/١٩: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، والثالث: خاتمة يس/٨٣ وفي رواية عبد الملك خاتمة الزمر/٧٥ والرابع: ما بقي... [ثم ذكر الأخماس من أجزاء القرآن، كما تقدم نحوها عن السجستاني، الرقم ١٠ فقال:]

وفي رواية الحماني: الخمس الأول: إلى عشر ومائة من المائة/١٠٧: ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا إِذْ أَنْزَلْنَاهُ الظَّالِمِينَ﴾، والثاني: إلى تسعين من يوسف/٩٠: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. والثالث: السجدة من سورة الفرقان/٦٥. والرابع إلى عشر آيات من عسق/١٢: ﴿يَكُلُّ شَيْءٌ عَالِمٌ﴾، والخامس: ما بقي... [ثم ذكر الأسداس من أجزاء القرآن، كما تقدم عن السجستاني، الرقم ١٠، فقال:]

وفي رواية الحماني: السدس الأول من البقرة إلى خاتمة النساء/١٧٦، والثاني: خاتمة براءة/١٢٩، والثالث: خاتمة الكهف/١١٠، والرابع: خاتمة العنكبوت/٦٩، والخامس: خاتمة الأحقاف/٣٥، والسادس ما بقي... [ثم ذكر الأسباع من أجزاء القرآن، كما تقدم عن السجستاني، الرقم ١٠، ثم ذكر بعدها رواية قتادة، كما تقدم أيضاً عنه، فقال:]

وأما الأسباع المعروفة عندنا على تأليف أهل الكوفة فأول سبع: من أول فاتحة القرآن إلى قوله: ﴿صُدُّوا﴾^١ والمنصف قوله: ﴿فَاحْتَرَقْتَ﴾ إلى قوله: ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾^٢ والسبع الثاني: إلى قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾^٣ والمنصف قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. والسبع الثالث قوله: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^٤، والمنصف قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾^٥، والسبع

١- النساء/٦١.

٢- البقرة/٢٦٦.

٣- الأعراف/١٧٠.

٤- إبراهيم/٢٥.

٥- يونس/٦٠.

الرابع: إلى قوله: ﴿مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ﴾^١، والمنصف قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا تُكْرَهُ﴾^٢، والسبع الخامس: إلى قوله: ﴿فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٣، والمنصف قوله: ﴿وَتَجْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^٤، والسادس إلى خاتمة سورة الفتح/٢٩، والمنصف قوله: ﴿يَغْيِرُ حِسَابَ﴾^٥، من سورة المؤمن/٤٠، والسابع: إلى آخر القرآن، والمنصف خاتمة التَّغَابُنِ/١٨.

وفيما أخبرنا الشيخ محمد بن الهيصم رحمته الله، قال: أخبرنا أبو التَّضَرِّ محمد بن علي، قال: أخبرنا الشيخ الأجل أبو سهل الأنباري رحمته الله قال: أخبرنا يوسف بن موسى، قال: حدثنا محمد بن يحيى القطعي، قال حدثنا يزيد بن النَّصْر المَجَاشَعِي، قال: حدثنا شهاب بن شُرَيْقَةَ عن راشد أبي محمد الحِمَاني في الأسباع، قال: السَّبع الأول: البقرة، وآل عمران إلى هذه الآية من سورة النساء: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا - إلى - حَكِيمًا﴾، والسَّبع الثاني: إلى هذه الآية من الأعراف/١٤٧: ﴿حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ - إلى - يَعْمَلُونَ﴾، والثالث: إلى هذه الآية من الرعد/٣٥: ﴿تِلْكَ عَذَابُ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعَذَابُ الْكَافِرِينَ الثَّارِ﴾، والرابع: إلى هذه الآية من الحج/٦٧: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا - إلى - مُسْتَقِيمًا﴾، والخامس: إلى هذه الآية من الأحزاب/٣٦: ﴿وَمَنْ يَفْضُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ - إلى - مُبِيتًا﴾، والسادس: إلى هذه الآية من الفتح/٦: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوْءِ - إلى قوله - مَصِيرًا﴾، والسابع: آخر القرآن... [ثم ذكر رواية عن الحِمَاني، كما تقدّم نحوها عن السَّجِسْتَانِي الرَّقْم ٥، وذكر أيضًا الأثمان من أجزاء القرآن، كما تقدّم أيضًا عنه الرَّقْم ١٠، فقال:]

وفي رواية إبراهيم التَّيْمِي الثُّمَنُ الأول: من أول البقرة إلى قوله من النساء/٢٠: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾، والثاني/٥٠: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَعَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ من

١- المؤمنون/٥٥.

٢- الكهف/٧٤.

٣- سبا/٢٠.

٤- القصص/٢١.

الأعراف، والثالث/ ٧٨: ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ في هود، الرابع/ ٩٤: ﴿تَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ من سورة الكهف، والخامس في التمل/ ١٣: ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، والسادس/ ٢٣: ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ﴾ في ص، والسابع/ ١٨: ﴿كَذَّبْتَ عَادًا فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ في اقتربت، الثامن: ما بقي... [ثم ذكر الاتساع من أجزاء القرآن، كما تقدم عن السجستاني، فقال:]

وعن الحِمَاني التاسع الأول/ ٦٧: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ في آل عمران، والثاني في الأنعام/ ٩٥: ﴿فَسَالِيَ الْوَحْشُ وَالنَّوَى﴾، والثالث في براءة/ ١٢٢: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، والرابع في التل/ ٣٦: ﴿عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾، والخامس في الحج/ ٣٣: ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، والسادس في العنكبوت/ ٦٢: ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ أَنْ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، والسابع في حم المؤمن/ ٢٩: ﴿الْأَسْبِيلَ الرَّشَادِ﴾، والثامن في الواقعة/ ٨٩: ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾، والتاسع: ما بقي... [ثم ذكر الأعشار من أجزاء القرآن، كما تقدم نحوها عن السجستاني الرقم ١١، فقال:]

وفي رواية الأنماري عن الحِمَاني العشر الأول من البقرة إلى قوله: ﴿وَكَثُرَ لَهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ من آل عمران. والعشر الثاني إلى قوله/ ١٠٧: ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ من المائدة، والثالث: خاتمة الأنفال/ ٧٥، والرابع: إلى قوله/ ٩٠: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشَقِّقْ وَيَصْنِرْ - إِلَى - الْمُحْسِنِينَ﴾ من يوسف، والخامس: خاتمة الكهف/ ١١٠، والسادس: السجدة من الفرقان/ ٦٠: ﴿وَرَزَّادُهُمْ تُفَوِّرًا﴾ والسابع: قوله/ ٦٠: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُوكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ من الأحزاب، والثامن: قوله/ ١٢: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، من عسق، والتاسع: خاتمة الحديد/ ٢٩، والعاشر آخر القرآن... [ثم ذكر الأنصاف من أجزاء القرآن، كما تقدم أنفاً عن حميد بن عمرو، فقال:] فهذه الفصول على ما حسب حميد الأعرج إلا ما ذكرته عن الحِمَاني. ورؤي عن الحِمَاني: أن التصف قوله في الكهف/ ١٩: ﴿وَلَيَتَلَطَّفْ﴾ في الفاء.. (٢٣٥-٢٤٦)

الفصل الرابع

نصّ ابن الجوزي (م: ٥٧٩) في «فنون الأفتان في عيون علوم القرآن»

[أجزاء القرآن في الثلاثين]

...القرآن نصفان، النصف الأول عند قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ فالتون والكاف من النصف الأول، والراء والألف من النصف الثاني.

فأما الأثلاث، فالثلث الأول رأس اثنتين وتسعين من التوبة قوله: ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾، والثلث الثاني رأس خمس وأربعين من العنكبوت: ﴿يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، والثلث الثالث آخر القرآن.

فأما أجزاء الثلاثين

فالأول - في البقرة رأس مائة وإحدى وأربعين: ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

والثاني - رأس اثنتين وخمسين ومائتين منها: ﴿وَأَنَّكَ لَمِنَ الرُّسُلِينَ﴾.

والثالث - في آل عمران رأس تسعين منها: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾.

والرابع - في النساء رأس ثلاث وعشرين منها: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

والخامس - رأس مائة وسبع وأربعين منها: ﴿شَاكِرًا عَلِيمًا﴾.

والسادس - في المائدة رأس اثنتين وثمانين منها: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، وقيل: رأس إحدى

وثنانين منها: ﴿فَاسْقُونْ﴾.

السابع - في الأنعام رأس مائة وعشر منها: ﴿يَغْمَهُونْ﴾.

الثامن - في الأعراف رأس ست وثنانين منها: ﴿الْمُقْسِدِينَ﴾، وقيل: رأس سبع وثنانين منها: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

التاسع - في الأنفال رأس أربعين منها: ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

العاشر - في التوبة رأس اثنتين وتسعين منها: ﴿مَا يُتَّقُونَ﴾.

الحادي عشر - في هود رأس خمس منها: ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

الثاني عشر - في يوسف رأس اثنتين وخمسين منها: ﴿كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.

الثالث عشر - خاتمة سورة إبراهيم.

الرابع عشر - خاتمة التحل.

الخامس عشر - في الكهف: ﴿سَيِّئَاتُكُرًا﴾.

السادس عشر - خاتمة طه.

السابع عشر - خاتمة الحج.

الثامن عشر - في الفرقان رأس عشرين منها: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.

التاسع عشر - في التمل رأس خمس وخمسين منها: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُخْهَلُونَ﴾، وقيل: رأس تسع ﴿تُشْرِكُونَ﴾.

العشرون - في العنكبوت رأس خمس وأربعين منها: ﴿وَاللَّهُ يُعَلِّمُ مَا تُصْنَعُونَ﴾.

الحادي والعشرون - في الأحزاب رأس ثلاث وعشرين منها: ﴿تَبْدِيلًا﴾، وقيل: رأس ثلاثين: ﴿يَسِيرًا﴾.

والثاني والعشرون - في يس رأس إحدى وعشرين: ﴿مُتَعَدُّونَ﴾، وقيل: رأس ست وعشرين: ﴿يُعَلِّمُونَ﴾.

الثالث والعشرون - في الزمر رأس إحدى وعشرين منها: ﴿لَا لِبَابِ﴾، وقيل: رأس

إحدى وثلاثين منها: ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾.

الرابع والعشرون - في حمّ سجدة رأس ستّ وأربعين منها: ﴿بِظُلَامٍ لَّغَيِّبٍ﴾.

الخامس والعشرون - في الجاثية رأس تسع وعشرين منها: ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقيل:

رأس اثنتين وثلاثين منها: ﴿بِمُسْتَقَيْنَ﴾.

السادس والعشرون - في الذّاريات رأس عشر منها: ﴿الْخَرَّاصُونَ﴾، وقيل: بل رأس

ثلاثين: ﴿الْعَلِيمُ﴾.

السابع والعشرون - خاتمة الحديد.

الثامن والعشرون - خاتمة التحريم.

التاسع والعشرون - آخر المرسلات.

الثلاثون - آخر القرآن.

الفصل الخامس

نصّ السَّخَاوِيَّ (م: ٦٤٣) في «جمال القرآن وكمال الإقراء»

تجزئة القرآن

يقال: أجزاء القرآن والأحزاب والأوراد بمعنى واحد. وأظنّ الأحزاب مأخوذاً من قولهم: حزب فلان، أي جماعته؛ لأنّ الحزب طائفة من القرآن. والوردُ أظنه من الورد الذي هو ضدّ الصدر؛ لأنّ القرآن يروي ظمأ القلوب.

قال أبو عبيد: حدّثنا مروان بن معاوية عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، قال: حدّثني عثمان بن عبد الله بن أوس التَّقِيفي عن جدّه أنّه كان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من بني مالك، فأنزلهم في قبة له في المسجد قال: فكان يأتينا فيحدّثنا بعد العشاء، وهو قائم حتّى يراوح بين قدميه من طول القيام، وكان أكثر ما يحدّثنا شكايته قريشاً، وما كان يلقي منهم ثمّ قال: «كنا مستضعفين، فلما قدمنا المدينة انتصفنا من القوم، وكانت سجال الحرب بيننا علينا ولنا». قال: فاحتبس عنّا ليلة، فقلنا: يا رسول الله لبثت عنّا الليلة أكثر ممّا كنت تلبث قال: «نعم؛ طرأ عليّ حزبي من القرآن، فكرهت أن أخرج من المسجد حتّى أقضيه».

قال أبو عبيد: وحدّثني أبو نعيم عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن جدّه، عن النبي ﷺ مثل ذلك، وزاد في حديثه: قال: فقلنا لأصحاب

رسول الله ﷺ: إثمُه قد حدّثنا أنّه طرأ عليه حزبه من القرآن، فكيف تحزّبون القرآن؟ فقالوا: «نحزّبه ثلاث سُورَ، وخمس سُورَ، وسبع سُورَ، وتسع سُورَ، وإحدى عشرة سورةً، وثلاث عشرة سورةً، وحزب المفصل فيما بين قاف وأسفل»^١.

وقوله ﷺ: «طرأ عليّ حزبي من القرآن»، هو من قولهم: طرأ علينا يطرأ طرءاً، وطرءاً إذا طلع عليهم من بلدٍ آخر^٢، فلمّا خطر بباله ﷺ حزبه، صار كأنّه طرأ عليه... [ثمّ ذكر روايات، كما تقدّم عن السّجستانيّ الرّقم ١، ٢، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، وذكر أيضاً بعدها الأربع والأخماس والأسداس والأسباع والأثمان والأ تساع والأعشار، كما تقدّم أيضاً عن السّجستانيّ، الرّقم ١٠].

ذكر أنصاف الأسداس

وهي أجزاء اثني عشر: الأوّل من ذلك خاتمة البقرة، وهذا قول المعلّى بن عيسى الورّاق^٣ وقال محمّد بن الجهم السّمريّ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^٤ من آل عمران. وقيل: عند قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^٥ منها. والجزء الثّاني ينتهي إلى السّدس الأوّل^٦. والثّالث إلى الرّبع الأوّل^٧، والرّابع إلى الثّلث الأوّل^٨، والخامس إلى آخر الرّعد.

١- سنن ابن ماجه ١: ٢٨٤، ومسند ابن حنبل ٤: ٩، وسنن أبي داود ٢: ٥٦.

٢- الصّحاح: طرأ: ٦٠.

٣- انظر: ترجمته في غاية التّهاية ٢: ٣٠٤.

٤- نفس المصدر ٢: ١١٣.

٥- آل عمران/ ٦.

٦- آل عمران/ ١٦.

٧- النساء/ ١٤٢.

٨- الأعراف/ ١.

٩- التّوبة/ ٩٠.

وقيل: إلى قوله عَزَّ وَجَلَّ في الرَّعْد / ١٨: ﴿وَبَشِّرِ الْمَهَادِ﴾ منها.
والجزء السادس إلى انتهاء التصف الأول^١. والسابع: في التور / ١٠: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾، وقيل: إلى قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَوْوْفٌ رَحِيمٌ﴾^٢. والثامن: آخر القصص / ٨٨، وقول الجماعة هو آخر التُّلْت الثاني^٣. والتاسع: هو الرَّبْع الثالث^٤. العاشر: هو السُّدُس الخامس^٥. الحادي عشر: آخر الامتحان^٦، وقيل: خاتمة الصَّف^٧. والثاني عشر: خاتمة التَّاسِ.

[ذكر أنصاف الأسباع]

وأما أنصاف الأسباع، فحدثني أبو القاسم شيخنا رحمته الله قال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن هُذَيْل، حدثنا أبو داود، حدثنا أبو عمرو عثمان بن سعيد الدَّائِي رحمته الله قال: رواية الحُلَوَانِي عن ابن ذَكْوَانَ: نصف السَّبْع الأول من البقرة إلى مائتين وخمس وستين آية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾، ونصف الثاني عشرون آية من الأنعام: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ونصف الثالث ستون آية من سورة يونس: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾. ونصف الرابع عند اثنتين وتسعين آية من الكهف: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾^٨ ونصف الخامس عند أربعين آية من

١- الكهف / ٦٧.

٢- التور / ٢٠.

٣- العنكبوت / ٤٦.

٤- الصافات / ١٤٨.

٥- الجاثية / ٣٥.

٦- الممتحنة / ١٣.

٧- الصَّف / ١٤.

٨- هي الآية / ٧٤، وأظن أنه حصل تحريف في (سبعين) حيث حُرِّفَتْ إلى تسعين سهواً من التاسخ، فيكون نصف السَّبْع الرابع عند اثنتين وسبعين آية من الكهف بالعدد الشَّامِي.

القصص: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾، وقيل: عند قوله: ﴿تَجَوَّتْ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^١ في رواية ابن المنادي^٢، وليس مما رواه أبو عمر والداني. ونصف السبع السادس أربعون آية من المؤمن: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، ونصف السبع السابع إلى آخر التغابن. قال ابن ذكوان^٣: أخذت هذه الأجزاء عن أصحابنا ومشايخنا أهل الشام.

وأما أجزاء خمسة عشر فداخله في أجزاء ثلاثين وأجزاء ستين، سأذكرها إن شاء الله تعالى فتعرف منها أجزاء خمسة عشر.

وأما أجزاء ستة عشر وهي أنصاف الأثمان، فنصف الثمن الأول: ﴿وَالصُّرَّتَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^٤، ونصف الثمن الثاني: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾^٥ في العقود، ونصف الثمن الثالث في التوبة: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾^٦، ونصف الثمن الرابع آخر الحجر، ونصف الثمن الخامس آخر الحج، ونصف الثمن السادس آخر لقمان، ونصف الثمن السابع آخر الشورى، ونصف الثمن الثامن آخر المعارج... [ثم ذكر أجزاء أربعة وعشرين، وأجزاء سبعة وعشرين لصلاة القيام وأجزاء ثمانية وعشرين، وأجزاء ستين، وأرباع أجزاء ستين، وأقسام القرآن على ثلاثمائة وستين جزءاً، نحن لم نذكرها هنا لتفصيلها، وإن شئت فراجع]. (١: ٣١١-٣٣٣)

١- القصص/ ٢٥

٢- انظر غاية النهاية ١: ٤٤

٣- انظر: غاية النهاية ١: ٤٠٤-٤٠٥

٤- البقرة/ ٢٥٠.

٥- المائدة/ ٣٧.

٦- التوبة/ ١٠.

الفصل السادس

نصّ ابن تيمية (م: ٧٢٨) في «دقائق التفسير»

معنى الحزب وحدوده

والمقصود بهذا الفصل أنه إذا كان التحزيب المستحب ما بين أسبوع إلى شهر - وإن كان قد روي ما بين ثلاث إلى أربعين - فالصحابة إنما كانوا يحزّبونه سُورًا تامّةً ؛ لا يحزّبون السّورة الواحدة، كما روى أوس بن حذيفة؛ قال: قدّمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبّة له، قال: وكان كلّ ليلة يأتيّنا بعد العشاء؛ يحدثنا قائمًا على رجله حتّى يراوح بين رجله من طول القيام، وأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قريش، ثمّ يقول: كنّا مستضعفين مستذّلين بمكّة، فلمّا خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم، ندال عليهم ويدالون علينا، فلمّا كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتيّنا فيه، فقلنا: لقد أبطأت عنا اللّيلة؟ قال: «إنّه طرأ عليّ حزبي من القرآن، فكرهت أن أجيء حتّى أتمّه»^١.

١- أورد ابن الأثير هذه القصّة بأكملها في ترجمته لأوس بن حذيفة، فقال: قال حذيفة: «قدّمنا وفد ثقيف على رسول الله ﷺ، فنزل الأحلافون على المغيرة بن شعبة، وأنزل المالكيتين قبّته. وكان رسول الله ﷺ يأتيّنا يحدثنا بعد العشاء الأخيرة حتّى يراوح بين قدميه من قدميه من طول القيام. وكان أكثر ما يحدثنا اشتكاء قريش، يقول: «كنّا بمكّة مستذّلين مستضعفين، فلمّا قدّمنا المدينة انتصفنا من القوم، فكانت الحرب سجال لنا وعلينا». يقول حذيفة: احتبس عنا (الرّسول) ليلة عن الوقت الذي كان يأتيّنا فيه، ثمّ أتانا فقلنا: يا رسول الله احتبست عنا اللّيلة عن الوقت الذي كنت تأتيّنا فيه؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّه طرأ عليّ حزبي من

قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف تحزّبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة وثلاث عشرة، وحزب المفصل واحد^١، رواه أبو داود وهذا لفظه، وأحمد وابن ماجه، وفي رواية للإمام أحمد قالوا: نحزّبه ثلاث سُور، وخمس سُور، وسبع سُور، وتسع سُور، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل من (ق) حتّى يختم. ورواه الطبراني في «معجمه»: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ: كيف كان رسول الله ﷺ يحزّب القرآن؟ فقالوا: كان رسول الله ﷺ يحزّبه ثلاثاً، وخمساً، فذكره.

وهذا الحديث يوافق معنى حديث عبد الله بن عمرو في أنّ المسنون كان عندهم قراءته في سبع، ولهذا جعلوه سبعة أحزاب، ولم يجعلوه ثلاثة ولا خمسة. وفيه أنّهم حزّبوه بالسُور، وهذا معلوم بالتواتر، فإنّه قد علم أنّ أوّل ما جزّئ القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين، وثلاثين، وستين. هذه الّتي تكون رؤوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السُورة، وأثناء القصّة ونحو ذلك، كان في زمن الحجاج وما بعده، ورُوي أنّ الحجاج أمر بذلك، ومن العراق فشا ذلك، ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك.

وإذا كانت التجزئة بالحروف مُحدّثة من عهد الحجاج بالعراق، فمعلوم أنّ الصحابة قبل ذلك على عهد النبي ﷺ وبعده كان لهم تحزيب آخر، فإنّهم كانوا يقدرون تارة بالآيات فيقولون: خمسون آية، ستون آية. وتارة بالسُور، لكنّ تسبيعه بالآيات لم يروه أحد، ولا ذكره أحد، فتعيّن التحزيب بالسُور...

وهذا الّذي كان عليه الصحابة هو الأحسن، لوجوه:

أحدها - أنّ هذه التحزيبات المُحدّثة تتضمّن دائماً الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده. حتّى يتضمّن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه، فيحصل القارئ في اليوم الثّاني

→ القرآن، فأحببت أخرج حتّى أقضيه». قال حذيفة: فلمّا أصبحنا سألنا أصحاب رسول الله عن أحزاب القرآن كيف

يحزّبونه... إلخ» انظر بالإضافة إلى أبي داود وابن ماجه، ابن الأثير في أسد الغابة (١: ١٦٧).

١ - حزب المفصل يبدأ من سورة محمد إلى آخر القرآن، وانظر: القاموس المحيط مادة «فصل».

مبتدئاً بمعطوف، كقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^١ وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^٢، وأمثال ذلك. ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض - حتى كلام المتخاطبين - حتى يحصل الابتداء في اليوم الثاني بكلام المجيب، كقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^٣.

ومثل هذه الوقوف لايسوغ - في المجلس الواحد إذا طال - الفصل بينها بأجنبي، ولهذا لو ألحق بالكلام عطف أو استثناء أو شرط ونحو ذلك بعد طول الفصل بأجنبي، لم يسغ باتفاق العلماء، ولو تأخر القبول عن الإيجاب بمثل ذلك بين المتخاطبين، لم يسغ ذلك بلا نزاع، ومن حكى عن أحمد خلاف ذلك فقد أخطأ، كما أخطأ من نقل عن ابن عباس في الأول خلاف ذلك، وذلك أن المنقول عن أحمد أنه فيما إذا كان المتعاقدان غائبين، أو أحدهما غائب والآخر حاضراً، فينقل الإيجاب أحدهما إلى الآخر، فيقبل في المجلس البلاغ وهذا جائز، بخلاف ما إذا كانا حاضرين، والذي في القرآن نقل كلام حاضرين متجاوزين، فكيف يسوغ أن يفرق هذا التفريق لغير حاجة؟ بخلاف ما إذا فرّق في التلقين لعدم حفظ الملقن ونحو ذلك. والثاني - أن النبي ﷺ كانت عادته الفالبة وعادة أصحابه أن يقرأ في الصلاة بسورة (ق) ونحوها، وكما كان عمر يقرأ بـ «يونس» و «يوسف» و «التحل»، ولما قرأ ﷺ بسورة «المؤمنون» في الفجر أدركته سعدة فركع في أثنائها، وقال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء الصبي فأخفف، لما أعلم من وجد أمه به».

وأما «القراءة بأواخر السور وأواسطها» فلم يكن غالباً عليهم، ولهذا يتورع في كراهة ذلك، وفيه النزاع المشهور في مذهب أحمد وغيره، ومن أعدل الأقوال قول من قال: يكره اعتياد ذلك دون فعله أحياناً، لئلا يخرج عما مضت به السنة وعادة السلف من الصحابة

١- النساء / ٢٤.

٢- الأحزاب / ٣١.

٣- الكهف / ٧٥.

والتابعين.

وإذا كان كذلك فمعلوم أن هذا التحزيب والتجزئة فيه مخالفة للسنة أعظم ممّا في قراءة آخر السورة ووسطها في الصلاة، وبكلّ حال فلا ريب أن التجزئة والتحزيب الموافق لما كان هو الغالب على تلاوتهم أحسن. والمقصود أن التحزيب بالسورة القائمة أولى من التحزيب بالتجزئة.

الثالث - أن التجزئة المحدثّة لا سبيل - فيها - إلى التسوية بين حروف الأجزاء، وذلك لأن الحروف في اللّطق تخالف الحروف في الخطّ في الزيادة والتقصان، يزيد كلّ منهما على الآخر من وجه دون وجه، وتختلف الحروف من وجه، وبيان ذلك بأمر: أحدها - أن ألفات الوصل ثابتة في الخطّ، وهي في اللفظ تثبت في القطع وتحذف في الوصل، فالعادة إن حسبها انتقض عليه حال القارئ إذا وصل وهو الغالب فيها، وإن أسقطها انتقض عليه بحال القارئ القاطع وبالخطّ.

الثاني - أن الحرف المشدّد حرفان في اللفظ، أولهما ساكن، وهذا معروف بالحسّ واتّفاق الناس، وهما متماثلان في اللفظ، وأما في الخطّ فقد يكون حرفاً واحداً مثل (إِيَّاكَ) و(إِيَّاكَ)، وقد يكونان حرفين مختلفين مثل: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، و (حينئذٍ) و (قد سمع)، فالعادة إن حسب اللفظ فالإدغام إنما يكون في حال الوصل دون حال القطع، ويلزمه أن يجعل الأول من جنس الثاني، وهذا يخالف لهذا الحرف المعاد بها. وإن حسب الخطّ كان الأمر أعظم اضطراباً، فإنّه يلزمه أن يجعل ذلك تارة حرفاً وتارة حرفين مختلفين، وهذا وإن كان هو الذي يتهجّي فاللّطق بخلافه.

الثالث - أن تقطيع حروف اللّطق من جنس تقطيع العروضيّين، وأمّا حروف الخطّ فيخالف هذا من وجوه كثيرة، والثاس في العادة إنّما يتهجّون الحروف مكتوبة لا منطوقة.

و بينهما فرق عظيم.

الرابع - أن التطق بالحروف ينقسم إلى ترتيل وغير ترتيل، ومقادير المدّات والأصوات من القراء غير منضبطة، وقد يكون في أحد الحزبين من حروف المدّ أكثر ممّا في الآخر، فلا يمكن مراعاة التسوية في التطق، ومراعاة مجرد الخطّ لا فائدة فيه، فإنّ ذلك لا يوجب تسوية زمان القراءة.

وإذا كان تحزيبه بالحروف إمّا هو تقريب لا تحديد، كان ذلك من جنس تجزئته بالسُّور هو أيضًا تقريب، فإنّ بعض الأسباع قد يكون أكثر من بعض الحروف، وفي ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض، والافتتاح بما فتح الله به السّورة، والاختتام بما ختم به، وتكميل المقصود من كلّ سورة ما ليس في ذلك التحزيب. وفيه أيضًا من زوال المفساد الذي في ذلك التحزيب ما تقدّم التنبيه على بعضها، فصار راجحًا بهذا الاعتبار.

ومن المعلوم أنّ طول العبادة وقصرها يتنوّع بتنوّع المصالح، فتستحبّ إطالة القيام تارة وتخفيفه أخرى في الفرض والثقل بحسب الوجوه الشرعيّة، من غير أن يكون المشروع هو التسوية بين مقادير ذلك في جميع الأيام.

فعلم أنّ التسوية في مقادير العبادات البدنيّة في الظاهر لا اعتبار به إذا قارنه مصلحة معتبرة، ولا يلزم من التساوي في القدر التساوي في الفضل، بل قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي ﷺ أنّ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» تعدل ثلث القرآن^١، وثبت في الصحيح أنّ فاتحة الكتاب لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها^٢، وثبت في الصحيح أنّ آية

١- الإخلاص/١.

٢- ورد الحديث في البخاري عن أبي سعيد الخدري ولفظه:.... والذي نفسي بيده أنّها «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» لتعدل ثلث القرآن. انظر: البخاري ٦: ٢٣٣ (كتاب فضائل القرآن، فضل قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ).

٣- ورد الحديث في البخاري ٦: ٢٠٠ (كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب)، الثرمذي (نواب القرآن)، ابن حنبل ٤: ٣١١.

الكرسي أعظم آية في القرآن^١، وأمثال ذلك.

فإذا قرأ القارئ في اليوم الأول البقرة وآل عمران والتساء بكمالها، وفي اليوم الثاني إلى آخر براءة، وفي اليوم الثالث إلى آخر التمل كان ذلك أفضل من أن يقرأ في اليوم الأول إلى قوله: ﴿بَلِغْنَا﴾^٢، وفي اليوم الثاني إلى قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾^٣، فعلى هذا إذا قرأه كل شهر كما أمر به النبي ﷺ عبدالله بن عمرو وأولاً عملاً على قياس تحزيب الصحابة، فالسورة التي تكون نحو جزء أو أكثر بنحو نصف أو أقل ييسر يجعلها حزباً كآل عمران والتساء والمائدة، والأنعام، والأعراف.

وأما البقرة فقد يقال: يجعلها حزباً وإن كانت بقدر حزبين وثلاث، لكن الأشبه أنه يقسمها حزبين للحاجة، لأن التحزيب لا بد أن يكون متقارباً، بحيث يكون الحزب مثل الأجزاء ومثله مرة ودون التصف، وأما إذا كان مرتين وشيئاً فهذا تضعيف وزيادة. وعلى هذا فإلى الأعراف سبعة أجزاء، والأنفال جزء، وبراءة جزء، فإن هذا أولى من جعلها جزءاً، لأن ذلك يفضي إلى أن يكون نحو الثلث في ثمانية. والذي رجّحناه يقتضي أن يكون نحو الثلث في تسعة، وهذا أقرب إلى العدل. وتحزيب الصحابة أوجب أن يكون الحزب الأول أكثر، ويكون إلى آخر العنكبوت العشر الثاني سورتين سورتين.

وأما يونس وهود فجزمان أيضاً أو جزء واحد، لأنهما أول ذوات (الر)، ويكون على هذا الثلث الأول سورة سورة، والثاني سورتين سورتين، لكن الأول أقرب إلى أن يكون قريب الثلث الأول في العشر الأول، فإن الزيادة على الثلث بسورة أقرب من الزيادة بسورتين، وأيضاً فيكون عشرة أحزاب سورة سورة، وهذا أشبه بفعل الصحابة، ويوسف والرعد جزء، وكذلك إبراهيم والحجر، وكذلك التحل وسبحان (الإسراء)، وكذلك الكهف ومريم.

١- انظر: (فضل آية الكرسي) في البخاري ٦: ٢٣١ (فضل سورة البقرة).

٢- التساء ٦٣.

٣- الأعراف ١٧٠.

و كذلك طه والأنبياء، وكذلك الحجّ والمؤمنون، وذلك التور والفرقان، وكذلك ذات (طس) الشعراء والتّمل والقصص، وذات (آلم) العنكبوت والروم ولقمان والسّجدة جزء، والأحزاب وسبأ وفاطر جزء، و(يس) و(الصّافات) و(ص) جزء والزّمر وغافر و(حم) السّجدة جزء، والخمس البواقي من آل (حم) جزء.

و الثّلت الأوّل أشبه بتشابه أوائل السُّور، والثّاني أشبه بمقدار جزء من تجزئة الحروف وهو المرجّح. ثمّ «القتال» و«الفتح» و«الحجرات» و«ق» و«الذّاريات» جزء، ثمّ الأجزاء الأربعة المعروفة، وهذا تحزيب مناسب مشابه لتحزيب الحروف، وإحدى عشرة سورة حزب حزب، وإذ البقرة كسورتين، فيكون إحدى عشرة سورة، وهي نصيب إحدى عشرة ليلة، والله أعلم.

(١: ٢٤-٣١)

الفصل السابع

نصّ القرطبيّ (م: ٧٤٩) في «الجامع لأحكام القرآن»

وضع الأعراس

فقال ابن عطية: مرّ بي في بعض التواريخ أنّ المأمون العباسي أمر بذلك، وقيل: إنّ الحجاج فعل ذلك... [ثمّ ذكر رواية في كراهة تعشير المصحف كما تقدّم عن الدانيّ الرّقم ١، ٧، ٩].

وسئل مالك عن المصاحف يكتب فيها خواتم السّور في كلّ سورة ما فيها من آية، قال: إني أكره ذلك في أمّهات المصاحف أن يكتب فيها شيء أو يشكّل، فأما ما يتعلّم به الغلمان من المصاحف فلا أرى بذلك بأساً.

قال أشهب: ثمّ أخرج إلينا مصحفاً لجده، كتبه إذ كتب عثمان المصاحف، فرأينا خواتمه من جبر على عمل السلسلة في طول السطر، ورأيت معجوم الآي بالحبر.

وقال قتادة: بدؤا فنقطوا ثمّ خمّسوا ثمّ عشرّوا.

وقال يحيى بن أبي كثير: كان القرآن مجرّداً في المصاحف، فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء والثاء، وقالوا: لا بأس به، هو نور له، ثمّ أحدثوا نقطاً عند منتهى الآي، ثمّ أحدثوا الفواتح والخواتيم.

وعن أبي حمزة قال: رأى إبراهيم النخعيّ في مصحفٍ فاتحة سورة كذا وكذا، فقال لي: امنحه، فإنّ عبد الله بن مسعود قال: لا تخططوا في كتاب الله ما ليس فيه.

وعن أبي بكر السراج قال: قلت لأبي رزين: أأكتب في مصحفٍ سورة كذا وكذا؟ قال:

إني أخاف أن ينشأ قوم لا يعرفونه، فيظنّونه من القرآن.

قال الدّاني رحمه الله: وهذه الأخبار كلّها تؤدّن بأنّ التّعشير والتّخميس وفوائح السُّور ورؤوس الآي من عمل الصحابة رضي الله عنهم، قادهم إلى عمله الاجتهاد، وأرى أن من كره ذلك منهم ومن غيرهم إنّما كره أن يعمل بالألوان كالحُمْرة والصُّفْرة وغيرهما، على أنّ المسلمين في سائر الآفاق قد أطبقوا على جواز ذلك واستعماله في الأمّهات وغيرها، والهرج والخطأ مرتفعان عنهم فيما أطبقوا عليه إن شاء الله.

(١: ٦٣-٦٤)

الفصل الثامن

نصّ ابن كثير (م: ٧٧٤) في «تفسير القرآن العظيم»^١

[التحزيب والتجزئة]

وأما «التحزيب والتجزئة»، فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها، وقد ذكرنا فيما تقدّم الحديث الوارد في تحزيب الصحابة للقرآن والحديث في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجة وغيرهم عن أوس بن حذيفة أنّه سأل أصحاب رسول الله ﷺ في حياته: كيف تحزّبون القرآن؟ قالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وأحد عشرة وثلاث عشرة^٢ وحزب المفصل من «ق» حتّى تختم.

(١: ١٤)

١- ذكر الزركشي مثل هذا التصانيف في «البرهان في علوم القرآن» ١: ٢٥٠. (م)

٢- كذا والقاعدة في المذكّر أحد عشر وثلاثة عشر، وفي المؤنث إحدى عشرة وثلاث عشرة.

الفصل التاسع

نصّ الزُّرقانيّ (م: ١٣٦٨) في «مناهل العرفان ..»

تجزئة القرآن

كانت المصاحف العُثمانيّة مجردةً من التّجزئة الّتي نذكرها ، كما كانت مجردةً من النُّقْط والشُّكْل . ولمّا امتدَّ الزَّمان بالتّاس جعلوا يفتنون في المصاحف وتجزئتها عدّة تجزئات ، مختلفة الاعتبار .

فمنهم من قسّم القرآن ثلاثين قسمًا ، وأطلقوا على كلّ قسم منها اسم الجزء ، بحيث لا يخطر بالبال عند الإطلاق غيره ، حتّى إذا قال قائل : قرأتُ جزءًا من القرآن ، تبادر إلى الذّهن أنّه قرأ جزءًا من الثلاثين جزءًا الّتي قسّموا المصحف إليها . وجرى على ذلك أصحاب الرُّبعات ، إذ طبعوا كلّ جزء في نسخة مستقلّة ، ومجموع النُّسخ الجامعة للقرآن كلّهُ يسمّونه «رُبعة» . ويوجد من هذا القبيل أجزاء مستقلّة بالطّبع بأيدي صغار التّلاميذ في المدارس وغيرهم . ومن التّاس من قسّموا الجزء إلى حزَين ، ومن قسّموا الحزب إلى أربعة أجزاء ، سمّوا كلّ واحد منها رُبْعًا .

ومن التّاس من وضعوا كلمة خمس عند نهاية كلّ خمس آيات من السّورة ، وكلمة عشر عند نهاية كلّ عشر آيات منها ، فإذا انقضت خمس أخرى بعد العشر أعادوا كلمة خمس ، فإذا صارت هذه الخمس عشرًا أعادوا كلمة عشر ، وهكذا دَوّالَيْك إلى آخر السّورة .

وبعضهم يكتب في موضع الأُخماس رأس الحاء بدلًا من كلمة خمس ، ويكتب في موضع

الأعشار رأس العين بدلاً من كلمة عشر.

وبعض الناس يرمز إلى رؤوس الآي برقم عددها من السّورة أو من غير رقم.

وبعضهم يكتب فواتح للسُّور كعنوان ينوّه فيه باسم السّورة وما فيها من الآيات المكيّة والمدنيّة إلى غير ذلك. وللعلماء في ذلك كلام طويل بين الجواز بكراهة والجواز بلا كراهة، ولكن الخطب سهل على كلّ حال، ما دام الغرض هو التيسير والتسهيل، وما دام الأمر بعيداً عن اللبس والتزيّد والدّخيل، ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾^١. (١: ٤٠٢-٤٠٣)

الفصل العاشر

نصّ صبحي الصّالح (م: ١٤٠٧) في «مباحث في علوم القرآن»

[تقسيم القرآن إلى أجزاء والأجزاء إلى أحزاب...]

من المُخَدَّثَاتِ الَّتِي كَرَّهَا الْعُلَمَاءُ أَوَّلُ الْأَمْرِ، ثُمَّ انْتَهَوْا إِلَى إِبَاحَتِهَا أَوْ اسْتِحْبَابِهَا آخِرًا، بِدَعَةِ كِتَابَةِ الْعُنَاوِينَ فِي رَأْسِ كُلِّ سُورَةٍ، وَوَضْعِ رَمُوزٍ فَاصِلَةٍ عِنْدَ رُؤُوسِ الْآيِ، وَتَقْسِيمِ الْقُرْآنِ إِلَى أَجْزَاءٍ، وَالْأَجْزَاءِ إِلَى أَحْزَابٍ، وَالْأَحْزَابِ إِلَى أَرْبَاعٍ، وَالْإِشَارَةِ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ بِرُسُومٍ خَاصَّةٍ.

وَالرَّمُوزُ الْمَشِيرَةُ إِلَى رُؤُوسِ الْآيِ سَارِعُ النَّاسِ إِلَى تَلْقِيْهَا بِالْقَبُولِ قَبْلَ سَوَاهَا، لِاحْتِيَاجِهِمْ إِلَى مَعْرِفَةِ تَقْسِيمِ الْآيَاتِ، وَلَا سِيَّمًا بَعْدَ أَنْ انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ تَرْتِيبَ الْآيَاتِ تَوْفِيفِيٌّ^١. قَدْ تَبَايَنْتِ طَرَائِقُ رَمْزِهِمْ إِلَيْهَا، فَقَدْ يَذْكُرُونَ عِنْدَ رَأْسِ كُلِّ آيَةٍ رَقْمَ عَدْدِهَا مِنَ السُّورَةِ، وَقَدْ يُغْفَلُونَ ذَلِكَ. وَأَحْيَانًا يَضَعُونَ كَلِمَةً عَشْرَ أَوْ رَأْسَ «العين» حَرْفِهَا الْأَوَّلَ عِنْدَ نِهَآيَةِ كُلِّ عَشْرِ آيَاتٍ مِنَ السُّورَةِ^٢، أَوْ كَلِمَةً خَمْسَ أَوْ رَأْسَ «الحاء» حَرْفِهَا الْأَوَّلَ عِنْدَ نِهَآيَةِ كُلِّ خَمْسِ آيَاتٍ، وَلَا يَجِدُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ بَاسًا.

أَمَّا الْعُنَاوِينَ الَّتِي كَانُوا يَكْتُبُونَهَا فِي فَوَاتِحِ السُّورِ مَنْوِّهِينَ فِيهَا بِأَسْمَائِهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ

١- ومع ذلك، اختلف العلماء في عدد الآي. وقد بيّن الزركشي في «البرهان» ١: ٢٥١ - ٢٥٢ أن سبب هذا الاختلاف

«أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلّها وصل التمام، فيحسب السامع أنها ليست فاصلة.

٢- وفي البرهان: ١: ٢٥١: «وَأَمَّا وَضْعُ الْأَعْشَارِ فَقِيلَ: أَنَّ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيَّ أَمَرَ بِذَلِكَ، وَقِيلَ: إِنَّ الْحَبَّاجَ فَعَلَ ذَلِكَ».

المكيّة والمدنيّة، فكانت لابدّ أن تثير معارضة عنيفة في الأوساط المحافظة، لأنّ كثيرًا من العلماء بله إمامة الناس، كانوا يعتقدون أنّ هذه الأمور ليست توقيفيّة، بل للصّحابة فيها نصيب غير قليل من الاجتهاد. وإذا كنّا لم نسلم بأنّ ترتيب السُور اجتهادي، بل رجّحنا أنّه كترتيب الآيات توقيفي^١، فإنّنا لانملك دليلاً قويّاً على أنّ أسماء السُور توقيفيّة أيضاً، وليس في وسعنا أن ندّعي الإجماع على مكيّة بعض السُور ومدنيّة بعضها الآخر بحيث لا يكون في السُورة الواحدة إلّا قول واحد متفق عليه^٢. فهذا الاختلاف هو الذي أثار تلك المعارضة العنيفة لكتابة العناوين في فواتح السُور.

لكن حدّة المعارضة ما لبثت أن خفّت^٣، فلم يقنع الناس بكتابة تلك العناوين، بل طفقوا يفتشون في تنميقها وتذهيبها، حتّى أوشك الجهّال أن يعتقدوا أنّها جزء لا يتجزأ من الوحي القرآني^٤.

ولما أباح الناس لأنفسهم كتابة الرّموز الفاصلة بين الآيات، ثمّ تجرّؤوا حتّى على كتابة العناوين في رؤوس السُور، لم يُعدّ ممكناً منعهم من الدّهاب في تجويد المصاحف كلّ مذهب، وقد بدا لهم أنّ من تجويدها تحزبتها وتحزيبها، وراحوا يلتمسون على ذلك أدلّة من الروايات الماثورة؛ قال الزّركشي: وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت... [وذكر كما تقدّم عن ابن كثير].

(٩٧-٩٨)

١- راجع ص: ٦٩ إلى ٧١.

٢- قال الزّركشي في البرهان ١: ٢٧٠ «وينبغي البحث عن تعداد الأسماء هل هو توقيفيٌّ أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كلّ سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها وهو بعيد».

٣- وانظر: الإقنان ١: ١٨-٢٣، الاختلاف حول مكيّة بعض السُور ومدنيّة بعضها.

٤- تجد في كتاب المصاحف لابن أبي داود ١٥٨ وما بعدها وصفاً لموقف المعارضين والمتساهلين في كتابة هذه العناوين والرّموز.

الفصل الحادي عشر

نصّ الشّيخ معرفة (م: ١٤٢٧) في «التمهيد في علوم القرآن»

[وضع الأعشار والأخماس]

أمّا وضع الأعشار والأخماس وغيرهما من علائم التحزيب والتجزئة؛ فقليل: إنّ المأمون العباسيّ هو الذي أمر بذلك.

وقيل: إنّ الحجاج فعل ذلك، قال أحمد بن الحسين: بعث الحجاج إلى قراء البصرة، فجمعهم واختار منهم جماعة، وقال: عدّوا حروف القرآن، فجعلوا يعدّونها أربعة أشهر، وإذا هي (٧٧٤٣٩) كلمة، و(٣٢٣٠١٥) حرفاً.

وفي رواية (٣٤٠٧٤٠) حرفاً. وينتصف القرآن على الفاء من قوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾. وعدد آياته في قول عليّ عليه السلام (٦٢١٨) آية.

وقد اشتهر تحزيب القرآن وتحزنته إلى ثلاثين جزءً تسهلاً لقراءته في المدارس وغيرها.

(٣١٣:١)

الفصل الثاني عشر

نصّ الأبياريّ (معاصر) في «تاريخ القرآن»^١

تجزئة المصحف

لقد سقنا لك الحديث عن عدد سُور القرآن وعدد كلماته، وعدد حروفه؛ وما نظنّ هذا كلّه بدأ مع السّنين الأولى أيّام كان المسلمون مشغولين بجمع القرآن وتدوينه عهد أبي بكر وعمر، ثمّ عهد عثمان، وما نظّته إلّا تخلف زمنًا بعد هذا على أيّام الحجاج.

ولقد كان المسلمون والوحي لا يزال متّصلًا يختصّون يومهم بنصيب من القرآن، يخلّون إلى أنفسهم ساعة من يومهم هذا يتلون فيها ما تيسّر، يفرض كلّ منهم على نفسه جزءاً بعينه، وإلى هذا يُشير ماروي عن المغيرة بن شعبة، قال: استأذن رجل على رسول الله ﷺ، وهو بين مكّة والمدينة، فقال: إنّه قد فاتني اللّيلة جُزئي من القرآن، فأني لأؤثر عليه شيئاً^٢.

وما نشكّ في أنّ هذه التّجزئة كانت فرديّة، أي أنّ مرجعها كان لكلّ فرد على حدة، ونكاد نذهب إلى أنّها لم تكن على التّساوي. وهذا التّجزئة التي أخذ المسلمون بها أنفسهم مبكرين، ليجعلوا للقرآن حظّاً من ساعات يومهم، حتّى لا يغيّبوا عنه فيغيّب عنهم، وحتّى يُيسّروا على أنفسهم ليمضوا فيه إلى آخره أسبوعاً بعد أسبوع، أو شهراً بعد شهر، هذه التّجزئة الأولى غير المضبوطة هي التي أمّلت على المسلمين بعد في أن يأخذوا في تجزئة القرآن تجزئة تخضع

١- طبع هذا الكتاب ضمن كتاب «الموسوعة القرآنيّة» للمؤلف، المجلد الأول. (م)

لمعايير مضبوطة، ولم يكن عليهم ضَيْرٌ في أن يفعلوا.

عند هذه وبعد أن استوى المصحف بين أيديهم مكتوبًا، كان عدّ السور وعدّ الكلمات وعدّ الآيات، ولا يعني هذا أن المسلمين الأول أيام الرسول كانوا بعيدين البعد كلّ عن هذا كلّ، بل أن ما نعينه هو الإحصاء المستوعب الشامل، وأما غيره فما نظننا ننكره على المسلمين الأول، ومن ذلك ما روي عن ابن مسعود أنه قال: أقراني رسول الله ﷺ سورة من الثلاثين من آل حم، يعني الأحقاف.

ويقول السيوطي: كانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سُميت الثلاثين^١.

ولكن هذا الاستيعاب الشامل لم يكن إلا مع أيام الحجاج، ودليلا على هذا ما يرويه أبو بكر بن أبي داود، يقول: جمع الحجاج بن يوسف الحفظ والقراء... [وذكر كما تقدم عنه، الرقم ٥، ثم قال:]

كانت هذه نظرة الحجاج مع القراء والحفظ، وكانت تجزئته للقرآن بوفق عدد حروفه، ولقد رأينا كيف جزّاه نصفين، ثم أسباعًا، ثم أثلثًا، ثم أرباعًا. وما نظن الحجاج كان يستملي في هذه التجزئة إلا عن تفكير في التيسير، فجعله نصفين على القارئ المجتهد، ثم أثلثًا على اللاحق، ثم أرباعًا على من يتلو اللاحق، ثم أسباعًا على من يريد أن يتمّه في أسبوع، وكانت ذلك هي النهاية التي أحبها الحجاج للمسلمين، وكأنه لم يحبّ لهم أن يتجاوزوها، لذلك لم يمسّ مع القراء والحفظ يسألهم عمّا بعدها، ونحن نعلم أن الحجاج كان يقرأ القرآن كلّ في كل ليلة^٢. وحين نظر الحجاج في القرآن يجزّئه هذه التجزئة التي تحدّها الحروف، بدأ غيره من بعده ينظرون في تجزئة القرآن تجزئة تمليها الآيات، فقسّموه أنصافًا، وأثلثًا، وأرباعًا، وأخماسًا، وأسداسًا، وأسباعًا وأثمانًا، وأتساعًا وأعشارًا.

١- الإهتان ٦٦:١.

٢- المصاحف ١١٩: ١٢٠.

وما نظن هؤلاء الذين جاءوا في إثر الحجاج بهذه التجزئة التي تخالف تجزئة الحجاج كانوا يستملون إلا عن مثل ما استملى الحجاج عنه، وهو التيسير، ثم الإرخاء في هذا التيسير، ثم تخصيص كل يوم بنصيب لا يزيد ولا ينقص، وكان أقصى ما أرادوه لكل مسلم أن يتم قراءة القرآن في أيام لاتعدو العشرة. ولقد مرّ بك قبل - عند الكلام على عدّ آيات القرآن - ما كان من خلاف يسير علمت سببه، ولكن هذا الخلاف اليسير في عدّ الآيات جرّ إلى خلاف يسير في هذه التجزئة.

ولقد كانت فكرة الحجاج وفكرة من جاء بعد الحجاج في تجزئة القرآن هي التيسير على التالي، ولكن الحجاج كان مُتشدِّداً، مُتشدِّداً على نفسه أولاً كما رأيت، فلم يجاوز في تيسيره إلى غير سبعة أيام، ولكن من جاء وابتعد الحجاج لم يكونوا على تشدّد الحجاج، فأرخوا شيئاً في التيسير وزادوا الأيام إلى عشرة. وما وقف التيسير عند هذا الحدّ الذي انتهى إليه الذين جاءوا الحجاج، بل نرى الميسرين أرخوا للقارئ إلى أن بلغوا بهم الثلاثين، فإذا القرآن مجزاً إلى ثلاثين جزءاً.

غير أن هذه المراحل التي جاءت بعد الحجاج لم تتم في يوم وليلة، بل امتدّت بامتداد الأيام، ولقد كانت وفاة الحجاج في العام الخامس والتسعين من الهجرة، ونرى السجستاني يروي أخباره في تجزئة القرآن تلك التجزئة الثانية عن رُواة تنحصر وفاتهم في القرن الثاني للهجرة، ثم نرى ابن التديم وهو يتكلّم عن الكُتب المؤلّفة في أجزاء القرآن يذكر لنا:

١- كتاب أسباع القرآن لحمزة بن حبيب بن عمارة الزيات، ولقد كانت وفاة حمزة سنة ١٥٨ هـ.

٢- كتاب أجزاء ثلاثين عن أبي بكر بن عيّاش، ولقد كانت وفاة أبي بكر بن عيّاش سنة ١٩٣ هـ.^١

و ما يعنينا الكتاب الأول، فلقد علمنا أن تجزئة القرآن أسباعاً كانت على يد الحجاج حُرُوفاً، وقد تكون على يد حمزة آيات، نقول: لاعتنينا هذه ولكن تعنينا الثانية، فهي تدلنا على أن تجزئة القرآن إلى ثلاثين جزءاً - وهي التجزئة التي عليها مصاحفنا اليوم - تجزئة قديمة انتهت إلى أبي بكر بن عيَّاش، هذا يُشعرنا أسلوب ابن التديم، إذ لم يُغز الكتاب لأبي بكر وإنما قال: عن أبي بكر بن عيَّاش.

إذن فتجزئة القرآن ثلاثين جزءاً لم تغب عن القرن الثاني الهجري، ولا يبعد أن تكون دون منتهاه بكثير، فقد كان مولد أبي بكر بن عيَّاش سنة ست وتسعين من الهجرة، والرجل يصلح للتلقي والرواية من الخامسة والعشرين من عمره، أي أن أبا بكر بن عيَّاش كان رجل رواية وتلق مع العام العشرين بعد المائة الأولى من الهجرة.

وهذه التجزئة الأخيرة، أعني تجزئة القرآن ثلاثين جزءاً هي التجزئة التي غلبت وعاشت، ولعل ما ساعد على غلبتها يسرها، ثم ارتباطها بعدد أيام الشهر، ونحن نعلم كم تجدد هذه التجزئة إقبالاً عظيماً في شهر رمضان من كل عام، وما نظن الذين جزءاً وانتهوا إلى هذه التجزئة الأخيرة في مرحلة واحدة متجاوزين التجزئة العشرية إلى التجزئة الثلاثينية، والذي نقطع به أنه كانت ثمة تجزئات بين هاتين المرحلتين لا ندري تدريجها، ولكن يعنينا أن نقيّد أن ثمة تجزئة تقع في عشرين جزءاً، تحتفظ بها مكتبة دار الكتب المصرية.

وبهذه التجزئة - أي إلى ثلاثين جزءاً - أصبح القرآن يُعرض أجزاءً منفصلة كل جزء على حدة، وأصبحنا نراه في المساجد - لاسيما في شهر رمضان - محفوظاً في صناديق بأجزائه الثلاثين، كل مجموعة في صندوق، يقدمه الراغبون في الثواب إلى المختلفين إلى المساجد رغبة في تلاوة نصيب من القرآن.

وأصبح يُطلق على هذه الأجزاء الثلاثين اسم رُبعة، والرُبعة في اللغة: الصندوق أو الوعاء من جلد، ولعل تسمية الأجزاء الثلاثين بهذا الاسم جاءت من إطلاق المحل على الحال فيه. ولكن هذا التيسير الأخير جرّ إلى تيسير آخر يتصل به، وما نشك في أن الدافع إليه كان

التيسير هنا على الحافظين، بعد أن كان التيسير قبل على القارئ، وفرق بين أن تيسر على قارئ وبين أن تيسر على حافظ. من أجل هذه فيما نظن كان تقسيم الأجزاء الثلاثين إلى أحزاب، كل جزء ينقسم إلى حزبين، ثم تقسيم الحزب إلى أرباع، كل حزب ينقسم إلى أربعة أرباع.

[عدد الآيات عند قراء الأمصار]

وعلى هذا التقسيم الأخير طُبعت المصاحف، واعتمد هذا التقسيم على الجانب الراجح بين القراء في عدد الآيات، فأنت تعلم هذا الخلاف الذي بينهم:

فالمدينون الأول يعدون آيات القرآن	٦٠٠٠ آية.
والمدينون المتأخرون يعدون آيات القرآن	٦١٢٤ آية.
والمكيون المتأخرون يعدون آيات القرآن	٦٢١٩ آية.
والكوفيون يعدون آيات القرآن	٦٢٣٦ آية.
والبصريون يعدون آيات القرآن	٦٢٠٤ آية.
والشاميون يعدون آيات القرآن	٦٢٢٥ آية.

وفي هذا الخلاف كان ثمة ترجيح، وثمة اتفاق وثمرّة تغليب. وقد انبرى لهذا «السفاسي» في كتابه: «غَيْثُ النَّفْعِ». ولقد اعتمد السفاسي على رجلين سبقاه في هذه الصناعة، هما: أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني في كتابه: «لطائف الإشارات في علم القراءات»، والقادري محمد، و كتابه: «مُسْنَعُ الْمُقْرئين ومُعِينُ الْمُشْتَغِلين بمعرفة الوقف والابتداء»، وانتهى إلى الرأي الراجح أو المتفق عليه، وبهذا أخذ الذين أشرفوا على طبع المصحف طبعته الأخيرة في مصر، و خرج يحمل الإشارات الجانبية الدالة على مكان الأجزاء والأحزاب وأرباع الأحزاب.

(٣٧٨: ٣٨٠)

الفصل الثالث عشر

نصّ الزّقزاف (معاصر) في «التّعريف بالقرآن والحديث»

تقسيم القرآن

إنّا نجد القرآن فيما نقرأ من مصاحف اليوم مقسّمًا إلى ثلاثين جزءًا، وكلّ جزء منها مقسّم إلى حزبين، وكلّ حزب مقسّم إلى أربعة أقسام، كلّ قسم منها يسمّى ربّعة.

فهل كان القرآن في عهد الرّسول ﷺ، أو في عصر الصّحابة ومن تبعهم على هذا التّقسيم؟ أم ماذا؟

الذي يمكن القول به أنّ القرآن كان في عهد الرّسول ﷺ مقسّمًا، ولكنّه ليس على هذا التّحوّ الذي نجده الآن، ويدلّ لذلك ما رواه أحمد وأبو داود عن أوس بن حذيفة الثّقفيّ... [وذكر كما تقدّم عن ابن تيميّة، ثمّ قال:]

فهذا الحديث يدلّنا على أنّهم كانوا يقسّمون القرآن إلى أحزاب، منها ما هو ثلاث سُور، ومنها ما هو خمس... إلى آخر ما ذكر. كما أنّه يعطينا أنّهم كانوا يجعلون أحزابه أوتارًا، وأنّ عدّة أحزاب القرآن آنذاك كانت سبعة. ومعنى «طرأ عليّ حزبي» أنّه تذكرة بعد أن كان قد نسيه... [ثمّ ذكر رواية عن قتادة، كما تقدّم عن السّجستانيّ، الرّقم ٣، فقال:]

ثمّ يحدثنا أنّ الحجاج بن يوسف الثّقفيّ (توفي ٩٥ هـ) جمع الحفّاظ والقراء وسألهم أن يخبروه عن عدد حروف القرآن كلّها، وسألهم أن يخبروه عن نصفه، وعن أثلاثه، وعن أرباعه، وعن أسباعه، وعن أعشاره بحسب عدد الحروف؛ والظاهر أنّه كان يريد وضع علامات في

المُصْحَف تدلّ على هذه الأقسام، كما نجد في مصاحفنا اليوم علامات تدلّ على الأجزاء، والأحزاب، والأرباع، وهذا ما يكشف عنه ابن عطية إذ يقول: «مرّبي في بعض التواريخ أن المأمون العباسي أمر بذلك (يشير إلى وضع الأعشار على المُصْحَف) وقيل: إن الحجاج فعل ذلك...» [ثم ذكر روايتين عن ابن مسعود وأشهب، كما تقدّم عن الدّاني، الرقم ١ و ٩، فقال:]
ومن كلّ ما تقدّم نأخذ أن تقسيم القرآن إلى أقسام كان منذ عهد الرّسول ﷺ، واستمرّ في عهد الصحابة، كما نأخذ من الرواية التي ذكرّت عن عبد الله بن مسعود أنّه كان يكره التعشير في المصاحف ويحكّه، أن كتابة علامات لأقسام القرآن على المصاحف كانت مستعملة في عهده، ولكنّها ربّما كانت قليلة الاستعمال، وكان منهم من ينهى عنها، لأنّهم كانوا يكرهون أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فبالقوا في الحيلة لهذا بكرة كتابتها في المصاحف والتّهي عنها، وأنّ وضع الأعشار - وهي العلامات الدّالة على كلّ عُشر من القرآن - قد استعملت منذ عهد الحجاج بن يوسف.

أمّا تقسيمه إلى أجزاء وأحزاب وأرباع على ما هو عليه الآن، ووضع علامات دالة على ذلك في المصاحف، فالظاهر أنّه كان في تاريخ متأخّر.

ومما يؤنس بهذا أنّي قد طفتُ بُمُتَحَف المصاحف في دار الكُتُب المصريّة، وشاهدتُ المصاحف التي احتواها في عصور مختلفة، فوجدت ما يأتي:

١- مُصْحَفًا يرجع تاريخه إلى القرن الأوّل، وقد عثر عليه بجامع عمرو بن العاص، ويقال: إنّهُ ربّما كان المُصْحَف الخاصّ بالخليفة عثمان، ولم أجد في صفحاته علامات تدلّ على التجزئ، ولكنّ فيه علامات تدلّ على فواصل الآيات، هي عدّة شرط مائلة من اليمين إلى اليسار، وهو بالخطّ الكوفيّ.

٢- مُصْحَفًا آخر يقال: إنّهُ مُصْحَف الحسن البصريّ، ولم أجد به إلّا علامات الآي،

وعلامات للتعشير على النحو الذي ذكرت أنه كان معروفاً منذ عهد الصحابة، وكان ابن مسعود وغيره يكرهه، فإذا عرفنا أن الحسن البصري توفي سنة ١١٠ هـ^١، نعلم أنه عاش في القرن الأول والثاني، وقد أدرك في بدء حياته عهد عثمان، إذاً يروى في ترجمته أنه حفظ القرآن في عهد عثمان. وحينئذ يكون التقسيم الذي نحن عليه الآن غير معروف إلى أوائل القرن الثاني.

٣- مصاحف كُتبت في القرن الثاني والثالث، وكلها بالخط الكوفي، وبها تقسيم على طريقة الأعراس التي كانت معروفة في القرن الأول.

٤- وجدت مصحفاً كُتب في أواسط القرن الرابع، ووجدت فيه علامات الأجزاء والأحزاب والأرباع على النحو الذي نعرفه الآن.

ومن هذا نستنتج أن ما يمكن الجزم به هو أن التقسيم المعهود لنا الآن كان موجوداً في أواسط القرن الرابع، وكان غير موجود إلى القرن الثالث. أما الحقبة التي بين هذين العهدين فلم يكشف لنا ما حفظ من الآثار عن حالة التقسيم فيها، وربما كان تقسيمنا معروفاً منذ أوائل القرن الرابع أو أواخر القرن الثالث. لأن شهرته بين الكاتبين تحتاج إلى زمن حتى تتبع كتابته في أواسط القرن الرابع. هذا ما يمكن استنتاجه الآن حتى يكشف لنا التاريخ عن تحقيق وقته بالضبط.

(١٠٦-١٠٩)

١- انظر: تهذيب الأسماء واللغات للتوحي (١: ١٦٦) من القسم الأول: الطبعة المنيرية.

الفصل الرابع عشر

نصّ الحسيني الجلاليّ (١٣٦١ - ...) في «دراسة حول القرآن الكريم»

تجزئة المصحف حدود ٢١٨ هـ

قام ابن الجوزيّ (ت ٥٩٧) بتجزئة القرآن نصفًا وثُلثًا وأرباعًا وأخماسًا وأسداسًا وأسباعًا وأثمانًا وأتساعًا وأعشارًا، ثم أنصافها وتجزئة ثمانٍ وعشرين والثلاثين والستين في كتابه: «فنون الأفتان»، ومن تجزئته يظهر أن مصطلح الحزب لم يكن سائدًا في عصره. كما لم يظهر السبب في قفزه في التجزئة من الأعشار إلى (٢٨) ومنه إلى (٣٠) و(٦٠) ... [ثم ذكر قول ابن الجوزيّ والقرطبي، كما تقدّم عنهما، فقال:]

وهكذا استمرّ في تجزئة القرآن بالأرباع والأخماس والاسداس والأسباع والأثمان والأتساع والأعشار، ثم أجزاء (٢٨) وأجزاء الثلاثين، ثم أجزاء الستين، ونكتفي هنا بما ذكره في أجزاء الثلاثين، حيث إنه المتداول في عصرنا ... [ثم ذكر قول ابن الجوزيّ، كما تقدّم عنه، فقال:]

أقول: ومن هذه القول يُستفاد أن التجزئة إنما حصلت على أثر الحاجة في التعلّم أو الحفظ أو الحصّة اليومية من القراءة، وهذا عمل لا بأس به، ولو حصل بالتجزئة بآية صورة كانت، لأنّها من الأغراض المشروعة، وحدثني المقرئ الشيخ محمود الحصريّ أن القدماء اعتادوا على وضع ثلاث نقط عند آخر كل آية إيدانًا بانتهائها، وكانوا يضعون لفظ خمس عند انقضاء خمس آيات، ونقط عشر عند انتهاء عشر آيات، ومع تكرار العدد يعيدون نقط خمس

وعشر حتى انتهاء السورة، وأن هذا معنى قول قتادة: «بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عَشَرُوا»، ولم يبق اليوم من هذه التجزئة سوى الأجزاء الثلاثين، وكل جزء حزبان وكل حزب أربعة أرباع، فالجمع ثلاثون جزء.

كما يظهر أن تجزئة القرآن كانت اختيارية حسب رغبات المسلمين والظروف التي يتمكنون فيها من قراءة القرآن من أوله إلى آخره، وفي عصر الإمام الصادق عليه السلام كانت التجزئة في خمسة أجزاء وسبعة أجزاء و ١٤ جزءاً، فعن حسين بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: في كم أقرأ القرآن؟ فقال: «أقرأه أخماساً، أقرأه أسباعاً، أما إن عندي مُصحفاً مجزئاً أربعة عشر جزءاً»^١. فيظهر أن التجزئة (١٤) مبنية على تصنيف القرآن كل حزبين في جزء تقريباً، والتسبيع على قراءة أربعة أجزاء والتخميس على قراءة ستة أجزاء وذلك بتقسيم ٣٠ على ١٤، لقراءة القرآن في خمسة أيام أو أسبوع أو أسبوعين.

قال الأرجاني: قال يحيى بن كثير: ما كانوا يعرفون شيئاً مما أحدث في المصاحف إلا التَّقْطُ الثلاث على رؤوس الآيات، أخرجه ابن أبي داود وروى عن ابن سيرين أنه كره التَّقْطُ، يعني على رؤوس الآيات والفواتح والخواتم. وعن ابن مسعود ومجاهد أنهما كرها التّعشير. وأخرج ابن أبي داود عن التّخعي أنه كان يكره العواشر والفواتح وتصغير المصحف، وأن يكتب فيه سورة كذا وكذا^٢.

ويظهر من رواية الزُّركشي أن الحجاج كان له عناية خاصة بتجزئة القرآن بالتسبيع، فقد جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال... [وذكر كما تقدم عن السجستاني، الرقم ٥، ثم قال:] والمعول اليوم في تجزئة القرآن إلى ثلاثين جزءاً، واستمرت العادة في عصرنا للصالحين من قراءة جزء في كل يوم من رمضان إلى ختم القرآن كله فيه ومنهم من يضاعف العدد يومياً.

١- الوسائل ٤: ٨٦٢.

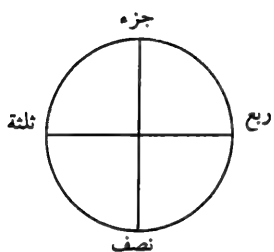
٢- كثر المرجان ١: ١٤.

وكذلك توزع الأجزاء في الوفيات، ليختم القرآن ثواباً لروح الميت من المشاركين في العزاء خلال ثلاثة أيام. وتسهيلاً لهذه المهمة في التعليم من خلال الحصّة اليومية للتلاميذ ابتكرت تقاسيم أخرى، أشهرها تقسيم المصحف إلى أجزاء ثلاثين، وكل جزء إلى حزبين، فالأحزاب ستون وكل حزب إلى اثنين فهما رُبْعان، فالأرباع ٢٤٠ رُبْعاً. وظهر من كلام الزركشي ما يفيد بأن هذه التجزئة كانت لغرض التعليم فقط، حيث قال: «فقد اشتهرت الأجزاء الثلاثين كما في الرُبْعَات بالمدارس وغيرها»^١.

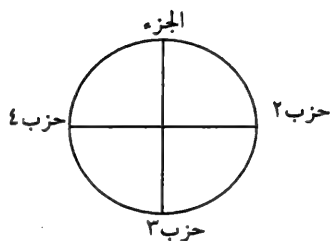
والمصاحف في المغرب الإسلامي درجت على تربع القرآن، وهو رواية ورّث عن نافع المنتشرة بالمغرب الإسلامي، فالرُبْع الأول ينتهي بالأنعام، والرُبْع الثاني ينتهي بالأعراف، والرُبْع الثالث ينتهي بمريم، والرُبْع الرابع يتبدئ بسورة ياسين إلى آخر القرآن، والتربيع هذا غريب على أهل المشرق.

ويعبرون عن الحصّة اليومية للقرآن بالركوع. ولا يعرف بالضبط من اخترع هذه التقاسيم، ممّا يظهر أنّه كانت محاولات فردية للحاجة الشخصية. والمروي أن أول من ابتكر التشير هو المأمون العباسي (١٦٧-٢١٨)، وكان عالماً من خلفاء العباسيين، بنى بيت الحكمة في بغداد، واهتم بثقافة الإغريق. وفي عام ٢١٢ للهجرة أعلن مسألة خلق القرآن عقيدة رسمية للدولة موافقة للمعتزلة لضرب الأشاعرة، وعُرفت هذه بـ«المحنة»، وانتهت هذه المحنة بوفاة المأمون في (٢١٨ هـ) بطرطوس، حيث يقع قبره اليوم في تركيا، ويعرف قبره بـ(مأمون آغا) وأثر هذا التشير لا زال معمولاً به إلى اليوم.

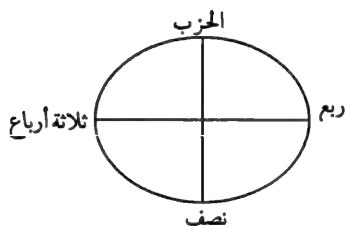
تجزئة المصحف في مختلف الطبّعات:



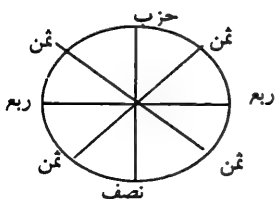
باكستان - الهند



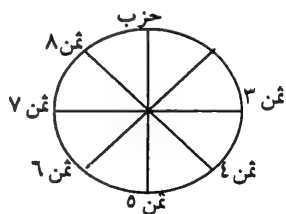
إيران



السعودية



نيجيريا



السودان

مقارنة تجزئة القرآن في الطبّعات

طبعة الهند والباكستان	طبعة إيران	طبعة السّعوديّة	طبعة المغرب
٣٠ جزء (بارہ)	٣٠ جزء	٣٠ جزء	٤٠ جزء
كلّ جزء نصفان	١٢٠ حزباً	٦٠ حزباً	٦٠ حزباً
كلّ نصف ربّعان	كلّ جزء ٤ أحزاب	كلّ جزء حزبان	كلّ جزء ١٥
حزب و كلّ حزب يقسم إلى اثمان			

طبعة السّودان

طبعة دار المركز الإسلامى الأفريقى بالخُرطوم السّودان ط ٢، ١٤١٠ هـ في ٣٠ جزءاً، كلّ جزء على حزین و المجموع ٦٠ حزباً، و كلّ حزب ثمانية اثمان، تبدأ بالثمن الأوّل، وتنتهى بالثمن الثامن من ١ إلى ٨.

طبعة نيجيريا

طبعة الحاجّ حسن انوماكنو في ٨١٩ صفحة في أربعة أقسام:

الأوّل - من البقرة إلى الأعراف في ١٥ حزباً.

الثاني - من الأعراف من ص ٢٠٥ في ١٥ حزباً.

الثالث - مريم من ص ٤٠٨ في ١٥ حزباً.

الرابع - من ص ٤٠٨ إلى آخر القرآن ص ٨١٩ في ١٥ حزباً، و كلّ قسم تتخلّله ألوان

وفراغات ملوّنة. و علامة (ث) للثلاث، و (ب) للرّبع، و (ث) للثمن، و (ن) للتّصف و هكذا.

و تمتاز هذه الطّبعة بأنّها تذكر في مفتتح كلّ ربّعة عدد الورقات لكلّ ربّعة من الحزب،

مستعملاً الحروف الأبجدية، مثال ذلك في أوّل البقرة، يذكر لفظة: (كافة: في ربّعه تسع

وعشرون وقفه) و هكذا إلى آخر القرآن. و علامات وقف محدودة و مبيّنة.

[الرَّكُوعَاتُ فِي بَعْضِ مَصَاحِفِ الْمَطْبُوعَةِ]

الرَّكُوع: وقد زادت الطَّبَعَاتُ الْبَاكِسْتَانِيَّةُ وَالْهِنْدِيَّةُ فِي آخِرِ مَقْطَعٍ مِنَ الْقُرْآنِ عِلَامَةُ (ع) لِلرَّكُوعِ، صَوَّرَتَهَا هَكَذَا: ع. مَعَ أَرْقَامٍ فِي أَعْلَى الْحَرْفِ وَوَسْطِهِ وَأَسْفَلُهُ تَدُلُّ عَلَى: رَقْمِ الرَّكُوعِ فِي السُّورَةِ ١، وَعَدَدِ الْآيَاتِ فِي الرَّكُوعِ ١٤، وَعَدَدِ الرَّكُوعِ فِي الْجِزْءِ ١٢. وَالرَّكُوعُ هُوَ الْحِصَّةُ الْيَوْمِيَّةُ لِلْقِرَاءَةِ وَالْحِفْظِ فِي عَامِينَ تَقْرِيْبًا، فَيَكُونُ مَجْمُوعُ الرِّكَعَاتِ ٥٥٨، وَتَخْتَلِفُ فِي عَدَدِ الْآيَاتِ طَوْلًا وَقَصْرًا، فَالسُّورَةُ الْقَصَارُ مِنَ عَبَسَ رَقْمُ ٨٠، وَمَا بَعْدَ مِنْهَا تَحْتَوِي عَلَى رُكُوعٍ وَاحِدٍ. عَدَدُ آيَاتِ كُلِّ رُكُوعٍ تَعَادِلُ عَدَدَ آيَاتِ السُّورَةِ، أَمَّا تَسْلِسِلُ أَرْقَامِ الرَّكُوعَاتِ فِي الْجِزْءِ فَتَخْتَلِفُ.

فَالْجِزْءُ الثَّلَاثُونَ يَحْتَوِي عَلَى السُّورَةِ: النَّبَأِ (عَمَّ) إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ.

وَرَقْمُ ٧٨ سُورَةِ النَّبَأِ (عَمَّ) يَحْتَوِي عَلَى رُكُوعَيْنِ: الرَّكُوعُ الْأَوَّلُ فِي السُّورَةِ يَحْتَوِي عَلَى (٣٠) آيَةٍ، الرَّكُوعُ الثَّانِي فِي السُّورَةِ يَحْتَوِي عَلَى (١٠) آيَاتٍ.

ثُمَّ رَقْمُ ٧٩ سُورَةِ النَّازِعَاتِ تَحْتَوِي عَلَى رُكُوعَيْنِ: الرَّكُوعُ الْأَوَّلُ فِي السُّورَةِ يَحْتَوِي عَلَى (٢٦) آيَةٍ، وَالرَّكُوعُ الثَّانِي فِي السُّورَةِ يَحْتَوِي عَلَى (٢٠) آيَةٍ.

ثُمَّ رَقْمُ ٨٠ سُورَةِ عَبَسَ تَحْتَوِي عَلَى رُكُوعٍ وَاحِدٍ وَهُوَ يَحْتَوِي عَلَى (٢٢) آيَةٍ، عَدَدُ آيَاتِ السُّورَةِ. وَكُلُّ سُورَةٍ بَعْدَ ذَلِكَ تَحْتَوِي عَلَى رُكُوعٍ وَاحِدٍ، فَيَكُونُ آخِرُ السُّورَةِ - وَهِيَ سُورَةُ النَّاسِ - الرَّكُوعُ رَقْمُ ٣٩ فِي الْجِزْءِ الثَّلَاثِينَ.

وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ هَذِهِ التَّقْسِيمَاتِ فِي تَجْزِئَةِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا تَقَاسِيمُ حَادِثَةٌ، إِنَّمَا ظَهَرَتْ مِنْ أَجْلِ تَسْهِيلِهَا عَلَى مَنْ يَرِيدُ تَعَلُّمَ الْقُرْآنِ.

الأعلام والمصادر

التعريف بمن أضيف إلى هذا الجزء من الأعلام المؤلفين

أ-

ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨)
هو أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحرّانيّ الدمشقيّ الحنبليّ ابن تيمية، وُلِدَ في حرّان بـ «تُرْكِيَا»، وانتقل إلى دِمَشق فنبغ واشتهر فيها، وكان يخالف المنطق والفلسفة ويعتقد قَدَم القرآن، وتأثّر محدّثين عبد الوهاب ببعض آرائه فابتدع طريقة تُنسب إليه. ورحل إلى مصر فسُجن مدة لما استحدثه في العقيدة، ثمّ عاد إلى دِمَشق، ومات معتقلاً بقلعة دِمَشق. وله كتب كثيرة منها: «دقائق التفسير»، [٤ ج، ط: دار الأنصار، القاهرة].

ابن الزبير (٦٢٧-٧٠٨)
هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الزُّبَيْر بن الحسن بن الحسين القرناطيّ الأندلسيّ المالكيّ، مُحدِّثٌ، مؤرِّخٌ، مفسِّرٌ، وُلِدَ في جيّان (شمال غرناطة) وأقام بمالقة (جنوب الأندلس)، فغادرها إلى غرناطة

وتوفي فيها. وله كتب، منها: «البرهان في تناسب سور القرآن»،
[ط: جامعة الزيتونة للشريعة في تونس ١٤٠٨ ق].

ابن عاشور (١٢٩٦-١٣٩٣)
هو الشيخ الأستاذ محمد طاهر بن عاشور، وُلِدَ ونشأ بتونس،
وانتخب عام ١٣٥٠ ق زعيمًا لشيوخ المالكية بتونس، وكان عضو
مجمع اللغة العربية في مصر والمجمع العلمي العربي في دمشق، وكان
عالمًا باحثًا في أنواع العلوم الإسلامية والقرآنية، وله كتب منها:
«تفسير التحرير والتنوير»، [٣٠ ج، ط: ١ مؤسسة التاريخ،
١٤٢٠ ق].

ابن عربي (٥٦٠-٦٣٨)
هو محمد بن علي محمد بن أحمد الطائفي الأندلسي الشهير بـ
محي الدين ابن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر، صاحب الكتابين
المعروفين: «فصوص الحکم» و«الفتوحات المكية». ويدعي أنه
أهل الكشف والإشراقات. وُلِدَ في مرسية بالأندلس، ثم انتقل إلى
إشبيلية، فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، واستقر في
دمشق فتوفي فيها، وله نحو أربع مائة كتاب ورسالة ومنها: «رحمة
من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن»، [٤ ج، ط: مطبعة نضر
دمشق].

ابن منظور (٦٣٠-٧١١)
هو محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي، المعروف بـ ابن
منظور، وكان عالمًا بالتحقيق واللغة والتاريخ والكتابة، وُلِدَ بـ مصر،
وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس،

وعاد إلى مصر فتوفي فيها. وله كتب كثيرة أشهرها: «لسان العرب»، [١٥ ج، ط: دار صادر بيروت].

أبو عبّيدة (١١٠-٢١٠) هو معمر بن المثنى التيمي البصريّ النحويّ، وكان من أئمة العلم والأدب واللغة، مولده ووفاته بالبصرة، استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد عام ١٨٨ ق، وكان من الخوارج، ولكنّه يكتّم عقيدته ولا يُعلنها. وله كتب كثيرة، منها: «مجاز القرآن»، [٢ ج، ط: ٢ مطبعة الخانجيّ دار الفكر ١٣٩٠].

الأزهريّ هو محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح الأزهريّ الهرويّ الشافعيّ، وكان من أحد الأئمة في اللغة والأدب، وُلِدَ في هراة بخراسان، ثمّ رحل إلى بغداد، ولكن لم يمكث فيها طويلاً، فرجع إلى هراة واشتغل بالفقه على مذهب الشافعيّ، وتوفّي فيها، وله كتب منها: «تهذيب اللغة» [١٥ ج، ط: الدار المصرية، القاهرة ١٣٨٤ ق].

الأنصاريّ هو العلامة محمد عليّ بن أحمد الأنصاريّ قراجة داغي التبريزيّ، صاحباً للحاشية لـ «قوانين الأصول» للميرزا القميّ، وكان عالماً أصولياً، فقيهاً مفسراً... وله كتب كثيرة منها: «اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام»، [المخطوطة: ١٢٩٧ ق].

(ب، ح، خ)

بازمول هو الدكتور محمد بن عمر بن سالم بازمول، الأستاذ بجامعة أمّ القرى وكلية الدعوة وأصول الدين بمكة المكرمة، وله: «علم المناسبات في (معاصر)

السُّور والآيات»، [ط: ١: المكتبة المكيّة، مَكَّة المكرمة ١٤٢٣ ق].

البُستانيّ هو الدكتور محمود البُستانيّ، باحثٌ مضطلعٌ في التفسير والحديث وعلوم القرآن والأدب العربيّ، وُلِد في التجف الأشرف، هُجّر إلى إيران فسكن قم، واشتغل في مجمع البحوث الإسلاميّة بمشهد الرضا عليه السلام، ثمّ عاد إلى قم ولا زال فيها. وله كتب كثيرة منها: «التفسير البنائي للقرآن» [ط: ١: مؤسّسة طبع ونشر الأستانة الرضويّة مشهد ١٤٢٢ ق].

البِقائيّ هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن عليّ البِقائيّ، مؤرِّخٌ، أديبٌ، مفسِّرٌ.. وأصله من البقاع في لبنان، سكن دِمَشق، ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدِمَشق، وله كتب كثيرة، منها: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور»، [٨ ج، ط: ٢: دار الكتب العلميّة، بيروت ١٤٢٤ ق].

الحسينيّ الجلاليّ هو السيّد محمّد حسين الحسينيّ الجلاليّ، عالمٌ باحثٌ ومن تلامذة الشيخ آغا بزرگ الطهرانيّ وخاصّته. وُلِد بـكربلا، ويشغل حاليّاً في شيكاغوب «أمريكا» بالتدريس والتحقيق، وحمل على عاتقه هناك، الاهتمام بأمور الشيعة، وله كتب بالعربيّة والإنجليزيّة، منها: «دراسة حول القرآن الكريم»، [ط: مؤسّسة الأعلميّ، بيروت ١٤٢٢ ق].

الحويّ هو سعيد بن محمد بن ديب حويّ، وُلِدَ في حماة بسوريا، وكان من أبرز الدعاة الإسلاميين المنتمين إلى جماعة الإخوان المسلمين، سَجُنَ ٥ سنوات، وتوفي في عَمَّان بالأردن. وله كتب منها: «الأساس في التفسير» قد أُلْفِه في السَّجْن، [١١ ج، ط: ٣، دار السَّلام للطباعة والنشر، القاهرة].

حيدر الآمليّ هو السيّد حيدر بن عليّ بن حيدر العلويّ الحسينيّ الآمليّ، عالمٌ، مفسّرٌ، فقيهٌ، محدّثٌ، وكان من أجلة العلماء الإماميّة الصّوفيّة، له كتب، منها: «المحيط الأعظم والبحر الخضمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم»، [ط: الإرشاد الإسلاميّ، طهران ١٤١٤ ق].

خليل بن أحمد هو أبو عبد الرّحمان الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ الأزديّ، من أئمة اللّغة والأدب وكان من الثّعاة المتقدّمين الكبار، وواضع علم العروض، وقد صَنَّفَ أوّل مُعْجَم عربيّ، وكان أستاذ سيّبويه، وعاش فقيراً صابراً، وُلِدَ في البَصْرة، وتوفّي بها، وله كتب كثيرة، منها: «العين» في اللّغة، [٩ ج، ط: الثّانية، إيران ١٤٠٩ ق].

(د، ر، س، ش)

الدّامغانيّ هو الشّيخ العلّامة الباحث الماهر، أبو عبد الله الحسين بن محمد الدّامغانيّ، وله: «الوجوه والتّظانن في القرآن»، صحّحه وحقّقه: الدكتور أكبر بهروز. [ط: شفق، تبريز ١٤٠٧ ق].

الرّاعب الأصفهانيّ هو الحسين بن محمد بن المفضّل الرّاعب الأصفهانيّ، أديبٌ، لغويٌّ،

(...-٥٠٢) شاعرٌ، مفسرٌ، متكلمٌ، واختلف في مذهبه، فبعض يقول: إنه شيعيٌ، وبعض يقول: إنه شافعيٌ. وُلِدَ في أصفهان وسُكِنَ في بغداد. وله كتب كثيرة، منها: «المفردات في غريب القرآن»، [ط: المكتبة المرتضوية، طهران ١٣٧٣ ق].

السَّخَاوِيّ هو عليّ بن محمد بن عبد الصّمد بن عبد الأحد السَّخَاوِيّ المصريّ المالكيّ ثمّ الشافعيّ، وكان عالماً بالقراءات والأصول واللغة والتفسير. وُلِدَ بـ «سَخَا» بمصر، وسكن في دِمَشق وتوفّي فيها، وله كتب، منها: «جَمالُ القُرّاء وكمالُ الإقراء»، [٢ ج، ط: دارالبلاغة، بيروت ١٤١٣ ق].

سَيَّوِيَّة هو أبو يَشْر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، المعروف بـ «سَيَّوِيَّة»، وكان أوّل من بسط علم النحو، وُلِدَ بالبيضاء بـ شيراز، ويقال: إن مولده بالأهواز، ثمّ هاجر مع أهله إلى البصرة، ورحل إلى بغداد عام: ١٧٠ ثمّ عاد إلى الأهواز فتوفّي بها، وقيل: بشيراز وقبره بها. وله: الكتاب المسمّى «كتاب سَيَّوِيَّة»، [٥ ج، ط: ٣ عالم الكتب، مصر ١٤٠٣ ق].

الشُّوكَانِيّ هو محمّد بن عليّ بن محمّد عبد الله الشُّوكَانِيّ ثمّ الصَّنْعَانِيّ، فقيهٌ مجتهدٌ من كبار اليَمَن، وُلِدَ بـ هجرة (من قُرى خولان باليمن) ونشأ بصنعاء وتوفّي فيها. وكان يرى تحريم التقليد. له كتب كثيرة، منها: «فتح القدير الجامع بين فئتي الرواية والدراية من علم التفسير» [٥ ج، ط: ٣ دار المعرفة، بيروت ١٤١٧ ق].

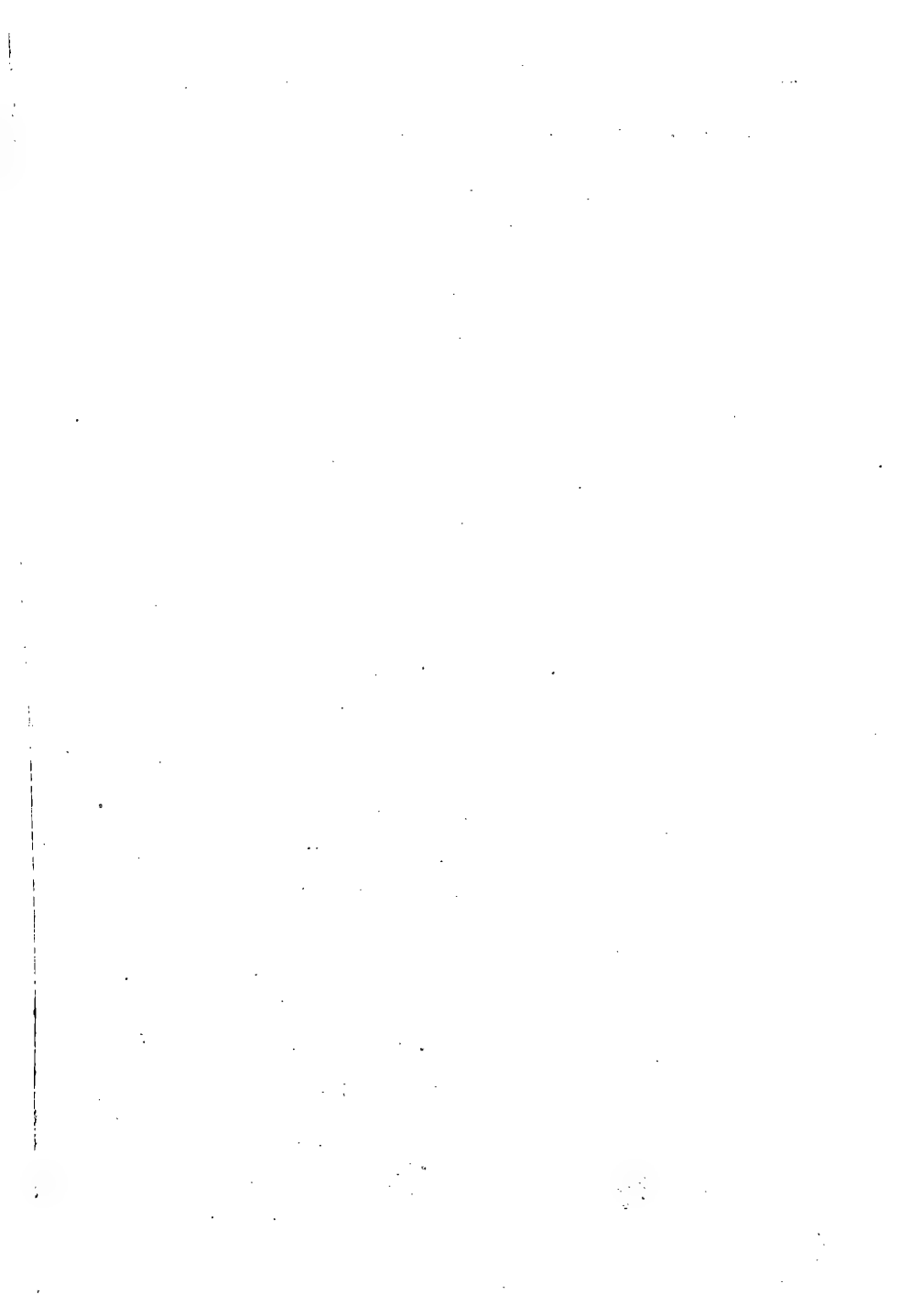
(ف، م، ن)

الفلاح (معاصر)
هو الدكتور سعيد الفلاح، الأستاذ بجامعة الزيتونة للشرعية وأصول الدين بتونس، حقق كتاب: «البرهان في تناسب سور القرآن» لابن الزُّبَيْر وقَدَّم له، وقد اقتبسنا نصًّا من مقدمته. [ط: إدارة الثقافة والتَّشَرُّف في المملكة السَّعُودِيَّة ١٤٠٨ ق].

المصطفويّ (١٣٣٤-١٣٨٤)
هو العلامة المتَّبِع الأستاذ الميرزا حسن المصطفويّ، وُلِد في تبريز بـ آذر بايجان، ونشأ فيها ورحل إلى قمّ عام ١٣٥٣ ق، ثمّ هاجر إلى التجف عام ١٣٦٢ ق، واستفاد من دروس السيّد أبو الحسن الأصفهانّيّ، ورجع إلى إيران ١٣٦٥ ق، فأقام في طهران، وأخذ يمارس التدريس والتحقيق والتَّأليف. له كتب أشهرها: «التحقيق في كلمات القرآن الكريم»، [١٤ ج، ط: آرين ١٣٦٠ ش].

المدرسيّ (معاصر)
هو آية الله السيّد محمّد تقّي ابن السيّد الكاظم المدرسيّ، العالم الباحث، وُلِد بـ كربلاء ونشأ فيها، ثمّ هُجِرَ إلى إيران وعاد إلى كربلاء بعد سقوط الطَّاغية (صدّام). له مقالات وكتب كثيرة، منها: «من هُدى القرآن» في التفسير، [١٨ ج، ط، ن: دار الهدى ١٤٠٥ ق].

نوفل (١٣٣٦-١٤٠٤)
هو الأستاذ عبد الرزّاق نوفل المصريّ، العالم الباحث الحاذق المفكّر، كان يقوم بإعداد التفسير العلميّ الشَّامِل المبسَّط للقرآن الكريم، وُلِد ونشأ بالقاهرة وتوفّي فيها. له كتب كثيرة، منها: «الإعجاز العدديّ للقرآن الكريم»، [٣ ج، ط: دار الشعب، القاهرة].



فهرس الموضوعات

الباب السّابع: أسامي القرآن وصفاته ومعانيه

أسماء القرآن وصفاته وألقابه	معنى القرآن لغةً واصطلاحاً
٩٧، ٧٥، ٦١، ٥٨، ٤٦، ٤٤، ٤٢، ٢٦	١٥، ٢١، ٨٥، ٨٩، ١٤٨، ١٧٨، ١٩٣،
١٠١، ١٠٤، ١٠٨، ١١٥، ١١٨، ١٤٠	١٩٩، ٢٤٨، ٢٥٢
١٤٥، ١٥٨، ١٦٢، ١٧٤، ١٨٩، ١٩٠	القرآن عند المتكلمين ١٥١
٢٣٦، ٢٣٣، ٢٢٧، ٢٢٠، ٢١٧، ٢٠٤	القرآن عند الأصوليين
أسماء القرآن واشتقاقاته ٩١، ١٩٥	والفقهاء وعلماء العربية ١٥٣
القول في تأويل أسماء القرآن ١٦	هل القرآن علّمُ شخص؟ ١٥٥
حُجُب القرآن وأسماءه ١١٣	تعريف القرآن ٢٢٦
الأسماء والصفات القرآنية عند الإمام	فما هو القرآن وكيف وصف القرآن
علي عليه السلام ١٤٠	نفسه؟ ٢٥٢
أسماء القرآن ومناسباتها ١٨١، ١٨٣	

الباب الثامن: أسامي السُّور ومعنى السُّورة وعددها ومعانيها

معنى السُّورة لغةً واصطلاحاً	٢٩٩، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٩،
٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٩٨،	٣٤٢، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٦٨،

في اختصاص كل سورة بما سُمِّيَتْ ٣٠٢

في عدد سُور القرآن ٣٠٧، ٣٢٠، ٣٤١، ٣٥٦

فائدة: في إعراب أسماء السُّور ٣١٨

الحكمة في تسوير القرآن سُورًا وتقطيعه

٣٧٠، ٣٤٥، ٣٤٠، ٣٢١، ٢٨٢

متى يكون انتهاء السُّورة وابتداء غيرها؟

٣٧٣

تحديد السُّورة ٣٨٠

ترتيب السُّور ٣٨٠

أسماء السُّور وألقابه ٢٥٨، ٢٨٠، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٠١، ٣٠٨، ٣١٢، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٧٨، ٣٧٠، ٣٦٩، ٣٥٧، ٣٥٣، ٣٤٩، ٣٨٣

القول في تأويل أسماء سُور القرآن ٢٦٣

القول في تأويل أسماء فاتحة الكتاب ٢٦٦

أقسام السُّور وأسمائها

٣٣٠، ٣٢٦، ٣١٩، ٣٠٤، ٢٨٩، ٢٨٥

٣٧١، ٣٤٠،

أسماء سورة فاتحة الكتاب

٢٨٧، ٢٦٨، ٢٦٦، ٢٦١

الباب التاسع: معنى الآية والحرف والكلمة وعددها في القرآن

٤٥٨، ٤٦٧، ٤٧٧، ٤٨٧، ٤٨٩، ٤٩٢، ٤٩٩، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥٠٧، ٥١١، ٥٢٠، ٥٢٥

٥٢٥

اتجاهات عدّ آيات القرآن الكريم ٥٠٩

٥٢٠،

فوائد معرفة الآيات ٤٧٨، ٤١٠

تحديد الآية ٥٢٣

أقوى العدد في معرفة العدد ٤٢٤

معنى الكلمة والحرف ٤٠٧، ٤٢٧، ٤٣٨، ٤٣٣، ٤٤٣، ٤٦٣، ٥٠٤،

معنى الآية لغةً واصطلاحًا

٤٠٧، ٤٠٣، ٤٠١، ٣٩٥، ٣٩١، ٣٨٩، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٣٠، ٤٢٥، ٤٢٢، ٤٠٨، ٤٤٣، ٤٤٠، ٤٦٣، ٤٦٣، ٤٦١، ٤٥٠، ٤٤٣، ٤٤٠، ٤٨٦، ٤٩٠، ٤٩٣، ٥٠٨، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٢٣، ٥٢٠، ٥١٨، ٥١٦، ٥١١، ٥٠٩، ٤٠٤، ٣٩٦، ٣٩٤، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٥١،

٤٣٣، ٤٤٣، ٤٤٠، ٤٦٣، ٤٦٣، ٤٦١، ٤٥٠، ٤٤٣، ٤٤٠، ٤٨٦، ٤٩٠، ٤٩٣، ٥٠٨، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٢٣، ٥٢٠، ٥١٨، ٥١٦، ٥١١، ٥٠٩، ٤٠٤، ٣٩٦، ٣٩٤، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٥١،

٤٣٣، ٤٤٣، ٤٤٠، ٤٦٣، ٤٦٣، ٤٦١، ٤٥٠، ٤٤٣، ٤٤٠، ٤٨٦، ٤٩٠، ٤٩٣، ٥٠٨، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٢٣، ٥٢٠، ٥١٨، ٥١٦، ٥١١، ٥٠٩، ٤٠٤، ٣٩٦، ٣٩٤، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٥١،

٤٣٣، ٤٤٣، ٤٤٠، ٤٦٣، ٤٦٣، ٤٦١، ٤٥٠، ٤٤٣، ٤٤٠، ٤٨٦، ٤٩٠، ٤٩٣، ٥٠٨، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٢٣، ٥٢٠، ٥١٨، ٥١٦، ٥١١، ٥٠٩، ٤٠٤، ٣٩٦، ٣٩٤، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٥١،

مصاديق الآية في القرآن ٤٤٣

تقسيم السُّور إلى آيات ٥١٨

عدد الآيات والكلمات والحروف

٤١٦، ٤١١، ٤٠٩، ٤٠٤، ٣٩٦، ٣٩٤، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٥١،

إطلاق الكلمه في القرآن على الموجودات	في بيان آيات الله الآفاقية و تطبيقها
الخارجية ٤٣٨	بكلمات الله القرآنية ٤٣٦
عدد حروف الهجاء في القرآن ٤٦٠	في بيان كلمات الله الآفاقية و تطبيقها
	بالكلمات القرآنية ٤٣٧، ٤٣٨

الباب العاشر: تناسب الآيات والسُّور

فوائد منثورة في المناسبات	معنى المناسبة ٥٦٣، ٥٤٠
٦٦٠، ٦٣٥، ٦٠٨، ٦٠١، ٥٧١، ٥٤١	علم المناسبات في الآيات والسُّور
عدم التناسب في هذا الترتيب	٦٦٧، ٦٦٤، ٥٦٣، ٥٥٧، ٥٤٠
الموجود ٥٧٤	بداية علم المناسبات ٦٦٤
اتساق حروف القرآن وآياته وسوره	فضل علم المناسبات ٦٧٢
٥٩٢	علم المناسبات توقيفي
تسلسل الفصول القرآنية و سياقها ٥٩٦	٤٦٧، ٦١٣، ٦٦٤
أسرار الصلة بين الآيات والسُّور ٦١٧	المناسبة بين الآيات ووجهها ٥٣٥
نظم السُّور القرآنية ٦٢٦	٦٥٨، ٦٣٦، ٦١٢، ٥٨١، ٥٦٣، ٥٤٠،
التدبر و السياق القرآني ٦٥١	أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض
فهم القرآن من القرآن ٦٠٥	٦٧٤، ٦٥٩، ٦١٥، ٥٥٠، ٥٤٤
حكم تطّلب المناسبات بين السُّور و	تناسب السُّور و تلاحمها
الآيات ٦٧٠	٦٤٥، ٦٤١، ٥٨١، ٥٦٣، ٥٣٧، ٥٣٦
	٦٧٠، ٦٥٨، ٦٥٤

الباب الحادي عشر: أجزاء القرآن وأحزابه

تجزئة القرآن	٦٩٦، ٧١٠، ٧١٥، ٧٢٣، ٧٢٦
ذكر أنصاف الأسداس	٦٩٧
ذكر أنصاف الأسباع	٦٩٨
تجزئة المصاحف	٦٧٩
معنى الحزب وحدوده	٦٩٦، ٧٠٠
تقسيم القرآن	٦٨٢، ٧١٢، ٧٢٠
أحزاب القرآن	٧٠٩، ٧١٢
مقارنة تجزئة القرآن في الطبّعات	٧٢٧
في تفسير المصاحف وتخمينها ومن كره	
الركوعات في بعض مصاحف المطبوعة	
ذلك ومن أجازها	٦٨٧
أجزاء القرآن	٦٨٩، ٦٩٣، ٧١٢
	٧٢٨